# سيرة

# عنترة بن شداد



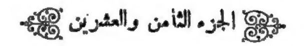

## المجلد الخامس

التزام مكتبة الجمهورية العربية

# سيرة

# عنترة بن شداد

وهـو الفارس المشهور والبطل الجسور . سيد الشجعان وقاهر الأقران عنترة بن شداد من شعراء الطبقة الأولى ـ وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة . وأعزهم نفسا . وأقوامهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التى ضربت بها الأمثال لين العريكة سهل الأخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر . وقد عمر تسعين سنة مات مقتولا ـ وفى سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة مالا يندثر بل يبقى على مر الأيام وتدم سيرته مادامت العصور ـ وفيها يجد القارىء من الوقائع والحروب معارك مسترسلة فى ميادين القتال



الجزء الثامن والعشرين

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وكان عنتر ضرب أبيات مجيد على رابية فوجدها طيبه النسيم غير حرجة لأنه قد طلب ذلك إجلالا لقدرة ومكافأة لأبيه لأجل مافعل معه فى أيام الصبا إلا أنهم لما وصلوا إلى الرابية نرجلا عن الخيل وقصدا أبيات مجيد وقد دخل مازن من وراء المضرب بعد ماقلع بعض الأطناب وصار من داخله وقد وقف ميسرة من خارج لينظر له من يأتى إليه من العشيرة ولما صار مازن من داخل المضرب فنظر إلى مجيد وهو نائم على الفراش عرضا وهو لايدرى إن كان فى السماء أو فى أرض وقد وجد أسما نائمة عند رجليه وهى غارقة فى بحر السكرى فدنا منها مازن ووضع زنده على فمها وشد عليها وحملها وخرج بها وهى على يديه مثل الطفل الصغير على يد أمه لأنه كان من الشجعان الأبطال والفرسان وهى طفلة مثل الغزال العطشان ولما حملها سار بها من داخل الخباء إلى خارج فرآه ميسرة وهو خارج بها فأخذها منه




وصار يبوس خدودها ويهرول من على الرابية وهو نازل إلى أن وصل إلى جواده وركبه وأخذها فى حضنه وسار بها وهو لا يصدق بما قدر أى وقد تبعه مازن وساروا على طريق الشام فما أصبح الصبح عليهم إلا وهم فى مكان بعيد فهذا ما كان هؤلاء وأما ما كان من مجيد فانه ما انتبه حتى طلعت الشمس وبان النهار وخلا منه السكر والخمار ولما انتبه من منامه طلب أسما زوجته ليلاعبها على أثر خمارها فما وجدها فسار إلى باب المضرب وسأل المولدات عنها فقالوا والله يامولانا ما عندنا منها خبر ولا رأينا أحدا من هذا البيت ظاهر فقال فى باله وقد أظهر الغبن

أخذها فى أبيها ثم قال للخدام امضوا وابصروها فى بيت أبيها لربما أكون البارحة وأنا سكران كلمتها بما يشق عليها فتركتنى أنى نمت ومضت حردانة ثم أنه أنفذ بعض العبيد إلى منزل أبيها وكشفوا عن خبرها وعادوا بعد ساعة فاخبروه أن أهلها ما رأوها من ثلاثة أيام فلما سمع مجيد ذلك القول حار فى قصته وتعجب من أمر زوجته وإذا بأبى أسما قد أقبل هو وأخوها على مجيد ورآوه وهو واقف حائر فسألوه عن أسما وعن قضيتها فقال لهم لا أدرى ما تم عليها ثم أنهم مضو الجميع إلى عنتر وقد أطلعوه على هذا الخبر فلما سمع منهم ذلك تعجب غاية العجب وقد اشتد به الغضب وقال لمن حوله ائتونى بولدى ميسرة واخى مازن حتى أسألهم عن هذا الأمر المهول فوالله إن هذا شىء يحير العقول ثم انهم جدوا فى طلب الاثنين فما وجدوا لهم خبر ولا وقعوا لهم أثر فزاد قلق عنتر وقد تحير وسمع بهذه القصة من غاب وحضر وكثر بين الناس الكلام والأقوال فقال شيبوب لعنتر يا أخى لا تسمع كلام احد ولا مقالة واعلم أن هذه الجارية ما فاتت ولدك ميسرة وأنت تعلم ما فى قلبه منها وما لاقى من أجلها ولو لا حياؤه منك ما كان صبر عنها إلى الآن وأقول إنه البارحة شكا حاله إلى أخيك مازن وسأله فى المساعدة فرحمه وساعده وقد دخل أحدهما إلى المضرب والاخر وقف له حتى وبعد ذلك سار وا بها إلى أرض الشام فقال شداد والله يا شيبوب إنك لصادق فى هذا الكلام وقد حذرت حذر أصحاب العقول والأفهام فقال عنتر إذا كان الأمر كذلك فنحن نركب الخيل ونجد خلفها نهار وليل ولا نرجع حتى نرد الاثنين إلى الديار ونبلغ منهما ما اخترنا ثم إن عنتر قال لعروة بن الورد نبه رجالك واركب حتى أننا نبادر القصة من قبل الفوات ونجد فى قطع الفلوات فقا شداد يا ولدى تشير بالرجال فى طلب مازن وميسرة وتخلى الحريم الحريم والعيال فى هذه البرارى المقفره والله ما ماهذا إلا بئس الرأى لا سيما إذا طلبت ولدك وأخاك وطالت الغيبة بك فتكون قد طلبت الاقل وتركت الا كثر وخاطرت بأموالنا والحريم غايه الخطر فلما سمع عنتر من أبيه ذلك الكلام فقال له وكيف يكون العمل أخلى اخى وولدى يخرجان من تحت يدى فقال شداد الراى عندى ان نسير اموالنا وحريمنا إلى بنى غطفان فى ارض بنى فزارة مع مائتين فارس ونسير نحن فى اربعمائة فارس خلفهم قال الراوى سمع عنتر ذلك ومن كان حاضرا استصوبوا كلهم قول الأمير شداد ثم انهم اقاموا ذلك اليوم فى تدبير وحيل النساء والاولاد ثم رحلوا بصحبة المائة فارس إلى ارض بنى غطفان وبعد ذلك صاروا وهم يطلبون ارض الشام وهم فى اربعمائة بطل همام وهم لا يهابون حر النهار ولا برد الليل فقطعوا تلك البرارى والقفار وقد رأوا أثر مازن وميسرة وتبعوه وجدوا فى مسيرهم إلى ان وصلوا إلى رصيف الرمل وقاربوه وهم على الاثر سائرون وكان هذا الرصيف فى وادى

بين جبلين وهو ضيق حرج طوله فرسخ بالعراق وفيه كهوف ومغاير تدهش الناظر وتحير الأفكار وكان وقت دخولهم فيها وقت تلهب الحر واشتغال الرمال وما زالوا سائرين إلى أن توسطوا الجبال ثم إنهم أرادوا أن يطلبوا أواخرة والخلاص منه من شدة الحر وزفيره فبينما هم مجدين فى السير وإذا بالصباح أخذهم من أعلى الجبال وقد نزلت عليهم أحجار وظهر عليهم ألف رجل من الجانبين وهم ينادون باسم عيسى ومريم والصليب المفخم فلما رأى عنتر إلى ذلك ومن معه وقفوا تحيروا من تلك الأمور وقد اشتد عليهم رمى الصخور فوقع منهم جماعة من على ظهور الخيل فتقصفت الرماح من أيديهم ثم زاد بهم الويل فنظروا إلى الجبال وهى شاهقة وليس لهم إلى وصولها سبيل وكانت الأرض كثيرة الرمل والاعداء فوق الجبال وصاروا يرمون عليهم حجارة فترجل جماعة منهم وأرادوا أن يستتروا من ذلك فى الكهوف وكان محصن الكهوف بجماعة من الاعداء يضربون بالنبال وكان هذا قضاء الله تعالى فلا ترده التدبير ثم ان بنى عبس لما رأوا ما حل بهم هذا وقضاء الله لا يرد ولا منه ملجأ فانكبوا على وجوههم والبعض يدارى نفسه فى حصانه من شدة ضرب الصخور وأما عنتر فانه جرد حسامه وصاح فى الناس الذين ما مسكة أبواب المغاير وتبعه أبوه شداد وصار يضرب جهة باب المغاير ولكن من عفار الرمل صار المحل ظلام ونزل على عنتر حجر من كبار كل حجر منهم كأنه المنجنيق فوقع أحدهم على رأسه والاخر بين أكتافه فوقع إلى الأرض وصارت الحجارة تقع فوقه وهو لا يدرى فيما حل به وكذلك أبوه شداد والفرسان الذين عليهم المعتمد كذلك جرى عليهم مثل عنتر وما أمسى المساء وفيهم من يقدر يدفع عن نفسه أسا والكل على وجه الأرض مطروحين ولما تم ذلك الحال أشرف عليهم رجل شيخ من أعلى الجبل وأتى إلى الأفرنج وقال لهم يا عباد المسيح انزلوا اليهم ولا تخافوا منهم فكلهم قد هلكوا فتقدموا اليهم وشدوا السالمين من هؤلاء كتاف وتركوهم مشرفون على التلاف وكان هذا المنادى الشيخ سنان بن أبى حارثة (قال الراوى) وكان السبب فى هذا البلاء الذى تم على عنتر وأصحابه الربيع بن زياد وهو الخبيث الكياد لأننا قد ذكرنا عند رحيل عنتر أرسل عبيده خلفه ليعلموا على أى طريق صاروا وإلى أين هو قاصد فسار العبيد خلفه كما وصفنا وعادوا اليه وعرفوه بذلك ولما تحقق ذلك الأمر أرسل إلى إلى سنان وحصن وأخبرهم بتجبره وقد قال لهما اعلما أنه قد صح عند ان عذركم بنا ورحيلكم عنا وروحكم إلى بلاد الشام بالمال والعيال وهجركم لأوطانكم وأطلالكم كان كله من أجل عنتر وأنتم عذركم فيه واضح وان الملك قيس قد عرف ذلك وندم على فراقكم لأجل ما قاسى من كثرة تجبره على أهله واقاربه فما زال يداريه إلى ان خفى منه

ولما زاد عليه تكبره قال لنا دبروا على هلاك هذا الولد فدبرنا على قتله فعلم بذلك فهرب وسمعنا أنه ترك بلاد الحجاز ونزل قريبا من أرض تيما فاحترسوا على أنفسكم لئلا يترك غاراته اليكم ويكبس أهل الشام وأنا قد رأيت من الرأى أن تسيروا اليه وتكبسوه وتقتلوه فاذا ظفرتم به أوصات بينكم وبين الملك قيس وردد تبكم إلى أرضكم ورحلت غطفان عنها واعلموا أن عنتر قد ظهر له أخ وولدو كل واحد منهما أسد من الأسد فاحترسوا إذا قبضتم عليه أن يفلت منهم أحد فلما وصلت هذه الرسالة إلى سنان دخل على الحارث الغسانى صاحب دمشق وقلبه طائر من الفرح وعرفه بالخبر واستأذن فى المسير فاذن له وقال له خذ معك من العرب الف فارس حتى انك تقضى بها الاشغال وتبلغ الآمال فكان الحارث أراد بذلك أن يكون الذكر له فاجاب سنان إلى ما أراده وقد تجهز فى يومين وفى اليوم الثالث عول على المسير ومعه الف فارس من أبطال بنى فزارة والحارث يوصيه ويقول له إذ ظفرت بعنتر لا تقتله بل أئتنى به حتى أعذبه وبعد ذلك أنفذ إلى الملك الرحيم لأنك أنت تعلم ما فى قلبى مما فعل لما رجع من حصار كسرى فقال سنان السمع والطاعة ثم أنه صار فى ثلاثة آلاف فارس طالب أرض تيما والقسوس والافرنج قدامه بالطوارق والبيارق ومن حوله فرسان بنى غسان ودارت به الاعلام والرايات والصلبان وكان قد تنصر من بنى فزارة جماعة وطاب لهم المقام فى بلاد الشام إلا أن سنانا قد جد فى المسير حتى انه قارب رصيف الرمل كما ذكرنا وقد نزل لأجل الراحة بالجيش الذى معه فما استقر به المقام بعد قليل من الأيام حتى أشرف عليهم مازن وميسرة ومعهم أسماوهم سائرون فى ذلك الوادى فلما رآهم سنان قال لفرسانه الذين معه من بنى غسان أئتونى بهذان الفارسان حتى انى أسألهما عن حالهما وآخذ أخبار عنتر منهما فعند ذلك تجارب الأبطال ورجاله وركابه وقد داروا بهما من سائر الأجناب وقالوا لهما أجيبوا شيخ الشام وصاحب الرأى والاحكام وابشروا منه بالخلع والاموال والأنعام فسار ميسرة ومازن معهم وقد طابت قلوبهما بهذ الكلام (قال الراوى) فلما حضروا قدام سنان استعظم أمرهما وقد ترجلا عن الخيل وسلما عليه فرد سلامهم وقال يا وجوه العرب من أى الناس أنتما وإلى أين قصدكما ومن أى البلاد جئتما فقال له مازن أيها الامير اعلم اننا قوم من أهل اليمن وقد أتينا غضبا من قومنا وقد اتينا نطلب منكم الديوان والمقام فى بلاد الشام فقال سنان وما تكون هذه الجارية معكم ومالى أراها باكية متحسرة هل أنتم سبيتموها من عند أهلها واغضبتموها وكانت اسماء من منذ فارقت مجيدا ما نشفت لها دمعة ولاسكنت لها لوعة فلما ابعدت عنه آيست منه وعلمت بذلك فتململت وقد آلمها ركوب الخيل ومسيرها فى النهار والليل فزادها البكاء وكثر بها الانين والاشتكا فلما رآها

سنان وهى على تلك الحالة فسأل عن حالها منهم وعلم أنها مسبية إلا ان مازن لما سمع سؤاله قال له اعلم أيها الأمير إن هذه الجارية ابنة عم هذا الفارس وأشار إلى ميسرة فسمعت اسما ذلك فاملت فى نفسها الفرج على يديه فقالت أسها يا سادات العرب لا تسمعوا من هذا الرجل كلامه فانه كذب فى مقاله وأنا والله ما أنا أبنه ولا أدعى له بل أننى مسبية مظلومة وقد أخذت من مضربى وفقدت أهلى وبعلى واعلم أن هذين الاثنين ماهما من اليمن وإنما هما من بنى عبس أحدهما يسمى مازن أخو عنتر والآخر يسمى ميسرة هو ولد عنتر وأنا زوجة مجيد بن مالك أخو الملك قيس ثم انها حدثت سنان بذلك الحديث من الأول إلى الآخر فلما سمع سنان منها ذلك الكلام فرحوا خذه الطرب وقال يا للعرب بلغنا المنا والارب ودنا طريقنا واقترب ثم أنه صاح فى الرجال الذين حوله فقال لهم دونكم الكلاب فعندها قبضوا على ميسرة ومازن وقد شدوهما كتاف وقووا منهما السواعد والأطراف وأما أسما فقد فرحت بذلك وقد طيب خاطرها سنان فوعدها أن يجمع بينها وبين زوجها وأهلها ثم أن سنان بعد ذلك رحل من ساعته والابو لايسعه من الفرح وبنى فزارة يقولون يا سنان اعلم ان الفرح الكبير إذا ظفرنا نحن بعنتر لأننا إذا وقفنا به نهبنا بالرمح جسده أو شددناه مع أخيه وولده فاننا فى ذلك الوقت نعلم اننا قد بلغنا المقصود وكمدنا الأعداء فقال سنان يا بنى عمى أنا قد بلغنى أن عنتر فى خمسمائة فارس أبطال عوابس ولا بد أن يخرج ببعض الفرسان ويقتفى خلف ولده وأخيه الأثر والروانى والقيمان والقصد أننا نكمن لهم فى هذا المكان وتلك الرصيف التى قدامنا ونقيم على رؤس الجبال فى انظاره لأنى أنا اعلم أنه ما يقعد عن هذه الجارية لأن بعلها مجيد اعز الناس اليه ولا بد له من اتباع أخيه وولده لو أنه يسير وراءهم وحده فان تم لنا ذلك واتى على آثارهم امهلناه إلى ان يتوسط الوادى ونرمى عليه من هذه الأحجار والتراب ونبلغ منه ما نريد من غير طعن وإن كان ما يأتى سرنا نحن اليه ودبرنا أمرنا على ما نرى فيه من الصواب فلما سمع فرسان بنى فزارة ذلك المقال وقع على قلوبهم احلى من الماء الزلال لأنهم كانوا حاملين هم قتال عنتر لما يعرفوا منه فقالوا وحق ذمة العرب لقد اشرت بما لا سبقك اليه احد (قال الراوى) ثم انهم ساروا إلى المضيق المقدم ذكره وقد انقسموا فرقتين وطلعت كل فرقة منهم على جبل وتركوا اخيولهم مع طائفة منهم ومن عظم مكر سنان قد رتب الافرنج فى أسفل الوادى بالحرب والسيوف حتى لا يحتمى عنتر ورجاله فى الكهوف (قال الراوى) فاتفق بالقضاء والقدر هذا التدبير وقد تمت المقادير وقد تم عليه ما قدمنا ذكره وصاح سنان من رأس الوادى من أعلى الجبل على الافرنج وقد أمرهم يشدوا السالمين كتاف بعد ما نهى

أصحابه عن رمى الحجارة والتراب لا يهدعولوا أن يطمسوا أعينهم بالتراب فى هذا المكان بعد هذا العذاب وكان قد هلك من رجال عروة خمسة ومن فرسان بنى قراد عشرة أنفار وكان السالمون منهم قد أشرفوا على الهلاك وأما عنتر فانه غاب عن الدنيا من وقت وقوع الحجر بين أكتافه وفيها صخرة عظيمة قد غيبته عن الدنيا إلا أن الامر نبج قد فرحوا بأخذهم ثم أنهم شدوا عنترا ومن معه كتاف ونزل سنان مثل الشيطان وحوله جمع كثير من بنى فزارة وبنى غسان فعارضوا الجميع على خيولهم عرضا وخرجوا من المضيق وقد بلغوا ما أملوه من التوفيق فعادوا طالبين دمشق الشام فرحانون متباشرون بالخلع والإنعام وكان قد سلم من جماعة عنتر اثنان لأنهما كانوا فى الآخر ولما دخلوا المضيق نظروا إلى ذلك وسمعوا الصياح من رؤس الجبال عادوا على أعقابهم طالبين البر والفلا فكانت خيلهم جيادا فنجوا بهم فى البر وهذان الاثنان وهم الذين وصلوا وأعلموا بنى عبس بالقصة وكانت النساء وصلت إلى بنى غطفان ونزلت على الهطال بن أخت عنتر ففرحوا بذلك وعملوا الدعوات ودامت لهم المسرات وماز الوا على ذلك إلى أن عاد الملك قيس من أرض ديقار من عند الملك النعمان وهو كثير الهم والأحزان وهو عتبان على الزمان وقد آيس من صهره الملك النعمان ولما استقر به القرار فى دار مملكته أخبره الربيع بهذه الأخبار فزادت همومه وتلاطمت أمواج غمومه وقال والله زالت عنا السعادة وقد رمينا بسهام الإرادة لأن صهره الملك النعمان قد أصبح غريبا مشردا فى الصحراء بعد ما زال ملكه وجرى له ما جرى مع الملك كسرى والآن هو على خطر عظيم لأن الملك كسرى ما يقر له قرار وأنا أعلم أنه ما يتخلى عنه ولا يترك ثاره حتى يقطع منه الآثار وحامينا عنتر ما بقى يسلم بعد ما وقع فى قبضة ملك الشام لأن فى قلبه منه أمرا عظيما وفى قلب صاحبه قيصر وأنا أعلم أن هذه القبيلة قد آن أوان تشتيت شملها ولما تكلم الملك قيس بهذا الكلام قال له عمه الامير أسيد يا قيس حيث أنك تعلم أن عنتر حامية العشيرة فلم لا أجرت ذمامه وساعته باجارة عبدك ولا أتعبت قلبه وهججته فقال له الملك قيس اعلم يا عمى أنى ما فعلت تلك الفعال إلا لكونه رد كلاما قاسى وكان قلبى قوى بصهرى الملك النعمان وأنا لو كنت أعلم أن ملكه قد زال ما كنت عملت بعنتر تلك الأعمال ولا كنت تركته يمضى عنا حردان ولا غضبان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وسبب أسر عنتر ملك الشام ونرجع إلى ما كنا فيه من الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام فلما استقر بالملك قيس القرار حرم على نفسه شرب المدام واللذات وصار يقضى النهار بالحسرات ويستنشق الأخبار من سائر الجهات إلا أنه ما أقام على ذلك إلا أيام قلائل فبينما هو على ذلك فى بعض الايام جالس وعنده أعمامه وإخوته

وسائر عشيرته وهم يتحدثون وإذا برجل أعرابى قصدهم من صدر البريه راكب على ظهر ناقة مهرية أسبق من الخيول العربية فنظروا إلى ذلك الهجان بعد ما دخل بين المضارب وترجل عن الناقة بعد ما كان راكبا فتقدم إليهم وسق أثوابه وزاد فى بكائه وانتحابه ونادى الثار يا آل عدنان البدار يا بنى عبس استيقظوا من سنة الكرى واهجروا الحريم والاولاد وحرموا عليكم المواسم والاعياد فقد غابت شمس سعادتكم من دون البدو والحضر وقد نكس علم وانكسر وهلك ما كنتم تعتمدوه من دون البشر فاطلبوا ثأركم من الاعاجم وتأهبوا الطعن القنا وضرب الصوارم ولا تسمعوا عتب ولا لوم لائم ثم أن ذلك الاعرابى جرب دموعه مثل المطر وبكى وتحسر فانشد يقول :

| | |
|---|---|
| يا بنى عبس جار صرف الزمان | بعـــد ما أظلمت على النعمان |
| ورماه القضا بسهم حسام | نافذ فى النفوس والابدان |
| كشفوا بالمحال شمس بنى عبس | وجاروا على بنى عدنان |
| ساعدونى على الجوى بدموع | داميات تجرى من الاجفان |
| يا بنى عبس لو نظر تم إلى النعمان | مستلقيا على الإيوان |
| قلتم البـــدر هوى بعـــد ما | كان تماما يسمو عن النقصان |
| خدعوه بنى الأعاذى وكسرى | نال منه المراد بالموبذان |
| أنت يا ابن الكرام كرها | هجرت الدار وفارقتها مع الاوطان |
| إن كنت الربيع تحيابك الارض | جميعا لكل قاص ودان |
| تاج عبس وبدر أرض خراسان | وشمس العراق والقيروان |
| أين ذاك الهام ذو الامر والنهى | وشهم على ملوك الزمان |
| فسقى الله أرض ديقار غيثا | وابل بل القطر دائم الجريان |
| فهى كانت على الاعاجم نار | أضرمت حرها بنى شيبان |
| أنت يا ابن الكرم قد غبت فى الارض | وذاك ثابت فى جنانى |
| قاتل الله من شتاك وأمسى | فى مخالب أكبر العقبان |

قال الراوى فلما سمع الملك ذلك الكلام والشعر والنظام ضج بالبكاء والانتحاب كذلك كل من كان عنده من القرايب والاصحاب وقد أرخوا العمائم فى الرقاب وشقوا ما كان عليهم من الثياب وسار الملك قيس ينادى واصهراه واقطع ظهراه لقد قطعت والله شجرة الكرم وغابت شمس العجم ونشف بحرى الندا والعطايا ثم أن الملك قيس قال بعد ذلك للاعرابى عرفه لانه كان عبداً عزيزاً عند الملك النعمان وكان رباه مع جوارية

وسرائره وقد كشف له عن أسراره فقال له الملك قيس يامولاه العرب لكيف قد تعدى كسرى على الملك النعمان وبأى شيء خدعه وهانيء بن مسعود سالم أم قتل معه (قال الراوى) فقال الأعرابى ماهو يامولاى إلا سالم وقد تركته خلفى سائر هو والأمير حجار بن عامر والملك الأسود وأخوه عمرو بن هند وأختك المتجردة ومن يعرف بالشجاعة مع أكابر بنى كندة وبنى لخم وشيبان فاركب والتقى القوم واشكرهم على ما فعلوا مع أختك وحريم الملك النعمان لأنهم قد خلصوهم من السبى والانتهاك (قال الراوى) فعندها ركب الملك قيس ومعه وجوه عشيرته والجميع مشققين الأثواب مشوشين العمائم وهم يدقون على صدورهم وقد شاع الخبر فى العشيرة وسمع الرجال والنسوان الاتراب وقد ضجوا بالبكاء والانتحاب وقد كشفت الحريم رؤسهن والذوائب وقد خرجن إلى لقاء المتجردة حافيات وهن منهتكات إلى خارج الأبيات فبينما الناس على مثل ذلك وإذا بالأمير هانيء بن مسعود قد أشرف والأمير حجار بن عامر الكندى والملك الأسود وأخيه الذى قد منا ذكرهم من الفرسان وقد أبصروا نساء بنى عبس وهن على تلك الحالة فترجلوا وقد تلقوا الملك قيس بالبكاء والعويل وقد نادوا من بعد البكاء والويل الطويل وقد نزلت المتجردة من هودجها مع حريم الملك النعمان والكل لابسين السواد وهن مثل الغربان وكلهن مكشفات الرءوس ومشققات الجيوب بجزات الظفائر حاسرات الوجوه بلا براقع سائرحاثين التراب على الوجوه والفروق وهن يلطمن الخدود ودودهن من شده شدة اللطم مثل الخلوق ولما نزل القوم فى الخيام وجلسوا فى البيوت وقتل ذلك الالتهاب وسكن الأنين سلموا على بعضهم بعض ولما أشفوا الغليل رد الملك قيس أخيه إلى هودجها وقد أخذ بزمام ناقتها وطلبوا البيوت وسار وهو يقول لها قد عدتى لبئس العودة فليتك قد هلكت وبقى صبر لنا فهكذا تكون عاقبة النعمان ثم أنه بعد ذلك شكر الأمير هانيء والأمير حجار وقد سألها عما جرى لها وكيف ظفر الملك كسرى بالملك النعمان فابتدأ هانيء يقص عليه القصة ويخبره بحقيقة الحال قال الراوى وكان السبب فى ذلك وهو أن الفرس لما انكسروا من بعد سماعهم باسم سيدنا محمد المختار تمت فى الهزيمة فرق وسرب وقد تبعت آثار العرب حتى أنها خرجت من أرض الحجاز إلى طريق العراق وقد ساروا يطلبون أرض الحيرة والنجف وما فيهم إلا من يعض على كفيه ويتأسف وكان أشدهم حزنا وأعظمهم قلقا الوزير البزرجمهر وزير الملك كسرى الاكبر لانه كان سار مع ولده ليدبره ويحفظه وبأخذ بهيبته الملك النعمان ويذل به عرب الحجاز لجرى عليه ماقد جرى من الانهزام قال الراوى وعند خروجهم من البر إلى الطريق المستقيمة فالتقى بهم ذو الخمار لاننا قد ذكرنا ان دريد قد طرده

لاجل تجبره وتكبره ولاجل أنه كان أجهل العرب وأعظمها شرا وغدرا إلا أنه لما فارق دريد سار إلى أرض بنى جشم وهوازن وسار من هناك طالب الحيرة والملك النعمان يريد عنده المقام لانه لم يسمع بما جرى له مع الملك كسرى فسار على هذه النية وإذا هو بالفرس متهزمين وهى تابعة لطائفة من العرب ومتفرقة فى الاقطار مواكب وسرب وقد ملأت الدنيا بكثرة المدد وسدت القفار والفدفد وعاد بياض النهار أسود ولما رأى ذو الخار ذلك وقف وهو حائر ويتعجب من كثرة العساكر وكان معه سبع فوارس من بنى غزية يقاربونه فى الشجاعة الفروسية ليس لهم نساء ولا أولادوهم خاليون من هذا الامر والشان معودون بسبى الحريم والعيال والفساد فقال لهم يا بنى عمى ترى أين كانت هذه الخلائق التى قد ملأت المغارب والمشارق وإننى أراهم خارجين من بر الحجاز كانهم مكسوالين وأقول أنه لابد من شىء جرى عليهم أو داهية نزلت اليهم قال الراوى ثم أن ذو الخار بعد ذلك الكلام حرك جوادة وسار إلى طريق وقد عارض بعض الفرسان وقال له ياوجه العرب من أين تلك العساكر واردة وما بالها متفرقة متبددة لا بد أنكم مكسورون أو واجمون مع الملك النعمان إلى بعض الجهات فقال اذ ذلك الرجل المسؤل يا أخى وأين الملك النعمان لا أنعم الله له حال ولا كفاه المصائب والوبال لان شؤمى غطى عن العرب والعجم وقد جرت له معنا وقعه ما جرى مثلها لمن تقدم الامم ثم أعاد عليه ماجرى من الاول إلى الآخر فقال له ذو الخار وما السبب الموجب لذلك فقال له اعلم أن السبب فى ذلك كسرى كان قد طلب حريم الملك النعمان ثم أنه حديث الذى جرى إلى آخر وقعة ديقار وماقد جرى لهم مع بنى شيبان وقال له فى آخر القصة العرب لاتسال على ماقد جرى علينا فقال ذو الخار وكل ذلك جرى عليكم من الملك النعمان فقال نعم ولكن ياوجه العرب مافعل بنا هذه الفعال وأعادنا إلى هذا الحال إلا غلام أ.رو لكنه بطل أجد يقال له هانىء بن مسعود وأنه كسر هذه العساكر والجنود بدون أن يكون معه ثمانية آلاف فارس وقد فرقنا بين السهل والجبل ثم أنه بعد ذلك وصف له شجاعة الامير هانىء وكل ذلك يجرى وهم سائرون يقطعون البيداء ولما سمع ذو الخار بذكر هانىء غاب عن الدنيا من شدة الحسد لهانىء لانه كان يظن فى نفسه أنه فارس العصر وفريد الدهر ويقول فى نفسه أنه لم يوجد تحت السماء مثله قال الراوى ومن شده ماقد أصابه غاب وعمى عن الوجود وبقى ساهيا على روحة ساعة زمانية أفاق يقول لمن معه رفقاه يا بنى إيش هذا المقال الذى قد قاله هذا الرجل فوالله إن هذا الكلام إذا حدثنى به طيف المنام ما أصدقه فكيف فى اليقظة وهو أن فارسا واحد يقدر يكسر هذا العالم كله بدون أن يكون معه ثمانية آلاف فارس فبالله عليكم اسألوا

أنتم من رجل غير هذا عن حال هذا الجيش لئلا يكون هذا الرجل الذى حدثنا بهذا الحديث مجنونا قال الراوى فعندذلك تقدم بعض رفقائه وقد سال من فارس آخر كان مكشوف الرأس وهو مشحن بالجراح خال من العدد والسلاح فقال صاحب ذو الخار يهنيك السلام ياوجه العرب لأنه والله ما كانت نوبتكم إلا عظيمة على أننا ما سمعنا أن أعداكم كانوا فى دون ثمانية آلاف فارس وقد فعلوا بكم هذه الفعال وهذا الحديث ما يصدقه من يكون له عقل ولا يخطر له على بال له الرجل بل والله ياأخى أن هذا الحديث صحيح وأن المجرى التى قد جرت علينا عجيبه واعلم أن الذى قد أخبركم بحالنا هو والله قد عظم القصه حتى لا تستعجزوه وإلا فما كسرنا إلا هانى بن مسعود وحده بعد قتله لابن كسرى وقد طمن فينا بامذا طمنا ما سمعنا قط مثله لأنه والله ياأخى أخذ منى عمامتى وقد صاح على فخلعت له عدتى وعدت هذه الحال حالتى فعندذلك قد غادروا وأعلموا ذو الخار بذلك فلما سمع ذو الخار ذلك الكلام زادت حسرته وقد تقلبت عبرته فعلم عندذلك رجاله فلاموه على فعاله ثم قالوا ايش حالك ياذو الخار أتريد أن تحكم على خالق الليل والنهار أما علمت أن هذا الدهر يحدث العجائب والبدع واعلم أن الفرسان تتفاضل مادامت النساء تحمل وتضع فارض بما أعطاك الله من الفروسية واقنع ولا تكن حسودا فتموت وأنت مكمود فقال لهم ذو الخار لا رضيت إلا بأعلى المنازل أعلموا أنى لابد أن اسير إلى هذا البطل النازل وأركب معه مركب الخطر فاما أظفر به وأسوقه إلى عند الملك كسرى أو يظفر بى ويشدنى القدر مرة أخرى أو يقتلنى ويتركنى ممدود فى هذه الصحراء إلا أنى إذا ظفرت به صرت فارس العجم والعرب وإن ظفر بى فما أكون مغبون لأنه فارس شجاع ماهو دون (قال الراوى) فعندذلك قالوا له أصحابه سر بنا ماشئت فعندها سار طالبا أرض ديقار وقد غيبه الحسد وأسكره أشد سكر من العقار أننا قد ذكرنا ماجرى له مع عنتر فيما تقدم وأخبرنا أنه قدر به فى الطريق وما وجد له معه سعادة ولا توفيق وأن سيره فى هذه الكرة إلى قتال الأمير هانى يدل على شدة جهله وغدره لأنه كان سائر إلى الملك النعمان يقيم تحت ظلة فعاد يطلب قتال فارسه الذى نصره بعدما أشرف على الهلاك (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من العسكر المنهزمين فقد وصلت إلى الحيرة من خوف إياس من الملك كسرى ما سار إليه بل أقام فى الحيرة وقد فرت العرب وأما الوزير فانه سار إلى المداين والعسكر من خلفه متتابعة وهى متقطعة ولما وصل بها إلى المداين أمرها بالنزول ودخل هو على الملك كسرى وهو مقطوع الشعر مشقوق الثياب ومن حوله جماعة من المرازبة والحجاب وكلهم قد فعلوا مثل فعاله وكان دخولهم على الملك كسرى وقت الصباح وكل

أرباب الدولة والحكام والوزراء حولهوم قد أتوا السلام عليه ولما دخلوا إلى الايوان ورأوا الحضار وقع بهم الانبهار قد سألوا الوزير البزر جمهر عن ذلك الحال فبكى واشتكى وقد انهملت دموعه من أجفانه غزارا ثم حدثهم بما قد جرى عليه وما تم فى ديقار وقاص عليهم قصته وهو فى أسوأ حال وانكسار وقد نعى إلى الملك كسرى ولده فلما سمع ذلك ارتجفت أعضاؤه وتدتقطع كبده ثم أنه رمى التاج من على رأسه والعصابة الجوهر وقد انزعج غاية الانزعاج ونزل عن سرير ملكه وهو يلطم على رأسه وينادى بلغة العجم والأسفاه عليك ياشيرسان وكذلك كل من كان عنده من الخدام والغلمان وأما الحكماء والعلماء ومشايخ النا فانهم قد أتوا إلى عند حكيمهم وهو معبد بن حسان وفتحوا عليه الباب وقالوا له ياحكيم معبد أنه جرى من القصه ماهو كذا وكذا فقام وقد أتى إلى عند الملك كسرى فلما دخل عليه قام له وتلقاه وقد قال أيها الحكيم أما تنظر إلى ماقد جرى على من قتل ولدى فقال له أيها الملك أما تستحى وأنت تبكى وتندب على من هلك وفات وتتأسف على من أصابه الحمام واعلم أيها الملك أن الدنيا كلها زاول أين الذين كانوا قبلنا من الأمم السالفات أين الملوك الذين قادوا العسكر وقد انعقدت على رؤسهم الأعلام أين من سكن الحصون والقلاع وقد بنوا تلك القصور العاليات فانها قد درستهم المنايا وصابتهم السهام المختلفات وصارت الأرواح منهم دارسات وأجسادهم وعظامهم فى التراب باليات فنحن بهم لاحقون ولنعيم الدنيا مفارقون وقبل ذلك سألتنى فى مسيره فاشير عليك أنك لاتسيره فى هذه الأيام لأنها أيام بؤسة وقد رأيت ماجرى علينا من غضب النار وأنا أقول إن فى أوقات غضبها انكسرت الفرس فى أرض ديقار وقل ولدك وقد انتقل إلى النور والنار ثم أنه بعد ذلك قال الوزير بزجمهر الذى أتى مكسورا ياوزير فى أى يوم كسركم الملك النعمان فقال له والله يامولاى ما كان إلا فى دون ثمانية آلاف فارس ولكنه ما كسرنا بالذين كانوا معه وإنما كسرنا بفارس أمرد قد ظهر فى أرض ديقار من بنى شيبان وقد نادوا باسمه فى وجهنا لما اختلطنا فى حومة الميدان وتبعوه جماعة وقالوا يامحمد فلما سمعنا منهم ذلك الاسم والكلام صار الضيا فى أعيننا ظلام فارتعدت مفاصلنا وقصرت أيدينا عن مسك العدد عندما سمعنا محمد ولا بقينا نعرف من أصحابنا أحدا بل تخيل لنا أن البر كله رماح وقد امتدت إلينا وكان السما قد أمطرت سحائب المصائب علينا وفى تلك الساعة قتل هانىء بن مسعود ابن الملك كسرى وقد عدنا نحن على الاعقاب لما رأينا ذلك المصايب وسرنا لانعرف الخطأ من الصواب قال الراوى فقال له الحكيم صدقت وما أنت إلا معذر فى

الأمور وكل هذا إلى النار والنور وأننا نحن هاهنا قد لاح لنا البرهان وقد ماكنا منتظرينه من سنين وزمان ومارأيناه حقيقا إلافى هذا الأوان قال الراوى وقدجرى المجوس فى تلك الأيام احوا عجيبة وأمور غريبة تدل على معجزات سيدنا محمد ﷺ صاحب الآيات لأن فى اليوم الذى كسرت فيه عسكر العجم فى أرض ديقار وقتل هانىء ملكهم شيرسان جاءتهم فى الميدان زلزلة عظيمة انشق فيها الايوان وقدسقط من عليه اثنى عشر شرافه وقد خمدت بيوت النيران وطلع غبار رمادها واعتكر وقدوقع هيكل المعبد الاكبر وبقيت خامده سبعة أيام ونهار وقدانقلبت البلد وكثر عليهم الاسا وزادصياح الرجال والنساء وكشفوا مشايخ المجوس الرءوس وقدهجروا أكل الطعام وضرب الملك كسرى سرادقة ظاهر البلد وظن أن القيامة قد قامت وأن آخر الزمان قدأتى وكان لنا نار من الف سنة ماخمدت إلا فى ذلك الزمان وفى تلك الأيام قال الراوى ونرجع إلى ماكنا فيه من كلام الحكيم الموبذان لما قال الملك كسرى ماقال وسمعوه الناس فسلى عن قلوبهم مايجدوه من الهم واليأس وقل ما يقلب الملك كسرى من الهم الأحزان عند ماحدثه الحكيم بحوادث الأيام ثم أن الحكيم قال له أعلم أيها الملك أن الدهر ما بقى عن فرد حال ولا يدوم ولابد ما يحدث فيه اليأس والنعم واعلم أن هذا بأمر الرب القديم لأن الكواكب المتحركة السيار فى الافلاك قد اجتمع منها خمس كواكب فى مكان واحد وقد دل ذلك على رجل يخرج إلى دار الدنيا ويكون له فى ذلك الزمان النصر والتأييد من رب السما ويكون البيت الذى سمته العرب البيت الحرام منشاه ومقامه بين زمزم والمقام ويطلب المنزلة الرفيعة وهذا شيء لايجب أنك منه هم لأن بيوت النيران بعد سبعة أيام تنور وتتفرق النجوم التى قد اجتمعت كما كانت فى الأول ثم أن الحكيم بعد ذلك أقام عند الملك سبعة أيام وأعاد إلى البلد وقد أنار المعبد ومازالوا كذلك حتى عاد جيشهم مكسور وجرى له ماقدجرى من الحديث وقد يرد قلب الملك كسرى عن الوزير بعد ما كان قد عول على صلبه على الايوان وقد ساعدة على هذا الكلام الحكيم الموبذان ثم قال ايها الملك اعلم ان هذا الذى جرى على ولدك من جملة الذى قدجرى فى ذلك الزمان وان ذلك قد دل على صحة البرهان وظهور الرجل المسعود من عدنان فكان ذلك من سعادة الملك النعمان فقال الملك وحق ظلام الليالى الداجية لاسرت فى هذه التوبة إلا بنفسى ويكون فى سائر جيوش عبدة النار ولا بدلى ان اطرق ارض ديقار واتركها ارضا قفرا خرابا من العربان واصلب فيها النعمان والذى قتل ولدى فى هذا الزمان واسبى النساء والبنات واشق اجواف الحوامل واذبح

الأولاد منهم والصبيان ثم أنى افعل فى العرب مثل مافعل فرعون فى بنى اسرائيل ثم أن الملك كسرى بعد ذلك الكلام ليس على جسده السواد وفعل مثل فعاله سائر الاجناد والوزراء والحجاب ومن فى المداين من سائر العوام وما زالوا على مثل ذلك إلى تمام الشهر وبعد ذلك كتب الملك كسرى إلى سائر بلاد العجم وأرض خراسان وجميع القلاع والبلاد وقد قال لنوابه لاتخلوا فى القلاع والبلدان غير النسوان لأنه قد طرقنى أمر لا أطيق دفعه إلا بكثرة الجيوش ثم أنه سير الكتب مع النجابه ولزم الاحزان وفى تلك دخل عليه المربذال وأرباب دولته وقالوا له لك البشارة أيها الملك ببلوغ مناك وأبشر بازالة همك وغمك لأنه قد وصل نائبك على العرب وهو اياس ومعه قاتل ولدك هانىء فقال لهم الملك بعد أن سجد إلى مطالع الشمس ياقوم بحق النار أحق ماتقولون فقالوا وحقها وحق من يعبدها ويسجد لها عند وقودها فقال أحضروه بين يدى حتى أننى أقتله وأشرب من دمه مع الخمر والقى لحمه على الجمر فقال معبد الحكيم أعلم أيها الملك ان هذا الرأى الذى قد عزمت عليه ماهو رأى سديد وماهذا فعل تبلغ به أرب وإنما الرأى عندى أنك تترفق له فى الكلام وبه توقعه فى شباك الهوان فقال له الملك ياحكيم الزمن اعلمنى على ماخطر ببالك فقال إذا دخل عليك هذه الساعة ذلك الشيطان اظهر له الندم واخلع عليه ودعنى أنا أكلمه بكلام وأوقع به النعمان فعند ذلك قال أرباب دولته ياحكيم وحق الرب القديم لقد اهتديت إلى أمر عظيم فقال الملك أحضروا اياس قبل كل شىء حتى أنا نسأله كيف أنه قدر على هذا الأسد الغضنفر الذى قد أفنى بشؤمه فرسان الديلم والعجم والعرب . وكان السبب فى أسر الأمير هانىء بن مسعود من ذو الخمار لما سمع من العسكر وصفها نه جسده على شجاعته وسار فى طلبه يريد هلاكه حتى لا يبقى فى زمانه من يناظره فى الحرب وكان سائر وهو متعجب من الزمان وما يظهر من الفرسان وهو يجد فى قطع القفار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول .

| | |
|---|---|
| طلبت المعالى انفردت به وحدى | ودست بأقدامى على فلك المجد |
| ولولا صروف الدهر تبدى عجائبا | وتخفى من الآفاق أضعاف ماتبدى |
| لكنت ملكت الأرض شرقا ومغربا | وخلفت لى ذكرا يؤرخ من بعدى |
| ولكن أرى الأيام تنكر همتى | وتطلب مالا تستحق لها عندى |
| وترى لى الدنيا رجالا نفوسهم | ترى سكرات الموت أحلى من الشهد |

فوالله لا خلقت فى الأرض فارسا ... يدير قناة الحرب إلا أنا وحدى
لقيت ابن شداد ومارست حربه ... فعاينت شيطانا على صورة القرد
بسيف إذا ماسل فى الحرب نصله ... سمعت له وقعا أشد من الرعد
فلا بد لى أن أخلى عظامه ... تسير بها عقبان نجد إلى نجد
وفى أرض ديار همام حديثه ... عجيب وازددت وجدا على وجدى
وعما قليل يحكم السيف بيننا ... وتشهد سمر الخط الرجل القرد
دعونى بنى عمى أجد إلى العلا ... ولا تعذلونى فى ضلالى وفى رشدى
فقد أخبر الكهان عنى باننى ... أقاتل جن الأرض بالصام المندى
وابقى إلى أن يلتقينى محمد ... وفارسه الكرار ليث بنى سعد
هناك يكون الانتهاء لمدتى ... إذا ظل يأتى البرق يلمع من نجد

(قال الراوى) وقد ذكرنا أن هذا الشيطان يعيش إلى أيام النبى ﷺ ويقاتل الامام عليا رضى الله تعالى عنه وماذكر ذو الخار تلك الأبيات إلا وقد عرض ذكر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لأن كان قد سمع من كهان مكة ذلك فذكره فى تلك الساعة وقد صار أصحابه يتعجبون من فعاله ومازال على مثل ذلك حتى أشرفوا على أرض يقال لها الحرسة وهى فى أرض واسعة المذاهب دارسة الجوانب تخاف منها السباع فدخلوها وساروا فيها يطلبون أواخرها من قبل أن يقدم عليهم الليل وإذ قد لاح فى قطرها عشر فوارس مثل العقبان على خيول أخف من الغزلان وخلفهم ثلاث عبيد يسوقون جمال بأقتاب فقال ذو الخار استخبروا يابنى عمى عن يكونوا هؤلاء العربان وبعد ذلك السؤال دونكم واياهم حتى اننا نضرب رقابهم ثم أنهم بعد ذلك تاهبوا للحرب والقتال وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الاسنة فى قطر تلك الأرض إلى أن قاربوا أصحاب الامير هانىء فزعقوا فيهم فرأوا نباتهم فاترة وقلوبهم منهم غير نافرة فقال ذو الخار والله أن هذا فعل يدل على أن القوم أبطال ثم قفز فارس منهم لمعرفة الأخبار ونادوا ياوجوه العرب أخبرونا من أى الناس أنتم وانجزوا من قبل وقوع الحام والندم على فوات ضرب الحسام فلما سمعوا ذلك النداء قفز إليه فارس من جملة العشرة أصحاب الأمير هانىء وصار إلى نحوه بهمة ثم صاح عليه وقال له ما أعمى قلبك عن معرفة الناس السادات وما أقل خبرتك بسباغ قد هجرت الغابات امض ورفاقك وخلوا عنك الطمع ولا تتعرضوا بفارس سيفه امضى من القضاء وأن كنت تريد حقيقة الأخبار فانا احق لك المعرفة حتى لا يبقى عندك افكار وتعلم بعد ذلك أننى لك ناصح وعليك وعلى

أصحابك ياويلك نحن فرسان ديقار أصحاب الهيبة الوقار والسطوة والاقتدار واعلم أن معنا الرجل الذى قد كسر فى يوم واحد مائة الف من العجم وثلاثين من العرب وسكان الصحراء والآجم وقد فرقهم فى جنبات البركما يفرق الذئب الغنم وقد قتل شهرسان بن كسرى وقد فعل مالا يفعله أحد من سكان الصحراء وهو الامير هانىء بن مسعود الكريم الاباء والجدود الذى مثله فى هذا الزمان ليس موجود قال الراوى فاستتم الرجل كلامه حتى أن ذو الخمار صاح فيه وقال ويلك إن كان هذا هو هانىء فيا له من يوم مبارك من دون الايام ثم أنه بعد ذلك تقدم إليه كانه يريد منه الجواب وطعنه فى فؤاده نكسه وقال له يا بنى عمى أبشروا بالغنى لانى كنت سائر معكم وأنا متفكر فى هذا الصميدع وإلا وقعت به فى مثل ذلك المكان وأنا أعلم أنى إذا أخذته وسرت به إلى عند الملك كسرى يقول لى اختار فاقول له أريد منك أن تعطينى مملكة العرب وأنا أسوق إليك النعمان وافتح لك بلاد الشام فى فرد عام وأذل لك رقاب الخاص والعام واحكمك فى الغرب والشرق وأملكك جميع الخلق فى كل حق فاذا تم ذلك حكمتك فى الحال والقبايل من العربان تحمل إليك الغفارة من سائر المنازل قال الراوى فما تم هذا المقال حتى أن الفرسان من أصحاب الامير هانىء تبادرت إليه وكانوا ثمانية فرسان صاروا عليه وقال لباقى رفقاه والله ما أردت أن أتحمل دماء هؤلاء القوم وإنما طمعهم قد أدنى اليهم الأجل ثم أن هانىء عول أن يطلب ذو الخمار ومن معه من الفرسان فقالوا له بنو عمه والله لامكناك من ذلك ولا تركناك تخضب سنانك بدم هؤلاء الانذال ثم أنهم تسابقوا إلى ذو الخمار فقال لقومه قفوا مكانكم وتموا على ما أنتم عليه ولا تعاونونى على هؤلاء الفرسان لأنى القى الهيبة فى قلب هانىء مهلاكهم لأنه ماتاخر عنى الاعجبا بنفسه وحنقا ثم تلقى القادمين بعظم تجبره وقوته وقد أظهر قدام هانىء ما اعطى من الشجاعة والبراعة ولكن مثل الذى يقايس العقبان بالرخم ويشبه الثعالب بسباع الاجم لأنه فى دون ساعة قتل منهم خمس فوارس وتركهم بين يديه وهم عمدين وقد ردوا الثلاثة الاخر منهزمين فابصرها هانىء فما له فازداد اشتغاله فاختطف الرمح من يد عبده وانطبق على ذو الخمار انطباق الهلال إذا دمر الرعد فى جنباته وسار وقد دنا منه وقاربه وقال ويلك من تكون من الفرسان يا ابن القرنان قطع الله دابرو تكاولا أهلك وعشائرك من أى الأرض أنت ومن أى البقاع فقال ذو الخمار أعلم أننى من أرض اليمن وما كنت سائر إلا إليك حتى أتى آخذ لنفسى منكم بالثار لأنك أنت قد قتلت أخى وابن عمى

فى وقعة ديقار ومن جملة أقبالى وسعادتى التقائى بك فى هذه الديار ثم أنهم بعد ذلك قد تطاعنا حتى طارت قطعا وخفيت الأشباح من الفزع وقد تركوا المزاح حتى أنهم سكروا من غير شرب فزادا مرهما عن حد القياس وقد آيس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه غاية الآياس وقد أبصرت منهما الفريقان سباع تقاتل على خيول لسبق ورجال تلعب ونيران لا تخمد وبحر يفيض كل واحد منهما على الآخر فيتدفق وسمعت عنهما عجبا من العجائب لا أقدر أسفه بلسان وغرائب تشيب من ذكرها الولدان لأنى ما رأيتها عيان الا أنى كتبت بعض ما سمعت وأسقطت منها البعض فقيل لو أن الرماح طارت من بين يديهما قطعا من شدة الطعان وسالت دماء الاثنين من الابدان من قوة العزمات وقد خفنا من الصياح واختطفا عند الاياس من الحياة شفار الصفاح وارت الرجال تتباعد عنهما وتذم الزمان كيف جمع بينهما فى ذلك المكان وتقول هذا غاية العجب العجاب (قال الراوى) وكان السبب فى مفارقة هانىء بن مسعود لبنى شيبان فى أرض ديقار لقيا ذو الخار فى ذلك المكان خال الأمير هانىء لأنه قد ترك حريمه وحريم قومه وأموالهم وساروا فى عساكر العجم وهذا الحديث قد تقدم الا أنه بعد الكسرة خاف على الحريم وعلى العيال وأراد أن يسير ويأتى بالجميع فما مكنه هانىء من ذلك بل سار فى عشرة فوارس من بنى شيبان فأتى بالمال والنساء فالتقاه ذو الخار وكان الأمير هانىء خاليا من الزرد لأنه ما ظن أن يلتقى من خصمه هذا الملتقى ولا ظن أنه يشقى ذلك الشقا فاثخن منه بالجراح وقد تمنى هو وخصمه الهلاك من شدة الكفاح وما زالا يتقاتلان لأنهما من أشد جبابرة العرب الفرسان فوقع منهما ضربتا قاتلتان والسيوف صقال فعملت مثل ما تعمل الرجال وان ضربة ذو الخار قد وقعت فى درقة الأمير هانىء وكانت درقة قوية قد لقى بها كل رزية فقطعها وقد نزل السيف على عاتقه وكانت ضربة الأمير هانىء قد نزلت على رأس ذو الخار فقطعت جانب البيضة والرفادة والعمامة ونزل السيف إلى رأسه فشقها وقد عاس ابها السيف فوقع على وجه الأرض وهو يسمع ولا يرى وأما الأمير هانىء فانه طلب أن يلزم نفسه على ظهر الجواد فما قدر أن يثبت بل انه انقلب وغاب عن الدنيا وقد أبصره أصحابه قد بقى على تلك الحالة فخلوه ملقى وعادوا راجعين وقد طلبوا أرض ديقار وتبعتهم العبيد خوفا على أنفسهم من الهلاك والبوار لأنهم كانوا يظنون أن يظفر هانىء بذو الخار ويعود إلى رفاقه يأخذ منهم بالثار فلما آيسوا منه عادوا راجعين يطلبون الديار وقد اشتغل أصحاب ذو الخار عنهم لعظم مصابهم لأنهم قد أبصروا ما فى ضرب هؤلاء البطلين الاهوال فاتفق رأيهم على حمل

الاثنين إلى العراق وقالوا أن سلم صاحبنا من هذه الجراح وعاد إلى السلامة يفعل بخصمه ما أراد ونسير به إلى الملك كسرى ونطلب منه الغنائم ثم أنهم نزلوا اليهم وقبلوهم فوجدوا الاثنين فى حال العدم فنقطروا فى حلوقهم الماء فوجدوا الأمير هانيء أقوى من ذوالخمار فشدوا جراح الاثنين من بعد ما وضعوا فيها حشائش يعرفوها ثم انهم حملوهم على بعض النوق وصاروا يعصرون فى حلوقهم اللحم المسلوق وساروا يطلبون أرض العراق وبعد ثلاثة أيام صحا هانيء على نفسه وأفاق مما جرى عليه فعاد اليه حسه فقال لأصحاب ذى الخمار يا وجوه العرب بحق اللات والعزى أين من الأرض ومن يقال لكم من العربان ومن هو هذا الفارس الذى جرت بينى وبينه هذه المصائب لأنى لو كنت لبست الزرد ما كان نال منى ما نال فقال له أصحاب ذوالخمار والله يا هانيء أما صاحبنا فتضرب به الأمثال وإن كنت تريد معرفته حتى يصح لك اليقين وتعلم انك ما قاتلت فارس مهين ولا بطل ذلك فاعلم أنه سبيع ابن الحارث الملقب بذى الخمار وهو يعد بسبعة آلاف فارس كرار وما كان سائر إلا فى طلبك ولا قصد هذه الأرض إلا بسعيك ثم أنهم حدثوه بالحديث من أوله إلى آخره وقالوا له وها نحن سائرون بك إلى الملك كسرى ليأخذ بثار ولده ويطفى بقتلك نيران كبده فلما سمع منهم هانيء هذه المعانى بقى ساهى ساعة من الزمان وقد علم انه سائر إلى التلاف والخيبة فتمنى فى نفسه أنه لو كان هلك بضربة ذوالخمار ولا ساقوه إلى الهلاك والبوار فقال لهم يا وجوه العرب ان كان قصدكم المال والجمال والخيل النوال فعودوا معى إلى ديارى وأنا أعطيكم جميع ما أملك من نوق وجمالى وعبيدى وأكون لكم خادم وذخيرة فى سائر الأيام والليالى فقالوا له والله يا هانيء نحن ما نطمع فى الجمال لأننا نعلم أن الملك النعمان اذا ظفر بنا شرب دماءنا واعلم أيضاً أن صاحبنا مشرف على التلاف ونحن قد آيسنا منه وقد أيقنا بموته من غير خلاف ولو اننا قبلنا منك هذا المقال ورددناك إلى أهلك وقبضنا منك المال عايرنا بهذا السبب فى سائر قبائل العرب وقد صرنا مثلا لكل من ضرب فى البيداء وغدا وهد طنب وكانوا يقولون بنى غزبه قتل ابن عمهم وهو فارسهم واستغنوا عن غريمه وباعوا ادمه بالمال وشهروا فى أخذ النوق والجمال واعلم أن هذا ما نعمله أبدا ولو كان بسيف ما بقى منا أحد ثم انهم ساروا وقد أرموا هذا الكلام عن قلوبهم وقد طلبوا كل مقصدهم ( قال الراوى ) وقد اتصلح حال هانيء وصار يقدر على القيام والقعود الأ أن يده اليسرى ما كانت تطاوعه على شيلها من ألم الضربة وشدة الجراح وأما ذى الخمار فان أسه قد ثقلت عليه وقل نشاطه من رحليه وغاب عن الوجود وبقى فى صورة مفقودة وكانوا يشيلوه ويحطوه وهو لا يعى على نفسه قال الراوى ولما أشرفوا على الحيرة دخلوا على اياس بن قبيصة وأحضروا هانيء إلى بين

يديه وحدثوه بما جرى لهم منه وكيف كان سبب وقوعه فى أيديهم فلما سمع اياس منهم ذلك
القول امتلا قلبه سرورا وخلع على بنى غزية الخلع الغالية فوهبهم الاموال الكثيرة وقد أخلوا
لذى الخمار مكان نزه طيب وأتوه بالاطبة وقال لهم ان من أبرأ ذو الخمار له عندى الف دينار
مصرية وأخلع عليه وأجعله حكيم الدولة الكسروية ثم انه قال لأصحابه اذا برىء ذى الخمار
من هذه الجرحات سيرته إلى الملك كسرى وتركته يقبض عليه الأموال لانه كشف عنه العار
وأزال الشنار ثم التفت إلى هانىء وقال له وقعت يا ولد الزنا وعلمت ان الدهر ليس له دوانى فابشر
بالذل والهوان اذ أننى حملتك إلى الملك كسرى وإذا دخلت عليه فطالبك بولده شيرسان وسألك
عن جنوده يا قرنان أيش يكون جوابك فقال له الأمير هانىء لعن الله بطن حملك ولسانا كلك ان
لم تحملنى إلى آخر الدنيا وسلمنى إلى من طغى وبغى ثم تجبر وقال انه يحى الموتى ابشر ما أراد يفعل
بى واعلم ان كان أجلى مديد فوالله ما يقطع فى جلدى الحديد ويلك يا إياس لو أننى أخاف من
الاهوال أو تنحنى الحيرة الانبهات ما كنت نصبت للملك شراك الموت ولا كنت أهلكت
ملوك العجم والعرب ورميتهم فى الارتباك وبعدما سميت صاحب ديقار ما بقيت أفزع من الموت
ولا أطلب منه الفرار ولا أبالى بالموت اذا أقام أوسار فلما سمع إياس من هانىء ذلك الكلام صار
الضياء فى وجهه ظلام وجرد الحسام قال وذمة العرب لولا أنى قاصد أن أحملك إلى الملك كسرى
إلا كنت وشجتك بهذا الحسام ويلك ما كان فى جواب عندك غير هذا ثم انه أمر عبيدة بحفظه
وبات تلك الليلة بشرب مع بنى غزية المدام وأخرج الصدقات وأطلق من كان فى الحبوس وأزال
العنا والبؤس وكل الذى وقع هانىء فى يده ولما أصبح الصباح أمرهم أن يشدوا هانىء على جواد
بالعرض وأخذوه وساروا مع إياس إلى ان دخلوا المدائن للملك كسرى وأنفذ من بين يديه
المبشرين فلما وصل البشير إلى أرباب الدولة وقع الصياح وضجت الناس حتى سمع الملك الصياح
فسألهم عن الخبر فدخل الموبذان وأخبره بالخبر فقام وقعد وأبرق وأرعد وقال لهم ائتونى
حتى أطفى نار فؤادى والكبد فقال له الحكيم أيها الملك اذا أردت ان تبلغ ماتريد وتنال
ما تختار فتأن فى أمرك ولا تعجل وابصر بين يدك وإذا حضر هذا الرجل فاوله الاحسان
واخلع عليه وفض عليه من الأموال واخدع به الملك النعمان وأطلبه منه وسلمه مكانه كما كان
وقل له يصلح الحال الا أنت ولا يصلح أن يكون ملك العرب الا أنت وها قد عفونا عنك
بالامان وأوليناك من الاحسان فانه إذا سمع منك هذا المقال وأبصر الخلع والاموال فلا
يشك فى هذا الحال ثم انه يسوق اليك النعمان سوق الجمال فاذا وصل عندك افعل بهما تريد
وتكون قد أخذت ثارك وكشفت عارك وأنت مقيم فى دارك وارحت عساكرك وجنودك

وأنصارك ووفرت عليك مالك فلما سمع الملك كسرى من الحكيم ذلك الكلام أفاق فقال هذا هو الصواب ولما كان الغد وصل إياس ومعه الأمير هانىء فتسابقت الخدام إلى الملك كسرى واستأذنوا عليه فى الدخول فأذن لهم فدخلوا بهانىء وإياس قابض على يديه والسيوف مجردة من حواليه إلى أن وصلوا به إلى سرير الملك كسرى فدعا إياس للملك كسرى بدوام العز والنعم وقال ابشر أيها الملك فقد ظفرت النار بأعدائك هذا قاتل ولدك شيرسان وهذا هو الذى فرق عساكرك وأجار الملك النعمان ونريد منك الإذن أن نعذبه أشد العذاب وبعد ذلك ننهب جسده بالسيوف فتبسم الملك كسرى لسماعه هذا الكلام وقال هذا شىء ما يصدقه عاقل ان رجلا واحدا ومعه القليل من العربان وهم أربعمائة فارس يكسرون فى يوم واحد مائة ألف فارس الا أن تكون معهم سعادة وتوفيق أو يكون ساحر ريب يستخدم جن الارالك السفلى على أننى قد سمعت أنهم نادوا فى وجوههم يوم اللقاء باسم رجل مسعود والله قد ظهر فى ذلك اليوم إلى الوجود ومن تكون عنايته من رب السما فما يجب أن يعادى والصواب أن نوالى هذا الرجل الإحسان وندحره لنوائب الزمان مع اننى قد عرفت أن الخطأ فى الأول منى لأننى طلبت حريم الملك النعمان وسمعت فيه كلام الزور والبهتان من أهل الظلم والعدوان وغيرت سنة العدل التى بينها آبائى وجدادى من قديم الزمان فقابلنى مكوان الا كون فى عساكرى وأجنادى أريد من اليوم اللاحق فصتى وأقلع عن ذنبى وخطاياى لعل ربى أن يصلح من ذاتى ويغفر ذنوبى ويقبل توبتى (قال الراوى) ثم أن الملك اراد أن يفرج عن الأمير هانىء بعد ذلك الكلام ففرجوا عنه وقد حلوه من الوثاق وخلع عليه وأحسن اليه وقد أخلوا له داراً من الدور الخاصة فانزلوه فيها فعاشت روحه من بعد الاياس لأنه كان قد أيقن إنه إذا وصل إلى المدائن بالهلاك وعلم ان ماله من الموت فكاك فبات تلك الليلة فى نعيم مقيم وعنده حسان بن معبد الحكيم وهو يهنيه بالسلامة ويبشره بما يريد أن يلتقى من الملك كسرى وهو كلما سمع ذلك الكلام يظن أنه فى منا لأنه قد انساق إلى شرب كأس الحمام فقوى قلبه وظن انه صادق فى المقال لما حدثه الحكيم بما جرى عندهم من أخماد النيران وأيضا انشقاق الايوان فقال هانىء كل هذا لاجل سعادتى قد كان ولما كان عند الصباح أحضره الملك كسرى إلى بين يديه واجلسه معه على الطعام وقد ضحك فى وجهه وتبسم له وأدناه وصار يلقمه الأكل من يداه وهو يقبلها ويأكل كل ما أعطاه فلما فرغوا من أكل الطعام قدموا آنية المدام وقد سألوه عن سبب خروجه من عند أهله وقرابيه فحدثه بانه كان سائرا إلى عند لساء خاله لياتى إلا أرض ديقار وقد قص عليه جميع ما جرى له مع ذى الخمار والكسرة التى جرت فى أرض ديقار وقد قص عله القصيدة التى

كان أنشدها ومن جملتها هذه الأبيات :

| | |
|---|---|
| يا أرض ديقار كم من حامل وضعت | مولودها وهو باك رأسه يصف |
| يا أرض ديقار لو أرخت ماذكرت | من بعد هولك أهوال الأولى سلفوا |
| فاضت بحار خراسان مرازبة | كلامهم كهدير الجن مختلف |
| صدمتهم بجنان لو صدمت به | صرف الزمان الأمسى وهو منصرف |

قال الراوى ولما انتهى هانىء من أبياته أظهر الملك كسرى العجب والفرح ومرارته كادت أن تنشق من الغيظ والترح وكادت أوداجه أن تنقطع لا سيما من حيث سمع بذكر ولده ولكن أخفى الكمن أظهر الجلد وقال والله ياهانىء لقد سادت العجم على العرب بهذا الكلام ثم أنه أطنب فى مدحه وأثنى عليه ودام الأمر على ذلك الحال تمام عشرة أيام إلى أن برىء هانىء من جراحاته وصار يركب فى موكب الملك كسرى وخلفه الفرسان ويحضر إلى الميدان ويحكم بين الفرسان فى الطعان ويفعل كما تفعل الرجال الأقرباء بالانسان وفى هذه الأيام ما كان يخرج الأمير كسرى إلا ويقدم له مركوب من حواض جنائية التى لم يقدر عليها ملوك الزمان وبعد هذه الأيام خلا به الملك كسرى وجماعة من كبراء الدولة وقد سقاه المدام حتى غلبت عليه الخمرة وقد خالطه فى عقله النشوة وقال ربعد أن باسطه اعلم ياهانىء أن ملك الروم قد بلغه ما جرى على عساكرى من الانكسار وسمع بقتل ولدى شهرسان وما جرى فى أرض ديقار وزاد به الطمع فى جانبى وقطع الجزية التى كان يحملها إلى فى كل عام وقد جمع فى بلاد الروم كل العسكر وسمعت من بعض الجواسيس أنه قد نادى فى عساكره بالرحيل إلى بلادى وقد اختلفوا على أهل الحجاز وما بقى فى عسكرى من يصلح البراز وما بقى فى العرب من ينصرنى لأجل تعصب النعمان على ملكى وعولت أن أجعلك على العساكر مقدم وأعدل بالأموال والنعم وأعينك بعساكر من العجم إلى أن ينصح حالى من هذا العناد ويصير لى منك ومن قومك من يغنينى عن النعمان إذا جعلتك مقدم على جيش خراسان لأن إياس بن قبيصة الذى جعلته نائبا مرة لى وقدمته على العرب ما ظهرت له سعادة ولا أفلح ولا سار قط فى أمر ونجح وإذا لم تكن أنت وبنو شيبان وسائر قومك معى فى هذه النوبة وإلا اقلع ملك الروم أثرى وملك بلادى وعجل من الدنيا مرتحلى فلما سمع هانىء من الملك كسرى هذا الكلام فكر فيه ساعة من الزمان ثم قال والله يا ملك أنى أشتهى أن تكون الأرض كلها لى وأهلها من قبلى ولكن يا ملك على نفسى ما تأمر لا لذلك ولا تطاوعنى العرب على ما أريد إذا طلبت لروحى الزيادة أضرك وما عند وهذا شىء ما هو عندى صواب ولكن إذا أردت أن العرب ترجع إلى حالها منك وتعود إلى خدمتك بذل لك ملك الروم ولا تخلى قائمة تقوم تصالح الملك النعمان

وتعفو عن ذنبه وتبذ شيئاته بالاحسان وتذكر ماله من الخدم ولابيه المنذر على أبيك من العهد الذى تقدم وتعيده على ما كان عليه وتتم إحسانك على من معه من العربان وتخلع عليهم ويكون هو وبنو عمه بين يديك وترجع العرب كلها تحت طاعتك ولا أجد منهم من يعصى عليك وينصلح الحال فلما سمع كسرى ذلك الكلام وقع على وقع على قلبه أعذب من الماء على كبد العطشان وكذلك كلام الملك كسرى فى قلب هانىء وقد أبصر طيبة أخلاقه فتمنى أن يرجع إلى الملك النعمان ويعود إلى طاعته ويكون هو وبنى عمه فى خدمته وكان قد أراد أن يخاطب الملك فى هذا الأمر مرارا ويسأله فيه وجعل الصلح بينهم على يديه فاستحى منه وما زال يقدم ويؤخر فى السؤال حتى سمع منه هذا المقال فوجد عند ذلك الكلام مكان فقال ما قال إلا الملك كسرى لما سمع هذا الكلام انشرح صدره وقال يا هانىء ما أظن إلا أنه ندمان على ما فعل وإنما الذنب والخطا على كل حال مركب فى الإنسان وقد كنت أقول فى نفسى أنى أنفذ إليه وأعتذر لديه من جنايتى وأرده إلى مكانى ولكن خفت أنه لا يجيبنى إلى ما أريد ويرد رسولى خائب لأنه ما هو الساعة بنا آمن وعلى كل حال هو عزيز علينا وأخاف أن يخرق لما أسأله ناموسى ولا أنال مطلوبى عن أن ملوك العرب قد أنفذوا إلى وطلبوا منى مكانه وآخر من أنفذ إلى دريد بن الصمة الجشمى وقال أنا أجعل كل من فى الأرض لك عبيدا وخدم وأضاعف لك الجزية على ملوك النصرانية وأسوق إليك الملك النعمان هو وسائر بنى شيبان وأمهد لك بسيف صهرى ذى الخمار العرب والعجم وأنا يا هانىء قد ملت إلى هذا المقال وقد صبرت إلى تلك الفعال فأتيت وحضرت وما كنت خطرت لى على بال ولا فى حساب وكل هذا جرى بسعادة الملك النعمان وكان هذا الأمر الذى جرى ما كان وأقول إن ذى الخمار ما قصدك إلا بامر دريد وأراد بذلك التقرب إلى قلبى حتى أجعله ملك العرب ولكن الرب القدير أحسن من تدبيره فقال هانىء وحق نعمتك يا مولاى ما قدر ذى الخمار يثبت قدامى ولا يلتقى ضربة من حسامى إلا القلة ممرقنى به وتاهبى للقاء وما قاتلته إلا وأنا خال من السلاح والزرد وما معى شىء من العدد وقد أصابنى هذا الجرح وكان سبب حضورى بين يديك وأريك من فعالى ما تقر به عينيك ولكن ذلك إذا أتيت أنا بالملك إذا أتيت أنا الملك النعمان واتركه قدامى لا يفتل عنان فقال الملك كسرى إن هذا أشتهيه أنا أيضا وما بقى إلا سرعة العودة أهلك لأننى أنا أعلم أنهم مشتغلك القلوب لأجلك فقال هانىء والله يا مولاى ما حضرت اليوم عندك إلا لطلب إذن فى المسير وسرعة التشمع لأننى لا أعلم ما جرى على قومى من بعدى لما وصل إليهم خبرى ولاسيما الملك النعمان لأنه قد تخذنى حصنا يأوى إليه من تصاريف الزمان فقال له الملك كسرى صدقت فيما قلت وما أنت إلا نعم الذخيرة ثم أنهم باتوا تلك الليلة

ومن الغدر ركب الملك كسرى لأجله وقد أمر وكلاءه وخزانه أن يخرجوا له سرادق كبير من الديباج الحرير وخمسين بغل تحمل له الأثقال والصناديق والأموال والقطيفة والخلع المثمنة الغوال لفرسان عشيرته والأبطال والجنائب المختلفة الألوان وقد أرسل معه مائتى فارس عرب وعجم وأعاده إلى أهله فى زى الأمراء الكبار بالخيل والبوقات والأعلام والرايات وقد أنفذ معه الموبذان شيخ المعبد والنيران وقد خرج الملك كسرى معه إلى ظاهر الإيوان ثم أنه ودعه وقال لا تنقطع عنا وعاد وسار هؤلاء يطلبون أرض ديقار قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من الثلاث فوارس الذين سلموا من أصحاب هانىء فإنهم قد رجعوا إلى عند أهله وأخبروهم بما قد جرى عليهم فانقطع ظهر الملك النعمان وانقلبت الدنيا وبكت البواكى من بنى شيبان وقد أيس خاله من حريمه والنسوان وقال ما أبات الفرس منا لا شيخا ولا غلام والصواب أننا نرحل فى البر المنقطع ونتعلق فى تلك البلاد تتحكم فيه الأعداء والحساد ولاسيما لا عاجم إن كان من ألم الجراح سالم ثم أنه حضر الذين أتوا بالخبر وسألهم عن صحة الحديث فقالوا له ما درى ولا رأينا إلا ثمن فوارس ولما أبصرها نىء حالنا ورأى ما قد أهمنا وجرى علينا خرج إليه بنفسه برده عنا ومازال معه فى حروب وقتال شتى تكسرت فى أيديهم الرماح الطوال بعد ذلك تضاربوا بالصفاح حتى كثر بينهم الجراح وقد خفقت منهم الأرواح فوقعوا الاثنين على أدم الأرض هالكين ولما رأينا نحن هذه الأهوال فانهزمنا من أصحابه ولولا اشتغالهم بصاحبهم وإلا كانوا أهلكونا ولما سمع الملك نعمان منهم ذلك المقال زاد تأسفه فقال لهم وما عرفتم الرجل الذى التقاكم من يكون من الفرسان فقالوا له والله يا ملك ما سمعنا له حسب ولا أظهر لنا نسب ولا عرفنا قبيله من أى العربان لكن حمل على هانىء وقد عقد عليهما الغبار فكلت منهما المناكب فنزلت بينهما ضربتين ماحقتين أرمتهم على الأرض من فوق الجواد بين وهم كأنهما ميتين وقد حان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وهذه قصتنا وما جرى لنا والسلام قال الراوى فلما سمع منهم ذلك الكلام حار وقد أخذه الانبهار من هذه الأحكام فأرسل العبيد إلى سائر الأقطار حتى يأتون له بالأخبار عد التمام فسارت العبيد كما أمرهم إلى سائر الجحافل مدة أيام وكل منهم سائر وهو من أمره حاير وقد هجر المنام بعدهم أرسل عبدين جليدين وقال لهم سيروا إلى نحو المدائن اكشفوا لنا الأخبار إذا أبصرتم الفرس قد سارت إلينا فارجعوا على الآثار حتى أننا ندبر أمرنا قبل لقائهم من قبل أن يهجموا على غفلة منا فقال العبيد السمع والطاعة وقد ساروا من

تلك الساعة يطلبون العراق ومن العجايب أن العبيدين كانوا يعشقون جارية وكل منهم يطلب قتل صاحبه ولما أنفذهم الملك النعمان فى هذه الأشغال ثارت بينهم الأحقاد التى بينهم فزاد بهم الامر وتلهب فى قلوبهم الجمر فسلوا الخناجر وتضاربوا بها حتى وقعوا الاثنين موتى أما باقى العبيد فإنهم رجعوا إلى النعمان بالخيبة والحرمان فعنـــدها خرجت بنو شيبان على هانىء إلى أن وصل الامير هانىء إلى أرض ديقار فنظر إليه لما طلع عليهم من ناحية أرض العراق فركبوا الخيل العتاق واعتقلوا بالرماح الدقاق وتجاروا إلى صواب الغبار وقد أيقنوا بفناء الاعمار وقلع الاثار لانهم ظنوا أنهم عساكر الاعجام وقد أتت لقتالهم فعندها تصارخت النسوان وقد ركب الملك النعمان فى بنى لخم وحذام وهو يعض على يديه أسفا فنظر هانى إلى حالهم فعلم ماقد خطر ببالهم على أنهم قد فزعوا من الملك كسرى فدكس الجواد وقد طلب الملك النعمان إلى جانبه الموبذان فى جماعة من الخدم والغلمان ولما قارب الملك النعمان ترجل عن الجواد ومشى على الاقدام فعرف الملك النعمان شمايلة وطول قامته فنادى يا العرب هذا الأمير هانىء بن مسعود قد أتى سالم فبيتهنونى بهذا اليوم المبارك الذى نلته فيه وإذا بالموبذان ومشايخ الفرس وعباد النار بجانبه فانكر غاية الانكار وعادهو إلى القوم وباس يد الموبذان قال له يا مولاى إيش القدوم من بعد تقبيحكم الواصل الينا فلما سمع الموبذان من الملك النعمان ذلك الكلام تبسم من مقام وقد أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد بخبثة ثم أنه أمرة أن يعود إلى ظهر الجواد كذلك هانىء وعادوا إلى تحت الاعلام والبنود وساروا إلى جانب الملك النعمان وهو مسرور فرحان وهو يحكى على ما لاقى فى طريقه وقد أفاض عليهم النعم أنفذ إليك مبجل مكرم معى الهدايا والاموال وعودة هانىء وهو سالم ومازال يقص عليه الحديث من يوم فارقة إلى ذلك اليوم الذى التقاه فيه خاله الملك قيس بن مسعود والامير حجاز بن عامر الكندى يتعجبون من هذه الاهوال وماجرى ثم أنهم قد فرحوا بقدومه ولما انتهى من كلامه قال له الملك النعمان والله يا أمير هانىء لقد غمرتنى بالإحسان وطوقتنى أول وآخر بالامتنا ظاهرا وباطن أعلم أن أصلح حالى مع الملك كسرى وردنى إلى ملكى غيرك إذا كان خاطر الملك كسرى طيب يوفى بالقول والفعال لايسمع فينا كلام الجهال لانى غلامة وتربيب فى نعمته وإحسانه كذلك آبائى وأجدادى لهم حقوق وأفضال فى إفضال أنعامة بالإحسان فقال الموبذان لا تقل هذا القول يانعمان لايكون ظنك فى الملك العادل إلا ظن إحسان لانه

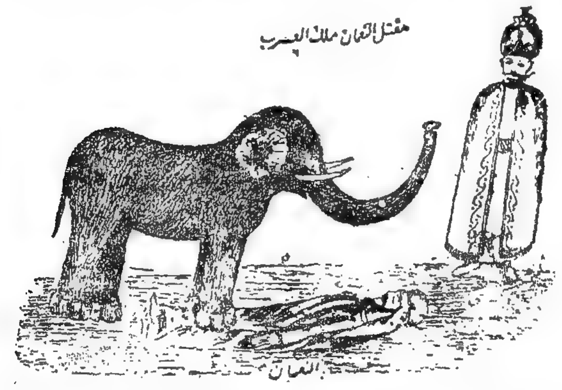
عرف قدرك بعد ذلك ما بقى يسمع فيك مقال لأنه بعد فقد ولده طرقته الزلازل فى بلده
وقع هيكل معبده وانشق الايوان عن رأسه فعلم أن كل ما جرى عليه بخطياتك لأنه قد طلب
منك ما لا يستحقه والملوك الكبار لا يستعملون الظلم والجور لأنهم يعلمون أنه يكون سببا
لقلعها وخراب ديارها أنه قد اعترف بالخطا وعاد إلى عاد إلى عدل أبيه والأجداد يزداد سيرا
بين العباد وكما كان الأولون من الاكاسرة خوفا من مالك الدنيا والآخرة لما أن حضر قاتل
ولده ساقته القدرة إليه تذكر ما جرى عليه من الأحكام وما جرى من جور الليالى والأيام
ولما ظفر به فعل معه تلك الفعال وعفا عنه ولولا وقوع هانىء فى يده كان سلم مكانك
وقد ضمن تسليمك أنت ومن معك وما أرسل زوج ابنته ذو الخمار إلى هانىء إلا أنه قادر عليك
وعلى من معك من الفرسان الذى سبب معرفتك أعلم أن ملك الروم قد بلغه ذلك قد عوّل على
غدرنا ومسيره بعساكره إلينا ولولم يكن الملك مشغول القلب بك وبعساكر الحجاز إلا
قد كان سار بنفسه إلى الشام فلما سمع الملك النعمان ذلك الكلام علم أن ذلك يدل على الصلاح
فانعم وأجاب ودعا لدولة الملك كسرى بالدوام لأنه كان مقدم بالأمر والنهى فى العرب والعجم
فاصبح غريبا شاردا من الأوطان خائفا من نوايب الزمان يمسى ويصبح فرحان فاثنى على
الامير هانىء وقد شكره الموبذان وخلع على بنى شيبان وصارت الدنيا تضج بالأفراح
وطابت لهم الأوقات وبالغ النعمان وهانىء فى خدمة الموابذان سبعة أيام فقال الموبذان يا ملك
وبقدومنا بالأخبار فقال الملك النعمان والله يا مولاى لقد قلت الصحيح ثم أمر عبيده فنادت
بالاهبة إلى الرحيل للعراق وباتت شيبان طول الليل يشدوا الهوادج للنسوان وقد
طابت قلوبهم لمصالحة الملك النعمان وما أصبح الصباح إلا والظعن ساير والملك النعمان
راكب بجنب الموبذان وساير معه تحت الأعلام وهانىء ساير ببنى شيبان يقطعون
الأرض بصيد الوحش والغزلان إلى أن وصلوا إلى أرض قال الراوى فلما علم اياس بن
قبيصة بقدومهم ركب والتقاهم فى موكب عظيم من بنى طى وترجل إلى الملك النعمان وقبل
ركبته لأجل الملك لأنه أمره الموبذان بذلك حيلة على النعمان لوقوفه فى شرك المهالك ففعل
ما أمره به ودعا للنعمان سلم إليه الحيره كرسى المملكة خزاين المال والعدد من الغد
أخذ الموبذان ذو الخمار إلى خدمة الملك كسرى ولم يزل ساير إلى الملك كسرى أنو شروان
قال الراوى عادوا إلى ما كان عليه الملك النعمان من الملك الاحسان قد استعقد الأمان
من غدرات الزمان فلما استقر به القرار طابت به الديار أرسل نجابه إلى قبايل اليمن وإلى أرض

صنعاء وعدن بعلم الفرسان والقبائل بعودته باذن الملك كسرى إلى مملكته، كان عول إذا جاءت سادات العرب وكبار المشاير من أصحاب الرتب ووصلوا إلى خدمته سار بهم إلى الملك كسرى ويجدد لهم العهد على ماجرى قال الراوى ووصل الموبذان باياس إلى المدائن والايوان دخل على الملك كسرى وأعلمه أن الخداع عمل فى النعمان وعاد إلى الحيرة وبقى من الحكم غير بعيد ففرح بذلك الفرح الشديد وكانت جراحات ذوالخمار قد برئت الا راسه وتلك المصائب من جملة حسده لأن الضربه كانت منيعة عسرة شبيعة فتقدم إلى الملك كسرى وخدم وحدثه بما لاقى فى جرحه من الالم فطيب قلبه وخلع عليه ووعده بهلاك عدوه هانىء إن هو رجع إليه كذلك النعمان ثم أنه أنزله باطيب مكان وأحسن له غاية الاحسان شورهم كيف يستحضر النعمان ويشفى غليله منه ويصلبه على الايوان فقال الموبذان يا ملك لا تفعل لأنه خايف حذور والحذر صيده عسر ومافى الأمر إلا أنك تمهل أمره ولا تستعجل فى الحضور ولا تذكر فعله لعله أن يذكرك بعض المبغضين لك ولدولتك لا فى بعض المواسم والأعياد قيل ما أنت ناوى عليه فيكاتبوه وتحذروه بوقع من الأمور الخطيره فقال كسرى قد صعب عليه وبقى من الغيظ ما يعرش ما بين يديه فقال وحق آبائى واجدادى يا موبذان أن تعلمنى بهؤلاء الانذال الكلام حتى أضرب منهم الرقاب وأصلبهم وأنزل بهم العذاب ولا أترك فى دولتى من يرعب لعدوى يصير له من جملة الاحباب فقال الموبذان الملك أنا عندى من الرأى غير هذا فان فعلته كان لك فيه الحظ الأوفر على جميع أعدائك من الخوف والفزع والتعنيد ويأتى إلى خدمتك قريب غير بعيد تبلغ بذلك كما تريد ثم أخرج درجا طويل أورج دواء وميل وقال اكتب أسماء هؤلاء العشرة الذين عنهم هذا الحديث جرى وذكرهم الموبذان وعرفه باسمائهم فعندها كتب الحكيم عد لسان كسرى يشرح أخبارهم يقول اعلم يا نعمان الحسب والنسب يا صاحب أننى قد جمعت ساير أرباب دولتى وأردت أن أختبر قلوبهم فاشاروا على كلهم بالصلح والاصلاح والخير والانشراح إلا عشرة منهم أشاروا على بالفساد وذكروا ما كان بيننا من الاحقاد وقد أفتوا الى فى سفك دمائك ودم إخوتك وسبى حريمك وذريتك فما سمعت كلامهم ومقالهم وماهم فيه ظهرت أننى صفيت لهم وعولت أمرى عليهم وقلت لهم اكتبوا إلى خطوطكم بالذى يليق به فكتبوا كما أمرتهم وما أفشوا بيننا من الفضيحه قد طلبوا بذلك النصيحة ثم أن الملك كتب بعد ذلك أسماء القوم الذين كانوا يحبون الملك النعمان ويتعصبون له فى كل مكان وصار خطه

يحاكى خطهم وهو يكتب على السنتهم أنا فلان هو الذى قد استشار الملك العادل فى الملك النعمان وأن ينقض العهود والايمان ويأخذ بثاره من النعمان لاجل ماغدر بالدولة الكسروية الحاكمة على ساير البلدان وخان نافق بجميع العربان وقتل ولده الملك شيرسان هكذا يستحق الذى يقاتل الدولة الكسروية ويناظرها بالنفاق والعدوان فانه لا يبقى له عندنا عهد ولا ميثاق فلا يلوم أحد الملك العادل فيما يفعل من الفعال فانه ماعليه ملام قال الراوى ثم أن حسان الحكيم وقف الملك كسرى على هذا الكتاب فشكره على ذاك علم أنه أعز من خواصه وأحبابه ثم أن الحكيم قال له أيها الملك العادل أنفذ هذا الكتاب إلى النعمان مع من تثق به من الفرسان تقول له يا ملك العربان أننى أرسل اليك أهل عداواتك إلى الديار تامر ساير الناس العوام أن يزينوا المداين بافخر الزينات وبافخر مايكون من الثياب وتجمع ساير الاحباب والاصحاب وتضرب تلك على جانب الدجلة سرادقات وخيام وتغمر بهدية جيدة إلى الملك النعمان ويقولون له هذا حلاوة الولد الذى رزقه الملك كسرى أنوشروان الرب القديم قد عوضه عوض ولده شيرسان مضى ماكان يجده من المشقة العجب كيف أنه يأتى إلى خدمتك النعمان فى طائفة بنى شيبان ويطلب أنه يهنيك بالولد القادم عليك فيكون هو الهنا وبلوغ المنا قال الراوى فلما سمع كسرى هذا الكلام علم ببلوغ القصد والمرام شكر الحكيم على ذاك المرام ومن يومه أرسل الكتاب المقدم ذكره إلى النعمان وفيه أسماء الرجال وأخبروا الناس أن الملك العادل أنوشروان قد رزق ولد ذكر فى هذه الايام فـاجت العـــوام والاجناد وقلعوا ماكان عليهم من الثياب السواد وضرب لكسرى على جانب الدجلة خيام الديباج والسرداقات وانقلبت الارض بضجيج الاغانى وارتفعت الاصوات ودارت الكاسات وخلع على الناس بذاك الاموال وفرحت النساء والرجال بعد دعا بهؤلاء العشرة رجال الذين قدمنا ذكرهم وصنناهم وعطاهم من الهدايا والتحف مالا يعد ولا يوصف قال لهم أريدكم أن تسيروا إلى النعمان تعلموه بما نحن فيه من الفرح والسرور والامان والخير الموفور وتذكرون الولد الذى رزقته من بركة النار احترسوا أن يكون الملك النعمان معكم عن عودتكم تجدد به عهدا وميثاقا نجعل الخير معه باقى إذا رأيتموه مشتغل بالعربان وجمع الفرسان فدعوه يفعل مايريد لان جمع الفرسان فى هذا الوقت والساعة أحسن مما نحن فيه فاجابوه

بالسمع والطاعة وساروا من يومهم يطلبون الحيرة وأرض النجف وأرجلهم تسعى بهم إلى الهلاك والتلف قال الراوى وكان الكتاب الأول قد وصل إلى الملك النعمان وهو فى عز ملكته ففرح بذلك وقويت نخوته وعرضه على وزيره وإخوته وهانىء وسادات عشيرته فقالوا جميعهم والله ياملك مابقى عليك من الملك كسرى عدوان مادام أنه قد اختارك على أرباب دولته وأطلعك على سره وحالته ومايعمله من مشورته ومافعل هذه الفعال أرسله إليك إلا حتى لايبقى عنده أبغاض ولا اكراه لاأحد يقسى قلبه عليك أما الوزير عمرو بن نفيلة العدوى فانه أظهر العجب من ذلك وقال وذمه العرب ماعندهم من الاكرام ماهذا إلا احسان زائد لأنه زاد عن حد الكرم إن كانت عواقبه لاتحدث أسفا ولا ندم فقال له الملك النعمان والله مانقى بعد هذا الأمر ندامة ولا بقى غير الخير والسلامة لأنى أنا أخبر بعدل الاكاسرة من كل أحد بمجاورتى لهم على طول الابد وقد عرفت أن الملك كسرى قد ذله لما جرى عليه عرف قدرى لما سمع بعسكر النصرانية أنه قد خرج اليه ثم أن النعمان بقى فى الافتكار هو منتظر الرجال الذين أتته أسماؤهم فى الكتاب ومازال الأمر كذلك حتى وصلوا وقدموا الهدية بين يديه فاظهر لهم الخيرات والكرم وترحب بهم وأخبروه أن الملك ورق بولد ذكر من أجله كايد الانشراح وأن المداين قد انقلبت بالأفراح وأن الملك منغمس بالمسرة مساء وصباحا وجميع مافى الجهات قد أتوا اليه من كل جانب ومكان لأجل التهانى والأفراح وغمرهم بالخيرات والاحسان انصرفوا من عنده إلى مكان قد أعده لهم فعند ذلك أمر بالقبض عليهم وابلوهم بالبلاء والاتراح وماأصبح إلا والكل مصلوبين بعد ذلك طاب قلب النعمان للملك كسرى أنوشروان وقال لهانىء فقد غمرنا الملك كسرى بانعامة وافضاله لقد استحى وجهى من فعاله ولابد أن أسير اليه بهذا السبب أهنئه بالولد الذى أتاه والزم معه الادب وأعرفه أننى كاتبت العرب سايرها أرى مانجده عنده السنة من أخبار هذه العساكر أعود على يقين فقال له هانىء نعم ماأردت إن لم تزوره فى هذه المرة لايعتب عليك ثم أنهم تاهبوا للمسير بعد مادبروا هذا التدبير فقال الملك قيس لابن أخيه الأمير هانىء اسمع كلامى يابن أخى لاتكن متوانى وافهم ماأقول لك من المعانى وأنى والله ياولدى خايف عليك وعلى الملك النعمان من مكر كسرى أنوشروان لأن الاعاجم لايحفظون العيش الخصيب ولا

يعرفون الوفاء ولاالذمام وأنا الذى أعرفة أنك تقيم بهذه الالاف فارس ظاهر المدينة وترسل الملك النعمان فان قبض الملك كسرى عليه تكون خالص لنفسك وتخلص النعمان (قال الراوى) فاستصوب هانىء ماقاله خاله ولما سارت القوم وقربوا مدئن الملك كسرى فعندها أقام الامير هانىء هوو الالاف فارس ظاهر المدينة ودخل الملك النعمان البلد على الملك كسرى فعندها أمر الملك كسرى أرباب دولته أن كل من دخل من جماعة الملك النعمان أن يقبضوا عليه ففعلوا ذلك حتى قرب الملك النعمان فوجد جماعة قبض عليهم فلما رأى ذلك علم أنها حيلة وقد دبرها الملك كسرى لاجل وقوعه له وتحصيله وأنه أراد الخلاص فاوجد لذلك سبيل ثم أنه مازال إلى أن دخل على الملك كسرى فنظر فى وجهه فأيقن النعمان بزوال النعم فقال له الملك كسرى يا نعمان أين ولدى شيرسال فقال له قتل يا ملك الزمان وها أنا بين يديك فافعل بى ما تختار فقال الملك كسرى قدموه




للفيل المجنون فقدموه إليه فعندذلك لف الفيل زلومته علية وشاله وضرب به الأرض أدخل طوله فى العرض ثم حذفه على الهواء وقد التقاه ثانيا فرقه من بعضه وقطعه قطع ففرح الملك كسرى بذلك وأمر بصلب جماعته فصلبوهم على رؤس الجبال ثم أنهم طلبوا الباقى فلم يجدوهم واعلموا الملك كسرى بهذا الحال فقال لهم أحضروا لى هانىء ولو أنه فى أرض ديقار ففتشوا عليه فى كل الأقطار قال الراوى وكان الذى أخبرهانى

بما جرى على النعمان هو الأمير حجار بن عامر فانه كان أرسله النعمان يبشر بقدوم النعمان فخلع عليه الملك خلعة من ملابس العجم من الديباج الغالية الأثمان ودخل الايوان فوصل على أثره الملك النعمان فنظر حجار إلى النعمان ورآه احتاطت به كبار المرازبة والحجاب من كل مكان وعاين رؤية الغدر فاختفى دليه ذلك وعلم أن النعمان قد وقع ولا ينفع الحذر فقال يالعرب هلك والله النعمان ولا بقى له نجاة لاهو ولا من معه ثم أنه فى عاجل الحال أبعد عن الجميع وخلع عنه زى العرب وتزيا بزى فرسان الاعجام وبقى واقفا مهو تاختى طلعت الخدام وألقت جثة النعمان وعلت باقى الرجال بالجبال وبان الحق وذهب المحال فرجع على عقبه مثل المفقود وهو قد غاب عن الوجود يطلب هانىء بن مسعود وهو يرثى الملك النعمان بهذه الأبيات

| | |
|---|---|
| الطير ينفر أحبابنا ويرتفع | حتى تغر به الامال والطمع |
| والعبد يغفل والأيام ترشقة | بأسهم قط لايبرأ لهـــا وجع |
| فاصبر على جور النائبات ولا | تظن أن القضا والحين يندفع |
| وأنظر إلى قتلة النعمان كيف أتت | محتومة مانفاها الخوف والفزع |
| مد الاعاجم أشراك الخداع له | وأرقعوه ونفس الحر تنخدع |
| أولاد فارس لاقرت جفونهمو | على الفراش ولاناموا ولاهجعوا |
| قوم إذا عاهدوا أمست عهودهم | منقوضة وإذا واصلتهم قطعوا |
| كم يحلفون لنا بالنار معبدهم | ياليتهم فى قرار النار قد وقعوا |
| لابد أن نجازيهم بما فعلوا | يوم اللقا ونقابلهم بما صنعوا |
| وتترك الطير يوم الحرب عاكفه | على دماهم وأن جاشوا وأن جمعوا |

(قال الراوى) وتم حجار يركض خببا وتقريب وهو يضج بالبكاء والنحيب حتى أنه وصل إلى هانىء وأصحابه فى المكان الذى كانوا قعدوا فيه ونعى لهم الملك النعمان وحدثهم بما جرى عليه وكان قد ارتفع عليهم البكاء فوضع هانىء يديه على صدره وأظهر الاشتكا وقال لعن الله كسرى وأذل سباله ما أكثر محاله واحتياله فلقد دبر وأحكم التدبير ولا درى بذلك صغير ولا كبير وبلغ بالغدر والمكر كل المنا وما بقى المطلوب إلا أنا ولكن سوف يرى من يندم ومن تصبح دياره العامرة اخراب دثار فقال له الامير حجار بن عامر دعنا الساعة ياهانىء من الاسف على شىء قد فات وسر بنا حتى نأخذ أهلنا وأهل النعمان وندخل البرارى والفلوات قبل أن تلحقنا عساكر الفورس وتحول بيننا وبين الدلا الذى كلا منا فيه سائر لانى خلفتهم خلق سائرين كأنهم البحار الزواخر قال الراوى فركبت الرجال وتدرعت

وتجارت على الطريق التى أتوا منه حتى أنهم وصلوا إلى الحيرة والتقى الملك قيس الشيبانى بهانىء ابن مسعود وأعلمه بالخبر فقال له هانىء والله لقد نفعنا الرأى الذى رأيته ورأيى من رأيك وذلك أن قيس بن مسعود كان صاحب رأى ومعرفة فقد رأى هانىء وهو على غير الاستواء مثل الكئيب الذى قد تحكم فيه الهوى فاخفت عليه أحوالهم وقد ظهر له وبالهم فقال لهم هانىء وذمه العرب قد تم علينا من مكر الاعاجم ماتم وزورت علينا الأباطيل وزور الأقاويل وصلبوا الملك النعمان وصلبوا معه مائة فارس من سادات قومه الأشاوش (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من أخى الملك النعمان فانهم لما سمعوا بذلك المصاب شقوا ما عليهم من الثياب وأرخو العمائم فى الرقاب وأرادت المتوردة زوجته وأبنته أن يقيموا المياتم والاحزان فما مكنهم الأمير هانىء من ذلك الأمر والشان لأنه خاف عليهم أن تدهمهم فرسان العجم والديلم والعربان من بنى طى مع إياس بن قبيضة وقال ان لحقونا هؤلاء الأقوام سبوا منا العيال مع الحريم لانهم سائرون خلفنا مثل الغيث إذا انسجم فدعوا علكم البكاء والاعوال وخذابنا فى الاهتمام والرحيل (قال الراوى) وفى دون ساعة شاعت فى الحيرة هذه الاخبار وما أمسى المسا الا والأظعان من بر النجف سائرة فى مقفار لان القوم كانوا أخذوا أهبتهم من الغدو بالسلاح والخيل وأخذوا ما قدروا عليه وساروا بالأولاد والعيال من أول الليل فلما كان عند الصباح عسف بهم ليلا ونهار حتى أبعدوا عن العراق وتلك الديار وآمنوا على أنفسهم وترفق بهم هانىء لأجل النساء والاطفال حتى وصلوا ديار بنى عبس الاجواد كما ذكرنا وجرى على قيس واخواته من الاحزان ما وصفنا وقد نزلت أخوة النعمان وكذلك بنو شيبان وبنى لخم وجذام وكندة وأقارب النعمان وبذلوا فى تلك الديار قال الراوى فلما فرفرار القو داموا على الاحزان أربعين يوم وكان هانىء قد سأل قيس بن زهير عن عنتر بن شداد لأنه لم يره عندهم فى البلاد فاخبروه بما تم عليه من الاحكام وأنه ماسور فى بلاد الشام يعاتبه هانىء على ذلك الامير ولامه لأجل مافعل فى حقه وعمه ذلك وكيف قدر على فراق أعمامه وبعث إلى بنى غطفان فاتى بعبلة وما معها من الذ-وان فانزلهق فى دياره ووعدهم ان يدبر حيلة يخلص بها عنتر ثم قال لقيس يا ملك كاتب حلفاك واحترز على نفسك من أعداك ولا تمس ولا تصبح الا وأنت على يقظة من عسكر العجم أن طلبتنا فى هذه الكرة فعلم قيس بحقيقة حاله فترك الحرس تحرس له أرضه وبلاده وأنفذ من عنده جواسيس إلى بلاد العجم وتدم

على إبعاد عنتر حيث لاينفعه الندم وقال والله دهتنا مصيبة من الشام والعراق وأصبح ضهرنا غائبا وحاميتنا ماسورفى الوثاق قال الراوى هذا وعبلة قد لبست من أجل عنتر السواد فدخلت على نسوان الملك النعمان و أكثرت من التعداد وأخذوا معها فى النواح والبكاء صباحا ومساء فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ماكان من إياس بن قبيضة فانه وصل بعساكر كسرى إلى الحيرة بعد وصول هانىء وحيله بيوم وليلة فلما رأى البلد خالية من الفرسان والاجناد سأل عن هانىء وبنى شيبان فقال له المقيمون اعلم ياملك أن الكل دخلوا بريه الحجاز يطلبون الاوطان إلا أنهم مافاتوك بشىء كثير فان أردت أن تقفو أثرهم بمن معك من الشجعان فافعل لأن مسيرهم مايكون الا برفق لأجل الاطعان اللاتى معهم والنسوان فقال إياس هذا شىء ماأفعله أبدا ولاأخاطر بعساكر كسرى خلف فارس أهلك منا ثلاثين الف فى يوم واحد ولاأفعل شىء الا بأمر الملك ثم احتوى على خزائن الأموال والرجال الذين عجز هانىء والاسود عن حملها وأنفذها إلى الملك فى الحال وأنفذ اليه يعرفه بماجرى فى الحيرة من الأموال فقال له فى آخر الرساله وأما هانىء وحريم النعمان فما لحقت منهم فى الحيرة انسان ولا وجدت لهم أثر فوجدت الجميع قد دخلوا برية الحجاز سريعاً فان كنت تريد أن أعبر خلفهم بالعساكر والجنود فانفذلى من يعاونى على قتال هانىء بن مسعود والسلام على الملك العادل وبعد مدة قليلة عاد اليه الجواب يقول له يا إياس دعنا من طلب نساء النعمان وهانى لأنه قد جاءنى ماأشغلنى لأن قيصر ملك بلاد الروم قد أرسل إلى يطالبنى بالأموال والأنعام والهدايا التى كان ينفذها لى ولإبائى فى كل عام وأرسل إلى يقول لى أنى أريدك أن تبنى لى عند بيوت النار كنيسة يعبد فيها المسيح والزنار وإلا أرسلت اليك عساكر لاتعرف لها طولا ولاعرض ومديت بلادك بجنود لاتقدر الجن تصل اليها لأنى قد أتت إلى من البحر مراكب بعدد الكواكب وفيها رجال من الافرنج وخلق لايحصيها حساب ولاديوان وكلهم عراه وهم حلقون اللحا والشوارب لايخافون الموت ولايخشون الفوت ولاطول النوائب النوائب وأنى لما سمعت بهذه الرسالة والعنوان أحرقت بالرسول وفعلت به فعلا مايفعله انسان ورديته إلى صاحبه مقطع الاذان وأنا أعلم أن ملك النصرانية قد طمع فينا والسلام ولابد ما يرسل الينا الافرنج مع متنصرة الشام وإذا سمع هذا الكلام فالصواب أنك تجمع من تقدر عليه من فرسان العرب والافاق وتاتوا إلى حتى تعاونونى على لقاء الاعداء من عباد الصليب وأهل النفاق قبل أن تدوس عساكرهم أرض العراق قال الراوى فلما وصلت هذه الرسالة إلى إياس أرسل خلف أولاد عمه بنى طى وكانت قبيلة ثم أنفق خزائن النعمان المتخلفة عنده على العربان وهم خمسين الف عنان وسار

بالجميع إلى مدائن كسرى ففرح بذلك الملك وأنزله فى أعز مكان وجعله مقدمة العسكر الذين قد وصلت اليه وما أقام غير قليل حتى وصلت الجواسيس من بلاد الشام يخبر ان الحارث ملك بنى غسان قد برز فى مائة الف عنان وهم أفرنج وروم وقد عول على المسير إلى العراق لانه يريد أن يعيدها روم كما كانت فى أيام الاسكندر ولا يترك إلا من يشد زنارا ويستنصر قال الراوى فلما سمع الملك كسرى الخبر جهز إياس بن قبيصة فى العرب وأردفهما بثمانين الف وعشرين الف من طوايف العجم والفرس والديلم وقد عليها فارس جبار مكرم لا يفزع من الموت ولا يخاف مرسول النقم اسمه رستم بن مهدان وكان جبارا شديد الأركان وقال يا رستم اعلم ان فرسان دولتى قد تضعضعت والاعادى فينا طمعت وأريدك أن تعيد أمرى إلى ما كان على طول الزمن فقال رستم أيها الملك ما أحتاج إلى وصية وأنى وحق النار المحمية ما أعود إليك وفى الشام من يذكر دين النصرانية ولا يقال إنه نزل فى جن ماء المعمودية وقد رأيت فعالى فى الميدان ثم سار بجيش العجم قاصدا لقاء هذه الامم وقد تقدم بين يديه إياس بن قبيصة فى طوايف العرب وعاج البر وخفقت الأعلام والرايات وركضت الجنايب الصافنات فارتجت الجبال والربوات وما زالوا يجدون فى المسير حتى قطعوا العمران ورفقوا على دوابهم وخيلهم لوقت لقاء عسكر أهل الصلبان قال الراوى وكانت عسكر الروم لسيرها اتفاق وقد سارت اليهم طمعا فى عسكر العراق لأن سنان بن أبى حارثة شيخ بنى فزارة لا أعانه الله ولا أجاره لما دبر على عنتر ما دبر وظفر به فى الرصيف الأكبر عاد باصحابه المائتين حتى قارب أرض دمشق وانفذ قدامه بشيرا يخبر الملك الحارث بما قد جرى وكيف ظفروا بعنتر وولده ميسرة وأخيه مازن وأعلم الحارث بذلك قرين البلد وركبت خيوله بالدروع والزرد ودقت الطبول مع البوقات وانجرت الجنايب وكان لهم يوم أحسن من الاعياد المسميات لأننا قد ذكرنا ما كان فى قلوب سكان البلاد ومن فى جميع الفلوات من عنتر وكم له معهم من وقعات وكم أهلك من السادات وكيف فتح دمشق وأحرق الكنايس والاسواق الا أن الحارث لما التقاه فرآه مشدودا على جواده فسار يضربه بالسوط ويعاتبه على فعاله وما قتل من أبطاله وما زال على مثل ذلك حتى صافيه عنتر وهو كالأسد الكاسر وقال يا ابن العواهر لو كنت أخذتنى فى الميدان لرأيت الذل والهوان ولكن الانسان هدفا إلى نوائب الزمان وضرب السوط

ما يصلح الا الملك الذليل المهان الذى يولى عند الحرب والطعان أما أنا فضربى يكون بالحسام أوجب لأنى ما أخاف من قدوم الاجال ولا يخطر لى الموت على بال وقد ذكرت ذلك فى شعر والمقال فاضربنى بسيفك واشفى ما بقلبك من الأغلال قال الراوى فلما سمع الحارث كلامه زاده وغرامه لقال وحق المسيح لاذيقنك أشد العذاب واقطع كل يوم عضوا من أعضائك وأرميه للكلاب ولكن بعد ما أشاور عليك الرحيم ثم أدخل الجميع فى البلد وأخلى لهم فى القصر مكان ومن الغد انفذ إلى ملك الروم يبشره بذلك ويقول فى آخر الكتاب والذى تعرفك به أننا قد ظفرنا بالعبد الحجازى المسمى بعنتر بن شداد وأخذنا معه مائتين فارس اجواد ونحن قد عولنا أن نقتل الجميع ونشفى عباد المسيح ونأخذ ثار من تقدم وأنا منتظر الجواب فيما تأمرنى به أيها الملك حتى امتثله ولا أخالفه والسلام ثم أنه أرسل الكتاب وقعد ينتظر الجواب وكان ملك الروم قد سمع بما تم على عسكر كسرى فى ديقار وبلغه أن ثمانية آلاف كسرى اربعمائة ألف من العجم ومن الديلم فلاح له الطمع ورأى قائلا فى المنام يقول له شد نفسك حتى أرسل لك الفرسان وتنصر عباد المسيح وتخرب بيوت النيران لأن نزول المسيح قد اقترب وخد لك من عرب الحجاز اعرابه واجناد وانت بهم تملك الأرض والبلاد وابذل السيف فى أهل البدع وأمر الرهبان أن يباركوا فى القربان قال الراوى فلما نظر قيصر هذا المنام انتبه وهو فرحان وجميع القسوس وأخبرهم بما جرى فقالوا أيها الملك ما بقى الا العزو إلى عبدة النار وفى تلك الأيام يقبل عليك من البحر مراكب بعدد الكواكب خياله ورجاله طالبين الغزا والجهاد فلما سمع كلامهم أخلع على الفرسان وأمر الكل بطاعه الملك الذى يصل من البحر وكان يقال له سيطرى وكانت أهل الجزائر معها فارس التالوت وكان فارسا عظيم الخلقة الاأن قيصر لما قدمه على تلك الطوائف أوعده بزواج أبنته إذا فتح البلاد وعاد من الجهاد وقد أخبره بالمنام الذى رآه فقال أيها الملك وحق المسيح الذى يشرك بقدومى أنى ما خرجت من بلادى الا فى طلب الجهاد لارغبه فى مال فاريد أن ترلنى إلى الاقاليم المخالفين وتسلطنى عليهم حتى أفنى اعداك واذا فتحنا الاقطار وانتشرت ملة المسيح كنت ذلك الوقت بالاختيار إما أقيم فى تلك الديار أو أعود إلى جزاير البحار فقال الملك افعل ما تختار وخذ الراحة حتى انفد لعباد النار رسولا وآمرهم بالطاعة ولا أنسح الصلح بينهم ثم أرسلك اليهم فى مائة الف فارس من العسكر حتى يقلعوا دولة عباد النار ثم انه بعد ذلك أرسل إلى الملك كسرى الرسول الذى ذكرناه واعاده بذلك الحال الذى وصفناه فصعب عليه

وكثم حالة من ملك الافرنج وفى تلك الايام وصل إليه كتاب الحارث من دمشق وفيه ما تقدم ذكره من أسر عنتر ومن معه من الرجال فعرف حقيقة الحال فزاد طمعه وأيقن ببلوغ الآمال فجمع أرباب دولته مع ملك الافرنج وأخبرهم بما جرى وشاورهم فى قتل الأسارى فقالوا ما هذا صواب لأن المسيح أخبرك فى المنام وأمرك أن تلك من أرض الحجاز أنصار وأعوان فقال لهم صدقتم أنه جد فى تجهيز العسكر والجيوش وأوصى ملك البحر أن يخبر صاحب دمشق بما أخبره المسيح عيسى بن مريم إلى أن ينفصل قتال العجم والديلم فقبل الوصية وقد سمع بخبره الحارث الوهاب فصبر حتى وصل إليه الجيش فركب وتلقاه فى بنى غسان وبنى فزاره والعرب المتنصرة وأكرم ملك الافرنج ونزلت العسكر فى المروج والبساتين فتعجبوا من حسن تلك المدينة وقالوا أيها الملك اطلب لنا هذه المدينة من ملك الروم حتى نقيم فيها باقى عمرنا فقال لهم اصبروا اعلينا حتى ندور فى البلاد وأبين الشجاعة فى الجهاد وبعد ذلك أطلب ما ذكرتم بعدما أبذل سيفى فى ساداتهم والعبيد وأملكهم أرض خراسان إلى أقصى بلاد الصعيد ثم حدث صاحب دمشق بالمنام الذى رآه ملك الروم فصعب ذلك عليه وقال وحق المسيح لو علمت أن الملك ما يأذن لى فى هلاكهم لكنت صلبتهم على الأخشاب والأسوار وأريح أمة المسيح من هذا الجبار الذى ما يقع عليه عيار ثم أنه وصف له شجاعته فقال يا حارث هذا يدل على أن أرضك خالية من الفرسان وإلا ما كنت وصفت هذا الأسير بهذه الأوصاف فقال الحارث لا تقل هذا المقال وحق القديم المتعال لا يوجد مثل هذا القرنان من الرجال ثم حدثه باخبار بنى فزارة وقال فى آخر الكلام وأن أكثرهم قد تنصروا الصلبان قال الراوى فلما سمع ملك الافرنج ذلك الكلام قال هذا تصديق المنام الذى رآه الملك قيصر لان المسيح أمره أن يختار أعوانه من أرض الحجاز وهذه صحة ما قال وأقول إن هذا الفارس الذى بهذه الصفات لولا أخذتموه بالاحتيال لما وقع فى الاسر والاعتقال وأريد عند الصباح أنظره وأسمع كلامه وأتركه يجول فى خيالتى فى الميدان فقال الحارث اما نظره فلا أبخل عليك به وأما حله من الاعتقال فلا أمكنك منه لانه جبار منه جبارة الثقال وربما يهلك أصحابك فتحقد عليه ويهلك منا جماعة إن أردنا أن نرده إلى ما كان عليه وهذا الامن نحن منه فى غنى ثم قضوا ليلتهم بشرب المدام وعند الصباح أمروا العسكر بالرحيل وأخذ الاهبة للتنقيل والمادار واحول الخيام طلب ملك الافرنج أن ينظر إلى عنتر فاجابه الحارث إلى ما طلب ودخل هو وجماعته من البطارقه

حتى سار واحول عنتر فقال الحارث كيف ترى حالك يا ابن شداد فقال عنتر يا حارث إن كان في خاطرك شيء فافعل وخل عنك المسيح وغيره فإن الرجل إذا تكلم على غيره كان ذليل وإن كنت ترى العجب رد على لامة حربي وقل لعباد الصلب يبرزوا حتى أريك حربي (قال الراوى) فلما سمع الحارث كلامه قال له دع كلامك يا ولد الزنا وارجع إلى المسيح واعلم أن الملك قد أقبل وجيشا كبير وخرج به إلى جهاد الاعداء عبدة النار وقد وعدنا أن يفتح الاقطار وهذا ملك البحر يشفع فيك عند الملك الرحيم وقد أمر أن يطلق لك السبيل حتى ينظر شيئا من شجاعتك ودع الجهل حتى يغمرك بالإحسان فإن شريعة المسيح هذا العام تعلو ولا يبقى فى الارض إلا من يشد الزنار فقال عنتر يا حارث دع عنك الهذيان وكلام النسوان فوالله لا دخلت تحت حكم أحد من البشر وإن كنت قضيت شهوة هذا القربان فأخرجني إليه حتى أريك ما أفعل به حتى أشفي غليلي منك ومنهم وأموت موت الكرام بين شفار السيوف وسن الرماح وأما قولك أنه يشفع فى فهذا محال لان الفاسق إذا كان قاطع لا ينفع فيه شفاعة شافع (قال الراوى) فلما سمع الحارث هذا الكلام زاد به الغيظ والغرام وعلم أنه إن أطلق عنتر من الكتاف جل به الويل والتلاف وأما ملك الافرنج لما سمع من عنتر حيث قال إن أردت أن تفرج عني وتخرجني إلى الميدان وأبارز الفرسان فاعل عني الكتاف وأما الدخول بدين النصرانية فهذا بعيد لاني ما أدخل فى دين ما أعرف ظاهره من باطنه (قال الراوى) فلما سمع ملك الافرنج ذلك المقال وعد عنتر بكل ما يريد عند عودته ثم رجع الحارث ومن معه من العرب ورحل من أرض الشام فى خمسمائة ألف فارس وما زالوا سائرين حتى التقوا بعسكر وعلى المقدمة إياس بن قبيصة وكان ملتقاهم بالجبل الطويل ولما التقوا وقع ضجيج مثل أيام الحجيج وكان صياحهم على اختلافهم فتفرقت الوحوش فى الفلوات وارتجت الجنبات وخفت الاعلام والرايات وما فيهم إلا من لاح له وجه الطمع فحملوا على بعضهم البعض من غير إطالة بل إطلقوا الاعنة مثل البحار الزواخر واختلفوا فى ساعه ما تشبه الساعات فتقصفت القنطاريات وجرت الدما مثل السيول الجاريات وبرزت الاعاجم من حربار الحرب بلغات مختلفات واستغاثت السوس والرهبان بالصلب المضخم وعيسى بن مريم وعملت السيوف بينهم يوما كاملا حتى ذابت الابدان وفى اليوم الثالث حمل ملك البحر بنفسه وقاتل قتالا يعجز عنه وصف الوصاف وسطا على الفرس بالقنطاريات ونهب وفرق المواكب والكتائب (قال

الراوى ) فلما رأى رستم مقدم العجم قتاله خاف على رجاله وطلبه من تحت الأعلام وصدمه صدمة جبار لايرام وجرى بينهم عجايب تحير الأوهام ومافرق بينهم إلا الظلام وعادت الطوائف إلى الخيام وقد ربحت عبدة الصلبان وقد استظهرت ولى العجم غاية الاستظهار ولولا خوفهم كانوا طلبوا الفرار إلا أنهم صبروا على الهلاك خوفا من العار وكانت الإفرنج وعسكر الشام عادت إلى الخيام وهى تشكو الفارس البحرى وأما إياس بن قبيصه فإنه اجتمع بنائب كسرى واستشور فيما يفعلوا وخافوا من الانكسار وبعد الديار وقالوا مابقى الأمر إلا أننا نحمل غدا على الأعداء فاو رزقنا النصر وإلا التجأنا إلى الجبال وحمينا أرواحنا وأنفذنا بعض فرساننا إلى كسرى ونطلب منه المعونة ولانزال نحاول الأعداء حتى تدركنا عسكر الملك وقد تيسر الأمر وهان فقال إياس بن قبيصة والله ياقوم ماالطريق إلا بعيدة وهذا الذى ذكرتم أهون من غيره ثم بنوا أمرهم على ذلك الحال وقاموا يشجعون أنفسهم على القتال إلى أن أصبح الصباح وأشرفت على العم عسكر النصرانية وتقدمت تطلب القتال وقد اصطفت الصفوف وترتبت الألوف وسلت الفرسان السيوف وقد أيقنت بشرب كاس الحوف فعندها خرج من فرسان العرب فارس طويل تحته جواد أدهم اللون ولما صار فى الميدان زعق زعقة عظيمة فبهت البارقة وحملت عليه خيالة الافرنج فقتل منهم سبعة وحمل على الميسرة فقتل كذلك وحمل على الميمنة فقتل مثلهم وقصد إلى بنى فزارة فقتل منهم عشرين فارسا وعاد إلى الميدان ووقف حتى استراح فلما هدأ حصانه تهدم إلى قريب الأعلام أعلام صاحب دمشق وحاذى الصلبان ونادى برفيع صوته ياقرنان يا من لايراعى حق القربان بخلت على بابنتك أبشر بخراب الديار فانى لابد من قتالكم بالرمح الأدهم والسيف البار وإن كنت فى شك من ذلك فاخرج إلى خيالة الافرنج وفرسان بنى غسان وبنى فزارة وانظر مايحل بك من الخسارة قال الراوى فلما سمعوا ذلك الكلام تعجب الفريقين وقال إياس بن قبيصة لمن حوله من الفرسان يابنى عمى ماأعجب قصة هذا الغلام والله لقد أحيانا بشجاعته فأحضروه حتى نسأله عن حاله لأنى اعلم ان قومه ظلموه وإلا ما كان فعل فيهم تلك الفعال واقول إنه قريب صاحب دمشق وإن صدقنى حذرى فانه قد اختلط بنا البارحة وكانت قصته لعجيبة لأنه كان ابن اخى الحارث الوهاب وكان اسمه ابو الدوح بن سام وكان ابوه مات وخلفه طفلا صغيراً وتولى عمه تربيته إلى ان انتشى واشتد حيله وصار يركب معه إلى الميدان ويحضر طعان الفرسان إذا برز معهم

يجتهدون فى تعليمه ويهذبوه لأجل هيبة عمه والجميل الذى أوصله إليهم أبوه وما زالوا كذلك حتى بلغ من الفروسية هذه المنزلة وصار الذين كانوا يعلمونه يتعلمون منه خدائع الحرب ويتحدثون عنه كل أمر صعب وكان لعمه بنت يقال لها حليمة ليس لها نظير فى حسنها كالدرة اليتيمة لا يوجد لها قيمة وتضرب بها الأمثال ويعجم عنها كل لسان وكان قد ربى معها وعرفها من عهد الصبا ومال قلبه إليها ولما كبر منعه عمه من الدخول إليها إلا أنه أفرد له دار بحكمه حتى أنه هام وجدا وعدم ابنة عمه ونظرها وصار يبكى فى خلوته كلما ذكرها فزاد به الأمر حتى صار يراسل ابنة عمه ويطلب منها نظرة أو حديثا وهى لا تفعل ذلك بل ترد إليه رسوله خائبه وتشتمه وتحلف أنها طول الزمان لا تعود تكلمه لأنها كانت متعبدة شديدة فى النصرانية والنصارى لا يروا أنهم يزوجوا بنات الأعمام الأولاد الأعمام لانه عندهم حرام فبغضته من هذا الوجه ولم تسمع كلام وقالت هذا قليل الدين فاسد اليقين والله ما كان يعلم أنى ابنة عمه ويراسلنى بهذه الرسالة وما زال الامر كذلك حتى غضبت حليمة من مراسلته فشكته إلى أبيها وقالت يا أبتاه قد فضحنى ابن أخيك من مراسلته صباحا ومساء ويطلب منى ما يطلب الرجال من النساء وأنا أوبخه وأنهاه وهو لم ينته ولولا القرب منك ما كنت أطلعتك على هذا الحال ولولا سمعت الحديث عنى فتقتلنى ظلما وعدوانا وتقول ما أعلمتنى بفعاله قبل الاشتهار وهذا من اختبارك فلما سمع أبوها مقالها جرح ذلك فؤاده واشتد غيظه على ابن أخيه لاجل فساده وأمر غلمانه فقبضوا عليه وقيدوه وتركوه فى الحبس فى أخس مكان فعلمت أرباب دولته بالقصة فسألوه فيه وأخرجوه بعدما وبخوه على فعاله وعنفوه إلا أنه بعد ذلك ما ازداد بعذلهم إلا هيمان (قال الراوى) ويلغنى أنه حبس وضرب من أجل حليمة مرارا عديدة وزاد أمره وخرج عن حده وأرادت القسوس تحرمه وتخرجه من دين النصرانيه فاظهر الجنون وصار لا يتحدث بما لا يكون وخلع عليه لباس الجندية ولبس لباس الرهبانية ويقضى الليل والنهار بالافتكار وفيض المدامع الغزار وهو يتمنى أن يظهر لعمه عدو ويطلب عناده حتى يصير إلى معونته ويبلغ مراده ويشفى فؤاده وما زال على مثل ذلك الأمر حتى وصلت الافرنج فى البحر وصارت عسكر إنطاكية معهم وسار عمه معهم فرأى هذه الامور فطاب قلبه وحدثته نفسه بكل عجيبة لانه شجاع فهان عليه الموت فى هوى حليمة وقال وحق المسيح لاخاطر بنفسى من شأن هذه الدرة البهية ثم طلب من بعض أصدقائه جوادا وعدة جلاد وسار فى أثر العساكر حتى لحقها

فى أرض زبيد وكان وصوله اليها فى الليل فاختلط بعساكر كسرى فلما أصبح الصباح جرى له ماجرى مع عساكر عمه وبعد قتله للفرسان عاد إلى الميدان ونادى بذلك النداء ونظر إياس فعاله ففرح وأمل منه النصر فانفذ إليه وأحضره بين يديه فشكره وقال له يافتى ابشر بالخير فاخبرنى بحالك حتى نجازيك فان كنت مظلوما أعناك وان كنت فقيرا أغنيناك فقال أبو الدوح مافيه شىء ولا غرض مال ولا نوال ولا أشتكى إلا كرب نيران الجوى وسلطان الهوى وظلم عمى من دون الورى وجور حب ابنته الذى ماوجدت لى منه دواء ثم أنه حدثه بقصته وما أجرى عليه من الحبس والقيود والعذاب فى هوى حليمة وقال عندمنتهى الكلام وما التجأت اليكم إلا لاشد قلوبكم وأقوى عزائمكم وأتقوى بكم على ما أريد وأنا أقدر أملككم الشام بالكلية وتقعلون النصرانيه وما أطلب منكم إذا كسرتم عساكر عمى وسلمت دمشق لكم إلا أبنة عمى حليمة التى جرى بسببها كل نوبة ذميمة وبعد ذلك أسير خادم لدولة الملك كسرى فقال اياس باغلام وحق من أعشب البيداء ويعلم مايكون فى غد إن تم هذا الامر والحال لا أخذنا من بلاد الشام عقال ولا تركنا فيها لاحد حكم ولا مقال بل نسلم الجميع إليك ونمدك بالعساكر والابطال وان قلعنا دولة الروم والاصا لحنام على طاعتك بعــد طاعة الملك كسرى وتركنا ملكهم يحمل إليك الخراج رغما وقهرا ثم غير عدته بعدة غاليه كسروية وأركبه على جنيب من الجنائب السلطانية واستشاره فى الجملة على عساكر النصرانية فقال هذا قدامكم ولكن امهلوا على فى هذه القضية حتى أشفى قلبى من فرسان عمى وأعرفه قدرى وأريحكم اليوم من حربه إلى عشية وإن رأيتموه غدرنى وطلب هلاكى فاحملوا أنتم وابشروا بالنصر لانهم ثلاث طوائف روم وعرب وافرنجية وأنا وحياة عين من أحبه أكفيكم شر طائفة منهم ثم عاد إلى الميدان وطلب البراز والطعان هذا وعمه من فعاله سكران وعلى تركه سالم ندمان يتمنى أن يأكل قطعة من لحمه ويشرب من دمه جرعة وكلما اشتد به الغضب يقول وحق ذمة العرب لقد ضاعت منا التربية فى هذا النذل الغدار وشماتة عبدة النار بنا أشد العار ثم بقى يلوم أرباب دولته ويعنتهم على فعالهم من سلامته وهم يقولون له لا تضيق صدرك فنحن نعيده إليك كما كان ومازالوا به كذلك حتى جرى مع إياس ماجرى وعاد إلى الميدان وهمت أبطال المتنزة أن يخرج إليه فسبقها فارس من خيالة الافرنج وخرج إليه من تحت الأعلام والبيارق وانقض عليه انقضاض الباشق وكان هذا الشيطان ابن عم ملك البحر وكان مقابلة فى الفرسيه والشجاعة والبراعة وكان أفطس الانف كبير العينين وحش الوجه كثير الشين فلما صار مع ابى الدوح فى الميدان وأخذ معه فى معاناة الطعان أرسل إليه صاحب دمشق وقال له يا فارس إن

هذا العربى الذى حملت عليه ابن أخى وقدقبح تربيته وأريد منك أن ظفرت به فلا تقتله بل تأتينى به أسيرا حتى أشفى منه فؤادى فلما وصلت تلك الرسالة إليه وكان يسمى شوبرت البحرى أجاب بالسمع والطاعة وأخذ معه أبو الدوح فى الطعان حتى تحيرت منهم الفرسان وبهتت إليهم الشجعان وتعلموا منهما الحرب والخداع ودام بينهما القراع إلى أن اقترب المسا وتقصفت فى أيديهما وتضاربوا بالسيوف واختلف بينهما فكان السابق بالطعنة أبو الدوح فوقع سنانه فى نحر الافرنجى فخرج من الناحية الأخرى وخرج إليه ثانى فقتله وثالث جندله ولم يزل كذلك حتى قتل من الافرنج خمسة عشر فارسا وقد أقبل الظلام وافترقا إلى الخيام وعاد أبو الدوح وفرسان العراق تشكره على فعاله وأمر له إياس بسرادق كبيرة وأنفذ له كل مايحتاج وأمر له بخمس جنائب عربية فنزل أبو الدوح فى السرادق وهو يقول لاياس ابشر بكسر جيش أعداك وفى اليومين أو الثلاثة افنى الأبطال الذين عليهم المعتمد وبعد ذلك تحمل عليهم وتفرقهم فى كل فدفد وإذا انهزموا تبعناهم إلى حد دمشق وتركيف أسلم اليك البلد ثم أن أبا الدوح أخذ الراحة حتى ذهب الليل وعادت الأبطال إلى ظهور الخيل وخرج بين الصفين واشتهر بين الفريقين وكان قد تزيا بزى أهل العرق ولبس من آلة الحرب مايذهل النواظر والأحداق وركب على جواد من الخيل العتاق يسبق بجويه البرق البراق أو السهم إذا خرج عن حد الانطلاق وأوصافه تدل على أنه من الخيول العتاق وكان قد خرج لأجل أن يقصد البراز فى ذلك اليوم ويطلب أن يكشف سير عباد الصليب من عساكر كسرى عباد النار وقد ذكرنا ماكان قد قلوب أهل الشام من فعاله فصارت تبرز إليه فارسا بعد فارس وهو يرمى رؤسهم ويفنى نفوسهم ومازال على مثل ذلك إلى أن اقترب نصف النهار ووقفت عن برازه الاقران وقد أهلك من خيالة الافرنج خمس فوارس ومن عساكر الشام ثمانية ومن الروم بطريقين وهم أن يرجع يغير جواده وإذا قد عدرت به بنى فزارة وأرادت أن تأخذه بالمكاثرة حتى تتقرب بأخذه وأسره إلى قلب عمه فحملت حملة فى الميسرة وتبعها جماعة العرب المتنصرة وزعقوا الجميع زعقة منكرة وعلا عليهما الغبار وانعقد النقع وثار وضاقت عند ذلك صدور عبدة النار ثم زعق إياس بن قبيصة فى عرب بنى طى فحملت من كل جانب وصرخت أيضا العجم ودمدمت وكذلك الديالم عندما قد هجمت وخاضت الغبار واقتحمت وكان ملك البحر تأهب فى ذلك الوقت والساعة وهو طالب يظهر ماعنده من الشجاعة فقفز يريد أبو الدوح ليبارزه وإذا بالعساكر قد برزت وحملت واختلطت وحمل بعضها على بعض وتلهبت نيران الحرب وزاد البلا والكرب واشتد الطعن والكرب وعظم كل أمر صعب فعند ذلك صاح فى الافرنج

فحملت ونار الحرب أضرمت والصوارم فى الرقاب عملت والوجوه الحسان تغيرت وجارت أحكام الحمام وفارقت الأرواح الاجساد ودام السيف يعمل حتى استرخت ستور الظلام ونزلت وطلعت النجوم فاظهرت الغيوم وعمى فى ذلك الوقت النظر وقد حضر ووقع الضرب على البيض كوقع البرد على صم الحجر وطلب الجبان الهرب واستبشر الشجاع بالنصر والظفر وذهبت أرواح النعيم من الدنيا الى سقر وما بقى أحد من الطائفتين قدر على المفر من القضاء والقدر وما أطبق سواد الليل واعتكر واشتد سواده افترقا فعادت الجيوش إلى مقامها والدماء تسيل من أجسامها ولما استقرت الطوائف فى خيامها جعلت تدبر فى اصلاح شأنها وتتأسف على من قتل من أبطالها وشجعانها وتبكى على أقرانها وكان إياس بن قبيصة نائب الملك كسرى نزل فى السرادق ومعه جماعة من الخواص وأبو الدوح فى الجملة فقال إياس بعد ما دار بينهم الكلام والله يا قوم لولا هذا الرجل الذى قد التجأ الينا وفعل هذه الفعال بين أيدينا ما كنا قدرنا على المقام مع العساكر الشام لأن بلادها قريبه وعساكرها نجيبه وكل يوم تاتيهم فرسان وأبطال غريبة وما نرى إلى تفريقها سبيلا من الأسباب أو لم ياتينا بشىء لم يكن فى حساب فقال أبو الدوح يا ملك لا تضيق صدرك ولا تبين غدرك فانا أفرق هذه العساكر وأعمل على خراب بيت عمى بالاحتيال ما داموا انهم قد بلغوا على وعدلوا عن الانصاف من البراز والنزال فقال له إياس وما الذى تريد أن تفعله يا ابن الكرام بالرجال فقال أبو الدوح قل للنقباء وأمرهم أن ينتخبوا لى ألف فارس من العجم والترك والديلم حتى أسير بهم إلى دمشق الشام واحتال على نائب عمى الذى هو نازل فيها وضرب رقبته واسلب نعمته وأملك البلد وتبصر ما يجرى لأنى قد نشأت فى أمرى ولا بد لى مما أبذل نفسى وأخاطر بروحى حتى أحقق ما أريد ولا يشمت بى الأعداء قريب وبعيد ولا تفرح حليمة وقد قاسيت فى هواها كل نائبة عظيمة فلما سمع اياس كلامه زال عنه همه وغمه وطلب الاستظهار بأى وجه كان ومن ليلته أمر النقباء فاختارت ألف فارس عرب وعجم وترك وديلم بعد ما أمرها بطاعته وشاور وزارستهم فى ذلك فرآه صواب فتاهبت الأبطال إلى أن صار نصف الليل وانسلت من الخيام على جياد الخيل وسار قدامها أبو الدوح وقد أخذ بصحبته كل فارس نبيل وأخذهم فى عرض البريه حتى جاوز عساكر عمه واستقام طالب دمشق وهو مثل المجنون من هوى العشق فانه هون عليه نفسه واختار أن يسكن رمسه الا أن الصباح ما أصبح عليه حتى غاب عن مصر العيون وكان أكثر العدد الذى مع أصحابه طوارق وبيارق وصلبان ورايات خوارق وكان أكثرهم قد أمرهم بذلك

لاجل ماتخفى أحوالهم عنداشرافهم على البلدفلماعبرأبو الدوح بالعساكر واستقام على الطريق المستقيمة حدثته نفسه أخذ ابنة عمه حليمة فسار يعلل نفسه وأنشد يقول .

| | |
|---|---|
| يادهر ويحك أن بلغتنى الاملا | ممن أحب ويمسى الحب متصلا |
| شكرت فضل أياديك التى سلفت | حتى أموت وتلقى نفسى الاجلا |
| قالت حليمة انى فيك زاهدة | فاذهب وخل لبنت السادة الفضلا |
| قد عذبت بجفاها مهجتى عجبا | وصار عتبى ولا أصغت لمن عذلا |
| وعن قريب أجازيها بما فعلت | إذا رأت دارها قد أصبحت طللا |
| أنا الذى سيفه إن سل سال دما | من شفرتيه وان حركته فصلا |
| وذا بلى كلما لفت عليه يدى | نظرت منه سنانا يسبق الاجلا |
| به أنال المنى من كف غانية | قد صيرتنى لاسباب الجوى مثلا |
| جهلت دينى وخليت المسيح لها | وظلمها قد تركنى أعبــد الحبلا |

فلما فرغ أبو الدوح من شعره سار وهو يعلل نفسه بالآمال حتى قارب دمشق وبقى بينه وبينها يوم أو يومين قال للرجال الذين فى صحبته اعلموا انى عولت على أمر وأقول أننا به نامن الانكار وننال مانحب ونختار إذ أنتم وافقتمونى عليه فقال له القوم وماهو فقال ناخذ من الديلم مع العجم الذين معنا ونشدهم على خيولهم عرضا ويكون معهم ألف فارس من العرب المتنصرة وندور نحن بألف فارس أخر بهذه البيارق والصلبان ونشرف بهم على البلد وهم معنا فى زى الاسارى حتى إذا ركب نائب عمى إلى ملتقاهم فلا ينكر حالنا أحد ويتقدم إلينا ويسأل عن أخبارنا وعساكرنا وأجنادنا فانا احدثه أنا بما يشدقلبه وأطول معه الحديث حتى يركض منكم خمسين فارس ونملك البلد والباب وقد هانت علينا تحت الامور الصعاب وأغرب بعد ذلك رقبة نائب عمى ونبذل السيف فى أصحابه ورفقته وقد بلغنا المراد مع اننا قضينا غرضا من أصحاب هذه البلاد فقال المستمعون والله يا أبا الدوح لقد أشرت بالصواب وقلت قولا تقبله أصحاب العقول والالباب لان عمك إذا بلغه هذا الخبر انكسر ولو أن عساكره بعدأوراق الشجر ونحن نعلم أنهم متفرقين وهم على الهرب عازمين وأنه يعود على آثارنا فى طلب البلد فتطمع فيه أصحابنا وكل أحد يعلمون بما قد فعلنا وههنا يكون هلاكه على أيدينا ونملك الشام من بعده ونهلك عسكره وجنده ثم أن القوم بنوا أمرهم على هذا الترتيب وشدوا منهم ألف فارس أسير وهم على خيولهم حتى شارفوا دمشق ووصلت أخبارهم إلى عند حامد بن حفيظ وهو الذى كان خليفة الحارث الغسانى على دمشق وكان عنده ثلثمائة فارس فركب وخرج ينظر أخبارهم يتحادروا من سائر الاقطار إلا أنهم ماأبعدوا عن الاسوار حتى بانت

لهم البيارق والصلبان والأسارى بينهم يتساقون فوق الهوان فقال حامد بن حفيظ يا للعرب انكسرت وحق المسيح فرسان العراق وجاء تنا فرسانهم فى الأصفاد والوثاق ثم جعل ينظر إلى مقدم الجيش وإذا به أبو الدوح فلما رآه ونادى لله درك يا أبا الدوح أخبرنى فقال له أبشر يا حامد بالنصر فقد كسر عمى عساكر الملك كسرى وأهلك منها خلق كثير واتبع آثارهم لبلاد ديارهم وما عدت إلا حتى أعرض هذه الأسارى عليكم وأسلمهم إليكم وقد أمرنى أن أجمع كل رجال الشام والحقهما إلى بلاد العراق لأن الراجل أنفع من الفارس عند الحصار ثم أن أبا الدوح تم مع حامد فى الحديث وهو يحدثه بالمحال إلى أن علم أن أصحابه قد وصلوا فاستقر بهم القرار حتى سل أبو الدوح حسامه من غمده وضرب به حامد طير رأسه عن بدنه وحملت بنو طى على الرجال بصحته فشالوهم على أسنة الرماح شيلا وأى شيل وقد أنزلوا بهم البلاء والويل وعدم منهم القوى والخيل وما سلم من الثلثمائة التى كانت من يخبر بخبر وكان أبو الدوح قد دخل على دمشق عند الصباح وقد أشرقت الشمس على الروابى والبطاح فما صارت الشمس فى قبة الفلك حتى لاح لأبى الدوح لوائح النصر لأنه بعد قتله لحامد ابن حفيظ أمر أصحابه فخلوا فرسان الديلم والعجم ودخل فى باب والبلد وهجم وقال الرجال والأبطال يا ويلكم مكنوا السيوف من العوام والقوا الهيبة فى قلوبهم حتى يتم لنا الأمر ونادوا باسم الملك كسرى يا منصور (قال الراوى) فعندها حملت الفرس وتبعتها العرب فوضعوا السيف فى أهل البلد وعلا صياحهم وانعقد وجرت الدماء من الأساق وقام الحرب وكانت الدثبة لأهل العراق لأن أكثرهم هربوا من فى يد روب وفاتوا المال بين ناهب ومنهوب وفيهم من طلب الكفاح ودام القتال واشتدت الأهوال وتصايحت النسوان فزعا على الأبطال والأبطال وكانت بوقات القوم قد ضربت على الأسوار فرحا بوصول الأسارى والنصر والنصر والظفر فمادت اختفت وعدمت فرسان الأعاجم وانطرحت عليهم العرب وبالسيوف الصوارم وبذل أبو الدوح سيفه فى الناس والعالم لأنه كان صاحب قريحة وأساس حدث نفسه بأخذ محبوبته حليمة من بين تلك الناس فسطا أبو الدوح سطوة جبار على الأقارب والجوار وصلح فى أهل دمشق يا ويلكم ارجعوا إلى دوركم والمنازل وتخلصوا من هذا البلاء النازل لأننى سلمت البلد إلى الملك كسرى ملك العرب والعجم لأجل ما فعل عمى فى حقى وغدر وظلم وغدا تشبح عساكره متتابعة ورايات الفرس مقبلة وطالعة وتجاوزن على هذه والمدافعة الممانعة إلا أن ترموا سلاحكم وتطلبوا سلامة أرواحكم وإلا سبيت منكم النساء والأولاد وفعلت بكم كما فعل

بأجنادكم لان عمى قد انكسر بالجيش الذى معه وأسر وهلك أكثرهم وأنتم اليوم رغبة الملك كسرى الحاكم على جميع الآفاق والبلدان فتلافوا أمركم قبل النوم ولا تدانوا هوازن الخدم تسبي عيالكم وما زال أبو الدوح يقول مثل هذا الكلام وهو يضرب فى العوام بالحسام حتى رموا من أيديهم العدد وما بقي للقوم صبر ولا جلد وطلبوا الامان وأغلقوا أبوابهم واحتموا خلف الجدار وما أمسى المساء حتى وكل أبو الدوح برؤس الدروب والمضايق صحابه ألف فارس من أصحاب السيوف والمناطق ودار وامن حول القصر بالف فارس آخر وكانت حليمة علمت بما جرى من أول النهار فلطمت هى ومن معها من الجوار وعلمت أن ابن عمها ما فعل هذه الفعال إلا من أجلها وانقطع ظهرها وحارت فى أمرها ونثرت شعرها ودقت صدرها وصارت تتاذى من الفزع وهى ترجف من الخوف والهلع وكانت قد ظنت أن أباها قد هلك وفى الحقيقة قتلت نفسها لما لطمت على خدودها واشتدت مصابها وندمت وتفكرت فيما عملت ونادت إلى أهلها ودارت بها بنات عمها فقالت من شدة خوفها وتحيرها من ابن عمها وحق المسيح لا بد أهلك نفسي ولا أترك ابن عمى يشمت بي ثم أن حليمة جذبت بعض سيوف أبيها ومكنته من فؤدها فلطمتها أمها ومزقت أثوابها مما أصابها وقامت إليها ومسكتها بيديها وقالت لها يا بنتي أنت إذا عرض عليك الزواج تقولي أنا ما أريد رجالا وما أريد إلا أبقى على حالتي ألقى المسيح بن مريم وأنا كما ترى طاهرة دينه ما يكون أعظم من هذا يا بنتي ثم أن أمها قالت لها بحياتى عليك اصبرى واسمعى مشورتى عليك إن كان لك فيها مصلحة وخيرة وإلا فعلى ما تريدى ودبرى ما تشتهى فقالت حليمة وقد منها بكلامـــا وكثر شكرا ما قولى يا أماه ما عندك من الرأى حتى أنظر ما أصنع ولشر هذا ولد الزنا عنى أدفع وإلا أتلفت مهجتى وتطول على خطيئتى ولا هذا الولد الزنا من ناصيتى فقالت أمها المصلحة يا بنتي والصواب أننا نسير ونشر شعورنا وجميع ما فى القصر من البنات والستات والجوار والمولدات وندخل كلنا على هؤلاء العرب والسادات الذين هم عندنا فى الاسر ونحن باكيات نادبات وتمسك كل واحد منا بذيل واحد منهم ونستجير بهم ونأخذ منهم الزمام ونبدى لهم ما جرى علينا من المصائب والاحكام ونضمن لهم الخلاص من الأسر ونردهم إلى أهلهم سالمين غانمين ونسألهم المعونة على هذا الشيطان الرجيم الذى قد داق علينا وجازانا بالنفاق وأتى إلينا بهؤلاء الاعجام من قفر أرض العراق وإذا علمنا بذلك ما نطاق أحدا منهم حتى نأخذ عليهم العهد والميثاق فاذا نصرونا وخلصونا جازيناهم بالاطلاق ومكناهم فى المال والسلاح والعدد والرستاق وإنهم هلكوا قتلنا نحن أنفسنا ونكون قد بذلنا

المجهود وما نسلم نفوسنا حتى تعجز عن أرواحنا فانى قد سمعت أباك مرارا يقول هؤلاء المحبوسين مالهم فى الشجاعة نظير ونحن وإيام قد أشرفنا على الهلاك على كل حال وإطلاقهم فى هذه البكرة خير لنا من أن يكونوا فى الاعتقال قال الراوى فلما سمعت حليمة هذا المقال تعلق قلبها بأذيال السلامة وركنت إلى كلام أمها خوفا من العقوبة والندامة ثم أنها جمعت كل من فى القصر من البنات الأبكار وحدثتهم حليمه بما سمعت من كلام أمها فأجابوها إلى ذلك ونشرت شعورهن أحسن من البدور والولدان والحور ثم سارت بهن حليمة طالبة الحكرة التى فيها عنتر بن شداد وأصحابه الأجواد وجميع الأسارى والكل ساهيات وقد نشرن شعورهن على أكتافهن قال الراوى وكانوا هؤلاء قد سمعوا الصياح لما ضرب البوق فى البلد وقوى الزعاق وانعقد وقعقعة العمد ورأوا الذين كانوا موكلين بهن قد تصايحوا وخرجوا على صياح النساء والحريم وفى ذلك الوقت دخلوا على عنتر بن شداد فى السجن وهم متهتكات وكان عنتر كثير الغيرة على الحريم فنكس عند ذلك رأسه لما نظر إلى تلك النساء والجوار التى أتوا امعها وقال لهن استرن يا حرائر وجهكن وأقلن من البكاء والانتحاب وحدثونى بما جرى على الحارث الوهاب وكيف طرقتكم هذه الأمور والاسباب فاعادت عليه حليمة قصة ابن عمها أبو الدوح وأخبرته بجميع ما جرى لها من الأول إلى الآخر ون وظاهر وأعلمته فى الآخر أنه قد احتال على البلد وملكها هو وطائفة من العجم فقدم إليه السيف فى القديم الحوام وتمسكوا يا مولاى الحرائر وكان فى فعله جبار جائر وما فعل ذلك يا وجه العرب إلا من أجلى حتى يملكنى ويجرى بينى وبينه ولا أحل له لكونى بنت عمه وهذا حرام فى دين المسيح وعند أهل المعمودية وليس سنة قبيحة فى دين النصرانية ثم أنهم ضمنوا لهم الاطلاق من الوثاق والعودة إلى أهلهم بالهدايا والتحف فقال لهم عنتر والله يا جويرات إن دخولكن إلى وأنتم على هذه الحالة والصفات قد أنسانى ومن الأمر والعذاب وقد لقد بغضت نفسى الحياة لعظم هذا المصاب وأنا أكشف عنكم هو الاغلال والوثاق حتى لا يكون عملت معكم مكرمة وطلبت فى مقابلتها الفضل والاطلاق والكرام لا يطلبون جزاء إذا جادوا بالعطاء ولا يذمون الدهر على ما مضى ويحملون هم النوازل التى تأتى من السماء لأن لنا ربا كريما يفعل فى خلقه ما يشاء ويقتلون رجال والارزاق وقد تحيرت فيه العقول والافهام وسلموا إليه الأمر والاحكام ثم أن طيب قلبها فوعدها بالنصر على وأمرهم باحضار عددهن وإزالة الاخطار عنهم ففكاهم من الوثاق ففعلن ذلك وكذلك فعلت بولده وأخيه مازن ورجع الاسارى

وما فيهم إلا من وعدها أن يتلف مهجته ويضرب ابن عمها بالسيف على قتله ويجتهد في قتله فقل عنها البكاء والخوف وباتوا طول الليل ينقلون لعنتر ولاصحابه السلاح والعدد ويفكوا قيود الرجال من الاعلال حتى صار وقت الصباح وفى ذلك الوقت زحف أبو الدوح إلى القصر فى جماعة من العرب وصارت تصرم الرقاب بالعمد (قال الراوى) وكان عنتر وأصحابه قد لبسوا الزرد وتدرعوا بالحديد المنضد فوقفوا للرجال بالسيوف والدرق وقالوا لاهل القصر لا فكم مصيح ويزعق واتركوهم يدخلوا فى أبواب القصر وانظروا ماذا ينزل عليهم من العذاب والحصر وكان الغلمان والخدم قد شدوا لهم على الخيول وقادوا لهم الجنائب ولم يركبوا بل قالوا هـذه اتركوها حتى نقتل هؤلاء الانذال ونخرج خلف من يسلم منهم إلى ظاهر البلد ويتسع علينا المجال قال الراوى وكان هذا التدبير من عنتر إلا أنه ما فرغ من المقال حتى كسرت الفرس الابواب ودخلت تتسابق إلى نهب الاموال وسبى الكواعب الاتراب وازدحمت الرجال واتفع لهم الصياح الذى




يذهل فى الإنسان وكان أبو الدوح يصيح مثل الشيطان وينادى يا حليمه أبشرى بالسبى الإذلال وعنتر يمهلهم ويكف أصحابه عنهم حتى صاروا جماعة فى القصر أكثر من ثلثمائة فارس فى ذلك الوقت زعق فى ولده ميسرة وأخيه مازن وأبوه شداد وباقى الرجال الاجواد

وقد هزوا فى ايديهم الصوارم الثقال وزعقوا فى الأعاجم كما تزعق الجمال وضربوا فى أطرافهم ضرباً شديداً أشد من وقعات الصواعق إذا وقعت على صم الجبال فأول من قتل كان أبو الدوح الذى دبر هذا التدبير واحتال هذا الاحتيال إلا أن ميسرة النقاه فحمل عليه وفاجأه وكان أبو الدوح قد صاح فى ذلك الوقت أنا قتيل هوى حليمه وسقيم جفنيها السقيمة (قال الراوى) فلما سمع ميسرة كلامه علم أنه رئيس القوم فضربه بالحسام جنب أذنه طير رأسه عن كتفيه وأما عنتر بن شداد فانه حمل على طوائف العجم فنثر منها الجماجم والقمم ومحق أبطال الديلم كذلك مازن وعروة ورجالة فانهم طلبوا القوم من ذلك الطريق والمخرج وقاتلوا قتالا يغم العدو ويفرح الصديق وصارت الناس تتزاحم عند الدخول ولم يعلموا أن الداخل فى القصر مقتول والذى وقف لهم أسداً كول كل ما عبر منهم قوم بعد قوم صار رؤسهم كوم جنب كوم وصياح القوم يسير ورؤسهم تتناثر وتطير هذا وصياح النسوان قد ارتفع (قال الراوى) ومازالت الفرس والديلم وعرب العراق تدخل وبنى عبس تمحقها محقاً حتى تضاحى النهار وارتفعت الشمس وانقطع مددها وضعف جلدها فعادت على الأعقاب تطلب الأبواب وهى هوازم هرب وصياح العوام عليهم من كل جانب قد انعقد ومابقى فيهم أحد يسأل على أحد لأن الحكام الذين فى القصر نادوا من أعلاه وبشروا أهل دمشق بالنصر وبلوغ المنا أعلموهم بفكاك الاسارى وبالأمر الذى جرى فعندها تبادرت العوام على أصحاب كسرى وأشفوا منهم غليل كل قلب وصدر زجوا عليهم الأحجار من أعالى الجدران رؤس الدرب وماسلم منهم إلا ظاهر البلد إلا كل صامر مهزول كان القوم يوم مهول (قال الراوى) هذا وعنتر وأصحابه قد ركبوا عتاق الخيول وخرجوا خلف المنهزمين إلى خارج المنازل حتى أهلك الباقين ولم تركهم فى أقطار البر مطروحين ورجعوا يطلبون البلد وعروة بن الورد يقول لعنتر يا أبا الفوارس إيش فى نيتك أن تفعل اتركنا حتى نأخذ الراحه ونتباعد عن الأعداء فقال له عنتر لا وحق باسط الأرض ورافع السما أتنا يا أبا الأبيض لم تغدر بالنسوان الذين أطلقونا من الأغلال والقيود ولا نخلى حليمه تقول نقضوا العهود بل نعود إلى البلد فان رأينا الأبوب على حالها وهى مفتوحة دخلنا إلى البلد حفظنا المكان إلى أن ينكشف لنا أخبار صاحبه وماجرى له وإن كانت الاخرى حليمة أغلقت الأبواب وفزعت عند الناس واضح بحفظ الذمام والوعد راجح (قال الراوى) وكان الحارث قد أنزل أسما فى القصر عند أهله وابنته وأمرهم

باكرامها لأجل ما رأى منها من الحسن والجمال والعقل والكمال وكان عنتر قد عاتب ولده ميسرة وأخاه مازن لأجلها وبسببها مرارا عديدة وهم فى الأسر فاعتذر له مازن عما عملوا وندموا على ما فعلوا فشكى إليه ميسرة ما لاقى من حبها زمن كان قد جرى عليه من أجلها فعذره عنتر ورحمه لانه كان على أهل العشق شفوق وبالمتيمين فوق هذا عروة بن الورد قد وافقه على الرجوع إلى البلد لما سمع منه ذلك الكلام تبع عزيمته فى الصدق والوفا والذمام وكذلك فعلت بنو عبس الكرم لأنها علمت أن الطريق بين يديها بعيد وأنها ماتعود سالمة إلا بها أما ميسرة فقال لعمه مازن اطلب بنا نحن الفلاة والنجاة ودعهم قال الراوى فقال له مازن يكفى ما مضى ولاعدت أتبع لك رأيا أبدا لأنى ما رأيت من رأيك خير لاسيما فى هذه النوبة كانت تضرب رقابنا بجهلنا ألقانا فى الأسر والمصائب لولا اعتذر له أخى وقبل عذرنا كان أهلكنا وإن قبحنا عليه مرة أخرى ما يرجع أبدا الدهر يسمع منا مقال ولا يقبل لنا احتيال لم يزالوا على مثل ذلك حتى قاربوا أبواب البلد فرأوها على حالها مفتحة الأبواب والقوم يدعون لهم من الأسوار وساروا يطلبون القصر والقسوس والرهبان فتلقتهم حليمة وحولها سائر الجوار وقد لبست ثياب الملك والافتخار ونثرت عليهم النثار واستقبلتهم بالفرح والاستبشار قالت لعنتر يا أبا الفوارس أنتم اليوم أصحاب البلد لأنكم بسيوفكم خلصتم الجميع لولاكم كانت بيوتنا خربت وأصحابنا مع الاعداء سبيت أنا أسألكم أن تنزلوا فى هذه الدار التى أخليتها لكم تمنوا على باحسانكم بالمهلة إلى أن يأتى أبى سالم يكون لكم ذخيرة على نوائب الزمان فقال عنتر والله يا حرة العرب من وقتها ما رجعنا إلى البلد نريد منكم مجازاة ومال ولا بالصدق فى المقال لاننا وعدنا كم أن تنكشف عنكم الشدة ترجع إلى ما كنا وما قد رجعنا فافعلوا ما شئتم ما تشتون العبد ما يقدر أن يعارض مولاه فيما يفعل والصبر للقضا أجمل فلما سمعت حليمه ذلك تعجبت من هذا المقال علمت أنه اعتقاد صحيح بعيد عن المحال كانت قد أخلت لهم دار كبيرة فى القصر أنزلتهم فيها وأمرت الخدم بالمراغبة فى خدمتهم ليلا ونهارا أنفذت من وقتها نجابين خلف أبيها تعلمه بما جرى ثم أن القوم باتوا فى النعيم يتقبلون بسلامه أنفسهم ويتباشرون لانهم كانوا فى ذلك الاسر ينتظرون الهلاك فأمسوا يتحكمون على أعدائهم كما تحكم الملاك فى الاملاك (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح أتى حليمة جماعة من الذين على الاسوار قالوا لها أيتها السيدة قد لاح لنا باحية حيرغبار يدل على

أن تحته عسكر جرار ونقول أن اباك لاشك فزع وسمع بما جرى علينا وتم لنا فرجع عن قتال كسرى فزعا من ابن أخيه على البلد خوفا من دواهيه فلما سمعت حليمه من الخدام هذا الكلام فرحت بسلامه والدها وركبت فى جماعة من الحشم وخرجت إلى ملتقاه إلا أنها ما أبعدت عن البلد حتى لاحت أعلامه وصلبانه عرفت ذلك فتحركت اليه لتقص عليه ما قاست فى غيبته قال الراوى كان السبب فى عودته حال عجيب وأمر غريب لأنه لما التقى بعساكر كسرى وخامر عليه بن أخيه قد التجأ إلى الفرس قتل من رجاله من قتل ورأى الأمر يطول وأبصر جيش العراق ضعيف فاخذ الالفى فارس الذين ذكرنا واتى يحملهم على دمشق كما شرحنا كان أبو الدوح قد خلى عمه مقابل العساكر الذين للعراق فبا كر طائفه الاعجام بالقتال وحمل بخياله الافرنج طائفه الروم والأبطال ونصحت فى ذلك اليوم بنو فزارة وعرب الشام وكان للقوم وقعة عظيمة عسرة فيها الخناق ضاق وتقطعت الأعمار والأرزاق وعملت الرماح الدقاق والسيوف الرقاق وفاز فى ذلك اليوم من كان درعه من الدروع الصفاق ووقع السهام فى الأحداق وصرمت الانفس والأرزاق واستظهرت عساكر الشام على عساكر العراق وأسر من الديلم والأعاجم خلق كثير بالارهاق وعملت الاسنه فى الأحداق وسار اياس بن قبيصه يقوى عرب بنى طى ويحرضها على الحرب والطعن والضرب كذلك رستم مقدم العجم قاتل قتالا مر المذاق تعجز عنه صناديد الرجال لأنه كان جبارا إلا يطلق قال الراوى ومن أخبار دمشق فهذا الذى ضيرهم على البلاد وهون عليهم شراب الردى قد التجؤا إلى الجبل الطويل وقتل منهم خلق كثير وبقوا لأخبار أبى الدوح فى الانتظار وقد أيقنوا بالهلاك الدمار ولما فيهم من بعد الديار ودارت بهم خياله الافرنج وفرسان العرب أخذوا عليهم كل الطريق ومذهب وكان الحارث الغسانى قد استولى ذلك اليوم على خيام كثيرة من خيام العجم ومن خيام كسرى وملك أكثر مضاربهم وخفص من خلص من الأسارى واسقر بهم القرار وافتكر فى ابن أخيه أبى الدوح وقال اليوم ما رأيته برز إلى الميدان ولا طلب منا برازا ولا وقعت عينى عليه وقت الحمله فى القتال ما غاب إلا لسبب من الاسباب وكان أكثر من قد السؤال بعض الأسارى الذين خلصهم ثم سألهم عن حديثه وقصته ما كان من نوبته فاخبروه ذلك الأسير بانه رحل إلى دمشق يحتال على فتحها لما فى قلبه من حليمة لأنه وعد اياس بن قبيصه

يفتح البلد وهلاك من فيه من أهل الشام قال الراوى فلما سمع الحارث هذا المقال كثر قلقه وزاد أرقه وعض يديه وتحير فى أمره ومابقى يقدر على المقام ولا يأخذه قرار فدعا بملك الافرنج وخيالة البحر وأخبرهم بما قد سمع عن ابن أخيه وكان قدقال لهم إذا ملكت دمشق خرجت الشام من أيدينا وتمكن عرب الحجاز والاعجام حوالينا وقدرأيت من الرأى أنى أعود بالعرب المتنصرة لعلى الحق البلد وتبقى أنت هاهنا فى مقابلة هذه الطائفة التى ضعفت وقد التجأت الى هذا الجبل وتطولها بالبراز والقتال حتى أعود اليك فقال له ملك البحر افعل مابدالك لأننى فى هذين اليومين ماقتلت ولا كلفت نفسى بشىء من معاناة الحرب ومواقع الضرب ولا رأيت أصحابى أتوا إلى عنـــد الصباح أتولى بنفس قتال الأعداء ولا أخيك تعود وقد بقى منهم أحد واجعل الكل ممدين فى البيدا قال فلما سمع الحارث كلامه طابت نفسه واطمأن قلبه وأنفذ نقباء فدارت على مقدمين عساكره وأعلموهم بماجرى فاجوا واضطربوا من خوفهم على الحريم والعيال والأولاد وركبوا من وقتهم وساعتهم على الخيول الجياد وتقلدوا بالسيوف الحداد وأخـــذوا فى أيديهم مقنطاريات المداد وما انتصف النهار إلا وهم عائدون على الأعقاب متتابعين الافرنـــج والروم وعساكر العراق وسار وهو لايعقل على شىء ولايدرى من غاب أو حضر وجد فى المسير حتى طلع عليه الصباح واستمر على حاله وهو يوصل الليل بسير ونهار هو وأصحابه وتحتهم الخيول السبق وهم مثل البرق إذا برق وساروا جرائد حتى أتوا قريبا من دمشق قبل أن يصبح الصباح فالتقوه النجابين التى أنفذتهم حليمه وأخبروه بماجرى فقر قراره وخدت ناره عند الصباح رسل والفرسان فى آثارة وهم منقطعين وراه من خمسة وعشرة فالتقته ابنته حليمه وحولها جماعه من الخدم وبكت عند ملتقاه فرحا بلقتاه وكانت عند ركوبها إلى ملتقاه تامر بذلك لأن أباها لما سمع بتلك الفعال التى فعلها الأمير عنتر تعجب من حسن مروءته وشرف نفسه وهمته وصدق خدمته وقال والله العظيم مابقينا نقدر نكافىء هذا الرجل الكريم ولا نقدر نجزية بشىء من حطام الدنيا بعدما قد صان حريمنا وخلص بلادنا من الأعداء ثم أمر العساكر فنزلوا ودخلوا إلى المدينة دخل هو إلى البلد حوله جماعة من أرباب دولته وخواص مملكته فلما صار الحارث فى القصر سار إلى عنتر هو وأصحابه وأتى اليه ودخل عليه وهو متبسم فحياه وسلم وقال أبشروا ياسادات العرب وأهل الحسب والنسب وأصحاب المنازل والرتب ببلوغ المنى

وسلامة أنفسكم من الفنا لأن الصنيع الذى صنعتموه معنا ماضاع وماوقع إلا فى أزكى الأراضى والبقاع ومادخلت اليكم إلا فى طلب العذر منكم وأشكركم على ماأوليتم من الجميل مع أهل بلد بصنعكم وحفظ الحريم والأولاد والبلاد ثم تقدم إلى عنتر وكان عنتر قد قام له لما أتاه وسلم عليه هو ورفقاه وقبله بين عينيه وشكره وقد أثنى عليه كذلك فعل باخيه مازن وولده ميسرة وعند انتهاء السلام قال لهم أعلموا ياوجوه العرب أننى فى هذا الوقت ماأقدر على مجازاتكم ولا لى فى اطالة الحديث معكم فسحه لأنى قد تركت عساكر النصرانية وأهل دين المعمودية فى مقابلة عبدة النار وأنا وحق المسيح خائف من الانكسار وإنى اشتهى منكم فى غداة غد يشدون معى وتعينونى على قتال الأعداء فاذا تفرغت قلوبنا من هذا الوجه جعنا إلى ماهنا وأخلينا بالنا لخدمتكم والحديث والمؤانسه معكم لأن معرفتكم عز وشرف ومعاداتكم جهل وعجز وشرف قال فلما سمع الأمير عنتر هذا الكلام من الحارث شكره على مقاله واستجاده على أعماله وفعا له وفعاله قال الراوى ثم قال له عنتر ياملك نحن عبيدك ومالا نزل من خدمتك حتى تمن علينا بالاطلاق فسر بنا أيها الملك أينما سرت وتحكم فينا بما هويته وأبشر بكسر عساكر كسرى وضرب رقاب الديلم والعرب والعجم ومن عليها مقدم إلا أنه يكون الملك النعمان معهم فما نغدره ولانخونه على كل حال صهر لمكنا قيس وصاحبنا القديم وبيننا وبينه نسب ووداد قديم قال الراوى فلما سمع الحارث هذا الكلام والمقال علم أن عنتر ما عنده علم بموت النعمان فعندها قال له الحارث اعلم ياأبا الفوارس أن صهركم النعمان قتله الملك كسرى بالحيلة والخداع وأخلى منه المنازل والبقاع بعد ماجرى فى ديقار من كل عجيبة هذا الذى أتى إلى قتالنا اياس بن قبيصه وما كنا الاقد أشرفنا على أثره وهلاكه قال فلما سمع عنتر بقتل النعمان تجددت عليه الاحزان وتلهبت فى قلبه النيران وعلم أن بنى عبس قد هلكوا وذلوا من بعده تهدمت منهم الاركان وقال وقال وسفاه عليك يابن ماء السما يا له من عام أشمه على الفرسان وملكهم بكسرى والله لاتركن العراق قفراء من القفار ولاخلينها من الاعاجم وعبدة النار ثم قال للحارث قم يامولاى أسرع الرحيل وبشر بما يسرك والتقى بنا على هذه الطائفة المراقية حتى نبليها بكل بليه ولا يبقى منها بقية فقال الحارث لى حيلنا يكون غد الآن النهار قد انقضى ثم نقلهم إلى الدار وكان الملك الحارث ملك عظيم وسيد من سادات ملوك الاقاليم وقد اندهشت بنو عبس وعنتر مما قدم لهم من كاسات وطاسات واقداح من الفضة والذهب الاحمر وقضى معهم بقية النهار وهو يحدثهم بما جرى ويدبر بما يريد يجرى ويتعجب من طوارق الحدثان وحوادث الزمان ومازالوا على ذلك

الرواح والايضاح حتى بدا الصباح فعندها خرجوا إلى الخيام وأخذوا أهبة الرحيل وعولوا على المسير وإذا بالطريق التى يريدون أن يعبروا منها قد أظلمت وأسودت جنباتها بالغبار واعتمت وكان غبار رائد يدل على عسكر كثير وارد فقال الحارث وحق المسيح هذا ملك البحر قد عاد منهزم ومعه بنو فزارة وأنا أعلم أنهم بعد عودتى عنهم قد وقعت بهم الخسارة ثم ركب ونادى فى عساكر الشام فثارت من المضارب والخيام وساروا على ظهور الخيل وبادروا يطلبون الغبار قال الراوى وكان هذا الغبار لعسكر العراق وسبب ذلك أن ملك الافرنج لما مضى الحارث الوهاب وعاد إلى دمشق أصبح قدامه جيش كسرى وطمع فيه وهو مدل بشجاعته فأراد أن ينجز أمرهم ويكسرهم قبل عودة الحارث إليه فبادر القتال وزحف عليهم بخياله وكان اياس بن قبيصة قد نظر عند الصباح إلى طوائف النصرانية فرآهم قد خفقت وفقد منها عساكر الشام فقال لرستم مقدم العجم أعلم أن صاحب دمشق قد رحل فى الليل بعربه وإن صدقنى حذرى فان أبو الدوح قد فعل فى دمشق فعلا أوجب رحيله الرأى أننا نحمل على من بقى وتكسرهم ونطلب دمشق ونعين أبا الدوح وإلا قد هلك هو ومن معه ثم أمر المقدمين فنادوا فى العرب العجم ونزلوا وقد قويت منهم الهمم على الحملة وإذا بملك الافرنج قد برز إلى الميدان وتقدم إلى مكان الضرب والطعن وكان أراد بذلك كسر حدة الفرس وامتناعهم عن الحملة فخرج وعليه درع مذهب أرهج البر والتهب على رأسه بيضة لامعه مثل الكواكب ولها من كل جانب صليب من الذهب بهندام صنعة الحكماء وفى يده قنطارية خلنجيه مليحة التكعيب قوية على رأسها سنان كأنه شعلة نار صاحبه فى هيئة بطارقة تردد كل خطبه بارقه وتمبع أسنة الرماح الخارقة ترد مضارب السيوف البارقة تحته جواد من خيل البحر الجياد يسبق البرق فى الانقضاض ويفوت الرعد عند جريه وقت الاعراض

قال الراوى إلا أنه لما صار بين الصفين واشمخ بين الفريقين ردهؤلاء إلى وراءه وعاد إلى مقامه وطلب البراز وجال فى ميدانه على جواده حتى كل من رآه عاد أشار إلى الطوائف العرب وطوائف العجم فهموا القوم إشاراته وفهموا عباراته وعلى أنه يريد البراز والقتال فارسا الفارس فقفزت إليه افرسان بنى طى من كل جانب وحى وصارت تطلب فارسا بعد فارس وهو يخطف أرواحها ويرمى إلى الأرض أشباحها قال الراوى إلا أنه ما قتل أكثر من خمسة وعشرين فارسا حتى وقفت عنه الفرسان وأرادت فرسان العجم أن تبرز فما مكنهم من ذلك

رستم بل صاح فيها وردها إلى ورائها وقال لهم اثبتوا فى مكانكم ولا تخرقوا حرمتنا مع هذا الشيطان الذى قد فتك فى فرسان العجم والابطال لانه جبار عنيد وشيطان مريد وماله دواء غير هذا اللت الحديد ثم أن رستم قفز يطلب مهه الطراد وهو على جواد يحاكى الليل فى السواد بقوائم شداد وهو من الخيل الجياد مدخر ليوم الطرد وعليه درع أشد من الصلد وأقوى من الحجر الجلمد لا يعمل فيه الصارم المهند ولا الرماح الاملد صنير العيون كثير الفنود يرد عن صاحبه مرارة المنون وعلى رأسه ترك كسروى من البولاد قوى محزم بالذهب معدل مكتب متقلد بسيف مشطب مليح عريض كثير اللمعان وفى يده عامود طويل رزين ثقيل لو ضرب به قده أو حصن هدمه قال الراوى ثم أن رستم لعب بالعامود فى الميدان ورجال وصار حتى أذهل العقول وعاد إلى ملك البحر يطلبه أسرع من البرق الخاطف اليمانى أو السحاب الواكف الهملانى فعندها تلقاه الفارس الافرنجى بقلب ملآن لا يفزع من الموت ولا يخاف الفوت وثار على الاثنين الغبار وانعكف ودام بينهما الضرب واختلف وكثر من الفرسان التحرك والاسف على ماجرى عليهم من العراك والشبال وخشوا من الموت والهلاك فرأى ملك الافرنج عند ذلك القناطرية اليه ورمى عليه أراد كسره وانجازه وكسر العساكر من بعده فهم رستم إلى فارس البحر وانتبه لطعنته حتى عبرته وجازته وضرب أن يلوى الجواد ويرجع فضربه على الطاسة وكان قد ركبها على رأسه فكسرها ونزل العامود إلى البيضه وقد خسفها ونزل على رأسه فهرسها ورماه إلى الأرض وقد زهقت نفسه وخسف حسه إلا أنه ما وصل إلى الأرض حتى اختلط مخه فى عظمه ودخل بعضه فى بعض وترشرش دمه طولا وعرضا وحمل رستم نعضة على طوائف الفرس وأمرهم بالحمله على أعدائهم فخرجت جميع العساكر وتبعوه على فعاله ونظر ابا عامر بن قبيصة فعاله قبائله أعماله وتبعة فى الجلة بجميع العرب وقد لاح النصر واقترب وعلموا أنهم قد خرجوا فى الهلاك إلى الوجود بعد العدم وقلب طايفة الشام عن أهل العراق فحملوا عليهم باسنة الرماح الرقاق وقد ضربوا فيهم بالسيوف العتاق ووقع الضرب على المناكب والاعناق فى بطون القتلى وهم مطروحين على الأرض بالخيول العتاق وتثرث الفرس جماجم الابطال باعدتها الثقال وهتكت بعضها عددها الصقال واطلاقها وزردها فى المجال ورأت الافرنج وأهل الشام إلى ملكها قتل والحارث الغسانى فقد تدارت رؤس خيلها نحو انطاكية وطلبوا الهرب ووقع فى بنى فزارة الفرس والعجم من ألف أسير وطلب الباقون أرض دمشق الشام وركبوا الجنايب

وانسدت فى وجوههم المذاهب ودارت بهم عساكر العراق من كل جانب وقصر جواد سنان بن أبى حارثة فاخذ به أسير قال الراوى وتم الطعن يعمل فى ظهور الباقين حتى أشرفوا على دمشق وهم متفرقين من عشرة وعشرين إلا أنهم ما سلم منهم إلا القليل وذلك لاجل بعد المسافة وشدة المخافة ووصلوا كما قد ذكرنا ورأى الحارث غبارهم كما وصفنا؛ فركب هو والعرب كانه الأسد الضرغام وركبت الأبطال وخرجوا من الخيام وركب عنتر بن شداد وولده وأخوه وعروة والرجال الأجواد وركضوا خيولهم ويطلبون السوار فرأوا بنى فزاره وهى تخرج من تحت الغبار هاجة على رؤسها فى الأقطار متحيره فى الفلا من البلاء والأضرار وهى لا تسمع خطاب ولا ترد جواب ومازالت جميع طوايف النصرانية كذلك حتى وصلت إلى فوارسها قدام الحارث الوهاب فرفعت أصواتها بالبكاء والانتحاب وأعادت ما جرى لهم من تلك الأسباب وكم قتل منها من المشايخ والشباب فاشتد قلقه وحرقه وقال لهم ويلكم وملك الافرنج وخيالته هربوا ولا عطبوا فقالوا له يا ملك خرج من بعدك فارس إلى الميدان وطلب براز الفرسان ومازال كذلك إلى أن خرج إليه رستم مقدم الفرس والعجم فعجل حمامه والعدم وضربه بعامود حديد خلط لحمه مع عظامه والهم من عندنا السعاده والتوفيق لا تنازعنا عن الحريم والأولاد كما نزعت من ابن أخيك على البلاد فدع الاطالة فى المقال وخذ وأهبة الحرب ومقتال لقتال لعلك أن تخلص سادتنا من الأسر والاعتقال قال فعندها دار بنفسه على الأبطال ورتب الرجال يمينا وشمالا هذا يعرض بتدبيرهم لكن آل أمرهم إلى التدمير وكان ميسرة قد عرف منهم جماعة فقال لأبيه عنتر صاحب الشجاعة يا أبتاه دعنا نأخذ ثارنا من هؤلاء الأوغاد ونجازيهم على ما فعلوا فى حقنا فى الرضيف الوهاد فقال عنتر يا ولدى دعهم يكفيهم ما لقوا من النكال لعل الله القديم المتعال قد أخذ لنا منهم بالثار وكشف عنا العار وترك سادتهم فى الأسر مع عبده النار نحن قوم أمننا الحارث على بلاده وعساكره وأجناده وما بقينا نقدر نأسى على أحد من أهله ووداد إلا إن ظهر منهم شىء يوجب نقض الذمام والضرب بالحام والصواب أننا نعينه على أعدائه ونتصره على ما قد عاداه ونعود على بلادنا سالمين على ما قد جرى عليهم بعدنا بعد قتل النعمان ونجتهد فى أخذ ثاره على أى حال كان قال الراوى ما أتم عنتر هذا الكلام حتى سدت الآفاق وارتفع لهم ضجيج وزعاق وارعاد وإبراق تحير الاحداق لأنهم كانوا ظنوا أنهم ملكوا الشام بأصحابهم وأن أبا الدوح قد احتمى فيها بأجنادهم فصاح صياح الطمع

هـ برق جديدهم ولمع وخفقت الازدهارات والرايات السود ونعرت البوقات وارتفعت البنود ودقت الطبول الكسروية وأبصر إياس بن قبيصة خيام الحارث خارج البلد فظن أنه نزل يحاصر بن اخيه فصاح فى بنى طى كذلك فعل رستم فى طوائف العجم واستقبلتهم عرب الشام وحملوا عليهم وحملت الشجعان على الشجعان وأبصر عنتر كثرة العدد فخاف على عسكر البلد من الانكسار وخاف أن يطول به المقام فى تلك الديار وزاد شوقه إلى عبلة واشتغل خاطره بقتل النعمان فما صاح فى عروة بن الورد فخاضوا هم وأصحابهم بتلك الغبرة وضربوا الرقاب واسروا الرجال والشباب وطعنوا الصدور وسطا أبو الفوارس عنترة سطوة الشجاع البطل فلله درما زلزل ميمنة وميسرة كم قتلوا فى الميمنة والميسرة هذا والوحش من حول الصياح نافرة ولما جن الظلام فاجتمعت الفرس حول رستم وسكوا اليه مالاقوا من عنتر وأصحابه صاروا هم يصفون مالاقوا من طعانه وضرابه كذلك العرب شكت أيضا إلى إياس فقد قطعوا من النصر الاياس فقال ما أنا الاعاذركم فى مقالكم وانا متحير من هـذا الشيطان الذى أمالكم وحصوره إلى هذا المكان لقتالكم فاظن أن أبا الدوح هلك على يده فلولاه ما كان الحارث أمن من وراءهم ثم انه اشتهى أن يعرف السبب الذى أتى بعنتر إلى بلاد الشام فاحضر سنان بن حارثه فسأله عن حال عنتر بن شداد فايش الذى أوصله إلى هذه البلاد فقال له أيها الملك الجواد أنا الذى أتيت به ومعه أربعمائة وخمسين فارسا من بنى عبس الأجواد ثم انه حدثه بما فعل فى الرصيف والرمال والقصة التى جرت له ولعنتر على صورة الحال وقال له فى آخر الكلام وما سرنا نحن إلى قتالكم أيها الفارس الرئبال إلا عنتر وبنو عمه فى الاعتقال ثم بعدها مانعلم ماجرى عليهم من الأحوال لكنى أقول أن أهل دمشق أطلقوا الاسارى الجميع لما ملك أبو الدوح منهم البلد فطلبوا النصر منهم فنصرهم وكان فعالهم سببا لخلاصهم فلما سمع إياس هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وبان له صحة المقال فقال الشيخ سنان والله ياسنان لقد أبقيت بعد ظفرك على ناس ما يستاهلون البقاء والله لقد جلبت إلى بلاد الشام عبد لايدارى ولا يلتقى وفى رأسك تقع الحراة والدهية والخسارة لأننا نحن أن عجزنا عن أرض الشام ورأينا الأمر علينا صعب المرام أخذ ثارنا وصلبنا كم ها هنا على الأخشاب

وعدنا على الأعقاب إلى أرض العراق من بعد ما نقطع البراري وتلك الافاق ثم أنه بات في نار الاحتراق إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ثارت العساكر تطلب الحرب والكفاح وتقدم إلى رستم مقدم الفرس والعجم والديلم وقد أخبروه بما سمع من عنتر من الحديث والخبر ثم قال الله أعلم أننا ما بقينا ننال ما ننال وما نريد ما دام قد حضر هذا الشيطان المريد والجبار العنيد والرأى أننا نبذل المجهود ونحن وهذه العساكر والجنود يومين أو ثلاث فان لاح لنا وجه النصر بتنا والا سقنا لاسارى من بني فزارة بين أيدينا في الصحرا وعدنا إلى كسرى فقال رستم لا وحق الشهر والقمر والنار ذات الشرر وما فيها من الحرارة والاسر ما أعود من هذه الديار حتى أفنى كل من في دمشق عن عباد الصليب والزنار أن كان خوفك من عنتر وبني عبس فانى أهجم إلى مطلع الشمس وما أترك منهم من يخبر بخبر الا وأقلع منهم الاثر وأفعل بهم كما فعلت بملك البحر الذى قتلته ودمرته وأن كنت من أمرك على هؤلاء القوم وقد حدثوني عن هذا العبيد الأسود بما قد اشغل خاطرى وكدر ضمايرى ثم أنه قفز من وقته وساعته وقد اشتد به الحرد كان غايصا في الحديد والزرد وعلى رأسه خوذة تتوقد وقد رسم فيها صورة المعبد ومن تحت نخذه جربه قوية في طعنها أسبق من المنية ومن تحته جواد أجرد وله قوايم كالعمد وبين عينيه غرة كالفرقد وفي يده عامود ثقيل الحلقة إذا ضرب به الحجر انفلق أو الصخر انصدع وإذا هزه في وجه الأسد يجزع الاقران من أمة الصليب وقصد أنجازهم من قريب فبرز إليه فرسان بنى غسان وتبادرت ولكن خابت آمالهم وتحسرت وقل نشاطها وقصرت لأنه أهلك منها بعاموده أكثر من عشرين من الرجال وفي دون ساعة في حومة المجال ومازال حتى قصرت عنه الابطال ولما أبصر عنتر تقصيرها معه زاد بلاده وطمعه وعلم أن الأبطال دخل في قلوبها منه الفزع والانذهال والبدع فهز العامود في يده حتى لمع وهجم في الصفوف هجمات الأسد الادرع فطلب الصلبان العالية والبنود بقلب أقوى من الحجر الجلمود وحدثه نفسه أن يطلب الصليب والصلبان حتى اعترضه ميسرة بين الفرسان وزعق فيه أرعبه وطعنه بالرمح فانكسر من الحديد الذى عليه ولم يركبه ولكنه من شدة الطعنة ارتعد وسقط من يده العامود ووقع ومن قوة عزيمته استلب الحابة من تحت نخذه بخفة وعاد إلى ميسرة عوده الأسد الادرع وميسرة كان احتار بعد كسر رمحه وأبطال فمنته فحول أن يسل حسامه ويقاتل خاصمه ويعجل حسامه فرأى عاموده قد وقع وصاحبه قد انجزع فانقض عليه أخذ العامود واستقبل

رستم وقد رجع اليه وهو يهدر كهدير البعير فلما رأى رستم إلى ميسرة هز الحربة المذكورة وهى كأنها نار السعير فعندما رأى خصمه ملك عاموده بفنونه زادت جنونه وهز الحربة فى يمينه وزجها إليه يريد بها صدره فال ميسرة عند إقبالها على ظهره حتى جازته إلى ورائه واعتدل إلى ظهر الجواد وأندار فرأى رستم وهو يبربر بلغة العجم ويذكر النار والنور والظل والحرور فضربه ميسرة ضربة بالعرض قلبه من وقته إلى الأرض وأدخل بعضه فى بعض فلما أبصرت عساكر العراق قتاله ضجت لعجيجته ورفعت أبصارها إلى السماء وطلبت لها أنصارا رحما وحملت بنو طى مع إياس وصرخوا صرخات عظيمة فخاف عنتر على ولده وغلغل وصاح الحارث فى عرب الشام فحملت من تحت الأعلام وطلع الغبار إلى العنان وعمل الصارم اليمان وصارت الاخوان أخصام وقد اشتد بين القوم الصدام وكانوا فرقا مختلفة الأديان فتجاوبوا بلغات شتى تحير العقول مع الافهام وعبست الوجوه بعد الابتسام وقت الظلام (قال الراوى) وفى تلك الساعة تغلغلت عساكر وكذلك العرب وإياس بصيح عليهم وهم لا يسمعون كلام لأنها قد هانت عليها الاموال والرجال من شدة الفزع والاندهال وأبصرت من بنى عبس وعنتر قتالا وأى قتال فولت على الخيل السبق طالبة الاستار تحت الظلام والغسق لحق مازن أخو عنتر لإياس ملك العرب وكان عول على العرب ففتك فى خواصه وضربه ثم أنه وكره بضربة واصلة من غير مجاوزة إلا أنها مشبعة قاتلة فلم يزل يقطع الحديد الذى كان عليه وجرحه جرحا بليغا بين كتفيه فاخذها وتبع الهرب ولا التفت بل عاد على الاعقاب وأيقن بالبلاء والعذاب والذهاب ودارت به جماعة من بنى عمه والأصحاب وتبعة عساكر العراق بعضها على بعض وتشتتوا فى تلك الاقطار والأرض وكان قدوم الليل من جملة الاسعاد حتى يبعدوا عن البلاد (قال الراوى) هذا وعنتر قد عاد هو والرجال الذين قدمنا ذكرهم مما ملؤا الأرض بالقتلى وكان ميسرة قد أشفى فى ذلك اليوم الغليل ونزل فى قلب أبيه المنزل الجليل لأن عنتر نظر إلى ميسرة ورآه فعل فعل الجبابرة وهو عائد على أثره والدماء منه تسيل كأنه الأسد النبيل والهمام الجليل ومع ذلك ينشد ويقول .

| | |
|---|---|
| إذا لم أخل الدما وسائله | على حسامى والدرع والسلب |
| فما بنو عبس لى مناسبة | ولا ابن شداد فى المخر أبى |
| فارس عبس إذا الغبار علا | وجرد الموت صارم العطب |
| سلوه عنى إن كان أعجبه | طعنى وضربى فى الفرس والعرب |

وبعـــد تلك الفعال قربنى ‏ وقـــد رضى بعد ذلك الغضب
عشقت سمر القنا وهمت بها ‏ وعشق سمر القنا من العجب
والسيف فى المهد كان يؤنسنى ‏ وفى يمينى كما ربيت ربى

قال الراوى ولما كان عنتر فى ذلك اليوم يرى فعاله ويسمع شعره ومقالة الشرح صدره، واشتد به ظهره هذا وعساكر الشام الذين هم راجعون من خلف عساكر العراق. يتبادرون إلى خيام الاعاجم وهم يتتابعون إلى الأموال والغنائم وكان صاحب دمشق. الشام لما كسر عساكر الاعاجم وأمر بدق الكاسات ونعير البوقات وتقدموا بالصليب والزنار إلى مضارب عبدة النار فنظر الحارث وأصحابه نعما لا تحصى بعدد الرمل والحصى وغنائم عظيمه ومحاسن شريفة من رجال وآنية وأثقال وخيل وبغال ونوق وزاد وده. بالنظر إلى تلك الأموال والبدر قال الراوى وقد ذكر أن سنان بن أبى حارثة وحصن بن حذيفة جميع كثيرا من بنى فزارة كانوا مع عسكر الملك كسرى مأسورين فخلص. الحارث الجميع منهم والوضيع وأحضرهم بين يـــديه بعد أن هنأهم بالسلامة. وبشرهم بالكرامة وأعلمهم أن بنى عبس وعنتر الذين صانوا الحريم والعيال وقتلوا أبا الدوح اللئيم ورد إليهم عنتر البلاد فذابت منهم الأكباد لما سمعوا هذا هذا الكلام وزادهم الكياد والحسد والاحقاد ولكن ماقدروا يظهروا بغضة عنتر بن شداد قال الراوى ولما رأوا الحارث قد أصفى لهم الوداد ولبنى عبس وبنى قراد وجعل اعمادة عليهم من قبيلته وحلفاه وأقرباه قوموا بنا يا بنى عمى نعتذر إليه عما وصل منا من الأذى سابقا. إليه والقبيح الذى معه فعلناه فكم يصل حبل الود ونحن نقطعه وكم حفظنا ونحن نضيعه بجهلنا فإنه والله أحسن إلينا مرار عديدة وخلصنا من كل بلاء وشدة قال الراوى ثم أنه. أخذ معه حصن بن حذيفه وجماعة من سادات قومه الطيبة وقد التقوا بعنتر فى ظاهر الخيام وهو راجع من خلف أعداهم الاعجام فرفعوا أصواتهم بالدعاء وهنوه بالنصر على الأعداء فعند ذلك قال له سنان أهلا وسهلا بفارس العرب ومفرج الكرب الذى ما يعمل معه الغضب أولا يعرف الحرب قد اتينا ياابن العم نطلب منك الاعتذار ونقذف القبيح الذى فعلناه معك مرار فإن وهبت لنا حفظا بابا والا فامزج هذا الدم الذى على سيفك بدمانا لأننا قد اشتقنا إلى منازلنا التى ربينا فيها والأوطان وملنا من الغربة والهجاج. وقد مالت منا جماعة إلى عبادة الصلبان وقد نسينا البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام ومالنا جار ولا امام وما بقى لنا شافع إلى الملك قيس سواك ولا نرجع إلى ديارنا الا برضاك

يانتيجة الدهر ويا جوهرة العصر لأننا نريد من اليوم نعيش تحت ظل حسامك (قال الراوى) ثم أنه بكى بحرقة وتأوه وتقلق فرق له قلب عنتر لما رآه يبكي واعتنقه وقبله وقال له يا مولاى يعز علي أن أرى أحدا منكم بضام ويخلى أوطانه ولكن هذا كله من حوادث الليالي والأيام ثم عدل بعدها إلى حصن بن حذيفة وسلم عليه وعلى من معه من العرب وقال لهم لا تعرفوا عودتكم لبنى عبس إلا مني بلا تعب ولا نصب لأني إذا رجعت إلى بنى عبس خليت الملك قيس يكتب إليكم الديار وتجهز بعد ذلك إلى أخذ الثار من عبدة النار ولا أزال حتى أقلع شأفة كسرى وأخرب الإيوان ثم أنه أركبهم من الخيل التى عادت معه وعادوا إلى ظهر جواده حتى أتوا إلى الخيام وحضر والجميع قدام الحارث تفرح لهم بالصلح والاقتراب وترك البغى والعناد وقبل وجه عنتر وتعجب من مروءته وحسن شيمته وقال له يا حامية عبس الصلح بين بنى الأعمام إنعام على إنعام وعلى أن بنى عمك قد اعترفوا بما وصلوا إليك من القبح وما لهم ركن يعتمدون سواك عن صحيح وها هم بين يديك فافعل المليح قال الراوى ثم أنهم نزلوا فى خيام الاعداء وكان الليله قد مدرواقه وهذا أخذوا الراحة من تعب الصدام وغرقوا فى بحر المنام ولما كان عند الصباح وأشرقت الشمس على البطاح جاءهم من البلد ماهم صغارهم وكبارهم وأفاض عليهم وعلى أجنادهم من الشوى الطعام الذى تصلح به الأجسام وصفوا بعد المدام فى والأنى قد صنعتها ملوك الشام لا يقدر عليها إلا الملوك الكبار وأصحاب الأقاليم والأموال لأنها كانها من الفضة والذهب نزهة للناظرين ودارت الأقداح وتنالوا كؤس الراح قال الراوى والحارث قد جعل عنتر نديمه وشريكه فى نعيمة وصار يشرب على طرب الأغانى ويدعو له ببلوغ الأماني ولما دارت الخمرة وانتشى وقارب وقت العشا قال اعلم يا أبا الفوارس أننى قد أقمت التوكيل على خزائن الأموال التى لرستم وإياس الآخر وأقمت الجميع بحكمك وتحت نهيك وأمرك وهى برستم ولدك وسمك وأخيك وأصحابك ومن تحت ظلى علمك مع ما تركوا أيضا من الأثقال والخيل والبغال والنوق والجمل هذا كله جميعه أنت ملكته وبسيفك خلصته وحزته وقت طعن الاسنة ولا لنا عليك فضل ولا منه ولا نقدر نكافئك بمال ولا بشيء من حطام الدنيا المبال لأنك صنت حريمنا وحميت بلادنا وقد قتلت غريمنا فتكون لك عدة فى هذه الايام إذا كثرت عليك الاعداء من العرب والعجم والترك والديلم وأننا ملجأنا كلنا إليك إذا الزمان لك صدم وكظم من بعد ما نبذل بين يديك الذى تقدر عليه من الهمم الصغير منا والكبير ونعتذر إليك من التقصير (قال الراوى هذا ما جرى من

الحارث وعنتر يخدم ويشكر ولاحسانه يذكر ويقول له والله يا مولاى لو كسرنا قدامك كسرى وما لكنا العراق وتركنا أمرك نافذا فى سائر الآفاق لما جزينا الست حليمة على مافعلت فى حقنا بعد ما أطلقتنا من الوثاق ولم يزالوا على ماهم عليه من انتهاز الفرص والزمان والنعيم والسرور والإحسان وقضوا يوما عظيما مذكورا من الزمان وعند الصباح دخلوا إلى مكان غير المكان الذى فيه نزلوا ومازال الحارث بهم من مكان إلى مكان وهو يخلع عليهم من ثياب الروم حتى عبرت عليهم سبعة أيام ثم أن عنتر اشتكى إلى الملك الحارث شوقه إلى محبوبة عبلة وأخبره بنايجه من حل همه وغمه وطالبه بالرواح فوعده بذلك وقاد بين يديه خمسين جنيبا من الخيول الملاح وهى بمراكب الذهب مرصعات ومعها غلمان من أبناء الروم أحسن من اللؤلؤ وفى أثر الجميع ثلاث بغلات عاليات لا تقدر أن تشيل رؤسها مما عليها من الجواهر المثمنات ومن فوقها ثلاث جوار كأنهن الأقمار الطالعات الكاملات يعجز عن وصف حسنهن ألسن الواصفات وخلف كل واحده منهن ثلاث بغلات على كل بغلة صندوقان فيهما للجاريه ثياب وطيب وعقود من كل شىء عجيب الذى تعيش فيه كل واحدة وقدامهم خدام وأعوان (قال الراوى) فلما حضروا قدم عنتر قال له صاحب دمشق إن كنت يا أبا الفوارس على ولدك غضبان وكان غضبك من أجل أسما وإن كان أخذها من حيام بجيد وقد سار ليلا ونهارا يطلب بلادنا والديار فلحقته أنت وأصحابك وجرى عليك ما جرى فأخاف أنكم تسيروا انشدى وفى قلب ولدك أثر الهوى وأنت تعلم أن الهوى يقود الإنسان إلى مالا يهوى ومالا يدرى مايكون المنهى وهذه الثلاثة جوار تكون لمثل هذا المرض دوى لان كل واحدة منهن إذا وقفت قدام أسما تركتها أرض وهى لها سما فأعط الواحدة لولدك ميسره والأخرى لاخيك مازن والثالثه إن تعلم أنه يستحقها ويتملى منها بالمحاسن والبهاء فقال عروة والله مافى بنى عبس أحق منى بها ولا أولى لانى طول عمرى تقتل رجالى وألقى من المصائب ماألاقى وإذا وقعت مثل هذه الفرصة وأخذها غيرى وأبات أنا أطلحن بلا رحى هذا أمر ما عدت أصبر عنه ولو قعت بشفار السيوف قال الراوى فتبسم عنتر من كلامه ولا علب عليه ولا لامه بل قال له يا أبا الابيض ما كنت محتاجا إلى هذا الكلام فلقد كنت عولت أن اعطيك الاخرى والسلام فقال له عروة مايعلم الناس مافى قلوب الناس وأنا قد خفت أن أقتل وأدسر ومايكون لى ولد ذكر يذكر وكانت العرب تقول عروة طنجير مثل عمارة القوادونسل اللئام فضحك عنتر من الكلام وأعطاه الجارية المليحة الابتسام وسلم إليه كل ما معها من المال والانعام وأرضى مازن وميسرة الاثنين الاخر والسلام وحمد الله

تعالى على تلك الأحول وشكروا الملك الحارث الوهاب على ما أفاض عليه من المال والبغال وعول على الارتحال وقد استأذن الملك فى ذلك من بعد الاشغال وساقت العبيد بين يديه الأموال والبغال وما قد أخذه من عسكر العراق من النوال فقال الحارث بعد الوادع يا أبا الفوارس ويا نعم الشجعان ما تأخذ معك طائفة من بلاد الشام يسيرون فى خدمتك حتى يوصلوك إلى أهلك بسلام وأنا احتجب إليهم عند قتالك لنكسر ملك الأعجام نعينك على قتال العجم والفرس والديلم لأنهم معودين بالصدام صادقين الذمام فقال عنتر يا ملك أنا ما أحتاج إلى غفير ولدى ميسرة لى وزير وأخى مازن وبنى عمى جمر السعير وأما فعال كسرى وعبدة النار فاهم مثل عرب الحجاز وفرسان الوعد وانجاز حاشا أن يكونوا عاجزين عن أخذ الثار وأن أيتها عجزت فاليك أنفذ وبك استنجد ثم سار وسنان فى أغراضه يأمر فى اصلاح أمره مع الملك قيس والأبطال حتى تعود بنو فزارة إلى أرضها والاطلال وبعد ذلك جدوا فى المسير والرحيل وشوقه قائدة بزمام التعجيل وقد زاد غرامه وتماهيامه وزادت حرارته وكثر قلقه ولما قطع أرض الاعناك واتسع لديه ابرهناك تمثل شخص عبلة نصب عينيه وكأنه عن شماله ويمينه وفارق نسيم أرض الشام واستقبل أرض الحجاز ونسمات الشيخ والقيصوم والخزام فسار يسلم عليهم ويترحب الحبيب بحبيبه عند رد السلام ويخيل له أنه يسلم على عبلة ويعنقها بالاحضان وقد أنشد يقول

| | |
|---|---|
| ريح الحجاز بحق من أنشاك | ردى السلام وحى من حياك |
| هى عسى وجدى يقل وتنطفى | نيران أشوقى ببرد هواك |
| ياريح لولا أن فيك بقية | من ريح عبلة مت قبل لقاك |
| بعد المزار فضاق طيف خيالها | عنى فغار مهامه الاعناك |
| كيف السلو وما سمعت حمائما | يندبن إلا كنت أول بــكى |
| لاتحزنى ياعبلة مدى وافرحى | بسلامتى واستبشرى بفكاكى |
| ذل الأولى احتالوا على وأصبحو | يستنصرون بسيفى الفتاك |
| هلا سألت الخيل ياابنة مالك | عنى إذا اشتد الظلام الحاكى |
| يخبرك من حضر الشام باننى | صافيت ودا من أراد هلاكى |
| وعفوت عن أولادهم وحريمهم | وحميت جميع القوم مثل حماك |
| وحميتهم من كل من آذاهموا | ومنعت عنهم غصبة الإشراك |
| وملكت رقاب العدا بشهامتى | من بعد ماقد كنت فى الأسراك |

ولقد حملت على الاعاجم حملة ضجت لها الاملاك فى الافلاك
تركتهم ثرا فولوا فى الهلاك بسنان رمح للدماء سفاك
ياعبلة ما أخشى الهلاك وإنما أخشى على عينيك وقت بكاك
ياعبلة من ينجو إذا نزل القضا من ذى الجلال مدير الافلاك
فاستبشرى منى بليث باسل قرم شجاع ماجـــد فتاك
لو لم تكن أحكامه حتما لما وقع الطيور لموقع الاشراك
من فارس جن الفلا تخضع له حقاوكم يحكى حديث هواك

(قال الراوى) ولم يزل سائرا يطلب الاوطان وفى صحبته جميع الأصحاب وان الخلا حتى قاربوا الأرض التى أخذوا منها وهى أرض المضيق والرصيف الأكبر فنزل عنتر هناك والمجير قد هجر ومن شده أشواقه رأى عبلة وبنى عبس والاوطان كانهم بين أحداقه فقال لعروة ياأبا الابيض ما نرى أعجب من قصتنا فى هذا الزمان وكيف وقعنا فى الشدة فى هذا الأوان فقال له عروة يا ابا الفوارس من يسأل عنا من الاصـــدقاء أو من الخلان لأن عرب البيد الكل يحسدوك على ما أنت فيه من علو الشان يتمنوا لك العثرات وان كنت فى بنى عبس والرجال السادات فانا أعلم أنهم الساعه مشغولين عنك وعن جميع ما فى الكائنات بقتل صهرهم الملك النعمان وخوفهم من كسرى وعساكر خراسان فقال شداد أبو عنتر وقد زادت به العبر وحق الركن والحجر والبيت العتيق المظهر أنا أعلم أنهم ما أبعدوا ولدى وطردوه إلا إذا قدروا عليه وعلى قتله والانقطاع ولا وقعت فى شدة الاوار هى روحا خلفى ولو كنت فى أقصى البقاع فقال أبوه شداد وهـــذا أمر آخر ما يقدر احد يكلم فيه لأن الغائب معه حجته ولا شك فيه قال الراوى ثم أنهم مدوا أعنهم إلى نحو ذلك البر والاكام وهم متفكرون وإذا هم برجل وهو يقطع البر قطعا وكان قد رآهم وميل إليهم ثم التقاهم فقال عروه لعنتر ياابا الفوارس كم تذكر شيبوب وما هو قد اقبل اشعث اغير مثل المحبوب فمد عنتر إليه عينيه وتحققه وإذا به واستبشر وقام إليه وابتدره واعتنقه وتلقاه وفرحت بنو عبس برؤياه ولما أنه تعرف بكى من شدة فرح اللقاء وقال لأخيه ترى أنت حقا فى صوره البقا سالما من حوادث الا قال له عنتر ما أنا إلا بحمد رب البيت الحرام سالم من حوادث الأيا وقد صرت فى هذه المدة ولا تبسب لى فى الفرح بعد الشدة فقال له شيبوب ما قلت أنك ياأخى تقع أنت وقومك فى أسر ملك الشام وترجع تشم الهواء لا انت ولا من معك من الانام ولما وقع منك

هذا الاياس وقد أخذنى بذكرى الوسواس امتنعت من الزادولزمت جفونى السهادوزاد
على كلام الأعادى والحساد فرضت مرضا لا أعرف منعاه ولا علمت دواءوما زلت
أتمنى الممات واداري الشامتات إلى أن سمعت من تجار الشام الذين يجلبون المدد أنك
سالم وأنت عندهم مقيم فى حبس الحارث الوهاب صاحب دمشق وأنت مأسور
وزال مرضى والخذلان وراق بدنى واستراح وتوجهت الصلاح فافتكرت فى خلاصك
فما وجدت لى ذلك سبيل لأن بلاد الحضر صعبة المراس لأجل أسواها وأبوابها وكثرت
حفاظها وحجابها ونحن قد ألفنا خديعة العرب مع الهجوم على الطلل لأن ما عليها حراس
ولا رقيب فلما رانى العدو وقد زدت فى التحيير ورأيت الملك قيس وأخوه الملك النعمان
وهانىء بن مسعود وبنى شيبان خائفين من كسرى أنوشروان وعباد النيران وأرى نومهم
قليل وخوفهم على النعمان بهويل فعندها ضاقت بى من أجل خلاصك المذاهب وسدت
فى وجهى جميع المسالك فسرت إليه وقصيت قصتك عليه وبكيت بين يديه فتناثرت الدموع
من أماقى عينيه وسب قيس وشتمه ولامه على فعاله معك وفعالك معه وقال والله لقد
حفظه ولا عامل بالاحسان لمن أحسن إليه وكافاه فلاجل مقابلة هذا الزمان وقطع ظهره
بهلاك النعمان صهره وأما أخوك فانى أبذل نفسى فى خلاصه وأسير إلى الشام لأجل خلاصه
ولا أشمت به أعداه لأن له على أيادى ما أنكرها ولا أجد لها مكافاة ثم أنه يا أخى
جمع مقدمه من يومه وقد أعلمهم بالحال أمرهم بجمع العساكر والرجال وسائر
الابطال فاجابوه إلى ما طلب وجمعوا له عشرة آلاف فارس من فرسان العرب كلهم بالزرد
المضاعف العدد وسار معى إلى أرض بنى عبس وأنزلته فى ساحة الفضاو ضربت خيامه
على المناهل والمناه ونحرت له وعقرت وفعلت فى حقه ما عليه قدرت وعرف ملكنا بالذى
فعلت فركب إلى دريد وخدمه واضافه وأكرمه وقال يا ابا النظر ما قدر كان ولا ينفع
الحذر وما أنت الا قد عرفت ماجرى علينا فى هذا العام من قتل صهرنا الملك النعمان
وفقد حاميتنا عنتر فارس الزمان لأنى والله ما فعلت فى حقه هذه القبائح إلا لأجل أنه أجار
عبدى ونويت بعده أن أجهد فى صلحه جهدى وندمت على فعلى وعرفت حلمه وجهلى
وعلمت قدره عند نزول المصائب ولولا هانىء بن مسعود لكنت جئت اليك طالب
وفرسان الطعان الكل ركبوا اجياد الخيول وأقبلوا عند دريد بن الصمة وإليه ترجلوا وسلموا
عليه وعليهم ثياب الاحزان وسلموا بانكسار وطلبوا منه معونة وأنصار بعدما كان حكمهم

تنافذ فى سائر الاقطار فاذلتهم الغربة والخوف وبعد الديار الا أن دريد بن الشمة وعدهم بأخذ الثار فطيب عقولهم وتاسف على فقد النعمان فقال ياسادات العرب فى هذا الوقت ما أقدر أبت أمر حتى أخلص عنتر ومن معه من الابطال وأعود إن شاء الله وأنا خالى البال ثم بعد ذلك نكاتب الباقين والحلل ونجمعها من سائر المنازل والطلل ونقابل كسرى على ما صنع فقال هانىء بن مسعود يا أبا النظر إذا كان الأمر كما ذكرت فارحل غدا حتى أنى أسير معك وأفنى كل من فى الأرض من عبدة الصلبان وأفعل بهم كما فعلت بالفرس فى يوم ديقار ونخلص صاحبنا وهو الأمير عنتر ومن معه من الفرسان ونعود قبل أن تجتمع لغزونا عبدة النيران فقال دريد ياهانىء ماهذا صواب لأنك بقيت لبنى عبس حاميها ويجب عليك أن لا تبرح مقيم فيها وأنا فما قدامى أمر يوجب مسيرك إلى بلاد الشام لأن هذا الجيش الذى معى أقدر أخلص به عنتر البطل الهمام ولو أنه على ظهر الغمام ثم أنه رحل يقطع الارض وأنا بين يديه إلى أن أشرفنا على وادى رصيف الا كبر وهو المضيق الذى دبر عليك فيه سنان وأخذلى منه وعولنا نعبره فرأينا فى مروجه أوفى من الف فارس والخيل فى جنباته ترعى وعندها ثلاثون فارسا تحرسها فقال دريد هذه والله خيول شافية وصلبان غسانية وأنا اقول أن هؤلاء القوم سائرون بهذه الخيل إلى الحجاز ولهم أصحاب مكمنين فى هذه الاودية وهم ما امنا وعواحيلهم ونحن على كل حال ناخذهم لاننا على كل حال ماقصدنا بلاد الشام ولا أرضها الا للحرب وناخذ كل مافيها وننهبه حتى نخلص عنتر بن شداد ثم صاح فى أول الجيش وأعلم الفرسان بهذا الحال وأمرهم بسوق الخيل والجمال وتسابقت الابطال مثل العقبان ودارت بالخيل من كل مكان وفى دون ساعة عادوا بالخيل وأصحابها معها فى الكتاف والوثاق فلما ساروا قدام دريد قالوا له ياوجه العرب أعطنا الزمام ونحن نصدقك حديثنا لانا قد علمنا أنكم أهل الحجاز وتقول ان الذى نحن فيه مايعجبكم فلما سمع دريد كلامه اشغل قلبه وأعطاهم ذمامه وأمرهم بسرعة الحديث وقد عجب من مقالهم فقالوا ياأمير نحن الف فارس قد أنفذنا سيد بنى فزارة نقطع على عنتر بن شداد الطريق وناخذ مامعه من الاموال والانعام وأصحابنا أنقسموا الى أعالى هذه الجبال وأمرونا برعى الخيل والجمال حتى إذا جاء عنتر ورآها لا ينكرها ولا ياخذ حذره من أصحابنا ولنا ههنا يوما فما سمعنا له خبر ولا ظهر له أثر .

( تم الجزء الثامن والعشرون ويليه التاسع والعشرون )

# الجزء التاسع والعشرون

## ( من سيرة عنترة بن شداد )

(قال الراوى) فلما سمع دريد كلامهم زاد عجبه لسلامة عنترة من الحارث الوهاب ومن الذى خلصه من الاسر والعذاب ثم أنه استقصى منهم الخبر عن خلاصه وكيف كان فحكا كة فقالوا يامولانا تسببت له أسباب تحير فيها العقول والالباب وتسطر فى كل كتاب لانها من عجائب العجاب لان الملك الحارث وكل به وبأصحابه الاسارى وسار لقتال نائب كسرى وكان له ابن أخ يقال له أبو الدوح وكان يعشق حليمه ابنته وهو لايحسر يعلمه بقصته فصار مع الديلم والاعجام وكان بطلا همام فقتل من أصحاب عمه جماعة ووعد الاعجام بفتح الشام وأخذ معه الف فارس وصار إلى دمشق فى زى فرسان عمه فدخلها ووضع السيف فى أهلها وقتل العوام ووقع الصوت إلى حليمه فعلمت أن ابن عمها مافعل ذلك إلا من أجلها وتحققت أنها مسبية فشكت حالها إلى عنتر فدخلت عليه وعلى من عنده من الفرسان العبسية وشكت حالها إليه وقصت قصتها عليه وطلبت منه النصر فاجابها إلى ما طلبت ثم حدثوه بما جرى له من الاول إلى الاخر وأخبروه كيف قتل أبو الدوح والفرس الذين أتى بهم معه وكيف عاد الحارث خوفا على البلد من حيلته وكيف رأى الملك أن ابنته وأهله سالمين وقد حدثته ابنته بما صنع معها عنتر من الجميل فعندها أنعم عليه بالهدايا والاموال وقالوا له فى آخر الكلام ياأمير أن سنان بن أبى حارثه لما رآه نجا من حيلته وصار عند صاحب دمشق مثل ابنه حسده وتقطع كيده ولكنه كتم ذلك وأظهر له المحبة ومن عظم خبثه ومكره ذل له وقد طلب منه العودة إلى بلاد الحجاز فوعده عنتر بذلك وأظهر له الوداد وعاد سنان من ودعه وقد تفتت اكباده بين اضلاعه فدعا سيدنا ومقدمنا عند الربيال لانه كان صديقه ونديمه وقال له ياأسد إن هذا العبد إن عاد من الشام ومعه هذه الاموال والجوار الابكار وتلك المكارم انفطرت مرارتى ومت بحسرتى وقال له مقدمنا ما الذى تريد أن تفعل قل لى حتى أساعدك عليه أنا وبنو عمى ورجالى فقال له تقتل هذا العبد ابن الأمة وأنا أعطيك مامعه من الاموال المسموعة فانت أحق بذلك وأولى وأنا فاغرضى إلا جرعة من دمه أشربها أو قطعة من لحمه آكلها وكذلك أصحابه الذين معه العبسيون لانهم

الذين قتلوا أولاد بدر المسلمين وأهلكوهم على جفر الهباءة وهم سادات بنى فزارة وأنزلوا بهم الذل والخسارة وتركونا نعيش عيشة الغربا ونبقى المنازل والاقربا والصواب أنك تجمع من قومك وبنى عمك ألف فارس وتسيرون بالخيل وتسبقون إلى المضيق والرصيف الاكبر وتطلعوا على روس الجبال وتفعلون به كما فعلت أنا حين أسرته وتلطموه بالاحجار وتردموا عليه التراب ولا تغفلوا عنه ولا عن معه من الأصحاب حتى يتجرعون غصص العذاب وتملكون مامعهم من الغنائم والأسلاب وتأخذون منهم الهدايا والتحف التى أتحفهم بها الملك الحارث الوهاب فقال له مقدمنا أسد يا سنان وإذا فعلنا نحن تلك المصائب أى لذة تدخل قلبك وأنت غائب أما علمت أن النظر إلى هلاك الاعداء هو الظفر الاكبر فقال سنان وكانى أقعد عن هذا الامر والشأن وأدعكم مع هذا العبد تحت الخطر لا وحق الصليب الاكبر لكن أسير خلفكم فى ألف فارس آخر وأقتفى منكم الاثر ولا أبان له ولا أظهر حتى يتوسط المضيق وأملك عليه بعد ذلك رأس الوادى وأشفى بعذابه غليل فؤادى وإذا سلم من أصحابه أحد وانهزم جرعته كاس النقم فلما سمع مقدمنا أسد هذا المقال أجابه إلى ذلك وسار بنا قبل مسير عنتر بيوم وليلة وسار يجد المسير وماقصر حتى وصلنا إلى هذا المكان وقد ترتبت الرجال فى روس الجبال وقعدوا لبنى عبس فى الانتظار قال الراوى ثم قال شيبوب لاخيه عنتر وهو يقص عليه الحديث والخبر يا أخى فلما سمع دريد هذا الكلام اشتد به الغيظ والغرام وهم أن يقتل العرب المنتصرة فما حاشه إلا الذمام ومن وقته قسم الجيش الذي معه إلى قسمين وترجل فى ألفين فارس وصعد إلى الجبل فما أحسوا أعداك إلا وقد عمل فيهم السيف الفتاك وتدحرجت جماجمهم إلى أسفل الوادى ونادى بهم المنادى ولا سلم من الجميع نسمه لا ابن حرة ولا ابن أمه ومن خوف دريد عليك أن يلحقك سنان فى بنى فزاره وينزلوا بك الخسارة وماراح الليل أكثره من ساعة حتى جمع أصحابه وسار يقطع الطريق بعدما عبر بهم المضيق وعند الصباح قال لى ياشيبوب تريدك تسير بين أيدينا وتلقى أخاك فى البيداء وتنظر ماجرى له مع الاعداء وأننا سائرون كلنا وراك وقلبنا على أخيك لانى أخاف أن يلحك سنان وهو عنه غافل فيبلغ منه ماهو له آمل فلما سمعت منه ذلك رأيته صواب حتى التقيتك واعلمتك بتلك الاسباب وأقول أنه على أثرى يصل قبل ذهاب النهار وافدار اعتكار الليل فلما سمع عنتر هذا الكلام ذم الزمان وتعجب من غدر بنى فزارة وخداع سنان وشكر دريد على فعاله وتم على حاله يريد استقباله وقد أضمر لبنى فزارة كل نيه ميشومة وخسارة إن صح عنهم هذا المقال على أن النهار مازال استحال حتى بان

لهم غبار جيش جرار وظهر فى أوائلهم دريد الاسد الهدار فلما عاين عنتر إلى دريد وهو فى أول الجيش ترجل واليه شكر ورفع صوته بالدعاء والثناء وجعل يقول أتعبت نفسك يا مولاى فى خدمته من لا يسوى لأنى على كل حال عبد وأنت المولى وخدمة العبيد للموالى أولى فتبسم دريد من حسن أدبه ومروءته وافراره بالعبوديه مع حسبه ونسبه وقال والله يا أبا الفوارس أنت السعى فى خدمتم فرض على الرؤس لا على الاقدام يا فارس العرب والسادات الكرام والواجب على سائر بنى هوزان وجشم المشى إلى معونتك كما يمشون إلى الحرم والبيت العتيق المكرم ثم أنه ترجل اليه واعتنقه وضمه إلى صدره وهناه بالسلامة وسأله عما جرى له من الأحكام فحدثه عن كل مافعله فى بلاد الشام وأخبره بكسر عسكرى من عرب أعجام وخلاص سنان بن أبى حارثة وبنى فزاره وكيف كانوا مع الاعجام أسارى ثم قال له يامولاى وبعد فعالى معهم هذه الفعال اتبعونى وجازونى بهذه الأعمال كما سمعت من شيبوب أنهم أرادوا لى الهلاك ونسبوا لى الاشراك فقال دريد والله يا أبا الفوارس لقد خاب رجاهم وسعوا بانفسهم إلا هلاكهم والصواب إننا نكمن لهم قسمين ونكون على طريقهم من الجانبين فاذا وصلوا بيننا وحصلوا نحن نطبق عليهم انطباق البحر الطافح قال عنتر والله أنهم يستاهلوا أوفى من هذا لولا ما بينهم وبين مولاى قيس من صلة الحسب والنسب والاهلية من دون العرب ولكن يامولاى نحن ما نؤاخذهم بل نربطهم على خيولهم عرضا ونسلمهم إلى من يسوقهم إلى الملك قيس لأن له عليهم ثارا من تلك النوبة التى غدروا بها فقال له دريد صدقت فى هذا الكلام وهذه النوبه أسروا اخوه النعمان فسقوهم إليهم حتى يشفوا منهم قلوبهم ويكون على ذلك مذكورا محبوبا فقال شيبوب وحق ذمة العرب ما أسوقهم إلا مقطعين الآذان فى مثل الكلام حتى لا يبقى أحد منهم يخون فقال عنتر الأمر مسلم إليك ثم بعد ذلك انقسموا فرقتين وأقاموا للراحة تمام ذلك اليوم وتلك الليلة وعند الصباح وصل سنان بن أبى حارثة وحصن بن حذيفه وتمام الالف فارس من خيار سادات بنى فزارة وهم يجدون يطلبو المضيق وقد فارقهم السعـــد والتوفيق قال الراوى هذا وأن الصياح قد أخذهم من جانبهم والفرسان تبادرت اليهم تطلبهم وكان عنتر فى الفريق الايمن وهو يصيح يا نذل الانذال ويا نسل أوباش الرجال يا سنان أنت وهؤلاء الأوغاد الزوانى ونسفة الحرام ونافضين الذمم أبشروا بخيبة الآمال وسلموا أنفسكم من غير قتال وإلا والله عجلت أرواحكم بأسنة الرماح الطوال لأن الكمين الذى كان لكم هلك

وانقاد وسلم الصيد ووقع الصياد وعادوقد تلقحت جماجم الكل فى الواد ثم أنه حمل يطلب الموكب الذى فيه سنان بعدما قلع من رعه السنان وقد سار كلما طعن فارسا أقلبه من على جوادة فيكفيه شيبوب ويقطع أذنيه ويتركه ملقى فى الفلا هذا وبنو فزارة حارت فى أعمالها انذهلت بما هالها ومابقى فيهم من يدافع لأن المدد عليهم كثير وفى دون ساعة أخذوا الجميع بعدما أهلكوا منهم جماعة وأسر عنتر سنان القرنان وأخذ ميسرة حصن الكشحان ومازن قتل أربعة فوارس من أبطالهم الأعيان وخيار فرسانهم ولما خف الكرب ودبرت نيران الحرب قدم عنتر سنان ووبخه على غدره والبهتان وقال ويلك ياشيخ الضلال هذا كان جزائى منكم بعد أن أطلقتكم من عسكر العراق والأسر والوثاق ولكن غدر بنى بدر هو الذى أهلككم وها أنت تشبهت باعمالهم فلابد أن ينالك ماقد نالهم فقال سنان لاتفعل ياابن العم ولا يخطر ببالك أننا نريد بك البلية والهم وإنما تبعتك حتى أوصيك بامور توصلها إلى قيس وكنت عند خروجك سمعت بعض طماعة العرب قد تبعوك إلى هذا المكان لأجل الأموال خفت عليك من نوائب الزمان وقلت دعنى الحق ابن عمى واحذره وأن كان وقع به بذلت المجهود فى خلاصه وأنصره فاستعجلت أنت فى الأمور وانت عاجرى عليك معذور فقال عنتر والله لقد كذبت قاتلك الله من شيخ لئيم والآن أقلع من قلبك النفاق أنت ومن معك من الرفاق والله لأسوقنكم كلكم حفاة عراة وأنتم مقطعين الاذان وإذا وصلنا إلى أرضنا سلمنا كم إلى قيس وأخوه النعمان ويقابلوكم كما قابلوا أولاد بدر بالمحاق قال الراوى ثم أنه ضربه بالسوط الذى فى يدة حتى أخرق كبده وأهوى جلده من شدة ما ناله من الكباد وقال لأخيه شيبوب خذ معك جماعة من رجال عروة الاجواد واقطع آذان هؤلاء الاوغاد وسقهم بين يدقك حفاة عراة فلارحم الله راحمهم فقال ميسرة وأنا ياأبتاه أساعد عمى شيبوب فانهم لوكانوا عشرة آلاف رميت آذانهم ثم سل خنجرا أمضى من القضاء والقدر ودار هو وعمه شيبوب على بنى فزار فقطعوا آذانهم وخضبوا بالدماء أبدانهم وتركوهم عبرة لمن يراهم فلما فرغوا منهم وأرادوا أن يسوقوهم نادى سنان بعنتر وقال لاتفعل ياابن العم ولا تفضحنا بين العرب وتشمت فينا الاعداء لانك تركت فينا علامة لاتمحى أبدا وقد بلغت المنى وبرد قلبك نخلينا نعود إلى الشام ونعيش باقى أعمارنا غرة وأحسب أنك قتلتنا أوفنيتنا بالحسام فقال عنتر سوحق من بسط المهاد وجعل الجبال أوتادا لاتركت لكم فى بلاد الشام مقام ولاعند العرب قدر ولاذمام ولا بد أن أدعكم ترعوا جمال بنى عبس والأغنام وتجمعوا لهم الحطب والناس نيام وتتمنوا أن تشبعوا من الطعام

حتى لا يبقى أحد منكم يعاجزنى فى الصحراء ولا يعود يغدر بالاهل والاقرباء بين الورى ثم أنه كتب من وقته كتابا إلى صاحب دمشق الحارث الوهاب وسيره مع نجاب وكان فيه شرح حاله فيما ناله من بنى فزارة وما جرى له وما فعلوا فى حقه بعد انصرافه وذكر فى آخر الكتاب لابد لى من نفيهم من حوران ومن بلاد الشام وأن طردتهم من كل مكان رجالهم والنسوان من بعد ما تأخذ جميع ما معهم من الاموال والنوق والجمال ثم حيا الملك فى كتابه فى آخر كلامه وخطابه (قال الراوى) فسار النجاب بهذا الكتاب ولما رأى دريد فعاله تعجب من ذلك وقال والله يا أبا الفوارس لقد فعلت فعل السداد فلا زلت أبدا منصورا على الاعداء والحساد لأن هؤلاء القوم إذا نفوا من بلاد الشام ساروا لك أطوع من الخدام لأنهم إلى العراق لا يقدروا يمضون وفى الحجاز بما فعلوا من الغدر وا يزلوا ولا يسلدوا من أخوه الملك النعمان ومن قيس سيدى بنى عبس وعدنان وربما يفعل بهم صاحبكم قيس كما فعل بدر فى جفر الهباء فقال له عنتر إن كان لهم سلامة ونجاة ما يكرن إلا الربيع ابن زياد لربه يسأل فيهم الملك قيس ويبقيهم حتى أنهم يعينهم على ولا يتركوا راحة تصل إلى قال الراوى ثم أنهم ساروا يطلبون الاهل والديار ويقطعون الطريق بالحديث الطيب ومناشدة الأشعار هذا وعنتر يسأل أخاه شيبوب عن عبله وما الذى جرى بعده على عيونها المكحلة وهو يقول والله يا أخى إنها بعدك ما نشفت لها دمعة ولا التذت بمنام هجعة وتركتا وقد ضربت لها بيتا مع أخت الملك قيس المتجردة على العلم السعدى وانقطعت هى ومسيكة وجميع نساء الحى وتساعدوا على البكاء ليلا ونهارا كما تتجاوب الطيور على الأشجار وكان عنتر يسمع كلام أخيه ودموعه تجرى من عينيه وسار يجد المسير بلا أمال حتى بقى بينه وبين أهله يوم وليلة وأنفذ شيبوب أخاه إلى الاحياء يخبر عبلة ويخبر الملك قيس بجميع ما جرى لأخيه فى بلاد الشام ففرح الملك قيس فرحا شديدا واستبشر ثم أمر عبيده فنادوا بين المضارب الخيام بوصول عنترة بن شداد ودريد بن الصمة وصحبته العسكر والاجناد وفى دون ساعة انقلبت الحلة وتزينت بالثياب الحرير والديباج وأوانى الذهب الوهاج وقد انجلت عن قلب عبلة الاحزان وركب الملك قيس وأخوه الملك النعمان وحجار ابن عامر وهانىء بن مسعود الأسد الكاسر وسادات بنى شيبان وخواص بنى عبس وبنى ضبيان وخرجت إلى ملتقاه جميع الفرسان وتتابعت من خلفهم الشجعان ووصل عنتر إلى الأوطان وكان له يوم جليل القدر نبيل وقدومه على قومه أحلى من نزول العافية على بدن العليل لأن صياح الفرسان ارتفع عند لقاه وترجلت له أصحابه وأصدقاؤه وما فيهم من قبله

حياه وكان عنتر معهم شبيه الحجر الأسود عند الطواف يوم قدوم الحجاج إلى لقاه من كثرة ازدحام الخلق خلفه ووراءه وكل واحد منهم يشتهي قبل صاحبه أن يراه فلما وقعت عين عنتر على أخوة الملك النعمان ترجل من على ظهر الحصان وتذكر أيام ملكهم فزادت به الأحزان وخرت دموعه من الاجفان وأشار يقول هذه الأبيات

خليلي دمعي دائما أبدا يجرى ... على النعمان حتى إلى الحشر
لقد فجعتنا الفرس فيه وهكذا ... صروف القضا تجرى على العبد والحر
لقد كان بدرا في منازل سعده ... فخر بوجه الارض من موضع قفر
فان كان كسرى ساقه بخداعه ... إلى غمرات الموت بالبغي والغدر
فما قليل سوف نأخذ بثاره ... على صهوات الخيل بالبيض والسمر
ونرمي بني الاعجام يوم عرمرما ... يجد لهم طعنا أحد من الجمر
ونسطوا عليهم كالسحاب اذا بدت ... صواعقه يذل المهندة البتر
إذا حكم الغضب المهند بيننا ... أتينا عليهم بالمرصعة السمر
لانهموا من أمكر الناس معشرا ... لئام فلا أختظهم نحن الدهر
لقد جرعوا النعمان اكاس حامه ... ونالوا مناهم بالخداع وبالمكر
سقى الله قبرا ضم أعضاءها ظال ... يسح به من كل غادية تسرى
سأبكى عليه كلما غسق الدجا ... بدمع كميض المزن منهمل يجري
لقد داخل الاحشاء حزن مؤيد ... لمصرعه لا ينقضي أبد الدهر
سألت إله العرش بالركن والصفا ... وزمزم والبطحاء والركن والحجر
يمن عليه من رضاه برحمة ... ويسمح عنه من ذنوب ومن وزر
وحق أياديه التي عند ذكرها ... تضيق بي الدنيا وقد همني فكرى
يمينا بان لا تمت عن أخذ ثاره ... ولا تمت إلا في المهامة والقفر
أنا عنتر المعروف بالبأس والندى ... علوت على أعلا السماكين والنسر
وتوجني ربي بنصر مؤيد ... لأني محب النبي مدى عمري

قال الراوي ولما فرغ عنتر من أنشاده بكى من فؤاده ملان وبكت المقدمون والفرسان وتجدد حزنهم على النعمان ولما طفوا نيران القلوب وانقطع جريان الدموع اعتنق قيس عنتر وصار يقبله ويقول له يا ابن العم يجب علينا الحمد للرب القديم الدائم على عودتك الينا سالم والشكر للامير دريد كيف سعى في ذلك وسلك من أجلك المسالك ثم قال الأسود أخو النعمان يا أبا الفوارس قد سمعنا من أخيك شيبوب أنك قد ظفرت ببني فزارة وسنان وأتيته

بهم معك مقطعين الاذان وأنت تعلم مافعلوا بنا أيام خروج بنى غسان إلى أرض الحجاز وغدروا بنا حتى وقعوا هنا أسرى وجرى من القصة ماجرى ولا جدفى خلاصنا إلا أنت وهذا السيد دريد وبذلتم المجهود ولولا ذلك لكنا إلى الآن فى القيود وأريد أن أضرب رقاب الجمع وأجازيهم على ذلك الصنيع فقال عنتر يامولاى افعل ماتريد واحكم فيهم حكم الموالى على العبيد لأننى ماسقتهم إلى ههنا إلا حتى تضرب منهم الرقاب وتعذبهم بأنواع العذاب لأنهم والله غدارين كلاب على أنى قد فعلت فى حقهم فعلا يتحدثوا به إلى آخر الزمان لأنى حلقت لحاهم وقطعت آذانهم وبالغت فى هوانهم وسقتهم من بلاد الشام إلى ههنا رجاله مشاة حفاة على الأقدام وأقت عليهم الزاد والطعام ولم أشبعهم من المنام وبعد قليل يأتى باقى رجالهم وعيالهم فى السكل اليك يحضرون وافعلو بهم ماتشتهون وإذا أسعدنى ربى بهذه البقعة سقت إليكم قاتل النعمان كسرى وأشفيت قلوبكم من الاعدا فقال اخو الملك النعمان أن هذا الامر يكون بسعادتك ياحاميه عبس وعدنان لاننا مانقعد عن هذا الامر والشان ولابد من امكاننا منه ونرسل الكتب للقبايل وعرب البيدا ولا نترك دم أخينا يذهب هدرا فقال عنتر يامولاى مادام الامير هانى بن مسعود معنا فنحن نبلغ المقصود لاننى به وبنى شيبان التقى كل من فى خرسان فشكره هانى على ذلك المقال وبعد ذلك أمر عنتر أخاه مازن وولده ميسرة وجماعة من رجال عروة السود أن يحضروا الاسارى من بنى فزارة فساقوهم بالحبال فى أسوأ الاحوال مقطعين الآذان وقد صفوهم خمس صفوف (قال الراوى) هذا والملك قيس قد رأى أذانهم مقطعين وثيابهم بالدما ملطوخين فاشتفى قلبه وتقدم إلى سنان وضربه بالسوط على رأسه وقال له ياشيخ الضلال ما أرداطبعك فلعن الله أصلك وفرعك أما نهاك الشيب عن العيب وما تركت الغدر وأعتبرت بما جرى على بنى بدر ثم أنه أوقفه على ماقاله وتذكر قتله أخوته وقد عول على ضرب رقبته وهلاك رجاله فقال له الربيع بن زياد ياملك الزمان لاتعجل على بنى عمك تمهل وأن لم تنظر فى العواقب فالدهر لك بصاحب لأنك اليوم صرت عدو صاحب خراسان وأنت قليل الاعوان وهذا الذى تريد فعله جهل وعدوان لأنك تطلب تهلك بنى الاعمام مع الاقرباء ولا يبقى من يعينك على الاعداء ومن الصواب انك تترك هؤلاء على هذا الحال فى الذل والاعتقال إلى أن يصل من بقى لهم من أرض الشام من الرجال والظعن مع العيال واشهد عليهم شيخ العرب دريد بن الصمه ومن معه من الابطال أنهم متى غدروا بك تكون دماؤكم حلال لك ولا تقبل فيهم بعدها سؤال وتتقوى بهم ياابن

العم على قتال العجم وتلقى بفرسانهم تلك الامم على أنى ما أفعل هذا فى حقهم محبة ولا معتبة ولا رغبة لانهم بعدهم أهلكوا من أخوتى مثل ما أهلكوا من أختك وكانت مصيبتى أعظم من مصيبتك ولكن يا ملك أحتمال بنى الاعمام عز وغنى ومكافأتهم ذل وعند قال الراوى وما فرغ الربيع من هذا الهذيان أقبلت نساء النعمان ومن كان واظب معهم على الاحزان وحولهم جماعة كثيرة من النساء الفزاريات التى كانوا فى بنى عبس متزوجات وعجائز وبنات ومن ناشرات الشعور متهتكات منهملات الدموع الخدود لاطمات ينادون باصوات عاليات واخرباه واقلة رجالاه بالله عليكم يا بنى الاعمام لا تجددوا علينا الاحزان وارحموا العيال ولا تدلوا الارامل وتيتمون الاطفال وارحموا بنات قد انتحلت منهن الابدان أن من لبس الحداد ثم أنهم أسرعوا نحو الاسارى وكان فى أوائلهم عمة حصن بن حذيفه وهى زوجة الملك الاسود أخو النعمان وهذا الذى جرى كله من تدبيرها كان لما وصلها الخبر بان الامير عنتر عاد سالما من بلاد الشام ومعه الف فارس أسارى ومن جملتهم أبن أخيها حصن وأن الملك قيس قد عول على ضرب رقابهم ووافقته أخوه النعمان على ذهابهم فالتهب قلبها على ذويها وخافت على ابن أخيها فلطمت حتى خضبت خدودها بالرماد وتبعتها الحرائر التى كانت انقطعت فى مضارب الاحزان ووجدهم نما وتلهبت فى قلوبهم النيران ووقعت مع حريم النعمان وهى تنوح لهن فى كل يوم وجميع النساء أحبتها وما بقى فيهن من يطيق الصبر عنها لفصاحتها وحلاوة كلامها وحسن نغمتها وأنها لما سمعت بحديث عنتر قالت للمتجردة والنساء الاكابر حتى مسيكه وجميع الحرائر التى انقطعوا معها فى بيت الاحزان والله يا بنى عمى إن لم تعاونونى على خلاص أبن أخى ومن معه من الاسارى لاهيمن على وجهى فى الصحراء فقالت المتجردة افعلى ما بدا لك فكلنا نتبع فعالك قال الراوى فعند ها قامت أخت حذيفة بنت بدر وجمعت كل امرأة فزارية من بنى عبس وأمرتهم يكشفن رؤسهن ففعلن تلك الفعال وساروا إلى نحو الاسارى من البنات الزاريات ورأى الملك قيس وأخوات النعمان ومن كان حولهن انهتاك النسوان وأقبالهم عليهم لابسين الاحزان وهم مثل الغربان فغلب على الجميع البكا واعتراهم الخجل والاشتكاف فمواعنهم الاعنة وعادوا الابيات وهم بما بالهم اعتراهم السكات وأما عنتر فانه لما رأى عبلة على هذه الحالة كف ذرفه وهمع وكاد قلبه أن ينقطع وانفرد بها والفلاه عن ذلك الملاونزل اليها وقد قل جلده واحتار فى امره ثم أنه ضمها إلى صدره وقبلها فى ثغرها وسكن روعها ثم أنه لما زادبه الحال تمثل بتلك

الأقوال صلوا على السيد المفضال وأنشد يقول

بنتم فما الطرف ينظر للولوع بكم ... شيئا يسر به يوم ولا فرحا
والشوق نحوكم ما زال يقلقنى ... حتى بقيت أسير الهم والترحا

قال الراوى ثم قال ياعبلة وأنت أيضاما الذى رأيت من بنى فزاره على الخير حتى إنك جئت تساعدى الفزريات مثل الغير فقالت والله ياابن العم أناماساعدتهم إلا خوفا عليك لأنك سقت قومهم بين يديك من بلاد الشام إلا من يضرب رقابهم بالحسام وقد سألتنى زوجة الملك الأسود فى خلاص ولد أخيها وخلاص أصحابه وقالت مايقدر أحد يخلصهم غيرك فاستحييت وفعلت ذلك والآن مابقى إلا إطلاقهم من أجلى حتى لاتخطىء منزلتى عند نسا الملوك ويعايرونى ويذمونك ويقولوا عبلة التفت عنتر عند قومه وفرحته بلقاها وسألته فى حاجة ماقضاها فقال لها عنتر وقد تعجب من فصاحتها لا والله يابنت العم لتقضى حاجتك ويزداد اكرامك ومن شأنك تمنيت عليهم بأرواحهم وترد عليهم خيلهم وسلاحهم فارجعى مع أخيك إلى حيك واقلعى عنك ثياب الأحزان وقلى بكاك لا كادمن يشناك ثم أنه أمر عمه مالك ورجاله يسوقوا تلك الأموال التى أنت فى صحبته وعاد هو وولده وإخوته وعروة ورجاله وأهل بيوته وأنزل دريد بن الصمة فى مكان واسع وعنترن منابع وأمر أعمامه وأخاه شيبوب فنقلوا اليهم جميع مايحتاجون اليه من الفرش والطرح جميع الأوانى وغير ذلك من المأكول والمشروب وقال لولده ميسرة ارجع أنت ياولدى إلى بنى فزارة واطلقهم من الضيق اعتقهم ورد عليهم خيلهم وأسلابهم وأنزلهم عند دريد

قال الراوى ولما تفرغ عنتر من تلك الأشياء قام عنتر إلى أبياته فالتقته أمه زبيبة من أطراف الخيام وهى من شدة فرحها مثل الناقة إذا فقدت فصيلها فتبسم من سوطها وعويلها وقال لها أنا متعجب كيف كنت مع النسوان فى مضارب الأحزان فقالت والله ياولدى ماكنت إلا أطلب المفقود بينهم كلما عولت قال الراوى ثم أنه دخل إلى مضرب كبير كان قد ضرب له وهو من الديباج الرومى فجلس فيه ودخلت عليه النسوان من بنى فزاره وبنى قراد وسلموا عليه ونساء أعمامه وقد فرحوا به وسلموا عليه وهنوه بالسلامة وهو يخلع عليهم ومازال على مثل حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد تفرق عنه الجميع واختلى بعبلة فى المضرب ومازال يعانقها وتعانقه حتى كاد أن يغشى عليه وبعد ذلك صار يحادثها بماجرى عليه وسألها عما لاقت بعده من شماتة الحساد وطمع فزارة

غيرهم من سائر الرجال الأجواد فالتفتت عبلة اليه أنشدت وجعلت تقول

فو الله ما للعيش بعـــدك لذة ولا لدياري بعد بعدك نورا
ولا طاب وقت ولا لذلي الكرى ولا كان لي بعد الفراق سرورا

قال الراوي ثم حكت له وقالت لانك يا ابن العم لما انقطعت عنا أخبارك وتحدث الشامتون بهلاكك ودمارك مرض أخوك شيبوب لما قد ناله من عظم فراقك ولازمت أنا بيت الأحزان فجد عمارة في طلبي وصار قد يروح إلى أمي ويطلبني منها ويقول لها يا أم عمر بنتك عبلة قد قتلت رجالها وهلك بعلها وأبوها وأخوها وقد صارت مثل البضاعة إذا كسدت والتجارة إذا خسرت ولا بقى لها قيمة وبعدت عنها جميع الطلاب وأنا من محبتي لها قلت أنا ولي بها لأنها بنت عمي على كل حال لأنها بقت معدومة الرجال ولا أشتهي أن أكسر قلبها ولا أشمت أحدابها ويقول الناس تعس بختها بنومهامع ذلك العبد الأسود والصلد الأنكد ولكن شاوريها في أمري حتى أعزها بعد ذلها واخلع عنها ثياب حزنها أساويها بنسب السادات ولا أعتب عليها فيما مضى وما فات بوطئها لذلك العبد الأسود فلما سمعت أمي منه ذلك الكلام وهذه الرسالة يا ابن العم بكت وانكسر قلبها وزاد حزنها وجددنا ذلك اليوم المياتم ما أقدر أصف لك ما جرى على قلبي وما تم لو لم تصل الينا سلامتكم الأخبار لحمت على وجهي في القفار فقال لها عنتر وانت يا ثمرة الفؤاد تجرى عليك لمثل هذا المجرى من فرد واحد فكيف حال من بلى بإيقاد زائد قاسى الأهوال والشدايد ولكن سوف تنظرى ما أفعل في حق بني زياد إذا حلا بالي والفؤاد والله لأنا بلنهم على فعالهم وأوريهم يوما عبوسا أجرد يشيب لهوله الغراب قال الراوي وكان عند الصباح ركب عنتر لأجل سلام دريد بن الصمة قد أخذها معه سار إلى الملك قيس وإخوة النعمان وكذا فعل حجاز أوسعوا في الصحراء صاروا يتشاورون يدبرون في أخذ ثار الملك النعمان من كسرى أنوشروان فقال دريد الصواب إننا نرسل جاسوسا إلى أرض العراق يكشف لنا أخبار الفرس يعود الينا ويخبرنا بما دبره كسرى وما فعل في عودة صاحبه أياس بن قبيصة من بلاد الشام وإن كان عول أن يجمع خراسان يصير إلى بلاد النصرانية صبرنا حتى يصل للمداين يخبرنا بما فعل حتى نكاتب القبايل تجمع العرب من الغدران والمناهل ونبذل في قتالهم المجهود ونلتقيه ولو أنه في عساكر عاد وثمود فاستصوبوا لكل رأيه وقبلوا شورته فقال عنتر ما لهذا إلا مو أخي شيبوب لأن نظره إليه يشبي القلوب ثم أنه احضره

من وقته وأخبره بما جرى فقال له السمع والطاعة أنا آتيكم بأمر كسرى وجميع أخباره وأريكم كيف أنكم تخربون دياره وتقلعون آثاره ثم أنه سار عند آخر النهار وقعدوا بعد سيره يقطعون الأيام بشرب العقار مساء وأبكار هذا ودريد قد صار فى بنى فزارة وضمهم الملك قيس وأخوه النعمان قال لهم أى يوم عادوا إلى الغدر اتركوا جانبهم على وكان ذلك الأمر من تدبير عنتر لأجل سؤال عبلة فعند ذلك حثهم قيس بعد الضمان وقد نصب لهم المضارب والخيام وسار يحضرهم معه إذا شرب المدام صار يجبر قلب حصن بن حذيفة ويأخذ إلى جانبه فى أكثر الأوقات وما مضى على ذلك إلا أيام ثلاثة حتى عاد شيبوب وهو مثل ذكر النعام إذا كان فلما نظروه السادات فرحوا به وبقدومه وسألوه عما جرى وسار فى بلاد كسرى فقال لهم والله يا وجوه العرب قد عول على عدوكم وجد فى طلبكم لأن أياس بن قبيصة نائبه لما عاد مكسور من بلاد الشام وقد تضايقت عليه الأمور وسأله عما جرى وشرح له حاله وما في باله يا ملك إن عنتر بن شداد هو ورجاله الشداد لولاه لكنا ملكنا كل البلاد والأرض والمهاد ثم حدثه أنه هو وجماعة من بنى عبس كانوا أسارى فى بلاد الشام وشرح لهم ما جرى على الشام والكمال ولما سمع كسرى بهذا الأخبار اقسم بالنور والنار لا سار فى هذه النوبة إلا هو بنفسه ولا عاد الى العراق حتى يغزو البيت الحرام والآفاق ويخرب بلاد الشام ويكسر الصلبان ولا يترك على وجه الأرض إلا من يسجد للنيران ثم أنه أنفذ مشايخ النار إلى بلاد خراسان لابسين السواد ملطخين بالدما مكشوفين الرؤس وهم يضجون بكلام المجوس ويشكوا من جور أهل مكة وجور أهل الناموس ثم أنهم أزعجوا اقليم العجم والديلم وأقاموها على ساق وقد وأخرجوا جميع الإمم وكانوا مثل البحر إذا التطم وأكثرهم علق الألسن صغار العيون خفاف الذقون وما عدت أيام من المدائن إلا وفيها أكثر من مائة ألف من الفرس غير التبع فدبروا اتم أنفسكم اعتدوا للقتال ومازال شيبوب يصف لهم ما عاين وأبصر حتى صاح فيه أخوه عنتر وقال له لا تصف لنا طناجير العجم وتعظم قدر من لا يعظم فهو حق من أوجد الخلق من العدم وفرق الرزق على الخلائق وقسم لافرقن جموعهن بفرسان العرب لاتركن الطيور تختطف لحمهم وتهب والغربان تزعق حولهم ثم التفت عنتر إلى أخيه شيبوب وقال يا شيبوب مع هذا كله ما سمعت الذى الجزار خبر ولا وقعت له على أثر ولا رأيته فى عساكر العجم ولا فى قبائل العرب أن هانى بن مسعود حدثنى بما جرى له معه وما قاسى لما جمع كل واحد لصاحبه وحملوه إلى

الملك كسرى وجرى له ماجرى وقال لى إنه تركه بأثر الجرح الذى فى رأسه فقال شيبوب لقد سبقتنى إلى حديث كنت أريد أشرحه لك بأساسه وقياسه وذلك أن سبيع بن الحارث لما برىء من جراحاته صارت رقبته مثل رقبة البعير ونزل فى قلب الملك كسرى بمنزلة عالية لأجل ذلك بما تقدم من فعاله وصار يركب على رأسه باس وعلم ويحكم على طائفة كثيرة من العرب والعجم وهو الذى أشار على كسرى أى يقصد تلك الأرض وضمن له الهلاك كل من فيها طولا وعرض بعد قتل الأمير هانىء وأخيه عنتر وأراد أن ينفرد لوحده بالشجاعة ويذكر بين البشر فقال دريد أخرس الله لسانه وقطع آذانه وخزى شيطانه وإن عاد الزمن القاه فى يدى لاعذبنه العذاب الشديد واتركه فى القيود والحديد لأن القتل راحه من معمر المديد فقال عنتر لعن الله بطنا حمله وديوثا نسله لكن ان عاد الزمان جمعنى أنا واياه فى الميدان لاشتهن به جميع الفرسان فقال الأسود أخو النعمان دعونا من حديث ذى الخمار واتركوه عنا وخذوا فى تدبير هذه الجيوش والدساير وهذه الطوائف التى تجمعت لغزونا فقال قيس يا ملك ايش هاهنا من التدبير غير مكاتبه القبائل والحلل والاخذ الاهبه لقاه وفروح الاجل ثم أنه شاور دريد فيما يفعل فقال قيس والله ما يقدر بجمع العساكر للقا هذه الجيوش الا السيد عبد المطلب بن هاشم سيد الحرم وإن نحن كاتبنا القبائل ماننال منها طائل والصواب اننا نرحل بالحريم والاولاد وجميع المال والحطام ونقصد لبيت الحرام وزمزم والمقام ونخبر السيد عبد المطلب بن هاشم بما قد جمع كسرى من العرب والاعاجم ونعرفه أنه قد عول على غزو البيت الحرام فى هذا العام ثم اننا نتركه يجاهد البرارى العامرة والخراب ويحثهم على نصرة الارباب والا فما تبلغ أربا منه ولا طلب فقال له هانىء بن مسعود أيها السيد لقد قلت مقال من نظر فى العواقب ولا تركت عليك لوم لايم ولا عتب عاتب إذا التجأنا إلى هذا المكان الشريف عادت علينا بركته وأنقادت بينه العربان الاجل تعظيم لهيبته قال الراوى وفى تلك الايام وصل عامر بن الطفيل يهنى عنتر بسلامته وخلاصه من الاسر فاستقبله عنتر سارية الخيام وجمع بينه وبين دريد على الطعام والمدام وأنزله عنده وحدثه بجميع ماجرى له فى بلاد الشام وشرب المدام وسهر الليالى واذكرتك لم يدخل فى جوز فى طعام لأن قومى مافيهم أنصار ولا أعوان وما أقدر أحثهم على مالا يريدون ولا أكلفهم مالا يشتهون لاسيما أعداك أكثر من أصدقاك فشكره عنتر على حفظ الوداد وعلم أن عذره اضح فيما ذكر من قلة الانصار والاجناد فقال ياعامر مادام رب السما يحفظك على أنت وشيخ العرب دريد بن الصمة ما أبالى

بنازله ولا بلية ثم حدثه بتمام عليه معولين من الهمم وأخبره بما جمع كسرى من العرب والعجم فقال له قد عولنا فى هذه الايام نقصد الى البيت الحرام نستعدلهم باهتمام إلا داستنا العجم وشتتنا فى سائر الاكام تركت نساءنا أرامل وأولادنا أيتام فقال له عامر أنا أسير معك اجمع قومى وأسير هم الى زمزم والحطيم ولا أترك فى المنازل أحدا يقيم ثم قعدوا وأقاموا على شرب المدام ثلاثه أيام عاد عامر بن الطفيل إلى أرضه كما ذكرنا فى الكلام وبعد رحيله بيومين وصل ظعن بنى فزارة من أرض الشام وطلع غبار خيلهم ومواشيها مثل الظلام فركب سنان بن أبى حارثه وحصن بن حذيفه وتمام الالاف فارس الذين أتى عنتر من أرض الشام قال الراوى وقد فرحوا باجتماع شملهم مع بعضهم والالتئام هذا وقد سمع الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد بذلك فركبوا فى مائتين فارس الجلاد وتفوا حصن بن حذيفه وذلك فى كباد عنتر ابن شداد واستحى الملك قيس أيضا من دريد فارسل أخاه الحارث فى موكب كبير من بنى عبس الاجواد وأمره أن يلتقى القوم فى الصحراء ويخبرهم بالشرط الذى جرى وما ضمنه دريد من الضمان كيف سلمت ساداتهم من الهوان قال الراوى وكان قد وصل من الشام مع الظعن ثلاثه آلاف فارس من بنى غسان يحفظون النسوان والفرسان حتى لا يهرب منهم إنسان كل ذلك خدمة لعنتر بن شداد لانه لما وصل جوابه إلى الحارث يخبره بما جرى من بنى فزارة وكيف طلبوه من بعد رحيله يطلبون هلاكه وذكر له القصة من أولها إلى آخرها كأنه كان حاضرها وخابرها وقد ذكرنا أنه سأله فى نفيهم من البلاد هم ونساهم وأموالهم والاولاد إلا أن الحارث لما وقف على ذلك الكتاب علم ما فيه من الخطاب تعجب من ذلك وجاءه أخذة الانبهار وقال وحق الصلب والزنار ما هؤلاء القوم أشرار وقليل ما قد حل بهم الاحقار لانهم كثيرون الاسراف ولا عندهم عدل ولا انصاف كيف يفعلون مع ابن عمهم هذا الفعل الوبيلى وهو قد خلصهم من الاسر وفعل فى حقهم الجميل فهؤلاء لا يصفون لاحد من الى نام ثم أنه أمر المنادى ينادى فى أرض حوران ألا يبقى منهم أحد ثلاثه أيام قال الراوى وما ندرت الاحداق المضارب والخيام جعلوا يسوقونهم مثل الاغنام وقد علا ضجيج أولادهم والنسوان وبعد ذلك جرد لهم الحارث الوهاب ثلاثة آلاف فارس أجواد وامرهم أن يوصلهم الى عنتر بن شداد أنفذ له هدية عظيمة لها قدر وقيمة قال لقومه وأنصاره سلموا لى عليه واغرفوا أخباره وما جرى له مع أهله فى دياره وما تم له أيضا مع فتيان كسرى انوشروان وما جرى له فى أخذ ثار النعمان وأركان يريد نجدة وفرسان يلقن بهم أهل خراسان

فانا أرسل له مائة الف عنان فقالوا له قومه سمعا وطاعة ثم أخذوا أهبتهم من تلك الساعة بعد ما أخذوا من بنى فزارة العدد وجميع السيوف والرماح والزرد وساروا يقطعون البر والفدفد والظعن جميعه يضج بالبكاء والانين والاشتكا لأنهم ايقنوا انهم سائرون لضرب الرقاب ولا بقى لهم مجير من هذه الاسباب ولما أشرفوا على ديارهم والحى رفعوا وجوههم إلى السماء وقد قلبوا الدنيا من البكاء والانتحاب حتى التقاهم قومهم كما ذكرنا فى هذا الكتاب فلما رأوا حالهم بكوا على ما فقد أصحابهم قال لهم سنان والله يا بنى العم ان هذا قليل فى حقنا لا سيما ذلك الوان لانتا ما تركنا من القبيح شيئا يذكر الا عملناه فى حق بن عمنا عنتر وبنى عبس الاخروان قد سامحناه عما فعلنا من الضرور وعفوا عنا بما قد جرى وصدر وسال فينا شيخ العرب دريد وما قصر وأيضا الربيع بن زياد ولولاهما لكانت ضربت رقابنا بالسيف الحداد وكانوا فعلوا فينا كما فعلوا بسادتنا يوم جفر الهباء وما أبقوا منا أحد على قيد الحياة ثم التقى كل واحد منهم بعياله قال الراوى هذا وقد سمع عنتر بالهدية التى وصلت من الشام فركب فى جماعة من رجاله الكرام وتلقاهم وانزلهم فى اعز مكان واكرمهم غاية الأكرام ونحر لهم من النوق والأغنام وصنع لهم الولايم ثلاثة ايام وجعلوا يأكلون ويشربون المدام وبعد الأمور والشان فرق عنتر الهدية التى وصلت اليه من الشام عد حبائبه وبنى الأعمام هذا وعمارة قد زادت حسرته وانقطعت مرارته وقال والله ان وصفنا بجلود الجمال هذه الهدية الينا ليعلمنا أن ملوك الشام صارت تهاديه وتخاف منه وتتقيه فقطع الله أبا نسب له ومن المصايب لا اقاله هذا وبنو غسان قد بلغوا عنتر سلام الحارث الوهاب أعلموه بما قاله من الخطاب بعد ما قبلوا بين يديه التراب وأدوا له الرسالة وبلغوه ما حملهم الملك الحارث الوهاب من المقالة فاعلمه بذلك وهو يعدك بعساكر اولهم عندك وأخرها فى عنانك أو ياتى إليك بنفسه ولو كانت أعداؤك بنى جنسه فإنه يبذل مهجته بين يديك ولا يبخل بروحه عليك فقبل عنتر الارض وشكر الملك الحارث على هذا الخطاب وحمده واثنى عليه وقد قوت بذلك عيناه وقال اعلموا أيها السادة الحضار والله ما نحن الا على الاستظهار ولو ان أعداءنا بعدد رمل القفار اعلموا ان عندنا فارسا من بنى شيبان كسر وحده عساكر كسرى وكان عددهم عرب وعجم مائة وثلاثين الف عنان فى يوم وقعة ديقار لا كان معه جنود ولا أنصار هو الامير هانى بن مسعود الكريم الاباء والجدود وكان الأمير هانى حاضرا فقام واثبا على اقدامه بين هؤلاء العساكر قال والله يا أبا الفوادس لو قبضت بيدى السكوا كب

السنارة ما لحقت لا ترك عبارة ولا لحقت من نارك شراره كان هانى يحب عنتر ويثنى عليه أينما غاب أو حضر فصارت فرسان الشام يتعجبون من مدحهما لبعضها ولا ينكروا شجاعتهما جميع أهل الأرض وأما دريد فانه قال لعسكر اعلموا صاحبكم ابن الكرام وقولوا له لوكسرنا طوائف الاعجام وقتلنا عند ذلك الملك كسرى أنوشروان سلمنا اليه العراق وحكمناه على سائر الافاق وفتحنا له مداين بلاد اليمن ضعا وعدن ولا يعلو فوقه ملك من ملوك الزمن لا يقوم بما فعل فى حق حاميتنا وما والاه من المنن فشكره القوم وأثنوا عليه وحمدوه قبلوا الأرض بين يديه وأقاموا عنده يومين اخر حتى أخذوا لهم راحة من تعب السفر فى اليوم الثالث استاذنوا أبو الفوارس عنتر فاذن لهم بالسفر خلع على المقدمين منهم من البرد اليمانية وأركبهم على الخيول العربية وعمهم بالعمائم الخزكوفيه وأنفذ معهم هديه إلى صاحب الشام سنية وهى الف ناقة من النوق العصافريه عوضا عن تلك الهدية وسار القوم وهم له ولانعامه ونعمته شاكرون وذاكرون بعد ذلك دبروا أمرهم رالاحوال ورحلوا بالظعن والمال وتوجهوا إلى مكة بيت الله الحرام وقد أكرم الملك قيس لبنى فزارة غاية الاكرام وأوهبهم الخيل والسلاح وآلة الحرب والكفاح قال الراوى ولما انهم توسطوا فى البرارى والقفار أنفذ دريد بن الصمة الف فارس من قومه إلى الديار ليعلموهم بهذه الأخبار قال لهم القوا فى حينا النقير والنفير ولا تتركوا هناك صغيرا ولا كبيرا الا ويبادر عندنا ويسير ثم سار فى مقدمة بنى عبس وعنان حتى أشرفوا على مكة فى ذلك الغبار أنكروا أمرهم غاية الانكار وقد أعلموا بذلك السيد عبد المطلب فتعجب من ذلك السبب وقال من هؤلاء العرب ثم ركب من جماعة من البيت الحرام وسار بنو هوازن وجشم وبنو شيبان ولما نظروا وقد تحققوا رايته ركضوا بالخيل إلى ناحية حتى قاربوه وترجلوا جميعا اليه وشكروه وأثنوا عليه فعند ذلك تبينهم الشيخ عبد المطلب بالاعيان وإذا فيهم اخوه الملك النعمان ودريد بن الصمة وهانى بن مسعود سيد بنى شيبان وعنتر بن شداد وحجار بن عامر وسائر مقدمين العربان فتعجب من ذلك الأمر والشان ثم أنه سلم عليهم سلام الأمراء وملوك الزمان وقال لهم ماسبب ازعاجكم إلى هذا المكان ولا هو أوان الموسم ولا الشهر الحرام فقام فقال دريد سبب قدمنا إلى هذا المكان جور كسرى أنوشروان لأنه جمع عساكر خراسان وقصد بهم هذا المكان وقال إنه يخرب البيت الحرام وقد أتينا نطلعك على هذا قبل ما يدهمنا على حين

غفلة منا ونحن لا نعلم ثم أعلم بالقصة من أولها إلى آخرها بباطنها وظاهرها فقال عبد المطلب يا أبا النظر هذا حديث يجب أن يكتب ويسطر وتكون منه على حذر على أننا سمعنا أن كسرى بعد خديعة النعمان أتانا الخبر أن سير عساكره إلى بلاد الشام وهو مشتغل بطوائف النصرانية وعبدة الصلبان فأى شيء غيره عن تلك الغاية وأى شيء أطمعه فينا بالكلية فقال دريد يا مولاى الذى برمته صحيح ولا فيه زور ولا تلويح لأن عساكر كسرى لما كسر بها عساكر النصرانية وأحلت بهم النكبة التجأ لهم غلام يقال له أبو الدوح فتح لهم دمشق فى كياده عمه الحارث الوهاب لأنه كان بابنته كثير المحبة والاكتئاب وقد أشرفت الاعاجم على أخذ البلاد وإنما منعهم من ذلك عنتر بن شداد لانه كان مأسور فى بلاد الشام هو وأخوه وولده وأربعمائة من بنى عمه تمام ولما احتال أبو الدوح على البلد وملكها ولا بقى إلا أخذها دخلت النساء إلى عنتر واستجاروا به فاطلقهم وأعطاهم زمامه فحلوا أكتافه هو وأصحابه وأزالوا عنهم القيود والاغلال وسلموا اليه آلة الحرب والقتال فقتل عنتر ابن عمها فى البلد أخرج أعداءهم فى البر والفدفد ومال بعد عساكر العجم كسرهم وشتتهم فى البر والاكام ولما عاد أياس إلى العراق مسكور أخبر كسرى بتلك الامور وقال له لولا عنتر بن شداد كنا ملكنا البلاد فعند ذلك اشتد غيظ الملك كسرى وشاور جميع الوزراء فقالوا له اعلم أنه ما بقيت هذه الدولة تدوم إن لم تبادرها بنفسك فيا تروم وتجمع كل من فى خراسان من أولاد فارس تسير إلى أرض الحجاز بالراجل والفارس عنتر بن شداد هو ومن يميل اليه من العباد وتهلك العبيد منه والاسياد وترمل النساء وتيتم الاولاد وتخرب مكة البيت الحرام وتكسر الاوثان والاصنام ولا تدعوا أحدا من أعدائك اللئام إلا ما تيم لك عساكر وخدام قال الراوى فلما سمع كسرى ذلك الكلام أنفذ عباد النار إلى سائر الاكام ينفروا جميع الاتراك والاعجام وقد سمعنا أنه جمع لنا الاخبار ان الاعداء قاصدون الى هذا المنازل والآثار قال الراوى فلما سمع الشيخ عبد المطلب هذا المقال تغيرت منه الاحوال وهزته النخوة الهاشمية والحمية العربية وقال لقد ساء قاله وكذبت فى مقاله خابت آماله فوالله لاخمدن ناره وأقلع آثاره وأخرب دياره ثم أنه بعد ذلك الامر والشان سلم على عنتر وعلى أخو الملك النعمان سكر جميع العربان على مجيئهم الى هذا المكان شكر هانىء وبنى شيبان ثم ورد الجميع الى ظهور الخيل وسار بهم الى أن وصلوا الى عند الوادى المحرم هو المنزل بنى عبس المعروف بهم على طول الزمان لان كل طائفة من العرب لها مكان تنزل فيه بطول

الأزمان ثم أن الشيخ عبد المطلب قال لدريد إذا أخذتم الراحة اركب أنت والأمير عنتر بن شداد ومع الملك قيس ومن معه من الأمراء الأجواد أصحاب المشورة والسداد واجلسوا عند دكة القضاء حتى أنا نكتب الكتب ونرسلها إلى جميع عرب البر والفضاء ونعلم بها جميع العربان ومن سكن المناهل والغدران فأجابه دريد إلى ذلك امامر والشأن وعاد الشيخ عبد المطلب فى قلبه لهيب النار من هذا الأمر ويأتوا على ذلك الإيضاح حتى أصبح الله بالصباح وأقبل دريد وأخوه الملك النعمان والملك قيس وعنتر وجميع أمراء العربان ودخلوا إلى البيت الحرام وطافوا بالكعبة سبعا وسجدوا جميعهم للملك العلام وكشفوا رؤسهم قدام الأوثان والأصنام وطلبوا بذلك التقرب إلى الملك العلام وهذا الأمر مشهور وفوق القرآن مذكور لأن الله تعالى ذكره فى كتابه العزيز وهو أعز من قال ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أراد بذلك جل وعلا أن يعرف الخلق ما كان من عباده الأصنام والأوثان يعنى العرب ما كان يعبدونها إلا ليقربوهم إلى الملك العلام ولأجل ذلك سموا جاهلية لنقص عقولهم وكثرة جهلهم وقله معقولهم قال الراوى إلا أن دريد ومن معه من الملوك والفرسان الذين قدمنا ذكرهم بين أيديكم الكرام لما عظموا قدر البيت الحرام عادوا إلى دكة القضاء والأحكام فوجدا عبد المطلب جالسا وحوله سادات الحرم قدامه طائفة كثيرة من العبيد والخدام فسلموا عليه وبجلوه وعظموا قدره وأكرموه وصار الجميع قيام حتى نهض لهم دريد وردوا عليه السلام وأمرهم بالجلوس جميع الأمراء الكرام ثم طالبوه بمكاتبة القبائل والحلل فقالوا له ما بقى لنا عن هذا الرأى والاتفاق إلا كتابة الأوراق ثم أنه أمر بعض اله يدأن يحضروا له ورقا وطلع هو الدواه وقال لدريد اذكر قبائل العربان فى الآفاق حتى أننى أعلمهم بهذا ففعل دريد تلك الأمور الظاهره وجعل يفهم وهو يكتب ودريد يحاوبه حتى كتب ثلاثين كتابه إلى ثلاثين قبيلة من الأعراب وكانت نسخت الكتب بالسلام والتحيه والإكرام باسم رب زمزم ومنى المستحق الحمد والثنا المنزه عن البنا والأبناء جعل الليل سكنا والنهار حركة وعناء تفرد بالدوام والبقاء حكم فى سائر الخلق بالموت والفنا العظيم الشأن الذى ما لعرشه أركان ولا دعائم ولا حيطان الذى نعرف به فرسان البيت الحرام وزمزم والمقام التابعين للأوثان والأصنام أن عباد النار وسكان الحصون الحجر والقلاع قد زادت لهم فينا الأطماع وقد جمعوا جموعا من أقصى بلاد خراسان من خلف سيحون وجيحون وترك وديلما وقد عولوا على قلع آثار العربان

حوسبى العيال والنسوان وخرب البيت الحرام ويجعلوه بيتا للنار ويخربوا زمزم والمقام وأنا أسألكم أيها العرب الكرام أن تهيئوا أشغالكم فى هذه الايام وتتركوا الاحقاد والأضغان وتصفوا لبعضكم النيات أيها الفرسان وتصيروا يدا واحدة أيها الأجواد لعلنا نبلغ المراد وإلا داستنا الفوارس بحوافر خيلها الجياد واشفت منا غليل الأحقاد وتأخذ نساءنا عندنا جير خدم وبعدما نكون أحرارا نصير خدم ونعدم كل العدم والعجل العجل يا أصحاب النخوات البدار البدار يا أهل المروءات السرعة السرعة يا ذوى معزمات فقد تغيرت الأوقات واقترب الميعاد وآن أوان ظهور سيد العباد محمد الهادى إلى طريق الرشاد فما تلوا عن منازله الشريفات وحاموا عن أرض منى وعرفات يكون اجتماعكم قريبا غير بعيد أيها السادات الأماجيد ولا تأتوا إلا بالنساء والعيال والنوق والجمال والسلام على من حفظ الذمام وعرف قدر هذا الكلام قال الراوى وما أتى آخر النهار إلا وتفرقت العبيد بالكتب إلى سائر القفار والأقطار وقعدت جميع العرب فى الانتظار ولما كان الغد أتوا كلهم إلى زيارة البيت الحرام وداموا على ذلك الأعظام فبينما هم فى بعض الايام إذا هم بغبار قد قبل من البر والآكام فقاموا وتلقوه إذا هم بنو هوزان وجشم وهم عشرة آلاف عنان وصحبتهم العيال والنسوان والعبيد والخدم والغلمان وفى مقدمتهم خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس الشديد العزم والبأس هذا وقد شكرهم دريد على سرعة الاجابة والقدوم وقد أعلمهم بما فعل السيد عبد المطلب من جميع القوم وكيف أرسل جميع الكتب إلى جميع قبائل العربان وبعد ذلك بيومين وصلت قبائل العربان وأول ما وصل قبائل عامر وبنى كلاب وغيرتهم قد ملات البر والهضاب وفى مقدمتهم عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة الفارس القيل وأقبلت بنو الجريش وبنو الوجيد وفى مقدمتهم الفرسان الاماجيد فلقاهم الملك قيس وعنتر وإخوة النعمان وأنزلوهم فى أعز مكان وتتابعت بعدها القبائل من كل فقر وسبب كان أول من وصل بعد هؤلاء العرب عمرو بن معد يكرب البطل الجواد فى فرسان بنى زبيد ومراد وقد ملؤا بكثرتهم الارض والمهاد وأقبلت بعد ذلك بنو يربوع قدامهم عتبة بن شهاب اليربوع وأتت بعد ذلك جميع فامتلأت الدنيا بالقبائل والفرسان قال فلما نظر السيد عبد المطلب إلى كثرة هذه الخلائق والأمم وقد سكن ما به من الغضب وصبر حتى انقطع المدد وعلم أنه ما بقى يصل أحد فعند ذلك أمر عبيده أن تنادى فى جميع القبائل أن يجتمعوا عند ذلك القضاء فى اليوم القل بافعلوا مثل ما أمروا

وقد علم جميع من غاب وحضر فلما كان من الغد نصب له كرسيا عاليا فى سعة الفضاء وهو من فوقه يحمد الله ويمجده ويسبحه ويوحده ولم يزل على ذلك حتى اجتمعت سائر الرجال وقد خطب خطبة بليغه البيان مما أعطاه الله من فصاحة اللسان وذكر فيها فضائل البيت الحرام وعظم قدر زمزم والمقام وحث قبائل العرب على قتال الأعجام ثم ذكر أحوال يوم القيامة وما يحل بالمذنبين فيه من الندامة ولكن يغفر الله لهم بشفاعة صاحب الشامة والعلامة وما فرغ من ذلك الكلام حتى خافت قلوب جميع العربان وكشفت رؤسها بين يديه وهم خائفون من الملك العلام ووهبوا لبعضهم ما كان لهم من الدماء وصفت الضغائن قال فلما صفت نياتهم طابت قلوبهم وقالوا للشيخ عبد المطلب أيها السيد العظيم القدر والشأن الآن سير نا إلى قتال عباد النيران فقال لهم عبد المطلب خذوا أهبتكم اليوم وغد وفى اليوم الثالث سيروا إلى قتال هذا فعند ذلك عادت العرب إلى الخيام وأخذت لذلك الأمر فى الاهتمام وأوصوا عبد المطلب بعد بحفظ الحريم وتركوا عنده من كل قبيلة خمسين فارسا كريم ثم أن السيد عبد المطلب بعد ذلك الأمر الذى قد انتظم سلم لكل واحد منهم علما بعد ما طاف بهم سبعا حول الكعبة فى الحرام وأمر الكل بطاعة دريد بن الصمة لاجل كبر سنه وسارت الجيوش إلى عبدة النار والنور على خيول أخف من الطيور وجنائب تسابق النسور وعلى أجسادهم الدروع والزرد كاملين السلاح والعدد وفى مقدمتهم دريد بن الصمة وهو كأنه النسر المعمر وبنو هوازن وجشم من خلفه كالبحر إذا زخر وهو يذكر ما مضى عليه من الأيام وما قاسى من الشهور والأعوام فأنشد وجعل يقول :

| | |
|---|---|
| ياهند لاتنكرى شيبى ولا كبرى | فهمتى مثل حد الصارم الذكر |
| ولى جنان شديد لو صدمت به | حوادث الدهر ماجازت على بشر |
| لاتحسبى أن خطا الشيب أضعفنى | عن الطعام ولا ألوى لنا فكر |
| ولاتوهمت أنى خضت معركة | إلا تركت الدما ينهل كالمطر |
| كم قد عركت مع الايام نائبة | حتى عرفت القضا الجارى مع القدر |
| عمرى مع الدهر موصول بآخره | وإنما فضله بالشمس والقمر |
| جدوا بنا يابنى الأعمام وابتدروا | إلى الاعادى وتروى الصارم الذكر |
| أولاد فارس ما للعهد عندهمو | حق ولا فيهمو فخر لمفتخر |
| يمشون فى حلل الديباج معلمة | مشى البنات إذا ما قمن فى السحر |
| ويوم طعن القنا الخطى تحسبهم | غانات وحش أتاها عسرت منذعر |

جرابهم ليس تُدمى عند حربهمو ... بل وقعها كالابر فى جلد الصخر
غدا يرون رجالا من فوارسنا ... لوقابلوا الموت ما كانوا على حذر
خلقت للحرب أحميها إذا بردت ... واجتنى ياجتناها يانع الثمر
أديرها برحا سوداء مظللة ... لولاقها الفلك الدوار لم يدر
يا آل عدنان هموا واطلبوا رجلا ... جنوده مثل غوث العارض المطر
الموت عندهموا حلو له آلف ... وعند غير هموا كالحنظل الكدر
يا آل فارس كفوا لامقال لكم ... كم تزعمون بنيل النصر والظفر
فعسكر كسرى يسير من فوارسنا ... يرى هزيمته والقلب منكسر
قد جد فى هدم بيت الله معتديا ... ولا يعود سوى بالكسر والضرر
ويبتلى برجال فى الحروب لهم ... باس شديد ليوث من بنى مضر
والناس قسمان هذا قلبه خزف ... عند اللقاء وهــذا قلبه حجر
وعن قريب يلاقى بغيه ويرى ... يوما شديدا عليه عابس خطر
طغى على الملك النعمان حين بغى ... عليه بعــد خداع جاء فى الخبر
القاه للقبل من بعد الامان غدا ... يهوى قتيلا وما للعين من أثر
وسوف تأخذ منه الثار عن عجل ... ونكشف العار بالصمصامة الذكر
وقد تفرق جمع الفرس كلهموا ... بحربنا فى حياض الموت محتضر
وسوف ينظر كسر مايحل به ... نقم وليس سماع الاذن كالنظر

( قال الراوى ) فطربت الفرسان من هذه الاوزان وكان أشدها طربا هانىء بن مسعود الكريم الآباء والجدود ومن عظم نخوته جال الشعر فى خاطره فاتبع سنة العرب وأنشد يقول :

أرى لوعتى نيرانها ليس تخمد ... وقلبى على الذى كنت أعهد
زمان نبها فيه عمرا كأنه ... خيالا تراه فى المنام مسهد
تبيت نشاوى تمزج الراح بيننا ... فتاة لها خصر نحيل ويقصد
إذا مزجت من كاسها فى راضابها ... سقتنا رضابا فيه صهد مبرد
وإن سفرت لاح الضيا من جبينها ... وبان لها خد أسيل مورد
ودعنى أجد السعى فى طلب العلا ... وأكسب مجدآ أو أموت وألحد
ألا يا بنى شيبان ما العز هين ... فجدوا إليه بالصوارم واجهدوا
وفى يوم ديقار ونحن جميعنا ... لقينا جيوش الفرس والخيل تشهد

أتونا بجيش كلما سار قطره ... ظنناه بحرا طما وهو مزبد
لخلنا عليهم بالصوارم والقنا ... وساعدنا لمـــا ذكرنا محمد
نصـــلي عليه كلنا ونسلم ... ونرضى عن أصحابه الغر نسعد
تركنا سراة القوم فى مهر جثما ... وفيهم لوحش البر والطير مورد
رجوع الينا يا بنى الفرس فاسرعوا ... إلى حربنا أوفارقونا وأبعدوا
فانا اليكم قاصدين بعشر ... إذا نظروا برق الصوارم أرعدوا
وهاقائم السيف الذى تعرفونه ... بديقار فى كفى ثقيلا مجرد
وكاسا سقيناكم به من رماحنا ... على حالهـــا الآنة لاتبرد
وعما قليل تشربوها هنيئة ... على نغمات البيض والجو أسود
وتفنيكم بالبيض والسمر والقنا ... وتترككم فوق التراب بدد
ونحمى لبيت الله من كل جاحد ... وعباد النار حين تضرم يسجد
ونهزمكم فى كل قفر وسبسب ... بعون إله دينه ليس يجحـــد

فلما فرغ هانيء من شعره طرب له السامعين وكان أكثرهم طربا عمرو بن معديكرب فانشد يقول

قامت لميس وليس اللحظ مسلول ... وطرفها ببديع السحر مكحول
تهتز تحت سيوف الناظر بن قنى ... سمر بهن كمى القـوم مقتول
فارسلت من سهام اللحظ بافره ... بها صميم سويد القلب معلول
جاءل لميس الحى وهى سافرة ... كالغصن لا قصر فيها ولا طول
كبدر تم على غصن وفرقهما ... ليل وصبح ومعقود ومسبول
ولاح منها وقد مر منسيم بها ... خد أسيل وخصر فيه تنحيل
تزهو بمكحلة ما قط خالطها ... كحل ولاجاز فى أجفانها ميل
هيفاء ريانة الاعطاف ناعمة ... تهتز نافرة الارداف تثقيل
بها بهاء الحسن واستحلى النسيم بها ... وكلما ضم منها الخصر منحول
لها جبين كبدر التم يكنفه ... جنح من الليل معقود ومكحول
باتت تعانقها كفاى غانية ... والليل منسدل والطوق معلول
وبت أرشف من أرياقها شربا ... مخلوطة بسحيق المسك مبلول
فكم لنا ضمه يشفى العليل بها ... وشمة بعدها رشف وتقبيل
فيا لها ليلة بالوصل أقصرها ... وصل الحبيب ولم أعرف لها طول
تقول والصبح قد لاحت عساكره ... منشورة ثم جيش الليل مغلول

مالى أرى الناس قد شدت ركائبهم والحى ما بين تفويض وترحيل
فقلت والنفس يوم البين قدعلمت إذا الفراق دنى مامنه تأجيل
هذا فراقك ياابسا فهل لغـــد وعدا فللنفس آمال وتعليل
فاستبشرت ثم قالت وهى شارقة بالدمع والدمع يوم البين مهطول
احفظ لسانك من تذكار ليلتنا إلا بخير فان الستر مسبول
واحفظ فديتك شيئا أنت مالكه واسأل إله السما فالرب مسؤل
لما سمعت النداء منها فقلت لها بين الطلول ودمع العين مهطول
مهلا رويدك تأجيلا لصحبتنا قالت نعود ودع للعود تأجيل
أشرف بالسوط توديعا فجاوبنى منها بنان وطرف فيه تكحيل
ثم انثنت إلى عبس أشاوسه لها على الأسد أرقل وتنقيل
موج نزف شمول حدودة دلج شميلة السير نهل غير مسقول
كرما مرقالة وجنا مسربلة تجيد سيرا لها جياش مشمول
أفنى بها حندس الظلماء منحرفا فى قاع دهما بها السرحان والغول
والطلح والعشر والغبراء مهدها بعظم الجذع مهطول ومنطول
وسرت نحو ديارى وهى فى كنفى تسير ما بين تسهيل وتذليل
أما ترى الجو مسودا غياهبه بنقع خيل لها فى الجو اكليل
جدوا بنا يابنى الاعمام وابتدروا إلى اللقا بقلوب كلها غيـــل
ويل لكسرى إذا جالت فورسنا هم سادات فى لوغاشم بها ليل
مايوقع الطعن إلا فى نحور همو ومالهم من مجال الطعن تحويل
عدمت سمر القنا ان لم أعلمها طعنا تصح عليه الاعين الحول
وأترك السيف فى الأعجام مختضبا من الدماء ويقطر وهو مغلول
والخيل تدهش فى يوم الهياج بنا حتى ترى فيافى الأرض تسيل
ونحن قوم إذا جالت فوارسنا على الاعادى تركنا القرن مقتول

ومافرغ عمرو بن معديكرب من شعره حتى طربت السادات وكان أشدهم طربا الامير عنتر فمال على جواده طربا واشتدشوقه للضرب والطعان فرحا باخذ ثار النعمان وأنشد يقول

قف بالمنازل ان شجتك ربوعها فلعل عينك تستهل دموعها
واسال عن الاظعان أين ترحلوا ومتى يكون إلى الديار رجوعها
دار لعبلة شط عنك مزارها ونأت فقارا مهجتى هجوعها

فسقيتك يا أرض الشربة مزنة ... منهلة تروى ثراك هموعها
وكسى الربيع رباك من أظهارها ... حلل إذا ما الأرض لاح غبيرها
كم ليلة عانقت فيها خريدة ... يحيا بها عند المنام ضجيعها
شمس إذا طلت سجدت جلالة ... لنورها ومخلا الظلام طلوعها
يا عبلة لاتخشى على من العدى ... يوما إذا اجتمعت على جموعها
فالموت يابنت الكرام كدوحة ... أنا ورمحى أصلها وفروعها
وغدا يمر على الأعاجم من يدى ... كاس أمر من النقيع سمومها
وأذيقها طعنا تذل لوقعه ... ساداتها ويشيب منه رضيعها
وإذا جيوش الكسروى تبادرت ... نحوى وأبدت ماتكن ضلوعها
قاتلتها حتى تمل وتشتكى ... كرب الغبار رفيعها ووضيعها
وتركت الأسد الضراغم لحومها ... ولمن صحبني خيلها ودروعها
يا عبلة لوأن المنية صورة ... أومى إلى سجودها وركوعها
وجعلت سيفى فى النفوس معذب ... من لايجيب مقالها وطلوعها

فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات زاد بالقوم النخوات وخفقت على رؤسهم الأعلام والرايات وكثر بالقوم الوجد والشوق فعند ذلك أنشد الأمير دثار بن روق وجعل يقول :

لو كان جرحى بسيف كنت أقطبة ... واستريح من الأمراض والعلل
لكن نظرت نهودا وهى قد برزت ... بالقد والخد والأحداق يا أملى
فقلت سيفى ورمحى فى اللقا حكما ... يوم الوغى وغبار النقع يشهد لى
إنى الفوارس والأبطال جائلة ... يوم الطعان ويوم الضرب بالأسل
وأطعن القرن فى يوم العجاج إذا ... غنت به البيض والخطية الذبل
وأضرب الهام بالصمام أقسمه ... والأرض تشرب دماه قط لم يسل
والشوس فى النقع أرديها وأفرسها ... والجن تخشى فناتى خوفا من عمل
فسوف ألقى رجال الفرس أجمعهم ... بضرب جمامة فى الهام والقلل

فلما فرغ دثار مماقاله من الأشعار زادت له الأبطال طربا وعجبة فاجابه على شعره خفاف ابن ندبه وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

أنا العاشق المضنى المصاب بحبكم ... وإن تلفت روحى فإنى بكم حالى
توسدت تحت النقع فى ظل حسنكم ... ويبقى على حبى لكم عظمى البالى
لكم قسم فى هواكم ولم أزل ... أراعيكم فقد خففت فى الحب أثقالى

أنا الفارس الطعان فى حومة الوغى ... بضربة عسال وطعنة قصال
سأطعن فى الخطى فى الفرس طاقتى ... وأضرب بالمندى وأبغ أمالى

فلما فرغ خفاف بن ندبة من شعره مافى الجماعة إلا من أطربة نظمة وكان أشد هما طربا عنتر بن شداد وقد زادت نيرانه ايقادا فقال عند ذلك على ظهر الجواد وأنشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات كثير المعجزات صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين المبرئين من السيئات الذين من أحبهم دخل الجنة مع الصالحين والصالحات وينعم بكثير من الخيرات وهى هذه الأبيات

( وهذه القصيدة الجيمية لعنتر )

أشاقك من عبلة الخيال المدملج ... وقلبك فيه لاعج يتوهج
افقد الذى انت وأنت متيم ... غدا فاحتواها غنك لى البر هودج
كأن فؤادى يوم سرت مودعا ... عبيلة من ضارب يتفجفج
خليلى لا أنساكما بل فداكما ... أبى وأباها أين أن المفرج
أن يستظمن الواردين فسلما ... ديار التى جهابت لحج
لعبلة دار عند مابت أصبحت ... بها الأربع الهوج العواصف ترهج
إلا أنها شط عنـــد مزارها ... وأزعجها عن أهلها الآن مزعج
فهل مبلغ عنى شميلة شمـــلة ... هميلعة بين النواقـد تمهج
نجادية الأنساب مكحولة الرنا ... عرندسة أمسى بها القلب يمهج
زعير عنه زعزوعة زعزعية ... ترعزع أن لاتبصر الآن تفرج
تريد إذا ولت سامـــا وعاجزا ... وإن أقبلت صدر لها يترجرج
عليها لعبلة سوف أسعى مسلما ... وأضم ردفا خلفها يتـــدحرج
وهيفا وسعوى ماعلى الأرض مثلهم ... وقلبى مقيم فى هواها ملجلج
اليك عبيلة سلك در نظمته ... فأنا له سلك ونظم ومنهج
وقد سرت يابن الملاح مبادرا ... على ظهر مهرى من الخيل أسرج
من الإبل منوار اليدين هجينع ... على هامة مثل الملاطين يمهج
شلخلخ شلخ الشمهلى شلاشل ... رياع دلول فى الفلاه معوج
وأم هرقل والزمان وجندب ... ودريدان فيها والظباثى وحيرج
رمين القطا البحرى فيها كأنما ... تدل لها عند السقوط التنج
عسيمسة عسوسة صمصمية ... أعرو وعين للفريقين أجلج
تمطلسب الايام ثم استمطست ... وأبدت بكداس المسلح عسلج

وأن سجمج العج المجمج عجمجت ... هجاجيج عجان لسر التعجعج
فلما عرفت الدار قلت لأهلها ... أدام عليك الوابل المتبهج
وأزرق بين الدانيات غصونها ... النظمة البيت المحيط الموهج
وفيه القط يمشى كأنما ... تـكبله عند القـد وتحبلج
وفيها عيون جاريات بمائها ... ودبومة عرفانها يتمهرج
تمطمط فيها الماء بعرصاتها ... فأصبح فيها نبتها يتوهج
وفيها طيور زاعقات بصوتها ... ولاح لنا زهر نفيس منتج
وفيها روائح فائحات فكيهة ... وورد ويسمين من الزهر مرهج
وفيها الدفلا والخزام وكندس ... وتفاح مع بان وشبح وعوسج
تتلاطم الميـاه فى عرصاتها ... فأصبح فيها نبتها يتبهرج
وأزرق فيها الاثل والفل والبقاء ... وندو ونسرين وحب البنفسج
فإنك قـد هيجتنى بعد سلوة ... فدونك ماارتاح الفؤاد المبهج
لأن أضحت الاطلال منك خلية ... كأن لم تكن فيها من العين أبهج
إذا تجج الحب المتجتج تجتجت ... تتاتج تيجان لسر التتجتج
فقد طال مادعت فيه عنيلة ... يداعبى فيها الغزال المفتج
أغنى مليح الزى ريم مكحل ... نقى بحال الطرف أدعج أبلج
لها حاجب كالنون والالف والها ... بثغر نقى كالاقاح الفلبج
وجيد وأرداف وقـد مهندم ... وقد حكى وراد وساق مدملج
وبطن كطى السابعا باخمص ... أقب لطيف ضامر الكشح مزعج
ولعت بها والليل راخى سدوله ... إلى ان بدا ضوء الصباح أبلج
أراعى نجوم الليل سحرا كأنها ... قوارير فيها رميق يتدحرج
وأخوان صدق صادقين ملكتهم ... بحسن وداد عندما تهرج
يطاف علينا جندريس مدامة ... ترى حبها من فوقها حين تمزج
إلا أنها نعم الد اه لشارب ... لكاشحها مشبوبة كالفليلج
دع الماء واسقنا المدامة إنها ... شفا النفس من آثامها تتحرج
فتضحى سكارى والمدام مصفف ... يدار علينا والظلام مـدجج
وما راعنى نحو العداة رماقه ... إلى مثل ماء الزعفران تولج
فلما دنا منى قطعت وريـده ... بحد حسام صفحه يتشنج

ومالى روح فى الرواح تعادرت ... خلعت عذارى دائما متبرج
كان دما الأرواح حين تحادرت ... خلوق العذارى أواقب مدباج
ومن يدن منهم بالصب فإنه ... يصاب بسيف أو يصاب بهملج
فويل لكسرى إن حللت بداره ... وويل لجيش الفرس حين أعجعج
وأحمل فيهم حملة عنترية ... أرد بها الأبطال من كل لجلج
وأصدم جيش القوم ثم أذيقه ... مرارة كأس الموت صبرا بمجمج
وآخذ بثار الندب سيد قومه ... وأضرمها فى الحرب نارا تتأجج
وفى حملتى كل الرجال تهابنى ... وتصدع صيا للجبال تمجمج
وإنى لاحمى الجار من ضيق قلة ... وأفرح للضيف المقيم وأبهج
وإنى لحال لكل ملمة ... تحن لها صم الجبال وتبهج
وأكتم عن أعيان قومى فاقتى ... وندعونى فى كل خطب أفرج
وإنى أنا الفتاك بالسيف قرنه ... إذا أراد أن يمضى لأمر مبهج
وإنى أنا القمقام فى حومة الوغى ... مقيد على الأعداء نارا تتاجج
وإن أحد منهم جفانى وصلته ... وإن جفا ابن العم عندى يسمج
فهل تندب البيض العذارى مقاتلا ... من القوم كهلا فى المعاجة يفرج
فى تندب هبط الوادى ليطلب قتلتى ... بحد حطبا جزلا ونارا تتاجج
ومن يبرز الميدان عندى قتلته ... بحد حسام صارم يتشنج
ومن رام تقويمى فإنى مقوم ... ومن رام تعويجى فإنى معوج
ولو فرس للخير بالخير ملجم ... ولى فرس للشر بالشر مسرج
إذا لم تكن خيرى يرجى وسطوتى ... تهاب ووجهى للاخلاء أبلج
فلا خير فى تطويل عمرى ومدتى ... وإنى إلى قصر من العمر أحوج
فإن يكن كسرى يرجو لسطوتى ... مع هيبتى فهو بالكل أسمج
فدو نكموا يا آل عبس قصيدتى ... يلوح بها ضوء وخد مضرج
إلا إنها أم القصائد كلها ... يفصل منها كل شعر وينسج
أنا عنتر المعروف فى حومة الوغى ... أكر على الأبطال لست أعوج
وأحمى عبس على طول مدتى ... إلى أن أوسد فى التراب وادرج
إلا إنما الدنيا عبارة فاغتنم ... وعما قليل سوف تمضى وتخرج
فسكن فاعلا فيها لكل كريمة ... وصانع معروف فهو خير منهج

فهذا هو الفضل الذى يرتجى غدا | إذا نحن من تحت الأراضين نخرج
وأفضل من تلك القصيدة كلها | نصلى على خير البرايا المتوج
بالنور والرضوان من عند ربه | وأرسله للخلق جمعا مفرج
كذا الآل والاصحاب ماطاير | وما ناح قرى وصاح مدعج

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام وإنشاده والكمال تعجبت الأبطال السادات من هذه المعانى والاشارات طربت لهذه الابيات جميع القادات وحميت فى رؤس الفرسان النخوات وما فيهم إلا من تذكر أمر الوقايع والفزرات السالفات كما جرت به العادات ولم يزالوا سايرين يقطعون الفلوات وهم طالبون كسرى أنوشروان يتذكرون مواقع الفرسان ولا يتذكرون فى الضرب والطعان ولا من شرب كاسات الحتوف ولا من حرب للعجم الموصوف قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء القوم والفرسان • وأما من الملك كسرى أنوشروان فانه صبر إلى أن جاءت إليه العساكر من أقصى خراسان وجمعوا له جميع من فى البلاد من الاقيال والفرسان وكل من فى القلاع والحصون من ديلم ودبلمان من خلف سيحون وجيحون فلما رآهم فرح بكثرتهم وأمر النقباء أن يعرضوا عددهم عليه وكانوا أربعماية ألف عنان من الفرسان والديلم والعربان وهم لابسون آلة الحرب والقتال من سيوف ورماح طوال وزرد ونبال وذرع لبوت أعمدة ثقال فلما رأى الملك كسرى ذلك فرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والترح وأمر باخذ الأهبة للسبين وأوصى على الملك ولده أزدشير وكان ولدا نفسيا وهو الكبير فجلس من غير خلاف وأمره بالعدل بعد ذلك برز الملك كسرى إلى خارج المدينة وكان ظهوره فى يوم عظيم مشهور وقد خفقت فيه الاعلام والرايات وقد ارتجت تلك الخلاق التى تقصر فيها العقول الزاكيات هذا وقد رحلت تلك العساكر حتى أنهم أشرفوا على مدينة الحيرة فلما علم نائبه خرج إلى لقائه مع سادات العرب التى صارت فى حماه من بنى طى والفرسان الذين جمعهم من كل قبيلة وحى لان يسبقه إلى الحيرة يجمع عساكر اليمن وضعاء عدن ففعل كسرى كان أمره أن ما أمره من الشان صار فى ماية ألف عنان لما وصل الملك كسرى خرج إلى لقائه كما قدمنا فى هذا الديوان مقدمين ذلك الامم مشوبين يديه إلى أن دخل إلى السرادق الاعظم وقد امتلأت الارض فى طولها والعرض وكان إياس بن قبيصه أنفذ له جواسيس إلى أرض الحجاز يكشفون له الاخبار ما فعلت العرب من الاثار ويعلمون عددهم فى أى مكان يكون

اجتماعهم فعادت الجواسيس إليه فى ذلك الحين قبل قدوم كسرى قالت له أيها الملك الهمام إن قبائل العرب قد اجتمعت فى البيت الحرام وبنفت زمزم والمقام وسمعنا أن السيد عبد المطلب بن هاشم قام فيه خطيبا قد جمع العرب من قريب وبعيد وسيرهم فى سبعين ألف مقاتل كاملين العدد والزرد غير الفرسان الذين عليهم المعتمد مثل عنتر بن شداد وهانىء ودريد ومثل هؤلاء الاجواد عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة الفارس القيل وعتيبة بن شهاب فارس بنى يربوع مخرب الاطلال والربوع وجميع الفرسان الثابتين يوم الحرب والطعان فلما سمع إياس هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه وصارت الدنيا فى وجهه ظلام وقال للجواسيس أين تركوا الاموال والحريم قالوا عند زمزم والحطيم وتركوا لحفظها أوفى من أربعة آلاف فارس من الفرسان الاقيال فتعجب إياس بن قبيصة من ذلك الامر والشان وعول أن يطالع كسرى أنوشروان فبلغه أن الملك سار من المداين والايوان نصير حتى تقدم كما ذكرنا نزل على الحيرة كما قدمنا فدخل عليه عند طلوع النهار أعلمه بما فعلت عرب القفار أعلمه بعددهم وسمى لهم فرسانهم وأقيالهم قال الراوى كانت جميع أكابر دولته ورؤساء مملكته قد أتوا جميعهم للوالفة والمشورة وهم جالسون فى حضرته فلما سمع الملك كسرى هذا الاقوال قال ونحن ما أزعجنا الاقطار لجمعنا هذه الفرسان والاقيال الامن أجل سبعين فارس من الاندال فوحق الكواكب السيارة والنار الحامية ما قلت إلا ولا أزعجت نفسى مع غير أبناء جنسى لان هذا ما يحط قدرى عند أهل خراسان وعند قيصر ملك عبده الصلبان فقال الوزير الاكبر المسمى بالبرزجمهر لا تحتقر أيها الملك من أنت سائر إليه ولا تعده مثل غيره مما يليه واعلم أن الدولة تمرض كما يمرض الانسان تتوعك فى الاجسام وأنت فى هذه الايام طبيب الدولة الكسروية من كل داء وعرض وبلية الصواب أن تؤثر فى أعدائك أثر والا أنهدم ركن المملكة واندثر لان هؤلاء العرب قد داخلهم فينا الطمع وظنوا أنه قد حل بنا الفزع من نوبة ديقار والمقتل ولدك شيرسان وانتقل إلى بركة النيران وكسر لنا مائة وثلاثين ألف وكانوا هم فى ثمانية آلاف من العربان لولا تلك الامور والاحكام فيصل اليك شرهم فقال كسرى قد علم أن وزيره صادق فى المقالة أعلم أن الكسره التى جرت فى ديقار ما كانى بسعاداتهم ولا بشجاعتهم وبراعتهم وأنما كانت ببركة مولود مؤيد من رب السماء هكذا قالت الحكماء والعلماء وأنا لابد لى فى هذه النوبة أن أترك نساءهم أرامل وأولادهم أيتام بعدما أخرب البيت الحرام وأكسر ما عليه من الاوثان والآلهة.

والاصنام وأخرب ديارهم والاكام إكراما لهذا المولود الذى ولد فى هذه الأيام وأفعل بهم كما فعلت اليهود بعيسى بن مريم عليه السلام لأنهم قد فزعوا على عشيرتهم منه فضربوه وما زالوا حتى قالوا أنهم صلبوه وكذبوا والله فيما قالوه فقال له الوزير إن كنت عولت على هذه الاشارات فبادر إلى هذا الامر قبل الفوات وأنفذ ثلاثين الف فارس إلى البيت الحرام حتى يسبون ما لهم من النساء ويأخذون ما لهم من الاموال والحطام ويعودوا الينا فى عاجل الحال وان وجدوا ناسا مع العرب فى القتال يحملوا عليهم من خلف ظهورهم حتى تنقطع آثارهم بسبى العيال ونهب ما لهم من الأموال وتكون نحن قد أضعفناهم ثم نظفر الظفر الاكبر إذا أفلعنا منهم الاثر ولا نبقى منهم من يخبر وإلا أن قاتلت هذه القبايل ورأت الغلبة عادت إلى البيت الحرام وقاتلت قدام الارباب والاصنام ويجتمع معهم كل بدوى فى أرض الحجاز ويبذلوا جهودهم عند البراز وإذا هى رأت الغلبة فى القتال هجت فى البرارى والتلال فلما سمع الملك كسرى وأرباب دولته ذلك الخطاب وقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وقالوا جميعهم أنه الوزير ما بقى عليه لوم ولا عتاب قال الراوى هذا وقد تصور لكسرى مثل ما تصور إلى الوزير من الامور والاسباب فقال لإياس بن قبيصة ما لهذا الامر غيرك فبادر أنت بنفسك وسر فى جميع قومك وعربك ويكون معك بعض حجابى فى طائفة من الفرسان الاقيال وتقضوا تلك الاشغال وتعود وأنت فى طالع مسعود وتكون بذلك قد أكمدت عدوك والحسود فقال إياس أعلم يا ملك الزمان أن ما لروا حى وجه بهذا الشأن لأن جميع من معى من الاقوام اذا رأوا زمزم والمقام ما نبلغ بهم أبدا مرام لانهم لا يتخوا عن عبادة الاصنام ولا تقاتل ولا تجرد حسام وما لهذا الأمر غير الديالم والاعجام وهذا ما عندى من الرأى التمام قال الراوى وكان ذو الخمار حاضر وسمع ما قالوه لانه من خواص كسرى فقال يا مولاى وحق الرب الكبير لولا أنى أريد أن أفرجك على ما يجرى بينى وبين عنتر ما كان سار إلا أنا وكنت أريك ما أفعل بزمزم والمقام والبيت الحرام لأنى ما عدت أعبد وثن ولا صنم بين الخلائق لأن من يوم وعدنى كبيرهم بهلاك عنتر على يدى وكان كذابا ما بقيت أعتقد فى وثن ولا صنم ما دمت أعيش وآكل اللباب ولى هناك أيها الملك المهاب ما هو أهم من هذه الأمور والاسباب لان زوجتى بنت دريد شيخ العرب فى جملة حريمهم والنسوان وفى قلبى من هواها ما لا أقدر أصفه بلسان ولولا طلبى لهلاك عنتر وتلك القضية حتى لا يبقى أحد غيرى يذكر بفروسية ما كنت سليت زوجتى ولا بعدت عنها بالكلية فلما

سمع الملك كسرى مقاله وذكر زوجته خاف من دواهيه وغائلته لأنه كان عرف جنونه وخباثته فقال فى نفسه أى يوم زاد بهذا الشيطان الشوق إلى زوجته دبر علينا مصيبة من مصائبه وماد إلى وطنه ورحلته ومالنا إلا تنفذه لهذا الأمر والشان لعله أن يهدم الكعبة والاركان ويعود الينا باموالهم مع النسوان حتى يصير له عندنا مأوى ونأمن دواهيه مع ذلك البهتان قال فلما تصور هذا فى قلب كسرى قال له وحق النور والنيران مالهذه النوبة غيرك إنسان ولا أحد يقضيها سواك ياسيد الفرسان لأنك عارف بطرقات الحجاز ومنازل العربان وأما عنتر ومن معه من الفرسان فلا تحمل همه ولا يخطر ببالك هذا الأمر والشان لاننا نأخذه بكثرة الجنود وهذه الامم الذى مالها حد محدود وتكون قد بذلت المجهود ونصرت وكمدت كل عدو حسود على أنى أقول أننا ما نلق الفرسان حتى تكون عدت بالاموالهم والنسوان لان الخلق كثير ولا نقدر نجد فى المسير وأنت تسير بجيش خفيف خالى من الاثقال وتقضى لنا جميع الامور والاشغال ويصير لك من الفخر وعلو المراتب أوفى ما أنت طالب لاسيما إذا هدمت البيت الحرام وجلت بخيلك بين زمزم والمقام فتتحدث العرب بفعالك عاما بعد عام ويقولون فلان سار إلى الكعبة وأخربها التى يحجون الناس اليها من مشارق الأرض ومغاربها قال ومازال كسرى يهون الاخطار على اللعين ذو الخمار حتى أنه أنعم وأجاب إلى تلك الأمور والاسباب وقال له أنفذ معى من تحب وتختار حتى أريك ما أفعل باهل هذه الديار لانى أعلم أننا من عبادة الاهبال فى زور ومحال ولاثم شىء أعظم من النور والنار قال ففرح الملك كسرى بذلك المقال وكذلك جميع الحضار وما انقضى ذلك النهار حتى سار اللعين ذو الخمار فى ثلاثين الف فارس جبار من عبدة النور والنار والمقدم عليهم فارس جبار وقد عزت نفسه عنده مذا وقد نشرت على رأسه الرايات ثم جعل يجد السير فى ذلك الفلا وما علم أنه سائر إلى الضر والبلا وكلما رأى العسكر والفرسان يقول وذمة العرب لولا خوفى من كسرى لما سرت بهذا الجيش إلا للعربان الذين جمعها الشيخ مما كان من كل جانب ومكان وكنت القاها فى هذا الطريق وأعدمها التوفيق قال فهذا ما كان من هؤلاء وما كان لهم من القيل وأما ما كان من كسرى ومن معه من الجيوش والاجناد الثقال فانه أقام بعد رحيله فى أرض الحيرة يومين بلا تطويل وفى اليوم الثالث أمر المنادى ينادى بالرحيل فدقت الكاسات ونعرت البوقات ونشرت الاعلام والرايات وتقدم إياس بن قبيصة فيمن معه من العرب وتلك الامم وتبعته مراكب الفرس والديلم فلأت

الأرض وتلك القفار فالملك لله الواحد القهار العزيز الغفار قال ورحل كسرى بعد ذلك الناس بموكبه الخاص وكانوا من ملوك البلاد والأقاليم القادات فوهج البر من لمعان درعهم وعددهم المذهبات ودار بالملك كسرى من سائر الجنبات وهو على جواد من الخيول الصافنات وكان يساوي خراج الأهواز ويلحق البر بلا مهماز وكانت جميع الملوك تحسده عليه وتتمنى أن تصل إليه لأنه كان عجبا من دون خيول العجم والعرب وكان جواداً دهم بغرة كالدرهم إذا صهل كاد أن يتكلم ولا يلحقه تعب وضجر إذا قوموه يساوي المال والبدر وكان عليه في ذلك اليوم بدنه مزركشة بالجوهر قال ولما سار كسرى بذلك الجيش الجرار نشرت على رأسه الأعلام والأزهار تأخذ بضياء الأبصار وارتجت لرحيله الوهاد والتلال والوادي والجبال من كثرة الرجال والأقيال وكذلك الخيول الغوال ونفرت الوحوش من الدجال وكان ذلك في أيام الربيع والأرض منقوشة بزهرها البديع والوديان قد أحضرت بالعشب والكلا وقد صارت بهجة بعدما كانت فلا هذا والملك كسرى يقرب المنازل وينزل على الغدران والمناهل ويقضي الأوقات بالصيد والقنص ولا في قلبه هم ولا غصص من مسير العرب والاقيال لأنه ملك العصر على كل حال والعسكر تزداد من سائر البلاد فهذا ما كان من الأعجام وما جرى لهم من والشأن وأما قبائل العربان فإنها مازالت تجد المسير في الوديان حتى قطعت مر الطريق أكثرها ولا بقي منها إلا أيسرها وبعد ذلك قصرت من السير والترحال وطلبت راحة الخيول والغوال وتثبت عند ملاقات الابطال وكان قد بقي بين الفريقين مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك أ..رفت الطلائع وارتفعت الضجات والزوابع ولمعت السيوف ولمعت الاسنة من كل جانب وزاد الصياح من الجيشين قال وكان في طلائع العرب الاجواد الامير عنتر بن شداد وعامر بن الطفيل وتمام الدين فارس وفي طليعة عسكر خراسان حاجب يسمى اترحان فلما تقابلوا في البطاح وجالوا على الجرد والقداح إلا أن الفرس استهزؤا بطليعة العرب لقلتهم وأما أبو الفوارس عنتر فما كان عنده من الكثرة خبر بل انه حمل وزجر وزبر وعرق في وسط ذلك العسكر فتبعه عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والأمير هانيء بن مسعود الأصيل الآباء والجدود وقد تبعهم العرب الجميع وتضاربوا الضرب الوجيع حتى جرى الدما كالنجيع وما الوا في قتال ونزال حتى أدركهم الليل بالانسدال وما بلغ أحـــد من صاحبه منال فافترقوا عن بعضهم بعض ونزلوا في تلك الأرض (قال الراوي) وفي هذه الساعة وصلت جميع العسكر فملأت تلك الربا والمحاجر

وباتوا على هذا الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصباح وأقبل الملك فى تلك الأمم ونزل فى السرادق الاعظم ودارت به جبابرة الفرس والديلم ومضى ذلك اليوم بالتمام والناس فى نصب المضارب والخيام وكان حال العرب مثل حالهم فى ترتيب أحوالهم ونصب خيامهم وقد باتوا وهم منتظرون إلى الصباح شوقا إلى الحرب والكفاح فلما أضاء النهار وأشرقت الشمس بالانوار تأهبت الطائفتان للحرب والقتال وتحالفت العرب بالملك العلام والبيت الحرام وزمزم والمقام أنها لا تفرق عن مقام الصدام إلا أن هلكت الاعجام اللئام وتخطرت عسكر الفرس فى حومة الميدان وحلفت بالنور والنيران أنها لابد لها من هلاك العربان وانتشرت حتى ملأت الفضاء وركب الملك كسرى وطلع على رابية عاليه وأنفذ النقباء يقولوا للمقدمين وأهل الشجاعة والتمكين لا فيكم إلا من يعود بأسير أو بلامة من قتل وإلا قطع الملك ديوانه ونفاه من بلاده وإيوانه فلا وأبيك ما سمعت الفرس هذا الكلام حتى هان عليها شرب كاس الحمام وحلفت بالنار والنور أنها لا رجعت عن الحرب والقتال حتى تقطع من العرب الآثار هذا وقد نعرت البوقات ودقت الكوسات فنفرت الوحوش من الفلوات والغبار حجب السموات والبصائر خيمت والخيول تصاهلت لما أنها إلى الحرب تشوقت وكان دريد ابن الصمة قد رتب العسكر ميمنه وميسرة وقلبا وجناحين فترك عنتر وميدرة فى الميمنة وهانىء وبنى شيبان فى الميسرة وجميع ما تبقى من العربان جعلها قلبنا وجناحان وأول من حمل هانىء بن مسعود فى بنى شيبان الاسود لانهم قد هانت عندهم عسكر خراسان ورأتهم فى عين النقصان وحمل بعدهم عنتر فى فرسان قبيلته الاجواد واستغاثوا جمهم بن رفع السبع الشداد فصاحت الفرس بالنور والنار وكذلك إياس بن قبيصة حمل فيمن معه من العربان وهم قبائل بنى طى وقحطان فاهتزت عند ذلك الأطلال ( قال الاصمعى ) ورأيت السما قد غيمت والخيل حمحمت والرجال تصادمت والبطون تفجرت والرماح بالدما تخضبت والنار فى القلوب أوقدت والارواح سلبت والفرس بلغاتها تجاوبت والعربان بأنسابها قد افتخرت والشجعان تقدمت والانذال تأخرت والحياء عزت والصوارم هزت والقتلى على بعضها تكومت وصارت أكداس وزاد الأمر عن حد القياس واشتد اليأس وعظم المراس وقوى عند ذلك الحرب وزاد الخطب وصار الهين صعب قال وما جاء وقت الغلس ولا بقى أحد من الطائفتين نفس وقد انمحى رسم الجبان واندرس فوقع بالمتكلم الخرس ونظر الموت فى وجوه الجميع وعبس وكانت كل طائفة حلف أنها لا تفترق إلا إن أهلكت

الأخرى وماعلموا ماحكم به رب الدنيا والآخرة إلا أن الفرس رأت من العرب رجالا وأى رجال يبطل عندهم الحرب والقتال ولها قلوب أشد من الجبال ولا لهم فى الحرب مثال هذا والعرب قد ألهبت بالسهام وجرح خلق كثير من الأقوام وأما عنتر وهانىء فانهم نكسوا الأعلام والبنود وأحوجوا قبائل العرب الثبوت وقاسوا أهوال ذلك اليوم المشهود وكذلك فعل ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل وأما دريد بن الصمة فانه كان ينادى برفسان قومه مثل خفاف بن ندبه ودثار بن رزق ويسوق فرسانه إلى الحرب سوقا وأى سوق قال الراوى ومازلوا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار وأقبل الظلام بالاسدال فأرادت العرب الانفصال فما أطاعتهم الفرس على ذلك الحال فداموا على ماهم عليه من القتال ولا خرج أحد من المجال إلا من يغير جواده وعدة حربه وجلاده أو من يكون مجروح وقد عدم رشاده هذا والملك كسرى قد أمر بإيقاد النار حتى تبقى الدنيا مثل النهار وقال لنقبائه دوروا على طوائف العجم والفرس والديلم وأوعدوهم من بالنعم لعلهم أن يجتهدوا فى إنجاز أمرهم ويهلكون أعداءهم قال ففعلوا ما أمرهم وأعلموا مقدميهم هذا وقد داموا على ضرب الصارم حتى طارت الرؤس كالأكر وزاد سواد الليل واعتكر وقد شكت الأرض بما عليها من ثقل هذه العسكر وانفرد علم المنايا وانتشر وظن كل إنسان أن هذا اليوم هو يوم المحشر وكانت تلك الليله عليهم كأنها عامين أو أكثر لأنهم أقلقوا جن الأرض السفلى وما أفرق فينهم إلا غمامة سوداء امتدت غربا وشرقا وقد سمع لها برقا ودمدم رعدها حقا واغتمت الأرض وزمدم الرعد وقد خفيت الأرض وسمواتها ومازالت تتململ ثقل حمل السحاب وتشكوا مابها لرب الأرباب حتى أمرها بحط حملها فانهلت بحق وغضب وجاءت بمطر كأفواه القرب وكان ريحها عاصف جنوب قد أنشأها علام الغيوب وذارت الخيل أكفالها وسال السيل فى أقطار الفلا حتى أنه جرجر القتلى وغسل الدما ومابقى فى الطائفتين من يفرق مابين الأرض والسما وكانت ليلة غضب من الله العلى الاعلى لانه سبحانه وتعالى الملك العلام قد غار على بيته الحرام وأنزل سوء العـــذاب والنقم على من طغى وبغى وظلم وكان لسبيع بن الحارث فى هذه الليله من العذاب مالو سمعته الشباب لصارت شـــياب لاجل مسيرة إلى البيت الحرام وزمزم والمقام وكيف أراد أن يهدم ذلك المقام الذى هو محفوظ بعناية الملك العلام وسوف نذكر ماجرى له من

العجائب وامر الدير في مكانه حتى لا تضيع لفظة كلامه نقل وماداموا وقد دام الامر على هذا الحال والعجائب وقد ملأت الأنار فى هول ذلك العذاب حتى تاهت منهم الأفكار وقد نسوا ما فيهم من عبادة النور والنار وكفرهم والضلال وعاد كل واحد منهم إلى وراء وأبصر بعينه شخص الموت قد فاجاه ففتهم من طلب لنفسه النجاة وهم فى أقطار الفلا وما التى الاخ يعرف أخاه ولا لولد يسأل عن أباه وأنكر الرفيق رفقاه وقد دام الامر على مثل هذه الاخطار حتى طلعت شمس الانوار وأضاءت الآفاق و الاقطار فصرف الله تعالى عنهم غمام نقمته وأطلع عليهم شمس رحمته بعدما اذل منهم جميع الجبابرة وعرفهم قدر نفوسهم فى الدنيا قبل الآخرة وقد أصلحوا جميعا من الوف الله عز وجل أن يوهبهم التوبة والمغفرة قال ولما طلعت الشمس على وجه الأرض وعرف بعضهم البعض وقد اشتغلوا برفع المضارب والخيام وجميع ما شردلهم فى البر والآكام هذا ودريد بن الصمة يقول للعرب وجميع الفرسان لما اجتمعت على بعضها من كل جانب ومكان اعلموا يا بنى عمي أن البغى له عواقب وكذلك الجهل لا يأمن صاحبه من النوائب لاننا حلفنا أننا لا نفارق أعداءنا حتى تنقض أرواحنا وما كانت حضرة آجالها فردنا عنهم من لم تقدر على دفع قضاه ولا ينجينا من بلاه فصدقه فى ذلك المقال جميع من حضر من الامراء الاقيال قال له هانئ والله صدقت يا أبا النظر ولكن ما نحن حاملون هم ما جرى ريدبر لاننا عاجزون عن دفع القضاء والقدر ونحن حاملون إلا أننا نبقى اليوم العاشر بلا قتال ولا حرب بلا ضراب ولا حرب ولا نزال حتى تنشف الارض وتثبت عليها الخيل للمجال فقال هانيء يا أبا الهول الامر لله رب العالمين الذى حكمه نافذ فينا أجمعين قال الراوى الملك الملاعين ينتظرون الأرض حتى تنشف تمام العشرة أيام وبعد ذلك تاهبوا للحرب والقتال والطعن والنزال وكان الملك كسرى أمر مشايخ النار والنور أن ينذروا لها البذور ويسألونها النصر على الاعداء فى ظلام الليل الديجور قال وفى تلك الليله وصل إلى الملك كسرى رجل من عساكر الديلم اللئام وقبل الأرض بين يديه وقال له أبشر أيها الملك الهمام بالنصر على أعدائك مع بلوغ مناك لان حاجبك تورخال وصل من عند ذو الخمار ومعه ثمانون امرأة من نساء العرب الاحرار وأمرنى أن آخذ رأيك فيما تختار فان شئت سار بهم إلى المدائن وإن شئت أحضرهم إلى بين يديك حتى تقر برؤياهم عينيك قال فلما سمع كسرى ذلك المقال له فرح واستبشر وسر بذلك الحال وقال الديلمى وأى شيء فعل ذو الخمار وما أخرب البيت الحرام أخذنا أموالا كثيرة وخيرات غزيرة إلا أن طلبنا العجلة خوفا على قلبك أن يبقى متعلقا بأخبار تلك النار بجيشنا وأمامكم فتقول أن سيف النار اليوم يكون أخيرها وبلغ منها الامل

لاننا لما سرنا وجدينا فى المسير بالعجل فاشرفنا على البيت الحرام فى نصف النهار وكان القوم آمنوا من طوارق الاسحار هم وأموالهم وبناتهم الابكار وهم يتفرجون على المروج والغدران وهم لا يسألون عن أحدمن أهل هذا الزمان فحملنا اليهم وسقنا النوق مع الجمال وأخذنا النساء والبنات الابكار وقدأردنا أننا نسير فى البطاح واذا قدقام علينا الصياح وركبت علينا البطل الحرام والفرسان الذين تركوهم لاجل حماية الحرم وقدركبت جميع الفرسان لما علمت بذلك الامر والشان وأرادوا أن يحاموا عن العيال ويخلصوا النوق والجمال فعندذلك دارذو الخارهو ومن معه من السادات حول البيت الحرام من سائر الجهات ولما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على الربا والبطاح قال لنا ذو الخار اعلموا أن الملك كسرى اليوم يكون قد التقى بالعرب فى القفار وهو مطلع على الاخبار والرأى أننا نرسل اليه هذه النساء والبنات الأبكار حتى يرى فيهم بفعله ما يختار ثم أمر الحاجب بذلك المقال وسير معنا دليلا عارفا يسير الجبال ورحلنا فى هذه المدة اليسيرة وأرسلني إليك لتنظر فيهم برأيك والبصيرة فلما سمع كسرى ذلك الكلام فرح واستبشر وزالت عنه الآلام وقال الرسول عد إلى الحاجب قوام ثم قل له أن يأتى الينا بالنساء حتى تراهم العربان ويحل بى الآسى لانهم إذا رأوهم بابصارهم وسمعوا صياحهم أنقطعت ظهورهم فقلوبهم كالحديد قال فعندذلك عاد الرسول الحاجب ترخال وأعلمه بذلك المقال وأما كسرى فانه أمر عساكره بالركوب على الصافنات ودقت عند ذلك الكاسات ونعرت البوقات ونادت النقباء واعلمت جميع المواكب بهذه الحالات وكان قصد كسرى أن تنظر العرب إلى النساء والبنات فانها ترمى أنفسها إلى الممات ويصعب عليهم اشتهارهم فى هذه الفلوات فيأخذوهم مواسطه من جميع الجهات قال ثم أنه ركب من وقته وساعته ودارت به أرباب الصافنات ونظر الاعلام والرايات قال ولما اعتدلت المواكب حتى أقبلت الاعجام وهى تسوق النساء والبنات وهن على الجمال مشهورات ولهم عويل وضجيج فى الفلوات قال وعند قربهم من الرجال كشفوا البراقع عن وجوه كأنها الاقمار وصرن يشرن إلى رجالهن بالايادى والاصابع قال فعند ذلك حلت بالفرسان الفجائع وغاب جميعهم عن الوجود ووجود الوجود وغرقوا المقصود ونادى عنتر واحرباه واسياه وامصيبتاه ثم أنه عض على كتفيه وطار شرار النار من عينه ولما رأت العرب إلى هذا الحال ما أمكنهم أن يترتبوا الحرب والقتال وقد عول عنتر عن الحملة عند اشتغال قلبه بهذه البلوى وما فى العرب إلا من ظن أن حريمه فى جملة الحريم وقد زاد عندهم الهم والغم وعند ذلك

كشفوا رؤسهم وصاح عنتر بولده ميسرة وأخيه مازن بما فى قلبه من النار المسعرة وأشار إلى عروة ورجاله الأخيار وصاح الأمير هانىء فى بنى شيبان وذكرهم يوم ذيقار وكذلك الأمير عمرو ابن معد يكرب الزبيدى وكذلك دريد بن الصمة وزعق فى بنى هوازن وجشم وقال لهم ها يا أصحاب العزمات والهمم فجاوبه العباس بن مرداس وخفاف بن ندبه الشديد العزم والبأس ودثار بن رزق إلى سوق الرجال بين يديه سوق وأى سوق وحملت جميع قبائل العرب الاخيار وهم ينادون الثار الثار ويتتابعون ببعضهم المساكر مثل موج البحار فالتقتها الفرس بكثرة العدد ما طلبوا النصر من النور والنار وسجدوا لها كفرا واغترارا وأنا وأنتم نوحد الملك الغفار ونصلى على النبى المختار الشفيع فى أمته من عذاب النار قال وكان للقوم وقعة تشيب الأطفال الصغار ماسمع أحد بمثلها فى سائر الأقطار ومازالوا فى حرب وقتال إلى أن صار الغبار ممدود وقد غاصت الاسنة فى العلائق والكبود وعادت الابطال وجوهها سود وتضاربت العجم مع العرب بالدبت والعمود وصار الشجاع مفقود وكانت القوم بين شقى ومسعود وفاقد ومفقود ومازالوا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار وأتى الليل بالانسدال وقد تعبوا تعبا شديدا فى ذلك النهار قال الراوى وكانت العرب فى ذلك النهار قتلت سمين الفا من عبدة النور والنار وقد شفت ما فى قلوبها من الغليل وبردت نارها قليل ولولا كثرة النبال هى التى منعتهم عن بلوغ الآمال وإنما الرماة هى التى منعتهم عن ذلك الحال وقتلت منهم جماعه كثيرة مالها من مثال وجرحت منهم الخيول الغوالى فوقع فى جسد عنتر أكثر من مائة نبلة فى ذلك اليوم الشديد فوصل بعضها إلى جسده والباقى ردها ماعليه من الملبوس والدثار وكان قتل تحته ثلاثون جوادا وكان كلما قتل تحته جواد يأتيه شيبوب بجواد غيره من الخيل الجياد التى قتلت أصحابها فى الجلاد ألا أنه مارجع من الميدان الا وهو مثل شقيقة الارجوان بما سال عليه من أدمية الفرسان وكان فى هذا اليوم الشديد الأهوال ذهبت عين ولده ميسرة بنبلة من بعض النبال وكانت عينه الشمال وقتل من رجال عروة جماعة من الأبطال وبعد ذلك عاد الجميع إلى الخيام ليأكلوا شيئا من الطعام وتأخذ العين حظها من المنام قال الراوى هذا وقد عاد كسرى أيضا إلى سرادقة وقد كاد الغيظ أن يخنقه من كثرة الوجد والآلام لانه فى ذلك اليوم أبصر الأهوال العظام ورأى فى العرب رجالا وأقيالا أشـــد من أسد الدحال وقال لوزيره وسائر الحجاب ما كان مجىء هذه النسوان بصواب لاننا قاسينا من رجالهم العذاب لانهم من حيث رأوهن فى هذا الجال أرمو

أرواحهم إلى الموت والنكال فقد قتلوا منا رجال وأبطال فالصواب أنكم ترسلوهم إلى المدائن ويكونوا عند ولدى أزدشير حتى تنفصل نوبتنا مع هؤلاء العرب فننظر ماذا يكون من الأمر والسبب فان كان عنده فرسان وصلت إليه من أرض خراسان يرسلهم إلينا فى عاجل الحال لأننا ما نرى الامر علينا من العرب إلا قد طال حتى يأتى ذى الخار باقى نسائهم والأموال وتكونوا أنتم من بين أيديهم وهو من خلفهم فعندها قالت فرسان الأعجام لاتستعجزنا أيها الملك الهمام لأننا وحق ماتركنا علينا ملام وأنه كانوا اقتلوا منا أكثر مما قتلنا منهم فاننا قد جرحنا أكثرهم ومابقوا ينفعوا أنفسهم وفى غداة غد نبرز إليهم ونجتهد فى قتالهم لأننا نعلم أن العرب أقصى مرامهم البراز وهم جميعهم ربوا على هذا فى أرض الحجاز وأزلم نكاثرهم وتمت الحالة وتذلهم بعد الاعزاز والا فا تنال منهم عرضا ولاتشفى منهم مرضا قال الراوى فلما سمع الملك كسرى هذا الخطاب قال لهم هذا هو الصواب وقد خفت عن قلبه نار الالتهاب وباتوا على ذلك الايضاح وهم منتظرون وغرة الصباح قال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من العرب الاقيال فانهم لما رجعوا من الصدام وعولوا على النزول فى الخيام وإذا قد بان لهم شيخ مقبل فى الظلام وهو بينهم مثل ذكر النعام فارسلوا إليه بعض الفرسان يكشف خبره ويعلم من هو ومن أى مكان فلما وصل إليه ذلك الإنسان وتبينه وإذا هو نجاب من عند السيد عبد المطلب سيد مشايخ الأعراب فقد أتى يخبر العرب بما جرى على حريمهم من السبى وذلك المصاب فعند ذلك أخذه إلى عند المقدمين من الاعراب فاقبل كل منهم يسأله فصار يحدثهم بما فعل ذو الخار وقال لهم اعلموا أن الرب القديم قد نجاكم وأظهر قدرته فى أداكم وأنزل على ذو الخار الويل والحرب وقد ضحى أسير فى يد عبد المطلب وهو فى قبضته حقير والفرس الذين كانوا معه ما بقى منهم قليل ولا كثير فلما سمع دريد بن الصمه هذا المقال تعجب وأخذه الفرح الابتهال فقال له ياوجه العرب أنزل عن النجيب وحدثنا بما جرى من هذا الامر العجيب لعل أن يطفىء ما فى قلوبنا من نار اللهب قال الراوى وكان قد جرى فى مكة حديث عجيب وأمر غريب نحب أن نسوقه على الترتيب حتى أن المستمع يلذ ويطيب بعد الصلاة والسلام على النبى الحبيب الذى من صلى عليه لايخيب كيف يخيب وهو يصلى على حبيب الحبيب اللهم صلى وسلم عليه كلما اشتاق محب لحبيب وحن إلى وطنه غريب وغرد القمرى على غصن رطيب وكان السبب فى ذلك الاخبار وهو أن ذو الخار لما سار بمن معه من عباد النار وقطع البرارى والقفار ومازال سائراً إلى أن أشرف على مكة ضحى نهار فعندها

أمر من معه أن يشن الغارة على الأموال والعيال وكانت البنات والنسوان على المروج والغدران وقد اغتنمنا غيبة الرجال والفرسان وقد اجتمعت النساء المكيات بالنساء الحجازيات لأننا ذكرنا أنهم قبائل شتى وقد نزلوا بارض غريبة وقد رأوفيها من كل نادزه عجيبه فاجتمعت النسوان وأحببت الخروج على المروج والغدران وسرن يعلن لبعضهن الدعوات فى أكثر الساعات والأوقات ويتفرجن النساء اليمانيات على النساء الحجازيات وقد سمعن من بعضهن غرائب اللغات وضرن يتباشدن أشعار المتيمين فى الفلوات (قال الراوى) فبينهم على ذلك الحال إذ ركب أبطال الحرم وفرسان الحطيم وزمزم وكذلك المتخلفون لحفظ العيال والاموال وصاروا يلعبو مع بعضهم بالرماح الطوال فبينما هم مع بعضهم فى هذه الصحراء إذ أقبلت عليهم عساكر كسرى فلما أن نظرت اليهم هذه الفرسان خافوا على البنات والنسوان وحملوا عليهم فى ذلك القفار هنالك تلقاهم ذو الخار ومن معه من عبدة النار وقد ذكرنا أنهم ثلاثون ألف جبار فالتحم بينهم القتال والحرب والنزال هذا وقد سطا عليهم ذو الخار واستطال وفتك فيهم فتك الجبابرة الاقيال قال وما أقبل الظلام حتى أنه أهلك خلقا كثير من أهل زمزم والمقام وكان أكثرهم هلكوا بالسهام وقد أروا من كل مكان وجانب وسد عليهم الطرق والمذاهب وأقبل عند ذلك اللعين ذو الخار على الحاجب ترخال وقال له اعلم الملك كسرى قلبه متعلق باخبارنا ومراده يعلم ماجرى لنا وأنا قد رأيت من الرأى الصائب أننا نرسل إليه هذه النساء والبنات حتى نقودهم فى حبال الذل والهوان ونهدم البيت الحرام وترمى ماعليه من الاوثان والأصنام ونحملهم إلى بيوت النيران قال هذا هو الصواب فلما سمع الحاجب من ذو الخار ذلك الخطاب قال له هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم انهم هجموا على النساء العربيات وأخذوا منهم ثمانين من نساء السادات ومن جملتهم عبلة بنت المالك زهير كذلك وأنفذهم اللعين ذو الخار مع الحاجب ترخال وأقاموا يحاصر البيت الحرم ويضيق على أهل زمزم والمقام وقد منعوهم عن التصرف والحركات وقد أشرفوا منه على الهلاك فلما عاينوا هذا الأمر والسبب شكوا حالهم إلى السيد عبد المطلب فلما سمع منهم ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وضاق من ذلك صدره واحتار فى أمره وقال مابقى لنا نجاو لا ملتجا إلا التضرع إلى الله جل وعلا لأنه صاحب هذا المكان وهو قادر على حماية النساء والأطفال وأخذهم إلى البيت الله الحرام وكان وقت المساء ثم أنه التفت إليهن وقال لهن كل من لها طفل تحمله على كتفها وتكشف رأسها قدام ربها وتسأله بحرمة هذه

الآثار وبركة هذا المولود المختار الذى أخبرت عنه الكهان والاحبار أن تكشف ما نزل بنا من الأضرار فعند ذلك فعلت النساء مثل ما أمرهم الشيخ عبد المطلب وأجابوه.




إلى هذه الأمور والسبب ودرن إلى حول البيت الحرام وصرن يتضرعن إلى الملك العلام وما فيهن إلا من كشفت رأسها وحملت ولدها على يديها وألصقته إلى صدرها وضجت بالدعاء لربها فعند ذلك بكت الأطفال وهم يذكرون الملك المتعال فلما سمع النساء بكاهم أخذهم الانذهال وأخذت فى البكاء والاعوال وطلع السيد عبد المطلب فوق المنبر الذى بالفخر والفصاحة اشتهر وقد ذكر الله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه وقال اللهم يا قديم الذى يا حليم يا عظيم يا إله يا عليم يا أرحم الراحمين أنت قادر على حفظ بيتك القديم الذى جدده خليلك إبراهيم فاحرسه ممن طغى وكفر بحرمة المنتظر من مضر صاحب الشفاعة فى المحشر الطاهر المطهر الذى هو أفضل من كل موجود صاحب الحوض المورود واللواء المعقود الذى وعدته بذلك يا رب العباد وأنت لا تخلف الميعاد قال وما زال السيد عبد المطلب يدعو والنساء تؤمن عليه من سائر الجهات وإذا قد تنفست الرياح فى السموات وقد أقبلت الأرض والفلوات وطلع فى أثرها غيم أحمر مكحول ودار من حول البيت من سائر الطلول ودمدم فى الرعد الغضب وأرمت صواعق مبرقة وطلبت عساكر الفرس وشقت المضارب والخيم

ونزل البلاء على عباد النار وخروا على وجوههم من شدة العذاب يطلبون الروابي والهضاب وقد رمى كل واحد منهم بشهاب وكذلك الخيل والدواب وقد دام الغضب عليهم ذلك النهار والليل وقد أصبحوا مطروحين في الفلا مثلا أعجاز النخيل وتفرقوا في القفار إلى أن طلع النهار وكان ما جرى بهم عبرة لمن اعتبر من العباد ولا يبقى منهم ديار وكانت تلك الليلة في مكة تمد بلبان ويتحدثوا بها إلى اليوم العرض والمآب وقد ذكر مشايخ الإسلام أن جميع ما جرى كان ببركة بيت الحرام وزمزم والمقام وببركة المولود الذي ولد في تلك الشام وهو سيدنا محمد ﷺ لأنه كان على كتف مرضعته حليمة السعدية في جملة الأطفال لما جرت هذه القضية وكانت كلما رفعته إلى السماء زاد على الأعداء الوبل والعمى ولذلك قال رسول الله ﷺ أنا من بني سعد ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر فقيل يا رسول الله أتنسب إلى بني سعد الكرام وتخلي نفسك من بني هاشم فقال نعم لأن ما في نساء بني هاشم إلا من حضرت إليها وكانت تختار ولدها علي في الحال وتعطيه ثديها اليمين وتعطيني الشمال إلا حليمه السعدية فإنها ما كانت تفضل ولدها علي وكانت تعطيني اليمين وتعطي ولدها الشمال فقيل له يا رسول الله ذي الجلال صلى عليك الملك المتعال في ذلك الحين كنت تعرف الشمال من اليمين فقال نعم أيها الحاضرين ولما كنت في بطن أمي وملائكة ربي تقلبني ذات اليمين وذات الشمال كنت أسمع صرير القلم في اللوح المحفوظ بمشيئة الملك المتعال وذلك من بعض معجزاته ﷺ شرف وكرم ونرجع إلى حديثنا الأول ونصلي ونسلم على نبينا المفضل وأما السيد عبد المطلب وأهل البيت الحرام فإنهم فرحوا بما جرى على أعدائهم من الانتقام ولما أصبح الصباح ركبوا على الخيل الجرد القداح فلما رأوا مالا ينهب لأن كل ما كان من المال لعبدة النار وأما ذو الخمار فإنه سلم تلك الليلة من الهلاك والدمار وقد سلم معه قليل من بني عمه والالزام لأنهم ربيوا معه على تعظيم البيت الحرام وزمزم والمقام وإنما تبعوا ذي الخمار طمعا في أخذ الأموال من الملك كسرى فلما لاح لهم طلائع البرهان وأبصروا العذاب أخذهم من كل جانب ومكان ندموا على ما فعلوا من الأمر والشأن وعلموا أن الكعبة لها رب يحميها من كل إنسان وخافوا أن يلحقهم غضب رب العالمين فهربوا على وجوههم وهم نادمون وساروا في البراري والقفار وقد تبعهم اللعين ذو الخمار وهو يصيح إلى الرحمن الرحيم ويطلب منه العفو والغفران والتوبة والاستغفار لأنه كريم حليم ستار قال وقد أخرهم الله سبحانه وتعالى في أجله ليكون قتله على يد الامام الكرار رضي الله تعالى عنه وعن كل

الصحابة والانصار إلا أنه ما أبعد فى البر والبطاح حتى لحقته أطراف الرماح وأكبته على وجه تلك القفار فلما ركبت فرسان مكة وأبعدوا فى المهاد وقع به الربيع بن زياد لأنه كان من جملة المتخلفين لاجل حفظ المال والعيال فلما رآه عرفه وقال هذا ذو الخمار الذى كان السبب فى هذه القضية وأتى بعيدة النار أنهم نزلوا إليه وقلبوه فرأوا الانفاس تتردد فيه إلا أنه مثل الطافح السكران مما حل به من الهوان وكذلك من كان من الاصحاب والاحلاف فشدوا الكل كتاف وعادوا بهم من ذلك السبسب وسلموهم إلى السيد عبد المطلب فوكل بهم جماعة من العبيد وبعد ذلك قال عبد المطلب من الصواب أننا نرسل إلى قبائل العرب نجابا يخبرهم بما جرى من الاسباب حتى تشتد ظهورهم ويقووا على قتال أعدائهم الكلاب لانى أعلم أن نساءهم المسبيات إن وصلوا إليهم وهم على تلك الحالات اشتغلت قلوبهم ثم أنه أنفذ هذا النجاب وأمره أن يقطع البرارى والهضاب فسار يجد المسير إلى أن وصل إليهم وأدخلوه على جماعة القبائل ومعه ملوكها وكان الشيخ دريد بن الصمة وأعلمهم بما جرى الذى الخمار وأن الثلاثين ألف الذين كانوا معه منهم ديار ولا نافخ نار ولا شيخ ولا غلام وشرح لهم جميع ما جرى لهم من العذاب والانتقام قال فعند ذلك رفعوا رؤوسهم إلى السماء وحمدوا الرب الذى خلق النور والظلام وقالوا لذلك النجاب والله يا وجه العرب لقد وصل إلينا طرف من هذا السحاب ثم أنهم حدثوه بما وصل إليهم من الريح والقتام وقد عينوا له تلك الليلة من دون الايام وقد عجبوا من تلك الآيات الظاهرات وقد قويت قلوبهم على قتال الفرس بهذه المعجزات وكان أشدهم قلق وأعظمهم حرق الفرسان الذين سبيت نسوانهم ونهبت أموالهم ورجالهم وقد سألوا النجاب عن المسبيات من النساء والبنات فأخبرهم بمن سبى منهم كذلك ومن جملتهم عبلة بنت مالك فلما سمع عنتر بهذه الامور القباح نادى واشوقاه إلى البطاح فوحق العزيز الفتاح الذى سير السحاب وأنشأ الرياح لارمين روحى على أعلام كسرى أنو شروان وأقاتل حتى أبقى طريحا فى الوديان وكذلك الرجال الذين لهم نساء مسبيات قالوا مثل ما قال عنتر ووافقوه على مثل هذه الاشار فلما سمع دريد منهم ذلك الكلام خاف عليهم من شرب كاس الحمام وقال والله إنى خائف عليكم من قسى الاعجام لانه لو كان قتالهم بغير السهام لما ثبتوا لنا قدامنا هذه الايام والصواب أنكم عند الصياح تطلبوا منهم المبارزة فى مقام الكفاح لعلهم يجيبوكم إلى هذا الامر والشان وقد بلغنا منهم المراد بمعونة الرحمن الرحيم وإذا صار لهم منكم هيبة وإجلال وعلموا أن كل فارس منا يلقى جماعة من الاقيال اطلبوا اما على رأس كسرى من الاعلام واعملوا فى ذلك الوقت ماشئتم من الامور العظام فقال الملك قيس يا أبا النذر هذا أمل بعيد وتنقضى فيه الأيام ولا نبلغ ما نريد

فقال له دريد افعل أنت ما بدا لك نجح الله أعمالك لأنك على كل حال قيس الرأى المفيد وأجود من أشار بالأمر السديد فقال الرأى عندى أنكم ما تتركوا الصباح يأتى علينا و ينجلى ولا يبقى فى المراعى ناقة ولا جمل بل تنفذوهم مع العبيد والغلمان ويكون معهم جماعة من الفرسان و يطلبوا بهم الأرض و الكثبان ولا يعودوا إلا والجميع أعدالهم ملآنة من الحشيش و حشب السنديان لأن ما معنا على الأقل أكثر من ألف ناقة وجمل وإذا عدوا بها على هذه الحال يقدموها قدام الفرسان وهى تقضى لنا الاشغال لأننا نلدغها بأسنة الرماح فتدوس أعداءنا فى البر والبطاح فلما سمعت العرب من الملك قيس هذا الكلام قالوا والله هذا هو الصواب ومن ساعتها تفرقت العبيد وأعلموا الرعيان بذلك الحال وأخذت من المراعى جميع النوق والجمال وأرسلوهم مع العبيد الاقيال بعدما أعلموهم بصحة المقال ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح غول العربان على الحرب وتقدموا يطلبوا من الفرسان البراز فرأوا نياتهم خامدة على القتال فقال دريد لعلهم يطلبون الراحة مما حل بهم من الوبال فاستريحوا أنتم أيضا إلى أن تعود لنا النوق والجمال وتكون واقعة الانفصال قال وكان السبب فى ذلك الامر والشان إياس ابن قبيصة مقدم العربان لانه كان تولى الحرس فى تلك الليلة بنفسه فى البر والهضاب فسمع صياح العرب عند قدوم النجاب ورآهم يموجون من كل مكان وبعد ذلك سمع حس النوق الجمال فى الوديان فأنكر ذلك الامر والشان فأنفذ من عنده جاسوسا فكشف عن الاخبار فغاب قليلا وعاد إليه عند إقبال النهار وأعلمه بما جرى فى مكة على ذو الخمار وعلى عبدة النار من عرب البر والقفار وأن ما بقى منهم ديار ولا من ينفخ النار و ذو الخمار موثوق عند عبد المطلب كتاف وقد أشرف على الهلاك والتلاف ثم أعلمه بما دبرت العرب من الاحتيال وكيف أنهم أرادوا أنهم يهلكونا بالنوق والجمال بعد أن يحملونها الحشيش فى الاعدال ويدفعونها أمامهم فى ساعة الحرب والقتال قال فعند ذلك حار إياس لما سمع هذا المقال وقال والله لقد خاب حذرى فى العرب لانى لما سمعت ضجيجهم قلت إنهم عولوا على الحرب والآن ما هذا أمر نقدر تخفيه على الملك كسرى أنوشروان ثم أنه سار إلى سرادقه الموصوف بالعرض والطول واستأذن عليه بالدخول فاذن له فى عاجل الحال فوجد جميع الأمراء والكبراء والحجاب وكسرى يشاورهم فى أمر قبائل الاعراب أنه يأمرهم بالقتال والحرب والنزال فخدم إياس وقبل الارض فى عاجل الحال وأعلمه بما سمع من الجاسوس من المقال وبما عولت عليه العرب من أمر النوق والجمال وما يريدون أن يفعلوا من ذلك الاحتيال فلما سمع كسرى ذلك غاب عن الوجود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وقال لإياس ما هذا المقال كيف من مع ذو الخمار من عبدة

النور والنار فى ليلة واحدة وهم ثلاثون ألف فارس كرام فهو حق النار والنور والظل والحرور وتربة جده سابور وما يظهر فى الربة الكبرى من الشعاع واللهب إنتاعلى الباطل والحق مع العرب لانتا منهم عدة براهين وأدلة وبيان لاسيما وقعة وبيان لاسيما وقعة ديقار المقاتل ولدى شير سان ومن كان معه من الفرسان وفى هذه المدة أقوى دليل وبرهان ولو لم يكن للرب الكبير فى العرب عناية ما ظهر لهم فى كل وقت آية قال ثم أنه شاور أرباب دولته فى تلك الأمور الشديدة فقال وزيره وأنا قلت لك مرارا عديدة إن هذه دولة جديدة ويجب عليك أن تداريها أيها الملك المفضال كما فعل الآباء والأجداد قبل أن ينتهلوا إلى النور والنار لأن الدولة الجديدة تحت المدارة ذبر أنت بماتراة فقال له الرأى عندى أنك تأمر نائبك أياس أن يرسل إلا مكة نجاب يكشف لنا عن هذه الأمور والأسباب فان الجيش الذى سار مع ذو الخار ما بلغنا عنه خبر فان كان هلك كما قبل سرت إلى هذه القبائل وتلطفت بها وسيرتها إلى أرضها وبلادها بالتى هى أحسن وأقول لهم أن الملك العادل نظر إلى فعلكم فرحكم لاسيما وهو يعرف قدر البيت الحرام ومن فعال معكم وقاو أن يرد عليكم نساءكم المسبيات مكرمات مكرمات ويتخذكم له أعوان ما بقى الدهر والزمان أنتم تطالبون فقد بثأر النعمان فقد قتلتم ولده شير سان وأفنيتم عساكر خرسان ثم أخوفهم من عاقبة البغى والعدوان وأقول لهم فى آخر الكلام وفى هذه الأيام تصل عساكر خرسان وبعد ذلك نخلع على مقدمتها الخلع الحسان من خلع الديباج على سائر الألوان ونعطيهم مائة خلع مقرسان البيت الحرام ونوعدهم سنا بالجبل والإحسان وأقدم الملك الأسود على العربان وأرحلهم عن هنا والسلام وإن كان هذا الخبر عن ذو الخار الحرب والقتال والطعان ونحن ندهمهم بالحرب والقتال والطعن والنزال ليلا ونهارا إلى أن نهذا المقال وإن رجعوا اليناقبل هذه الأحوال بجميع النوق والجمال أى أى شىء يكوله لنا فى هذا الحال فقال له إن رجعوا اليناقبل هذه الأحوال بجميع النوق والجمال أى شىء يكون لنا فى هذا الحال فقال له إذا فعلوا هذه الفعال أحرقنا هم بالنفض الطار فلما سمع كسرى من وزيره هذا الخطاب قال هذا الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أمر أياس بن قبيصة أن يرسل إلى الراحة بما قامت من الأهوال فاستراحت أول يوم والثانى وفى الثالث وصلت النوق والجمال وعلى ظهورها الأعدال ملاء من الحشائش الناشفة والأحطاب وقد ملات البرارى والجبال وسدت الأرض والكفار فعند ذلك ضجت لوصولها العربان وقد سارت على

ظهور الخيل وقد علم كسرى بذلك الشأن فركب وركبت عساكر الأعجام فقال لهم الملك كسرى اصحوا اليوم فى القتال وإذا أقبلت عليكم النوق والجمال اضربوها بالنقض وهى تقضى لنا الاشغال فأجابوه واستعدوا لذلك الحال وأما ما كان من قبائل العربان فانها قد رتبت فى حومة الميدان وصاحوا صيحة واحدة اهتزت لها الأطوال وهجموا على النوق ولذعوها باسنة الرماح فلما حست بلذعها إلا وقد مدت أعناقها فضجت عند ذلك عساكر الأعجام وقد ضربتها بالنفض كما اتفق الأمر بينهم من الكلام فطلعت عند ذلك الغبائر وظهر ما أخفته الضمائر وقد زاد رغاء النوق والجمال بما حل بها من الحتوف فهمت بالدخول إلى بين الصفوف فضربتها الديلم بذلك النفض المليح العديم المثال فوقع فى أعدال الجمال والعب به ريح الشمال فلما حست النوق بوهج النار هجت طالبة البر والقفار فما كان عبورها إلا من ناحية طوائف العجم وقصدت إلى مضاربهم والخيم فأخذ الفرسان الحرق والقلق منها والخيل عادت على أعقابها وداست فى قبائل العرب الاقبال فاشغلت فرسانها عن القتال لأجل ما رأت من الأهوال وأما الابطال الذين سبيت نساؤهم فانها قصدت إلى طوائف العجم وما ومالت إلى ناحية الاعلام ولم يرهبوا الترك ولا الاعجام ولم يعلموا ما قدر عليهم من الاحكام قال وكان الملك كسرى قد طلع على رابية عالية وترك الصحراء ومن حوله خواص دولته وأكابر مملكته فعندها قصدته فرسان العرب وكل واحد منهم منهم مثل السهلب وكانوا مائة وثمانين بطل وكل واحد منهم لا يرهب الموت إذا نزل منهم عنتر والأمير هانىء بن مسعود البطل الجواد وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة فارس الخيل وحجار بن عامر بن روق الذى ماله من مماثل وخفاف بن ندبة والعباس بن مرداس الذى تضرب به الأمثال عند سائر الناس وعمر بن معد يكرب الزبيدى وعتبه بن شهاب اليربوعى والأبطال الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الديوان وهم حماة جميع القبائل والعربان وقد حملت قبائل العرب على تلك الامم فمزقوا صفوف الفرس والديلم وقد طرحوهم على الصعيد وأحلو بهم الهم والتنكيد وما انتصف النهار حتى أنهم داروا بالرابية التى عليها كسرى من سائر الاقطار وقد أهلكوا من العجم ما لا يقع عليه عيار قال ولما نظرت أرباب دولة كسرى إلى فعالهم وعلموا ما مرادهم فعند ذلك أعلموا بالصياح وتحدروا من على الرابية يريد الحرب والكفاح فلما سمعت طوائف العرب صياحها فعادت من الخوف على حماتها فهجمت العرب إلى كماحها وقتلها وتلقفها قبائل العرب وقد انتخت لارواحها وقد أخلصت للحرب نياتها واستقبلت فرسان العجم باسنة رماحها وارتفع صياحها وزعاقها وقد علمت الصياح وأسنة الرماح وهى طالبة أخذ الارواح من الاشباح ونادى

المنادى بينهم لا براح فقد جاء الجد وذهب المزاح ونفذت فى الصدور أسنة الرماح وسمعت الأبطال بالارواح وكم رأس عن بدنه طاح فما بقيت تعرف الوجوه القباح وارتفع النقع حتى غشى المقل الصباح ساحت على الأرض أدمية الفرسان وخرس اللسان وحامت على القتلى كواسر العقبان قدام الصدام وقل الكلام وصار الدم يفور فكتب على الأرض سطور وجرى عليهم قضاء الله المقدور وصارت الخيل تقع ولا تثور فكان ذلك اليوم كأنه يوم النشور فحامت على قتلى الفرس الرخم فالطيور هذا وقد حققت الحقائق وتقطعت العلائق وهاج من كان بشجاعته واثق وخرس اللسان الناطق وعاقت المهارب البوائق ورميت العربان بالسهام الجوارق وأضمحلت الفرسان والخلائق وتفصلت المفاصل بالسيوف البوارق هذا والمائة وثمانون فارسا الذين ذكرناهم مازالوا فى حملتهم إلى أن أدركوا الراية التى عليها كسرى وقد تركوا عليها أكواما من القتلى هذا وقد زاد بعسكر الاعجام البلا والويل والعمى فعند ذلك هجموا على العرب من سائر الاقطار وأحلوا بهم الأضرار فعند ذلك قهقروهم فى القفار فصاح فيهم عنتر وقال ياويلكم يابنى الأعمام ترجلوا عن خيولكم ودعوا بعضكم يحميها واطلعوا معى إلى تلك الراية التى فيها كسرى ملك العجم لعل أن نأخذه أسيرا من وسط هذه الامم ونفادى به نساؤنا والحرم ثم أن الأمير عنتر ترجل من على جواده الابجر وسار على الثرى وفعل فعله ولده ميسرة وترجلت جميع الفرسان عن ظهور الصافنات ورموا من على أبدانهم الزرديات والجواشن وقد صاروا فى وسط هذه الامم فهجمت عليهم الفرس والديلم وصاروا يلطموهم بالتوت والعمد وصياحهم قد علا وأنعقد وقد مالوا فوق الراية مثل السلاهب وضيقوا عليهم المذاهب وقد كان فى المقدمة عنتر بن شداد وهانىء بن مسعود البطل الجواد وهم يتواثبون مثل الأسود وما كان فى هؤلاء من يفزع من الآجال ولا يظن بان قدامه رجال وعنتر ينادى هاها يابنى الأعمام اجعلوا قصدكم كسرى ملك الأعجام واجعلوها وقعة الانفصال والسلام هذا وقد فزع كسرى على نفسه لما رأى ما أهاله فخرج من تحت الأعلام وجعل يحرض من حوله على الصدام وصاح فى الحجاب وجميع المرازبة والنواب وقال دونكم وهذا العبد الأسود الذى قد طغى وتمرد وفعل مالا يفعله أحد فعندها تصايحت عليه الحجاب وأطلقوا إليه مافى أيديهم من الحراب وقد دارت بعنتر جميع الفرس والديلم والترك والعجم وكان فى أوائلهم مرزبان يقال له مرجوان وكان فى يده عامود ما يخرجه قبان وقد طلى بماء الذهب كانه صارى مركب وقد هجم على عنتر قد قصده من دون البشر وهو مشتغل بقتال الفرسان ولا يعى على إنسان فصار بين يديه والزبد قد

طلع على شدقيه فهجم عليه وهو مشتغل بمن قدامه من العسكر وحدقه بنظره وزعق بالنار والمعبد الاكبر فخرج من يده كأنه حجر المنجنيق وعنتر غافل عنه ولا عنده به تحقيق فوقع فى ساقيه عرضا كاد أن يهشم منه الأعضاء فأوقعه على قفاه وغيبه عن دنياه ولما صار على وجه الأرض اجتمعت الفرس عليه وعولوا على هلاكه وبعد ذلك يهلكوا من معه فوقف على رأسه هانى وولده ميسرة والفرسان عليه متبادرة وهما مثل النار المستعرة فعند ذلك الجماجم متناثرة والدماء منحدرة والصوارم مشتهرة وهانى يقتل فيهم خمسة خمسة وعشرة ويصيح فى الأمير عنتر أن يقف فما قدر على الوقوف فوقع وصار كما كان وانصرع (قال الاصمعى) لقد بلغنى من أثق به وأعتمد فى كلام الصديق عليه الأمير هانى بن مسعود قامه فى ذلك اليوم خمس مرات وقتل سبعة وهو يرجع يقع والقتال من حواليه والرجال تقتل إلى أن قاربت الشمس الغروب وحسرت فرسان العرب من ضرب النبال إلا أن الرجال والابطال الذين كانت وقفت فى أسفل العقبة لحفظ خيول أصحابها عظم عليها مصابها وضيرها لما رأت من كثرة ما أهالها من كثرة الخلايق وجميع الفرس من فزعهم على كسرى تطلب تلك الرابية وتترك الصحراء فهنالك تمنعها فرسان العرب وتردها عن بلوغ الكرب حتى كثرت عليهم فأثخنوهم بالجراح وصدمتها جميع المواكب وخفقت منهم الارواح وطلبوا لأنفسهم النجاة فى الصحراء فتبعتهم من عساكر كسرى وهم فى عدد ياجوج وماجوج وأما الفرسان المقدم ذكرهم فتكاثرت عليهم العلوج فصاروا يقاتلون إلى أن كثر عليهم العدد وقل منهم الجلد وبطلت منهم العزائم والهمم ولاح لهم لائح الموت والعدم وأيقنوا جميعهم بالعطب وما فيهم إلا من نفسه تحدثه بالهرب فيرجع يخاف من معيرة العرب فقاتلوا حتى أقبل عليهم الليل وتزاحمت عليهم الرجال كالسيل وجاءتهم مرازبة خراسان من كل جانب ومكان ففيهم من رماهم بقوارير النفط والنار وفيهم من رماهم بالاحجار الكبار فرأوا الهلاك من سائر الوجوه وآيسوا مما كانوا يأملوه وقد زاد عليهم الامر حتى وقعوا كلهم على الأرض تمددوا عليها طولا وعرض فعند ذلك قبضوا على الجميع وشدوهم كتاف وجيع وكذلك عنتر وولده ميسرة وجميع من معهم من الفرسان المشتهرة قال ومن فرح كسرى بذلك الأمر والشان قال لحجابه ومرازبة خراسان ائتونى بهؤلاء الشياطين حتى أتى أعذبهم العذاب المهين وبعد ذلك تضرب منهم الرقاب وترمى رؤسهم إلى هؤلاء الاعراب فقالوا له جميع الوزراء والحجاب لا تفعل ذلك أيها المهاب وتأن فى أمرك ولا تعجل عليهم بالذهاب لأن الحكماء يقولون فى المثل المتقدم من استعجل فى أموره لا شك بندم

والصواب أنك تنفذهم إلى المداين عند والدك أزدشير وأخبره أن يضعهم فى المطامير ولا ينفذ فيهم أمر بسبب من الأسباب حتى يأتى من مكة ذلك النجاب الذى أرسلناه إلى البيت الحرام ويعلمنا بما يجرى من الأحكام فان الجيش الذى أرسلناه إلى مكة هلك كما سمعنا فى الخطاب فلا قينا قصتنا مع هؤلاء الاعراب وأطلقنا أسراهم وخففنا عنهم العذاب وتطلق لهم حريمهم ونمن عليهم بالذهاب أن كان جيشنا وصاحبنا سالم نحر ناهم بين يديك ثم قال فلما سمع كسرى من وزرائه ذلك الخطاب وجد فيه نوعا من أنواع الصواب وقال لهم إن كان الامر كذلك فتولوا أمر ولا تتركوا منهم أحدا فى هذا المكان واضرب رقابهم ودع يجرى ما يجرى من الامر والشأن فعندها خرج وقدهم فى عاجل الحال وحملوهم على ظهور الجمال وأنفذهم الوزير مع مائتين فارس وفى أيديهم رماح طوال ورفعوا على كل رمح جمجمة قتيل ليخف عن قلوب من فى المداين الويل والبلاء هذا ما جرى لهؤلاء أما ما كان من أمر العرب فانها عادت وقد قلب عزيمتها الفقد رجالها وحماتها ولما أن نزلوا فى الخيام اجتمعوا لأجل المشورة والكلام وشكوا إلى دريد ما لقوا من القتال وتوجعوا على من أسر من الفرسان فقال لهم دريد لا تشكوا إلى شيئا قد شاهدته وعاينته أعلموا أنه ما بقى من الموت فكاك وما بقى إلا الهلاك لأن القصة قد تمت ورجالنا قد هلكت وحماتنا قد أسرت وما بقى فى الأمر الا عند الصباح نرمى أرواحنا على هؤلاء القوم الاوقاح لعلنا أن نأخذ بالثأر ونكشف عنا ما نزل بنا من العار فقال قيس أعلم يا أبا النظر إن كانوا هم أسروا منا مائة وثمانين بطل فقد قتلنا منهم قتلى ملات السهل والجبل ولا كثرتهم لكنا نحن الرابحين وكنا فرغنا منهم فى أقل من يومين وكانت العرب قتلت من الفرس شيئا لا يحصى بعدد الرمل والحصى إلا أنهم قبائل شتى ما يبين فيها النقص والعدم فعند ذلك قال دريد لمن معه من الاصحاب أعلموا أنه إذا كثر علينا العدد التجأنا إلى بعض الشعاب وأنفذنا إلى عبد المطلب نجاب يوصل الينا من وصل من العربان ويجمع الفرسان حول البيت الحرام ويدعوا لنا بالنصر على هؤلاء القوم اللئام قال الراوى فهذا ما جرى هاهنا من الكلام وأما ما كان من أمر عنتر وأصحابه الكرام فان المطايا ما زالت تجد بهم فى البطاح إلى أن أصبح الصباح فعند ذلك أفاق عنتر مما هو فيه النكال فرأى رجليه فى القيود الثقال والسلاسل والاغلال فصعب عليه ذلك الأمر والحال فانشد يقول .

أتونى بخلخالين ليس بفضة ولا ذهب عار على شديد
وقد أوعدونى ثالثا من قيودهم وإنى ولو جاء رابعا لجليد
ومثلى يزين القيد يا عبلة رجله ويفتخر بالاغلال وهى حديد

قال ثم نظر إلى ولده ميسرة وأخيه مازن فشق عليه ذلك وكبر لديه وقال لفرسان العجم إلى أين أنتم سائرون بنا يا بنى اللئام لما لا ضرب كسرى رقابنا فقالوا لهم الاعجام ياويلكم وإلى ضرب الرقاب أنتم سائرين وسوف تذوقوا العذاب المهين لأن مشايخ النار عزلوكم إلى المبعد وأما باقى أصحابكم سوف تاخذهم ما أخذتم فزاد بعنتر الغيظ من ذلك الكلام وهان عليه القتل وشرب كاس الحمام وكان أكثر تأسفه على أخيه مازن وولده ميسرة لأنهما شباب ولو شبعا من الدنيا وكان سمع بان زوجة ولده ميسرة وضعت غلاما كانه البدر التمام وهو من الجارية التى أعطاها له الحارث الوهاب التى تقدم ذكرها فى غير هذا الكتاب وأن ميسرة كان تسلى بها عن أسماء حبه وقد زاد فى عشقها لأنها كانت مليحة كأنها البدر ليلة تمامه وكان عنتر فرح بذلك الفرح الاكبر الا انه تذكر ماهو فيه من العذاب الاوفر وقد تذكر عبلة وما فيها من الحسن والجمال وصار ينظر إلى تلك السلاسل والاغلال فجعل ينشد .

| | |
|---|---|
| فخر الرجال سلاسل وقيود | وكذا النساء خلاخل وعقود |
| وإذا غبار الخيل أطنب مقبلا | مسكا تراه فى القيود يزيد |
| القتل عندى بعد عبلة راحة | والعيش بعد فراقها تنكيد |
| ياعبلة إن سفكوا دمى ففضائلى | فى كل وقت ذكرها لجديد |
| لهفى عليك إذا بقيت سبية | تدعينى عنتر وهو عنكى بعيد |
| ياعبلة كم من جحفل فرقته | والجو أسود والجبال تميد |
| وأذقت فرسان الوغى من صارمى | ضرب يلين لوقعه الجلمود |
| وأنا الذى لحم الفوارس ماكلى | والجن تخشى صولتى وتحيد |
| ماساءنى لونى وأمى زبيبة | وأنا الذى للعاذلين أكيد |

(قال الراوى) وفرغ عنتر من ذلك النظام وأتم ذلك الكلام تناثرت من أجفان الفرسان العبرات وتمنوا لانقسهم الممات ومنهم من وافق عنتر بالاشارة كما جرت عادة العربان الاخيار فهذا ما كان من هؤلاء وما حل بهم عن التعب الالام وأما ما كان من النساء والحريم فانهم لما وصلوا المهائن قدموهم لابن الملك كسرى وهو المسمى أزدشير ففرح بذلك فرحا شديدا وجعل ينظر اليهم ساعة من الزمان ثم أنزلهم فى جانب من القصر وهو أعز مكان ووكل بهم جماعة من الغلمان وأقام لهم الرواتب فى الديوان (قال الراوى) واتفق أنه يوم من الايام طلع إلى مندرة كانت لابيه فى جانب الايوان وكان تحتها بستان كأنه روضة من روضات الجنان وفيه جميع ما تشتهى الشفة واللسان قال وبالقضاء

للسابق وقعت عينه على عبلة بنت مالك وكانت قد كشفت البرقع عن وجهها وأبدت تفججها وهى مثل القمر فى ليلة أربعة عشر فما هو إلا أن رآها وتمكن منها بالنظر حتى التهب فؤاده واحترق واصفر لونه حتى بقى بلون الذهب وكاد أن يرمى نفسه من أعلى المكان إلى الحجرة التى فيها النسوان وكان حوله فى تلك الساعة جماعة من الغلمان فقالوا له مالك أيها الملك الهمام فقال ويلكم أمضوا إلى دايتى وائتونى بها فقد اعترانى مرض فعندها مضوا إلى الداية وأعلموها بذلك الشان فنهضت مسرعة ودخلت عليه بغير استئذان ولما أن بقيت عنده قالت ولدى باسم النار حواليك وشرارها وصل اليك اعلمنى بالذى جرى عليك فعندها أخبرها بما جرى له وناله وقال لها أعلمى يا دايتى إنى أريد منك أن تجمعى فى هذه الليلة بينى وبين محبوبتى وإلا مت بحسرتى فقالت له الداية طب نفساً وقر عيناً وفى هذه الليله ترشف من ريقها الحلاب ولمن امتنعت من هذه الأسباب عذبتها غاية العذاب فقال لها أنا ما يمكننى أن أعذبها يا دايتى لأنها ملكت قلبى وحشاشتى ونزلت فى صميم مهجتى وأنا أشتهى منك أن تسيرى إليها فى عاجل الحال وتعلميها بما أنا فيه من الشوق والبلبال وتخبريها بما أقاسى من صبابة الجوى وتسمى ماذا تجيبه من الخطاب وما الذى ترد عليك من الجواب فقالت السمع والطاعة وها أنا أسير اليها من هذه الساعة فقال لها ازدشير يا أماه واسالى عنها أن كان لها قدر وقيمة وتكون منسبة عظيمة وإن كانت ذات بعل من الرجال أو ذات خدر من ربة الستار فاجابته لهذا الأمر والشأن وسارت إلى حجرة النسوان وتحادثت معهن بافصح مقال وسألت عن عبلة أن كانت ذات خدر أو ذات بعل من الرجال فاخبروها أنها ذات بعل من البعول وأن زوجها فحل من الفحول قال وكانت هذه الداية من القياده بجانب عظيم وكانت دائما تتوسط فى مثل هـــذه الأشياء بين الرجال والنساء وكل حريم فلما سمعت هذا الكلام رجعت إليه وقالت له ياولدى لاترم قلبك مع من لا تشتهية فقال لها ازدشير يا أماه وما معنى هـــذا الكلام وما وراه فاخبرته بما سمعت من النسوان وما أعلموها به من الأمر والشأن فقال لها ما أعرف ذلك إلا منك ولا أسال أحدا غيرك فابذلى ما عندك وبلغينى منها أربى فانها وحق النار رخيصة بملك أبى فعندها رجعت الداية إلى حجرة الحريم من وقتها وبين يديها جماعة من الخدام تعظيما لقدرها فانزعجت قلوب الحريم لرجوعها وقاموا جميعهن واقفين على الأقدام فعند ذلك كلموهن الخدام وقالوا لهن لا بأس عليكن أيها الأقوام هذه داية ابن الملك أتت تختبر أحوالكم وتنظر إن كان فيكن من تضام أو من تشتكو من قلة الطعام فعند ذلك دنت

لها وللملك بطول الدوام ورجعت كل واحدة إلى مالها من المقام وجعلت الداية تقف واحدة منهن وتسألهن عن أحوالهن ومن أى العرب من وتدعى بالخلاص لهن إلى أن أتت إلى عبلة بعد ذلك الأمر وكانت منفردة فى مكان بعيد عن النسوان وقعدت إلى جانبها وصرفت الخدام التى كن معها وأخذت تسألها عن حالها عبلة باستاه كيف حال من هو غريب عن وطنه وصارت فى الديار بين الاعجام عباد النار فقالت لها العجوز لا تضيقى صدرك ولا تحملى هم أسرك فقد دنا يا بنتى فرجك ونادى باقبالك رب النار والنور وما بقيتى تمرحين إلا فى السعادة وما بقيتى من النهار ترجعى تسكنين البرارى والقفار فقالت لها عبله وكيف ذلك يا أماه ما معنى هذا الكلام فقالت لها الداية أعلمى يا صاحبة هذا الوجه المنير أن ابن الملك المسمى ازدشير وهو الموصى له بالملك من بعد أبيه لأنه هو الكبير أكبر أولاد الملك كسرى الحاكم على كل وزير وهو قد نظرك اليوم من منظرته وقد احتوى على قلبه ومهجته وقد عزم أن يحملك من خواص سرائره ويحككى فى ملكه وأنفذنى أعلمك بهذه المحبة وآمرك أن تأخذى الاهبة ويكون ذلك فى وقت الظلام ويقضى منك غرضه والسلام فاشكرى يا بنتى عن هذا البشير واسمى ما به على كى يشير فلما سمعت عبلة هذا المقال حل بها الوجد والبلبال وزادها الوجل من شدة الحياء والخجل وقالت لها يا عجوز مالى إلى هذا وصول ولا سبيل ودعيه يقتصر عن هذا المقال والقيل لأن زوجى يفزع الموت منه ومن مراسه والجن تخشى عد أنفسها من شدة باسه والفراعنة تخاف من ذكره وانتاسه ولو سمع عنى بعلى لقتلنى وضرب رقبة الذى يتعرض إلى ويخرب دياره ويعجل بواره فامضى إليه سريع واعلميه بما قلت لكى من الكلام وأيضا هذا ملك تمام يجب عليه يحفظ نفسه من الفواحش فان الفواحش عند الكرام حرام ويبقى عليه فى ذلك غاية الملام وأن كان يظن فى نظير ما نحن مسبيين يريد بطمعه أن يقتنصنا فلا يبلغ بذلك أربا فان لنا من يخلصنا فلما سمعت منها العجوز ذلك الكلام صعب عليها وصار الضياء فى وجهها ظلام ولو لم يكن ابن الملك قد أوصاها على مداراتها وإلا كانت لطمتها على وجهها ولكن ما أرادت أن تفعل شيئا من تلقاء نفسها لانها وهى تعلم محبته لها فقامت من عندها لما سمعت ذلك فصارت تدمدم وتشتمها بلغة الاعجام فسارت إلى أردشير وأعلمه بما قالته عبلة من الكلام النكير فوقع على قلبه هذا الجواب من محبته لها ألذ من الشهد النقى وأحلى من الجلاب وتمنى أن يسمع منها أضعاف هذا الخطاب ولم يعلم طعم المحبة إلا من ذاق وجرب هذا العذاب قال للداية يا أماه لا تكونى شتمتى الجارية عندما قالت هذا الكلام والخطاب فقالت لا وحق النار والالتهاب ولا رديت عليها جواب فقال تحقق فعلت من الصواب فدعيها الليلة

حتى يعود عليه عقلها وتفكر فى أمرها وتعلم أن مابقى لها من أسرها فكاك وبعد ذلك الأمر العنيد لابد أن يجيبنا لما تريد ثم أنه بات فى هموم وأتراح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح أمر باحضار الدايه إليه فحضرت عاجلا بين يديه وقال لها أعلمى يادايتى أننى من نساء العرب الكرام وأنها ذات حسب لو اكبر مايكون من العرب وإلا ما كان قد عرض هذا الأمر من مثلى إليها وأبت أن تميل مع شدة هذا الشقاء والضنك الذى هى فيه والكرام يجودوا على الكرام واشتهى أن تحمل إليها هذه حسنة يكون لها قيمه ومقدار حتى أبصر ما يكون فى هذا الجواب من أعظم صنعة خراسان وسير معها بعض الخدام وسارت طالبة عبلة سيدة النسوان قال وكانت عبلة بعد ما مضت العجوز من عندها سارت إلى المتجردة وجلست بجانبها وأخبرتها وكانت عبلة بعد ما مضت الداية وبجديع ماتم قد أعلمتها ثم أنها بكت بين يديها وقالت لها أعلمى ياستاه أننى قد حرت فى أمرى وعظمت مصيبتى لأنى أن أطعته على مايريد زاد همى وغمى وانفضحت بين النساء ويقتلنى ابن عمى فقالت لها المتجردة وقد صعب عليها هذا المقال والله أن هذه الفعال مايرضى به إلا الانذال وأن هو أبصر منكى المطاوعة طمع فينا كلنا وربما طلب كل ليلة واحدة منا وتكون الفضيحة الكبرى ويشيع أمرنا فى هذه الصحراء مابقى فى الأمر والله هذا آخر هذه موم ما كنت أريد إلا سكين ماضية حتى إذا أبصرت الغلبة من نفسى قتلت روحى واسكن رمسى فقالت لها المتجردة لما سمع منها هذا المقال إلى مثل هذا الأمر ينتهى الحال والرأى عندى أنها إذا عادت اليكى هذه العجوز تظهرين لها الخضوع والخشوع وتشكى لها القلة والجوع وتقول لها فقد ندمت على مافعلت من الفعال وعلى ماقلته لك من الصواب وأتيه بامر يعجب لأنى على كل حال أسيرة فى يده وما كان صواب أن أرده عما اشتهاه وأريد منك أن لا تؤاخذنى فيما قلته من الكلام ويمهل علينا ثلاثة أيام وغدا ينفذ لنا طعام ما يشتد به رمقنا ويرد جوعنا ويشد قوانا لأننا لاقينا مشقة عظيمة وعنا وإلى الآن مازال عنا الشقاء والعناء وإلا لو أكلنا من أطيب الطعام زال عنا ذلك الالام ويرد علينا حسننا بالتمام فلعل أن تنطلى عليه هذا الأمر المحال وقد بلغنا مقصودنا الآمال فقالت عبلة ياستاه هذا الأمر مادا فيه عما تتمنا فقالت المتجردة يفيدنا منه فائدة عظيمة وتكون عاقبته للاعراض سليمه أحدها من اليوم إلى غد يابنت السادات تنقلب عند ذلك الساعات والأوقات ويأتى إلينا مالم يكن فى الحساب وذلك بمشيئة الملك التواب ما بفرح قريب وأما بعذاب شديد

والوجه الثانى إذا أن ابن الملك إذا أنفذ إلينا الطعامات والحلويات والفواكه الطيبات لا بد أن يكون بحملتها سكاكين وبهذا جرت عادات الملوك والسلاطين وإذا جاءنا ذلك بتمكين ملكت كل واحدة منا سكين عند ذلك تبقيها معها إلى أن تنتهى المهلة ويلح فى طلبنا نظر له ذلك الوقت ما فى نفوسنا ونقول وحق الملك الفتاح الذى خالف بين المسا والصباح إن لم ينته عن حديثنا وعن التعرض بذكرنا وإلا قتلنا بيدنا أرواحنا ونبصر بعد ذلك ما يفعل من الأمور المقتضيات وما يأتى من عند الله فى المرضيات قال فلما سمعت عبلة من المتجرمة ذلك الخطاب إمتدت إلى الصواب وباتوا على ذلك الايضاح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وإذا قد أتتها الدايه بالعقود والثياب وأعادت عليها ما بقلب الملك من المحبة والالتهاب فخاطبتها عبلة بذلك الخطاب وأعادت عليها ما علمتها المتجردة من الجواب وقبلت منها تلك الهدية ودعت لابن الملك بدوام المملكة الكسروية وأظهرت الفرح والابتسام ثم أنها شكت اليها الحاجة وقلة الطعام فلما سمعه العجوز منها ذلك الكلام والمقال قالت لها أبشرى يا إبنتى ببلوغ الآمال إلا ابن الملك فى قبضتك يا بنت الكرام وأنا أعلم أنه يملك ولو طلبتى منه مهلة عشرة أيام ثم أنها عادت إلى ابن الملك فى عاجل الحال وأعلمته بما سمعته من المقال ففرح بذلك الأمر وزالت عنه الهموم والأحزان أرسل الطباخ فاتى إلى حضرته وقبل الأرض بين يديه وقال ما هو الأمر الذى دعوتنى فيه فأمر أن يكثر إلى النساء الطعام ويزيد لهن فى الاكرام ثم أنه رجع من حضرته فى عاجل الحال وفعل ما أمره به الملك من المقال وما صار نصف النهار حتى راج الطعام ووضعت الثمار فى الصوانى والجفان وهن من الذهب والفضيات وبعد ذلك بسطت الطعام على رؤس الجوار والخدم وكان أكثره خرفان ودجاج مسمنات والوز المحمرات ثم وضع قدام النساء العربيات فدرن به من سائر الجهات لأن المتجردة كانت أخبرت النساء بجميع هذه الاشارات فاكلن وأخذن السكاكين وتأمن البلاء المبين وصارت كل واحدة منهن تغسل يدها وتخفى تلك السكاكين تحت أثيابها فافتقدوا الخدام السكاكين فما وجدوها بما قلن للنسوان فقال لهم أن الوزير أمرنا هو وابن الملك أن لا نسألهم عن شىء ولو أخذوا كل ما كان وأول من أخذ السكين ذلك البدوية التى تسمى عبلة وهى الخاص فقال لهم كبيرهم صدقتم فيما به تكلمتم وما زال ابن الملك مع هذه الصبية حتى يرمينا فى بلية قال من ذلك اليوم زاد أزدشير فى اكرام النساء وصار ينفذ إليهم الفاكهة الطعام صباحا ومساء وما ال يفعل ذلك

فى كل يوم إلى أن مضى الاجل المعلوم ولما كان فى اليوم الرابع أنفذ إلى الداية المقدم ذكرها فلما حضرت أرسلها إلى عبلة تأمرها أن تأخذ الأهبة للمبيت عنده فى هذه الليلة فعند ذلك سارت إليها وبلغتها الرسالة وماقال ابن الملك من المقاله فقالت لها عبلة ويلك يابنت الانذال ماأطمع صاحبك فى المحال والله لو قطعنى الف قطعة وأسقانى من الموت ألف جرعة مارآنى له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة هيا سيرى وأعلمه بذلك الخطاب وقولى له ماهذا صواب ولا يخالف هذا الجواب وإن كان هو يأمر بقتلى فانا أقتل روحى بيدى ولا يظن أننا طلبنا الطعام من جوع وأنا كان عرضنا فى السكاكين التى وصلت إلينا حتى إذا غضبنا على أنفسنا قتلنا بهم أرواحنا ويبقى هو المطالب بثارنا ه ياسادة فلما سمعت الداية من عبلة ذلك الكلام صار الضياء فى وجهها ظلام وقالت لها كانك غدرت فى الكلام ومكرتى بابن الملك يابنت الشيطان وسوف ترين ماتلقى من العذاب والهوان إذا سمع أزدشير هذا الكلام فقالت لها عبلة فوأست أن تثنى فخافت من غائلتها فقامت العجوز وهى على غير الاستواء وصارت تهرول فى المسير إلى أن وصلت إلى عند أزدشير واعلمته بذلك الامر النكير فكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وحس بان الدنيا قد أظلمت فى عينيه وقال وحق النار والجمر ماسمعنا بهذا فيما تقدم لأن المكر قد وصف بالعجم ونحن سادتهم وقد مكروا بنا عبان الغنم فقالت له الداية إذا كانت مكرت بك فقابلها بالاخرق والهوان وأن ماتت فالى لعنة فقال أزدشير والقتال ما كان قال هذا المقال وأخاف أن يفرط منى فى حق الجارية فرط ويخسر أبى مع العرب فيعتب على وربما عزلنى عن مملكتى وأعطى الملك لبعض اخوتى وأكون ضيعته جل شهوة من الشهوات فانا أصبر حتى أنها تنكشف لنا الأمور فانا كان بلغنا المنا ونـ كان علينا فاكون قد نظرت فى العواقب ولا يبقى على لوم لائم ولا عقب عاتب قال الراوى ثم أن الملك أزدشير قام بقية ذلك اليوم وتلك الليلة يقلب الفكر باطن وظاهر ويهم أن يغضب عبله على نفسها ويرجع يخاف من عاقبة هذا الأمر ويخشى من غضب أبيه (قال الراوى) وعند الصباح أتت البشائر والأجناد بوصول عنتر بن شداد ومن معه من الاسارى وبشر الملك أزدشير بالنصر على الأعداء فعند ذلك أنصرف عن قلبه الهم وانجلا وقال حتى أزعجت الأفطا وقال الملك لمن حوله من الخدام أخرجوا هؤلاء العربيات لينظروا إلى فلما ورجل ..ون ودلادهم ومر ابن الملك بالاسارى أن يعبروا بهم عليهن

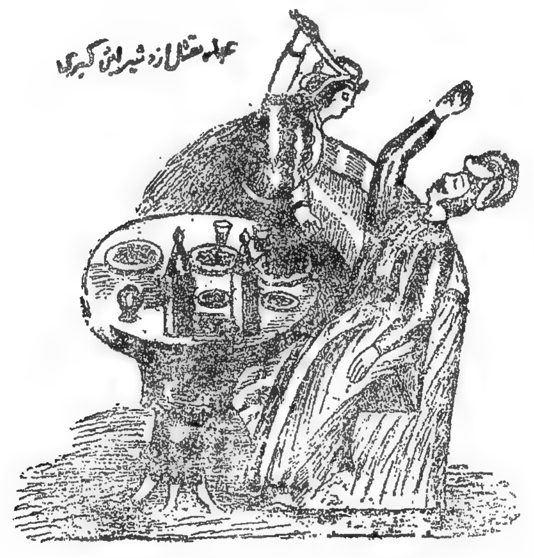
فعلوا الحجاب ما أمرهم به ابن الملك المهاب وفى دون ساعة أوقفوهن فى المكان الذى يعبروا منه الاسارى وقد علا الضجيج وارتفع الصياح والعساكر حولهم مشهرين السلاح. قال الراوى هذا المقال فلما رأوا النساء رجالهم وهم على هذا الحال أيقنوا بالويل والخبال. ثم دخلوا بالاسارى على على الجمال وعبروا من تحت القصر على ابن الملك وقد عرفوه بهم، وبجميع هذا العصر والأوان هذا وخيولهم مجنوبة من ورائهم وعليها عددهم وسلاحهم. فعندها فرح ابن الملك بوقوع عنتر بن شداد وقال به أبلغ من عبله المراد هذا الصياح، قد علا عليهم من كل حاجب ومكان حتى قلب البز والقيمان باختلاف لغة الفرس وأعجام. قال الراوى لهذا الكلام وكانت النساء قد أبصرت رجالهن فهناك كشفوا البراقع. ونشروا الذوائب وأيقنوا بالمصائب هذا الأمير عنتر قد أبصرها هذا الهوان من الفرس. والهوان خلاف ما عاين وأبصر فى الأول فرمى نفسه على ظهر الجمل وصاح فى باقى أصحابه وقد غاب عنه صوابه وقال يا ويلكم ما الذى نساق مع هؤلاء الطناجير سوق النياق فارموا أنفسكم واطلبوا القتل ولا تطمعوا فى الخلود أحسن لنا من هذه السلاسل والقيود واعلموا أن ضرب السيوف الصقال أهون علينا من هذا الحال وتنظرنا بنو عمنا ونحن فى القيود والاغلال وتبصرهن أيضا وهن مأسورين فى يد الانذال فهذا من أعظم الوبال فقالوا كلهم بلى والله يا ابن شداد فلقد أتيت والله بالقول السداد ثم أنهم ارموا أنفسهم من على ظهور الجمال إلى الأرض والرمال وصاح هانىء ابن مسعود الكريم الآباء والجدود ويلكم يا طناجير منكم خلقا لا تحصى بعد الرمل والحصى وأنا صاحب ديقار وفارس الاقطار أنا قاتل شيرسان بن كسرى صاحب الأيوان فخذوا بالثار إن كان فيكم نخوة الرجال ودعونا من العذاب والنكال قال فلما سمع أزدشير كلام الأمير هانىء وما به نطق زاد به الغيظ والحنق وقال وحق النار النور لقد صدق هذا البدرى بما تكلم من الأمور ولو كان أبى معه رأى وأمرنى بحبسهم فى المطامير وأنا وحق النار وما فيها من الانوار لابد ما أنزل بهم الهوان وافعل معهم كما فعل أبى بالنعمان وأحضر لهم الفيل المجنون وأرميهم إلية واحد بعد واحد وأنزل بهم الاوابد قال الراوى ثم أنه أحضر القيال وأمر باحضار الفيل المجنون وأمرهم أن يقدموا عنتر فى الأول إليه قال فلما سمع القيال كلام ابن الملك قال السمع والطاعة ثم أنه أحضر الفيل المجنون فى تلك الساعة ثم أن الملك أزدشير أحضر الداية المقدم ذكرها وقال لها يا إماه هذا وقت نيل المطلوب والتدبير فى اجتماع المطلوب فامضى إلى عبلة وعرفيها بما قد

حولت عليه وقولى لها إن أردت السلامة لابن عمك تسلمى نفسك لابن الملك فقالت الداية سمعا وطاعة ثم أنها سارت إلى عبلة فوجدتها تنظر إلى عنتر هى والنساء وقد لحقهم الهم والاساء وهم يبكون على الفرسانى ويتاسفون على الشجعان فعندها كلمتها الدايه بكلام مستهزىء وقالت لها دعى الساعه هذا اللجاج وأعلمى أن لم تطيعى ابن الملك على ما أرادوا إلا انتطع منك ومن زوجك الاثر وتبقوا عبرة لمن أعتبر ويأخذ غصبا ويسحبك سحبا بعد ما تنصرى فى نفسك الهوان وتعضى على كفك عض الندمان قال فلما سمعت عبلة هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلام وقالت لها يا عجوزة النحش وأخس من طلعت عليه الشمس وحق مكون الكون وخالق الإنس والجان ومظهر النبات لجميع الحيوان لو أهلك الملك بنى عبس وعدنان وبنى فزارة وغطفان ما رآنى له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة فليفعل ما يشاء ويدبر كما اشتهى فانا أعلم أن ابن عمى قد انتهى أجله وحان من الدنيا مرتحلة قالت فلما سمعت العجوزه كلامها لطمتها على وجهها وعادت إلى ابن الملك وأخبرته بما قالت عبلة فقال لعن الله نساء العرب فانهم أعظم كيادو أكثر عجب ثم أنه التفت إلى خدامه وقال لهم أو موا ابن عمها الفيل حتى يهرس عظامه ويعجل عليه حمامه وتعلم ذلك الوقت بنت الاوغد أينا أكثر لجاج وأقوى عناد وقال فعند ذلك دعت فرعة الفرس الشداد من عنتر بن شداد وحلوه فعندها تخطى إليه الفيل وقد عرف مرادهم والفيل فضرب عنتر بخرطومته ضربة عظيمة وبربر وزجر فصرخ صرخة تقلق الحجر وقد أيقن فى نفسه بالعطب ونادى يا محمد النبى الممجد ثم تمطى فى كتافه قطعه فاقشعر من فعاله الابدان من النساء والرجال والفرسان هذا والفيل قد عاد مثل القضاء الذى لا يندفع وضرب عنتر بخرطومه ضربة ثانية أعظم من الأول افتتح لها عنتر من باعه وتلقاها بشدة ذراعه وقبض بكفيه على خرطومته وقد صفت فى رأسه نخوته وعاد الفيل كلما يريد برفعه من الأرض فيشدد على ذلك حتى لحاق نفس الفيل وعاد يطلب الخلاص فما وجد سبيل وصار عنتر يجذب خرطومة الفيل حتى بقت فى يده مثل الخرقة المبلولة وقد ذكرت الحكماء أن روح الفيل فى خرطومته قال ولما انقطع نفسه لجذب خرطومته فانقطعت وبقت فى يده فعندها زعق الفيل زعقه على بطنه ونفر إلى وراءه وقد تاخر ووقع على الأرض فى الفلوات وختبط ساعة ومات وقد حلت به الافات فلما أبصرت الحجاب إلى فعل عنتر المهاب صاحوا يا للنور قال الراوى وأما ابن الملك فانه كاد أن يغشى عليه لاجل قتل الفيل لانه عند أبيه عزيز عليه

فزاد غيظة على عنتر وأراد أن ينزل به العبر قال ومن شدة ماجرى عليه صاح فى الحجاب والفرسان وقال لهم شدوا الجميع بالحبال وعلقوهم بجانب الايوان فوحق النار والنور لاأبقيت على أحد من هؤلاء الأشرار فقال له بعض وزراءه ياملك الزمان تان فى أمرك ولاتعجل واحفظ هؤلاء الاسارى عندك وتمهل واحذر عواقب البغى والضرر ومن الصواب أن تمهل عليهم حتى تنظر ماجرى لأبيك مع العرب فان كان النصر له وان كان الأمر بخلاف ذلك فتكون قد نجيت من المهالك فقال أردشير أما هذا الاسود الاسير مابقيت أبقى عليه وأقتله فى الحال لاجل مافعل بالفيل هذه الفعال وأمار فقاءه فعلوا بهم ماتريدون ودبروا فى أمرهم ماتشتهون قال الراوى ثم أنه أمر بصلب عنتر على الاصوار وأن يرشقوه بالنشاب والحراب فعندها دارت به جبابرة العجم والفرس والديلم وأرادته أن ينزلوا به العدم وكانت عبلة قد أظهرت الصبر والجلد لما نظرت إلى ابن عمها وهو ملقى قدام الفيل فظنت أن فعال ابن الملك به تهديد حتى تجيبه عبله على مايريد قال ولما أبصرته قطع الكتاف وقتل الفيل وبعد ذلك أشرف على التلاف فعندها هانت عليها نفسها وقالت المتجردة يامولاتى أنا قد عولت أن افدى ابن عمى بنفسى فانه طال ما فدانى من النوائب ومن حلول المصائب فقالت لها المتجرده وكيف ذلك وما الذى عولت عليه الملك السعيد حتى أزورك فى هذه الليله فاذا خلوت به اجتهدت فى قتله وأن لم أقدر على هلاكه وسوء ارتباكه مانعته عن نفسى حتى يفيض به الغيظ ويقتلنى ويسكتنى رمسى وما خنته فى نفسى فقالت المتجرده وقد بكت وأنت واشتكت والله ياعبلة أن تم هذا الأمر وقتل ابن الملك على يدك وانقبر ما الفرس منا من يخبر ولكن استتارنا تحت التراب خير من هتكنا بين الاعاجم والأعراب فافعلى مابدالك نجح الله أعمالك قال فعندها مابينى وبينهم من النسب واشتهى الذكى أن تسالى ابن الملك فيهم وأنا الليله أن وره لأنى ما منعته فى الأول إلا قلت ربما أنه قضى منى وترقى مدة قليلة وهجرنى والسبب الثانى كان لحقنى مايلحق النسا من العذر وما انقطع عنى إلا هذا اليوم وأريد مكان خالى حتى أغتسل فيه وبعدها أسلم نفسى لابن الملك وأقول له يفعل بى ماهو أهله فلما سمعت الداية كلامها رق لها قلبها وقالت لها أبشرى يابنت الكرام ببلوغ المنا وإزالة العنا وأما الغسل فهذه خلوة فى حما الدار تخليها برسمك وتنظرى بعد ذلك ما يسرك ثم أنها طيبت قلبها وعادت إلى ابن الملك وأخبرته بذلك الخبر قال فلما سمع ابن الملك هذا الكلام فرح غاية الفرح

هو اتسع صدره وانشرح ثم أنه أمر برد الرجال إلى المحبوس وعتق منهم وقد زالت عنهم اليؤس فنعلوا ذلك فرسان المجوس ثم أن الملك أردشير أمر الداية أن تخرج لعبله من أخر المحبوس وأن ترد النساء إلى الحجرة التى كنا فيها فقامت الداية فاخذت عبلة من بينهم فادخلتها الحمام وقد طيبوها بالند والعود والمسك الأذفر وكذلك الماورد والعنبر قال الراوى لهذا الكلام ياساده ياكرام فما خرجت عبله من الحمام إلا والعجوز قد أعدت لها الحلل الفاخرة والثياب الباهرة وعصبتها بعصائب الجوهر وحلتها بحلى لا يقدر عليه قيصر وكان كل حزم محشو بالمسك الأذفر وعلى جبينها اللؤلؤ الأذفر فصارت عبله أبهى من الشمس والقمر إلا أن الدايه ما أخرجتها من الحمام حتى جن الظلام وأتوها جماعة من الخدام وفى أيديهم المباخر فيها الند والعنبر قال لهذا الكلام إلا أن عبله فى هذا الاكرام وهى غائبه الوجود تحسب فى نفسها ألف حسان وماذا تلقاه عند ابن الملك فى خلوتها وهى متيقنة بالهلاك من ليلتها (قال الراوى) وكانت سائرة وأنوار بهجتها تجلى ظلام الغسق إذا كان الضباب عليه مطبق ومازالت سائرة وهى مثل القمر المنير ودخلت على الملك أردشير وقد سبقتها روايح أرديها ولين أعطافها رآها ابن الملك قام لها وقد أبهره جمالها فارتعدت أعضاه من حسن خطرتها ودلالها فتقدم إليها وهو يقول لها بلغة الفرس شركندن ديدهن ديله خوش ايله ايمنى أهلا وسهلا بروح الأرواح وجمال المدح قال فلما سمعت كلامه ماعلمت من مرامه ولا عرفت بماذا تخاطبه بل أنها خدمت وقعدت إلى جانبه على سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر قوائمه من الفضة والحجر وعليه فرش من الحرير الأحمر وكان ابن الملك قد لبس لأجل قرب محبوبته ثياب الأفر وقد زالت عنه الاتراح إلا أنه أنه لما رآها عنده على السرير أخذه القلق والتحيير وسار يعاتبها على مافعلته فى حقه ويباسطها فى الكلام وهى منكسة الرأس تبتسم بتكلف ووسواس وقد نظر ابن الملك إلى حسن جبينها وتهدب أجفانها والدموع تذرف من اعينها وهو يقول لها يا منة النفوس ماحالك وهى ما ترد عليه جواب ولا تتندى له خطاب هذا والداية قد نظرت إلى ماهم عليه فقدمت لهم الطعام ثم قدمت بعد ذلك الشراب الصافى وهو للابدان شافى وقد صفت لهم الأوانى من الذهب والفضة والبللور فعند هاشرع الملك فى تناول الطعام وصار يلقمها من صدور مدجاج وهى تأكل أكل مودعات الدنيا وقد صارت تدعو له دعاء المحال والريا ولما اكتفوا رفعت الداية الطعام وبعد ذلك شرعا فى شرب المدام وكان أكثر الشراب من شراب التفاح فلا أزدشير وشرب على وجه عبله ثلاثة أقداح ثم أنه ملا الرابع

وناولها من يده وقد فرحت الداية بذلك فقالت لها يابنت مالك من يكن مثلك بما أن الملك يملا ويسقيك ويخدمك ويصافيك ثم أنها ردت عليها الباب وخرجت من عندهم من غير ارتياب وبقي الملك أزدشير يملا ويسقيها حتى أحمرت خدودها وتقوست حواجبها وصارت بهجه لمن يراها إلا أنها قد هانت المنية عليها لما صعد الخمر فى رأسها فبقيت حائره فى نفسها وتدبر فى قتل أزدشير وتركه ملقح عقير قا الراوى وكان قدام الملك أزدشير سينة لطيفة ماضيه برسم الفا كهه فحدثت عبله نفسها أنها تشاغله وتاخذ السكين من بين يديه وتقع بها عليه هذا والملك قد أقلقه حسنها وجمالها فما بقي شيء عنده من الصبر عن وصالها فمديده إليها وضمها إلى صدره فصار يقول لها أبشرى يامنة القلب




وياحبيبه القلب وحياتك لاحكمك على العرب والعجم وكل من سكن البر والسبسب لأنك قد نزلت مني قلبي باعلى المنازل والرتب قال فلما سمعت عبله مقاله وما أبداه من مرامه قالت له هذا الامر لا يمكن أبدا لأني من حيث أتيت إلى ههنا وأنا أبصر الجوار ينظرن إلينا

ويتطلعون علينا وهذا يدل على أنك قليل الهيبة عند دولتك وعند خواص مملكتك فعند ذلك رفع ابن الملك رأسه وقد أزعجت سائر حواسه وصار يتمثل إلى سماء الدار وهو يقول يا للنور والشار فلما نظرت عبلة وهو على ذلك متفكرا فى أمره فرفعت رأسها معه وجعلت تشاغله وتحدثه بعد ذلك أطرقت برأسها ثم رفعت يدها بالسكين سريع وضربته بها فى لبته طلعتها تلمع من نقرته وبادر أخرى فى صدره طلعت تلمع من ظهره فوقع وأنصرع ساعه قليلة وانخمد حسه ومات وقد حلت الافات فعندها أبكرت الداية تلقى الزعقة هذا عذاب وحق النار ذات الالتهاب وما يكون إلا أنها منعته عن نفسها فاغتاظ منها وقتلها ثم أنها فتحت عليها الباب ودخل تنظر ما حل بعبلة من العذاب فعندها وثبت عبله عليها لما رأتها مقبلة والسكين فى يدها وقال لها يا لخنا وذمة العرب لا عدمتك الحياة يا بنت الانذال حتى لا تفعلين مثل هذه الفعال ثم أنها ضربتها بالسكين مزقت أثوابها ووصلت ذبابها إلى جسدها فخرجت الداية بعدما أيقنت بالعذاب وردت على عبلة الباب (قال الراوى) لهذا الكتاب صلوا يا حاضرين على حبيب الاحباب وكان للملك كسرى ولدين غير هذا أزد أنوشير وكان أحدهما يسمى قباز وكان هو الاكبر وهو صاحب رأى وتبيان والاخر يسمى أنو شروان فعندها دخلت الداية على قباز وأخبرته بقتل أخيه وبكت بين يديه فقال لها وكيف تمكنت هذه البدوية من قتله الا أن يكون قد ظلم واعتدى فقالت له الداية صدقت وحق النار ثم أنها حدثته بما جرى له من عبلة وكيف أغضبها على نفسها فاهلكته فقال هذا قباز متعبد فى دين المجوس وفى النهار يعبد الشمس وكان يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف وينكر على أبيه إذا ظلم وكان أكثر الدولة تحبه لاجل عدله فى حكمه وتكره أبيه الجور فى ظلمه قال الراوى ثم أن الداية بعدما كلمته بهذا الكلام سمع صياح الجوار والخدم فخرج وهو يقول يامن نور القمر بعض أنواره ملكنى ملك العجم حتى أنصف الامم وأخذ للمظلوم حقه ممن ظلم فعندها رأى القصر وقد أشهر والسلاح وآشد الكفاح وطلبوا المسجونين من الرجال والنساء الملاح حتى يأخذوا بثار الملك أزدشير ويقتلون الكثير منهم والصغير فعندما صاح قباز فيهم وعن هذا الامر نهاهم وقال ياويلكم تريدون أن تقلعوا دولتنا ونحن فى قيد الحياة أرجعوا إلى أماكنكم وأغلقوا الابواب ودعوا عنكم الفضول وإلا ما يصبح كل واحد منكم إلا مقتول فعندها عادوا أهل القصر إلى أماكنهم وغلقوا الابواب وبعدها سار قباز بن كسرى فرأى السكين فى يد عبلة وهى تنفخ مثل الأفعى وجبينها يقطر بالعرق وما فى الجميع من

يقدر يدنو منها فلما نظر قباز اليها تعجب منها ومن همتها وقال لمن حوله من أصحابه وحق الشمس المضيئة ما هذا الفال الا انخوة وحية ثم دنى من عبلة وهى قد علمت به فتاهبت الوثبة عليه فقال قباز لاتخافى ياحرة فما فعلت شيئا يوجب العطب سيرى إلى عند أصحابك العربيات ولك من الذم والامان ثم أنه قال لها أتبعينى وقد هدأ روعها وسكن رعبها فسارت عبلة إلى حجرة النساء وهى فى حالة الافتكار مما قاست من تلك الاخطار قال الراوى لهذه الاخبار فلما رأتها النساء تعجبين من أمرها وسالنها المتجرده عن حالها والذى تم عليها ونالها فقالت أزدشير بن كسرى جملته ملقح على الثرى هذا والملك قباز قد وكل بباب الحجرة جماعة من الغلمان وقال لهم أحفظوا هؤلاء النسوان ولم تدعو أحد يدخل عليهم ولا يكلمهم ولا يؤذيهم وكل من رأيتموه دخل إلى هؤلاء النسوان أضربوا زقبته وأنزلوا به الحرمان أنه عاد بعد ذلك طالبا الحجرة التى فيها أخوه أزدشير ودخل عليه فوجده ملقى غفير فأمر مشايخ بيوت النيران أن يكفنوه ويضعوه فى ناوص من النواويص الكبار ثم أن قباز بعد ذلك كثر فرحه وتيقن باخذ المملكة قال الناقل وكان عند شيخ كبير اسمه شروان فاقعده إلى جانبه وقال له أبتاه كنت أشتهى أن يصل الملك لى حتى انى أملا الأرض عدلا وأخلص الناس من الظلم فقال له الشيخ شروان وحق بيوت النيران ما الملك وبين يديك ولوصت اليه لما صعب عليك فقال له وكيف ذلك يا أبتاه دبر أمرى وأشر على وأصلح شأنى وساعدنى على هذه الامور وأبشر منى بكل خير فقال له الساعة تقوم إلى العرب الذين هم عندك أسارى تدخل عليهم وتعلمهم بان أهل القصر كانوا أرادوا أن يدخلوا عليكم ويملكوكم لاجل أزدشير وأنا قد منعتهم من هذا الفعل والنكير ثم أنك تخلصهم من أسرهم وتبشرهم ببلوغ مرادهم وسلم اليهم خيلهم وعاهدهم وسيرهم إلى أبيك فى زى العجم فهم يضربون رقبته ويجلسون مكانه قال فلما سمع الملك قباز ذلك الكلام عرف المقصود باهتمام وقام من وقتها وساعتة إلى عنتر وأصحابه وفكهم من القيود والاغلال ثم أنه عنتر بن شداد يا ملك أنا الضامن لك قتل أبيك وقتل من معه من العساكر والاجناد والانزول من عندك حتى ينفذ أمرك فى سائر البلاد فعندها فرح قباز غاية الفرح واتسع صدره وأنشرح وزالت عنه البوس والترح وقال لهم لئن فعلتم تلك الفعال كنتم أنتم الحاكمين على سائر خزائنى وملكى والأمور وما يكون حديثهم بما هو عازم عليه من العدل والانصاف وترك الجور والاسراف وقال لهم فى آخر كلامة ما ادع عليكم حاكما إلا من تريدوه تشتهوه أن أردتم أحد من أخوة النعمان أو

سيد من سادات العربان ثم أنه بعد ذلك أمر الخدام والغلمان باخراج النسوان وأرسلهن إلى ذلك المكان وما كانت إلا ساعة من ساعات الزمان حتى دخلت النسوان على بنى الأعمام وكان اجتماعهم بعد الاياس من أعجب الاحاديث الذى حدثت الناس وهم من شدة الفرح والسرور أخذوا فى البكاء والشكوى وصار كل واحد منهم يحدث صاحبه بما تم عليه وجرى فلما رآهم الامير هانىء على تلك المعانى فقال والله يا وجوه العرب ما يصلح هذا الوقت لمثل هذا السبب والصواب أن تدعوا هذا الأمر إلى أن تخرجوا من بلاد العجم تصلوا إلى بلادكم فاطلبوا من الملك قباز الخيل والعدد والسلاح فعندها مضى اليه الأمير عنتر الأسد الوقاح وقال له يا ملك نريد الخيل والسلاح وآلة الحرب والكفاح فقال له قباز هذا خيول لكم تقدم الأسود أخو النعمان على سائر العربان والفرسان فقال عنتر يا ملك الزمان وإذا لم تقدم الأسود على كل من سكن البر والعدفقد مناه نحن باسنة رماحنا وقوائم سيوفنا وجاهدنا بين يديه ولا نبخل بارواحنا عليه فعندها ضحك الملك قباز من هذا الكلام وأبدى الفرح والابتسام ثم أنه أمر بجمع ما يحتاجون وساروا وقت السحر وكل منهم فرح واستبشر فعندها ركبوا الخيول وتقلد بالنصول فقال الامير عمرو بن معد يكرب قولوا للملك قباك يساوى النسوان مثل الفرسان بالباس والسلاح وآلة الحرب والكفاح حتى إذا إشرفنا على كسرى فتكون فى جحفل كبير ويحسب حسابنا الكبير منهم والصغير قال ستصوبوا رأيه والمرام وأخبروا الملك قباز بهذا اهتمام فعدها أمر الملك إلى الخدام أن يأتوا لهم بالخيول والجنائب وفتح خزائن السلاح وأعطى الجميع الدروع والخلع الحسان قال الراوى وما كان فى ذلك الخلع خلعة أحسن من خلعة الأمير عنتر وكان شربوشه مرصع بالدر والجوهر ثم أنهم خرجوا من البلد ونجوا من فم الأسد لقد آمنوا من كل أحد قال فلما أوسعوا فى البر الاقفر كانت عبلة إلى جانب الامير عنتر وهى تحدثه على ما جرى لها أزدشير ووصفت له كيف خاطرت بنفسها قد فدته بروحها وهو يقول لها يا بنت العم أن كنت أن قلت أزدشير بالخدع فاملت الأعين الصواب وأنا فتكم تركت تحت أعلام كسرى من قتيلا تنهشهم السباع أنهم السباع أنهم ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا قال الداوى فبينما هم سائرون وفى سيرهم مجدين واذا بنجاب قد أعترضهم فى الطريق ولكنه خاف على نفسه من التعويق فقال عنتر هذا والله نجاب وهو طالب المداش من عند كسرى فاحضروه حتى نسأله عن حاله وما جرى من الأمر والشان خلقة مثل السبل خاف نفسه من العدم وتصور فى عقله أنهم من العجم فالقى رجليه للريح

وطلب البر الفسيح وهو مثل النمر الحردان فتعجب عنتر من قوة عصبة والجريان وقال لولده ميسرة ولعروة بن الورد أن صدقني حذرى ولم تخطىء زجرى أن هذا أخى شيبوب وأقول أنه نظر الينا فى زى الفرس ففزع منا ثم الان الامير عنتر طلبه على ظهر جواده الابجر قال الراوى النجاب شيبوب وقد أتى أن يكشف أخبر المأسورين ويحقق الامر بتمكين قال وأنه لما سمع صرخ عنتر خلفه عرفه من صوته فقصر فى مشيه وقد أشكل عليه كذلك حتى قاربه عنتر وأبصر شيبوب إو سواده من تحت الدبياج وعلى رأسه الجوهر فاخذ شيبوب الضحك على أخوه عنتر وقال طنجروك الفرس وخلوك مطنجر وقطعوا خصيتاك بعد ما حقوا لحاك ويلك يا بن زبيبه من غير لباسك وربنك بهذه الرينة فقال له عنتر من قبل أن أحدثك بحديثنا حدثنا أنت أى شيء جرى على قومنا من بعدنا فقال شيبوب والله يا أخى ما جرى شيء لأن الفرس لما أن أسروك خاف دريد على القبائل لخصتهم فى الجبال بادرونا قوم كسرى بالقتال يوم بعد يوم حتى قتلنا منهم قتلوا منا ثم أن الملك ودريد قالو ياشيبوب نريد منك أن تكشف خبر المأسورين وتعود الينا بالخبر القى تنظر أن كانوا سالمين أو عاطبين فقلت لهم السمع والطاعة وخرجت من بين أيديهم فى الوقت والساعه وسرت فى الطريق وحدى إلى أن نظر تكم خفت على روحى منكم قد لحقنى الوهم وظننت أنكم من العجم فلما خرجت أنت بالابجر وصحت على بصوتك الجهر فعرفتك بكبر جثتك وطول قامتك فقال عنتر أى فى البائل الذين مع كسرى هل هى مقيمة أم تفرقت فى الصحوء فقال والله يا أخى أما القبايل مجتمعه وما تفرقت وهذه قصتى وما أدرى بعد ذلك ما جرى فى غيبتى وأنتم كيف كان خلاصكم من يد قناصكم قال الراوى وبعدها أجمعت للفرسان ثم بعد ذلك ركب بجيبه مازالوا سائرين وفى سيرهم جدين إلى أن صاروا إلى أرض الكوفة ودخلوا برية الحجاز وأخذوا فى المشورة والتدبير فقال عنتر الصواب أننا نرسل النساء مع أخى سيبوب ومعه ثمانية من الفرسان ويأخذ فى عرض البر والقيعان ويسبقنا إلى عند دريد وقيس وأخوة النعمان ويعلمهم أن يكونوا على أهبة القتال والحرب والنزال إذا سمعوا صياحنا تحت أعلا كسرى يحملون حمله واحدة وتكون وقعة الانفصال وقد أنقضت الأشغال فقال الامير هانىء هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم أن عنتر الاسد وثوث سبر الجريم صحبة أخيه شيبوب من الذين لهم الضجة والرنه فركبوا الخيل وطلبوا عسكر العرب وهم يرفقوا فى السير لأجل راحة النسوان والخيل قال الراوى

فهذا ما كان هولاء وأما كان من أمر الملك قيس ودريد ومن معهم من قبائل العرب فإنهم قاتلوا الفرس قتال من كره الحياة لأجل الفرسان الذين أسروا وقد صبروا معهم على الهول العظيم والضر المقيم وما زالوا يقاتلون الفرس والعجم حتى أيقنوا بالويل والعدم وانفصلوا عن القتال وطلبوا الجبال وحضوا الأموال قال الراوى وفى بعض الأيام وصل كسرى النجاب الذى كان أرسله إلى مكة وأعلمه بما تم على السرية من العـــدم فعندها ندم غاية الندى وتأسف على عباد النار وعلى صاحبه ذو الخمار قال فلما أبصره اوزاير على هذا الحال قد لحقة الانزعال قال له يا ملك لاتخف من هذا الأمر والشان فإن الدعاء لايستجاب فى كل الأوقات وربما يكونوا أصحابنا قد صاروا فى وقت مذموم وجرى عليهم هذا الأمر الميشوم ولاسيما أنهم شنوا الغارة على أهل البيت الحرام فجرت عليهم هذه الأحكام لأن منه يظهر المظلل بالغمام الذى يغير الدول والأحكام وينشق له بدر التمام فالصبر لحكم القضاء والقدر لإنك أكثر عددا وأزيد مدد وأن الدنيا مادامت لأحد والصواب أنك تفتح الخزائن وتخلع على مقدمى العساكر وتزيد لهم فى الإحسان لعلهم يفنوا جبابرة العرب بهذا الحال وقد انقضت الأشغال وبلغنا الآمال قال فعندها طاب قلب الملك كسرى بهذا المقال وبات إلى أن أصبح الصباح فعندها أمر بفتح الخزائن وخلع على المقدمين من العجم والفرس وبعدها استعدوا للحرب وفى دون ساعة غبت شمس النهار وركبت أيضا قبائل العرب والتقتها عسكر الفرس بنيات وندم الشجاع على ما فات ودمدمت وعود المنية وانقلبت الروابى والفلوات وعلا صياح العجم بالنور وتقدم كسرى وعلى رأسه الازهار وزعقت عرب بنى طى وتجردت للقتال وأيقنت عرب الحجاز بالويل وقتل الشباب منهم والرجال ولولا دريد بن الصمة والملك قيس والملك الأسود وحماة القبائل ما كان أمسى من العرب فارس وما ولى النهار وأقبل الظلام إلا وقبائل العرب مسخة بالجراح وقد أيقنت بعدم النجاح وكان أكثرهم قد قتلت من تحتهم الخيل وما صدقوا بقدوم الليل وما اقتربوا من ضرب القواصب ودارت بهم الفرس من كل جانب وضيقيت عليهم الطرق والمذاهب هذا وفرسان القبائل الكرام قد دارت حول دريد والملك قيس الهمام يطلبون المشورة والكلام فقال يا بنى الأعمام ما بقى من الموت فكاك فاخفوا انفسكم إلى الصباح ثم بيعوا الأرواح بيع السماح لأن الطريق مسكت والفرس فيكم قد طمعت فموتوا كرام ولا تموتوا لئام قال فلما سمعت العرب ذلك الكلام هان عليهم ضرب كاس الحمام وأما كسرى فإنه أيقن بلوغ الآمال وما زال على مثل ذلك الحال

حتى طلع النهار وأضاء فطلبوا الحرب وقد رضبوا بحلول القضاء وقضوا يوما أشد من الذى مضى وما زالت العرب تدفع عن نفسها وتمانع وتتعلق بأذيال المطامع حتى قتلت خيولها وأيقنت بوبالها وأسرت الفرس من العرب خلق كثير من فرسانها والشجعان وصاح بعضهم يطلب الأمان وقد أبصروا من الموت ألوان ومازالوا على ذلك العيار إلى أن تنصف النهار (قال الراوى) ياسادة ياأخيار صلوا على النبى المختار فبينما هم كذلك وإذا بالصياح قد ارتفع من خلف عساكر الفرس ومالت الاعلام التى كانت على رأس الملك كسرى وقد سمعوا مناديا ينادى من خلفهم أبشروا ياسادات العرب بالفرج بعد الضيق والحرج فقد قتل صاحب الإيوان وحل به الذل والهوان ومضى كأنه ما كان فسبحان الدائم بلا زوال الذى لا يشغله شان عن شان (قال الراوى) فعندها انقلبت عسكر الفرسان على أعقابها وأبصرت الملك كسرى ممددا على التراب وهو فى حالة الويل والعذاب فولت الفرس على أعقابها خوفا من هلاكها وذهبت متفرقة فى القيعان من كل جانب ومكان وبلغت أربابها فرسان العرب وذهب عنها ما كانت تجده من التعب والنصب وطلبت مواكب العجم والفرس والديلم وقد همت أن تسمع الفرج من أين أتى إليها بعد الضيق والحرج فسمعت صوت الأمير عنتر البطل القسور والامير هانىء بن مسعود كريم الآباء والجدود فعندها همهمت الأبطال مثل همهمة الاسود وطعنت فى الفرس طعنا يصدع الحجر الجلمود وقد مالت الاعلام والبنود (قال الراوى) وكان الذى قتل كسرى وجعله على ارض ممدود الامير هانىء بن مسعود ألامير عنتر لما أنفذ شيبوب مع الحريم وسارت الرجال الذين تقدم ذكرهم فطلب عسكر العجم ومقدمتها هانىء وعنتر أبوالهم ولما أشرفوا على عسكر العجم فرأوا الصباح قد انقلب وعسكر الفرس فى قتال العرب ونظروا إلى الملك كسرى وهو واقف تحت الاعلام وحوله موكب كبير من الخاص والعام فقال هانى لاصحابه وحق الملك الجبار لولا وصولنا فى هذه الساعة ما كان بقى من العرب دبار ولا نافخ نار ولكن اطلبوا بنا موكب الملك كسرى أنوشروان واقتلوا جماعته ويطعنه واحد منا يقتله ويجعله على الأرض ممدود وقد تفرقت هذه العسكر والجنود فقالوا هذا هو الصواب أيها الأمير المهاب ثم أنهم ركضوا وقصدوا الرايات والاعلام وطلوا كسرى ملك الاعجام وقتلوا من حجابه والخدام قدر مائة فارس تمام إليه وصلو إليه وصاحوا فيه .

( تم الجزء التاسع والعشرون ويليه الثلاثون )

# ( الجزء الثلاثون )

## من سيرة عنتر بن شداد




( قال الراوى ) وقد طعنه الامير هانىء بن مسعود فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره فانقلب إلى الأرض فلما رأت أصحابه ماجرى عليه من الوبل والنكال صاحوا كلهم وطلبوا القتال ومازالت العرب تطعن فيهم بالرماح حتى رجعت الفرس على أعقابها خاسره ولما مالت الاعلام أنهزمت الاعجام فاتبعتهم فرسان العرب الكرم والفروس تصيح يالنور والنار وبعدها ولت الادبار وتفرقت فى سائر الاقطار وأكثرهم طلبت المدائن والعرب تركض خلفهم إلى أن أمسى المساوقد ملأت العرب من قتلاهم جنبات الأرض والفلا وبعدها عادوا راجعين وهم فرحين مستبشرين وأطلقوا أعنة الجوائب وانفرشوا فى تلك الأرض والسباسب والتفت الحبائب بالحبائب وكان عنتر التقى بالملك

قيس وقد تباشر بالخلاص من أنياب النوائب وكان قد شكى حاله إليه وما لاقاه من الاهوال فقال له عنتر يامالك هكذا الدنيا ماتدوم لبشر ولا تصفو من كدر ثم أنه شرح له مالاقاه من العجائب وكيف قتل الفيل لما ألقى عليه فقد عصر على خرطومته بكفيه وكيف قتلت عبلة أزدشير بن كسرى وكيف أطلق الاسارى الملك قباذ وكيف ضمنوا قتل أبيه وأن ينجزوا أمره غاية الانجاز . فلما سمع الملك قيس والعرب هذا الكلام تعجبوا من تلك الأحكام ثم أنها بعد ذلك عادوا إلى الخيام وكل واحد يحدث صاحبه بما جرى عليه من تقلبات الأيام قال ولما استقروا فى الخيام عندها سأل عنتر عن النساء وعن شيبوب فقال له دريد ابن الصمة ماوصل إلينا منهم أحد فعندها تبدلت أفراح عنتر بالأحزان وقلق غاية القلق من شدة الغيظ الذى لحقه والحنق وقد خاف على عبله ولحقهم عظيم وكذلك كل من كان له حريم فقال دريد يابنى الأعمام من أين فارقتم النسوان فقال عنتر فارقناهم أول مادخلنا بلاد الحجاز وأنفذت مع النساء ولدى ميسرة وأخى مازن وغيرهم من الابطال وقلنا لهم إذا وصلتم إلى الشيخ دريد والملك قيس فعرفوهم بخلاصنا وإذا سمعوا صياحنا عند أعلام كسرى يحملون ويظهرون الجلد ويقاتلون لعلنا نفرق جيوش الأعداء ونفرقهم فى سائر البيدا فلما سمع دريد ذلك الكلام تعجب من تلك الأحكام وقال إذا كان الامر على هذا المرام فعند الصباح نفرق كل فرقة فى طريق فلا نعود إلا بما يغم العدو ويفرح الصديق ولو أن فى خيلنا زمق كنا سرنافى وقتنا هذا وخضنا به تحت ظلام الغسق ولكن أنت تعلم مالقيت من التعب والآلام ثم أنهم أكلوا شيئا من الطعام وطلبوا الراحة للمنام ومازالوا على ذلك الروح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها نادى عنتر بالرجال فركبت الفرسان الخيول الاصال وركضوا فى الروابى والتلال وركبوا الطرق وإذ بشيبوب قد أقبل وهو مثل البرق إذ برق وهو ينادى ياسادات العرب أدركوا حريمكم وبادروا لخلاصهم من النوب فلما سمعت العرب كلام شيبوب تبادروا وفى اوائلهم عنتر الأسد الموثوب فلما قاربوه رأوه مخضب بالدما وقد أشرف من شدة الويل على العما فقال له عنتر ويلك ياشيبوب ما الذى دهاك حتى أنك أتيت مخضب بدماك فقال له اعلم ياابن الأم لما أرسلتنى ومعى النساء وقلت لى بشر قومنا بخلاصنا فسرت مع النساء وأنا خائف لايلتقينا أحد من عساكر الفرس فسرنا يومين وفى اليوم الثالث اعترضنا خمسين فارس وفى أوائلهم فارس أسود وهو ينادى إلى أين ياطناجير الفرس ترجلوا

عن هذه الخيل واخلعوا ما عليكم من اللباس أن يحل بكم الويل فقال لي عامر بن الطفيل تقدم
يا شيبوب لهذا الجاهل وحذره من سطو تنافي ولت إلى العبد المقدم ذكره وقلت له يا فتى نحن من
فرسان بنى طى أصحاب إياس بن قبيصة وكنا في معاونة الملك كسرى فصاح بي صيحة تقلق الحجر
وتعمى البصر ثم طلب الفرسان والنسوان وهو يظن أن الجميع فرسان فاعترضه عروة بن الورد
فاعنه قدار تدبل قلب الزمح إلى وراه وطعنه بعقبة أرداه تتقدم إليه أخوك مازن فانقض عليه
مثل العقاب وحذف الرمح من يده وقبض على مناكبه فرجله عن جواده وأخذ بعده ميسره مثل
النار المسعرة وطلبه عامر بن الطفيل وملاعب الآسنة ووقع بينهم القتال والحرب والنزال فوالله
يابن الأم لقد رأيت له هجمات إذا ابتليت بجبابرة العرب وهو ينادى وقد لحقه الطرب
أنا البلاء المصبوب أنا المسمى بغصوب الأسد الوثوب ثم أنه عاد إلى وراه وخطف الرمح كان
قد أرماه فحدفه في الهواء والتقاه مقلوب وطعن ملاعب الأسنة بعقبه قلبه وصاح بعد ذلك على
أصحابه فترجل أحدهم وشده كتاف وكان عامر بن الطفيل قد هلك من أصحابه خمسة وأنزل بهم
الويل وجرح تسعة حتى صار دماهم يجرى مثل السيل فعاد غصوب إليه وكان قد علم بهلاك
أصحابه فاشتدت عليه مصائبه فانقض عليه أخذه أسير وقاده دليل حقير وعاد باقي أصحابه
نحونا وحدثتهم أنفسهم بالنصر علينا وداروا حولنا فلما رأت النسوان فعالهم وأعمالهم ومن شدة
فزعهم قالوا الامان يا فارس الزمان فلما سمع غصوب أصواتهن علم أنهن نسوه فصاح من فرحته
لأصحابه ورفقته وقال لهم دونكم وهذا السبي المباح وأقول إن الفرسان الذين أسرناهم
قد سبوهم من العجم بعد ما أزلوا بأهاليهم العدم فسوقوا الجميع ولا تدعوا منهم بشر
وأبشروا بالنصر والظفر فعندها داروا بنا من كل جانب ومسكوا علينا الطرق والمذاهب
فلما نظرت أنا إلى هذه النوبه وهى مشكلة قد صارت صعبة فابعدت عنهم فى البر والآكم
وكان الليل قد أظلم وصرت أرميهم بالنبال حتى قتلت خمسة من الرجال فلما نظر
غصوب إلى فعالى فهالته أعمالى فعندها نزل من على ظهر الجواد وقد رمى عنه الحديد والزرد
النضيد وأخذ قوس وكنانة من بعض العبيد وجد فى طلبي أشد من الجواد العربي وصار
يرمينى بالنبال حتى جرحنى وأشرفت منه على الهلاك وسوء الارتباك وما زلت أعدو قدامه
حتى اختفت منه فى الفلوات وقد أتيت لكم على هذه الحالات فدعوا عنكم الاطاله
واطلبوا خلاص الحريم وأبصروا كيف تلاقوا هذا الغريم فلما سمعت الأبطال هذا المقال
خافت على العيال وتعجبوا من هذا العبد الذى فعل هذه الفعال فقال عنتر ويلك يا شيبوب
عد بنا على الاثر إلى البر الاقفر ودلنا على هذا العبد الولد الزنا المسمى بغصوب حتى أجعل دمه

على الأرض مسكوب فقال هانىء يا أبا الفوارس أتنقض العهد الذى بيننا وبين الملك قباز وهذا أقبح ما يكون بين العباد يوم البراز وتسير بهذا الجحافل خلف عبد من عبيد اليمن الاراذل ولا نوفى قباز بن الملك بما قلنا من المقال فقال عنتر ما الذى نعمل ياسيد الأبطال فقال هانىء أنت تعلم يا أبا الفوارس أن قباز ابن الملك أطلق سراحنا ومن علينا بأرواحنا ورد علينا نساءنا وسيوفنا حتى أننا نعيده إلى مكان أبيه ونعينه على الملك الذى هو فيه ونقيم أركان دولته ونرد العرب والعجم إلى طاعته وهذا أبوه قد قتلناه وعساكره قد كسرناها والصواب أننا نتبع آثار المنهزمين إلى أرض العراق ونرد إلى طاعته أهل الآفاق ونبصر ماقد جرى للملك قباز من الفرس وأهل خراسان ولا نزال حتى تطيعه الأبطال وتسجد لها ملوكها قدام الإيوان ونرد ملك العرب إلى الاسود أخى النعمان ونرجع إلى ديارنا ونكون قد وفينا بالعهود والايمان ولا نعابر بفسخ الذمام بين العربان فلما سمع عنتر هذا المقال لحقته الحيرة وقال له يا هانىء أو تخلى حريمنا فى يد الأعداء ويفرقوهن فى بلاد اليمن ويبيعوهن بيع الاماء والخدام ومن الذى يجمعهن بعدها من الحلل وهذا شىء لا أفعله أبدا ولو سقيت كاس الردى ولا أترك عبلة مع هؤلاء القوم اللئام ولو عيرت طول الدهر بفسخ الذمام ولا سيما أخى مازن وولده ميسرة وعروة فى الاسر الشديد ولولم يكن هذا العبد عنيد ما أسر هؤلاء الصناديد والصواب أنكم كلكم تسيرون خلف عساكر العراق واطلبوا الملك قباز وملكوه سائر الآفاق ودعونى أنا وأصحابى نتبع هذا العبد ابن الأشرار ونزل به الدمار ثم إن الأمير عنترة الفرسان أخذ مائة فارس من بنى عبس وعدنان ومعه طائفة من رجال النسوان وطائفة من بنى عامر الشجعان وعادبهم شيبوب على الاثر وجوافى البر الاقفر وساروا فى ذلك اليوم والفرسان تغير الجنائب وتقطع البر والسباسب وتخب خب الفرحان الهارب ثم أنهم بعد ذلك طلبوا من شيبوب الراحة فما فعل بل قال لهم أسرعوا بلا مهل واعلموا أن الفرسان الذين نحن فى طلبهم على الخيل الجياد وكذلك أعداؤنا فرسان شداد ثم أنهم ساروا تلك الليلة وثانى يوم إلى وقت الغروب فاشرفوا على القوم الذين مع غصوب فعندها قال رجل من أصحاب غصوب قد جاءنا والله يا بنى العم الخيل وهى تتدفق مثل السيل لأنهم فى خلق كثير وجمع غزير وما خوفنا إلا من عدم التوفيق فقال غصوب لا تفزعوا يا بنى الاعمام واتركوا عنكم هذا الكلام وأبشروا ببلوغ المرام وأرموا من أيديكم الرماح واعتمدوا على ضرب الصفاح التى هى أعجل لقبض الأرواح ثم أنهم تاهبوا للقتال واعتدوا للحرب والنزال فحملت عليهم بنو عبس الأبطال واشتدت الأهوال وجاء الجد والاطاءوا بالصوارم الرقاق حتى أيقنت الاواح بالفراق وقام الحرب بينهم على قدم وساق وارخى الدجى

أذياله على الآفاق واجتمع البر فى أعينهم وضاق والتقى غصوب بعنتر وتقاتلا قتالا منكرا وكانت الفرسان وأصحاب عنترة الزمان قد اشتغلوا بخلاص الاسارى من الاعتقال فخلصوهم وقتلوا الرجال الذين كانوا موكلين بهم قال ولما انقضت هذه الأشغال وعادت الأبطال وجدوا غصوبا فى قتال الأسد الغضنفر وهم يجاهدون مع بعضهم بالصارم الذكر وقد أيقنوا بالموت الأحمر فعندها حمل كلهم على غصوب ومالوا إليه ميل السيل المسكوب فلما رأى غصوب هذا الفعل المنكر زعق فى جواده وأبعد عنهم فى البر الاقفر وما أحد عرف له مستقر ولما رأى الأمير عنتر ذلك خاف على غصوب من حلول المهالك وقد لحقه عليه الاشفاق واحترق عليه قلبه غاية الاحتراق بما رأى من فروسيته وشجاعته وأنه مر المذاق ورآه خبير بالحرب وأبواب الطعن والضرب لحنت عليه جوانحه وقال والله إن هذا الغلام لا يستحق القتل ولا الإعدام لأنه غريب وحيد قليل الناصر والمعين كريم كرام قال الراوى ثم أن الفرسان التى من بنى عبس وعدنان قد طلبوا غصوبا بالرماح ولجوا خلفه فى البطاح فلما رأى الأمير عنتر إلى تلك الأحوال قال فى نفسه الصواب أن أبادره قبل الهلاك ووقوعه فى الارتباك وضيق الاشراك وآخذه أسيرا وأقوده ذليلا حقيرا وأسأله عن حاله فان كان يستحق الاطلاق أطلقته والا شميت قلوب أصحابى منه وقتلته ثم أن عنتر ركض بالجواد تحت حندس الظلام فرأى عساكره قد تفرقت فى سائر الاكام وركب كل فريق منهم طريقا لنيل المرام وخافوا الجميع أن يحل بهم شىء من التعويق ويعدمون السعادة والتوفيق قال فزاد تعجب عنتر ووقف حتى يسأل عن الخبر قال الراوى لهذا القول المرتب بعد الصلاة والسلام على سيد العجم والعرب وكان السبب فى تفريق هذا الجيش وما أحل به من الكروب من كل جانب وقد أيقن فى نفسه بحلول المصاعب وعاين الفرسان الأوقاع وقد دارت به باطراف الرماح فقاتل عن نفسه ومانع حتى أنه أثخن بالجراح بعد ذلك حمل وصاح فى الجواد وهو سابق فنجى به تحت الظلام الغاسق وكان الهرب له موافق لأجل نجاته من بين تلك الخلايق وذلك باذن القادر الخالق رب المغارب والمشارق لما كان له من العمر المديد حتى يفعل فعال الرجال الصناديد تلك الفعال وفاز بالسلامة وبلوغ الآمال فطلبت أثره فى ذلك الليل وركضت خلفه الرجال بالخيل وقد تفرقت سبعة فرق كل فرقة على طريق وقد وعدموا السعادة والتوفيق فعندها قابلهم عنتر فى الطريق وسألهم فاخبروه بما

جرى لهم فعاد عنتر البطل المرهوب نحو أخيه الهمام شيبوب وبقى على معرفة غصوب مكروب وكان قلقة لأمر لا يعلم باطنه إلا علام الغيوب فلما وصل إلى عبلة هنأها بالسلامة ونيل المنى والنصر على الأعداء كذلك فعل فى حق المتجردة ومن كان معها من النساء وبعدها قال شيبوب لأخيه عنتر ياأخى ما كان منك ومن خصمك غصوب أقتله أم أسرته فقال عنتر والله ياأخى ماقدرت عليه ولا وصلت إليه باذيه بل رأيت منه فروسيه وشجاعه وحمية ومارأيت مثلة ولا عاينت شكله ومازلت معه فى القتال حتى كثرت عليه الأبطال وأبصر عين الهلاك فاطلق عنان جواده ونجا وطلب عرض البر والفلا ولما رأت الفرسان فعاله قوالهم أعماله فطلبته تحت أذيال الغسق وتفرقوا خلفه فى الطرق أنا فؤادى عليه قد احترق وقلبى عليه قد انقلب وزال منه الحرد والغضب لأنى رأيته وحيداً فريداً قليل الناصر والمعين وهو قد طلب الفلا وبدل نفسه لاطراف القنا فرحمته وقصرت عن طلبه ولو كنت قدرت عليه كنت منعت الخيل عن آذيته وعطبة وأنا والله لو رأيته مره أخرى لرددت عنه جميع الورى قال الراوى ثم أن عنتر وأخاه شيبوبا بقيا على هذا الحال وهما فى قيل وقال حتى تقتضى أكثر الليل وعادت الخيل وتتابعت مثل السيل فعندها سألهم عنتر عن غصوب وما جرى لهم من الأمر المرهوب فمنهم من قال أنه لاقدر عليه ولا وصل إليه ولا وقع له على خبر ولا جلية أثر فسر عنتر لذلك واستبشر وقال والله إن سلامة هذا الغلام من العطب لهى من أعجب العجب على أن أجل العبد إذا كان حاضرا عميت عنه جميع البصاير فقال عامر بن الطفيل وذمة العرب لقد صدقت ياأبا الفوارس وزين المجالس ولكن كانت تلفت نفسه مع مهجته رما كان ملك نفسه إلى ظهر الجواد وخف عن كل واحد منهم مايجده من التعب واستراح وبعدها رحلوا يطلبون البيت الحرام وهم يتحدثون فى أمر فى أمر هذا الغلام قال الراوى فهذا ماجرى لهؤلاء من الكلام وأما ما كان من قبايل العرب الكرام فانهم صاروا طالبين أرض العراق بعد قتل كسرى ملك الافاق وتشتتت عساكره وتفريق أجناده ودساكره ولما قاربت المداين قسمها الشيخ دريد قسمين جعلهم مواكب وكتايب ورفعت الاعلام على رؤس ملوك الأعارب ثم علا صياحهم وانعقد واشتهوا أن يعلموا ما جرى على الملك قباز هل اطاعته عسكر أبيه عند عودتها أم لاقهم على مثل ذلك أن عساكر خراسان لما عادت إلى المداين منكسرة وهى فى أمورها متحيرة واختلفت رأيهم فى المشورة والكلام فعندها قال اياس بن قبيصة العرب الذين هم من

بنى طى دونكم وقباز حتى نحاصره فى القصر نقتله ونعجل من الدنيا مرتحله ونسلم الملك إلى أخيه أنوشروان لأنه هو الذى خامر علينا وأوصل الأذية إلينا وعمل على قتل أبيه وسلط علينا شياطين الحجاز والمقاوز ثم أنه زحف إلى القصر بعرب اليمن وساعدتهم على ذلك طوائف الديلم وأما الأكابر من العجم فما أحد منهم تقدم وهم يقولون هذه المملكة لا تصلح إلا للملك قباز لأجل مايعرفونه من حسن اليقين والسداد ووقع بينهم القتال واتصل الحرب والنزال وأبصر الملك قباز ذلك الأمر والشأن فقبض على أخيه أنوشروان وغلق أبواب الإيوان وبقى القتال يعمل فى البلد يوما وليلة بين بنى طى وبين عساكر خرسان وفى اليوم الثالث أشرفت قبائل العرب وهى فرق وسرب كما رتبها دريد ولما نظرهم قباز وهو فى أعلى القصر فعلم أنهم أتوا لنصرته فعندها زادت مسرته وكملت فرحته فدقت كؤساته ونعرت بوقاته وركب من وقته وساعته فى حجابه وأرباب دولته وأكابر مملكته وخرج من باب السر إلى العرب وقد زال عنهم الهم والكرب فلما دنا منهم عرفوه فتقدمت المواكب وترجلت إليه سادات الأعارب وصلوا عليه بعد أن سألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وأعلموه أن بنى طى والديلم قد مرقوا من تحت طاعته فوعده بالنصر والظفر والسرور وقدم له الملك الأسود أخو النعمان فرس أبيه كسرى وكان يسمى سندبازه وكنا قدمنا ذكره وأخبرنا أنه يساوى خراج الأهواز وكان الأمير هانىء قد أخذه يوم قتل كسرى فقدمه الأسود ذلك اليوم للملك قباز وقد بلغ السؤال والمراد ونشر على رأسه العلم وطلب بنى طى والديلم وكانت طوائف العجم قد خاضت العجاج فنادى الأمان الأمان كذلك فعلت سائر العربان ورمت الديالم العدد وطلبت النجاة فى البر وبعد ذلك تقدمت المشايخ منهم والسادات قدام الملك قباز وقبلوا تحت طاعته وأجاب دعوته وماعاد الملك قباز إلى القصر إلا وفرسان العرب كلنا بين يديه ماشيين على الأقدام والأمير هانىء بن مسعود والملك الأسود ماسكين ركابه وجميع أمراء العرب دائرة حوله مثل الأمير عمرو بن معد يكرب الزبيدى وحجاز بن عامر وكان الملك قد أرسل لهم الطعام والمدام ولما أكلوا واكتفوا من ذلك الإكرام طلبوا الراحة للمنام (قال الراوى) لهذا ايضاح وعند الصباح نادى الملك قباز برفع المظالم عن الخاص والعام وفرق الأموال والخلع والنوال وعم الناس بالنعم والنوال وخلع على مقدمى العرب وقضى حقوق أصحاب المنازل والرتب وماأقاموا أكثر من ثلاثة أيام حتى طلبوا

العودة إلى البيت الحرام بعدما حدثوا الملك قباز بحديث عنتر فارس الحجاز بعدها طلبوا منه الاذن بالرحيل فأذن لهم بعد ما حلفهم أن يكونوا لدولته أنصارا وأعوانا فقالوا يا ملك الزمان نحن على ذلك طائعين مادام إخوة النعمان علتنا مقدمين ما كمن متى عزا م لا تطمع منا بطاعة فعندها رضى الملك قباز بذلك الشان ورد الملك الأسود إلى مكان أخية النعمان وقلده الولاية على سائر العربان (قال الراوى) لهذا الديوان بعد ذلك رحل الشيخ دريد والأمير هانى. وسائر قبائل العربان الكرام طالبين البيت الحرام وساروا يقطعون الروابى والآكام وكان شهر رجب قد اقترب وهو الذى كانت تحج العرب الكرام ومازالوا سائرين بعزم واهتمام إلى أن أشرفوا على البيت الحرام (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا يا حاضرين على سيدنا محمد المظلل بالغمام وكان الأمير عنتر البطل الهمام قد وصل قبلهم بأيام والتق الجميع من بر الشعاب وحدث بعضهم بعضا بما جرى لهم من الأمور والأسباب ثم نزلوا على المناهل والغدران وقد عولوا على المقام إلى أن يرتحل الشهر الحرام قال الراوى كانت هذه الأيام يقطعونها بشرب المدام ومعاشرة القوم الكرام ويطوفون حول البيت الحرام ويقرون القصائد المعلقة على الاركان إذا سمعوا ما فيها من الفصاحة والبيان أومؤا لها بالسجود ونحن نوحد الملك المعبود كان الأمير عنتر يفعل ذلك مع القوم ويعود نفسه تحدث بأمور لا يصل إليها إلا من نظرت له كواكب السعود لانه يشتهى أن يلحق بأرباب الفصاحة والمنازل العلية قال الراوى إلى أن كان يوم من بعض الايام عمل الملك قيس دعوة عظيمة لها قدر وقيمة نحر فيها الاغنام والنوق والجمال قال الراوى فلما نظر الربيع إلى فعله عمل مثله وجمع فيها سادات الأعراب وجمع بنى عبس الذئاب الطلس وأكثر بين أيديهم الطعام وسقاهم المدام وعمل أيضا عروة دعوة للصعاليك ساواهم أصحاب المنازل وأباب الخدم والماليك لهذا كانت العرب تسمية عروة الصعاليك كان فارسا شجاعا وقرم مناعا لم يكن فى أصحاب عنتر بن شداد أكثر منه مروءة ووداد انتهبوا ذلك اليوم اللذات اغتنموا أوقات المسرات قال لما كان اليوم الثالث عمل الربيع عوة ثانية لاصحابه وخواصه وأصدقائه كان عروة بن الورد قد تخلف عن دعوة الملك قيس لأجل اشتغاله بالصعاليك أراد الربيع أن يغيظ الملك وعنتر فدعا بعروة

وأجلسه إلى جانبه من جملة إخوته وأقاربه وأكل معهم الطعام وبعده أسقاهم المدام هذا وقد دارت الكاسات والطاسات فى أيدى الغوانى المطربات وماز الوا فى الذات والمسرات إلى أن تنصف النهار هذا وبنى عبس قيام وقعود يتناهبون كاسات المدام وأوقات السعود إلى أن أتى ذكر عنتر فى خاطر عروة فاستوحش له وذكر فروسيته وشجاعته وكانوا فى أطيب وقت وألذ عيش والخمر تنقل إليهم مروقة فعند ذلك أنشد عروة شيئاً من شعر عنتر وابتدأ بذكر ما رأى منه وما أبصر من قتال الفرس وغيرهم من العبر وما زال على مثل ذلك الحال حتى اغتاظ عمارة من ذلك المقال وأخذه الحزن وفى جسده ذاب وقد لحقه الهم والارتياب ولكنه من شدة حيائه من نداه أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وقال والله يا سادات العرب ما ذكروا عنتر ابن عمنا إلا ببعض الذى هو فيه لأنه حامى قبيلة عبس وفتاها وليثها إذا اشتد هياجها ولكن وحق ذمة العرب ما بلغ منتهى الشرف والفخار بين الأنام إلا أصحاب القصائد المعلقة على البيت الحرام ومن جملة سماداتهم مشينا لهم وسجودنا لقصائدهم وهذه درجة لو نالها عنتر لزال عنه اسم العبودية وافتخر على سائر البرية ويكون له الحظ الأوفر والذكر الأكبر ويقولوا عبيد بنى عبس أفضل من موالى غيرهم فى الفروسية والشجاعة ولما انتهى عمارة من كلامه اغتاظ عروة وأخذه الترح وقال يا عمارة إن الذى ذكرته أهون عليه من سل حسامه وهو فى غاية مرامه ولو أراد اليوم لنفسه أطاعته العرب له ولأتت إليه من كل بر وسبسب ثم أن عروة بن الورد زاد فى مدح عنتر فعندها زاد بالربيع الحنق وتمنى أنه لم يكن وقال بالله عليك يا أبا الأبيض لاتؤاخذ صديقك عمارة فيما قال من ذلك المقال ولا تلتفت اليه ولا تذكر لابن عمنا عنتر ذلك إذا اجتمعت عليه واترك عنا هذا الحديث وحدثنا عن أعمال ابن عمنا لأنه عندنا اليوم فى منزلة الملك قيس ثم أن الربيع التفت إلى أخيه عمارة وسبه ولعنه وقال له ويلك يا مذلول النسال ومصفوع القول مثلك من يذكر بن عمنا عنتر أبا الهامات فى مجالس السادات وحق ذمة العرب لو هم بهذه المنزلة لوصل إليها وكان أقدر من كل أحد عليها ونحن نساعده على ذلك ولو كانت تطير رؤسنا بين يديه ولا نمن بذلك عليه قال الراوى وكان هذا الكلام تحريضا من الربيع إلى عروة حتى يحدث عنتر بما سمع من قصته ويحثه على تعليق شىء من بعض شعره حتى تضرب رقبته قال وإما سمع الحضار كلام الربيع لعمارة مالوا كلهم بالملامة والملام فوالله ما الرجل عندى اليوم إلا مثل بعض إخوتى وما قلت هذه المقال إلا أنه يصل إلى درجة الكمال ويقال عنا أن حاميتنا قد ذلت العرب لسيفه وسجدت لشعره ويصير لبنى

عبس بهذا شرفا يفتخروا به طول الأبد ما قام قائم وقد قالو الراوى وكان هذا الكلام يتحدث به عمارة وقد حفظه عروة وقال وحق ذمة العرب الكرام وزمزم والمقام لأحوجن عنتر يعلق بعض أشعاره على البيت الحرام ويترك سائر القبائل تسجد لشعره فى كل عام ثم أنه أنام عند بنى زياد حتى انفضت وليمتهم وعاد من شدة غيظه قصد أبيات عنتر بن شداد ودخل عليه من غير استئذان فوجد عبلة جالسة إلى جانبه وهو يقول لها وتلك يا بنت العم إن لى أيام ما سمعت لعروه خبر ولا جلية أثر والناس كلهم قد عادوا من الولائم وهو ماعاد وقلبى قد اشتغل عليه من أجل ذلك الإبعاد فقالت عبلة والله يا ابن العم مالى به علم وما ظننت به إلا أنه عندكم فى دعوة الملك قيس وإن كان قد تخلف عن الدعوة فما هو إلا لشيء قد أعاقه عن ذلك المراد ويكون فى دعوة بنى زياد قال الراوى فبينما هم كذلك وإذا بعروة قد رفع سجاف القبة ودخل وسلم على عنتر فاستوحش له وسأله عن حاله وقال له أين كنت فى هذه الغيبة يا أبا الأبيض فقال له كنت فى دعوة بنى زياد ياليتنى لم أحضر فقال له عنتر ولم ذلك هل جرى عليك أمر من الأمور مما يضيق الصدور فقال له يا أبا الفوارس نعم ثم أنه حدثه بما جرى من العناد بينه بين عمارة الفواد وأخبروا بجلية الأمر والحال فلما سمع عنتر هذا المقال نال قلبه أعظم منال وقال لعن الله عمارة وأذل سباله ومن المصائب لاأقاله لمثلى يقول هذا المقال وأنا وحق الملك المتعال أنا كنت معول على ذلك قبل أن يذكره وسوف تنظر أمره وخبره وما كنت منتظرا إلا اجتماع العرب من أقطار البر والسبسب فى هذا الموسم تسجد لشعرى والقصيدة وتعفر من أجلها خدودها على الصعيد وهذا أمر قد اقترب وقد وصلت من بعد قبائل العرب وما بقى لى حجة أحتج بها عن هذا السبب فقالت عبلة يا ابن العم إن كان الملك قيس يخالفك فى هذا الأمر وينهاك عنه خالفه وافعل ما يليق وقل له أنا ما أريد معين ولا ناصر إلا ان يكون هذا الحسام الصقيل الباتر وأنا وحق من خلق السموات وعلاها وبسط الأرض ودحاها أنت من اليوم على حرام ولا رجعت ضاجعتك فى منام ولا مسكت بيدى كاس مدام حتى يتم لى هذا المرام وأعلق لى قصيدة على البيت الحرام واترك القصائد التى على البيت الحرام تصير سبعة تمام وأترك العرب يسجدوا لشعرى كلما زارا ذلك المكان فى كل عام ثم أنه أنفذ خلف أسيد عم الملك قيس يكتب أشعار عنتر ويرويها عنه إن غاب أو حضر فلما أنفذ خلفه أتى إليه فلما دخل سلم عليه فقال له عنتر واستقبله بأحسن استقبال وجلس بين يديه كأنه من

بعض الأطفال فقال له أسيد خيرياأباالفوارس كفاك الله شر كل عدو وخالس ما الذى أردت به من حضورى بالبارحة كنت نديمى فى سرورى فقال عنتر يا ملك أريد منك أن تحضر لى جميع شعرى الذى سمعته منى وتقرأه كما كتبته عنى فقال له أسيد ولماذا يا أباالفوارس هل ناظرك أحد فى الفصاحة والبيان بما يحير الاذهان فقال عنتر والله يامولاى لكن جرى بين عروة صديقى وبين عمارة بن زياد ما هو كذا وكذا فى حضرة السادات الاجواد ثم أنه عاد عليه القصة التى جرت من أولها إلى آخرها وشرح له باطنها وظاهرها ثم أن عنتر البطل الهمام قال لاسيد وأنا لابد لى من الاهتمام وأعلق بعض قصائدى على البيت الحرام وأترك العرب عند قدومها فى الموسم يسجدون لها فى كل عام ولا بد لى من فعل هذا الامر فى هذه الايام ويكون فى موسم هذا العام الوارد وأعلق بعض قصايدى مع القصايد فقال أسيد والله يا أبا الفوارس ما هذا الا امر عظيم وخطب جسيم وقد عولت أنك تدع العرب لا يتركوا منار ضيع ولا فطيم وأقول أن هذا شىء ما تصل يدك إليه ولا تطيعك العرب عليه بل أنك تثير الفتنة بين قبايل العرب وتهلك نفسك بهذا السبب لأن هذا الامر لا يبلغه الا من كان مافوق نسبه نسب والرأى عندى أنك ترجع عن هذا الطلب ولا تتعب خاطرك وتتعبنا معك غاية التعب وتتركنا مثلا بين قبايل العرب قال الراوى فلما سمع عنتر البطل الهمام من أسيد ذلك الكلام أطراق رأسه إلى الأرض يتفكر وقد لحقه الهيام فى ذلك الامر العظيم الذى خطر بباله واستحى من أسيد أن يرد له كلامه ومقاله فعندها صاحت عليه عبلة من خلف الستارة وقالت ويلك يا أسود الجلد ووضيع الاب والجد ما بالك تطيل فكرك وأنت متحير فى أمرك أتريد أن ترجع عن الذى عزمت عليه من أمرك وأنى من اليوم عليك حرام بعد أن حلفت أنك لا تصاجعنى فى منام ولا تشرب بيدك كاس مدام ما لم تعلق لك قصيدة على البيت الحرام وأنا شاهدة عليك ولا أرجع الصق جسمى الابيض بجسمك الأسود حتى أرى بعينى العرب تسجد لشعرك وتعفر خدودها لسيفك فعندها شال عنتر رأسه وهو يقلب القمر وقد صارت عيناه مثل لظى الجمر وقال لها يا بنت مالك وحياة ما أنظره من جمالك ما أنا متفكر إلا فى قبايل العرب وما يحل بها من سيفى حتى تسجد لشعرى قال الراوى ثم أنه التفت إلى أسيد وقال له يا مولاى لا تعذلنى عن شىء ما يفيد العذل فيه لان لأن هذا الخاطر قد خطر لى من زمان فقال أسيد أن كان لا بد أن تبدى فى هذا الأمر فما أحد يمنعك فنحن كلنا نتبع رأيك ونطيع مقالك ونبذل نفوسنا بين يديك حتى أنك تبلغ مرادك وتنال آمالك وإذا كان الأمر كذلك وقد هانت المنية عليك

فنحن يابن العم مانبخل بادواحنا عليك قال الراوى ثم أن أسيدا فى ساعة الحال أنفذ واحد مما كان قبعه من الرجال فاتاه بصندوق كبير ملان أوراق متفرقة من جملتها دفتر وكان أسيد يكتب فيه أشعار عنتر فاخرجهم أسيد وعرضهم عليه وجعلهم تين يديه وقال ياأبا الفوارس أخبرنى أى قصيدة تريد أن تعلقها أعلق بها حتى أكتبها كما تختار محققها فقال عنتر والله يامولاى لا أدرى من هذا الأمر مايفيد ولكن شاور فى هذا بنت عمى وتكتب من القصايد ماتريد فعندها صار أسيد ينشدها الأشعار واحدة بعد واحدة إلى أن وصل إلى القصيده التى أولها هذه الأبيات .

هل غادر الشعراء من متردم ۝ أم هل عرفت الدار بعد توهم
يادار عبلة بالجواء تكلمى ۝ فعمى صباحا دار عبلة واسلمى

قال فلما سمعت عبلة هذه القصيدة وفصاحتها ورأت ذكرها فيها أكثر من غيرها فاختارتها قالت هاهى هذه القصيدة التى أريدها تكون معلقة ولا تكون مكتوبة إلا سطر بالفضة وسطر بالذهب وهى بالمسك والزعفران مخلقه فقال لها عنتر السمع والطاعة ثم أنه شرع فى هذا الأمر فى الوقت والساعة ثم أنه أمر عروة أن يكتبها بما تريد عبلة ويزول عنهم ماقد اعتراهم من تلك الدبلة لان عروة كان كتب ما فى العرب بجل مفضه والذهب وقد كتبها سطرا بالفضة وسطرا بالذهب ثم أنه لفها فى ثوب ديباج معلم وقام عنتر اجتماع العرب فى أيام والموسم وهو شهر رجب قال الراوى وساع الخبر فى بنى عبس نخافت قت من أهل وفزعت من وقوع الخاوف والفتن وكان أسيد عاد إلى أين أخيه الملك قيس وأعلمه بالخبر وأوقفه على ماقد عزم عليه فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقال والله لابد لى أن أرده عن هذا الأمر الذى يوجب الضرر فقال أسيد والله يابن أخى مابق عنتر يرتد عن الذى عزم عليه من ذلك فان تم له هذا كان شرفه عائدا الينا على كل حال قال الراوى فعندها علم دريد بن الصمة بذلك الخبر فتعجب من جسارة قلب عنتر ثم أنه اجتمع فى عاجل الحال وشد عزمه وقال له لاتسمع كلام الحساد والاعداء فانا وكل من يطيعنى من القبايل نبذل المجهود بين يديك ولا تمن بهذه الخدعة عليك قال كذلك الامير هانى بن مسعود وعامر بن الطفيل وقد أقبلت قبائل العرب تطلب مكة من كل قفر وسبسب وهم يهرعون من سائر الجنبات حتى امتلأت بهم الشعاب والربوات من كثرة الملوك والفرسان والسادات وضجت البقاع من سائر الفلوات

قال الراوى ولما احتكم وقت الموسم ودنا وأخذوا فى الاجتهاد إلى زيارة تلك المواقف الشريفة والتمتع بزمزم والمقام والمشاعر العظام وتقدمت مشايخ مكة والبيت الحرام ومسحوا وجوه الاوثان والاصنام وألبسوها حلل الديباج من ساير الالوان ويزعموا أنهم يتقربون بذلك إلى الملك الديان واجتمع عنتر بدريد البطل وشاوره فيما يفعل وما الذى يعمله من العمل فقال له يا أبا الفوارس ما بقى فى الامور والعمل إلا أننا نركب عند الصباح ونقصد إلى دكة القضا ونعيد على الشيخ عبد المطلب قصتنا ونسأله أن يكون فى معونتنا لانه كما تعلم صاحب الاحكام والمتولى على البيت الحرام وزمزم والمقام قال فاستصوب الامير عنتر رأى دريد البطل الهمام فيما ذكره له من الكلام ولما كان عند الصباح ركبوا الاثنين وساروا الابطال الكرام مثل هانىء ابن مسعود وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل وزيد الخيل وعمرو بن معديكرب الزبيدى ومازن أخو عنتر وولده ميسرة ودثار بن ورق وخفاف ندبة والعاس بن مرداس البطل الهمام ومن له من بنى عمام ومجيد بن مالك وبهيج بن حازم وعوف بن ماجد وجبل بن عمام وركب أيضا مالك بن فراد وأخوه مزنة الجواد ومقدمهم الامير شداد أبو عنتر البطل الجواد ركبت ساير الابطال المعروفين وقد لبسوا الدروع الثقال واحتفلوا احتفال من يريد الاهوال فلما وصلوا موضع الاحكام وجدوا الشيخ عبد المطلب جالس ما بين زمزم والمقام فلما رآهم فى ذلك الجمع والاهتمام أبدى الضحك والابتسام وقد لمعت على وجهه أنوار سيدنا محمد المظلل بالغمام عليه أفضل الصلاة والسلام قال لهم ياوجوه العرب الكرام ما بالكم لبستم آلة الحرب والصدام فقال دريد أيها السيد الامجد والهمام الممجد المجد الذى نعلمك به أن ذلك الامر قد تجدد وخبر قد ورد ونريد منك المعونة عليه حتى تصل أيدينا إليه لانه شرف عايد على بنى عدنان على ممر الدهور والازمان فقال له الشيخ عبد المطلب وما هو يا أبا النظر أبديه ولا تخفيه اكشف لى باطنه ومعانيه حتى إننى اجتهد معكم واعاونكم على ما يأتى فيه فقال دريد أعلم يامولاى أن شجاع بنى عبس الادهم قد عول أن يقرن بفصاحته العرب ويبلغ بذلك أن يبقى له ذكر يذكر فى كل عام فلما سمع الشيخ عبد المطلب هذا المقال أظهر العجب عليه هذا الحال قال والله ياوجوه العرب ما هذا الامر الاصعب بعبد المطلب والذى يطلبه ويكون على خطر شديد تثور الفتن بين الغريب والقريب والبعيد وتتغير ما استسنته القدما وتسفك لاجله الدما وتثور الفتن بين أهل الحجاز

وأهل اليمن والذى أراه من الرأى الصواب أن تركه خير من الجد فيه لانه يجلب البلاء الطائلتين بمعانيه فقال عنتر والله يامولاى مابقى إلى تركه سبيل ولا عن فعله محيد ولا بد لى أن أجد فيه حتى أنال الارب الجزيل وأحظى بالمكان النبيل وأما أن أصبح على الثرى مجندل مقتل وما أريد منك يامولاى م الامر والشان الا أن تامر عبيدك ينادوا فى الحلل والقبايل والعشاير من كل جانب ومكان قبل أن يتفرقوا ويطلبوا الاوطان أن يعلموهم بهذا الامر والشان ويامروهم بالاجتماع من سائر البقاع ليسمعوا فصاحة مقالى وكلامى ومن عصى على منهم وطلب عنادى وأرامى فانا أرده إلى طاعتى بسنان رمحى وشدة حسامى حتى أنا بذلك مقصدى ومرامى فقال له الشيخ عبد المطلب إذا كان الامر كذلك والمنية قد هانت عليك وبتت نصب عينيك فانا أعاونك على ماتريد من المراد وأجتهد معك حق الاجتهاد لاجل ما بيننا من النسب وقربنا من الحسب ولكن الرأى عندى أن تصبر يافارس الانام حتى تمضى هذه الايام التى بقيت من الشهر الحرام حتى لا أصير سنة رديئة بين الانام وتترك العرب علينا كلام قال فعند ذلك قبل عنتر كلامه وأطاعة على مرمه وقد هانت عليه النوائب وعاد وهو متفكر فى هذه المصائب ولما قضت العرب الحج إلى بيت الله الحرام وباتت معولة على الارتحال فى البر والاكام فعندها أمر الشيخ عبد المطلب عبيده فنادت فى سائر القبايل وأمروهم بالمقام وحط المحامل وقالوا لايبقى أحد منكم من أبطال القبائل والاشراف إلا ويحضر غدا إلى دكة القضاء عند سيد الحرم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف لانه يريد يسمعكم قصيدة قد سمح بها الزمان ونطق سيد من سادات عدنان وقد عول أن يعلقها على الركن اليمانى حتى يسجد لها منكم كل قاص ودانى فلما سمعت فرسان العرب هذا المقال أقامت بعد ان عولت على الارتحال ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ونهض إلى سيدنا محمد زين الملاح ركب عنتر وأخوه مازن وولده ميسرة والامير هانى بن مسعود وشيخ العرب دريد بن الصمة والملك قيس بن زهير وركبت أبطال بنى عبس وعدنان وبكيت بنو غطفان وبقوا الجميع جحفل واحد مثل الجبل الحديد وعنتر بن شداد بين أيديهم مثل البرج المشيد ثم انهم قصدوا إلى دكة القضاء الذى كان يجلس عليها السيد عبد المطلب ونظر بين العربان وهو جالس مثل القمر وداروا حواليه ونزل عنتر وقبل يديه وجلس عنده وقد ترك سيفه على ركبته ونزلت السادات قال ولم يكن إلا ساعة من ساعات الزمر حتى أقبلت الناس وقدمت ملوكها من كل جانب ومكان مثل الملك حنظلة وأخيه ملجم والملك عبد

المدان وأخيه الملقب بعقاب الفرسان وعمرو بن كلثوم الثعلى وزهير بن أبي سلمة وطرفة ابن العبد وعمرو بن لبيد العامرى والحارث اليشكرى وامرىء القيس بن حجر الكندى وغيرهم من أصحاب القصائد المعلقة ومن معهم من الفرسان وأقبلت بعض حماة القبائل والشجعان المعودون لقاء الشدايد والاهوال (قال الراوى) فلما ازدحمت الابطال حول دكة القضاء وضاق بهم وسيع الفضا وثب الشيخ عبد المطلب قائما على قدميه وطلع إلى أعلى العرنوش وهو الذى يسمونه فى هذا الزمان المنبر وأشار بالكلام معلنا إلى من حواليه وقد استطلع بصوته الجهير وقال الحمد لله الذى أظهر من بدائع حكمته مادل على معرفته ووقفت العقول عن أدراك كيفيته ومتجها النظر اليه فتاهت فى إدراك معرفته رفع السماء بلا عمد ودحا الأرض بقدرته على ماء جمد وأنشأ الخلائق على صور شتى فأوجد وسبق عليه فيمن أشقى وأسعد وذل كل جبار لعظمته واستعبد واستوى على عرشه بلا كيف وتفرد فهو العالم بحقيقات الوساوس فى الصدور القادر على كل أمر مقدور العادل فى حكمه واليه تسير الأمور وأحمده حمد من اعترف بنعمته ووثق باحسانه وكرمه وأتوكل عليه من سلم اليه وعول فى جميع أموره عليه قال الراوى ثم إنه قال فى آخر كلامه وخطبته معاشر سادات العرب وأهل المناصب والرتب أحمدوا رب هذا البيت الحرام الذى خصكم فصاحة الكلام والصدق فى إعطاء الزمام وإطعام الطعام والاقتدار على ضرب الحسام لجددوا أقوالكم القديمة المدثرة وزينوها بكلام تعجز عنه فصحاء الفرس والقياصرة ثم إنه أمر أن ينشد القصيدة فعند ذلك تصايحت الأبطال الصناديد والسادات الاماجيد وكذا الأحرار والعبيد وقال القريب منهم والبعيد أيها السيد الهمام والبطل الضرغام الحاكم على البيت الحرام اعلمنا من نطق بهذا الكلام من السادات ومن القائل لها من أصحاب الانساب العاليات فعندها أشار اليهم عبد المطلب وقال لهم يا وجوه العرب اعلموا أن النسب ما يرفع الجبان ولا يوقيه من ضرب السيف ولا طعن السنان ولا العبودية ما تزرى بالانسان إذا كان قوى الجنان والذى قد نطق بهذه الأبيات الحسان فصيح بنى عبس وعدنان وجبار الحرب والطعان إذا حضر فى الميدان فهو سيد الشجعان صاحب الرأى والارشاد الخائض الأمور الشداد حامية عبس الجحاج عنتر بن شداد فقالت العرب عن بكرة أبيها لا كرامة لذلك العبد الزنيم الردىء الطبع وخسيس الأصل والفرع وحق الإله الذى تنزه عن البنات والابناء المستحق الحمد والثناء الذى جعل الليل لباسا والنهار معاشا لئن علق عنترة شعره على البيت الحرام هدمناه

وهزمينا الجبل الاعلى وكسرناه ( قال الراوى ) وفى ساعة الحال أبعدت بنو قحطان عن بنى عبس وعدنان وافترقوا عن بعضهم بعض فى ذلك البر والقيعان وقد جعلوا بينهما ميدان ونزل عبد المطلب من أعلى المنبر وهو حردان وعاد عنتر إلى ظهر الجواد بعد ما اعتد بعدة الحرب والجلاد وصاح فى فرسان بنى عبس وعدنان وتقدم الأمير هانىء فى بنى شيبان وزعق دريد بن الصمة فى بنى هوزان وجشم وبنى همذان وارتجت الدنيا من وقع الحديد وصاحت الموالى والعبيد وعولوا على الحرب والقتال وأكثروا من القيل والقتال قال الراوى لهذا المقال صلوا على باهى الجمال هناك صرخ الأمير عنتر بصوت تفلق الحجر أو يقلع الشجر وقد قفز بين الصفوف وقد انذعرت منه الأبطال الوقوف ونادى يابنى قحطان إن كنتم تعرفون الانصاف فاتركوا هذا الفعال والخلاف ولا تحوجونا إلى قتال قوم مابيننا وبينهم معاملة حتى يقتلوا ويمضى دماؤهم باطله واعلموا أن مابقى لى بد من تعليق القصيدة فلا بقيت راجع إلا أن فعلت ماأريد أو يخرج إلى من يقهرنى فى هذا المقام ويعوقنى من تعليقها على البيت الحرام فدونكم والميدان الذى هو محل الضرب ومطعان وأخرجوا إلى أبطالكم حتى أفرجكم اليوم على حرب تتحدث العالم فى الشرق والغرب فان كنتم عن الحرب عاجزين فقروا لى بالعجز المبين وخروا لشعرى ساجدين وإلا إن رحلتم إلى دياركم من غير انفصال ولا خصام لاأدع أحد يعلق على هذا البيت شعرا ولا نظام إلا من يجرب روحه معى فى القتال فاطلبوا منازل الفخار فى هذا اليوم العظيم المقدار الذى حضرت فيه سادات الاقطار وملوك الامصار وهاأنا قد أشتهرت بين الحضار فمن له من ثار جديد أو قديم فها أنا عدوكم وغريمكم ثم أنه جال وصال وعزم على الحرب والقتال فاشار إليهم برأس السنان يقول هذه الابيات .

دعنى أجد إلى العلياء فى الطلب ... أطلب الغاية القصوى من النسب

لعل عبلة تضحى وهى راضية ... على سوادى وتمحى صورة الغضب

إذا رأت جحفل السادات سائرة ... تزور شعرى بركن البيت فى رجب

ياعبلة قومى انظرى فعلى ولا تسلى ... عن الحسود الذى ينبيك بالكذب

وانظرى أعين السادات ترمقنى ... وكل قرن تريه مال الهرب

برزت حقاً إلى الفرسان أن انظروا ... فعلى فا منهم إلا خر العطب

فبادوا وانظروا طعنا إذا نظرت ... عين الوليد اليه شاب وهو صبى

خلقت للحرب أحميها إذا بردت ... وأصطلى نارها من شدة الغضب

بصارم أين ماجردته سجدت ... لجبابرة الاعجام والعرب

وقد طلبت من العلياء منزلة بصارمى لا بامى ولا بأبى
فمن أجاب نجا مما يحاذره ومن أبى ذاق طعم الموت والحرب

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الانشاد طلعت اليه الفرسان أصحاب الاحتقار وطلبوه من كل شعث وواد وهم يعايروه بالسواد وكان السابق اليه فى ذلك الوقت من غير ميعاد عمرو بن الاخيل الذى قتل أباه عنتر أول دخوله بلاد ابن قطلبه وهو على جواد من خيل الجياد يحاكى سواد الليل شديد القوى والحيل يتدفق فى جريه مثل السيل فلما قاربه ودانا وهو اليه مصمم ناداه وأجابه على قوله متكلما ويلك يا عبد السوء ما كفاك ما أصرفت لنا من الدماحتى تريدنا نسجد لهـــذيانك وتعطلتك على محالك وشقشقة لسانك واليوم آخذ بالثار وأكشفت عنى وعن أهلى العار وأجعلك بين العرب مثل وأفعل بك كما فعلت بابى الاخيل فقال عنتر قال ودع عنك الفضول فلابد أن تبقى أنت الآخر على الثرى بجندل ثم أنه استقبله ولا طاوله ولا جاوله بل أهار الرمح فى يده وطعنه فى صدره حرج يلمع من ظهره وما وقع على الأرض إلا وقد عدم الحياة وطلعت روحه وفارقت دنياه وقال فلما رأت فرسان اليمن ذلك الإنجاز أنصفته وانتخت للبراز حتى لا يعايروهم عرب الحجاز بقلة الانصاف فخرج اليه مالك بن عمرو بن ضرمه القينى فارس بنى القين الذى قتل عنتر اباه لماسى بفت عمه زهره لخرج اليه وهو راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكر وحسن الخطوة سابل الفرق يسوى مائة بدره متقلد بصفيحه هندية ومعتقل بقناة خطية على رأسها سنان مثل النجمة المضية ثم أنه قارب منه وحاذاه وفى وسط الميدان ساواه ثم نادى برفيع صوته يا أسود يا حجلم لقد أكثرت الكلام فدونك وضرب الحسام حتى افلق منك الهام وارميك بالارغام فلما سمع عنتر كلامه ورأى شخص الشجاعة يلوح قدامه علم أنه فارس همام وبطل ضرغام فقال له يا شاب حسن من أنت من فرسا اليمن قال له أنا مالك بن عمرو بن ضرمة القينى فقال له عنتر والله لقد خاب ظنك يا مالك ثم انه جال عليه وضايقه حتى أتعبه وأكربه ولاصقه وسد عليه فى الحرب طريقه وقام فى ركابه وتمطى فى بداده وطعنه فى صدره أطلع نصف الرمح يلمع من ظهره فال إلى الأرض سريع يمج علقما ونجيع فعندها شلنبت جميع الفرسان من عسكر اليمن وحل بها البؤس والحزن مما أصابها على ذلك الفارس من التأسف والحزن ثم أن عنتر لما حصل منه ذلك الإنجاز نادى يطلب البراز ويفدى بنفسه

فرسان الحجاز وجال وصال وقد طمعت نفسه على أخذ منج الأبطال وصار يترنم بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

لاتشتكى ياحسامى فى يدى عطشا    اليوم تروى إذا ظل الغبار غشا
وتصبح الأرض بالقتلى مزينة    ووجهها بدم الأبطال منتقشا
لاتمت حتى أرى السادات خاضعة    لما أقول كما أهوى أنا وأشا

قال الراوى ثم أنه لما فرغ من ذلك الانشاد أشار إلى العسكر يطلب الحرب والجلاد ونادى يا آل قحطان احملوا على فى جحفلكم الكبير أو اخرجوا إلى شجاع يكون بالحرب خبير أو أبرزوا إلى منكم كل ملك خطير فعند ذلك خرج إليه غلام لانبات بعارضيه لكن الشجاعة لائحة بين عينيه وهى تشهد ولا تشهد عليه وكان هذا الفارس يقال له عابدين حسان بن مصاد الكلبى الذى جرى له مع عنتر ماجرى فى بلاد اليمن لما عشق عبلة فى تلك البلاد والدمن وكان هذا الولد جبارا لايلتقى وجبلا صعب المرتقى شديد القوى والقلب صبورا على مرارة الطعن والضرب فحمل على عنتر وهو راكب على حصان اشهب من أفخر خيول العرب ذيل الذئب حسن الجرى والخبب وهو غالى الثمن من أحسن خيول اليمن وعلى ذلك الفارس زردية نضية ترد الصفاح الهندية وفى يده قناة خطية كأنها رسول المنية ثم جال مع الأمير عنتر وطلبه مثل لمح البصر فتلقاه عنتر بجنانه المعروف ولعبا بالدرق والسيوف الذى هى أعجل لشرب كأس الحتوف هذا وقد رآه عنتر على صغر سنه فارس جبار وبطل مغوار فخاف أن ينقضى عليه النهار ومابلغ من غرضه مايختار لأنه نظر فارس ماعليه عيار يرجح على ماقبله الدرهم قنطار فانحط على خصمه انحطاط البلاء الدمار وانقض عليه انقضاض العقاب حتى حك الركاب بالركاب واختلف بينهما ضربتان أشد من العذاب إلا أن عنتر كان هو السابق لأجل مقاساته البوايق وضرب عابد بن حسان على شرافة صدره وأطلعه يلمع من فقارة ظهره فهنالك صرخت فرسان اليمن شلت أناملك وقطعت مفاصلك قال الراوى ثم أن عنتر بعد ذلك نادى يطلب البراز ويسأل الانجاز فخرج اليه فارس مثل البلاء الطارق وهو راكب على جواد أبيض يفتن أن أقبل أو أعرض وهو لابس درعا ضيق الحدد كأنه عيون الجرد ومتقلد بسيف مهند ومعتقل برمح مسدد كان هذا طارق كما ذكرنا حامية بلاد بارق وهو فى آلة الحرب غارق تدل فروسيته على عطفيه وهى تشهد له بالشجاعة لا عليه فحمل على عنتر كأنه أسد الذغر ثم أنه أشار

يقول هذه الأبيات :

أرى لك فعلا زائد اللوم والقبح ... كفعل لئيم زائد البخل والشح

أما سمعت أذناك يوما بطارق ... فتى يخرق الهيجاء بالسيف والرمح

فدونك منى فارسا ذا نخية ... غشوم هجوم لا يمل من الكشح

قال الراوى وكان هذا طارق صغير السن حسن المنظر تحير فى رؤيته العسكر فلما رأى عنتر صغير سنه وصباه وسمع عنتر شعره وعرف معناه فعندها زعق فيه وناداه أيها المغرور بشبابه البارز إلى حتفه ومصابه لقد خاطرت بنفسك واليوم أخمد حسك وأسكنك رمسك ثم أنه أجابه يقول :

أيا من له وجه يحاكى سنا البدر ... وطرف كحيل قد تموه بالسحر

ستعلم ليس فى الأرض فارس ... يقاومنى فى معرك البيض والسمر

وانى أنا المعروف فى حومة الوغا ... أبيد الأعادى بالوشيج وبالبتر

ولا أرهب الابطال فى يوم معرك ... ولا انثنى والخصم فى موقف الكر

قال الراوى ولما فرغ الأمير عنتر البطل الهمام من هذا الشعر والنظام حمل كل واحد على صاحبه وجالا طويلا وعلا عليهما الغبار حتى غابا عن الأبصار إلا أن طارق رأى عنتر البطل الكرار وقد جمع عليه الدرهم فنظار فايقن بالبلاء والدمار وشرب كاس الوبار وول على الحرب والفرار فعلم عنتر منه ماقد عول عليه فعندها ضايقه وطعنه فى فؤاده أقلبه عن جواده فصار يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه (قال الراوى ولم تزل فرسان اليمن تتبارد وهو يقتل منها ويأسر حتى مضى نصف النهار أحس بالتقصير من جواده الأبجر فعاد إلى ورائه وهو مستبشر بالنجاة وقد تلقته الأهل والأصحاب والأحباب وهنوه بالسلامة من حلول الندامة وقد ركب مهر كوكب بن الحجر مسكاب الذى قدمنا ذكره فى هذا الكتاب ووصفنا ما فى هذا المهر من قوة الأعصاب ثم أن الأمير عنتر فارس الزمان رجع إلى الميدان وهو لا يعقل على أحد من شدة الهيجان إلا أن دريد بن الصمة وهانئ ابن مسعود وعامر بن الطفيل والأمير زيد الخيل ما فيهم إلا من أراد أن يخرج إلى البراز حتى يريحوا عنتر باقى ذلك اليوم ويطلبوا الانجاز فلم يقبل لأحد منهم مقال وأراد أن يتولى هو بنفسه القتال وقال لهم يا سادات العرب دعونى أتولى بروحى أمرى لأنه إذا كان مثلكم خلف ظهرى لقيت قبائل اليمن كلها فاذا نلت المنزلة التى قد طلبتها فيكون بهمتكم قد وصلت إليها ونلتها ثم أنه وصل إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونظرته أعين الفريقان

وجال قدام صفوف أهل اليمن وهو على ظهر ذلك الجواد الحسن وطلب البراز والنزال من فرسان العرب وقد هان عليه الموت والعطب فعندها تمثل بهذه الابيات يقول .

| | |
|---|---|
| إذا ما طلبت المجد يا ابن الاكارم | تلقى المنايا من صدور اللهاذم |
| وكن صابرا للدهر يوما وان سطا | ولا تطلب الانصاف من عند ظالم |
| ودع عنك دارا قد خلت عرصاتها | ولا تبك فى أطلالها والمعالم |
| ألا أن وجدى بالمعالم مبرح | وأعظم من وجدى بها حد صارم |
| وأعشق من سمر الرماح دقاقها | إذا ما انطرت للطعن مثل الاراقم |
| وتنظرنى البيض الرقاق إذا هوت | تدق الوطا والبيض فوق الجماجم |
| وقد طلبت روحى من المجد منزلا | يقصر عنه كل راح العزايم |
| فان نام صرف الدهر عنى بلغته | وتمت وأمسى حاسدى غير نايم |
| وإن كانت الاخرى وصبحت ساويا | أعض على كفى عضة نادم |
| فلا تندبينى ياعبيلة واحفظى | جفونك من هطل الدموع السواجم |
| ولا تحسبينى أدفع الموت ساعة | ولو أن قرن الشمس تحت قوايم |

قال الراوى لهذا الكلام ثم أن الأمير عنتر لما فرغ من ذلك الشعر والنظام نادى وأعلن بالكلام من له على ثار فيطلب منازل العز والافتخار أخرجوا إلى الان ياأصحاب القصايد المعلقات قبل أن نولها عن البيت الحرام ( قال الراوى ) هذا وفرسان قبايل اليمن يسمعون كلامه وينظرون إلى ثباته فى مقامه وكلما أرادوا الحلة على ديارهم الملوك والمقدمين قال ولما سمعوا أصحاب القصائد ذلك الكلام خافوا على قصائدهم أن تنحرق ويندثر مجدهم فخرج منهم طرفة بن العبد وكان فارسا مهاب وكان فصيح اللسان كريم عاقل غير جاهل ولما قارب عنتر قال له ياأبا الفوارس ما أنت إلا قد كملت الشجاعة ولكن قد بلغنى أنك رجل معلول النسب ولولا ذلك كنا قبلنا وسمعنا ماقلته من شعرك وفى فصاحتنا أدخلناك ولكن أنت تعرف سنة العرب أنها ما تدخل أمر أحد حتى تغلب ومع هذا فانى قد أشتهيت أن أسمع شيأ من مقالك حتى انى أقايسه على خصالك وأحزب روحى فى قتالك فان رأيت من نفسى التصير سلمت روحى اليك وإن رزقت النصر جدت بالاطلاق عليك فان فعندها تعجب عنتر من حسن الفاظه ومنطقه وأضمر فى نفسه أن قدر عليه يعتقه ويطلقه ثم أنه أراد أن ينشده شيأ من أشعاره فازدحم عليه مقاله فقال له ياوجه العرب أنا قصايدى كثيرة فى معان خطيرة وقد أجزت شيء أنشدك منها حتى تبقى إذا سمعتها تخبر الركبان عنها

ولكن قل أنت شيأ واسمع الجواب واقطع على نفسك بما تسمعه من الخطاب فقال له طرفة صدقت فيما تقول فاسمع من القصائد ما أقول قال الراوى صلوا يا حاضرين على طه الرسول وكانت سائر الفرسان والأبطال تضرب بفصاحة طرفة الامثال وقد ورد فى التفسير قول الله تعالى حكاية عن سيدنا سليمن بن داود عليهما السلام لما دعا ربه أن يخفى أمره عن الجن فى موته فبقى ثمانين يوما متكئا على عصاته وهو نائم فلما سوست العصا خر سيدنا سليمان على الأرض ميتا لقول الله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته أى عصاته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ففسرت المفسرون عن هذه القصة واسم السائه فوجدوها فى قصيدة طرفه بن العبد البكرى قال الروای فهذا ما كان من التفسير وما ذكره الملك القدير وأما ما كان من طرفة فانه قال فى آخر الكلام اعلم يا أبا الفوارس أن لى قصيدة معلقة على البيت الحرام لم يعمل أحد مثلها من الأنام فقال له عنتر اسمعنى هذا القصيدة حتى أسمعها وأقيسه على شكلها وأنظر إلى هذا الكلام الذى تزعم أن أحدا ما قال مثله من الأنام .

( فقال هذه القصيدة الدالية لطرفة بن العبد البكرى المعلقة على البيت الحرام التى أنشدها عنتر حين أراد أن يعلق قصيدته ويلحق بارباب الفصاحة الذى لا يعلق له قصيدة إلا الذى لا يكون فوق نسبه نسب ولا أعلامنه حسب )

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد
وقوفا بها صحبى على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد
كأن حدوج المالكيه غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتد
يشق حباب الماء حزومها بها ... كما قسم الترب المقايل باليد
وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن ... مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعى ربربا بخميلة ... تناول أطراف البريدى وترتدى
وتبسم عن ألمى كأن منورا ... تخلل حر الرمل دعص له ندى
سقته أياة الشمس إلا لثاته ... أسف ولم تكدم علية باثمد
ووجه كأن الشمس القته رداءها ... عليه نقى اللون لم يتخدد
وإنى لا مضى الهم عند احتضاره ... بعوجاء مرقال تروح وتغتد
أمون كألواح الاران نصأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد

جمالية وجناء تردى كأنها ... سفنجة تبرى لأزعر أربد

تبارى عتاقا ناجيات وأتبعت ... وظيفا وظيفا فوق مور معبد

تربعت القفين فى الشول ترتعى ... حدائق مولى الأسرة أغيد

تريع إلى صوت المهيب وتتقى ... بذى خصل روعات أكلف ملبد

كأن جناحى مضرحى تكنفا ... حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

فطورا به خلف الزميل وتارة ... على حشف كالشن بال مجدد

لها فخذان أكمل النحض فيهما ... كأنهما بابا منيف ممرد

وطى محال كالحنى خلوفه ... وأجرنة لزت بدأى منضد

كأن كناسى ضالة يكنفانها ... وأطرقسى تحت صلب مؤيد

لها مرفقان أفتلان كأنما ... تمر بسلمى دالج متشدد

كقنطرة الرومى أقسم ربها ... لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

صهابية العثنون موجدة القرى ... بعيدة وخد الرجل موارة اليد

أمرت يداها فتل شزر وأجنحت ... لها عضداها فى سقيف مسند

جنوح دقاق عندل ثم أفرعت ... لها كتفاها فى معالى مصعد

كأن علوب النسع فى دأياتها ... موارد من خلقاء فى ظهر قردد

تلع نهاض إذا صعدت به ... كسكان بوصى بدجلة مصعد

وجمجمة مثل العلاة كأنما ... وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد

وخد كقرطاس الشآمى ومشفر ... كسبت اليمانى قده لم يجرد

وعينان كالماويتين استكنتا ... بكهفى حجاجى صخرة قلت مورد

طحوران عوار القذى فتراهما ... كمكحولتى مذعورة أم فرقد

وصادقتا سمع التوجس للسرى ... لهجس خفى أو لصوت مندد

مؤللتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتى شاة بحومل مفرد

وأروع نباض أحذ ململم ... كمرداة صخر فى صفيح مصمد

وأعلم مخروط من الأنف مارن ... عتيق متى ترجم به الأرض تزدد

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت ... مخافة ملوى من القد محصد

وإن شئت سامى واسط الكور رأسها ... وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد

على مثلها أمضى إذ قال صاحبى ... ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى

وجاشت إليه النفس خوفا وخاله ... مصابا ولو أمسى على غير مرصد

إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى ... عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

أحلت عليها بالقطيع فاجذمت ... وقد خب آل الامعز المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس ... ترى ربها أذيال سحل ممدد
ولست بحلال التلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فان تبغنى فى حلقة القوم تلقنى ... وأن تلتمسنى فى الحوانيت تصطد
وأن يلتقى الحى الجميع تلاقنى ... إلى ذروة البيت الشريف المصمد
نداماى بيض كالنجوم وقينة ... تروح إلينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة ... بجس الندامى بضة المتجرد
إذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا ... على رسلها مطروفة لم تشدد
إذا رجعت فى صوتها خلت صوتها ... تجاوب أظآر على ربع رد
ومازال تشرابى الخمور ولذتى ... وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها ... وأفردت أفراد البعير المعبد
رأيت بنى غبراء لاينكروننى ... ولا أهل هذاك الطراف الممدد
ألا أى هذا اللائمى أشهد الوغى ... وأن أحضر اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لاتستطيع دفع منيتى ... فدعنى أبادرها بما ملكت يدى
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عود
فمنهن سبق العاذلات بشربة ... كميت متى ماتعل بالماء تزبد
وكرى إذا نادى المضاف محنبا ... كسيد الغضى نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الخباء المعمد
كأن البرين والدماليج علقت ... على عشر أو خروع لم يخضد
كريم يروى نفسه فى حياته ... ستعلم إن متنا غدا أينا الصدى
أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوى فى البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه باليد
يلوم وما أدرى علام يلومنى ... كما لامنى فى الحى قرط بن معبد
فمالى أرانى وابن عمى مالكا ... متى أدن منه ينأ عنى ويبعد
وأيأسنى من كل خير طلبته ... كأنا وضعناه إلى رمس ملحد
على غير شىء قلته غير أننى ... نشدت فلم أغفل حمولة معبد

وقربت بالقربى وجدك أنه ... متى يدع أمر النكيثة أشهد
وأن أدع للجلى أكن من حماتها ... وأن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وأن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم ... بكأس حياض الموت قبل التهدد
بلا حدث أحدثته وكمحدث ... هجائي وقذفي بالشكاة ومطرد
فلو كان مولاي امرأ هو غيره ... لفرج كربي أو لأنظرني غد
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي ... على الشكر والتسآل أو أنا مفتد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
فذرني وخلقي إنني لك شاكر ... ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني ... بنون كرام سادة لمسود
أنا رجل الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كرأس الحية المتوقد
فآليت لا ينفك كشحي بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصرا به ... كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة ... إذا قيل مهلا قال حاجزه قد
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني ... منيعا إذا بلت بقائمه يد
وبرك هجود قد أثارت مخافتي ... بواديها أمشي بعضب مجرد
فمرت كهاة ذات خيف جلالة ... عقيلة شيخ كالوبيل يلندد
يقول وقد تر الوظيف وساقها ... ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد
وقال ألا ماذا ترون بشارب ... شديد علينا بغيه متعمد
وقال ذروه إنما نفعها له ... وإلا تكفوا قاصي البرك يزدد
فظل الإماء يمتللن حوارها ... ويسعى علينا بالسديف المسرهد
فإن مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي على الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعليني كامرىء ليس همه ... كهمي ولا يغني غنائي ومشهد
بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا ... ذلول بأجماع الرجال ملهد
فلو كنت وغلا في الرجال لضرني ... عداوة ذي الأصحاب والمتوحد
ولكن نفى عني الرجال جراءتي ... عليهم وإقدامي وصدقي ومحتد
لعمرك ما أمري علي بغمة ... نهاري ولا ليلي علي بسرمد
ويوم حبست النفس عند عراكها ... حفاظا على عوراته والتهدد
على موطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى يعترك فيه الفرائص ترعد

واصفر مضبوح نظرت حواره ... على النار واستودعت كف مجمد
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار ما لم تزود
ويأتيك بالأخبار ما لم تبع له ... بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

قال الراوى فلما فرغ طرفه من كلامه وقد بدأ فى قوله وأتى فيها بكلام مفيد وبما قاله من ذلك الكلام المناسب فقال له عنتر ماقصرت فيابه نطقت من هذه الأبيات ولكن عند تعليق قصيدتى وإنشادها يفرقوا بينهما السادات وهذا كلا جمعته على أنت طول المدا فى الأيام ولكن ما ت شىء على البديهة وبعد ذلك أتجالد أنا وأنت بالسيوف حتى تشهد معرسان والسادات لاحدنا بالفروسية والشجاعة والبراعة أو يفتضح باسره بين هؤلاء الشجعان فى الميدان فقال طرفه للعرب الكرام وكأننى يابن اللئام أعجز عن كلام أقوله فى هذا المقام ثم أنه أشار يقول .

ولقد سريت فى الظلام بمعشر ... جلد من الفتيان غير مثقل
بمن حملن به وهن عواقر ... حل النطاق فكن غير مهبل
ومبرأ من كل تهبة حائض ... وفساد مرضعة وداء مغول
حملت به فى ليلة مسرورة ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل
وأنت به جيش الحياة منطق ... سهرا ما نام ليل الموجل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهل
صعب العريكة لا يناجنانه ... ماضى العزيمة كالحسام الفصيل
يحمى الحريم إذا تكون كريمة ... وإذا هموا نزلوا فنعم المنزل

قال الراوى فلما سمع عنتر من طرفه هذه الروايات علم أنه من الفصاحة والمعرفة فى مقام السادات فقال طرفة هل سمعت هذا المقال ياابن الانذال يأعرف قدرك قبل أن تعض أطراف الاتامل فقال له عنتر أعد مزوجهى أهلكتك الهوايل وتولى على عنقك البلاء العاجل فو الله لا تدرك بين هؤلاء الجحافل ثم أنه صرخ فيه صوتا مثل الرعـــد النازل فرفعت الخيل رؤسها وأضطربت منها المفاصل وقال له باطرفه وما فى هذا الذى قلته وذكرته من الفخر والمعرفة أنها ذكرت أنك قطعت الفلوات مع رفيق صفته هذه الصفة فى هذا الكلام ماتستحسنه السادات الكرام فانا إذا خضت بحر الظلام وساير النجوم فى حندس القتام فاأستصحب معى غير هذا الحسام الصمصام و أوانس فى سفرى غير هذا الرمح المعتدل القوام وساذكر لك فى هذا الوقت وآتيك به نظام لئلا يلحقك

العجب ياهذا الغلام أتعرف من كان حاضرا فى هذا المقام إذا ذكرت لك شيئا من والنظام مايقدر مثلك ولا من فصحاء العرب غيرك أن يناظر أبياتى ولا يقول مثل مقالاتى مع أنى قد سمعت من أبياتك فى غير هذا المقام والذى أقوله أنافى هذه الساعة يحير الخواطر والأفهام ولولا أنت أتيت فى هذه الساعه بهذا المقال ما كنت أجاوبك بشىء بين هؤلاء الرجال ولكن الجا الأمر إلى الجواب على كل حال ثم أن عنتر الأسد الريبال لما صدر بينه وبين طرفه ذلك المقال أنه يقول .

| | |
|---|---|
| دع مامضى لك فى الزمان الأول | وعلى الحقيقة ما تريد فعول |
| إن كنت أنت قطعت برا أقفرا | وسلكته تحت الدجا فى جحفل |
| فانا سريت مع الثريا مفردا | لامؤنسا إلى غير حد المنصل |
| وهجمت غابات الأسود خضتها | والليل أسود من جفون الا كحل |
| والبدر من فوق السماء يسوقه | ويسير سير الراكب المتعجل |
| والنسر نحو الغرب يرمى نفسه | فيكاد يعثر بالسماك الأعزل |
| والغول بين يدى يخفى تارة | ويعود يظهر ضوء المشعل |
| بنواظر زرق ووجه أسود | وأظافر يشبهن حد المنجل |
| فإذا رأت سيفى تضج مخافة | كضجيج نوق الحى عند المحمل |
| تلك الليالى لو يمر حديثها | بوليد قد قوم شاب وسط المنزل |
| فافهم ودع عنك الإطالة واقتصر | وعلى الطعان إذا اقتصرت فعول |
| واعلم بان الوقت ياتى عاجلا | وأن لم تدم على المقام الاول |

قال الراوى فلما أنشد الأمير عنتر البطل الهمام ذلك الشعر طرب طرفه بن العبد وقال له يالك من أسود ماأبلغك فى الفصاحة والفروسية والله لو أن أمك عربية لكنت افتخرت على سائر عرب البرية لكن اسم العبودية درجة ردية ولولا ذلك لسمحنا لك بتعلق القصيد وبلغناك مالكن والله ياابن السوداء ذلك منك بعيد لأن الموالى ماتقاس بالعبيد فقال له عنتر غض بصرك ياابن المذلول البليد ولاتهددنى بالوعد والوعيد دونك والحرب بين هؤلاء الأبطال الصناديد حتى تنظر الفرسان فى هذا الوقت من يبقى ممددا على الصعيد فقال له طرفه ويلك ياابن القوم الفجار والعبيد الأشرار تكلتك أمك وعدمك وأهلك اليوم أعرف قدرك وقس كلامك على نفسك قبل أن أحد حسك وأسكنك رمسك قال فلما سمع عنتر منه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وهجم على طرفه مثل الأسد الضرغام

وحل علية حملة من لا يخاف العواقب ولا يفكر فى نزول النوائب فلما نظر طرفة إلى هذه المصائب استقبل خصمه استقبال من عرف أنه فى مقام الأهوال والخطر وتيقن بحلول القضاء والقدر قال الراوى وما جالا الاثنين إلا بمقدار ما عرف كل واحد منهما ما كان من صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه حتى اختلفت بينهما طعنات متتابعات إلا أن عنتر كان بالطعنة أسبق وطلب صدر خصمه لأجل ما فى قلبه من الغيظ والحنق وكان قد طعنه بعقب الرمح فقلبه إلى الأرض ممدد فانقض عليه شيبوب مثل البلاء المصبوب وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وساقه قدامه كاد أن يحل به التلاف (قال الراوى) ثم أن عنتر بعد ذلك الحال وهو فى وسط الميدان صال وجال وقال أنا خاطف مهج الأبطال أين من يطلب البراز أين يروم الحرب قال فلما سمعت فرسان اليمن منه ذلك النداء فما منهم إلا من غدا وطلب الاعتدا وتقدم كل منهم يطلب الحرب والكفاح فسبقهم إلى ذلك الداهية الدهما والمصيبة العظما المسمى زهير ابن سلمى قال الراوى لهذا المقال وكان زهير هذا بطلا من الابطال وقيلا من الاقيال لا يخاف الموت فطلب عنتر مثل النار المحرقة أو الصاعقة المرقة وكان من قصيدة بحملة القصايد المعلقة ونادى بعنتر عبد ما نار به وقال له ويلك يا ابن الأماما كماك ما أنت عليه من الضلالة والعمى حتى تمد يدك إلى الكواكب الذى فى السما ألم تعلم أنه عليك وعلى قومك ما تما إذا حمل عليك زهير بن أبى سلمى فقال له عنتر أعديا ابن الذليل الأعمى واليوم أزل بك العدما فدونك والحرب يا ابن الاوغاد فقال له زهير بن أبى سلمى والله يا ابن الاماما أجول معك حتى تسمع قصيدتى التى هى معلقة على البيت الحرام حتى تموت فى نفسك بلا حرب ولا صدام فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال يا عرب الكرام أنت الآخر من أصحاب القصايد المعلقات قا نعم يا ابن الاموات فقال عنتر لاخذن منك الحركات وأجعلك بددا فى الفلوات فاسرع وأنشد شيئا منها واسمع الجواب قبل أن تاكل لحمك الوحوش والكلاب فلما سمع زهير ابن أبى سلمى ذلك الخطاب حار فى أمره وضاقت به الأسباب ولا قدر أن يرد عليه جواب ذلك أشار إلى عنتر البطل المهاب وأنشد يقول :

(هذه القصيدة الميمية لزهير بن أبى سلمى المزنى فصيح بنى مازن وهى التى معلقة على البيت الحرام وهو الثانى من أصحاب القصائد المعلقات يريدون أن يمنعوا عنتر عن تعليق القصيدة واسمعة قصيدته وهى هذه )

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم

بها العين والارام يمشين خلفة    واطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة    فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافى سفعا فى معرس مرجل    ونؤيا كجدم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها    ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم
تبصر خليلى هل ترى من ظعائن    تحملن بالعليا من فوق جرثم
جعلنا القنانى عن يمين وحزنه    وكم بالقنانى من محل ومحرم
علون بأنماط عتاق وكلة    وراد حواشيها مشاكة الدم
ووركن فى السوبان يعلون متنه    عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة    فهن ووادى الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للطيف ومنظر    أنيق لعين الناظر المتوسم
كأن فتات العهن فى كل منزل    نزلن به حب الفنا لم يحطم
فلما وردن الماء زرقا جمامه    وضعن عصى الحاضر المتخيم
ظهرن من السوبان ثم جزعنه    على كل قينى قشيب ومفأم
فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله    رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما    على كل حال من سحيل ومبرم
تدار كتما عبسا وذبيان بعدما    تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما أن ندرك السلم واسعا    بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن    بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين فى عليا معد هديتما    ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت    ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة    ولم يهرقوا بينهم ملء محجم
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم    مغانم شتى من أفال مزنم
ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة    وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم    ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر    ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم    وما هو عنها بالحديث المرجم
لتعرككم عرك الرحا بثفالها    وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم    كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فتغلل لكم مالا تغل لاهلها   قرى بالعراق من قفيز ودرهم
لعمرى لنعم الحى جر عليهم   بما لايؤاتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحا على مستكنة   فلاهو ابداها ولم يتقدم
وقال سأقضى حاجتى ثم أتقى   عدوى بالف من ورائى ملجم
فشد فلم يفزع بيوتا كثيرة   لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلم
جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه   سريعا والا يبد بالظلم يظلم
رعوا ظمأهم حتى إذا تم أوردوا   غمارا تفرى بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا   إلى كلاء مستوبل متوخم
لعمرك ماجرت عليهم رماحهم   دم ابن نهيك أو قتيل المثلم
ولا شاركت فى الموت فى دم نوفل   ولا وهب منها ولا ابن المحزم
فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه   صحيحات مال طالعات بمخرم
لحى حلال يعصم الناس أمرهم   إذا طرقت الليالى بمعظم
كرام فلا ذو الضغن يدرك تبله   ولا الجارم الجانى عليهم بمسلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش   ثمانين حولا لا أبالك يسأم
واعلم ما فى اليوم والامس قبله   ولكننى عن علم ما فى غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب   تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
ومن لم يصانع فى أمور كثيرة   يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفره ومن لايتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله   على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لايذمم ومن يهد قلبه   إلى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه   وان يرق أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله   يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فانه   يطيع العوالى ركبت كل لهذم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه   ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما يكن عند امرىء من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وان سفاه الشيخ لا حلم عنده ... وان الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فاعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن أكثر التسآل يوما سيحرم

قال الراوى فلما فرغ زهير بن أبى سلمى من هذه الابيات تعجب عنتر من تلك المقالات وقال له يا وجة العرب والله إن هذه فصاحة بالغة ولكن قد بلغت علو المرتبة ولكن إذا علقت قصيدتى على البيت الحرام وسمعوها العرب الكرام فينظروا من هو منا أفصح لسان وأبلغ معانى فى البيان ثم أن عنتر الفارس الكرار حمل على زهير حملة رجل جبار لا يبالى بعواقب الاخطار وكذلك الآخر حمل عليه وما زال الاثنين على ذلك العيار قدر ساعة من النها حتى انعقد عليها الغبار وبعدها اختلف بينهما طعنتان صائبتان فكان السابق بالطعنه عنتر إلا أنه قد أقلب له الرمح إلى وراه وطعن زهير فى صدره القاه فى الفلا فانقض عليه شيبوب مثل ريح الهبوب فاوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وبعدها جال عنتر وطلب البراز وإذا قد برز إليه فارس من الفرسان يقال له لبيد بن ربيعة العامرى وكان الاخر من أصحاب القصائد المعلقات التى على البيت الحرام فلما صار قدام عنتر البطل الهمام قال له والله يا أبا الفوارس لو كنت من أصحاب الانساب العاليات كنا أدخلناك فى حسابنا وتحسب من أصحاب القصائد المعلقات ولكن أنت عبد معلول النسب فقال عنتر وكانك أنت من أصحاب القائد المعلقات قال له بلى يا ابن الاموات قال له أسمعنى منها شيء حتى أقيسها على غيرها وبعدها أتجالد أنا وأياك فى الطعان بين هؤلاء الفرسان وينظروا من هو أثبت منا جنان وأفصح لسان فقال لبيد السمع والطاعة ثم أنه أنشد وجعل يقول .

(هذه القصيدة الهائية للبيد بن ربيعة العامرى الذى أسمعها إلى عنتر وهو الثالث)
( من أهل القصائد المعلقات على بيت الله الحرام )

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها ... خلقا كما ضمن الوحى سلامها
دمن تجرم بعد عهد أنيسها حجج ... خلون حلالها وحرامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها ... ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن ... وعشية متجاوب أرزامها
فعلا فروع الايهقان وأطفلت ... بالجهلتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على أطلائها ... عوذا تأجل بالفضاء بهامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

أورجع واشمة أسف نؤرها ... كففا تعرض فوقهن وشامها

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا ... صما خوارس مايبين كلامها

عربت وكان بها الجميع فابكروا ... منها وغودر نؤيها وثمامها

شاقتك ظعن الحي حين تحملوا ... فتكنسوا قطنا تصر خيامها

من كل محفوف يظل عصيه ... زوج عليه كلة وقرامها

زجلا كان نعاج توضح فوقها ... وظباء وجرة عطفا أرآمها

حفزت وزايلها السراب كانها ... أجزاع بيشة أثلها ورضامها

بل ماتذكر من نوار وقد نأت ... وتقطعت أسبابها ورمامها

مرية حلت بفيـــد وجاورت ... أهل الحجاز فاين منك مرامها

بمشارق الجبين أو بمحجر ... فتضمنتها فردم فرخامها

فصوائق إن أيمنت فمظنة ... فيها وخاف القهر أوطلخامها

فاقطع لبانة من تعرض وصله ... ولشر واصل خلة صرامها

واحب المجامل بالجزيل وصرمه ... باق إذا ظلعت وزاغ قوامها

بطليح أسفار تركن بقية ... منها فاحنق صلبها وسنامها

وإذا تغـــالى لحمها وتحسرت ... وتقطعت بعد الكلال خدامها

فلها هباب في الزمام كانها ... صهباء خف مع الجنوب جهامها

أو ملمع وسقت لاحقب لاحه ... طرد الفحول ضربها وكدامها

يعلو بها حدب الاكام مسحج ... قد رابه عصيانها ووحامها

باحزة الثلبوت يرباء فوقها ... قفرا المراقب خوفها آرامها

حتى إذا سلخا جمادى ستة ... جزءا فطال صيامه وصيامها

رجعا بامرهما إلى ذي مرة ... حصد ونجح صريمه برامها

ورمى دوابرها السفا وتهيجت ... ريح المصايف سومها وسهامها

فتنازعا سبطا يطير ظلاله ... كدخان مشعلة يشب ضرامها

مشموله غلثت بنابت عرفج ... كدخان نار ساطع أسنامها

فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه إذا هي عردت أقدامها

فتوسطا عرض السرى وصدعا ... مسجورة متجاور أقلامها

محفوفة وسط اليراع يظلها ... منه مصرع غابة وقيامها

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم ... عرض الشقائق طوفها وبغامها

لمعفر قهد تنازع شلوه … غبش كواسب لايمن طعامها

صادفن منها غرة فأصبنها … إن المنايا لا تطيش سهامها

باتت واسبل واكف من ديمة … يروى الخمائل دائما تسجامها

يعلو طريقة متنها متواتر … فى ليلة كفر النجوم غمامها

يجتاف أصلا قاله متنبذا … بعجيب انقاء يميل هيامها

وتضيء فى وجه الظلام منيرة … كجمانة البحرى سل نظامها

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت … بكرت تزل عن الثرى أزلامها

علهت تردد فى نهاء صعايد … سبعا توائم كاملا أيامها

حتى إذا يئست وأسحق حالق … لم يبله إرضاعها وفطامها

وتواجست ز الأنيس فراعها … عن ظهر غيب والأنيس سقامها

فغدت بكل الفرجين تحسب أنه … مولى المخافة خلفها وأمامها

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا … غضفا دواجن قافلا أعصامها

فلحقن واعتكرت لها مدرية … كالسمهرية حدها وتمامها

لتذودهن وأيقنت إن لم تذد … إن قداحم من الحتوف حمامها

فتقصدت منها كساب فضرجت … بدم وغودر فى المكر سخامها

فتلك إذا رقص اللوامع بالضحى … واجتاب أردية السراب أكامها

أقضى اللبانة لا أفرط ريبة … أو أن يلوم بحاجة لوامها

أولم تكن تدرى نوار بأنى … وصال عقد حبائل جذامها

تراك أمكنة إذا لم أرضها … أو يعتلق بعض النفوس حمامها

بل أنت لاتدرين كم من ليلة … طلق لذيذ لهوها وندامها

قد بت سامرها وغاية تاجر … وافيت إذا رفعت وعز مدامها

أغلى السباء بكل أدكن عاتق … أو جونة قدحت وفض ختامها

وصبوح صافية وجذب كرينة … بموتر تأتاله إبهامها

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة … لأعل منها حين هب نيامها

وغداة ريح قد وزعت وقرة … قد أصبحت بيد الشمال زمامها

ولقد حميت الحى تحمل شكتى … فرط وشاحى إذ غدوت لجامها

فعلوت مرتقبا على ذى هبوة … حرج أعلامهن قتامها

أسهلت وانتصبت كجذع منيفة … جرداء يحصر دونها جرامها

رفعتها طرد النعـــام وشله ... حتى إذا سخنت وخف عظامها
قلقت رحالتها وأسبل نحرها ... وابتل من زبد الحميم حزامها
ترقى وتطعن فى العنان وتنتحى ... زرد الحمامة إذا جد حمامها
وكثير غرباؤها مجهولة ... ترجى نوافلها ويخشى ذامها
غلب تشـــذر بالدخول كأنها ... جن البـــدى رواسيا أقدامها
أنكرت باطلها وبؤت بحقها ... عندى ولم يفخر على كرامها
وجزور أيسار دعوت لحتفها ... بمغالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل ... بذلت لجميع الجيران لحـــامها
فالضيف والجار الجنيب كأنما ... هبطا تبـــالة مخصبا أهضامها
تأوى إلى الأطناب كل رزية ... مثل البلية قالص أهـــدامها
ويكللون إذا الرياح تناوحت ... خلجا تمد شـــوارعا أيتامها
إنا إذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز عظيمة جســـامها
ومقسم يعطى العشيرة حقهـــا ... ومغذمر لحقوقها هضامها
فضلا وذو كرم يعين على الندى ... سمح كســـوب رغائب غنامها
من معشر ســـنت لهم آباؤهم ... ولـــكل قوم سنة وإمامها
لا يطبعون ولا يبور فعالهم ... إذ لا يميل مع الهوى أحلامها
فاقنع بمـــا قسم المليك فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامهـــا
وإذا الأمانة قسمت فى معشر ... أوفى بأوفر حظنا قســـامها
فبنى لنـــا بيتا رفيعا سمكه ... فسما إليـــه كهلها وغلامها
وهم السعاة إذا العشيرة أفظعت ... وهموا فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للمجـــاور فيهم ... والمرملات إذا تطاول عامها
وهم العشيرة أن يبطىء حاسد ... أو أن يميل مع العدو لئـــامها

فافرغ لبيد بن ربيعة العامرى من إنشاده طرب عنتر من رقة قوافيها وقال له يا وجه العرب أنا أعلم أن هذا الكلام الذى قد جمعته فى أيام وشهور ولكن هات شيئا يقال فى هذه الساعة على البديهة ثم أنه حمل عليه وما تركه يقتل العنان وكزه بعقب الرمح وتركه ملقى على الصحصحان فانقض عليه شيبوب وأرثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف ثم أن عنتر بعد ذلك الحال صال وجال وتمكن وقال أنا خاطف مهج الأبطال أين من يطلب البراز من النزال أين رامى الحربه

والقتال فلما سمعت فرسان اليمن منه ذلك النداء فما منهم إلا من غدا فطلب الاعتداء وهزوا بأكفهم سمر الرماح وتقدم كل منهم يطلب الحرب والكفاح فسبقهم إلى ذلك عمرو بن كلثوم التغلبي وكان بطلا من الأبطال لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت فطلب عنتر مثل النار المحرقة أو الصاعقة البرقة وكان عمرو له قصيدة بجملة القصائد المعلقة ونادى به وأراد أن يشفي قلبه منه وبعد ذلك يحمل عليه فيلقاه في الصدام فقال له ويلك يا ابن الأنذال ما كفاك ما أنت عليه من الضلال حتى تطلب أن تنال منازل السادة الأبطال ألم تعلم أنه عليك وعلى قومه يوم ميشوم إذا حمل عليك عمرو بن كلثوم فقال له عنتر أغد يا وجه اليوم ويا قبيح الخرطوم قبل أن أرغم منك معاطس هذا الأنف المرغوم واليوم أنزل بك وبمن معك الشر والهموم وأحل بمن يفعل بفعالك الغموم فدونك والصدام يا هذا القصر المحروم قدام من يسقيك كاس السموم فقال له عمرو بن كلثوم وقد زاد به الغيظ والحرد وكاد أن يمرق ما عليه من الزرد والله يا ابن الأمة السوداء لا سقيك أنت وقومك كاس الرداء ولكن ما أسقيك كاس الحمام حتى تسمع قصيدتي التي علقتها على البيت الحرام لتعلم أني من أهل الشجاعة والفصاحة والاقدام فلما سمع عنتر البطل الهمام ذلك الكلام قال يا عرب الكرام وكأنك أنت الآخر من أصحاب القصائد المعلقات فان كذلك لآخذن منك الحركات فاسرع وأنشد شيئا منها لتسمع الجواب قبل ما تأكل لحمك الوحوش والكلاب فلما سمع عمرو بن كلثوم ذلك الخطاب حار في أمره وضاقت به الأسباب وأشار ينشد هذه الأبيات

هذه القصيدة النونية لعمرو بن كلثوم الذي افتخر بها في مقابلة عنتر عند الصدام يذكر بها أيام بني تغلب ويفتخر بهم وهي أحد المعلقات السبع على البيت الحرام

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذي اللبانة عن هواه ... إذا ماذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح إذا أمرت ... عليه لما له فيها مهينا
سبيت الكاس عنا أم عمرو ... وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصحبينا
وكاس قد شربت ببعلبك ... وأخرى في دمشق وقاسرينا
وإنا سوف تدركنا المنايا ... مقدرة لنا ومقدرينا
قفي قبل التفرق ياظعينا ... نخبرك اليقين وتخبرينا
قفي نسألك هل أحدثت صرما ... لوشك البين أم خنت الامينا

بيوم كريهة ضربا وطعنا ... أقر به مواليك العيونا

وإن غدا وإن اليوم رهن ... وبعد غد بما لا تعلمينا

تريك إذا دخلت على خلاء ... وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل أدماء بكر ... هجان اللون لم تقرأ جنينا

وثديا مثل حق العاج رخصا ... حصانا من أكف اللامسينا

ومتني لدنة سمقت وطالت ... روادفها تنوء بما ولينا

ومأكمة يضيق الباب عنها ... وكشحا قد جننت به جنونا

وساريتي بلنط أو رخام ... يرن خشاش حليهما رنينا

فما وجدت كوجدي أم سقب ... أضلته فرجعت الحنينا

ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعة إلا جنينا

تذكرت الصبا واشتقت لما ... رأيت حمولها أصلا حدينا

فأعرضت اليمامة واشمخرت ... كأسياف بأيدي مصلتينا

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا

وسيد معشر قد توجوه ... بتاج الملك يحمي المحجرينا

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا

وأنزلنا البيوت بذي طلوح ... إلى الشامات تنفي الموعدينا

وقد هرت كلاب الحي منا ... وشذ بنا قتادة من يلينا

متى ننقل إلى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا

يكون ثفالها شرقي نجد ... ولهوتها قضاعة أجمعينا

نزلتم منزل الأضياف منا ... فأعجلنا القرى أن تشتمونا

قريناكم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحونا

نعم أناسنا ونعف عنهم ... ونحمل عنهم ما حملونا

نطاعن ما تراخى الناس عنا ... ونضرب بالسيوف إذا غشينا

بسمر من قنا الخطي لدن ... ذوابل أو ببيض يختلينا

نشق بها رؤوس الخيل شقا ... ونختلب الرقاب فيختلينا

وإن الضغن بعد الضغن يبدو ... عليك ويخرج الدماء الدفينا

ورثنا المجد قد علمت معد ... نطاعن دونه حتى يبينا

ونحن إذا عماد الحى خرت ... عن الأحفاض يمنع من يلينا

نجز رؤسهم فى غير بر ... فما يدرون ماذا يتقونا

كأن سيوفنا منا ومنهم ... مخاريق بأيدى لاعبينا

كأن ثيابنا منا ومنهم ... خضبن بارجوان أو طلينا

إذا ماعى بالاسناف حى ... من الهول المشبه أن يكونا

نصبنا مثل رهوة ذات حد ... محافظة وكنا السابقينا

بشبان يرون القتل مجدا ... وشيب فى الحروب مجربينا

حديا الناس كلهم جميعا ... مقارعة بينهم عن بنينا

فاما يوم خشيتنا عليهم ... فتصبح خيلنا عصبا ثبينا

وأما يوم لانخشى عليهم ... فنمعن غارة متلببينا

برأس من بنى جشم بن بكر ... ندق به السهولة والحزونا

ألا لايعلم الأقوام أنا ... تضعضعنا وأنا قد ونينا

ألا لايجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

بيدى مشيئة عمرو بن هند ... نكون لقيلكم فيها قطينا

بأى مشيئة عمرو بن هند ... تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهددنا وأوعدنا رويدا ... متى كنا لامك مقتوينا

فان قناتنا يا عمرو أعيت ... على الأعداء قبلك أن تلينا

إذا عض بها اشمازت ... وولته عشو زنة زبونا

عشو زنه إذا انقلبت أرنت ... تشج قفا المثقف والجبينا

فهل حدثت جشم فى ابن بكر ... بنقص فى خطوب الاولينا

ورثنا مجد علقمة بن سيف ... أباح لنا حصون المجد دينا

ورثت مهلهلا والخير منه ... زهيرا نعم ذخر الذاخرينا

وعتابا وكلثوما جميعا ... بهم نلنا تراث الاكرمينا

وذا البرة الذى حدثت عنه ... به نحمى ونحمى المحجرينا

ومنا به الساعى كليب ... فأى المجد إلا قد ولينا

متى تعقل قرينتنا بحبل ... تجذ الحبل أو تقص القرينا

وتوجد نحن أمنعهم ذمارا ... وأوفاهم إذا عقدوا يمينا

ونحن غداة أوقد فى خزازى ... رفدنا فوق رفد الرافدينا

ونحن الحابسون بذى أراطى تسف الجلة الخور الدرينا
وكنا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنـــا بالملوك مصفدين
اليكم يابنى بكر اليكم ألمـا تعرفوا منا اليقينا
ألما تعلموا منا ومنكم كتائب يطعن ويرتمينا
علينا البيض واليلب اليمانى ترى فوق النطاق لها عضونا
إذا وضعت عن الأبطال يوما رأيت لها جلود القوم جونا
كأن غضونهن متون غدر تصفقها الرياح إذا جرينا
وتحملنا غداة الروع جرد عرفن لنـا نقائذ وأفتلينا
وردن دوارعا وخرجن شعثا كأمثال الرصائع قد بلينا
ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا
على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
أخذن على بعولتهن عهدا إذا لاقوا كتائب معلمينا
ليستلبن أفراساً وبيضا وأسرى فى الحديد مقرنينا
ترانا بارزين وكل حى قد اتخذوا مخافتنا مقرنينا
إذا ماوحن يمشين الهوينا كما اضطربت متون الشاربينا
يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنـــا إذا لم تمنعونا
ظعائن من بنى جشم بن بكر خلطن بميسم حسبا ودينا
وماءمنع الظعائن مثال ضرب ترى منه السواعد كالقلينا

فلما سمع عنتر من عمرو بن كلثوم ذلك الشعر والنظام ما انطلى عليه ذلك المقال لأنه عازم معه على الحرب والقتال حتى يبان من هو أقوى عزم وأليث جنان وأصدق فى القول والفعل بين هؤلاء الأبطال إلا أنه قال له ياعمرو ودع عنك زخاريف الأقوال من القيل والقال ودع عنك التعلل والمحال لأنك ياعمرو ماقلت هذه القصيدة لا فى شهر ولا فى سنة فلا تسمعنى إلا كلام قد يقال فى هذا الوقت والحين والآن قصيدتى والكلام التى أريد أن أعلقها على البيت الحرام أقوى وأفصح من هذا الكلام وأبلغ معانى من هذا النظام وأما الساعة فهذا وقت الخوف من الهلاك والذهاب فقل شيئا من البديهة فى هذا الوقت واسمع

الجواب وهو مما يحير ذوى البصائر فقال عمرو يا العرب وكانى عاجز عن شىء أقوله فى هذا الوقت من مقالى وبعد ذلك أوريك فعالى وما يروى عنى طول الأيام والليالى قال الراوى يا سادة يا كرام ثم أن عمرو بعدما صدر منه هذا الكلام أنشد يقول هذه الأبيات

كم فارس فى غبار الموت مختبقا ... إذا أراد إلى مكروهة سبقت
غشيته وهو فى الدنيا بمظلمة ... أصبت منه سواد الرأس فانفلقا
بضربة لم تكن منى مخالفة ... ولا تعجلتها خوفا ولا قلقا

فلما سمع عنتر ذلك الشعر والنظام قال له يا عمرو إن هذا الكلام يورث الالام ولم تبلغ به فصحاء العرب مراما اسمع الجواب وتعلم اللفظ والخطاب يا مخفوض الجناب ومذلول السبال واسمع ما ينطق به لسانى وأنه ما قلته من هذه المعانى ثم أنه أنشأ يقول

لا يحمل الرمح غيرى فهولى خلقا ... والسيف لولا بنانى ما جرى علقا
لئن كنت لاقيت قرنا أو فتكت به ... فكم لحد حسامى فى الفلاة لقا
وكم قحمت غبارا كان مرتفعا ... وصارمى فى حياض الموت قد برقا
صدمته بجنان لو صدمت به ... بحر المنية ليلا ما خشى الزلقا
وعدت عنه وخيل الموت جائلة ... تبكى بحزن على الأصحاب والرفقا
وعاد مهرى على أجساد ساداتهم ... طورا تخب وطورا يحذر الزلقا
ولى معامع حرب لو تقال لمن ... فجعته فى بنيه قال قد صدقا

فلما سمع عمرو بن كلثوم من عنتر ذلك الشعر والنظام تعجب منه غاية العجب وعلم أنه فى الشجاعة والفصاحة قد نال أعلى الرتب فقال له يا عنتر ما أنت إلا قد تعلقت بأذيال الفصاحة ولكن أنت فى هذه الحالة التى قد عزمت عليها زائد الوقاحة وإلا لو عرفت قدرك كنت لزمت أمرك وأحسنت بين الرجال صبرك وكنت تعيش كما عاش قبلك أصحاب المنازل والرتب ولا كنت افتضحت فى هذا اليوم بين فرسان العرب فأقول إن أجلك قد اقترب وإلا ما كنت أطلعت نفسك وطلبت هذا الطلب قال الراوى لهذا الحديث الذى يوجب الطرب ويأخذ المسامع منه العجب صلوا يا حاضرين على العجم والعرب فلما سمع عنتر منه ذلك الذى يورث الآلام اشتد به الحرد والغضب وقال له ويلك يا كثير الجهل وقليل الادب أنا ما عندى الحسب والنسب إلا هذا السيف الصقيل المشطب وهذا الرمح الاملود المكعب ومن كان يقول أبى وجدى فلان فكان قوله هذيان ويكون ضعيف الجنان وإن كنت فى شك مما أقول من ذلك الشان فنادى آباءك وأجدادك وقل لهم تعالوا أعينونى على قتال عنتر بن شداد قال الراوى لهذا

الا إذ صلوا باحضرين على سيد العباد الهادي من الضلال إلى طريق الرشاد ثم أن عنتر جال عليه جولة منكرة فرأى بعض مقاتله ظاهرة فطلبة كما يطلب الأسد فريسته ثم انحط عليه بجنانه وقوته وحاذاه وسد عليه طرائقه وقبض على خناقه مع الزرد بزلدكانه زند البعير وجذبه من على ظهر جواده فطار فؤاده إلا أنه ماصار على وجه الأرض إلا مغمى عليه فعند ذلك أدركه شيبوب وأوثقه كتاف قال ثم أن عنتر لم يزل طول النهار كل من برز له أسره أو قتله إلى أن أمسى المساء وحندست الظلماء وقد أحل بمن وقف بين فى ذلك اليوم البلاء وعاد من الدما كشقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وحوله من قدمنا ذكرهم من الفرسان وما فيهم إلا من يشد عزمه على أن يبذل المجهود بين يديه وعنتر يثنى عليهم على مالهم قال فلما رجع عنتر من القتال رجعت فرسان القبائل ثم نزلوا على الغدران والمناهل وقلوب فرسان اليمن تغلى على عنتر كغليان المرجل وأهل القتلى صارت تندب على قتلاهم والأسارى يتأسفون على بلادهم فلما وصل عنتر البطل المحترم إلى وادى الحرم تلقته النسوان والكل فى أيديهم الدفوف والمزاهر الاماء منهم والحرائر فما منهم إلا من تحرك دفها وتضرب عليها بكفها وهى تقول قد عاد حاميتنا إلينا ولقد كشف عارا يشبه الليث بعزوهو قد ضم الأسارى (قال الراوى) وصارت عبلة تردد عليه بجاوبه لهم وهى تقول :

زدت يا ابن العم مجدا وعلوا واقتدارا مثل مازادت وأعادتك هوانا وانكسارى

أسأل الله الذى أطلع ليلا ونهارا أنه يبقيك إلينا ما أقام نجم وسارا

(قال الراوى) ثم أنها جعلت تدهن صدر عنتر وجواده الأبجر بما فى يدها من الزعفران والمسك المسحوق قال الراوى هذا كله يجرى وزبيبة من خلفها تصيح وتضج مثل النوق وتدفع النساء برجليها وترمح على كل من عصت عليها وتقول لهن أرجعن عن ولدى وحشيشة كبدى يا فاجرات حتى أنه يشم الهوى النسيات فلقد كفاه ما قاساه من النائبات قال الراوى لهذه الحكايات أن زبيبة تقول للنساء تلك المقالات فضحك عليها البنات والأكابر والمخدرات وهن من فعلها متعجبات قال فما زالت النساء بعنتر دائرات حتى أنه وصل إلى الأبيات فعندها تفرقت منه جميع النساء فترجل وأعطى سيفه ورمحه لعبلة وهما مخضبان بالدماء الوافرات فصارت عبلة تمسحها وتنفض عن وجهه الغبار وتتبسم كلما رأت ساعديه ويديه مخدوشة من الأسنة فعند ذلك دخل الخباء ووصى إخوته

شيبوبا وجريرا ومازنا بالأسارى وأمر عروة بن الورد بالحرس وحفظ القبيلة وبات عنتر عنده من الفرح والسرور مثل ما عند أعدائه من الحزن لاسيما الربيع بن زياد وأخيه عمارة فإن الإثنين كادت مرارتهما أن تنفطر لما رأوا عنترا رابحا غير خاسر قال الراوى فلما لاح الصباح دخل عنتر فى الزرد وركب ثم خرج من أطرف الخيام فوجد دريد وهانىء والجنود وسادات عشيرته فى أهل قبيلته فسلم عليهم عنتر وشكرهم ثم بعد ذلك ساروا إلى خدمة السيد عبد المطلب جد النبى هذا وقبائل بنى قحطان تضج عليهم من رؤس الجبال والفرسان تتبارى إليهم من كل جانب هذا والملك قيس ومن معه أشرفوا على دكة القضاء فوجدوا السيد عبد المطلب وحدله جماعة من أهل الحرم مجتمعين حوله طائعين له فلما أقبل عنتر تقدم إليه وقبل يديه واستشاره فيما يفعل فقال له السيد عبد المطلب يا أبا الفوارس أى شىء بقى هاهنا من المشورة وأنت تعلقت بأمر تريد تمامه ولا ترجع عنه لأن القبائل كلها أصبحت تعض عليك الكفوف وتطلب أتنهب جسدك بالرماح والسيوف فاركب جوادك واحرص لتبلغ مرادك وتكمد أعداءك وحسادك وإلا انحط قدرنا وقدر البيت الحرام عند العرب الكرام وتوجب عليك العتب والملام فقال عنتر والله يا مولاى ما أنت إلا صادق فى القتال واليوم ترى من عبدك ما يشيب رؤس الأطفال ثم أنه عاد إلى ظهر مهره كوكب واشتد به الغضب وزحف يطلب قتال بنى قحطان والعرب هذا وهانىء بن مسعود كريم الآباء والجدود يقول له يا أبا الفوارس يا زين المجالس لم لا تمكنا من معونتك وبذل مهجتنا دون مهجتك وتتركنا نبارز القوم ويخرج منا فارس كل يوم لعل حماتهم تقع أسرى فى أيدينا والآن وقد هان أمر الباقين علينا لأننا إذا أخذناهم نقدمهم لضرب رقابهم ونحل بهم العذاب والهوان ونطلب منهم الطاعة إلى ما تريد من تعليق القصيدة فإن أجابوا وإلا ضربنا رقابهم وحملنا بعد ذلك على أصحابهم وبذلنا السيف فى شيوخهم وشبابهم فقال عنتر والله يا مولاى إن روحى لم تسمح بذلك غير أنى أخاف أن يصاب أحد منكم بسوء ويتفق له أمر غير محمود فعند ذلك أموت من جهته مكمود وأما أنا إذا قتلت دون بلوغ آمالى فما أكون مغبونا لأن العرب تقول عبد بنى عبس طلب منازل الفخار فأعاقته الاقدار على أنهم إن بارزونى فارسا بعد فارس فأنا أفنيهم وأنزل بهم الوسواس وإن حقدوا على وطلبونى بهذه المواكب والكتائب فى مرة واحدة طلبت منكم المعونة والمساعدة ثم أنه بعد هذا الكلام حمل حتى قارب أهل اليمن وجال

بين الصفين واشتهر بين الفريقين وأوسع فى المجال وطلب البراز والقتال ووبخ الرجال منهم والأبطال ثم أنشد وقال :

إذا ما الصباح من الشرق لاحا ... وغرد فى الايك طير وصاحا
تمايل سيفى فى غمده ... ونادى إلى يروم الكفاحا
ويهتز رمحى إذا ما رأى ... جميع الرجال تهز الرماحا
ويسعدنى يوم طعن القنا ... جواد إذا سار سبق الرياحا
فيا عبلة قرى ولا تفزعى ... على وخلى البكاء النواحا
ترى فارسا بطلا أينما ... تراه الفوارس ترمى السلاحا
فيا ساقى الموت حث الكؤس ... علينا فإنا نريد الرواحا
ولا تسقينى غير قطر الدما ... إذا شرب القوم ماء وراحا
وخيل الجماجم تماحنا ... وريحاننا فى قتام الرماح
وكن صابرا تحت ظل العجاج ... على الحرب إن كنت تهوى الملاحا

قال الراوى ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات ترنحت لها السادات فعندها تبادرت اليه أصحاب الغارات لأن قلوبها عليه ملآنة حرارت وطلبته فى وسع الفلوات إلا أنه ما قارب عليه منهم عشرة إلا وبددهم وعجل حتفهم وما حمل عليه أربعون إلا أهلك نصفهم وماحمل عليه مائة إلا وردهم إلى خلفهم ومازالت الفرسان اليه متبادرة وهو يطعن فيهم طعن الجبابرة حتى أهلك منهم فى ذلك اليوم مائة وخمسين وذلك غير الذى أسرهم عن يقين ورجع الباقى منهزمين وبعد ذلك ضجت المواكب والفرق وزادعليهم الغيظ والحنق وماجت الكتائب من كثرة الأرجاف واتفقت ساداتها على الغدر بعد الانصاف وأطلقت الإعنة من الجوانب والأطراف وقدأقبلت مثل سرب القطار واختلف بينهم الأخذ والعطا وانقلبت شعاب مكة بالصياح وصمت الأسماع من وقع السلاح وخافت النساء من السبى والافتضاح وجعلن يندبن على رؤس الجبال ويخمشن وجوهن خوفا على الابطال فلما علم عنتر منهن تلك الحال تلقى من الخيل بوادرها وطعن صدورها وخواصرها فعند ذلك أبصر دريد بن الصمة فعاله وماجرى فى ذلك وناله فرق قلبه ورثى لحاله وقال عامر الطفيل فى قبيلته العامرية وتزاعقت بنو عبس وأقبت مثل الأسواد الدخالية وكان فى مقدمتها ميسرة ومازن وعروة ورجاله القوية قال أبو عبيدة أحد رواة هذه السيرة وكنت فى تلك الأيام والشهور طلبت الحج إلى بيت الله الحرام والزيارة إلى زمزم والمقام فلما

حضرت فى تلك الساعة خار بصرى، مما رأيت من تلك الأمور فظننت أن إسرافيل نفخ فى الصور وقد بعث الله من فى القبور فاختلف عقلى من صلصلة الحديد وزعقات الرجال الصناديد فلما هدأ جنانى وحققت بعينى فرأيت ضوء النهار وقد عاد أبلق والغبار تسردق والرجال تمحق والسيوف تمشق والعيون بالنشاب تفلق والدماء تهرق والدروع تتقطع والنفوس تبضع فقلت فى نفسى لما رأيت تلك الأمور وقد عظم المصاب فسبحان من أنزل على هذه القبائل سحائب العذاب وأعدمها فى ذلك اليوم أرواحها وأردها مماتها فلله در عنتر وما فعل فى ذلك اليوم الأغبر من الامر المنكر وكم أسر وكذلك أخوه مازن وولده ميسرة فإنهم كانوا من النيران المعسرة وأما شيبوب البلاء المصبوب فإنه كان برسم تحصيل الأحبال وساعده جرير على تكتيف الرجال وما قصر دريد بن الصمة أيضا بفعاله لأنه خير الأبطال بقتاله وأما بنو عبس فإنهم تركوا الدماء مثل السيل ونزلوا بأعدائهم الهم والويل (قال الراوى) لهذا الديوان ولو كانت بقية الفرسان أصبحت مثل هؤلاء شجعان لكانت تفرقت قبائل العربان الذين اجتمعوا من اليمن وبنى قحطان لأن الاعداء الذى لعنتر لما نظروه وقد فعل تلك الفعال حسدوه على علو المنزلة التى هو طالبها وفعل تلك الفعال بسببها فقصروا على القتال لاسيما بنى زياد الانذال وبنى فزارة الجهال ومن يجرى بجراهم من الرجال والخيل وقد شاب من هول ذلك اليوم والليلة الشباب وجرت الدماء فى الربا والرحاب زوجها بعود سالم وغابت من شدة الغبار والكواكب واسودت الجوانب من ضياء الغياهب وانسدت الطرق والمذاهب وأنكر القريب القرائب فما أصبح الا وهم كما قال فيهم صخر بن الوضاح هذه الابيات الملاح :

| | |
|---|---|
| فيارب ليل قد قطعنا ظلامه | بحرب تخاف الاسد من نذياته |
| وفى الناس من ولى ولم يدر ماجرى | وفيهن من لم يدر رذا هامته |
| فما عاد منا سيد فى بعثته | من الطعن إلا تطعة فى قناته |
| لشدة ما قاسوه من عزصاتها | وليلهموا قد زاد فى ظلماته |
| ولى الضيا والسيف يعمل بيننا | فترتعد الاجسام من فتكاته |

قال الراوى ولم يزل الفريقان فى ضرب أصفاح وطعن ذوابل الرماح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلع الضياء وانقشع الظلام وركبت سادات العرب الكرام وركب الشيخ عبد المطلب وسادات الحرام وخرج بين أيديهم جماعة من المشايخ

أيديهما الخدام وهم حاملون الأصنام فشقوا بين الناس تحت غبار الحرب وكان الناس قد سكروا من الطعن والحرب فعندها صاح عليها الشيخ عبد المطلب وقال لهم ياسادات العرب ما لكم قد ركبتم مطية الخلاف فتركتم سنن عبد مناف أما سمعتم ما تم على عبدة النار لما أتى بهم ذو الخمار أما كان لكم في ذلك اعتبار يردكم عن مصدر منكم من إهراق الدما وتغضبون خالق الأرض والسما لأنكم أن عجتم الأربات التي تقربكم إلى الرحيم التواب والصواب أنكم تتناصفون أو انكم من هذه الأرض ترحلون فقالت فرسان اليمن أخبرنا كيف يكون الانصاف تريد أن تذل لعبد بنى عبس وهذيانه وشقشقة لسانه هذا لا يكون أبدا فقال له عنتر يا حاكم العرب وحرمة شهر رجب لم أرجع عن قصيدتي بكل سبب حتى أعليها ويسجد لها منهم أهل المنازل والرتب ولم يخطر والى على بال إذا كانوا نزلوا بالبراز أنصفوني وبعد ذلك تأمرهم أن يخرجوا إلى من كل قبيلة عشرين من الشجعان ويبارزوني في حومة الميدان فإن قهروني عدت بالارغام وإن قهرتهم علقت قصيدتي على البيت الحرام قال فعندها تعجب الشيخ عبد المطلب من كلامه وزاد ضحكه وابتسامه ثم أنه بلغ الحديث إلى فرسان اليمن ولمن في ذلك المقام قد حضر فقالوا والله إن عنتر أذل وأحقر وفي غداة غد يرى ما يقع به من الأمر المنكر ثم أنهم تأخروا ونزلوا للراحة في تلك الأماكن الفياحة وعاد عنتر هو وأصحابه ومعهم أكثر من ألف أسير وهم مربوطون في حبال الذل والتعبير وهو يقول للشيخ عبد المطلب ياسيد الحرم إن بارزوني في غداة غد كان بها وإلا قدت أصحاب القصائد المعلقة والأسارى الذين عندي وضربت رقابهم وأتركهم حيارى إن عصوا أمري ولا يسجدوا لشعري فقال دريد بمثل هذه الأقوال تتم لنا الأحوال (قال الراوي) لهذه الأقوال ولو كان ذو الخمار حاضرا في هذه الفتنة ما قعد عن نصرة أهل اليمن وإنما كان في سجن السيد عبد المطلب في القيود والأغلال وموكل به جمع من الرجال لأجل ما أتى بعساكر الأعجام وطلب هدم البيت الحرام وسبي ما فيه من الحريم البنات وكان قد استغاث بدريد بن الصمة فما رضي أن يشفع فيه وكان يتمنى له الأذية وذلك من كثرة جهله وشيطنته الغوية (قال الراوي) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابي والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح قامت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وكان عنتر عليه يومئذ درعين مانعين أحدهما من كثرة ما عليه من الذهب سموه الذهبي والثاني منها الدرع الاجيجي الذي كان للجلاح اليثربي لان الملك قيس كان وهبه إياه لاجل أنه له حامي وهو متقلد بسيفه الظامي وقد صف رجاله وأشهر أبطاله وصال وجال وأنشد يقول :

عفت الطلال وباقى الاطلال ريح الصبا وتصرم الاحوال
كفت معانيها وأصبح رسمها يزداد وكف العارض الهطال
فلئن صدمت الخيل يا ابنة مالك وسمعت فى مقالة العذال
فسلى فعلك تخبرى بوقائعى عنــد القتال وموقف الابطال
والخيل تعثر بالقنا فى جحفل تهوى وتحل كل مجال
وأنا المجرب فى الوقائع كلها من آل عبس مصى وفعال
منهم أبى شداد حقا والذى والام من حام وهم أخوال
ولرب قرن قد تركب مجندلا فى القاع يلقى أسول الاحوال
تناوشه جراب الذئاب وغيرها فى مهمة متمة متمزق السربال
أو كرته بدبيب رمح خارق ربيت عليه مفاصلى وخصال
ولربما خيل قحمت غبارها ما صائلا كربا ولا حجا
وسربال خلق الحديد مدملج كالليث بين عرينة الاشبال
عادرته للحرب غير مقيد متفر الآصال عنــد محال
من آل ضبية بالفخار معود فيها عقائد ضوؤها كهلال
وكواعب بيض الوجوه نواعم يمشون فى خفر وحسن دلال
من مثل قومى يوم مشتجر القنا وإذا برزت مواقف الابطال
فهم الحماة إذا النساء تحسرت عند اللقاء ويوم كل مجال
أفدى لقومى عند كل ملمة نفسى وراحلتى وسائرا مال
فنهم السهام لمن أراد وقائعا الضاربون بكل أغلب عال
يأتوا الصريخ على جياد ضمر خمص البطون كأنهن سعال
من كل صوام العنان مضمر ومجرب عبل الشرى ذيال
فسلوا بنى الريان لما أن بغوا وسلوا الملوك وكل قرن عال
ولقد كررت على قضاعة كرة بالانعمين وزاد فيه مجال
وبنى وشاح قد تركنا جمعهم حزروا بذات الاسل فوق ومال
زوناهموا والخيل تعثر بالقنا وبكل أبيض صارم فصال
وأنا المنية فى المواقف كلها والضرب منى قاطع الاوصال

قال الراوى فلما فرغ الامير عنتر البطل الهمام من هذا الشعر والنظام نادى برفيع صوته بو تلك الاقوام هل من مبارز اليوم هذا يوم الافتخار فى موقف الاخطار (قال الراوى)

فما أتم بين تلك الخلائق كلامه حتى برز إليه فارس فى الحديد غاطس وهو كأنه الأسد العابس يقال له حجام بن قطام وفى عاجل الحال صار قدامه وقال له سدفاك يا أسود يا زنيم ويا بغل يا لئيم فإن الذين قتلتهم وسبيت حريمهم وذكرتهم لوكانوا رجالا ما قهرهم مثلك فى المجال فقال له عنتر ستعلم أنى بطلها الأمجد وأسدها الضيغم الأوحد قال الراوى لهذا الكلام وكان هذا حجام له من العمر مائة وثمانون عام وحيلة وقواه باق إلى تلك الأيام على التمام وكان له حجره اسمها شهاب لا يعتمد فى الحرب إلا عليها علم ولا يحمله فى المجال سواها لثقل جسمه وكبر جثته لحمل على عنتر ومد إليه السنان والتقيا فى ساحة الميدان وفتحا فى الحرب أبوابا باحسان حتى حير ابفعالهما جميع الفرسان واستقام بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة حجام الكندى ولما أن وصلت الطعنة إلى عنتر زاغ منها بمعرفته وصبر عليها حتى حازته ومد يديه إلى الرمح وقبض عليه من وسطه وجذبه منه فكاد أن يخلع كتفه ويقلع كبده وتركه حتى حاذاه وعبر عليه وطعنه بعقب الرمح فألقاه إلى الأرض والفلا وفاضت من مناخيره الدما ونادى شيبوبا فأتى إليه وأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وبعد ما جال عنتر وصال وطلب البراز والنزال فبرز إليه عمر بن أخى حجام الكندى ملك بنى كنده فالتقيا بين الفريقين وتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين واختلف بينهما طعنتان فكان السابق بالطعنة عمرو إلا أنه كان أعجل فى ذلك الأمر فزاغ منها عنتر ودار سنان رمحه إلى وراه وطعنه فى جنبه قلبه عن مركبه وفى ساعة الحال طلع أوثقه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف ثم أن عنتر صال وجال وأنشد يقول هذه الأبيات

حلفت برب مكة والصفاء  وحق منى ومن فوق السما
لو اجتمعت ملوك الأرض جميعاً  ومن سكن البحار مع الفضا
يردونى عن التعليق قهرا  لارغمت المغاطس فى اللقا

(قال الراوى) ولما تم عنتر هذا الشعر والنظام برز إلية زيد بن حجام وأجاب على شعره والنظام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول .

أنى مقـــسم برب منى  مع قبيس والركن والبطحاء
لو أتت العداة والخلق جمعاً  وساكنوا الغبراء والخضراء
لتراهم ملقين على الأرض صرعى  أسباع تنوشهم فى القفـــاء
فاقدم الآن نحو ليث همام  ترتعد الأسد منه عنـــد اللقاء

(قال الراوى) فلم يترك عنتر يتم الكلام وذلك الشعر والنظام حتى ضربه بالحسام طير منه

الهام نحو عشرة أدراع تمام فبعدها جال وصال فطلبب الحرب والقتال ونادى وقال من أعجبته هذه الفعال فليكثر من المقال فعندها وقفت عنه الأبطال من فرسان بنى كندة المعروفين فى كل شدة فقالوا ماهذا إلا رجل جبار لا يصطلى له بنار وكل من خرج إليه أورثه الدمار فعندها برز إليه بطل وكان يقال لهذا البطل قاهر بن هلال فبرز إلى عنتر فى ذلك النهار فقال له دع عنك هذا الافتخار فقد أتاك الليث الكرام ثم أنه حمل عليه ومد سنانه إليه وما كان بين يديه إلا كنفس نافس أو شهاب قابس حتى انخطف عليه عنتر وتعلق بأطواق درعه فعصر عليه فكاد أن يطير مقل عينيه لجذبه فأخذه أسير فانقض عليه شيبوب مثل الريح الهبوب فأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف قال الراوى كان قد ضاق النهار فأتى وقت اصفرار وهم عنتر والفرسان أن يعود من ساحة الميدان فقد صار من أدمية الفرسان مثل شقيقة الارجوان فاعترضه فارس من الشجعان فكان ذلك الفارس ابن أخى الجوان الذى جرى له مع عنتر ماجرى فالتقيا بحرب أمر من الصبر وأحر من الجمر وأجرى من تيار البحر فتطاعنا طعنا أدق من الشعر فقد زادت بينهما الكروب ودامت الحرب إلى أن دنت الشمس إلى الغروب فخاف عنتر أن يعود خصمه من بين يديه سالم فيعجزه ملوك العوالم فسد عليه طرائقه وطلب المعونة من المولى خالقه وأطبق عليه حتى وصل إليه وقلب سنانه إلى ورائه وطعنه بعقبه أرداه فاهو إلا أن صار ملقى على الفلاه والأرض حتى جرى شيبوب وعليه انقض فشد فى الحال كتافه وقوى سواعده وأطرافه وكاد أن يورثه كاس تلافه فعاد وهو يقوده إلى عند قومه وعشيرته فعندها دخل عنتر إلى مضربه فتلقته عبلة بنت عمه فقامت إليه وخلعت الدرع من على جسده قال الراوى وكان تحت الدرع ثلاثة أثواب من الحرير فوجدتها قد تمزقت وتزاحم الحديد عليها فقلعته إياها وألبسته غيرها ثم أنها ضحكت مما بنت من ذلك فقال لها ما تضحكين يا ابنة مالك فقالت يا ابن العم فقال هذا لأجل عينيك وعلو قدرك وارتفاعا لجدك ياصاحبة الوجه المليح والقد الرجيح قال فعند ذلك فرحت عبلة بكلامه وحلاوة لسانه وقالت يا ابن العم انى أحببت فى غداه غد أركب وألبس آلة الحرب والكفاح وأطلع أتفرج على مايجرى لك مع الابطال فقال لها عنتر افعلى ما بدا لك فأنى لا أخالف مقالك قال الراوى فلما استقر بعنتر المقام دخل عليه الاصدقاء والخلان وأقبلت حماة القبائل الشجعان والابطال والمعودين بلقاء الشدائد والاهوال مثل دريد بن صمة

وهانى بن سعود والملك قيس ومثل هؤلاء الأبطال والسادات الاعيان فهنوه بالنصر على بنى قحطان فقام إليهم وقبل صدورهم وأيديهم وشكرهم وأثنى عليهم قال الراوى فهذا ماجرى لعنتر وأصحابه ومن معه من الفرسان وأما ما كان من قبايل اليمن من بنى كندة وبنى قحطان فانهم اجتمعوا عند الاشعث الكندى وكل منهم جعل يحدثه ويعيد ويبدى وقالوا له الاترى ماجرى علينا من هذا الأسود الزنيم والشيطان الرجيم وقد عجزنا عن قتاله وصدامه وحربه ونزاله فقال لهم أنا غداة غد أبرز إليه واخذ روحه من بين جنبيه قال مجد بن هاشم الراوى لهذا الكلام ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت القبايل تطلب الحرب والكفاح والطعن بعوامل الرماح وطلعت بنو هاشم وتلك الأمم وقام الحرب على ساق وقد وركبت بنو عبس وفى مقدمتها فارسها الأدهم وسيفها الخذم وركبت عبلة وهى متقلدة بصفيحة هندية ومعتلة بقناة خطية وعلى رأسها بيضة عادية ثم أنها وقفت بين أبوها وعمرو أخوها فاستفتح عنتر الحرب وقفز إلى مكان الطعن والضرب وجال وصال وطلب البراز والنزال فبرز اليه فارس يقال له الد قال وكان يلقب بنضاح الرجال فكان له من العمر مائة وخمسون عام قهر فارس فى الصدام لا نقصت همته عن الالتزام فأطبق على عنتر من غير شعر ولا نظام فطلع على الاثنين القتام واشتد بينهما القتال والصدام وداما على ذلك حتى أشرفا على شرب كاس الممالك فخاف عنتر أن يراه عبلة بين النقصان فدمدم دمدمة الأسد الغضبان وحمل على خصمه حتى حك الركاب بالركاب وانقض عليه انقضاض العقاب وصرخ فيه فغاب عن الصواب وتعلق باطواقه وعصر عليه كاد أن يخرج مقل عينيه وجذبه وأخذه أسيرا وتاده ليلا حقيرا ونادى باخيه شيبوب فطلع عليه مثل ريح الهبوب ويسلمه منه وأوثقه كتافا وقوى منه السواعد والاطراف ثم أن عنتر صال وجال وطلب البراز والنزال فبرز إليه ثانى فاسره والثالث دمره والرابع قهره والخامس على التراب عفره ومازال إليه فارس بعد فارس حتى أسر أربعين وجرح أكثر من ذلك فعندها رجع عنتر إلى ورائه فتلقته عبلة وقبلته فى صدره وبين عينيه وقالت له يا ابن العم لقد حظيت عندى بالمرام وقد أخذ عنتر الراحة إلى المنام بعدما أكل الطعام ثم أنهم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها لبس عنتر آلة الحرب والكفاح وركب جواده ودارت به عبيدة فعند ذلك برز عنتر وصال وجال وأنشد وقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات .

يا آل مذحج من سليم وخثعم      هل من فتى حامى الحقيقة مغرم

قسما وحق البيت والركن قد شيدوه من قريش وجرهم
لاعلقن قريض شعرى بعدما أسقى الفوارس كاس مر العلقم
وتظل عبس حول مكة رافعى أصواتهم لقصيدتى بترنم
هل غادر الشعراء من مترنم فى حسن عبلة واصفا متكلم
أم هل عرفت الدار بعد توهم أنى مقيم فى الديار منعم
لو كنتموا فى غير مكة والصفا لتركتكم رزق النسور الحوم

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والقول خرج إليه فارس يقال له جرير بن الغول وهو من بنى مراد الأجواد وكان فارسا قسورا وليثا غضنفرا راكبا على حصان أشقر عال من الخيل مضمر إذا جرى يلحق لمح البصر متقلدا بسيف أبتر معتقلا برمح أسمر عليه سنان ينفذ من الحجر ويسبق القضاء والقدر فناداه يا عبد السوء أحوجت الضرورة أن أخرج لمثلك ولكن الضرورة تلجىء إلى هذا أكثر وما كان تأخيرى عن قتالك الا احتقارا بك وبامثالك ومخافة من العار والذل والشنار فقال عنتر يا ابن الأنذال هذا القول منك محال ولا بد من قتلك أو أسرك فى المجال ثم أنه حمل عليه ومال بكليته إليه وتطاعنا بالرماح حتى زهقت منهم الأرواح وتعجبت منهم الأبطال مما جرى بينهما فى المجال وزادت عليهم الأهوال وأبصر جرير وغول من عنتر قتالا ما خطر له على بال فانطرد بين يديه ليطمعه فيه ويعود اليه فعرف عنتر قصده ومرامه فلما عرف جرير بن الغول أنه غرق فى طلبه رد عليه العنان وصوب اليه السنان وطعنه فخاف عنتر من الطعنة على الحصان فحاد عنها بمعرفته وصبر عليها حتى حاذته وضرب عنتر الرمح أبراه كما يبرى الكاتب القلم فرماه من يده وقد أيقن جرير بفناه وهم أن يجرد سيفه من غمده فادهشه عنتر عقه خبلة وهم أن يضربه بسيفه فاستتر منه بدرقته فانقض عليه عند دهشته وتمكن منه ومن درعه فاقتلعه من بحر سرجه ونادى إلى أخيه شيبوب فانقض عليه مثل الريح الهبوب وأوثقه كتافا وقوى منه السواعد والأطراف وبعد ذلك طلب عنتر البراز وسال الانجاز فلم يبرز اليه أحد من الرجال ولا من الفرسان الأبطال فصال وجال وأنشد وقال

كم موقف فيه الغبار مخيم من الصوارم والرماح الذبل
شهدته بجنـــان ما ألم به خوف ولا مسه ضرب من الوجل
ما الفخر عندى إذا نقع الغبار سوى المضارب فى الهامات والقلل
والفخر من ضربة فى الرأس ناشبة وطعنة رسمها فى الوجه لم يزل

والفخر وإقحام مهرى فى معامعها … أردى الكماة بمهران من الأسل
بالاسمر اللدن والسيف الصقيل وما … قد ناله البطل المغوار فى العمل
أقود كل كمى فارس بطل … قود البعير به من ذلة الخبل
فاى فخر إذا ماقدت سادتكم … مصفدين كقود التيس فى عقل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذا المقال ترنح فى سرجه ومال وطلب البراز فبرز اليه فارس من الفرسان يسمى ربيعة بن السكران وكان شيطانا فى صورة إنسان عارف بمواقع الضرب والطعان فحمل على عنتر فى طابق الجولان وجال عليه وقد ثبتا للقتال ولم يزالا على ذلك الحال حتى عول النهار على الارتحال فعندها خاف عنتر أنه ما يبلغ من صاحبه آمال. فال إليه ورمى بكليته عليه وجذب رجله عن مركبه ورجع وهو يقوده إلى الخيام وعنتر عاد إلى مضاربه والخيام فتلقته عبلة بنت مالك وأخذته بعلو الاحضان وقالت له يا ابن العم. فرحت لك بالنصر على الأعداء فلا أرانى الله فقدك أبدا فعندها شكرها عنتر على مقالها وزاد فى المدح والثناء عليها وبات عندها فى حظ وانسرح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلى على زين الملاح رسول الله الملك الفتاح فعند ذلك لبس عدته وأتى له شيبوب بجواده فركب على صهوته وسار إلى الميدان قال الراوى فهذا ما كان له من الأمر والشأن وأما عساكر بنى قحطان فانهم باتوا بالذل والارغام حيارى فى تلك الأيام. من الهول فعندها اجتمعوا عند أمرؤ القيس بن حجر الكندى وقالوا له ألا ترى ما حل بنا من هذا العبد الأسود والصلد الانكد فقال لهم امرؤ القيس غداة غد أنزل إلى الميدان وأفرجكم على ما يجرى بينى وبينه فى طابق الجولان وأنا ما أخرت نفسى فى هذه الأيام إلا احتقارا به وغدا أبرز إليه وأصفع قزاله وأذل سباله ثم أنهم باتوا على هذا الايضاح إلى أن أصبح الصباح فعندها لبست الفرسان عددها وتقلدت بنصولها وركبت خيولها واصطفت رجالها وتحضرت إلى حربها وكفاحها قال الراوى فبينما هم كذلك واذ زعقة زلزلت الجبال ورجت الاودية والتلال فتبينوا من زعق الزعقة وإذا به حية بطن الوادو قادح الزناد الأمير عنتر بن سداد وهو يقول دونكم والميدان يا أنذال بنى قحطان واجعلوا هذا اليوم يوم الانفصال والا حرقت قصائد فصحائكم التى على البيت الحرام قال الراوى لهذا الكلام فما تم عنتر مقاله إلا وامرؤ القيس قد صار قدامه وهو راكب على جواد ليس له مثال وعليه عدة حرب كاملة الاشكال ثم أنه لما تقارب من عنتر فى الميدان قال له ويلك يا فارس الزمان قد صح

عندي وعند كل أحد من الفرسان والشجعان أنك فصيح اللسان ثابت الجنان وأنت موقد نار الحرب إذا ردت ومصطليها إذا أضرمت ولكن ياقى أنت لسبك معلول وعندنا وعند كل العربان فقال له عنتر كانك أنت الاخر من أصحاب القصائد المعلقات فقال له امرؤ القيس نعم أيها الفارس الهمام والاسد الضرغام فقال له عنتر أنشدنا منها حتى أسمع ماقلت وأفهم وأقيس كلامك على كلام من قبلك تقدم فعند ذلك أشار امرؤ القيس بن حجر الكندي ويقول ونحن وأنتم نصلي ونسلم على سيدنا محمد الرسول .

( هذه القصيدة اللامية لامرىء القيس بن حجر الكندي وهي أحد المعلقات السبع على البيت الحرام وقد افتخر بها بالانشاد عند الصدام لفارس الفرسان الأسد الضرغام الامير عنتر البطل الهمام )

| | |
|---|---|
| قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل | بسقط اللوى بين الدخول فحومل |
| فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها | لما نسجتها من جنوب وشمال |
| وقوفا بها صحبي على مطيهم | يقولون لاتهلك أسى وتجمل |
| وأن شـــفائي عبرة مهراقة | فهل عند رسم دارس من معول |
| كدابك من أم الحويرث قبلها | وجارتها أم الرباب بمأسل |
| إذا قامتا تضوع المسك منهما | نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل |
| ففاضت دموع العين مني صبابة | على النحر حتى بل دمعي محملي |
| ألا رب يوم كان منهن صالح | ولا سيما يوم بدارة جلجل |
| ويوم عقرت للعذارى مطيتي | فيا عجبا من كورها المتحمل |
| فظل العـــذارى يرتمين بلحمها | وشحم كهداب الدمقس المفتل |
| ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة | فقالت لك الويلات إنك مرجلي |
| تقول وقد مال الغبيط بنا معا | عقرت بعيري يا امرء القيس فانزل |
| فقلت لها سيري وأرخي زمامه | ولا تبعديني من جناك المعلل |
| فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع | فألهيتها عن ذي تمائم محول |
| إذا ما بكى من خلفها انصرفت له | بشق وتحتي شقها لم يحول |
| ويوما على ظهر الكثيب تعذرت | علي وآلت حلفة لم تحلل |
| أفاطم مهلا بعد هذا التدلل | وإن كنت قد أزمعت صرما فاجملي |
| أغرك مني أن حبك قاتلي | وأنك مهما تأمري القلب يفعل |
| وإن تلك قد ساءتك مني خليقة | فسلي ثيابي عن ثيابك تنسل |

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى      بسهميك فى أعشار قلب مقتل
وبيضة خدر لا يرام خباؤهـــا      تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا      على حراصا لو يســـرون مقتلى
إذا ما الثريا فى السماء تعرضت      تعرض أثناء الوشاح المفصل
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها      لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيـــلة      وما إن أرى عنك الغواية تنجلى
خرجت بها أمشى تجر وراءنا      على أثرينا ذيل مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى      بنا بطن حبت ذى حقاف عقنقل
هصرت بفودى رأسها فتمايلت      على هضيم الكشح ريا المخلخل
إذا التفتت نحوى تضوع ريحها      نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
إذا قلت هاتى نولينى تمايلت      على هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضـــة      ترائبها مصقولة كالسجنجـــل
كبكر مقاناة البياض بصـــفرة      غذاها نمـــير الماء غير المحلل
تصد وتبدى عن أسيل وتتقى      بناظرة وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش      إذا هى نصته ولا بمعطـــل
وفرع يزين المتن أسود فاحم      أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائرها مستشزرات إلى العلا      تضل العقاص فى مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر      وساق كأنبوب السقى المذلل
وتعطو برخص غير شثن كأنه      أساريع ظبى أو مساويك إسحل
تضىء الظلام بالعشى كأنهـــا      منارة ممسى راهب متبتل
إلى مثلها يرنو الحليم صبابة      إذا ما اسبكرت بين درع ومجول
تسلت عمايات الرجال عن الصبا      وليس فؤادى عن هواك بمنسل
ألا رب خصم فيك ألوى رددته      نصيح على تعذاله غير مؤتل
وليل كموج البحر أرخى سدوله      على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطـــى بصلبه      وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى      بصبح وما الاصباح فيك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومـــه      بأمراس كتان إلى صم جندل
كأن الثريا علقت فى مصامها      بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وقربة أقوام جعلت عصامها ... على كاهل منى ذلول مرحل
وواد كجوف العير قفر قطعته ... به الذئب يعوى كالخليع المعيل
فقلت له لمــا عوى أن شاننا ... قليل الغنى إن كنت لمــا تمول
كلانا إذا ما نال شيأ أضاعه ... ومن يحترث حرثى حرثك يهزل
وقد اغتــدى والطير فى وكراتها ... بمجرد قيــد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطة السفل من عل
كميت يزل اللبــد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتنزل
عن العقب جياش كان اهتزامه ... إذا جاش فيه حميه غلى مرجل
مسح إذا ما السابحات على الونى ... اثرن غبــارا بالكديد المركل
يزل الغلام الخف عن صهواته ... ويلوى باثواب العنف المثقل
دريد كخذروف الوليــد أمره ... تتابع كفيه بخيط موصل
له أيطلا ظبي وساقا نعامة ... وارخاء سرحان وترقيب تنقل
ضليع إذا استدبرته سد فرجة ... بصاف فويق الأرض ليس بأعزل
كأن على المتنين منه إذا انتحى ... مداك عروس أو صلاية حنظل
كأن دما الهاديات بنحره ... عصارة حنــاء بشيب مرجل
فعن لنــا سرب كأن نعاجه ... عذارى دوارى فى الملاء المذيل
فادبرن كالجزع المفصل بينه ... بجيــد معم فى العشيره مخول
فالحقنا بالهاديات ودونه ... جواهرها فى صرة لم تزيل
فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دوا كا ولم ينضح بمــاء فيغسل
فظل طهاه اللحم من بين منضج ... صفيف شواء أو قدير معجل
ورحنا يكاد الطرف ينقض رأسه ... متى ماترق العين فيــه تسفل
فبات عليــه سرجه ولجامه ... وبات بعينى قائما غير مرسل
أصاح ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليــدين فى حبى مكلل
يضىء سناه أو مصابيح راهب ... امال الســليط بالذبال المفتل
قعدت له وصحبتى بين ضارج ... وبين العذيب بعــد ماممتأمل
على قطنا بالشيم أيمن صوبة ... وأيسرة على الستــار فيذبل
فاضحى يسح الماء حول كتيفة ... يكب على الاذقان دوح الكنهبل
كان ذرى رأس المجتمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل

والتى بصحراء الغبيط بعاعة ‏ نزول اليمانى ذى العباب المحمل
كأن سباعا فيه غرقى عنية ‏ بارجائه القصوى أنابيش عنصل

قال الراوى فلما فرغ امرؤ القيس من هذا الشعر والنظام تعجب عنتر البطل الهمام من ادغام معانيها وظرف قوافيها ثم أن امرء القيس قال لعنتر يا أبا الفوارس وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أنت إلا بطل ضرغام وأسد همام وما نحن الاقطرة من بحارك وشرارة من نارك ولولا هؤلاء العربان الحاضرون والسادات المجتمعون فى هذه المقامات وأنا من أصحاب القصائد المعلقات فما كبت حاربتك ولا فى مثل هذا اليوم قاتلتك ولكن يا أبا الفوارس من الرأى الصائب الذى أقوله لك وهو أن تحمل على وأحمل عليك من غير أن توصل الاذية إلى ولا أوصلها اليك حتى إذا انعقد علينا الغبار سلمت روحى إليك وأسير مأسورا بين يديك فقال عنتر وقد أعجبه حسن كلامه والله يا مولاى لولا أنى قد ابتليت بهذا الأمر ما كنت قاتلت فى هذا المقام مثلك ثم أنهما حملا على بعضهما وجالا فى ساحة الميدان طولا وعرض ولم يزالا على ذلك الحال قدر ساعة من النهار وقد علم امرؤ القيس من عنتر الفارس الكرار أنه عليه وعلى غيره ثقيل العيار وأرجح منه بالدرهم والقنطار فعندها ترجل امرؤ القيس عن جواده وسلم نفسه إلى عنتر لما تأكد عنده أنه ماهو من رجاله فسلم نفسه للقضاء والقدر وفى عاجل الحال انقض عليه شيبوب وكتفه كتفا خفيفا وساقه بين يديه سوقا لطيفا ولم يؤده من دون الجمع ولا أظهر له جفاء إلى أن أتى به إلى بنى عبس ثم أن عنتر بعد ذلك طلب البراز وسال الانجاز فقصرت عنه الفرسان وهابته الشجعان ولم يبرز إليه أحد لا أبيض ولا أسود فلما طال به الوقوف رجع من الميدان وهو يقلب على القتال ملهوف فعند ذلك تلقته بنو عبس وبنو عامر وهنوه بالسلامة الاكابر منهم والأصاغر وكذلك بنو جشم وهوازن ودريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة وطابت بفعال عنتر جميع الخواطر وتلقاه المحبون أحسن ملتقى وبه افعلوا فى حقه زال عنه التعب والشقاء ثم بعد ذلك عودوا إلى الخيام وبين أيديهم العبيد والخدام ولما نزلوا واستقر بهم المقام أحضرت بين أيديهم موائد الطعام فأكلوا ولما اكتفوا دار بينهم الكلام وجعلوا يدبرون ماقام بهم من المرام إذ أصبح الصباح وما رأوا من امتناع الفرسان الأوقاح عن الحرب والكفاح فقال عنتر البطل الهمام وذمة العرب الكرام إن برزت غدا إلى مقام الحرب والصدام وطلبت منهم القتال ولم يبرز لى أحد منهم من الأبطال فسوف أريكم ما أعمل بهم من الهم والنكال وهو أننى رأى الصائب

بأنه لاتنحل هذه الأمور المعطلات إلا أن قدمت أصحاب القصائد المعلقات مع من أسرته من الفرسان والسادات وضربت رقاب الجميع وبذلك تنحل منهم العزمات إن هم عصوا أمرى ولم يسجدوا لشمرى قال ولما سمع دريد بن الصمة ذلك المقال قال له ياأبا الفوارس وسيد الأبطال وعلى مثل هذه الأمور تنتهى الأحوال ثم باتوا على ذلك الحال وهم فى قيل وقال إلى أن أذن الله تعالى الليل بالارتحال وأقبل النهار بالانهمال فعندها ثارت الطوائف تطلب الحرب والقتال والطعن والنزال وقد أشهروا فى أيديهم السيوف الصقال والرماح الطوال فعندها اعتدلت الصفوف ورتبت الالوف وعزموا على شرب كاسات الحتوف وقد ضاق ذلك المكان الواسع بالخلق وامتلأت بهم شعاب مكة غربا وشرقا وسيما جبل حراء وارتفاعه فعندها قال عنتر لدريد بن الصمة يامولاى قد اشتهينا أننا نعلم مافى قلوب أعدائنا من الأمور إن كانوا قد عولوا على المبارزة أو يحملوا الكل حملة واحدة فقال له دريد أنا أبين لك وننظر مايفعلون فى هذا اليوم المبارك من الأمر المتدارك ثم أن دريد أمر دثار بن زروق أن يفتح باب الحرب وينظر هل بقى أحد منهم يبرز إلى الطعن والضرب فعندها خرج دثار على جواد من الخيل الجياد وكان مسربلا بالحديد وهو فى سرجه كأنه البرج المشيد وكان دثار بن زروق فارسا لايطاق وتلقاه مر المذاق لأنه تربيه دريد بن الصمه وقد لاقا كل بليه مدلة إلا أنه لما صار فى الميدان صال وجال حتى هدأ مرح الحصان وطلب البراز من عرب بنى قحطان حتى يرى عنتر ودريد بن الصمة من بقى من الأعداء يبرز إلى الميدان ثم أن دثار أن الأسد الزوبازعق باعلى صوته وقال هل من مبارز هل من مناجز فهذا مقام الافتخار إن كنتم فرسانا أخيار ثم أن دثار صال على الفرسان من كل جانب ومكان فعندها خرج إليه منهم فارس من بين هذه المواكب وعيناه تلوحان من تحت المغفر كأنهما الشهب الثواقب وجال بين الفريقين حتى أبهرت من رؤيته كل عين وحير كل راجل وراكب من الطائفتين ولما أن هدأ مرح الحصان وقف قدام الأمير دثار وأشهر نفسه للنظار وإذا به رزى الحال منكسر البال وعليه زرديه قد ركبها الصدأ وصدرها وجوانبها مخضبه بالدماء وفى يده سيف صقيل خفى اللمعان والبريق وعلى عاتقه رمح طويل وذلك الفارس طويل القامة هائل المنظر وللاهوال عليه شواهد وأثر فعندها تعجبت الفرسان من حوله وقد سكت حتى تسمع مقاله وإذا به يقول لدثار يافارس الحجاز أعلم أننى رجل قليل الخبرة بالبراز وماخرجت اليك إلا حتى أجد بروحى بين يديك فى ضرب الحسام وطعن القنا لما أن سمعت أنكم قد عزمتم على نيل المنا فدونك والمجال على سبيل الاختبار ولفرحة فى القتال تحت الغبار فقال له دثار أفعل مابدا لك وأحترز على نفسك عند فعالك لأن

الأجل إذا حضر عمى عنه البصر وما يكون للعبد منه مفر ثم أنه بعد ذلك حل دليا وحدثته نفسه أن ذلك الفارس فى قبضته وقد صدمه وحار به فصدها أستقبله هدا وزعق عليه ودخل فيه دخول الأسد الوثوب وقبض على حديده من أطواقه ثم أقتلعه من بحر سرجه وكان خلفه جماعة من العرب فسلمه إليهم ثم عاد إلى الميدان وقد تحيرت من فعاله جميع الفرسان ثم قالوا يا للعجب من هذا الإنسان الذى خرج خروج الذليل وقد فعل الجبابرة الشجعان قال فاتم هذا الحال حتى خرج اليه خفاف بن ندبة مثل العقاب وأخذ معه فى الضراب ولكنه ما أقام معه إلا شيئا يسيرا حتى أخذه أسيرا فخرج من بعده ميسرة فاخذه هذا الفارس مثل لمح البصر ثم أخذ من بعده مازن وحجار وعمرو بن معد يكرب الزبيدى فاخذه ثم خرج من بعده غشم بن مالك فاخذه فمازال على مثل ذلك الحال حتى أخذ عشرين بطلا وكان آخر من خرج إليه عامر بن الطفيل لأن عنتر كلما طلب الخروج إليه تسبقه الفرسان فلما حمل عامر بن الطفيل وأبصر الغلام وقد حمى فى قتاله وأوسع بين الصفوف فى مجاله وأظهر النشاط من بعد الكسل صار يطعن طعنا تبطل عنده الحيل فقال عنتر لدريد بن الصمة والله ما هذا الغلام الأجبل لا يرام وما عامر معه إلا على غاية الخطر لأنى أراه بالحرب منه أخبر وما أدرى من أين وصل هذا الشيطان إلى بنى قحطان وكدر علينا عيشنا بعد ما أشرفنا على بلوغ المنا فقال دريد يا أبا الفوارس هكذا طبع الزمان تحدث الكدر من بين الصفا ويغدر بأهله إذا طلبوا منه الوفا وها قد صار مع أعدائنا من ساداتنا ما يفدون به أسراهم ويبلغون منا مناهم ويكون قد ضاع تعبنا وما تم فعلنا فقال عنتر صدقت ولكن هذا كله من سوء تدبيرى ولو كنت سبقت عند الصباح إلى المدان ما كان تم علينا هذا الأمر وما عرفت أن أهل اليمن يرجعون لمبارزتنا بعد ما نزلوا عن قتالنا وعرفوا حربنا ونزالنا قال الراوى لهذا المقال ودام القتال بين فارس اليمن فارس الكرار وعامر بن الطفيل حتى تصرم النهار واقترب الليل وكان عامر اثخن بالجراح وكل من الجلاد والكفاح فعند ذلك أخذه الغلام أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وبعدها عاد وقد زاد الحنق بعنتر بن شداد ومن شدة غيظه ما استطعم بزاد ولا طلبت أجفانه الرقاد بل بات يحرس قومه على ظهر جوادة وهو يتمنى لو كان ليلا لبس حلة السواد وعلم دريد وهانى والفرسان بحال عنتر فعذروه وحفظوا معه قبائلهم وسامروه وباتت قبايل اليمن تصيح بالسرور والأفراح حتى أقبل الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك ثارت الجيوش مثل موجات البحار فملا البرارى والقفار وكانت طوائف الحجاز قد ظنت أن

الفارس اليمانى ذو الخمار فاصبحوا فى قلوبهم منه النار ولما استقرت الفرسان فى الميدان
وعمل الضرب والطعان عندها قفز عنتر بين الصفوف وأحدقت باعينها إليه المئات والألوف
وكان هانىء قد أراد الخروج إلى ذلك الفارس فامكنه عنتر من ذلك وقال له يا أخى إن قلبى عليه
قد امتلأ وما يعرف حرارة النار إلا من يكون بنارها قد اصطلا ثم أن عنتر لما تقارب من
فرسان بنى قحطان طلب منهم البراز والطعان فعندها خرج إليه الغلام بالدروع وفرسان اليمن
حوله قد أعلنوا بالصياح وهم يريدون أن يتفرجوا على حربه والكفاح وينظرون قتاله
وكانوا قد عرضوا عليه جوادا وعدة حرب وجلادوهو لا يلتفت إلى أحد من العنادبل قال
ما رفيق إلا الجواد الذى امتطيته وسلاحى الذى قد عرفته فقالوا له أهل اليمن وهؤلاء الأسارى
الذين وقعوا فى يدك تريد أن تمن علينا بهم حتى نفادى بهم أسرانا ونأخذ من الباقين بثار
قتلنا فقال لهم أما هؤلاء الأسارى أنا ما أقدر أفرط فيهم حتى أخذ هذا الأسود الذى وصفه
بالشجاعة ثم بعد ذلك خرج إلى عنتر كما ذكرنا وساق معه فى الميدان وامتدت إليهما أعين جميع
الشجعان فقال له عنتر من أنت من فرسان قحطان والله لقد حضرت فى أشد الساعات واليوم
أنزل بك البليات فقال له الغلام ياويلك أنت فارس بنى عبس الذى تريد أن تعلق لك قصيدة
فى هذا المكان فقال له بلى وحق الملك العلام فعندها قال له الغلام ما أسرع نسيت فعلى أيها
البطل الهمام ها أنا الذى أخذت أموالكم وعيالكم وأنتم فى بلاد العجم سائرون بالحريم ولولا
لحقتنى أنت فى ذلك الحين مع رجالك الشياطين لكنت فزت بالأموال والحريم ولولا
عنتر صدقت هو أنت عصوب الكلب المكلوب فقال له أحسن كلامك وكن أدوب أنا
غصوب البلاء المصبوب واليوم آخذ منك بثار هذه الجراحات واقتل منكم السادات وما
أبقى منهم بقية فعند ذلك تبسم عنتر من مقاله وهان عليه قبيح فعاله وقال له لك أن تقول مثل
ذلك الكلام ولكن أخبرنى بحق الملك العلام فى أى وقت برئت جراحاتك وزال منها الالام
فقال له عصوب أما جراحاتى فانى ليلة هربت منك ومن أصحابك أصبحت فى براقفر وأنا
وحيد فريد وعاجز عن ركوب الجواد وتائه بين التلال فى الوهاد فلما رأيت التقصير وضعفت
نوقى عن المسير عبرت على قوم من العرب فنزلت عندهم وأنا بدمى مخضب فداوونى إلى أن
برئت جراحاتى وأتى موسم الزيارة فركبت معهم وأتيت لعلى أجتمع بك فى هذا المقام
وأجازيك على ما فعلك معى من الالام وكنت حائرا كيف أفارق القوم الذين داروا
جراحاتى وما جازيتهم على بعض فعالهم فاتفق لى هذا الحرب الذى أنتم فيه وسألت عن
سركم وعرفت معانيه فداخلنى لأجل ذلك الفرح والطرب وقلت فى نفسى لعلى أهلك العرب

وأغنى هؤلاء القوم بالفضة والذهب وأما سؤالك عن حالى و قومى ونسبي واستخبارك عن أمي وأبي فهذا ما يصلح فى هذا المكان الا عند النسوان وهذا المقام لا ينفع فيه الا ثبات الجنان والصبر على مرارة الضراب والطعان والالو ذكر الانسان كل من له من الاصحاب والخلان ما ردوا عنه ضربة من ضربات السيف اليمان ولا طعنه من طعنات السنان ثم أن الغلام أشار يقول هذه الابيات الحسان .

| | |
|---|---|
| ما يرد السنان يوم الطعان | ذكر من قد مضى من الاخوان |
| فاطلب العز بالحسام ودع | ذكر عظام درجن فى الأكفان |
| لا توالى إذا حلت وتمسى | تطلب الفجر من بنى عدنان |
| أنا سيفى أخى إذا حضر الحرب | ورمحى أبي وجدى حصان |
| وشعارى صبرى فى يوم الوغا | ويوم صوت الهياج بالشجعان |
| ورأيت الرجال يرعون خوفا | من فراق الأرواح للابدان |
| وأنادى هل من شجاع كمى | يشفى على اليوم بالطعان |
| فاخلى جماجم القوم نهبا | لسباع الفلاة والعقبان |
| ذاك يوم إذا انتسبت لقوم | كان فعلى مصدقا لبيان |

قال الراوى ثم أن غصوبا حمل على عنتر بعد هذه الابيات فقاتله عنتر وفى قلبه أمور وأحوال لا يعلم باطنها إلا رب السموات هذا وقد ارتفعت عليهم الغبار الثائرات وأحدقت اليهم الاعين الناظرات ففعل هذان الرجلان فعالا تعجز عنها السباع الضاريات واصطدما مثل الجبال الراسيات وما فى قبايل الحجاز الا من هاله فعل غصوب وكادت الاكباد عند النظرات تذوب وفرح أهل اليمن بفعلى هذا الغلام لما رأوا شدة ضرباته وأيقنوا أنه يسقى عنتر كاس مماته وقال هانىء لدريد يا أبا النظر واقه أن هذا الفارس اليمنى عظيم الخطر ولو أنه أوحد الزمان والدهر ما كان ثبت قدام الأمير عنتر لأنه والله ما يفوته باب من أبواب الحراب ولا من حسال الطعن والضرب فقال دريد يا ولدى الدهر ما يزال بالناس يتقلب ويأتى بكل عجب وما يعرفه الامن له جرب قال الراوى فبينهم الكلام وإذا بالصياح من الفارسين قد علا وارتفع حتى قلب الاقطار والفلا وخرست الالسن وامتدت الاعين وإذ بالاثنين قد تطاعنا طعنتين وكانتا واصلتين غير أن الرماح صلصلت فى اضرد وطار قطع من أطرافها فجردوا السوارم من أغمادها واعتمدوا على موتها وأسعافها وكان قتالها بالسيوف أقرب لمشرب كاس الحتوف لأنهما اقترب بالحرب حتى زاد البلاء والكرب وملأ عليهما الغبار حتى

غابا عن الابصار وداما على هذا القتال العجيب حتى كادت الشباب أن تشيب وقد صار وقت المغيب وكلت الخيل من الخبب والتقريب وشاور عنتر غصوبا في العودة فقال غصوب لا وحق مقسم الارباح وفالق الاصبح انى لاحدثا من هذا المقام براح إلا بالانفصال وبلوغ الآمال على أن هذا قبيح منك ياسيد الابطال وتدعى أنك فارس الحجاز وتطلب الاقالة من البراز ولكن الراحة لابد منها فانزل أنت ونام قوماك وتقوى باكل الزاد على الجلاد ثم أفعل أنا مثلك حتى يمضى الليل الحالك ويطلع الصباح الضاحك ونعود إلى ما كنا عليه من الجولان لاننا سودان وقد ضمنا الميدين ومابقينا نفترق حتى يفر الواحد لصاحبه بالغلبة وينال الاخر المنزلة العالية قال فلما سمع عنتر ذلك الكلام زاد به الغيظ وتمنى أنه لم يحن وكان أيضا قد استحى أن يعود إلى أصحابه فقال لغصوب افعل بافتى ما بدالك فكثير ما أهلكت أمثالك ولولا وسواس قد خطر بقلبي ما كان أتى عليك آخر النهار إلا وأنت ملقى في القفار وعند الصباح أعدمك شبابك ثم افرق قبايل أصحابك ثم أن عنتر تأخر عن الميدان وسار إلى أن قرب من قومه وكذلك فعل عصوب قال وكان هذا الغلام غصوب ابن عنتر من غمرة التي ذكرناها من بني قضاعة قبل هذا الكلام مع ماجرى لها مع عنتر من الحروب في نوبة دخول ذي الخار إلى أرض اليمن وأن عنتر غصبها على نفسها وأعطاها سيف الرقاب صداقها وأنها لما بان عليها الحمل أعلمت أباها بذلك فكتم أمرها ولم يبح بسرها فلما حان وضعها أتاها الطلق المحتوم على النسوان فخافت من الأهل وشماتة الأعداء والحساد فخرجت في بعض الأودية ووضعت هذا الغلام بأمر علام الغيوب ولما خفت عنها الكروب ورأته ولد ذكرا حنت عليه ولفته في ردائها إلا أنها أبصرته مثل فحل الجاموس وجلده أسود من الابنوس كبير الرأس منزعج الحواس أحمر الاماق واسع الاشداق كثير الصياح والزعاق أشبه الخلق بأبيه عنتر بن شداد فقالت غمرة بهذا الغلام أملك البلاد وإن أنا عشت حتى يصير في عداد الفرسان عشت في ظل حسامه مدة الزمان ثم أنها اقامت في ذلك المكان إلى أن زال عنها ألم الولادة ورجعت اليها القوة والجلادة فرجعت إلى الحي وهو على كتفها فلما رآها بنو عمها على ذلك سألوها عن أحوالها فقالت لهم قد أوسعت في طلب الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص وقصدت غابة العفريت فوقعت بهذا الطفل في فم لبؤة وهي طالبة أشبالها فقتلتها وخلصته منها وقد أردت أن أربيه وأربح ثوابه وسن الاولاد أتسلى به قال فصدقوها قومها في هذا المقال لما يعرفون من نخوتها وبغضتها في الرجال ثم أعطته لبعض مولداتها وأمرتها بتربيته والاحسان إليه وصارت تحضره أكثر الأوقات وتحن عليه كالام

الامهات على أولادها إلى ألا مضت عليه الاعوام ونشو وصار يضرب أقوى منه ويهمهم كما يهمهم الفارس فى الميدان وأمه تتعجب منه كل العجب وتفرح به إذا رأته عابس وتطلب وتركبه معها عندما تركب وتفرجه على طعان فرسان العرب وإذا دخلت به فى البر تظهر على خداع الكر والفر لأننا قد ذكرنا ما كان فى غمرة من الفروسية والحمية وما لاقى منها ذو الخمار وكيف عاد عنها بالخيبة والدمار وفى قلبه منها شعل النار قال فربت غصوبا على ذلك المنهج حتى كبر وخرج منه ما خرج وكان إذا سألها فى خلوتها يقول لها ياستاه من هو أبى ومن هى أمى فتقول له أنا لا أعرف لك أما ولا أبا أنا خلصتك من أنياب السباع ووقعت رحمتك فى قلبى وربيتك وأنت عندى مثل الولد ولولا ذلك ما أعلمت الصبر والجلد ثم أن غمرة صارت تغزو على بلاد السودان وتسوق أموالهم وتلقى غصوبا فى صدر الشجعان فصار آفة من آفات الزمان فضربت له أمه بيتا إلى جانب أبياتها وأكثرت عنده من خيراتها وقصدته الشعراء من كل جانب فصار يخلع عليهم بالمواهب قال وكان السبب فى خروجه إلى أرض الحجاز وحضوره قدام عنتر فى البراز أنه كان هوى جارية من بنات الحى وقد هام بها من شدة ما جرى عليه خطبها من أبيها وضمن له الغنى فقال له أبو الجارية ما أنا إلا سيد مطاع ولكن ياولدى كيف أزوج ابنتى لمن لا يعرف له نسب ولا حسب غير أنى ما أتركك تعود من عندى غضبان ولا قضيت لهذا الأمر والشان بل أريد أن تطلب من أمك ما يهون عليك حالاتك لأنها سيدة هذه العشيرة وهى المدبرة لنا وقل لها تلحقك بنسبها وتشهد على نفسها أنك ولدها حتى أزوجك ابنتى وأحكمك فى نعمتى فلما سمع غصوب هذا المقال خفت عنه الكرب وعاد إلى ستة غمرة يومه ثم دخل عليها وقت خلوتها وحادثها ساعة زمانية وقال لها لما رآها مبتسمة لكلامه فرحانة ببشره ونظامه ياستاه أنا قد هويت فلان ووقعت معها فى نيران والبوم مضيت إلى أبيها وخطبتها منه فقال لى ما هو كذا وكذا ثم ذكر لها قصته وأطلعها على حالته وبعد ذلك سألها أن تلحقه بنسبها وتشهد على نفسها أنه ولدها فلما سمعت منه هذا الكلام صار الضيا فى وجهها ظلام وقالت له ياولد الزنا لقد طلبت شيئا عظيما ولو لم أكن ربيتك لتركتك بالحسام رمياقانا اذا شهدت على نفسى أنك ولدى ما الذى يبرئنى عند العرب لان أقل ما كانوا يقولون هذه زنت به مع بعض العبيد السودان وانما كتمت أمره كل هذا الزمان حتى أظهرت الناس أنه عبدها وبعد ذلك أقرت أنه ولدها ولولا ذلك ما كانت تقربه هذا التقريب وأنا أعلم وأتحقق إذا ثبت هذا عندهم خرجوا من تحت طاعتى وحكمى ثم سلموا الملك إلى بعض بنى عمى قال ثم انها زعقت فيه وجردت

عليه سيفها فخرج من عندها وعيناه تدمع وبقي قلبها لأجله يتقطع وصارت فى أمرها حائرة لأجل ماهو أسد من الأسود وقلبه أقوى من الصخر الجلمود هذا وغصوب كره المقام فى الحى ثم اجتمع بالشباب من أقرانه وأطلعهم على أمره وقال لهم يا أخوانى ما اجتمعت بكم الا حتى أسمع منكم بالنظر فلما سمعوا مقاله شق عليهم وكبر لديهم وقال له يا غصوب ما تسير الا و ترحل معك فقال لهم يا بنى عمى ما بقيت أجاور عربا ولا أنزل عند من يسألنى عن نسبب وما أسير إلا إلى مداين الملك كسرى وأقيم عند العجم بعد أن أبين قدام ملكهم شدتى وآكل خبزى بسيفى فقال له أصحابه نحن رفقاؤك ونعانك على شدتك قال الراوى وكان هؤلاء خمسين فارسا أقرانا والجميع عزاب ما فيهم من له ولد يعيقه ولا زوجة تمنعه عن طريقه ثم أنهم قضوا أشغالهم وساروا فى الليل من بنى قضاعة على ظهور الخيل وجدوا يقطعون الافاق ويطلبون أرض العرق فوقعوا بشيبوب باتفاق ومعه لسوان الحجاز وعامر بن الطفيل وملاعب الأسنة فأخذا الجميع غصوب وسار شيبوب وأعلم عنتر فلحقهم وخلص الأسارى ونجا غصوب فى الليل وهو من الجراح فى الضر والويل فلما أصبح عليه الصباح التجىء إلى العرب الذى برىء عندهم من الآلام ورآهم قد عزموا على البيت الحرام فسار معهم وقد طلب هناك المقام لأنه ما يبقى له وجه يرجع به إلى أمه بعد غضبه عليها وهلاك الرجال الذين كانوا معه ولما وصل إلى البيت الحرام وجد الحزب قائما على ساق وكان وصوله بعد براز عنتر إلى الأبطال وسمع حديثه مع الاقيال المذكوره والفرسان المشهورة فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح خرج غصوب إلى المجال وأخذ من أخذ من الأبطال وفى اليوم الثانى تم له مع عنتر ما جرى من الأمر الذى ذكرناه وافترقا على سلام عند إقبال جيوش الظلام فلما نزل غصوب عرفوه جماعة من بلاد شريف فاستوحشوا له وداروا حواليه ثم أخبروه أن مولاته مشتاقة اليه ثم قالوا له ما بقينا بعد اجتماعنا بك نفارقك ولا نرجع إلى أوطاننا الا وأنت معنا فقال يا بنى عمى لا كلام حتى تتفرق العرب عن البيت الحرام وأخلص من قتال هذا الأسود الحجام قال الراوى فهذا ما كان من أمر غصوب الأسد القسور وأما ما كان من أبى الفوارس فانه نزل تلك الليلة وهو على حال متغير لأنه كل من خصمه ولم يبلغ أغراضه منه وبات تلك الليلة وسائر أصحابه يسألونه عن حاله وفيهم جماعة يعذلوه على ما هو فيه وهو لا يعقل على كلام ولا يسمع ملام وكانوا بنو عبس قد باتوا فى هم زائد الا الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد فكانت تلك الليلة عندهم مثل الأعياد لأجل ما جرى على عنتر بن شداد من الهم والانكاد قال الراوى ولما أبصر الملك قيس أحوال بنى عبس غير صالحة أنفذ إلى عنتر أخاه

شيبوبا ينهاه ويقول له يا ابن العم أرجع عن هذا الأمر دعنا ندبر امورنا ونرجع إلى بلادنا والديار والدمن والافنية بهذا اللجاج والفتن قال فلما وصلت إلى عنتر هذه الرسالة وأن بنى عبس قد أصبحوا حيارى لاسيما يا أخى والملك قيس قال لا يحق لاحد أن يفتخر على أبناء جنسه ولا يصف بالشجاعة نفسه ثم أنه أشار يقول .

كل يوم يغير الدهر حالا ويريك الذى رأيت محالا عد سليما ولا تقل لتس مثلى
فالليالى من الزمان خيالى ماترى البدر كيف يدركه العجب ثم يصير بعد الكمال هلالا

قال فلما سمع عنتر هذه الأبيات أخذه القلق وزاده اللجاج وقال لمن حوله من الفرسان أقسم وحق من أدار الفلك الدوار وخالق الليل والنهار لو أردت قتل هذا الفارس الكرار ما كان ثبت بين يدى ساعة من النهار وأنا قد خطر فى قلبى خواطر فطلبت أسره ولم أطلب قتله ولكن مادام قومى قد استعجزونى إلى دون المنزلة أنسبونى فغدا أقتله قبل أن تضاحى النهار فقال هانىء بن مسعود أنا أقول يا أبا الفوارس أنك قد قدرت عليه وعفوت عنه وأنك لصادق فى مقالك لأنى رأيت مقاتله قد ظهرت لك مراراً عديدة وأنت تطوله وتجاوله فطعنت فى فروسيتك وظننت أنك لم تعرف شيأ فى أبواب الحرب ولو لم تذكر هذا أنت ما كنت أنا عنتر وحق من يحصى عدد الأنفاس لا لقيته غدا إلا وأنا خال من السلاح واللباس ثم أن عنتر نظر إلى أخته شيبوب وقد زادت به الكروب ونادى يا ابن الأم والله لقد زاد كمدى من مقاله قيس وإنشاده لى هذا الشعر والنظام وظنه أنى قد عجزت عن لقاء هذا الغلام فعود اليه ياشيبوب فى سرعة الحال وأنشد عنى هذا المقال ثم أنه أعاد على أخيه شيبوب هذه الابيات وصار يترنم وجعل ينشد ويقول .

| | |
|---|---|
| ويك ياقيس لاتطيل المقالا | وتعجز بقولك الأبطالا |
| ونقل لى مقال نقص وحقد | إن الليالى من الزمان حبالا |
| غير أن الزمان مايخلف الآن | مثلى ولا الليالى الحبالا |
| أنا صرف الزمان عندى برازى | أنا مفنى الأبطال والاقيالا |
| قسما بالذى أمات وأحيا | ودحا الأرض ثم أمى الجبالا |
| لاتركت الكماة فى هذه الأرض | حيارى لا تهدى فى المجالا |
| وأدخل الملوك من آل قحطان | سجوداً من سطوتى والرجالا |
| ثم ألقى الكماة فى موقف الحرب | صرعا على الحصيب الرمالا |
| وأنا عنتر الذى شاع ذكرى | لست أخشى من كثرة الاهوالا |

(قال الراوى) فعندما مضى شيبوب إلى الملك قيس وأنشد هذه الأبيات فزادت فى قلبه الحسرات والنيران الموقدات وقال فى نفسه وحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام ما هذا العبد الا كثير الكلام وأنا أعلم ما بقى له تخلص فى هذا المقام ولا بد له من شرب كاس الحمام (قال الراوى) ثم أن القوم باتوا وهم فى مثل ذلك الكلام حتى مضى أكثر الظلام ولعب النوم بأجفان الأقوام وأما عنتر البطل الهمام فانه ما نام الا ساعة من الليل ثم استيقظ وهو يهمهم مثل الاسد ويتحسر ويتنهد ويدق بيد على يد فقال الجماعة الذى قدمنا ذكرهم ما بالك يا أبا الفوارس كفاك الله شر كل عدو ومخالس فقال لهم إنى رأيت عجبا يا له من عجب وحديثا يؤرخ ويكتب لأن ما جرى مثله للعجم وأقول أن أجلى قد اقترب فقال دريد وما هو ذلك يا حامية عبس وافرس من طلعت عليه الشمس أخبرنا ما الذى رأيت حتى نروى عنك ما حكيت فقال رأيت يا مولاى لما هجمت إلى النوم عيناى كأنى مبارز لهذا الغلام وأنا معه فى صدام لزام وكأنى قد ضربته ثلاثة ضربات بالحسام وهى تمام فلم تقطع فيه وعاد السيف إلى وقد آلمنى وصار باكيا منتحبا وكاننى من حنق عليه مسكنة من طرفيه وأردت أن أقصفه فنادانى حسامى بلسان طلق وقال لى يا صاحبى لا تكسرنى فتندم وتذوق من بعدى مرارة العدم واسمح بنى وأترك هذا الغلام الادهم فانه عبسى الاخلاق والشيم وأنا عبسى لا أسفك له دم وانى يا بنى الاعمام لما سمعت كلام الحسام طار عن عينى طيب المنام وانتبهت وأنا حائر من هذه الاحلام (قال الراوى) لهذا الكلام فعندها قالوا له أصحابه وقد زادهم العجب والله ما يفسر هذا المنام إلا عالم خبير وسيد محتشم نحرير ومن الصواب أنك يا حامية عبس تقاتل عند الصباح بغير حسام تأمن عاقبتك وعاقبة منامك وإلا فمن اين عبسى فى أرض اليمن وكيف تحدث هذه الأمور وطوارق الزمن فقال عنتر يا بنى عمى أنا عولت فى غد أقاتل خصمى قتال العجم وابرز اليه كما كنت ابرز إلى قتال الديلم بالحرب والمزاريق والترس الواسع الصفيق ثم أن عنتر خلع عنه الزرد وبقى عارى الجسد وانفذ شيبوب اتاه بثلاث حراب تقطع الأسباب (قال الراوى) وفى دون ساعة اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وقد ارتجت من ركض خليهم الأرض وإذا بعنتر قد برز وخلفه أخوه شيبوب وقد تدانت الحروب وانظر إلى فعاله عصوب فقال لمن حوله من صحابه لقد هانت نفس هذا العبد السوء عنده والا كان خرج إلى مثلى عارى الجسد خاليا من السلاح والزرد وما أقول انه خرج على هذا الحالة والأسباب الا وهو متكل على ما فى يده من الحراب وما يعلم انى اقاتل بها أحسن من كل من على وجه الارض فى طولها والعرض لأنى قد قضيت عمرى فى الغزوات إلى بلاد السودان وحاربت

الرجال والفرسان والأبطال لابد لى ما أشبعه إنصاف وأساويه فى ترك الاسراف وأخرج إليه كما خرج ولا أجعل لى عتب ولا أخرج ثم أنه عنه رمى اللزرد وبقى عارى الجسد مكشوف الرأس وأخذ ثلاث من اريق قصار مثل شعل النار تعمل فى الباس والدثار وتقطع الأعمار والاثار ثم خرج إلى الميدان وقد تعجبت من فعله الفرسان وقال يا أبطال بنى عدنان وبنى قحطان اليوم تتفرج على الحرب القتال والطعن والنزال وتنظر هذين الفارسين حقا وتتحدث بفعلهما غربا وشرقا قال الراوى لما قارب عنتر إلى غصوب وهو يجول ويصول هنالك تذكر عنتر مافعله غصوب بقومه المأسورين وأيضا كلام الملك قيس فعندها أنشد يقول .

| | |
|---|---|
| عاتبنى قومى فزدت لجاجا | وقضيت الدجا جوى وانزعاجا |
| وأنكروا ما رأوا ولو ذكروه لى | نضجوا قلب حاسدى انضاجا |
| يالقومى وحق من طاف بالبيت | ثم لب لله جما وناجا ه |
| لارفعت الحسام حتى أرى الأرض | من الركض تشكى الارتجاجا |
| وتنادى جن التخوم من الخوف | على عارى العجاج الهجاج |
| أو أن أسقى من المنية كاسا | احكته يدى الحمام مزاجا |
| فاقنعى بالعلا والفخر منى | وعبنى القى الردا كيف ماجا |
| وإذا ما قلت يا عبله قرى | بعد قتلى فلا تذكرى ازواجا |
| أى بعل ياعبلة يحميك بعدى | من عدو إذا رأيتى الهياجا |
| أى رجل يكون سيفا وحصانا | لبنى عبس بعد قتلى وتاجا |

قال الراوى فلما سمع غصوب من عنتر هذه الأبيات ظن أنه قد فزع من شرب كاس الممات فقال له ويلك يابن الاموات من يكن شاق الحرب يخاف من الموت الكرب أو يخشى أن يكون مغلوب ولكن الحياة على كل حال أحسن من الممات والاعدام ولو عاش الإنسان فى الدنيا الـعام مايشتهى أن يذوق كاس الحمام وأنا قد رأيت شكلك الذى قد برزت فيه فانصفتك حتى لا تقول العرب عنى بانى تعديت عليك وظلمتك لأننا نريد نفرج هم الجوع ولا نقاتل بينهم الاعريا بلا دروع ولا ننفصل من القتال إلا على ماذكرته من المقال ثم أن غصوب جال على أبيه ومال وأجابه على عروض شعره وقال .

| | |
|---|---|
| ويلك يابن الأما مافرغت المنايا | بعد شيب يحكى ضوء الصباحا |
| أن تكن قد عجزت عنى فدعنى | وانصرف راشد وخلى الكفاحا |
| قبل تبقى تحت العجاج طريحا | لوحش الفلا طعاما مباحا |

أنا صرف الزمان عند برازى | فارتدع لاتدع على جناحا
لى جنان إذا لقيت به الصخر | قد تشاكا وأهلك الاشباحا
وحسام ماسل إلا وسالت | شفرتاه دما يروى البطاحا
سل بلاد السودان عنى إذا ما | عدت سالما من حربى وحر الكفاحا
كم ليالى قد سرتها والثريا | خلف بدر الدجا تنادى الصباحا
وإذا ماحضرتها كان سيفى | ملك الموت تقبض الارواحا

قال الراوى فلما سمع عنتر هذه الأبيات تعجب من تلك المقالات وقال ويلك يا غصوب ما أنت إلا قد تعلقت بشىء من الفصاحة ولو كنت تركت أواخر أبياتك مثل أواخر أبياتى لكان أوقع وأصح ولكن بعد ما وصلت إلى هذه الطبقة فلا تقدر تلحق باصحاب القصايد المعلقة فقال غصوب والله يا بن الامة لقد قلت المحال وأنا والله ما تركت اتباع قوافيك إلا وأنا فيك لئلا تقول تتبع كلامى واقتفى نظامى ولكن هذا الذى ذكرته هو أهون الشىء عندى وأن كنت فى شك من ذلك فانا أعيد الأبيات ولا أغير منها غير أواخرها وقد تسمع من أبياتك وأبلغ من فصاحتك ومقالك وهذا شىء ما تقدر عليه لا أنت ولا غيرك من أصحاب القصائد المعلقة ولا يبلغ أحد بعد هذه الطبقة وكل ذلك حتى تعلم أن المنازل والرتب ما تنال بغير استحقاق ولولا ذلك ما تواقحت هذه المواقحه وطلبت منازل أهل الفصاحه ثم إنه أشار يعيد عليه مثل الأبيات .

ويلك يابن الاما فزعت المنيا | بعد شيب يحكى ضوء السراجا
ان تكن قد عجزت عنى فدعنى | وانصرف راجعا وخلى الهواجا
قبلى تحت العجاج طريحا | لوحش الفلا طعاما مزاجا
أنا صرف الزمان عندى برازى | فارتدع لاتدع على الجاجا
لى جنان إذا لقيت به الصخر | قد تشاكا وأهلك الأوداجا
وحسام ماسل إلا وسالت | شفرتاه دما يروى السراجا
سل بلاد السودان عنى إذا ما | عدت سالما من حربى وحر الحزاجا
كم ليالى قد سرتها والثريا | خلف بدر الدجا تنادى المناجا
وبلاد طرقتها ووحوش | حلقت عند ما رأتنى السياجا
كل حرب أغيب عنها يراها | من يرانى يوم الطعان خداجا
وإذا ما حضرتها كان سيفى | ملك يقبض النفوس حراجا

( تم الجزء الثلاثون ويليه الحادى والثلاثون )

# (الجزء الحادى والثلاثون)

## من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذه الأبيات تعجب من تلك المقالات لأنه كلام عجيب فكاد عقله أن يغيب وقال والله لقد كمل هذا الغلام الشجاعة فلما بلغ من العمر خمسة عشر عام وما كنت أريد من الله إلا صحة مناى فيكون هذا الغلام عبسى حتى أفضله على ولدى وأفتخر به على الفرسان فى مقام الضرب والطعان قال الراوى فبينما عنتر البطل الهمام يحدث نفسه بذلك الكلام فهو فى بحر الافتكار فاذا بغصوب صاح عليه صيحة الأسد الهدار وقال له احترز على نفسك يافارس الحجاز فدعنا نقضى هذا الأمر ونفصل البراز لأن الطوائف كلها قد طلبت الانجاز ثم أنه أرسل اليه الحربة التى كانت فى يده فلما وصلت الحربة إلى عنتر أخذها على أعلا الدرجة وكسر حدتها بعد ما كانت مثل الصاعقة فابقن عنتر بالعطب لما رآه جد له فى الطلب فتراشقا بالحراب حتى حارت منهما أولوا الألباب وكانا تارة يطلبان الميمنة وتارة يطلبان الميسرة وتارة تجرى بهم الخيل خببا وتارة قهقرة وجرى بينهما من الحرب والمشاجرة أشد من النيران المسعرة لأن أحدهما إذا كان رمى الحربة سحبها الآخر على رائق الدرقة وإن رأى من صاحبه فترة أخذها من الهوى وردها إلى خصمه ليصل إليه أذاها فصارت الطوائف متعجبة بما أشغلها وألهاها وأهل اليمن يقولون والله ما يأخذ عنتر هذا الفارس البطل إلا ويعلق قصيدته فى عنق الهبل وفيهم من يقول ما يكون النصر إلا لغصوب لأنه أصبا وأخبر بالحروب قال ثم أن عنتر وغصوبا قد اجتهدا فى إتلاف الأرواح وقد بقوا كأنهم أشباح والدماء من أجساد الاثنين تسيل والمواكب اليهما تتقرب إلى أن فنيت الحراب وتعبت المناكب وزادت الأحقاد فى القلوب وفى ذلك الوقت ترجل غصوب وصاح بعنتر ياعبسى اعلم أننا قد خلونا من المدد ونحن عراة من الحديد والزرد فما يفرق بيننا إلا الصراع وإلا فعول بنا على لبس الحديد فقال عنتر ياغلام ما بقى لنا براح من هذا المقام فقال غصوب الان كشف الحق القناع وبعد قليل يتبين الجبان من الشجاع ويسعد أحدهما رب السماء ويذل من يشاء قال الرواى ودام الأمر بين الاثنين وتحاربا حتى أشرف على

الهلاك والارتياب فتضايقت الصفوف فى طلب حقيقة النظر وأشهرت الصوارم عرب ربيعة ومضر فشاب كل من كان فى ذلك اليوم قد حضر ودام الامر على هذا العيار إلى آخر النهار وملت الطوائف من الانتظار ووقعت بغصوب الانبهار فكانت منا كبه ففهم عنتر حاله بأنه قد تعبت أوصاله فأظهر عنتر الجلد واحتضن الغصوب كما يحضن الوالد الولد فأراد أن يجلد به الارض ليدخل طوله فى العرض فما طاوعه قلبه على ذلك فوضعه وضعاً لطيفاً فشده كتافاً خفيفاً فعندها ارتفع الصياح من بنى عبس وعدنان ففرحت الابطال والفرسان وكان الوقت قد ضاق عن القتال فرجع الخلق يطلبون الخيام وعاد عنتر وقدامه شيبوب يقود غصوب قال الراوى فلما قرب عنتر من وادى الحرم فالتقته النساء هذا والأمير عمارة بن زياد قد ذاب جسده فصار يقول فى نفسه انا ماظننت أن هذا الأسود ابن الأمة ينال هذه المرتبة فما قلت إلا أنه يقع فى نكبة فأتزوج بعده بعبلة ولكنه صاحب سعادة ولرب السماء فيه إرادة قال الراوى فهذا ما جرى من عمارة القواد وأما ما كان من عنتر بن شداد فإنه لما رجع من الحرب والصدام سار هو ومن معه من الرجال الكرام فما لحق أن نزل فى الخيام إلا ورسول الملك قيس قد أتى إليه وقال له أن الملك يدعوك إلى حضرته قال له السمع والطاعة ثم نهض فى الوقت والساعة وقام الرسول إلى أن وصل إلى عند الملك قيس فسلم وخدم ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فعندها قال له الملك قيس يا أبا الفوارس أنا لما أرسلت إليك أخوك شيبوب برسالتى وقلت أنك تجيب دعوتى لأنى قد رأيت الأمر قد تعسر علينا وكفانا ما تحملنا من دماء الفرسان والآن إنى أشير عليك هو أن تفدى أبطالنا بهؤلاء الأسارى التى عندنا وتصالح القبائل التى قدامنا فإننى رأيت هذا الأمر مشكل فأظن أننا ما نبلغ أمل فعند ذلك تبسم عنتر وقال يا مولاى إن هذا هذا الأمر لا يكون ولو سقيت كؤس الردى ولو لا يحدثنى قلبي أننى منصور على الأعداء ما خالفت أمرك أبداً فقال الملك قيس افعل ما بدالك فكلنا ما نخالف مقالك ( قال الراوى ) ثم أن عنتر قام من عند الملك قيس البطل المرهوب فأوصى أخوه شيبوب بحفظ الأمير غصوب فدخل عنتر على ابنة عمه عبلة فى المضرب والدنيا ما تسمعه من الفرح والطرب هذا وقبائل اليمن قد بانت تدبر أمرها والهم والحزن قد فاض من قلوبها وقالوا ما لنا ألا نقتل هذه الأسارى عوض أصحابنا ونأخذ ثارنا فنكشف عارنا فعندها قالوا أصحاب الأسارى الذى عند عنتر والله ما نمكن أحداً من هذه الفعايل نفك بهم أسرانا كذلك قالت الفرسان أهل الإنصاف والله ما نتبع الجور والإسراف عند الصباح نرسل

إلى عنتر وتقول له اختر أى سيد اردت من ساداتكم واطلق لنا غصوب وان لم تفعل ذلك وطلبت منا أن نطلق جميع الأسارى فعلنا ولا نترك مثل هذا الأسد الشديد والقرم الصنديد فى الاسر والاعتقال بعد مابذل نفسه فى هوانا وقاتل ذلك القتال قال الراوى وما زالوا على مثل ذلك الحال حتى طلع الصباح وأضاء الشعاب والجبال فعند ذلك ركبت الرجال على ظهور الخيل الاصال وطلبت القتال واعتدلت المواكب يمينا وشمالا فعندها ركب عنتر الأسد الرئبال وقد فرح ببلوغ الامال ودارت به فرسان بنى عبس الافيال ومن قد ذكرناهم من الابطال وعولت أن تحمل على طوايف اليمن وتنزل بها النكال والمحن واذا قد خرجوا مشايخ بنى قحطان وطلبوا من عنتر غصوب وقالوا له خذ من شئت من الأسارى واطلق لنا غصوب فقال عنتر أنا قادر على خلاصهم منكم بالسيف غصبا بعد ما أمحق جمعكم وأشتت شملكم فقالوا له ياحاميه عبس وعدنان لاتؤاخذ غصوبا بجهله وصباه وأطلقه لوجه الله فقال لهم طيبوا قلوبكم فانا لاأقتله لاهو ولا غيره ولا من وقع فى يدى من ساداتكم وأكابر ملوككم ولكن ما يقوا يخلصوا من يدى حتى يدخلوا تحت امرى ويسجدوا لشعرى كذلك أنتم اذا لم ترموا اسلاحكم وتعفروا على الأرض خدودكم حول البيت الحرام وأنتم منكسين الرؤس حافين الاقدام وأوموا إلى قصيدتى بالسجود والاحلت عليكم بفرسان بنى عبس والجنود الذين لايبالون بالموت إن كان غايب أو موجود وأنزل بكم العذاب وأقطع منكم الاسباب بعد أن انفذ الابطال تمسك عليكم ساير الطرقات التى ترسل إلى بلادكم وأسبى نساءكم وأولادكم فقودوا الان إلى أصحابكم وافرعوا بردجوابكم قبل أن تبصر والأسنة تسابق القضاء ورحالا لايبخيهار ضاء قال فلما سمعت المشايخ هذا الكلام وعادت وهى تتعوذ بالاصنام وأخبرت اهل اليمن بما سمعت من عنتر فاجت العشاير فى البر الاقفر وما فيهم الامن جد واجتهد واشار على قدر ماوجدوا واختلفوا فى الاقوال فعول عنتر أن يحمل عليهم ويبذل السيف فيهم اذا بغبرة قد ارتفعت وعجاجة قد ظهرت من ناحية أرض اليمن وعلت من جهة تلك المعاهد والدمن فعندها قام الجميع اليها وعولوا فى أمورهم عليها وما زالوا يحدقون بالابصار حتى انكشف ذلك الغبار وفى مقدمتهم بطل مضيق اللثام طويل القوام عليه درع أشهب معلم ضيق الزرد كانه عيون الجرد وهو متقلد بسيف محلى بالعسجد والابطال خلفه تخب بالخيل وعاد النهار من الغبار مثل الليل قال الراوى وكانت هذه الخيل من بنى قضاعة والفارس المقدم عليها غمرة أم غضوب وكان لها حديث عجيب وامر مطرب غريب نحب ان نسوقه بين يدى

السادات الحاضرين على الترتيب بعد الصلاة على النبي الحبيب والسبب فى ذلك أن غمرة بعد فراق ولدها زاد بها الاشتياق واقلقها الفراق وندمت كيف أهانته لما طلب منها الحاقه بالنسب وكيف توانت عنه حتى فاوقها على حالة المغضب وصارت تكتم حالها وتخفيه ولا تطلع أحدعلى ماهى فيه لأنه ولدها على كل حال وبقيه من أبقى لها الدهر من الرجال فخافت من النوايب الحادثات وصارت تعدد عليه فى الخلوات قال وفى مدة غيبته دهمها ملك السودان بجيش لا يحصى له عدد وداس أرضها بعبيد لا يخافون الموت ولا يرهبون الفوت فكسرها كثرة عظيمة وقتل رجالها وافنى عدد ابطالها وانحصرت غمرة الهلاك وسوء الارتباك من وهاجوهم عساكر السودان بالمزاريق والحرب فابصرت غمرة الهلاك وسوء الارتباك من الاعداء وكثرة الفتاك فهربت تحت ستور الليل وتبعها الف فارس من سوابق الخيل وتركوا المال كالمباح ونجوا بالارواح فلما توسطوا البر وآمنوا على نفوسهم واصبح الصباح قالوا والله لقد غدر بنا الزمان وأتى لنا شيء ما كان لنا على بال وبلينا منه بالحرمان ثم أن الفرسان قالوا لغمرة إلى أين عولت تقصدى بنا الان على من تنزلين من العربان حتى تخلص أموالنا والنسوان من أيادى أنذال السودان فقالت والله ما أدرى يابنى عمى لان أهل اليمن كلهم لنا أعداء من دون الملا لما كنت افعل بهم فى حياة أبى البلا وما فيهم من يسمع ما جرى لى الاويشمت بحالى واهل الحجاز ما لنا فيهم صديق ولا خل ولا رفيق ولا معنا مال نجمع به الرجال ونعود إلى البلاد والاطلال كى تغزو السودان الأنذال وتنه قد أفنى الزمان رجالى ولا ارى أحدا من أبطالى ومن جملة المصايب أنى ما تزوجت ولدا بعد هذا فانا عولت أن اسير إلى البيت الحرام فاسمعوا يابنى عمى هذا المقال ولا يتبعنى منكم إلا خفيف الظهر من الأولاد والعيال والذى خلفه مال واولاد ونسوان يرجع إلى ملك السودان ويطلب منه الذمام والأمان ويقيم تحت ظله فى المنازل والأوطان فلما سمعوا مقالها شق عليهم فراقها وبوا على ما نابها بعد أهلها وعزها ثم ان منهم جماعة من الرجال وهم أصحاب المال والعيال رجعوا إلى أهاليهم والاوطان يأخذون الامان من ملك السودان وبقى معها الخفاف الذين مالهم شيء وجعلوا يسلوا عليها بجميع ما جرى لهم اخبروها هذا وقد مال اليها الاكابر والمشايخ والامراء فسالتهم عن حالهم فاخبروها بما نالهم اعلموها بما لاقوا من عنتر كم قتل وكم أسر عرفوها كيف يزيد يعلق على البيت الحرام قصيدته يسجدوا لها خوفا من شدكى ته وسطوته ثم قصوا عليها جميع ما جرى من الحروب وأنه اسر الذى ربيته الهمام غصوب بعدما جرى

بينه وبينه مالا يخطر على بال من الحروب ثم قالوا لها لولا قدومك فى هذه الساعة كنا سلمنا اليه أعنة الطاعة وسجدنا لمقاله خوفا من سيفه ورجاله قال فلما سمعت غمرة من أهل اليمن ذلك الكلام تخيل لها من كثرة العجب أنها فى منام وصار قلبها يتطلع وأحشاها تتقطع وعيناها تدمع وقالت فى نفسها والله إن هذا الكلام لو سمعه مولود لشاب قبل الفطام ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب لانى جرى على فى أول الزمان من عنتر ما جرى ورزقت منه بهذا الولد الذى مارزق أحد مثله فى جميع الورى ولما كبر وطلبت منه أن يكون لى حافسافه اليه رب السما وما نالنى من هذا الولد الزنا سوى التعب والعنا ولكن هذا الامر مقدر لا يطلع على باطنه أحد من البشر فانالى فى هذا الحظ الاوفر لانى أقسم فى بنى عبس عند أهلى وولدى وأتسلى بهم عن وطنى بعد ما أطلق من قد أسر من الفرسان وأشهر أمرى واستريح من الكتمان قال الراوى لهذا الديوان ثم أنها بعد بعد ذلك الامر والشان أوعدت الرجال الذين أتوها بالنصر على أعدائهم وان تعينهم وتفك أسراهم ثم انها سارت معهم حتى نزلت فى وسط الميدان ونظرت إلى عنتر وهو واقف قدام الشجعان وهو ينظر اليها وإلى نزولها فى الميدان ويتعجب من قلة ماوراءها من الفرسان هذا وعنتر واقف يطلب البراز والطعان من الفرسان فعندها عرفته غمرة لما حققت فيه النظر وأنفذت اليه بعض رجالها تقول له أمهلنا يافارس عبس إلى غداة غد حتى تأخذ الراحة ويبرز إليك حامينا الذى قد وصل معنا ويجول معك فى الميدان كما يجول الاقران على الاقران فان أسرته وقهرته سجدنا لقصيدتك نحن وأهل اليمن جميعا وتبطل الفتن وان هو قهرك فى الميدان وصرت له أسيرا ترجع عما عزمت عليه ثم أن غمرة قالت للرسول وان هو سألك عنى لا تقل له عن اسمى حتى لا تنقص منزلتى عنده بل قل له هذا من الابطال المشهورة من داخل بلاد اليمن وها تيك المعاهد والدمن يقال له مبادر بن جبار فارس سواحل البحار فقال الرسول سمعا وطاعة ثم سار يطلب عنتر وكان عنتر واقفا قدام الابطال الذين يعتمد عليهم فى الاهوال الثقال وكلهم فى حديث غمرة من حين أقبلت وهم يصفون دلائل شجاعتها فلما رأوها قد نزلت بين الصفوف استعظموا أمرها وزادت فى قلوبهم هيبتها واذا هم برسولها قد وصل اليهم وطلب منهم المهلة للصباح فقال عنتر قد أمهلتهم يا وجه العرب ولكن من يقال لهذا الفارس الذى وصل معكم فقال يا مولاى هذا يقال له الامير مبادر بن جبار حامى سواحل البحار وقد خرج بنا إلى الحرم ففاته الموسم لاجل بعد بلاده وقد ضمن لاهل اليمن أنه عند الصباح يخرج اليك ويخلص منك أسراهم ويبلغهم مناهم ولولا يقبح على وصف صاحبى لوصفته لك من شجاعته وبراعته ما يدهش الخواطر ويحير النواظر فقال عنتر ما يحتاج يا أخى أن تصفه فانك صادق

فيما تقول فانه عنه أفياله شهدت بشجاعته العقول فعد اليه وقل له يستريح إلى الصباح ويحمل هو وفرسانه الاوقاح الذين وصلوا معه من البطاح حتى أفنيهم قبل أن يتعالى النهار وأشتتهم فى سائر الاقطار وأريهم طعناماراو أوامثله فى سواحل البحار فعند ذلك رجع الرسول إلى غمرة وأعلمها بجميع الخبر الذى سمعه من عنتر فقالت فى نفسها ما المعول على القتال وإنما المعول على الفعال ثم أنها بعد ذلك أقبلت على ما حولها من عرب اليمن وقالت لهم أحضروا الى الساعة الاسارى الذين أخذهم غصوب حتى أبصر ما كان لهم من الأمر المطلوب فان كانوا من أصحاب الاحساب والانساب فانا أهددهم بالقتل والعذاب وأطالبهم بعبيدى وبكل أمير لكم عند أصحابهم حتى اذا سرت أنا أسودهم المسمى بعنتر فارس الحجاز لايكون عندهم من يفوده به لانى قد أسرته فى بلادى مرة وهرب ولاجل هذا قالت للرسول لاتعرفه من أنا حتى لا يتأخر عن برازى فلما سمع فرسان اليمن مقالها صدقوها فى كلامها لما يعرفون من شجاعتها ثم أحضروا الاسارى وأحضروا معهم خيولهم وعددهم وصفوا الجميع بين يديها فلما نظرت اليهم قالت والله ما فى هؤلاء لاعبد ولا ذليل وما فيهم الا كل سيد نبيل ثم قالت لأصحابها احفظوهم إلى وقت الصباح حتى أريكم ما أفعل بهم اذا لم يفدوا أنفسهم بكل أسير عندهم قال الراوى لهذا الكلام ولما دخل ليل الظلام وقرت العيون للمنام فعند ذلك اجتمعت سادات قومها الذين أتوا معها من بلادها وخواص فرسانها وأجنادها وقالت لهم ما جمعتكم فى هذا الوقت إلا حتى أطلعكم على سرى ومكنون أمرى الذى لى زمان وأنا اخفيه فزعا على امرى ونهى الذى كنت فيه والآن فقد ذهب الكمد من يدى وتغربت عن وطنى وفقدت اخوتى وولدى وفى الزمان كثرة عددى ولا بقى لى مكان يأوينى ولاقبيلة تحمينى والان أريد أن ابح بسرى وأطلعكم على ما خفى من امرى فان وافقنى وأقام عندى كنت له كما يعرف ومن طعن فى مقالى فارباب البصائر يعلمون انه قد اعتدى على وأسرف فعند ذلك قالوا لها قومها ايتها الاميرة والسيدة الخطيرة قولى ما بدالك ولا تخفى علينا شيأ من أحوالك ولولا منزلتك فى قلوبنا ما كنا تبعناك وخلينا أوطاننا على الغربة وافقنا وجئناك إلى ههنا فعند ذلك قالت لهم اعلموا يا بنى عمى ان هذا غصوب الذى ترعمون انه عبدى فهو والله ولدى وقطعه من كبدى وهذا عنتر الذى أسره فهو والله أبوه ولكنه ما يعرفه وأنا قد عولت ان اعرفه بنفسى وولدى وقيم عنده فى بنى عبس عزيزة كريمة ولا اذوق طعم الهوان بعد فرقة الاهل والاوطان ثم انها حدثتهم بما جرى لها مع عنتر لما دخل مع دريد بن الصمة إلى بلادها وكيف امرها فى البر المنقطع الخراب والاموار التى جرت والاسباب لما التقته على الحرث وكيف ملك قيادها وبها افترس ثم قالت ولما ملكنى ما قدر ان

يدنو منى حتى امهرنى بسيف الركاب وأشهد عليه بزواجى رب الارباب وقال لى وهذا الذى كنت أقدر عليه فى تلك الساعة والآن فقد بلغ الامر منتهاه ولا بقى لى أحد من الاهل ولا قرباء واريدان اتسلى بهذا الولد عن كل احد واعتز بسيف ابيه إلى الممات ولا تشتفى منى قلوب الاعداء والشمات فشاوروا الآن أنفسكم ودبروا أموركم ولا تفعلوا الا ما تطيب به قلوبكم وتنشرح به صدوركم قال الراوى فو الله لما سمعوا أصحابها كلامها تعجبوا من هذا الحديث وقالوا لها يا أميرة ما عذرك عندنا الا واضح ولا يلومك منا الا غير ناصح وعذرك ابين من كل عذر لاسيا صبرك على ولدك وكتمان سرك ما يقدر عليه أحد من البشر ولا جرى مثله على أنثى ولا ذكر فو حق البيت الحرام وزمزم والمقام ما بقينا ننام حتى نجمع بينك وبين ولدك قبل ذهاب الظلام فقالت غمرة اذ كان الامر على مثل هذا الحال فاطلقوا هؤلاء الاسارى من الشد والاعتقال وسلموا لهم خيلهم وعددهم وأخبروهم بهذا الحال فقالوا اسمعا وطاعة وسوف ترين ما نفعل فى هذه الساعة فو الله ما خالفنا فى هذه الليلة الا من دنا أجله ونعجل إلى المقابر مرتحله ثم أنهم خرجوا من عندها ومضوا إلى اصحابهم وأعلوهم بالخبر فرجع كل منهم يتفكر فى هذه الامور وقد زادهم الفرح والسرور ثم قالوا واى شىء نريد نحن أحسن من المقام فى أرض بنى عبس وعدنان وتكون لهم جيران ثم أنهم تبادروا إلى الاسارى واخبروهم بالخبر وان غصوبا أمه غمرة وابوه عنتر فعندها نسوا العذاب الذى كانوا فيه وقال عامر بن الطفيل يا لله العجب من هذه الامور والله لقد نجونا من ضرب الرقاب ولقد حظى عنتر بأسد تخضع له الاسود ويذل له المعاند والحسود ثم انهم لبسوا الزرد والعدد وركبوا على الخيول وساروا الى عند غمرة فوجدوها قد ركبت وحولها اصحابها خدموها وشكروها على فعالها وقالوا والله لا يسبق احد إلى عنتر البطل الهمام بهذه البشارة الا ونحن من دون الانام ثم انهم ركبوا فى الظلام وقصدوا طريق بنى عبس الكرام قال الراوى وكان فى تلك الليلة عنتر على الحرس ومعه دريد بن الصمة والفرسان الذين عليهم المعتمد فتبادروا اليهم عندما رأوهم وصاحوا عليهم يا ويلكم من أنتم أخبرونا قبل أن تذهب ارواحكم فناداه عامر بن الطفيل وقال له تأن يا أبا الفوارس ولا تعجل فى هذه الامور النفائس فنحن اصحابك ورفقاؤك وقد خلصنا رب السما من اعدائك ومعنا بشارة تستاهل عليها كل ما ملكت يداك قال فلما سمع عنتر هذا المقال قال لمن حوله من الرجال خلص والله عامر بن الطفيل واصحابه من الاعتقال ثم إنه قال له والله يا عامر ان خلاصكم عندى هى البشارة العظمى والمسرة الكبرى ثم دنوا من بعضهم بعض وقد ترجلوا على وجه الارض وتباشروا بتسهيل الامر ثم قال عنتر لعامر كيف

كان خلاصكم من الكروب فقال له عامر من زوجتك غمرة أم ولدك غصوب وهى التى فرجت عنا ما كنا فيه من الكروب قال فعندها شكر عنتر على هذه النعمة علام الغيوب وسأله تمام السعادة وبلوغ المطلوب ثم أنهم أخبروه بالقصة وأطلعوه على باطنها فلما سمع عنتر هذا الكلام مال على ظهر جوادة طربا ورفع وجهه إلى السماء وسأل خالق النور والظلمة أن يتم عليه هذه النعمة قال فهم على مثل ذلك وإذا بغمرة قد وصلت فى أصحابها وصاحت على عنتر ثم قالت ويلك ياولد الامه ماصل أحد إلى سعادتك من الرجال القدماء ممن أكل الخبز وشرب الماء لانى لاقيت منك سابقا هذا اللقاء وهذا كان آخر التعب والشقاء فقال عنتر صدقت فى مقالك لأن الله قدر على ولدى بعدما أنكرتيه ولا بقيتى تذكريه ثم أنهما دنوا من بعضهما والتصقا حتى وبين عادوا أشباحا بلا أرواح وتباكيا بكاء السرور ولما افترقا بعد الاجتماع قالت له اجمع بينى وبين ولدى قبل مصباح فعندها قال عنتر لأخيه شيبوب أمضى وانتنى بولدى غصوب فمضى شيبوب وجماعة من العبيد والقوا البشائر فى العشائر قال الراوى وأن جميع أصدقاء عنتر لما سمعوا بهذا الخبر رفعوا أصواتهم بالافراح وفى الحال ركبت الفرسان الجرد الملاح وأتوا إلى عنتر يهنوه بظهور هذا الولد وانسرت القلوب بعد الانكار فلما سمعت بذلك بنو زياد وعمارة القواد عندها قال لأخيه الربيع ياأخى ما الخبر فقال له ويلك ان غصوبا ظهر أنه ابن عنتر فقال عمارة وذمة العرب إن هذا الحديث ما أصدقه وهو لا يدخل فى أذنى وان كان هذا صحيح فان عمارة من الهالكين والا يبرح طول عمره حزين قال وفى تلك الساعة ركب الملك قيس وسادات بنى عبس وساروا إلى عنتر يهنوه بهذا الولد وقد تفتت قلوب أعدائه من شدة الغيظ والكمد قال الراوى وكان شيبوب كما قدمنا قد سار حتى وصل إلى الخيمة التى فيها غصوب فلما دخل عليه حكى له جميع الخبر واعلمه أن امه غمرة عنتر وابوه عنتر وامها وصاحت اليه واعلمته بامرك فقال غصوب ولم تنكر على ولم تعرفنى بأبى وكانت تنادينى باسم العبودية وتخفى على الامور الحقيقية فوالله لاقطع بهذا الحسام رأسها وأهدم اساسها فقال شيبوب ياابن أخى ما هذا صواب وقد جمع الرب القديم شمل الاحباب وبعد ذلك فانها كانت معذورة لانها كانت تخاف أن يخرج الملك من يدها وخافت من قومها أن يعيروها ان هى اعترفت أنك ولدها فما كان لها إلا أنها كتمت سرها حتى اراد الرب القديم بظهور امرها ثم قدم له جوادا فركبه وسار به إلى عند ابيه وأمه وكان الصباح قد اقترب فلما رأته غمرة هرولت اليه وضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه هذا وعنتر قد أقبل اليه وضمه إلى صدره وقبل عوارضه ونحره

وقال له والله يا ولدى ما كانت تأخذنى الشفقة عليك إلا من أجل هذا المعنى فالحمد الله على بلوغ القصد والمناعدا والحاضرون ساروا يسهموا عليه ويهنوه باجتماعه على أمه وأبيه ولم يزالوا على ذلك الإصطاح والسرور والأفراح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها ثارت القبائل على بكرة أبيها وطلبوا غمرة فما وجدوها وافتقدوا الأسارى فاوجدوا منهم أحد فعندها زاد بهم والنكد وقال بعظهم لبعض ماهى إلاقد أخذتهم تريد أن تفدى عبدها عصوبابهم وما فعلت ذلك الأمر إلا وقد عجزت عن لقاء عنتر وقالت فرقة منهم ما كانت هذه بل كانت من بعض نسوان بنى عبس وعدنان وقد أنفذوها حتى احتالت علينا وخلصت أسراهم من أيدينا ثم أنهم حاروا فى أمورهم وأرادوا أن يعرفوا حقيقة الحال فانفذوا لهم جاسوسا حتى يكشف لهم الأخبار وينقل عنهم هذا الافتكار ما زالوا كذلك حتى عاد إليهم الجاسوس وأخبرهم أن غصوب طلع ابن عنتر وإن غمرة كانت زوجته وشرح لهم الحديث على جليته فتقطعت ظهورهم وحاروا فى أمورهم وقالوا وحق البيت الحرام، زمزم والمقام ما رأينا أحد أقوى سعدا من هذا الأسود الحجام ولا يطلب لقاءه الا كل من كره الحياة ثم أنهم بقوا يموجون فى بعضهم بعض حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح ذهب ظلام الليل وسارت فرسان القبائل كلها على ظهور الخيل فهم عنتر أن يركب إلى الميدان ويصرف ماقى قلوب بنى قحطان قال فعند ذلك تقدم إليه ولده غصوب قال وحق علام الغيوب ما مكنتك من الخروج إلى هؤلاء العربان لا يقاتل هذا اليوم أحد غيرى إلا بنفسى وأبرز إلى حومة الميدان ومحل الضرب والطعان ثم أنه قفز على ظهر الحصان واشتهر بين الفرسان ونادى بأعلى صوته يا آل قحطان ويا آل عدنان اعلموا أننى اليوم قد ظهر نسبى وبان حسبى عرفت أمى وأبى وقد أصبحت من بنى عدنان أريد اليوم أخاف أبى فى الميدان فإن أردتم السلامة بلا تنكيد فاجيبوا أبى إلى ما يريد من تعليق القصيدة وإلا وحق الملك المجيد الفعال لما يريد خلبتكم بهذا الحسام حصيد وتركتكم لأبى خدما وعبيد القريب منكم والبعيد قال فلما سمعت طوايف بنى قحطان كلام الأمير غصوب تقطعت منهم القلوب كادت أكبادهم أن تذوب نادوا من كل جانب ومكان والله يا فارس الزمان ما بقى فينا من يجرد فى وجوهكم حسام لا يخالف لكم كلام فدع أباك يعلق القصيده قال الراوى فبينما هم على ذلك إذا بالسيد عبد المطلب قد أقبل فى جماعة من فرسان البيت الحرام ثم تقدم إلى عنتر البطل الهملم وهناه بولده الذى قرت به عينه وسأله عما جرى وما الذى عول عليه قال فعندها حدثه

عنتر بجميع قصته وأعلمه أن العرب قد دخلت تحت طاعته فقال له إذا كان الأمر كما ذكر على هذا الحال أحضر أصحاب القصائد الذين عندك في الاعتقال وهددهم بالقتل في ساعاتهم حتى يشاركوا في فصاحاتهم ويدخلوك في أنسابهم وتبعوز مقال أصحابهم قال فلما سمع عنتر من السيد عبد المطلب ما به إليه أشار قال له يا مولاى هذا القول يكون من أعمال غد عند إقبال النهار لأنى أريد غدا أن أصنع وليمة للفرسان وأجمع فيها جميع الأبطال والأقران أفرح بولدى غصوب ومعرفتى فى هذا المكان قال فلما سمع السيد عبد المطلب ما تكلم به عنتر قال له لقد اصبت يا أبا الفوارس فى هذا المقال فعجل بما عزمت عليه حتى تبادر كلنا إليه فعند ذلك رجع عنتر البطل الهمام إلى المضارب والخيام وشرع فى اصطناع الطعام وفرحت بنو عبس بذلك الشأن ووقع السرور على الرجال منهم والنسوان هذا وقد أتت الفرسان إلى عنتر الأسد الغضنفر هنوه بالنصر والظفر وأقبل إليه دريد بن الصمه وخفاف بن ندبة ودنار بن روق والعباس بن مرداس فارس الخيل وقد أقبل عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وهانى بن مسعود البطل الهمام واجتمعت سائر العربان من بنى عبس وعدنان وغيرهم من الفرسان قال الراوى فهذا ما كان لهؤلاء من الأمر والشأن وأما ما كان من بنى قحطان فإنهم قد نزل بهم الذل والهوان وتضاعفت همومهم والأحزان قال الراوى لهذا الديوان هذا وسائر الفرسان الذين فى وليمة عنتر البطل الهمام قد رتعوا فى أكل الطعام بعد ذلك المقام قال الراوى أعجب ما روى فى هذه السيرة من أحاديث العربان فى ذلك الزمان أن الأمير هانى بن مسعود بنى شيبان تعجبوا من شجاعة عنتر فارس العصر والأوان كيف أذل الفرسان وقهر الشجعان قال الراوى ذلك الكلام والمعانى فى قلب الأمير هانىء لأنه من الأبطال الموصوفة والشجعان المعروفه قال ولم يزالوا فى حديث وكلام وهم فى شرب المدام إلى أن أظلم الظلام بعد ذلك بطل دوران الكاس تفرق شمل الناس وعادت الفرسان إلى مكانها وقد قر قرارها فى خيامها قال فلما وصل الأمير هانىء إلى أبياته وبنى شيبان معه فى صحبته قعدت الرجال يتحادثون فيما جرى فى ذلك الزمان وقد ذكروا عنتر وفضله على سائر الفرسان فقال هانىء والله يا بنى عمى ما هو إلا فارس الزمان وبطل العصر والأوان فقال رجل من بنى عمه الاكابر يقال له عمر بن منادر هل تقدر يا هانىء عليه إذا برزت إليه فقال له هانىء يا ابن العم ما جربته فى الميدان ولا جلت معه فى طابق الجولان لكن

أنا أقته يوم وقعة العجم خمس مرات لما نصرع يرجع بعد ذلك يقم وأنا أقول انى لو بارزته لما كنت أعجز عنه والله لولا الحياء منه ومن الأبطال لبينت لك هذا الحال وكنت اتبع المقال بالفعال وأوريك من هو أثبت منا جنان وأفرس فى ساحة الميدان وكان للأمير هانى عبد اسمه نجم وكان يهوى أمة اسمها كوكب وهو لها محبوب وكانت هذه الأمة من جيران شيبوب فعند ذلك صبر العبد إلى أن نام هانى وطلب المنام فعند ذلك سار العبد إلى نحو شيبوب وقصد مضربه حتى وصل إليه وكان شيبوب آتى من خدمة أخيه عنتر فلما دخل العبد عليه سلم وإلى نحوه تقدم فرحب به شيبوب وقال له الذى أتى بك فى هذه الساعة يا ابن الجار قال فعند ذلك حدثه العبد بجميع ما قاله الأمير هانى وبين له سائر المعانى فلما سمع شيبوب ذلك المقال أخذ العبد ومضى به إلى أخيه عنتر فى ساعة الحال ثم دخل عليه والعبد بين يديه فحدثه بجميع ما جرى بين هانى وبين بنى عمه من المشاجرة والكلام فعند ذلك صار الضياء فى عينى عنتر ظلام وقال والله إن لم التق فى هذه النوبة بهانى فى الميدان وإلا بقيت معيره بين الفرسان وسائر العربان (قال الراوى) وكان عنتر البطل الهمام قبل هذا الكلام يطلب براز الأمير هانى على طول الأيام لاجل هذه الاحكام وإنما كان يمنعه الحياء منه ومن السادة الكرام وبعدما أحضر العبد وجازاه خيرا على هذا السبب ثم صرفه بعدما وهب له شيئا من الذهب فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان من كل قطر وسبب وأتوا بالسلام على السيد عبد المطلب ثم تقدمت الفرسان وسلموا عليه وقبلوا يديه وكذلك فعل الأمير عنتر وجميع من حضر قال فعندها أشار السيد عبد المطلب إلى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أحضر الساعة من عندك الفرسان الذين هم فى الاسر والهوان وهددهم أصحاب القصائد بالقتل والعذاب حتى يجيبوك إلى ما تريد من الأسباب ويشركوك فى فصاحتهم والأنساب ويتبعون مقاله أصحابهم والأحباب قال فلما سمع عنتر ذلك قال له يا مولاى قد تغيرت الأحوال وقد جرى فى حقى كلام ومقال وأنا لابد لى ما أظهره بسائر الأبطال فلما سمع السيد عبد المطلب من عنتر هذا الكلام ولم يعلم معانيه قال له يا أبا الفوارس أبده لنا ولا تخفيه فقال له يا مولاى اعلم أن الحق ما يغيظ الكرام ولا ينقصه إلا أولاد اللئام واعلم أن كل أحد طلب لنفسه الزيادة ويتمنى أن يكون من أهل السعادة فقال السيد عبد المطلب يا أبا الفوارس هذا كلام تحته معانى ولابد له من بيان فقال له نعم يا مولاى وأنا ما ذكرته إلا لاجل هذا الشان وهو أن البارحة جرى ذكرى فى بنى شيبان وذكرونى بالزيادة والنقصان وجاءوا بحديثى بهذه المعانى وقد اشتهرت بديه أخى هانى ثم أن عنتر التفت إلى الأمير هانى وقال له أقسمت عليك بمولى الموالى إن كنت تروم قتالى

فدونك والطعان بالسمر العوالى حتى تنظر الفرسان فما لك من فعالى فان أنت قهرتنى فى ميدانى بلغت العز والامانى ويعلو قدرك وينحط شانى فلما سمعت العرب من عنتر ذلك الخطاب سكتوا عن رد الجواب فقال عنتر ياهانىء لاتراعى جانبى فانا لو نازعنى فى القصيدة أبى وأقاربى لحاربتهم فان كان عندك شىء فابده ولا تخفيه وأن قصدك القتال فلا تتوانى فيه فعند ذلك قال عامر الشيبانى دونك وما تطلب يا أمير هانىء فقد بلغت كل الامانى فاربنا الساعة فعالك ودع هؤلاء سادات يشاهدوا حربك وقتالك فلما سمعت هانىء من ابن عمه هذا الكلام قال له ويلك يانذل الرجال ولما تعنى بهذا المقال فانى لو طلبت هذا الشان ما كان غيرى أقوى منى فى حومة الميدان ولا أحد أضرب منى بهذا الحسام وان شئت أن تنظر هذا عيان فانا أبينه لك عند الامتحان ثم أنه قفز إلى الميدان وحل الضرب والطعان وقال لعنتر دونك يا ابن شداد حتى يظهر لمن هاهنا من الفرسان من هو أثبت منا جنان وأخبر بمداراة الفرسان فعند ذلك فرحت بنو قحطان بذلك ونزل السرور على قلب الامير عمارة القواد وأخيه الرابيع بن زياد وظنوا أن عنتر يذل ويهان ولم يعلموا بانه فارس الزمان وبطل العصر والأوان قال الراوى وكان تحت هانىء فرس أبلق طويل العنق لو سابق بها البرق سبق سليم العصب قوى الركب ذيال الذنب مشيه وجريه يعجب له قوائم كأنها عواميد وحوافر أقوى من الحديد ثم أن هانىء جال فى الميدان وصال وأنشد يقول

ان شئت أن تبق وتخفر ذمتى أتتك شراجيب عليها تناصيب

بأيد يهمى لدن من الخط ذابل وبيض كأن الادن فيهن مصبوب

إذا جردوا يوم الكريهة فى الوغا رأيت الدما يجرى مثل المزاريب

فعند ذلك طلبه عنتر وهو على جواده الابجر متقلدا بسيفه الظامى الابتر معتقل برمحه الكعوب الاسمر ثم أنه صال وجال ولعب برمحه العسال وأنشد وقال .

رأيت العلا والعز فى السوابق وسمر رماح الخط تحت البوارق

وحولى فى الميدان من كل باسل له المجد فى ضرب يقد العلايق

وصولى فى الميدان فى حومة الوغى على لاحق ينقض من فوق شاهق

إذا برقت من دونهن بوارق رأيت لها نارا كلمع الصواعق

تعانق أعناق الكماة الفرقة فتفرق ما بين الطلا والمفارق

قال الراوى ثم أنهما بعد ذلك اصطدما كأنهما جبلان والما كأنهما بحران واقتحما على بعضهما حتى خيم الغبار بين السماء والارض وأظهرا مافى صدورهما من الحقد وخرجا عن المزاح الجد وتماشقا بالصفاح التى هى أقرب لقبض الارواح وجرى العرق وساح

ودار الموت بينهما بكاس الراح ولم يزالا فى قتال ونزال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل وكانت من تحتهم الخيل فعند ذلك أقبل هانىء على عنتر وقال له يا أبا الفوارس نحن قد أهلكنا خيولنا وتعبت نفوسنا ورأيت منك ما أذهلنى والرأى أن ترجع أنت إلى قومك وأرجع أنا الاخر إلى قومى وإذا كان عند الصباح نرجع إلى الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق فالق الاصباح ومقسم الرباح مافى بيننا انفصال إلا ببلوغ الامال أو حلول الاجال وأن كان ولا بد لك من الراحة فانزل عن جوادك فى هذه الساعة وأنزل أنا عن جوادى وأبقى قصادك وأنت قصادى إلى أن يصبح الصباح ونعود إلى الحرب والكفاح فلما سمع هانى ذلك المقال أخذه الانذهال وقال له افعل ما بدالك فانا أخالف مقالك ثم أنهم نزلا عن الخيل الجياد وهم على نية الكلام الذى رتبوه وقد أتوهم أصحابهم بزاد فاكلوه ثم أن عصوب بعد ذلك تقدم إلى أبيه عنتر وقال له يا أبتاه أنعم لى ببراز هانىء المعجب بنفسه حتى أسكنه رمسه وأخمد حسه قال فلما سمع عنتر مقاله وعلم بحاله قال له ياولدى اعلم أن هذا الفارس ماطلب الابرازى حتى يعرف ذلى من إعزازى وأنا أريد أن انصفه وأسيعه قتالا حتى يقول بالشجاعة بين الأبطال فلما سمع غصوب مقاله تركه وعاد إلى رجاله وبقى هؤلاء فى الميدان إلى أن أصبح الصباح وطلع الضوء ولاح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح وتأهبوا للحرب والكفاح وحمل هانىء بجواده الموصوف وجعل ينشد ويقول .

| | |
|---|---|
| أنا الليث ادعى بيوم المجال | بمبيد الاقران يوم النزال |
| وإذا ماحضرت حومة حرب | فترى نارها تزيـــد فى اشتعال |
| كل قضية أغتب عنها تراهـا | بعد شخصى يومها كالمحال محال |
| لى عزم أمضى من البيض حقا | إذا الدهر نحانا باستطال |
| التقيه بـــذابـل وحـــام | قاطع بـــه للعـــدا وصال |
| كم رجال مججتها فى ظلام | وتسربلت بالدما كسربال |
| وقصمت الفلاة فى جنح ليل | ليس لى مؤنس برد السؤال |
| وسلكت القفار وهى خراب | درسات الطلول والأجبال |
| ليس فيها غير الشياطين تدرى | وصراخ الضلال والأصول |
| جزتها الظلام خيم فيهـــا | ثم أرخى الدجا اذيال |
| والسهريا تسير فى الافق سيرا | نحو غرب ونورها متلال |
| ذاك شىء لو ذاقه شىء غيرى | لهلكت روحه وصار وبال |
| دونك الان والقتال ودعنا | من حديث مضى وقيل وقال |

فلما سمع عنتر مقاله وما أبداه من شعره ونظامه قال له يا ابن مسعود اعلم انى عن قتالك ما أحود ولكن اسمع أبياتا أرق من أبياتك وكلاما أحسن من كلامك وقوافى أقطع من شعرك ثم أنه أجابه على عروض شعره يقول

| | |
|---|---|
| أيا بطلا يدعى من الأبطال | وأنه فارس بغير محـــال |
| دونك من بطل صيدعا | قد خاض فى لهيجائها الأهوال |
| يرديك فى وسط الفلاة مجندلا | لا تسمع قيلا ولا أقوال |
| حسام عبس وأمين خوفهـــا | وليثها إذا سطا فى المجـــال |
| كم بطل خليته يوم اللقـــا | معفر الخدين فوق الرمال |
| وكم بواد جزتها منفردا | والليـــل قد ولى بسربال |
| لوجازها ابليس كان راعدا | جانبه من خوفها وانذهال |
| أوجازها غيرى فى عرمرم | لولوا من خوفها فى خبـــال |
| قطعتها فوق ظهر أدهم | ترى غرته كالهـــلال |
| هذا شجاع فى الوغى تركته | بسيفى المهند الفصـــال |
| وكم شجاع فى الوغى تركته | مجندلا فى غاية الخبال |
| وظـــالم المرء قد تركته | لايعرف اليمين من الشمال |
| وقابض للاسد فى أدحالها | ليث زبيد والفتى المفضال |
| لمـــا أتانى يروم اقهرى قاصد | وقد سطا على حريم الرجال |
| أسرته فعل شجاع باسل | وقدته قهرا بلا املال |
| هذى فعالى دائما بكل من | أراد قهرى زاد بالاذلال |

ولما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل على هانىء حملة الغضب فالتقاه هانىء بقلب أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر وصدما بعضهما بعض وحاما عليهما غراب المنايا وانقض وضاقت عليهما جنبات الأرض ولم يزالا فى قتال حتى ولى النهار واستخفاه وأقبل الليل بالانسدال فعند ذلك افترقا عن القتال ورجعا إلى وسط الميدان ونزلا عن الجواد باتا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها ركبا الجرد القداح وطلبا الحرب والكفاح ثم أن الامير هانىء أشار إلى عنتر يقول صلوا على صاحب المعجزات

| | |
|---|---|
| إذ دارت الأبطال كاسات حربها | وثار عجاج للغبار وسردقا |
| وثارت مشاهيب من البيض والقنا | وضاقت شعوب بالكماة مقلقا |
| هناك أجلو الخطب عنى بمرهف | أحر من النيران ضربا وأسبقا |

وأردى الاعادى يوم مشتجر القنا  بأبيض ذى حدين كالنار محرقا

فلما سمع عنتر مقاله حمل عليه حملة الغضب وقد أيقن كل منهما بالعطب ولم يزالا فى قتال إلى أن
أرخى الليل أذيال الظلام وداموا على ذلك الحال وهم فى الحرب والكفاح حتى أصبح الصباح
فعند ذلك وقفا فى حومة الميدان يستريحان وهما يهمهمان ويدمدمان ويتواعدن فزأد بعنتر
النيران وأشار يقول هذه الأوزان صلوا على سيد ولد عدنان

خل عنك القعود ثم التمادى  واطلب العز فى متون الجياد
إنما الفخر بين بيض حداد  وصرير الرماح فى الأجساد
فاطلب المجد بالحسام حقيقا  ثم صدر المثقف المياد
وأبذل النفس إن أردت المعالى  وتيقن بالموت قبل الميعاد
إن هذا صعب المقام صعب عظيم  وشديد على جميع العباد
دونك الآن والطعان لليث  ضيغم لايمل من طعن الصفاد
قد أذل الأبطال فى كل حرب  ثم دانت له ملوك البلاد
نسبى ينتهى إلى آل عدنان  هم ليوث الوغا وأهل السداد
وأنا عنتر شجاع زمانى  وهزبر عند أزدحام الجياد
وعلاى قد جاز كل علاء  قد تناهى وهمتى فى ازدياد

فلما فرغ عنتر من شعره زعق هانى عليه زعقة غير بها حاله وقال له اسمع جواب شعرك وأبصر أيما
أفصح لسانا وأثبت جنانا ثم أنه أشار يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول

نسيم الصبا عرج على ربع ليلى  وخبرها أنى حليف سهادى
وقل لها أنى كئيب متيم  حزين فقد عدمت رقادى
وانى على العهد الذى تعهدينه  بايمان صدق ثم حفظ وداد
بلى أن قلبى بالمعالى مربح  لاكسب عزا دائما وسداد
ذرينى أجد السعى فى طلب العلا  لعلى يلغنى الاله مرادى
ألا يا ابن شداد تهيأ لصولتى  ولا تبتغى حربى وطول جلادى
فقد نظرت عيناك فى الفرسان ماجرى  وأنت طريح لاتجيب منادى
وقد أوهن العامود ساقيك عامدا  وأنت على الرمضاء بغير وسادى
أناديك باعلى الصوت ياعنتر العلا  هلم الينا يا طويل نجاد
فتطمع جهدا بالنهوض فلم تنل  مراد ولم تسمع مقال منادى

صرخت على الأبطال صرخة ضيغم ... له فى مقامات الحرب أيادى
وبارض ديقار علمت بما أجرى ... على الفرس من ضربى وطعن عمادى
وقد شهدت كل الخلائق فعلتى ... وقتلى لكسرى حين رام عنادى
وأنت خبير بالكلام وشرحه ... وانى على ذاك الحديث منادى

فلما فرغ هانىء من شعره سكت بعد كلامه فصرخ فيه عنتر صرخة كأنها الرعد القاصف وانقض عليه فالتقاه هانىء بقلب لا فزعان ولا خائف فعندها أحدقت اليهم الطوائف فتطاعنا بالرماح وعظم بينهم الحرب والكفاح وجرى العرق من أجسادهم وساح ولم يزالوا فى قتال إلى آخر النهار وهما قد أشرفا على التعب قال الراوى فعند ذلك نظر هانىء عنتر وهو لا يكل ولا يضجر وأيقن أنه لو دام فى قتاله شهرا على ذلك الحال ما أخذه تعب وملال فعندها أرمى هانى الرمح لما عاين الأهوال والخطر وترجل عن جواده فطلب الأمير عنتر وهو يقول ياأبا الفوارس إلى متى هذا القتال ولا بيننا دماء ولا ادغال وأنت تعلم على كل حال أن عامر بن عمى هو الذى أحوجنى أفعل هذه الفعال وأنت وحق الرب المتعال أثبت منى فى المجال وأصبر على ملاقاة الأبطال فى الشدائد والأهوال فلما سمع عنتر من هانىء هذا المقال رمى روحه عليه واعتنقه وضمه اليه وقبله بين عينيه قال الراوى فلما اصطلحا بعد تلك الحرب عزم الاثنان على الركوب فتقدم هانىء ليقدم الحصان لعنتر فقال عنتر لا وحق الملك الديان بل أنى بهذا أحق لانى أنا عبد وأنت المولى وخدمة العبد للمولى أوجب فعند ذلك ركبا اثنيهما على ظهور خيلهما فلما صارا على ظهور الخيل وتلك الخلائق تنظر إلى الاثنين فلما رأى ذلك السيد عبد المطلب فرح وبقى من فعلهم متعجب وقد لحقه الطرب وكذلك من كان حاضرا من سادات العرب وأهل الحسب من ذوى الرتب قال مسعود ياأيها السيد عبد المطلب وأفضل من ضرب فى البيداء وتد ومد طنب اشهدوا على انى قد أقسمت بالرب العظيم وزمزم والحطيم أن عنتر فارس الزمان وأثبت منى جنان وأخبر بمدارة الفرسان ولقد عنى عنى مرارا كما تعف الرجال عن النسوان فلما سمع عنتر من هانىء فى حقه ذلك الكلام اشتهر الآخر ونادى الرجال شهدوا على يافرسان البيت الحرام ويامن قد حضر فى هذا المقام أنى عبد لهذا الغلام وإنما هو من كرم أصله يقول ذلك الكلام فلما نظر الحاضرون ما اتفق عليه الاثنين فرحت بهم المحبين ونزلت الخمدة على المبغضين ثم أن السيد عبد المطلب لما جرى هذا الاتفاق وبطل الشر والنفاق أقبل على عنتر فارس الآفاق وقال له ياأبا الفوارس ما بقى

لك عدو من أهل اليمن أو مخالس أوجز فى قضاء حاجتك وبلوغ مطالبك فقال له عنتر يا مولاى ما بقى لى عاقه غير مرسومك ثم أن عنتر لما نظر إلى تلك الخلائق وكثرتها وإطاعتها له وذلها قد فرح بذلك الحال لأن سعده فى ذلك الوقت كان فى إقبال فعندها أنشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات .

| | |
|---|---|
| أحن إلى طعن الرماح الدوابل | ويطربنى فى الحرب صوت الصواهل |
| ويأخذنى وجد إذا الخيل أقبلت | وجالت بها الأبطال تحت القساطل |
| ومن قد رأى طعنى وشاهد موقعى | إذا الحرب حقت وأظهرت للبواطل |
| يخـــبرك أنى أوحـد فى زمانه | ومالى حقا فى الورى من مماثل |
| ولا تسمعوا قول الحسود فانه | جبان ذليـــل بين كل القبائل |
| فان كان قد حطت زبيبة نسبتى | علوت بأجـــدادى وعز كاملى |

قال فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت له السادات وقالوا والله لقد بلغ عنتر الفصاحة والقوة والبراعة فعندها أقبل عليه السيد عبد المطلب وقال له يا أبا الفوارس أحضر الساعة أصحاب القصائد وهددهم بالقتل وخوفهم حتى يشاركوك فى فصاحتهم ويدخلوك فى أحسابهم قال فلما سمع عنتر مقاله أنفذ فى ساعة الحال إخوانه وأمرهم أن يحضروا فصحاء العرب فلم تكن إلا ساعة حتى حضروا وشاهدوا الذى قد اجتمع من تلك الخلائق والأمم فعندها أطرقوا برؤسهم إلى الأرض وما بقوا يعرفوا الطول من العرض فقال لهم عنتر أيها السادات اسمعوا منى هذا الكلام الذى أقول لكم عليه وهو ما بقى يمنعنى عن تعليق قصيدتى غيركم فاسمعوا ما أبديه لكم من مقالى وشاركونى فى درج المعالى وإلا أطلت عذابكم وبعد ذلك أضرب رقابكم وأفجع فيكم أحبابكم ( قال الراوى ) فلما سمعوا أصحاب القصائد هذا المقال وهذا التهديد والوعد والوعيد قالوا اعلم أننا نجيبك إلى ما تريد فعندها قال لهم الشيخ عبد المطلب ما تقولون فى هذا الأمر ياسادات العرب وأصحاب الفصاحة والأدب أدخلتم عنتر فى أحسابكم والنسب فقالوا كلهم نعم ياسيد العرب ويا حاكم العرب والحطيم وزمزم فقال عنتر لأخيه شيبوب يا ابن الأم قدم لى من هم هؤلاء الفصحاء واحد بعد واحد وفك قيده من رجليه واخلع من هذه الخلع السنية عليه فعند ذلك فعل شيبوب ما أمره أخوه عنتر وقد استحسن فعاله كل من حضروا وبعد ذلك قدم الملوك والفرسان وكانوا خمسمائة وخمسون إنسان منهم واحد وأربعون ملكا من ملوك الزمان والباقى فرسان شجعان فخلع عليهم بعد ما زال عنهم الحديد وقد تشرفوا بعنتر الصنديد ونواله وما أعطاهم من ماله وقد شهدوا على أنفسهم

أنهم كلهم عاجزون عن قتاله وحربه ونزاله ولا أحد منهم يفعل فعاله قال وبعد ذلك أمر الشيخ عبد المطلب عبيده ورجاله أن تنادى بين القبائل بالإصلاح وترك الحرب والكفاح ففعلت العبيد ما أمرهم به من ذلك الفعال وقد علمو الخلائق كلهم بهذا المقال فعند ذلك اجتمعت ذلك الأمم بعد الفراق وقد صفا لهم الزمان وراق ونادت الفرسان التى من اليمن وقبائل بنى قحطان ياسيد الحرم والحاكم على جميع العربان أسمعت قصيدة فارس عبس وعدنان وفزارة وذبيان الذى هو اليوم فارس الزمان وفريد هذا الوقت والأوان واعلم أننا نشتهى أننا نسمعها قبل أن يعلقها ويرفعها حتى أننا نقيس بين فصاحته وشجاعته وقوته وبراعته قال لما أن سمع منهم الشيخ عبد المطلب ذلك الكلام قال لهم امضوا إلى غداة غد واجتمعوا حول البيت الحرام وزمزم والمقام حتى أنى آمر من يسمعكم ما فيها من الفصاحة ثم أنه بعد ذلك أقبل على عنتر وقال له يا أبا الفوارس إذا حضر فى غد أصحاب القصائد المعلقة فاشهد عليهم أكابر مكة وجميع السادات بأنهم دخلوك فى أنسابهم وأشركوك فى فصاحتهم وأحسابهم فقال له عنتر ولماذا هذا السبب ياسيد العرب فقال له لئلا ينكرون ويحلفون ويقولون نحن ما دخلنا معنا إلا عن إضرار ما هو عن افتخار ويحجون عليك بهذا المقال ويفوتك ما كنت ترجوه من بلوغ الآمال وأما إذا فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم فيكون ذلك عن افتخار لا عن إضرار فلما سمع عنتر من الشيخ عبد المطلب هذا الخطاب رآه عين الصواب وقال له والله يا مولاى لقد فتحت لنا نعم نعم الباب وأنه هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنهم بعد ذلك قد انصرف كل منهم إلى ماله من الأسباب من أكل الطعام وشرب المدام وبعد ذلك وقعت الضجة بقدوم الشيخ عبد المطلب وقد حضر معه سادات مكة وتقاطرت من بعدهم السادات والفرسان من كل جانب ومكان مثل شيخ العرب دريد ابن الصمة ومن يليه من العربان والأمير هانىء سيد بنى شيبان وأتت بنو عبس وعدنان مثل الملك قيس وإخوته والربيع ابن زياد وجماعته وكذلك أخوه عمارة القوادنى فى صحبته وما من هؤلاء الفرسان إلا من طاف بالبيت الحرام وتبرك بزمزم والمقام ثم أن عنتر فى ساعة الحال أنفذ أولاده ميسرة وغصوب وإخوته مازن وجرير وشيبوب وأمرهم باحضار أصحاب القصائد فعند ذلك مضوا إلى ما أمرهم به وجلس هو ومن بصحبته الحارث بن حبيب اليشكرى وعمرو بن كلثوم وطرفه بن العبد وزهير بن أبى سلمى ولبيد العامرى ولما حضروا واستقربهم القرار فاستقبلهم عنتر البطل الهمام وأظهر لهم الابتسام وقال لهم يا وجوه العرب الأخيار اعلموا أنى مننت عليكم بسلامة أرواحكم ورددت عليكم

خليـكم وسلاحكم فقالوا كلهم على لسان واحد نعم يا أبا الفوارس وزين المجالس فقال لهم اعلموا أنى خطر لى خاطر وأننى أريد كلا منكم يكون للطاعة مبادر وأن تشهدوا عليكم هذا السيد عبد المطلب وسادات مكة وأكابرها وجميع العرب بأنكم قد أشركتمونى فى فصاحتكم وداخلتمونى فى أحسابكم وأنسابكم وإلا وحق الرب العظيم رب موسى وإبراهيم الذى هو بكل شىء عليم أعدمكم أرواحكم وأقطع بهذا السيف أعصابكم وبعد ذلك أعلق القصيدة فى المكان الذى أريد فلما سمعوا من عنتر ذلك الكلام بقى كل واحد منهم كان ألجم بلجام وقد جعلوا ينظرون إلى بعضهم وقد صاروا مطرقين برؤسهم إلى الأرض قال الراوى وأعجب ما جرى من أحاديث العربان أنه قد وقع بينهم أمر وكلام وقد تدبروا فى الظلام ولما أن تكلم عنتر بهذا الكلام وأبرم هذا الإبرام رفع رأسه من هؤلاء الفصحاء امرؤ القيس وبدأ عنتر بالكلام من دون أصحابه وجلساه له اعلم يا أبا الفوارس كفاك الله شر كل عدو ومجالس أن خير القول أصدقه ومن قال شيئا فعليه أن يحققه لأنك والله فارس همام ولكن يا وجه العرب ما نشركك معنا فى الفصاحة إلا بعد ما نمتحنك فى أسماء عظيمة لأن العرب ما تسلم لك فى شىء حتى تغلب ولو ذاقت مرارة العطب فإن كنت صاحب شعر فأجبنا الى ما نقول لك من الكلام وإلا ما نطيعك ولو أهرقت دمانا ولا تترك العرب يتحدثون عنك فلما سمع عنتر من امرىء القيس ذلك الكلام قال له يا وجه العرب كل واحد منكم له سؤال أو ترضون بواحد منكم فى هذا السؤال فقالوا له كلهم على لسان واحد يا أبا الفوارس اعلم أن واحدنا ينتدب إلى هذا المقال وأنت تجيبه فى السؤال فلما سمع الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد إلى ما وقع من هذا الخلاف أملوا أن عنتر يغلب ولم يعلموا أنه فارس العرب وقد حظى بالسعادة ثم أن عنتر قال لهم يا وجوه العرب اختاروا واحد منكم لهذا السبب ودعوه يسأل عما طلب حتى أننى أجيبه عن سؤاله وأبلغه الأرب فعندها اتفقت نية الفصحاء جميعا قدام عنتر ومن كان قد حضر على امرىء القيس بن حجر فقال عنتر قل ما بدا لك حتى أبين لك ما تقول من مقالك وإلا اجعلنى أنا السائل وأنت المسؤل حتى أخليك ما تعرف ماذا تقول فقال امرؤ القيس يا أبا الفوارس إنى أريد أن تخبرنى بما أقول لك من المقال لأنك أنت المسؤل فاسمع السؤال ورد لنا جوابه بأنك تبين لنا أسماء السيف وألقابه فقال عنتر اسمع الجواب وافهم ما أبديه لك من الخطاب فهو يسمى السيف والحيف والصارم والحاكم والقائم والصدى والردى والندى والعدى والجليل والصقيل والمقيل والنيل والوكيل والكفيل والقضيب والمجيب والصفيحة

والمليحة والصمصام والحكام والحسام والهجام والخدام والمرام والهام والحام والقوام والوكام والهندوانى واليمانى والمشرفى والصنى والوفى والبداية والنهاية والضراب والوثاب والعضب والندب ومفرج الكرب والذكر الأبتر لاعطر. الأخضر. المهز. المعز. المطلق والمطبق البازق. الماحق المنصل. المصل. المضربيه. العجيبه. الهندى. المردى. الحقيقة والطريقه. والمرهف. القاطع فى القرين. الكمين. الانيس. الماضى. القاضى. الضامى الدامى. الحامى. ذوالنور. المشهور. ذا الحدين وقرة العين وقاضى الدين. السفاك الهتاك. ومجرى الهلاك والرقيق والصديق وذو الحيات وكامل الصفات وهذا جملة ما للسيف من الأسماء والإشارات ياامرىء القيس اسمع ما قلت لك من كلامى وافهم ما القيت ميك من الأسامى فقال بخ بخ والله أنت أفصح على كل من تكلم بخطابه ولكن بين لنا أسماء الرمح وألقابه فعندها قال له عنتر أنا أبين لك هذا الخبر فاما الرمح اسمه الأول الردين المطلول والقنا ونيل المنا والمكمب والأنبوب والصعدة والسمرى والدليل والقاتل والواصل والحايل والأسل ومرج الديل والاصعر والأضم والشيخ والصحيح والاشطان والمران. العوّاد. المحداد. المياد. الصياد، الخطر. السيار. الخست. والعود. الخلنجية. النسيب. المنسب. المنيب. السامى. الدامى. الحامى. المصيب، المجيب. الدام. القوام. مسقى الحام. وهذه ياامرؤ القيس أسماء الرمح وألقابه على التمام قال الراوى فلما سمع امرؤ القيس هذا الكلام قال بخ بخ ولله درك من فارس همام وأسد ضرغام ما أفصحك فى الكلام ولكن يافارس عدنان وفريد العصر والأوان أريدك أن تبين لى أسماء الدرع عيان فقال عنتر أبشر ياتصيح البدو سأخبرك بشىء بقى من بعدى من بعدى يذكر فانما الاسم الأول الدرع باللغة العربية ماهو بكلام فصحاء الجاهلية كانوا يتفاخرون بالفصاحة قبل أن يبعث سيدنا محمد خير البرية وأما الاسم الثانى فهو الزردية والمرسه والأجيحة واللامة والظلامة والسابغة ودلاصه والمانعة والساطعة واللامعة والبصاصه والنشاطة والفشاطة والمبرود والمشهود والحافظ وأم الحواشى وذات المراشى والمردد والمنضد. الصامد. الحديد. الجديد. النضيد. الصباحى النباحى النسيج. البهيج. النسيم القويم. والقرين. المعين وهذه جملة أسماء الدرع يافطين قال فلما سمع امرؤ القيس مقاله تعجب من كلامه وقال صدقت ياأبا الفوارس وزين المجالس ونسل الأمجاد وابن شداد وفارس الطراد ولكن بين أسماء الجياد وألقاب الخيل الجياد فقال عنتر أما اسمه الأول فهو

الفرس وهو الاسم الذى عليه المعول والثانى الجواد والسابق واللاحق والطارق والمارق والغمام والنعام العارف والخاطف والقلة والمنجى من الويلة والأبجر والأشقر والأخضر والأصفر والسحاب والعقاب والكواكب والمولب والركاب والوثاب والابيض الاشهب الادهم .المعلم . شيظم. النطال.الجافل . الصيال . الطايل . الداحس.حابس . المطلق . الملحق . الورد . الرعد . الطيار . السيار . الراكض . الناهض . الهجام . اللدام المزاحم . المنسوب . المطلوب . المحبوب .منية القلوب.المجنون.المفتون.هذا ياامرؤ القيس جملة ما نطق به لسان عنتر من الفنون قال فلما سمع امرؤ القيس هذا الكلام ما قال عنتر من النظام قال له صدقت ياأبو الفوارس ولكن بين لنا أسماء النوق والقابها فقال عنتر ذلك من غير عاقه فأول الاسماء منها الناقة .الحرقة.الشملة . المدله .الموجل . الجيش الخايع . الضريع . السريع . البكرة . الدالة . الكوسا . العلسا . المطية . البهية النجية . الصفية . النيلة . العباس . الرعباس العفافة الذيانة . اللقاقة . الزغابه السائبة . الحالية.الغالية. السابقه . اللاحقة .الزنجية . المهرية . الزلولة . الجازة . العالية والناجية . الطلوب . العلوب . الصبيحة الدهفا . الرهفة .الهيفا . البدره . الندرة والفاح . ست الملاح . السفية . المنجية . الأصيلة . الفصيل . الوسيلة . الشكرة الفسكرية . الحورة المباركة . العصية . السكينة . السفينة هذه أسماء النوق والقابها وقد بينت لك خطاها من صوابها قال فلما سمع امرؤ القيس مقالة عنتر قال وحق البيت الحرام والحجر والركن العتيق المطهر ما أنت إلا نادرة بين البشر لقد أحسنت فيما به نطقت ولكن أريد منك أن تبين لنا ما احتوت عليه ضمايرك من أسماء الخمرة فقال له عنتر أنا أبين لك ذلك وأزيل عن قلبك هذه الحسرة فأول الأسماء منها والمسكر المفرح والشمول والقرقف والخندريس . الرميس . العايقة . الريقه . الموعظة . الرياح . الوشاح والمعطر : المسكر الاصفر . الاحمر . الصافى . المعزة . الحبيب . الاثم . السلافه القسوس نزهة النفوس . الصبا . الجريال الزلزل . الخرطول . منفى الهموم والسحابة وأم الليل مزيلة الويل . الشبسية . المربية والقربية . البهيج والنهيج والنسيج والشافية والعافية . المقدسة . المدنسة والحلبا والجلبا والشائعة والنافعة والرائعة والخنسية والبوله والسلسبيل . الظليل وطعم العسل والمسجون وأن الليمون والمريعة والصريعة والمغضوب والمسروب وبهجة كل محبوب كل هذا ياامرؤ القيس من أسماء الخمرة والقابها

وقد أفصحت لك عن جوابها فلما سمع امرؤ القيس من عنتر ذلك المقال قال له صدقت يا فارس الزمان فإن جميع ما قاله من أسماء الخمرة يذكر لكن أريد منك أن تبين لنا أسماء الحيات التي لا يعرفها إلا الفصحاء فقال عنتر فأول اسم من أسمائها فهي الحية . الثعبان . الأرقم . الشجاع . الأصم . الأسود شيظم . السندى . الهندى . أم صالح . الظلاى . الأفعى . السلطان : للنات . أم منشور . الأسحر . الأعوج الوردى . الأسلط . الوسواس . الخناس . القياص . أم عباس . العربيد . العنيد . العتانى . الدرباسى . المعلم . غيلم . أبو العجم . العنقاء . الخشب . العطاذى . الأحرف . الحفان . ذو الطرفين . الحجطب . اللعين . المريش . الهوجل . الأرقش . الأنمش . المرتقش . أبو الذوائب . وهو أعيب ما يكون فى خلقة الحيات ورقبة الجمل والاخرس . الأطود . أبو قرنين . الأضلع . الأبلق . الرملى . الأبقع . الزحلف . الترابى . الدفان . النباش . الشمام . القتال . النفاخ . الهطال . الميال . الضفدع . أبو كربال . الطيار . السيار . النطاط . الأفرع والآلى . وهو الذى رؤيته يتفزع فهذه جملة أسماء الحيات وما لها من الصفات وإنى قد أتيتك يا امرؤ القيس بجوابها وخطابها فعند ذلك تعجبت فرسان العرب وفصحاؤها من ذلك المقال وقد أخذتها الحيرة والانذهال وكذلك كل من حضر من الملوك والسادات والأبطال وقد طربوا كلهم من رد ذلك السؤال وقالوا وحق الملك المتعال الذى أرسى بقدرته الجبال ورفع هذه السموات العوال لقد كمل هذا الرجل الفصاحة والشجاعة والكرام والبراعة ويحق له أن يعطى أعنة الطاعة ولا يخافه أحد من الجماعة ( قال الراوى ) هذا وأن امرؤ القيس لما سمع من عنتر ذلك الكلام الذى تحيرت فيه الأفهام قال والله ما أنت إلا فارس همام وبطل ضرغام لله درك يا فارس عبس الأدهم وأسدها الضيغم ثم أنه نادى بأعلى صوته أشهدوا على يا سادات العرب ويا أهل الأدب هذا الأمير عنتر قد أدخلناه فى أحسابنا وهو والله أفصح منا لسان وأثبت منا جنان فى الميدان وأقدر منا على لقاء الشجعان قال الراوى فعند ذلك أقبل السيد عبد المطلب على من تبقى من أصحاب القصائد وقال لهم ما تقولوا يا سادات العرب فى اتصال هذا الرجل إلى هذه الطبقة فقالوا له اعلم أننا نقول مثل ما قال امرؤ القيس ولا نتعرض له فى مقال لان ما فينا إلا من هو عتيق سيفه وأمين خوفه وقد صار واحدنا فى الحسب والنسب وأوفى منا فى الشجاعة والبراعة وعلو الرتب قال الراوى فعند ذلك قام إليهم وقبل رؤسهم وبين عينهم وخلع عليهم الخلع المثمنة

وقد نادت عبيد الشيخ عبد المطلب بين تلك الخلائق بالاصلاح وترك الحرب وقد انحلت من بينهم تلك الكروب وصفت منهم النيات والقلوب واجتمعوا اسادات الطائفتين القحطانية والعدنانية بعد ذلك الافتراق وصفى لهم الزمان وقد نادت جميع العربان يا ابن عبد مناف ويا سيد الاشراف أسمعنا قصيدة عنتر بن شداد حتى أننا ننظر فصاحته ثم نقيسها على شجاعته قال فلما سمع الشيخ عبد المطلب منهم ذلك الكلام قال لهم أن تسمعوا ذلك الشعر فيكون ذلك فى غداة غد البيت الحرام حتى آمر من يسمعكم اياها وتفهموا معانيها قبل رفعها وتعليقها قال الراوى ولما كان ما كان من ذلك الميعاد مالت جميع العرب إلى البيت الحرام وازدحمت تلك الامم ما بين زمزم والمقام فامر الشيخ عبد المطلب أن ينصب له العرنوس الذى كان يعظ الناس عليه فى زمان الجاهلية وهو الذى يسمى فى هذا الزمان المنبر فعند ذلك نصب وقد شاهده كل من كان فى هذا المقام حضر وكان ذلك قدام الكعبة شرفها الله تعالى وعظمها وكان ذلك المنبر عال شاهق فى الارتفاع لأنه كان طوله أربع وعشرون ذراع فلما نصب تقدم عنتر وأن لاده الأبطال الذين يتبعون مراده والسيوف فى أيديهم مسلوله ولهم على ذلك هيبة وصولة فعند ذلك أقبل الشيخ عبد المطلب على عنتر وقال له أين القصيدة التى تريد أن تعلقها حتى أننى آمر من ينشدها على الصفة التى تريدها فقال عنتر هاهى يا مولاى وسوف تنظرها والخلايق إليها ناظره قال ثم أن عنتر أمر عروه بن الورد باحضار القصيدة حتى ينشدوها ويبلغ من تعليقها ما تريد فلم تكن إلا ساعة والقلوب إلى سماعها ملهوفة ومرتاعة حتى أتى عروه وهى معه فى ثوب من الديباج ملفوفة فعندها أخذها الشيخ عبد المطلب ثم نشرها بيديه وكل من ذلك المكان ناظر إليه ثم أنه نادى لرجل ممن كان له من الرجال الخواص وكان يقال له وائل بن العاص وكان من فصحاء مكة وساداتها فقال له عبد المطلب يا ابن العاص أصعد على هذا العرنوس واسمع الناس وبين لهم فصاحة أبى الفوارس عنتر وأفصح لهم الكلام بصوتك الجهر حتى يسمعه الأقصى والادنى فانه قد بلغ فى هذه غاية المنا قال فلما سمع وائل بن العاص كلام الشيخ عبد المطلب فى تلك الساعة وما كلفه من دون الجماعة قال له عند ذلك السمع والطاعة ثم أنه طلع على العرنوس فى ساعة الحال ونظر إلى تلك الخلايق المجتمعة يمينا وشمالا فابصر خلائق قد اجتمعت لا تحصى بعدد الرمل والحصى لا يعلم عددهم إلا الملك المتعال الذى قدر الارزاق والآجال قال فعند ذلك تنحنح وتكلم وحمد الله ذو الجلال وأثنى عليه بالجود والافضال ثم أنه رفع طرفه ونطق بصوته الجهر وكان أندى من وابل المطر ثم

أنه قال الحمد لله مدبر الليل والنهار رب مكة ومنى المستحق الحمد والثناء المنزه عن الزوجات والبنات والأبناء الذى جعل النهار معاشا والليل سكنا وجعل الديار العامرة وطنا وحكم على عباده بالموت والفناء وهو الله الذى لا إله إلا هو خالق الخلق والعباد وجاعل الجبال أوتاد والهمم إلى طرق الرشاد أما بعد معاشر العرب الأجواد اسمعوا ماقاله عنتر بن شداد الذى ايخر على أبناء جنسه وساد الأبطال وبنى له من المجد بينا رفيع العماد فانصتوا أيها لسادات الحاضرين لمقاله واسمعوا نظمه وأقواله ثم أنه أنشد وجعل يقول

هذه القصيدة الميمية لعنترة الأسد الغضنفر الذى علقها على البيت الحرام وسجدت لها سائر العربان وأذل لها كل فارس من الشجعان

| | |
|---|---|
| هل غادر الشعراء من مترده | أم هل عرفت الدار بعد توهم |
| أعياك رسم الدار لم يتكلم | حتى تكلم كالاصم الأعجم |
| ولقد حبست بها طويلا ناقتى | أشكوا إلى سفع رواكد جثم |
| يادار عبلة بالجواء تكلمى | وعمى صباحا دار عبلة واسلمى |
| دار لآنسة غضيض طرفها | طوع العناق لذيذة المتبسم |
| فوقفت بها ناقتى وكأنها | فدن لاقضى حاجة المتلوم |
| وتحل عبلة بالجواء وأهلنا | بالحزن فالصمان فالمتثلم |
| حييت من طلل تقادم عهده | أقوى وأقفر بعد أم الهيثم |
| حلمت بأرض الزائرين فاصبحت | عسرا على طلابك ابنة مخرم |
| علقتها عرضا وأقتل قومها | زعما لعمر أبيك ليس بمزعم |
| ولقد نزلت فلا تظنى غيره | منى بمنزلة المحب المكرم |
| كيف المزار وقد تربع أهلها | بعنيزتين وأهلنا بالغيلم |
| خود إذا نهض الخوان تلونت | باقب مطرد الوشاح مقوم |
| وبحاجب كالنون زين وجهها | وبناهد حسن وكشح اهضم |
| هيفاء جارية يغادر حسنها | تاج الحقيقة والثليث الملزم |
| فكان ريقتها إذا مازجتها | خمر تعتقها ملوك الاعجم |
| ان كنت أزمعت الفراق فانما | زمت ركابكم بليل مظلم |
| ماراعنى إلا حمولة أهلها | وسط الديار تسف حب الخمخم |
| فيها اثنتان وأربعون حلوبة | سودا كخافية الغرب الاسحم |
| إذا تسقيك بذى غروب واضح | عـــذب مقبلة لذيذ المطعم |

وكان فأرة تـــاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم
أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حـــرة فتركن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكابا فكل عشية يجرى عليها المــــاء لم يتصرم
وخلا الذباب بها فليس ببارح غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعـــه قدح المكب على الزناد الاجذم
تمسى وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم
وحشيتى سرج على عبله الشوى نهـــد مرا كله نبيل المحزم
هل تبلغنى دارها شدنيـــة لعنت بمحروم الشراب مصرم
خطارة غب السرى زيافـــة تطس الاكام بوخذ خف ميثم
فكأنما أقص الاكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم
تأوى له قلص النعام كما أوت حزق يمانية لاعجم طمطم
يتبعن قـــلة رأسه وكأنـــه حرج على نعش لهن مخيم
صعل يعود بذى العشيرة بيضه كالعبد ذى الفرو الطويل الاصلم
شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم
وكأنما تنأى بجانب دفها الوحشى من هزج العشى مؤوم
هر جنيت كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم
بركت على جنب الرداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم
وكأن ربا أو كحيلا معقدا حش الوقود به جوانب قمقم
ينباع من ذفرى عضوب جسرة زيافـــة مثل الفنيق المكدم
أن تغد فى دون القناع فاننى طب بأخذ الفارس المستلئم
أثنى على بما علمت فاننى سمح مخالقتى إذا لم أظـــلم
فإذا ظلمت فان ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم
ولقد شربت من المدامة بعدما ركـــد الهواجر بالمشوق المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر فى الشمال مقدم
فاذا شربت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتـــكرمى
سبقت يداى له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك … إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

إذ لا أزال على رحالة سابح … نهد تعاوره الكماة مكلم

طورا يجرد للطعان وتارة … يأوى إلى حصدى القسى عرمرم

يخبرك من شهد الوقيعة أننى … أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ومدجج كره الكماة نزاله … لا ممعنا هربا ولا مستسلم

جادت له كفى بعاجل طعنة … بمثقف صدق الكعوب مقوم

فشككت بالرمح الاسم ثيابه … ليس الكريم على القنا بمحرم

فتركته جزر السباع ينهشنه … يقضمن حسن بنانه والمعصم

ومشك سابغة هتكت فروجها … بالسيف عن حامى الحقيقة معلم

زبد يداه بالقداح إذا شتا … هتاك غايات التجار ملوم

لما رآنى قد نزلت أريده … أبدى نواجذه لغير تبسم

عهدى به مد النهار كأنما … خضب البنان ورأسه بالعظلم

بطل كأن ثيابه فى سرحة … يحذى نعال السبت ليس بتوأم

طعنته بالرمح ثم علوته … بمهند صافى الحديدة مخذم

يا شاة ماقنص لمن حلت له … حرمت على وليتها لم تحرم

فبعثت جاريتى وقلت لها اذهبى … فتجسسى أخبارها لى واعلمى

قالت رأيت من اعادى غرة … والشاة ممكنة لمن هو مرتمى

وكأنما التفتت بجيد جداية … رشاء الغزلان حر أرثم

نبئت عمرا غير شاكر نعمتى … والكفر مخبثه النفس المنعم

ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى … إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

فى حومة الحرب التى لا تشتكى … غمراتها الأبطال غير تغمغم

إذ يتقون بى الاسنة لم أخم … عنها ولكنى تضايق مقدمى

لما رأيت القوم أقبل جمعهم … يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والنبال كأنها … طش الجراد على كثيب أعظم

يدعون عنتر والسيوف كأنها … لمع البوارق فى سحاب مظلم

يدعون عنتر والرماح كأنها … أشطان بئر فى لبان الأدهم

يدعون عنتر والدروع كأنها … حدق الضفادع فى غدير ديجم

مازلت أرميهم بثغرة نحره … ولبانه حتى تسربل بالدم

فازور من وقع القنا بلبانه     وشكى إلى بعبرة وتحمحم

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى     ولكان لو علم الكلام مكلمى

لما رآنى لا أنفس كربه     عض اللجام بقوة وتصمصم

لما رآنى لا أبالى بالقنا     خاض الدما تحت العجاج المظلم

لله در جيوش عبس يا لها     من أسد غاب طاعنين المقدم

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها     قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

والخيل تقتحم الغبار عوابسا     من بين شيظمة وأجرد شيظم

ذلل ركابى حيث شئت مشايعى     لبى وأحفزه بأمر مبرم

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن     للحرب دائرة على ابنى ضمضم

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما     والناذرين إذا لم ألقهما دمى

أن يفعلا تركت أباهما     جزر السباع وكل نسر قشعم

فقد رأيت الدم يجرى فى الفلا     والخيل ترقى بالجماجم والدم

أو عاتقا من أزرعية مزوقا     مما ينسجه ملوك الأعجم

ينباع عن زفر غصون حرة     ريانه مثل الفتوق المكرم

ولقد أبيت على الطوى وأظله     حتى أنال به كريم المنعم

زيدا تراه بالقداح إذا اشتهى     هناك رايات التجار ملوم

يا عبلة لو أبصرتنى لرأيتنى     فى الحرب بالحرير الضيغم

فلقد ذكرتك والرماح نواهل     منى وبيض الهند تقطر بالدم

فوددت لثما للسيوف كأنها     لمعت كبارق ثغرك المتبسم

لحسبتنى أيشا على عبل الثرى     نهر تراه كالسحاب المقتم

فالخيل تقتحم الغبار عوابس     وبلى مناسجها سرابل من دم

هلا سألتى الخيل يا ابنة مالك     إن كنت جاهلة بما لا تعلم

قومت فيه سعدة هندية     سمرا يقدمها سنان اللهزم

وتركت غربان الفلاة تنوشه     يحجلن فوق بنانه والمعصم

لا تحسبن قتال عبس بالقنا     وقتالهم بالتسيف حتم المرتم

فأنا الذى شردت أساد الفلا     وقهرت أبطال الزمان بلهدم

فأنا الذى سعدى علا فوق السها     حتى بدا بالقرب محو الأنجم

فأنا الذى أدعى بعنترة الوغا     من نسل شداد الشجاع الضيغم

أمي زبية ليس أنكر اسمها ... وانا ابن فلاق الجاجم والقم
والمستعان بخالق رب السما ... رب عظيم رزاق متنعم
غانى جميع عباده من فضله ... مع جمع وحش الطيور الحوم
يحييهم ويميتهم بإرادة ... جل الإله الواحد المتعظم
واسأله ان يعفو ويغفر ذلتي ... وكذا ذنوبي إن ربي أعلم
ووسيلتي بنبيه وحبيبه ... وبآله وبصحبه والأكرم

قال الراوى فلما فرغ العاص من قصيدة عنتر مالت الفصحاء طربا وتحدثوا بها عجبا وقالوا يحق له أن يعطى عنان الطاعة ومازالوا على ذلك حتى علقت على الكعبة مع القصائد الستة فكانت هي السابعة فعندها سجدوا لها العالم عن بكرة أبيهم طائفة بعد طائفة بعد الاحقاد وكانت العرب تدور على البيت الحرام وتتفرج على القصائد والنظام وتطلب بذلك رضا الملك العلام إلى أن بعث سيد الأنام ودعا الخلق إلى الإسلام وانهدم حصن الشعراء الذى على الركن اليمانى إلى عنتر لما علق القصيدة وبلغه الله ما كان يريد أرادت العرب أن تعود إلى الخيام وتأخذ أهبة الرحيل أنفذ عبد المطلب واحضر ذو الخمار دريد وقال له هذا بنتك وأنت تعلم ماقبل بنا فافعل به ماتريد




فقال له دريد فافعل به ماتختاره واقض عليه بشرع العرب لأنك حاكم الحرم فقال عبد المطلب نحن تأخذ منه بعض القصاص ثم أنه أمر عشرة من العبيد فداروا به وأركبوه حمارا وقال

لهم طوفوا به على القبائل وأضربوه بالسياط ونادوا هذا جزاء من أراد هدم البيت الحرام ففعلوا ما أمروا به وكان أعجب ذلك من حضر والذى تولى نوبته كان هانىء بين مسعود لما بينهما من الحقد وطار يخترق به المضارب والخيام حتى قارب فروغ النهار وعول هانىء أن يعود به إلى عبد المطلب وإذا بخمسين فارسا قد أطبقوا عليه وشالوا العبيد على رؤس الرماح وأطلقوا ذو الخمار وسلموا له آلة الحرب والكفاح وقالوا له ياابن العم خذ لنفسك بالثار فان الذى حل بك لو حل لرجل من بعض الخدم لهان عليه العدم فقال صدقتم ثم أنه هدر وطلب هانىء وكان هانىء وذو الخمار لحل عليه ذو الخمار وضربه ضربة جبارة فحمل عاتقه فارتفع الصياح وركبت الفرسان واشتهروا الصفاح وقتلوا الخمسين حتى حموا أنفسهم وقد أنسدل الظلام فطلبوا النجاه فى أقطار الفلاوفرح ذوالخمار بخلاصه من أعدائه بعد ان كان قد أشرف على فنائه وصار كلما أدركته الخيل نثرها نثر الورق فعند ذلك وقع الضجيج فى القبايل ورحلت أكثر أهل اليمن يطلبون الوطن ووصل خبر ذو الخمار إلى عبد المطلب وعلم عنتر بذلك لحار وقال والله نجا ذو الخمار ولولا قدوم الليل لتبعته وضربت رقبته ولكن أقول أن دريدا أنفذ له هذه الخيل حتى خلصته قال وأنت بنو شيبان وشالوا هانئا وهو على آخر نفس لأن جرحه كان بليغا فبكت عليه الشجعان وندبه النسوان وعند الصباح خفت القبائل وكان عنتر أرد أن يعمل دعوة المقيمين فمنعه ماجرى لهانى فانفذ إلى دريد يشاوره فى عمل الوليمة ويخبره بماجرى على هانى من ذو الخمار فرد عليه الجواب يقول والله يا أبا الفوارس إن أفراحنا فى هذا الوقت شماته للاعداء لأن هذا الرجل صار صاحبا أكل معنا الطعام ورمى نفسه بين أيدينا الحمام وهو مشرف على التلاف على أنه لو وقع ذو الخمار فى يدى لنحرته وأعذرت من فعاله إلى هانىء وأنت الشاهد على أن دمه لقاتله من قبلى مباح فلما سمع عنتر مقال دريد علم أن ظنه خانه وصار هو وعمرو الزبيدى وسائر الفرسان يترددون إلى هانىء ويوعدنه بأخذ الثار من ذو الخمار تمام عشرة أيام وبعد ذلك رحل دريد بقومه حين رأى جراح هانىء صعبة البرود ودع عنتر دريد ورجع إلى الخيام وعلم أنه مابقى له بعد دريد مقام وكان تلك المده بالنهار ومع أولاده فى الصيد وأول الليل عند عمره يسئلها عن وطنها ثم نساء الحى إذا اجتمعت معهن يضحكن على ويلقن أن عنتر سلاك والله ما بقيت أصبر على هذا بل ردنى إلى بيت أبى وأفعل أنت وحبائبك مايشاء فقد ملىء قلبى مما أقاسى من الغيرة وكثرة الضرائر ثم بكت وخرقت ثيابها فقال لها شيبوب أما تستحين من هذه الفعال ارجعى إلى عقلك

وارمى الهم عن قلبك فلما سمعت منه ذلك عفرت عليه وخطفت عمودا عمدات إليه فخرج من بين يديها هاربا فتنغص عيش عنتر قال الراوى وكان السبب فى ذلك الربيع بن زياد لأنه لما رأى عنتر علق القصيدة وبلغ المراد ذاب جسده من الحسد فقال والله لاسعى فى تنغيص عيشه فاستدعى بالمدللة بنته وكانت زوجة قيس وقال لها عاونينى على قتل عنتر فانى تحيرت فيما أفعل وأريد أن تدخلى على عبلة وتقولى لها كيف حالك على كثرة الضرائر لأنى أعلم أن عنتر سمح عليك وربما سلاك فقالت سمعا وطاعة ثم أنها دخلت على عبلة على سبيل الزيارة فاعتنقتها عبلة وقعدا يتحدثان فاعادت لها المدللة ما أعلمها الربيع فلما سمعت عبلة ذلك واقمها الخجل ثم قالت لها يا ستاه لو ملك عنتر مائة امرأة ما يريد سواى وبعد هذا ما هو عندى بمنزلة عبد ولو شئت رددته إلى رعى الجمال وحق ذمة العرب أنه يبقى الشهر والشهرين لم أخليه يدنو منى حتى يقبل يدى ورجلى وأنتى معه هذا الزمان ما رزقت منه ولد فقالت المدللة ما هو صحيح وإنما أردت بذلك أن أشترى أحوالك وإذا حسيتى بالأولاد ترميهم فقالت لها بذلك ماقلت لك إلا حقا وان شئتى أوريك كيف يمرغ وجهه على قدمى قالت لها بذلك يزول الأفكار وأننا نفعل ذلك إذا وصلنا الديار ولما جرى مع عنتر قال لها ياعبلة ما ياعبلة ما بغصتك قط وأما قولك الضرائر فانا ما أخير عليك امرأة ولكن التجات إلى غمره وغصوب وهو حامية بلاد شريف وما يمكنى أبعدها وأبعده وأتركه يلتجىء إلى غيرى ونعمتى تعيش فيها خلف كثير هذا شىء لاأفعله أبدا وأما أن كنتى تخافى أن يكون بينى وبينها اجتماع لحاشا وكلا وهى لاتفعل هذا أبدا وأنا لاأقدر أقابلها بذلك ثم أنه مازحها فضحكت وطاب قلبها وعند الصباح سار إلى قيس وقال له أعزم بنا على الرحيل فقال قيس هذا هو الصواب ثم أخذوا أهبة الارتحال ثم أن عنتر شاور غمرة فى الرحيل فقال إلى حلته فقالت ما أقدر أقحل وقلبى مشغول برجالى وأموالى الذى أخذها ملك السودان ولا بد لى من أخذنا ثارى والا عايرونى القبائل بالرحيل معك فقال لها أسير بقومى إلى الديار وأعود أدخل معك بلاد السودان ومن الغدر حلت بنوا عبس ووصى عبد المطلب بزوجته وأولاده وأفتقد هانىء وسار إلى قبارب الديار وكان يتولاها بنفسه ويقول للعبيد دعوا عنكم المساعدة ولما وصلوا إلى الديار وأستقر بهم القرار طلبت الدعوة التى وعدها بها فامر بذبح الأغنام والفصلان وترويق المدام وأنفذت عبلة خلف النساء الدعيات مع زوجة قيس وبنته ونساء بنى فزارة وعمل عنتر وليمة للرجال وكانت عبلة عليها خلعه من ملابس كسرى ولما فرغوا من الاكل عادوا إلى المدام ورقصت البنات وغنت

المولدات وطاب عيشهم فى ذلك المقام وكان الربيع دبر مكيدة لعنتر لأنه لما نظر أنه علق القصيدة واجتمع بمحبوبه فكاد من الحسد أن يذوب وكذلك عمارة وقالوا ندبر عليه مكيدة نقتل عبلة وقد هلك عنتر لهلاكها فقال عمارة للربيع يا أخى افعل ذلك قبل فراغ الدعوة فدعا الربيع بالمدللة وقال لها إذا دعتك عبلة إلى الوليمة خذى هذا الدواء واتركيه فى الكاس الذى تشرب به فلعلها تهلك وقد انقضى الشغل لأنى أعلم أنها إذا هلكت هلك عنتر لهلاكها فقالت المدللة سمعا وطاعة ولما كان من الغد دعتها عبلة وأخذوا فى الطرب واللذات وكان لهم يوم عجيب وقالت النساء ما بقينا نشرب حتى يحضر عنتر وينشدنا شيئاً من أشعاره فعندها وجدت المدللة سبيلا إلى عنتر وقالت لعبلة أين الذى وعدتينى به من تذلل عنتر بين يديك فقالت سوف ترى ذلك بعينك ثم أنفذت خميسة خلف عنتر وعلمت أن فى ذلك الوقت يتم لها ما تريد لأجل سكره لأنه عمل دعوة لأهل الحلة فأتت إليه خميسة وقالت له كلم ستى فنهض إليها ووقف على باب السرادق ثم صاح بها ما حالك وما تريدى يا بنت مالك هل عزنى شيئاً من الطعام أو قل ما عندك من المدام فقالت يا بن زبيبة ما عزنا شيئا بل دعوتك لأن بنات عمك طلبوك وما فيهن من تستر عليك لأنهم تربوا على أكتافك فلما سمع كلامها دخل إليهن وهو يقول يا ابنة مالك كيف تركتينا مطبخين أهل الحى فما بقى إلى الغزل بالغزل وأعجن العجين وأضرب بالمزاهر فلما سمعت النساء كلامه ضحكن عليه وقمن إجلالا له فنظر إليهن فرآهن كالبدور الطوالع وقد هتكوا ستر الاحتشام وأرموا البراقع وقد توردت الخدود ومالت القدود وغزلت العيون السود فلما نظرت المدللة ذلك ورأت عنتر فى ذلك المقام أخذت كأس ووضعت فيه الدواء وقامت إلى عنتر وسلمت عليه وناولت الكأس إلى عبلة وقالت لها قولى لابن عمك يمدحنا وينشدنا شيئاً من أشعاره قبل شرب الكأس ويكون شعره غير مطاوق ويمدح هؤلاء النسوان ويذكر ما نحن فيه من طلب العيش فألزمته عبلة بذلك وقدمت له كرسى جلس عليه وجذب عبلة إليه وأجلسها على ركبتيه وقبلها وقال للمولدات حركوا الدفوف بهذه الأصوات ثم تناول من يد عبلة الكأس المشغول وجعل يقول :

| | |
|---|---|
| خمرة تحكى فى رواقها | مثل ما تضحك فى أيدى السقاة |
| وامزجتها من سنايا كى لنا | بجنات النحل مع ماء الفراتى |
| وانثرى من ورد خديك على | فائقات كالظباء الســـارحات |
| وابذلى المال ولا تبقى له | لا تقولين غداً فالرزق يأتى |
| واحفظى العهد كما أعهده | واحذرى أن تسمعى قول الوشاة |
| أنت فى حكم الهوا مالكتى | فاحكمى فى إلى يوم الممات |

لو سلا قلبي كما قال العـــدا ... كنت عندي مثل بعض الأموات
كيف أسلوك وفي مجرى دمي ... قد جرى حبك مع مجرى حياتي
فو حق البيت والركن ومن ... ظهرت آياته من عرفات
إنني في القـبر إذا ناديتني ... قمت أسعى بالعظام الباليات
إن أكن ياعبلة عبـدا أسودا ... فسواد الليل من بعض صفاتي
وفخاري أنني يوم اللقا ... يخضع الصبح لسيفي وقناتي
سائلي كم فارس خلفته ... وشجاعا تائها في الفلواتي
وإذ السمر تعالى نقعه ... وشكا وقـع الجياد الصافناتي
غبت فيه بين غايات القنا ... بفؤاد كالجبال الراسيـات
وتركت الخيل تعدو فرقا ... كاليباث شاردات العـلاقي
وفعالي قد عرفتي بعضه ... ورأيني يوم حربي العزماتي
فاقنعي منا بما قد نلته ... ورابته وعودى عن صفاتي
واعلمي أني رحيلي قد دنا ... واذكري ما بيننا في الخلواتي
واحفظي العهد فما تدري غدا ... ماتلاقي من قضاء قاضي القضاة

فلما سمعوا ذلك البنات قالوا ماسمعنا مدة عمرنا مثل هذه المقالات ولا أكثر منها إشارات فلما نظرت عبلة إلى ذلك الحال قالت ياابن زبيبه أنت تحبني قال نعم فقالت له إن كنت تزعم أنك تحبني قبل قدمي ثم مدت رجلها إليه فلما نظر عنتر ذلك غاب صوابه وسكت عن الجواب فقالت ويلك ياابن الأنذال لم لاتبادر إلى هذا الحال أنت كبرت نفسك لما علقت القصيدة فوحق ذوة العرب لأردك إلى رعي الجمال هذا كله يجري وشيبوب يسمع ويرى فمن شدة ماجرى عليه زاغت عينه وهجق عنتر وصاح فيه لي أخذ الكاس من يده ورماه إلى الارض وقال له ياابن الأم أما تستحي على نفسك أن تذل لذات قناع وقد ذلت لهيبتك السباع ودفعه وأخرجه من السرادق وأركبه على الابجر وأراد شيبوب أن يدخله بعض المضارب لينام فقال له أنت قاصد بي نحو الخيام فوالله ما بقى لي فيها مقام فسر بنا إلى بيت الله الحرام وأنت شاهد أن هذه الديار على حرام وسار يخترق البر وقد قطع من عبلة الرجا ومن خوفه أن يلحقه من يترضاه قطع به عرض الفلاة وما زالا على ذلك الصباح فوقف عنتر واشتكى إلى شيبوب كسل الخمر فعدل به إلى بعض الغدران وربط الجواد ونام عنتر وشيبوب اصطاد دستة من الغزال وأضرم النيران وشويا ما كفاهما وعزما على المسير وتذكر عنتر ماجرى عله من عبلة فانشد يقول :

سلى القلب من كان يهوى ويطلب  وأصبح لا يشكو ولا يتعذب
صحا بعد سكر وانتخى بعد ذلة  وقلب الذى يهوى العلا يتقلب
إلى كم أدارى من تريد مذلتى  وابذل بجدى فى هواها وتغضب
عبيلة أيام الجمال قليلة  لها دولة معلومة ثم تذهب
فلا تحسبى أنى على البعد نادم  ولا القلب فى أثر الغرام يعذب
وقد قلت أنى قد شكوت من الهوى  ومن كان مثلى لا يقول ويكذب
هجرتك فامضى كيف شئت وجربى  من الناس غيرى فاللبيب يجرب
ويا قلب لا يلهيك عن طلب العلا  ديار نأت عنها الرباب وزينب
لقد غاب من أضحى على ربع منزل  ينوح على رسم الديار ويندب
وقد فاز من فى الحرب أصبح جائلا  يطاعن قرنا والغبار مطنب
ولا تسقنى كاس المدام فانها  يذل بها عقل الشجاع ويغلب

وكان أعنى بالبيت الأخير زيادة السكر فى الليلة المقدم ذكرها وما تم عليه من عبلة وسار حتى قارب مكة وكان أصبح فى أرض كثيرة الماء والنبات وعول على النزول فلاح لهم هودج ومعه عشر فوارس فقال عنتر هذه فرسان سائرة وأنا أعلم أنهم يطمعوا فينا والرأى اننا نطلبهم قبل أن يطلبوننا فقال شيبوب دعهم يمضوا فى حالهم ولا تخملنا دماهم ثم أنه عدل به فى جانب البطاح ولما رآتهم الفرسان عادوا عن طريقهم وطمعوا فيهم وظنوا أنهم خافوا منهم فصاحوا عليهم فقال عنتر وذمة العرب هؤلاء القوم دنت آجالهم فلعن الله ما بقى يرعى لاحد ذمة أو يرحم حرمة ثم أنه أنه عاد اليهم فقتل منهم خمسة وشيبوب قتل الخمسة الاخرى بالنبال وقال عنتر لشيبوب اقصد الهودج امل أن يكون فيه من أتسلى به عن عبلة ثم قصدوا الهودج فهربوا الاماء والفارس الذى كان معهم وأبرك شيبوب الناقة وإذا فيه جارية نائمة لا تحس بما قد جرى وهى أحسن من البدر فلما رآها عنتر لعب به الانبهار فقال هذه الجارية ميتة أو نائمة فقال ما أدرى ثم دنا من النسوان فتقدمت اليه امرأة باكية تدق على صدرها فنظر على وجهها ملامح من صاحبة الهودج وقالت لشيبوب ما الذى تريد يافتى ملكت فارحم لاننا على كل حال حريم وقد أهلكتم رجالنا فقال شيبوب ليس لنا ذنب فقال صدقت بدء وكم بالقتال فقال لها ابشرى بالامان واخبرينا عن هذه الجارية فالذى غير حالها فلما سمعت كلامه قالت له هذه الجارية بنتى وأصابتها عيون البشر وشوركت فى عقلها وصار لها تابع

لا يفارقها بعد ما خطبوها ملوك تهامه فلما رأيت أنا وأبوها تغيرت أخذناها وسرنا نطلب البيت الحرام وندور بها حول الارباب والأصنام فجرت علينا هذه الاحكام وكان لى من الرجال ثلاثة فقتلوا مع القتلى وبقيت من شدة خوفها تولاها التابع على عادتها و نظرت فى وجهها وصاحت وبلاه قدر عليك المقدور بعد العقل والسداد وصاحت تنوح وتكثر التعداد وتقول واذلنا بعد الاسعاد وشماتة الاعداء والحساد ومازالت كذلك حتى رق لها عنتر وندم على ما صنع وعاد كرر نظره فى الجارية فرأى جمالها باهر فوقع فى قلبه حبها ولا بقى يجد له صبر عنها فقال لأمها يا حرة العرب من أى الناس انتم فقالت نحن من بنى الضحاك وأرضنا بلاد السودان فقال عنتر أكرمت أنت وقومك وأعلمى أن المبتدا كان منكم والأمر فرط فى وجالكم لو علمنا بحالكم ما فجعناكم فى أولادكم فابشروا بالامان وخلاص الجارية من هذا السلطان فامضى إلى بعلك واعلميه أنى قد أمنته على نفسه ومن معه وأتى به حتى يفرح بخلاص ابنته وان نعم على بزواجها تركته يحكم على من سكن الفلا فلما سمعت ذلك عادت إلى بعلها وأعلمته بالحال فقال شيبوب ويلك ماذا عولت أن تفعل بالجارية هل تقاتل الجن مثل الإنس فقال عنتر ولو نظرت الجن على صورة بنى آدم ما تركت منهم من يمشى على قدم وأما قولك ما عولت أن تفعل بالجاريه فانى لما رأيتها افتكرت التعويذ الذى أعطاه لى مقرى الوحش فعولت أن اعلقه عليها وانظر ما يفعل بها لأنه مازال فى عضدى وما انت إلا ابصرته لما خلص عبلة من سحر الكاهنة ثم أخرج التعويذة وعلقه على الجارية ففتحت عينيها وعاد لونها وأنار جمالها فنسى عبلة ووصلت العجوز وعبيدها فوجدوا بنتهم عاد اليها عقلها وهى من شدة حياها مطرقة إلى الأرض رأسها ففرحوا بذلك وسألها امها عما جرى فقالت يا أماه ما أرى إلا عقلى صحا وجسدى زال عنه الالم وأنتم أى شىء جرى لكم بعد قتل اخوتى وأقول أنى ما وجدت الراحة إلا انها حدثتها امها بما جرى هذا وأبوها تقدم إلى عنتر اراد أن يقبل قدميه فنمعه وقال له لئن انعمت على بابنتك لاجعلن القبائل تحت طاعتك فتبسم وقال يا مولاى إلى من تنسب من العربان فقال له أنا عنتر بن شداد فارس بنى عبس وعدنان فقال الشيخ أنت شجرة الكرم وسمعنا انك مع عبلة من جملة المتيمين فكيف تنزل ابنتى منزلتها فقال كلما بلغكم صحيح قد جرى بينى وبينها شىء يوجب الغضب وأنا أشهدك أن عبلة على حرام ما دامت ابنتك عندى ثم اخبر بماله من النسوار والاولاد وانه سائر اليهم ووعده انه يسوق كل ما كان له من الأعو لو يجعله مهرا لابنته فعند ذلك اجابه إلى ما طلب لعلمه ان ما بين يديه

منه مهرب وما أمسى المسا إلا والجارية له ضجيعة وصارت عبلة لا تخطر له على بال ومن شغفه بها أقام عندها ثلاثة أيام ولما قضى أوتاره قال لشيبوب ان هؤلاء القوم اولونى جميل وسلموا إلى ابنتهم بلا صداق وما أريد أخذهم معى إلى السودان والصواب انك تسير بهم إلى عامر ابن الطفيل وتوصيه باكرامهم وتخبره بما تم من عبلة وتقول سر إلى بنى عبس وسق أموالى وكل من تبعه بقتله ويسلم الجميع إلى هذه الجارية وينتظرنى إلى أن أعود ثم قال لابى الجارية لابد ما اعمل وليمة العرس إذا رجعت من السودان فشكره واثنى عليه ولما خلا شيبوب بعنتر فقال له يا ابن الأم قسى قلبك لهذا الحد فقال عنتر نعم قال شيبوب وأنا كذلك لانهم ما بقوا يفلحوا وأنا صار لى معهم علقه فقال عنتر كيف ذلك فقال له أبصرت معهم جارية عشقتها وعشقتنى فتبسم عنتر وقال لعن الله أمك اللخنا أى شىء فيك حتى تعشقك فاغتاظ شيبوب وقال يا ابن زبيبة ما أنت إلا رجل أحمق وأنا على كل حال أحسن منك وأما أنت والله إلا مثل فحل جاموس فضحك عنتر وقال ما كان ملتقانا فى هذا الطريق إلا سعادة ثم أعلم الشيخ بما عول بفعله وكان اسمه الضحاك فقال يا مولاى دبرنا بما تشاء فما بقى لنا عودة إلى الديار ثم شالوا رحالهم وعدة قالهم وعدوا عنتر وساروا مع شيبوب وسلموا أمرهم لعلام الغيوب وسار عنتر يطلب البيت الحرام إلا أنه ما قارب المضارب إلا أن سمع أصوات النوادب والبكا علامن كل جانب وخاف على أولاده فسمع صوت غمرة وهى تقول يا غضوب أنفيتنا بعينك المسكوب ثم أنها أنشدت تقول :

يا ولدى زاد الكمد ... وقل صبرى فى الجلد ... وما أنا غريبة حيرانه ... مالى فى الدنيا أحد
قد كنت لى يا ولدى ... روحا وجسما وجسد ... واليوم لا عين ولا ... روح بقى لى ولا ولد

فلما سمع من غمرة هذا الكلام علم أن ولده أصابته نوائب الزمان فنسى المحبة وعول أن يقصد غمرة وإذا بناحة أخرى تنادى واسفى عليك يا ولدى ثم أنها أنشدت تقول

يا ولدى يا ميسرة ... تركتنى محيرة ... أروى القرى بمقلة ... عبرتها منحدرة
يا ولدى من بعد فقدك ... عيشتى متكدرة ... وأنا وشوقى فى الحشا ... قد أصبحت مسعرة
وان يكن أمسى قتيلا ... فى البرارى المقفرة ... فبلغى ... اخباره ... إلى أبيه عنتره
فانه ... يطلبــه ... حقا ويقفو أثره

فزاد بعنتر البلبال عند آخر الأبيات وقد رحم النساء النادبات ودخل الخيام فسمع نادبة أخرى تبكى وتقول هذه الأبيات :

والله يا سبيع البين قد ... ذاب قلبى وحشى والبدن ... ولمـــا استره بدنى

بعد القضاء إلا السكفن يا ولدى قد كنت لى عونا على صرف الزمن
وكنت تؤلس وحدتى إذا دجا الليل سكن
اليوم مالى منجد غير الانين مع الحزن

فزاد بعنتر القلق وجرى عليه من ذكر سبيع اليمن ماغيبه عن الوجود وتذكر مقرى الوحش فصار ينادى ماأوشمه من صباح وسمعت النسوان صوته فتبادروا اليه وفيهم غمرة وعروة فسلموا اليه ونظر غمرة فرأى عينها بالدموع مغرغرة فسألهم عما جرى لهم ومن الذى أدهمهم من العدا فقالت ماقدم عثينا عدو أما أولادك غصوب وميسرة التهوا فى الصيد والقنص ويعودا كل يوم وخيلهم موقورة بالصيد وما كان ذلك أكثر من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ماعادوا وكان يوم فقدهم ركبوا فى خمس فوارس ومعهم سبيع اليمن فلما آيسنا منهم ركبت أنا وعروة وشداد أبوك وأخوك مازن فتفرقنا فى جنبات البر طول الليل إلى أن طلع النهار وعدنا وما وقعنا على خبر فمند عودتنا رأينا أثر المعمعة ورجالا مطروحة ودرنا فى القتلى فما رأينا غير الخمس فوارس الذى صحبوا ميسرة وغصوب وسبيع اليمن وما عرفنا منهم أحد لحرنا فى أمورنا فسمعنا بين القتلى أنين مجروح فكلمناه فما تكلم فحملناه معنا وشددنا جراحه وعهدناه بالغذا فاصحا ولا كلمنا إلا البارحة فاخبرنا أن أولادنا أسارى مع ذى الخمار وجبار بن صخر الإسرائيلى فارس حصن خيبر وحدثنا بحديث عجيب ما أظنه يخطر على قلب بشر فلما سمع عنتر ذلك أراد أن يذب من غيظه على ذى الخمار فقال والله قد كنت عليكم من مثل هذا فزعان من أجل ذلك تركت لكم عروة بن الورد قال الراوى وكان جرى لهؤلاء عجائب لان ذى الخمار لما خلصوه بنى عمه سار على طريق الشام والعراق فما أصبح عليه الصباح إلا وهو فى أرض بعيدة فنزل للراحة وشكر بنى عمه على فعالهم معه وكان معهم شىء من الزاد فأكلوا فقالوا له يا ذى الخمار إلى ابن عولت تسير بنا فقال ما بقالى غير بلاد الشام وأنزل على قيصر واحدثه بما تم لى من عرب الحجاز وابين يديه طرفا من شجاعتى عند البراز وأضمن له بلاد كسرى واجمل ماسكه له ولو أن كسرى باقيا كنت سرت اليه لأنه كان قدمنى على سائر خواصه وقلت أنى بلغت أعلا المنازل فعاندنى القضاء والقدر فاما ملك العجم اليوم فعرب الحجاز أقعدوه ولو طلبته وطلبونى منه سلمنى اليهم لاسيما وآدكان ابن مسعود هلك فقالوا اله افعل ماتراه صواب ففرح بقولهم وعول على الرحيل وإذا بخيل قد طلعت تركض على آثارهم كأنها

وأنت فى طلبهم وهم يزيدون على عشرين فارسا إلى أن زيهم عجيب وفى مقدمتهم رجل كأنه من أولاد قابيل وكل أصحابه يقاربوه فى الباس فلما رآهم ذو الخمار قال لأصحابه هذه خيل أقبلت وما كأنها من هذه الديار وأقول إنهم من مهاجمة السردان والعريان وقد ظهروا فينا المار أو نا هربنا واتبعونا يريدون سلبنا واليوم أشق فؤادى منهم إن كانوا أعداء ولا يبق منهم أحد لأجل ما فعلوا فى هذه الطوائف فاركبوا وأقيموا هنا ولا تتبعونى حتى أطلب منكم المعونة وأكشف حقيقة الحال وأعلم من هؤلاء الأبطال ثم أنه ركب فى الجواد واستلب عدة الجلاد وتبع الخيل كالأسد إذا طلب الأشبال وأطلق السنان وطلب المجال قال الراوى وكانت هذه الفرسان من بنى إسرائيل والمقدم عليهم جبار بن صخر فارس حصن خيبر وكان من الجبابرة وعمه مرحب الذى قتله الإمام على كرم الله وجهه وكان خرج فى هذا العام إلى البيت الحرام للفرجة على موسم العرب وينذر يهود الحجاز بظهور رجل من وراء نهر السبت يقال له الشيخ الأكبر ويقول لكم كأنكم به وقد ظهر فى هذه السنة على أحمر أبيض أكحل طويل القوايم الهيكل يمحو من الأرض سائر الملل ويجدد شريعة موسى بن عمران المخاطب على الخيل ويعيدها وفيما كان من الأول فأكثروا لقدومه الصلاح وكانوا فطيركم بلاظفر وعظموا الصوم الأكبر لعله يراكم على الأمور المستقيمة أيام ظهور عظيمة الذى يكون على ملته ما يسىء له الظنون فاستعدوا لهذه الأمور وعظموا عبد النذور وأكثروا شرب الخمور كانوا أخبروا بذلك علماء اليهود أنذروا بهذه الأخبار إلى سائر الأقطار لأن دينهم يزعموا أنه مسعود وكان لهم حصون وقلاع وجنود ما خمدت مناديدهم وبطلت ملتهم إلا بظهور نبينا ﷺ حتى أنه كان آخر كلامه من الدنيا إلا وأخرجوا اليهود من جزيرة العرب وكان جبار بن صخر أخبر يهود مكة بما قالوا علماؤهم وتفرج على موسم العرب وأبصر ما جرى لعنتر وذى الخمار عاد يطلب حصن خيبر فلحق ذو الخمار كما ذكرنا حل ذو الخمار فقال جبار لأصحابه اصبروا حتى أخرج إليه وأخذ نفسه وحل والتقاه بما كان إلا ساعة حتى عرف كل منهما ما فى صاحبه من الشجاعة واختلف بينهما طعنتين كان السابق بهذو الخمار فضايقها جبار بصناعته وسل سيفه وأعن جواده ووقف مبتسما فقصر جبار عن ضربه فقال لا تتقى يا وجه العرب لأنى ما أنا عدوك ولا قاتلتك هذا وذو الخمار لما أبصر أنه ما كان قاصده هذ ذهب عنه الفزع وقال لجبار عذرنى لأنى كثير الأعداء كل هذا لأجل حسدى لعنتر بن شداد لأنه قدار تفع قدره بين العباد وعلا ذكره وصار يلبس من الحرير ألوان وأيضا بقى له أنصار

وأجناداوأعوان ثم أنه عرفه بعنتر وحدثه بما جرى له معه من الوقائع والعبر وماقاسى منه وقال له في آخر الكلام كنت في هذا العام قد أشرفت على شرب كاس الحمام ولولا سعوا إلى وخلصوني هؤلاء الاقوام الذين هم لي من بني الاعمام وإني ما أنا سائر في هذه النوبة إلا إلى بلاد الشام وأتخذ لي هناك منزل ومقام أطلب من يعينني على حوادث الايام وموضع يحميني إذا فرقت الأعداء بالسهام فأخبرني مايقال لك أنت يا غلام إلى أين أنت سالك في هذا البر والآكام لعلي أتخذك لي صديق على طول الليالي والأيام فقال له جبار بن صخر يا وجه العرب إنني رجل إسرائيلي يقال له جبار بن صخر فارس حصن خيبر ما أتيت إلى هذه الديار إلا لاخبر أهلي ملتي وهو أنه قد ظهر في بلاد الشرق الاعلى من وراء النهر المسبت رجل ينصر ملتنا على سائر الملل ينزك دولتنا أعظم الدول في هذا العام يكون ظهوره وتفشو سائر أموره ويكون بعساكره وجنوده مايقع عليها حد محدود أكثرهم يركبون الأسود ويتبعون قول يوشع إمام اليهود ماينزلوا على بلد إلا وتسقط لهم أسوارها لايقاتلون عسكر إلا تخضع لهم أشرارها فان أردت أن تبلغ مناك وتنال المراد فكن من أصحاب هذا الرجل واترك عنك عبادة الاصنام فلما سمع ذو الخمار كلامه أنس إليه ودخل في صماخ أذانه هذا رجل مطرود عن الاقارب مبعود هو مثل الغريق الذي يتعلق بما تقع عليه عينيه عليه من شدة فرحه قال لجبار بن صخر يافتى ما بقي لي عنك معدل ولا بقيت أقسم إلا بمن خاطبه ربه على الجبل وها أنت قد سمعت قصتي لما تبعت كسرى في عبادة النار تركت عبادة الاصنام والأحجار ثم أنه دنا منه واعتنقه وقبله في صدره وتعانقوا على صدق الوداد ثم أن ذو الخمار التفت إلى أصحابه من بني حمير وقال لهم الذي أعلمكم وهو أحب إلينا ملك الشام ففرحوا أصحابه بذلك الخبر ونزلوا الجميع في البر الاقفر وبعدها سأل ذو الخمار جبار عن العرب ومن هناك مقيم في مكة ومن رحل إلى الحلة فقال جبار أما قبائل اليمن فقد رحت عن بكرة أبيها وأما قبائل الحجاز فانها مقيمة لاجل هاني وجراحاته حتى يداووه وينظروا ماذا يكون من أمره لأن مافيهم إلا من ضاق صدره لأجله فقال ذو الخمار مابقي عدو يلقاني إلا عنتر بن شداد أصير بعد الاثنين أوحد الدهر والزمان لأنه قد زادني من أمورهم البلاء والسقام ولاسيما من وقت ماعلق قصيدته على البيت الحرام فقال له جبار والله ما حسدت إلا موضع الحسد لأنه قد أعطي من الشجاعة شيء زايد عن الحد فقال ذو الخمار والله ما أنت إلا صادق فيما تقول وإلا أي شيء تركني دائراً في هذه البراري مثل المهبول ثم قال له أريد أن تقيم هاهنا ثلاثة

أيام فى هذه البرارى والقفار حتى أرسل بعض بنى عمى يكشف لنا الأخبار وينظر ما كان من أخبار عنتر من له من بنى الأعمام ومن رحل منهم ومن تخلف فى البيت الحرام فقالوا افعل ما بدا لك فها أنا مطيع على ما تريد من أعمالك ( قال الراوى ) فعند ذلك أقبل الخار على واحد من بنى عمه الذى فرجوا عنه ما كان من همه وعمه وقال له سر إلى مكة واختف فى بعض الشعاب حتى تتفرق فى سائر القبائل وتعرف من يتبقى فى تلك الأرض والرحاب قال فسار ذلك الرجل وقد فدى أصحابه بنفسه وأقام مختفيا إلى أن رحل عنتر ببنى عبس وأقاربه أخذ أخبار الجميع وعاد راجعا إلى ذو الخار وأطلعه على جلية الحال سريع فقال له الملعون من شدة ما وجد من الطرب بلغنا والله الأرب ودنا أجل هذا الولد الزنا واقترب فقال له جبار كيف صحت عندك هذه الأخبار فقال له قد أخبرنى ابن عمى أن عنتر رحل وترك نساءه وأولاده فى مكة وأنا أعلم أن لا بد له من العودة فنغتنم نحن هذه الحركة ونكمن له فى بعض الأودية وننتظر فى المساء والصباح ونخرج إليه وننهب جسده بشفار الصفاح فقال له جبار هذا ما فيه فائدة وتقضى الايام بالكمين ولا يعود علينا منه عائدة ومن الراى اننا نقيم ماهنا لعلنا نظفر ببعض اولاده اما وهم يتصيدوا وإما ان يكونوا متفرجين وإن وجدنا فرصة كبسنا نساءه واولاده فى ظلام الليل ودسناهم تحت سنابك الخيل فقال ذو الخار مالنا مطمع فى هذه الآثار الآن ابن عمى اخبرنى ان عندهم عمرو وعروة وابوه شداد وان عمرة قاسيت منها قبل الآن الأهوال وانا اعرف انهم كلهم ابطال لهم جسارة فى الحرب والقتال لاسيما عصوب هذا الذى اباهم فى آخر الزمان وفعل ما فعل بالفرسان لكن ظهر لى امر آخر وهو انى ارى الوحش قد جعل فى هذا البر الأقفر اقول ان اولاده يخرجون إلا ماهنا يتصيدون فان كان الامر يتفق على هذا الحال فنقيم نحن ماهنا كمين مدة يسيرة فى هذه البرارى الحوالى نركب جميعا فى كل صباح وندور فى اقطار البطاح فقال له ذو الخار افعل ما بدا لك فانى مطيع لمقالك ثم انهم صاروا كل يوم يركبوا عند طلوع الفجر قال الراوى إنهم لم يزالوا كذلك قد زاد بهم الوسواس حتى انهم قد وقعوا بميسرة وعصوب وسبيع اليمن ومن معهم فى اليوم الخامس فعرفوهم وقدامهم لوهم وأرادوا أن يحلوا بهم البلاء إلى أن طاب الصيد أوسعوا فى ذلك البر والفلا وملكوا عليهم أقطار البيداء ونظروا أولاد عنتر فعالهم فعلموا انهم اعداء فتركوا الصيد وعادوا إلى القتال وعولوا على الحرب معهم والنزال وقد نظروهم بعين الاحتقار لم يعلموا ان فيهم مثل جبار بن صخر فارس حصن خيبر وذو الخار

الفارس الغدار وهم فى الإنتظار (قال الأصمعى) يا سادة يا أخيار وكانوا أولاد عنتر كل يوم يخرج معهم عروة بن الورد وجدهم شداد إلا ذلك اليوم فإنهم خرجوا على حالة الإنفراد لأن عروة وشداد اختلفوا عنهم اليوم بشرب الراح فخرجوا هؤلاء فى طلب الصيد وأوسعوا فى القفار حتى وقع بهم جبار وذو الخار فصدم ذو الخار لغصوب وحل بميسرة من جبار الكروب وتفرقت فرسان خيبر على سبيع اليمن والرجال الأخر فخرجوا على سبيع اليمن وأخذوه أسيرا والخمسة فوارس الذين كانوا معه أحل بهم التعسير هذا والقتال يعمل بين جبار وميسرة حتى بقى من النهار أيسره فعند ذلك قتل جواده بقتاله تخيل وعدم رشاده ولم يدافع عن نفسه بقوة ومقدرة حتى قتل ستة أبطال من الجبابرة وبعد ذلك أخذوه أسيرا وقادوه ذليل حقير وأما غصوب فإنه كان تعبان من الصيد فحل به التنكيد فإنه لم يزل مع ذو الخار فى صدام ولزام حتى ولى النهار وأقبل الظلام وبعدها تكاثر عليه الرجال فأخذوه أسير بحالة الإذلال لأنه قد قصر به الجواد فأيس من الحياة ونيل المراد فقال ذو الخار الغدار الرأى أننا نضرب رقاب هؤلاء الأندال ونأخذ بثأر من أهلكوا من الرجال وبعد ذلك تأخذ لنا راحة نحن والخيل ونسير من أول الليل لنصبح فى أرض بعيدة ونأمل على أنفسنا من كل غائلة مكيدة لأننا إن أصبحنا فى هذه الأطلال لحقتنا غمرة ومن معها من الأبطال الذين فى الحرم وإن وقعوا بنا ما نعلم على ماذا نقدم فقال له جبار بن صخر افعل ما بدا لك من الأسباب وإلا فتل هؤلاء وما هو صواب لأن الأقوال السالفة فى المثل الصائب من لم ينتظر فى العواقب مات ولا له فى الدهر صاحب لأنك ذكرت أن عنتر ظفر بك مرارة عديدة مثل ما يظفر الصياد بصيده وما استبقاك إلا لأجل قرابتك من دريد وإلا كان أهلكك والرأى عندى أن تجعل هؤلاء الأبطال عندنا فى الإعتقال وتجد أنت فى طلبه فلما سمع ذو الخمار رآه صواب وقال افعل ما تريد ودبر فى الأمر برأيك السديد فقال له جبار إن الذى أراه من الرأى الصواب أن نرسل هؤلاء الأسارى مع بعض هؤلاء الأصحاب يوصلهم إلى حصن خيبر ونتم نحن على ما نحن عليه من ههنا فى طلب عنتر ونسقيه الموت وقد شدوا الأسارى على ظهر الخيل وسيرهم فى البر الأقفر إلى حصن خيبر قال الراوى فهذا ما جرى لهؤلاء) وما فعلوه من الخبر وأما ما كان من غمرة زوجة عنتر فإنها انتظرت ولدها ومن معه من المسافة عادوا وقد لحقها الهم والأسف فلما وقع بها الإياس تقلقت حشاها وتصاعدت منها الأنفاس هى وقومها ولم ينامو إلا بطال الليل وما طلع الصباح حتى ركبوا على ظهور الخيل

فركب فى أوائلهم عروة وجماعة من بنى قراد فتفرقوا فى جنبات البر والقفار وما عادوا حتى تقاربت الشمس الغروب وتقضى أكثر النهار إلا أنهم عند عودتهم رأوا آثار المعممة ونظروا الوحش فى أجساد القتلى راتعة فافتقدوا جميع القتلى فما رأوا فيهم من المفقودين احد فاحل بهم لذلك البؤس والنكد ولا وجدوا من فيه روح الا ذلك اليهودى الذى قدمنا ذكره وأخبرنا ماوقع لهم من أمره فرأوه فى حالة العدم لا يعى ولا يتكلم فقال شداد أبو عنتر احلوه معكم فان عاش فهو يخبركم بجميع الخبر ففعلوا امأمرهم شداد من تلك المقالات وحلوه معهم إلى الابيات وما زالوا فى بكاء ونواح حتى قدم عنتر كما ذكرنا فى ذلك اليوم عند الصباح فاخبروه بجميع الخبر فلا تسأل أيها السامع عما نزل بقلبه من الضرر ثم انه دخل على اليهودى ليأخذ منه الخبر بما جرى من ذلك الامر والضرر فرآه قد افاق لنفسه فاخبره بالأمور على جليتها وقال فى آخر الحديث والله يا أبا الفوارس انى قد أصدقتك فى الاحوال وان أولادك سالمين وانهم فى حصن خيبر مأسورين فانى لما علمت أنهم أولادك زادهمى وغمى فان كنت تثق بقولى فانا أعمل على خلاصهم لأنى عند اليهود جليل المقدار وانى بعد ذلك لو دمت فى خدمتكم حتى أموت والقى مصرعى ماقدرت أجازيكم على مافعلتم من الجميل معى فلما سمع عنتر كلامه علم مقصده ومرامه فقال له أما أنت فقد شملك ذمام أصحابى مع ذمامى ومع ذلك لابد من مسيرك قدامى الى حصن خيبر فاريك ما أفعل ببنى إسرائيل من امير فترى ذلك بعينك وتبصر على الشر من هو أقدر فانى وحق الملك الجليل الذى هو يا رزاق العباد كفيل أن كان أحد من أولادى قتيل لاتركت على وجه الأرض من يعبد التوراة ويقرأ الانجيل قال فلما فرغوا مما دار بينهم من الكلام مضى عنتر الى زيارة الشيخ عبد المطلب فدخل اليه وسلم عليه وقبل يديه واخبره بما فعل ذو الخمار وكونه اتفق مع يهود جبار فلما سمع الشيخ عبد المطلب ذلك المقال قال لعن الله اصله وفرعه فما أرداه بين الفرسان العرب وما أردى طبعه فانى والله ما كنت حولت على هلاكه أو أؤدب من يفعل كفعله فلولا ماتسببت له تلك الاسباب وأتى لا بشىء ما كان فى حساب والا كنت قتلته وأرحت الناس منه ولكن مايفوته وأن ذلك لابد منه لكن الرأى يا أبا الفوارس الذى تأمن غائلته أنك أين ماظفرت به اضرب رقبته وريح الناس مشوم طلعته لأنه لاينام عنك ولا عن أذيتك ويريد ان يعدمك مهجتك فقال عنتر والله يا مولاى لولا جميل لى سبق من الأمير دريد لكنت أينما وقعت به نحرته مثل ما أنحر الصيد لكن أقول كما قال بعضهم ولأجل عين تكرم الف عين فقال له عبد المطلب قد بلغ الأمر منتهاه وان هذا الرجل ماله إلا السيف فانه يكون منتهاه قال الراوى ثم ان عنتر عاد

إلى بني شيبان وافتقدها نيء بن مسعود فابصر ما كان له من الأمر والشان فوجده بريء من جراحاته وان بدنه اليسرى قدخانته وبقي في قلبه حرارات بما جرى له مع ذو الخمار لحدثه عنتر بما جرى معه ثم ان عنتر عاد إلى قومه وقد استراح باقي يومه ومن الغد سار يطلب حصن خيبر وفرسان بني عبس وبني قضاعة خلفه ويقيفون الأثر وغمرة إلى جانبه تندب ولدها عصوب بما عندها من الهموم والكروب وصارت تنشد وتقول

أما ودعي قد بدت من محاجري ونيران شوقي في رسيس ضمائري
وجلة أحزاني وشوقي وغربتي وما قد لقي قلبي لفقد عشائري
لقد هدني فقد الحبيب وبعده واقلق أحشاي وأسهر ناظري
حبيب فجعني الدهر فيه وذكره لفي القلب يبقى يوم تبلى السرائر
فو الله لا جاورت بعد فراقه من الناس جارا غير أهل المقابر
ترى أنت حيـــا يابني فارتجي لقاك كما يرجى لقاء المسافر
أم الطير قد أمسى عليك معرشا ينوشك من بعد القنا والبواتر
اسائل عنك البرق في كل ساعة اذا انهبت نيرانه دون حاجري
وما هبت الارياح الالقيتها بقلب عليل شايق غير صابر
أقول غصوب وهي تعسف في الفلا واثلها لا تلتقي بالاواخر
تنوح على ظبي خلا منه وكره وأضحى خضيب النحر دامي الأظافر
دع النوح ياطير الاراك لاهله ولا تدعي حزني وتشغل خاطري
فلو كنت مثلي ماالبست ملونا ولا كنت في أعلا الغصون النواضر
وما الحزن الاعند من في فؤادها لهيب جوى يحكي سموم الهواجر
عدمت غراب البين كم قد لقيته ينوح على رسم الطلول الدواثر
ولا زالت العقبان يزقوا فراخه وتقسمها بين الطيور الكواسر
كما قد فجعتني في حبيب احبه ويرشقني بالحادثات الدوائر

قال الراوي فلما سمع عنتر من غمرة هذه الابيات زادت احزانه وتعاظمت في قلبه على فقد أولاده الحسرات ولهي زوجته الجديدة ووقع من شدة التقلق في شدة شديدة قال الراوي وكان لما خلي باله حدث أبوه شداد وغروة بما كان من اعماله وماجرى له مع ابنة عمه عبلة وكيف عمل لها الدعوة وجمعت نساء الحلة وكيف ادعت بها اليها وكلمته بينهم ذلك الكلام وكيف تركها وأتى ههنا لعل قلبه من حمل الهم يستريح وحدثهم ايضا بما جرى له في الطريق وما له صار من ذلك التعويق وكيف تزوج بالجارية مروة وأخبر على جليته ولم يكتم

شيئاً من قصته لأنهم سألوه عن شيبوب وغيبته فحدثهم بحديثه وحديث سفرته وكتم ذلك عن غمرة ومهرية ولم يوضح لهم تلك القضية لأنه استحى منهم فأحب أنه يخفى ذلك الأمر عنهم ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قيل وقال إلى أن أقبلوا إلى حصن خيبر وبانت لهم تلك الرمال فقال اليهودى لعنتر عند ذلك يا مولاى أتقدم بين يديك إلى بنى عمى وأوصل لهم الخبر وأبصر أن كان جبار وذى الخمار تركوا أولادك عندهم أم لا وأبصر إن كانوا مقيمين فى الحصن أم قاموا فى البر والفلا وأبصر ما تجدد عندهم من الأخبار وما كان من جبار وذى الخمار فإن كانوا أصحابكم هناك خلصتهم وإلى هذا المكان التقيتك بهم وأجازيكم على ما فعلتم معى من الجميل والتى هيبتك فى قلوب بنى إسرائيل ويتخذوك صديق على مدى الشهور والأعوام وإن كان جبار وذى الخمار وصلوا إلى حصن خيبر فأنتم وغرماكم أخبر فقال أفعل ما بدالك وإياك أن تغير مقالك اقطع بهذا السيف أوصالك فقال له اليهودى أعوذ برب موسى وهارون أنى أكون ممن يؤتمن ويخون ولا سيما مثلى على ملة بنى إسرائيل وقد فعلتم معى هذا الجميل وأعدتم الروح إلى جسدى ورددتمونى إلى أهلى وأولادى بعدما كنت طريح فى وقد عدم صبرى وجلدى ثم أن اليهودى فارقهم وسار وتركهم معولين على النزول والانتظار وما زال اليهودى سائر فى البر الاقفر وفيما جرى عليه من الشدائد يتفكر حتى حصن خيبر وكان المقدم على الحصن قد ركب فى تلك الساعة وحوله من كبار اليهود وخزائنهم جماعة وكان الحصن الذى فيه السرية يذكر من أعمال أنطاكية وهو فى ذلك الزمان تحت طاعة الملك قيصر إلا أن اليهودى العليل كان يسمى أبا سهيل فلما فارق عنتر سار حتى أشرف على حصن خيبر فرأى صاحبه راكب وكان اسمه ميشا كان جبارا من الجبابرة لا يخاف ولا يخشى فقصدهم اليهودى أبا سهيل ونزل عن الجواد الذى كان راكبه وسعى ما يشاء على قدميه فرأته فرسان اليهود فتركضت إليه ولما عرفوه هنوه بالسلامة من الويل والندامة وقالوا له يا أبا سهيل ما الذى جرى عليك فقال لهم سوف أخبركم بحالى وأبين لكم ما تم وجرى لى ثم أن أبا سهيل تقدم إلى ميشا وسلم عليه فترحب به ودنا منه وسأله عن حاله وما تم عليه وما جرى له فقال له يا مولاى قصتى طويلة عجيبة وأمورى الذى جرت على غريبة ولكن يطول الشرح فى وصفها فأخبرونى أنتم هل وصل اليكم ابن عمكم جبار وسمعتم ما جرى له مع ذى الخمار فقال له ميشا ان هؤلاء ما وصلوا الينا وإنما قدمت علينا جماعة من أصحابنا ومن أصحاب العربان ومعهم جماعة أسارى منقادين فى ثياب الذل والهوان وقد ذكروا لنا أنهم أبطال وشجعان وأوصونا بحفظهم وكثرة الاحتراز لأنهم من جملة فرسان الحجاز وذكروا لنا ان فاسنا جبار قد ذاق ذى الخمار وخرج جبار هذا البطل الكرار وقد صار معه من يعاونه على قتل

عدوه عنتر ونحن إلى الآن منتظرون ما يكون من قصته ولكن نحن خائفون من هذا الامر وغائلته فقال له يا أسهيل أما خرف الانسان من العواقب فما به باس وأما عنتر الذى تقولوا عنه فانه نجا من النوائب ولاجل خلاص أولاده ورجاله قد أتاكم طالب لأن الاسارى الثلاثة الذى أرسلهم اليكم جبار أولاده والخمسة الاخر من جملة رجاله وقد أفرح اسرهم فؤاده وقصدكم عنتر بعزيمة أقوى من عزيمة الاسكندر وأنه قد بعثنى إليكم رسولا ومحذر وحلف وشدد فى الايمان ان سال من أولاده محجم دم لا يترك على وجه الأرض خيبرى ولا إسرائيلى يمشى على قدم ثم ان أباسهيل حدثهم بما جرى عليه وما أوصلوا بعد ذلك من الاحسان اليه فوصف لهم شجاعة عنتر على قدر ما سمع وأبصر وقال لميشا من الرأى والصواب ان تطلق هؤلاء الأسارى وترسلهم إلى من لهم من الأصحاب قبل أن تبلوا بشىء لم يكن لكم فى حساب فترو افارسا إذا صدم بعزيمته حصن خيبر جعله تراب ومعه ثلثمائة فارس كأنهم أسود الغاب لانهم فى الشجاعة مثله وأخبر على هول الحرب أقوى واصبر يريدوا كل منى فى بلاد الشام من بنى غسان ويلتقوا أمة موسى بن عمران فقال له ميشا قد عظم هذا الأمر عليه ويلك يا أباسهيل جعل الله نهارك ليل ما هذا الكلام الذى ما يخطر على الأوهام لا تكون ذليت لما ذقت كاس الحمام أيكون مثلى فى الفين فارس من بنى إسرائيل وأيضا جماعة كثيرة من عبدة الأنجيل ولى مثل هذا الحصن المظيم وخلفى مثل الملك قيصر الذى حكمه على القاص والدان وأخاف من ثلثمائة فارس من فرسان الحجاز الذى ما لهم سكن إلا القفر والمعاز وأيضا ان هؤلاء الاسارى مالى عليهم حكم ولاهم عندى إلا على سبيل الوديعة ولو أنى سلمتهم على هذا الوجه غضب على ابن عمى جبار وكان يستعجزنى أيضا هذا الفارس الذى يسمونه ذى الخمار ويبقى يقول صحيح ان اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة وما بقت تقوم لهم دولة ما داموا على هذا الخوف وهذا شىء أنا ما أفعله حتى البيسف منا احدا فقال أباسهيل لميشا فاذا كان الأمر كذلك وخالفتنى فيما امرتك به فافعل انت بنفسك ما تشاء وان قبلت منى ما اشير به عليك فانا ادبر لك على عنتر وأصحابه وأوقعهم فى يدك بالمكر والدهاء والحيلة ولا أحوجك لا لحرب ولا لقتال وانى وحق من خاطب ربه على جبل الطور أن طاوعتك على ادبره لاصلحن لك ما تريد من الأمور وأوقعن لك فى قبتك كل بطل جسور وفارس الحرب صبور فقال له ميشا أعمل ما بذلك وبين لى طرفا من اعمالك واحتيالك لأنك قطعت بكلامك ظهورنا وحيرتنا فى أمورنا وبطلت شدة عزائمنا بوصفك لهذا الفارس ومن معه من الأبطال القناعس فقال له أباسهيل وحق من يذهب النهار ويأتى بالليل ما وصفت لك إلا شيطان مريد وجبار عنيد وفارس فى الحرب شديد وبطل صنديد فان قبلت منى بلغتك منهم كلما تريد وتحكم فيهم

حكم الموالى على العبيد وهو أن تفرق هؤلاء الألفين فارس فى جنبات القفر والبيد ويخفوا
أنفسهم فى الأماكن عن الأحرار والعبيد وعند الصباح نطلق أولاد عنتر من العقال الشديد
ونرد عليهم خيلهم وعددهم وزردهم النضيد ونخلع عليهم وآخذهم أنا وأمضى بهم وأقيم
عذرك عند عنتر كما تحب وتختار وأقسم عليه حتى ينزل فى أرضنا ويصير هو وأصحابه لنا
ضيوف وتخرج لهم العلوفات والإقامات والطعام والشراب وتثقل عليهم فى شرب المدام
فإذا رأيت السكر غيب عقولهم أمرتنا الكمنا تخرج عليهم من كل جانب وتضع فيهم القنا
والقواضب والذى تقدر عليه تأسره والذى يمانع عن نفسه تقتله قال فلما سمع ميشا ذلك
الخطاب رآه صوابا ثم التفت إلى شيخ كان حكيما طبيبا عالما بالاصول عارفا بما فى التوراة من
التحريم والتحليل وكان يعرف جميع أصناف الحشائش والعقاقير والنبات التى تضر الأجساد
ويبذل لمن يأتى بها المال فقال له ميشا ما تقول ياهرون فى هذا الأمر الذى وقعنا فيه فقال ما تم
أوفق بما شار به أباسهيل وهو أقرب إلى الرشاد وأنا أساعدكم عليها بحشائش من عندى
وعقاقير وأعطيكم ورقا يطلع فى بلاد الهند يقال له ورق السبات إذا وضع منه فى الماء الجارى
يجمد فاطرحوه فى الخمر الذى تسقونه لهم وترون بعد ذلك ما تحل بهم فقال ميشا هذا هو
الصواب السديد حتى لا يعود صاحبنا جبار ورفيقه ذو الخمار إلا ونحن قد بلغنا الأرب
وتهلك أعداهم بلا تعب ثم عادوا إلى الحصن وجهزوا الطعام والشراب فلما كان عند
الصباح أخرجوا أولاد عنتر واعتذر إليهم ميشا وأعلمهم أن أباهم عنتر أتى فى طلبهم وقال
لهم أنا من الاول ما عرفت أن قصتكم ولا من أى العرب أنتم وإلا ما كنت فعلت فى حقكم
هذه الفعال والآن علمت أن أمركم لا يهمل وأن أباكم لا يقاتل وأريد أعيش من اليوم
فى ذمامه وأتقوى على الاعداء بسيفه وسنانه أكون من جملة خدمه وأعوانه ثم أن
ميشا سيرهم بالخلع السنية وقال يال ياموالى إذا عاد أحدكما بعث إلينا تترك دياره خرابا
يقلع قال فعند ذلك تقدم أباسهيل أمامهم وهم وراءه وإذاهم بغبار خيل عنتر وقد طلع وأقبل
أسرع من القضاء النازل فقال ياأبا سهيل قد سهل الأمر انفذ إلى الحصن وأخرج كل من
فيه المشايخ الكبار ورفع على رأسه الأسفار وضجوا جميعهم بمزامير داود وقد التقوا
عنتر كما جرت عادة اليهود ولما أقبلوا عليه بهذه الامور تعجب عنتر من أصواتهم وأخذته
الحيرة والانبهات وهو على جواده واجتمع بأولاده وسر بهم فؤاده وفرح بهم اصحابه
وتقدم اباسهيل فى جماعة من فرسان خيبر وما منهم إلا من اظهر الذل لعنتر فقال لهم

عنتر أما عذركم فأنا أقبله وهذه الفعال ما أضيعها لكم بل كونوا فى ذمامى حتى يدركنى حامى ولكن تخبرونى من أوصل أولادى إليكم فقال ميشا أرسلهم ذو الخمار وصاحبه جبار فقال الجماعة الذين أتوا بأولاد عنتر والله ياحامية عبس لقد أنقذنا باولادك إلى ها هنا وصاروا إلى دياركم فى طلبك وإلى الآن ما طلع لهم خبر فقال عنتر أنا أعلم أنهم يطمعون فى قومى إذلم يرونى ولا بد ما ياخذون بعض أموالهم ويقتلون بعض رجالهم ولولا خوفى من اختلاف الطريق لسرت من يومى إليهم فقال ميشا ياحامية عبس أنت قادر على هذا فى أى وقت ولكن حتى تأخذ الراحة وتأكل من طعامنا وتشرب من مدامنا ولا بد أن تواقفنا على هذا الاتفاق ويكون لنا معك عهد وميثاق ثم أن ميشا حلف عليه وأنزله فى مكان واسع فيه عيون ومنابع وفى دون ساعة ضربت لهم الخيام وبسطت لهم البسط ووضع عليها المراتب وما انتصف النهار حتى نقلوا إليهم الطعام وسوابغ الانعام وبعد ذلك دارت عليهم كاسات المدام واغتنموا الغفلة القعود منهم والقيام وشرب مشايخ اليهود عند عنتر وعنتر من فعالهم قد تحير وجعلوا يديرون عليهم الخمر فى طاسات الذهب الأحمر وأقداح الفضة المرصعة بالدر والجوهر ورأى عنتر من أمرهم شيئا لم يعهده وسمع حديثا غريبا من مشايخ اليهود فاطربه وصار كلما حياه أحد منهم بكاس شربه فلما أنهم بالخمر امتزجوا وزاد عليهم السكر أو هجوا فعند ذلك أشار ميشا إلى السقاة أن يسقوهم من الخمر المخمر بورق السبات وبدروا عليهم بالكاسات حتى خمدت منهم الاصوات وقلت منهم الحركات والتجموا عن الكلام وتوهموا أنهم فى منام وأما الذين كانوا فى الخدمة فقعدوا الجلاس الذين كانوا فى المنادمة رقدوا وكان عنتر من شدة فرحه باولاده قد أدمن فى الشراب حتى طفح الخمر والبنج على فؤاده فعند ذلك وقع وغلب عليه مسكر وكذلك تم على ميسرة وغصوب و ... ل ذلك الأمر بمن حضر المشرب قال وكانت غمرة منفردة عنهم بمن معها من الأصحاب ولم يحضروا لا طعاما ولا شرابا لانهم كانوا قد حلواهم الغربة وبعدهم عن ديار الاحبة ولازالوا فى كروب إلى أن دنت الشمس للغروب فعند ذلك ركبت غمرة بمن معها من الفرسان إلى أن دنوا من المكان الذى كانوا فيه جلوس فبينما غمرة قد أقبلت وإذا بالصباح قد علا من كل الجوانب وأقبلت الخيل المكمنة من الروابى والشعاب فلما نظرت غمرة ذلك الحال قالت والله يابنى عمى ما هذه دلايل خير وإنما هى أمور تدل على حزن وثبور وما هؤلاء الملاعين إلا قد احتالوا علينا باطلاق أسرانا ودبروا على هلاكنا وفنانا لانهم طائفة موصوفون بالغدر والمكر وقلة الوفاء وهذا أمر ما بقى فيه خفاء والدليل على صحة قولى هذه المواكب التى

طلعت علينا إنهم كانوا مكنين وهم مختفون بين هذه الآكام وما أظهروا على هذه الأحكام حتى علموا أن أصحابنا قد عجزوا عن القيام بما أكثروا من شرب المدام ومافيهم أحد يقدر على القيام ولا على الاقدام وقد رأيت من الصواب انكم تبادرون إلى الحصن فى أربعين فارسا همام وتهجمون عليه فى هذا الظلام فلعلكم ان تملكوه بهذه الأسباب وإذا رأيتم الغلبة أتيت أنا إليكم والتجأت إليكم وإلا إن قابلنا هذا الخلق العظيم الكثير الذى قد أحدقوا بنا فتكون قد جنينا على أنفسنا لأننا ههنا قوم غرب ولا لنا فى هذه الديار لا أم ولا أب قال فلما سمع أصحاب غمرة ذلك الكلام قالوا لها افعلى ما بدالك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم بعد ذلك انفرد منهم أربعون فارس كانهم الجن والانس وساروا للحصن طالبين وللدخول اليه متأهبين فلما وصلوا إليه وجدوه مفتوح ولا أحد فى بابه يلوح فعند ذلك هجموا مثل الأسود وجذبوا الصوارم ووقعوا فى اليهود وأما غمرة فإنها سارت فى قلبها جمرة حتى وصلت إلى المكان الذى فيه عنتر وأولاده فوجدت كل واحد قد عدم رشاده ويشدون النيام من القوم ما بقى منهم أحد إلا وقد خمد حسه وهو لا يقدر أن يمانع عن نفسه قال فلما أن نظرت غمرة إلى ذلك الحال نادت وا ولداه يا بنى الأنذال من هذه الفعال التى خدعتم بها وتم علينا منكم المحال ثم أنها بذلت فيهم حسامها فتفرقوا قدامها وتركوا عنتر وأولاده فى المضارب فارادت أن ترميهم بالنوائب وتشفى قلبها منهم بضرب القواضب فنظرت الخيل وقد أقبلت إليها مواكب وكتائب ودهموها من كل جانب فعند ذلك نزلت إلى ولدها وكان الباب مفتوحا وقد مسكه لها أصحابها فعند ذلك دخلت وأغلقت الباب وتمت الأسور والأسباب فلما أمنت على نفسها من الأعداء نهت أولا أصحابها عن قتل النساء والأطفال ثم فرقت عشرين فارسا على رءوس الدروب وقد أيقن اليهود الذى فى الحصن بالكروب ثم أن غمرة طلعت هى والثلاثون الذين بقوا معها على الأسوار وأقامت بطول الليل حتى ذهب الظلام وأقبل النهار بالابتسام وولدها بين يديها مثل القتيل وهى قلقة الأحشاء عليه من كثرة العويل هذا والحصن يضج بصياح النسوان والبنات والصبيان (قال الراوى) وعلم ميشا بأخذ الحصن وأن غمرة قد احتوت عليه فعض من شدة الندم على يديه وسالت دموعه من مقلتيه وصار يرفع رأسه إلى نحو السماء ويقول خرطوا بين يديكم واليك يعنى يارب أجرنا والاعتماد عليك ثم قال وحق الشيم خسرنا بعدما كنا رابحين وتحكموا فى حصننا وحصنا وحريمنا هؤلاء الشياطين قال الراوى ومازال ميشا على ذلك الحال وهو حزين حتى اجتمعت إليه فرسان اليهود الذين كانوا فى الكمين فأخبرهم بما جرى عليه من الهم المبين قالوا أيها الفارس لا يهولك

هذا الأمر الذى قديم ولا يحمل على قلبك منهم ولا تغتم فوحق من القته أمه فى اليم وشد ذهن لعن فرعون رضاعه ما استتم لا تركنا حصننا غدا فى يد هذه الأعداء ولو أنهم بعدد أوراق الشجر ورمال البيد وأنهم خرجوا إلى قتالنا قطعناهم بنصالنا وطعناهم بالرماح حتى نفنيهم وإلا فقبنا الحصن ودخلنا اليهم قال فلما سمع أباسهيل الذى أتى بعنتر هذا الحديث والخبر قال لهم والله يا بنى عمى إن كل التدبير علينا وبال وتدمير ويكون سبيلا لهلاك الكبير منا والصغير والرأى عندى أنكم تصالحون هؤلاء القوم وتطلقوا أسراهم من الاعتقال وألا تبصرون من هذا الأسود غدا عند الصباح مايذهب الارواح وكان يعنى بكلامه عن غصوب الذى أخذته أمه وهو من عقله مسلوب قال فلما سمعت بنو إسرائيل من أباسهيل هذه الأقوال قالوا له ويلك ماهذا المقال يا أبا سهيل جعل الله نهارك ليل وأذاقك الذل والويل أنكون نحن هاهنا الفين ومعنا رجال وعبيد ضعفين ونغلب من عبد أسود وغدا تعاين لعمالنا وتشهد ثم أنهم باتوا فى هذا الأمر يتشاورون وعلى خلاص الحصن يدبرون وكانوا قد جمعوا الاسارى فى فرد مكان ووكلوا بهم العبيد والغلمان ومعهم جماعة من الفرسان فلما كان عند السحر أفاقوا الاسارى مما كانوا انهلوا من خمر اليهود ونظروا أنفسهم فى الكتاف والقيود وكل واحد منهم مشدود فلما نظروا إلى ما وصل اليهم من الاذى وما حل بهم من الردى علموا بان الحيلة قد تمت عليهم فعند ذلك اقهم الندم وأيقنوا وقد تم علينا من هؤلاء الملاعين الذى لا عقل لهم ولا دين بعد تذللهم بين أيدينا وكيف النقو لنا ذلك الملقاحتى احتالوا علينا فوالله لئن كان لى خلاص مما أنا فيه لا بقيت على يهودى تقع عينى علينا ولانهبين بالسيف أجسادهم ولو كانوا راكبين على العجل الذى يعبدونه ثم أنه بعد ذلك سأل من الاولاد وقد ضاع منه الرشاد وخاف عليهم من الاذية أن تصل إليهم بالكلية قال فعند ذلك كلمة ميسرة وقال يا أبناءها أنا سالم فى الحياة ولكن أضحى غصوب أخى ما رأيناها أدرى ما كان منه ولا مادهاه فقال عنتر إن كانوا قد قتلوه ودمروه ولافعلن بهم فعلات فى مدد الايام يذكروه قال الراوى فبينما هم فى الحديث يتكلمون وإذا قد سمعهم بعض الموكلين الذى كانه موكلا عليهم فأراد أن يحسن إليهم حتى إذا خلصوا مما فيه يحسن له عنتر ويجازيه فعند ذلك أقبل عليهم وقال لهم لا تندموا ياوجوه العرب على ما به الزمان حكم فوق موسى كليم الرب نحن الخاسرين فى هذا السبب لان صاحبتكم قد خلصت ولدها وصار معها وفى يديها وقد ملكت حصننا وأموالنا وتحكمت فى حريمنا وإن لم نخلص الحصن منها فى هذا اليوم

أو غدا وإلا وقع بيننا الصلح والفدا قال فلما سمع عنتر هذا المقال طاب قلبه على كل حال لما سمع بخلاص ولده غصوب انفرجت عنه الكروب وقال لله در غمرة فوالله لقد فعلت فعلا لا تعجز عنه صناديد الرجال فقال عروة يا أبا الفوارس قد كنا نريد من الله اننا نتلخص من غير صلح حتى نحملها سنة مشؤمة على الأعداء وننزل بهم الردا ونبليهم بشيء ما ينسونه بعد ذلك أنا أعلم أن غصوبا يخلصنا من هاهنا ويبلغنا من الاعداء المنا ولو أن هذه الأرض ملئت أحرارا وعبيد قال فلما طلع الصباح ارتفع من حول الحصن الصياح وبرقت الصفاح وامتدت الرماح وقعقع السلاح إلا أن الأعداء ما قاربت من الأسوار طلع النهار حتى فتح باب الحصن وخرجت غمر وغصوب كأنهم البلاء المصبوب معهم ثلاثون فارس كأنهم الأسود العوابس وتركوا منهم عشرين فارسا غفرة يحفظون حسن خيبر قال الراوى وكان غصوب لما أخذ أمه وهو فى ذلك الحال المنكر أقام على ما هو عليه إلى وقت السحر بعد ذلك أفاق من سكرته فنظر إلى روحه فى الحصن عند والدته فسألها عن حاله وقصته فاخبرته بما تم عليهم من المحال وكيف أوقعوهم اليهود فى شرك الاحتيال وقصت عليه جميع ما جرى من الخبر كيف خلصته من عند أبيه عنتر وكيف تسبيت حتى ملكت حصن خيبر ثم قالت له يا ولدى من منذ خلصتك إلى الآن ساهرة باكية العين كثيرة الفكر لا اقر ولا أهدا لاننا غربا كما تعلم ولا ندرى ماذا نلاقى من الأعداء أنا خائفة أن يحل بنا فنا ناو مصابنا ولا نقدر أن نخلص اصحابنا قال فلما سمع غصوب من امه هذا المقال تعجب من حيل الرجال وافعال اليهود الانذال واخذه من ذلك السهر والقلق وتمنى انكشاف الغسق ولم يزل على ذلك الحال إن ولى الليل بظلامه واقبل النهار بابتسامه فعند ذلك اقبل على امه وهو من الغيظ مكمود قال لها قومى بنا حتى نخرج إلى قتال اليهود ولشفى منهم قلوبنا ونجزيهم على ما فعلوا بنا فقالت له امه افعل يا بنى ما بدا لك فها انا متعبة افعالك ولا فينا احد يخالف مقالك وارجوا ان تبلغ امالك قال الراوى لهذا المقال ثم انهم قد وجدا عندهم داخل الحصن خيولا وعددا تكفى اهل البلد فى تلك الساعة لبسوا من الزرد وركبوا على تلك الخيول واخذت من آلة الحرب كلما اليه تحتاج وبعد ذلك ظهرت ومعها ولدها غصوب فى ثلاثين فارس كأنهم الأسود العوابس منهم إلا من هو الحديد لابس واكثروا عليهم من الصياح والزعاق وانهلوا عليهم من سائر الافاق قال فلما نظر غصوب ذلك الأمر توقدت عيناه حتى صارت كأنها لظى الجمر وبان فى وجهه

الغيظ والغضب وهان الموت عنده واقترب وقد قل جميع القوم فى عينيه وهان أمرهم عنده وحدثته نفسه ان أرواح الكل فى يده فعند ذلك حمل على الخيل الذى قد أقبلت متبادرة وزعق فيهم زعقة فبقت من هولها حائرة ثم طلب بسنانه الصدور وقتد بسيفه المقاتل والنحور فلما نظرت غمرة إلى فعـــال ولدها غصوب خافت عليه من غائلة الحروب فعند ذلك أمرت أصحابها أن يحملوا فى أثره ووقفت هى فى خمسة فوارس تحمين ظهره وتسير من خلفه لينشرح للحرب صدره هذا وهو كانه الأسد الباسل الذى يحمى عن أشباله ويقاتل وصار يحمل على اليهود وقد زارت فى قلبه عليهم الحقود أراد بذلك أن يجازيهم على مافعلوه فى حقه فكان ما طعن فارسا الادقه ولاضرب بسيفه رأسا الاشقه هذا والعد عليه يرداد وصارت الخيل تطلبه من شعب وواد وبسطوا عليهم سطوة الجبابرة الشداد الذى لايخاف من الأخطار ولا يخشى من الأعداء الادنار ولا يفزع من الموت ولو كان بالمرصاد ولله در الرجال الذين قاتلوا معه فى تلك الساعة لأنهم هتكوا ستر الفروسية والشجاعة وقاتلوا قتال من أيقن بنزول الموت وفعلوا فعال من لايخاف الفوت هذا وعمرة تحرسهم وهم تحت الغبار تنظر ولدها ومن معه من الرجال فعند ذلك حملت وجدت فى الطلب كانها القضاء الذى لا عند الانسان منه مهرب وقد ذكرنا ياسادة ما اعطيت عمرة من الفروسية وشرحنا مافيها من القوة والبراعه وما جرى لها فى بلاد شريف من عنتر وذوا الخمار فسبحان الحليم الكريم الستار الذى يدبر خلقه بما يشاء ويختار ألا أنها عند حملتها خرقت الغبار وطعنت فى صدور الأعداء طعنا أحر من شعل النار وجندلت الأبطال وملكت الرجال وهزمت الاقيال وأبلت اليهود ومازالت تبرى المعاصم وتطير الجاجم والهام وتهشم من الرجال والخيل العظام وتفرق بين الأرواح والاجسام حتى وقعت هيبتها فى القلوب ومزقت هذا الجمع عن ولدها عصوب الكروب وجلت بما جرى فى ذلك اليوم الخطر وشقت على النساء الرجال الجيوب وقد صارت الخيل جائلة الفرسان على الفرسان صائلة والروح فى صدور الرجال عاملة والسيوف الهامات الأبطال فاصلة والأعناق على الهامات مائلة والصفاح بارقة والأسنة خارقة والنفوس زاهقة والدماء دافقة وغربان المنايا على رؤس القوم ناعقة وقد عميت الأعين وخرست الالسن وقل من الرجال الصبر وزاد عليهم الأمر واشتعلت الحرب بينهم حتى صارت كانها لهيب الجمر قال الناقل لهذا الكلام فلما نظر أبا سهيل ما حل باليهود من ذلك والحال ماقد ابتلا

به بنو امر ' ئيل من القتال أقبل عن فرسان اليهود وقال لهم يا قوم وحق الكليم على الجبل العظيم ان لم تطلقوا أصحاب هؤلاء القوم وتريحوا أرواحكم من القتال فى هذا اليوم ولا يدعوا لكم عتب ولا لوم وإلا أفنوكم عن آخركم وأخذوا حصنكم قال فلما سمعت فرسان خيبر ذلك المقال قد تغيرت منه الاحوال قالوا له ويلك يا أبا سهيل جعل الله نهارك ليل وسلط عليك الذل والويل أيحل منا أن نكون هنا الفين ونغلب عن قتال امرأة وعبد أسود سوف تنظر غدا مما يكون من قتالنا وتشهد قال ثم ان غمرة ورجالها واليهود لم يزالوا فى الحرب والصدام إلى أن اظلم الظلام فعند ذلك افترقوا عن بعضهم البعض وقد امتلا بالقتلى وجه الأرض ثم أن اليهود باتوا فى هذا الأمر يتشاورون وفى خلاص هذا الحصن يدبرون قال هذا ما كان من اليهود وما حل بهم من الكروب وأما ما كان عن غمرة وعصوب فانهم لما انفصلوا من الحرب والقتال عادوا طالبين الحصن فيمن معهم من الرجال إلى أن اطلعوا على أنفسهم ودخلوا اليه وقلع كل واحد منهم ما عليه من آلات الحرب ثم انهم جلسوا يتحدثون فيما جرى لهم فى ذلك اليوم هذا وعصوب يتاسف على عدم مناه ولا قدر أن يخلص من الاسر أباه ثم أنهم باتوا تلك الليله واليهود من حول الحصن يضجوا بالصياح إلى أن اصبح الله بالصباح فعند ذلك فتحت عمرة الباب وطلعت منه فيمن معها من الأصحاب وتركت عشرة فى الحصن يحفظوه وان ثار عليهم أحد من داخل الحصن يقتلوه قال الراوى وأنها لما صارت فى مقام الحرب والضرب فعند ذلك حملت عليهم فرسان اليهود فالتقتهم هى ومن معها من رجالها بقلوب مثل قلوب الأسود فالتحم بينهم الحرب حتى صار كالنار ذات الوقود وقدحت سنابك الخيل على الصفا والجلمود ولها حس كحس الرعود وكانت بين فاقد ومفقود حتى قتل من قتل وهلك من هلك حتى مالت الشمس فى قبة الفلك هذا وهم فى قتال وطعن رماح عوال وضرب سيوف صقال وحروب تشيب رؤس الأطفال وأنهم لم يزالوا على ذلك الحال حتى ملت الخيل من المجال واشتدت عليهم الكروب ونزل بهم ما كان لهم فى علم الغيب مكتوب قال الراوى وفى ذلك الوقت قتل جواد الأمير عصوب فبقى فى وسط المعمعة راجل وهو يدافع عن نفسه ويقاتل ويبرىء بحسامه الرماح الذوابل ويضرب الفرسان فى الجوانب والمقاتل ويقطع بضرباته الزنود والمفاصل ويحل من الرجال العواتق والكواهل قال فلما نظرت أمه ما جرى عليه فعند ذلك احترق قلبها بما نالها عليه ورأت الفرسان وقد دارت من حواليه فعندما جدت فى قتالها وحربها وفرقت الأبطال بطعنها وضربها وطلبته كما تطلب اللبوة شبلها ولم تزل كذلك

حتى أنها قاربته فى الرجال الذى داروا به وطمعوا فيه لوحدته ففرقتهم فى عاجل الحال عنه بعدما كانوا أيقنوا أنهم قد نالوا غرضهم منه ومازالت تقاتل عنه غير خائفه ولا جزعة حتى أركبته من الخيول التى قتلت أصحابها فى المعمعة فعاد غصوب يكر على الفرسان بطعناته الرائعة فبينما هم على ذلك الحال وهم فى أشد الحرب والقتال وإذا بالصياح قد علا من ناحية الحصن والانزعاج وسمعت أصوات ورجالها من أعالى الأبراج فقالت لولدها غصوب اعلم أن الحصن قد أخذ من ورائنا وملكته أعداؤنا ويطول تعبنا فيكون ذلك سببا لهلاكنا فقال لها غصوب هذا شىء ما نخشاه أبداً فاثبتى بنا ساعة واحمى خلفى أو من أمامى لأنه ما بقى بيننا وبين أبى وأخى غير رمية سهم فجدى بنا فى القتال لعلنا نخلصهم ونبلغ الآمال قال فلما سمعت عمرة من ولدها غصوب هذا الخطاب قالت إن هذا الذى أردت تعمله ماهو صواب لأن الخلق الذى أمامنا كثيرون والرجال الذى معنا قليلون فقد بان منهم التقصير وقد عرفت منهم ذلك معرفة الخبير وهذا المساء قد اقترب والذى أراه من الرأى أن عودتنا إلى الحصن أوجب لأننا مادمنا متحكمين فى حريم الأعداء كنا آمنين على أنفسنا من الردى ولا يقدروا أن ينالوا من أصحابنا غرضا ولا يشفون منهم مرضا فعد معى ولا تخالف مقالى وإلا أتبعت قلبي فعند ذلك عاد غصوب معها ومن خلفه الرجال وهم طالبون الحصن وعمرة تجد من خلفهم فى التبع وهى تردعنهم أهل الجهل والطمع قال الراوى وكان السبب فى ذلك الصياح الذى قد علا من الحصن حتى ارتجت له ذلك البطاح وذلك أن ميشا اليهودى لما نظر إلى تلك الأقوام وقد دخلوا فى المعمعة تحت القتام فصاروا مشتغلين بطعن الرمح وضرب الحسام فعند ذلك أقبل على أبا سهل ابن اللئام فقال له ويلك يا ابن العم خذ معك مائتى فارس من هذا المقام وامض أنت ومن يتبعك من الأعمام فلعلك أن تملك لنا الحصن بحد الحسام ما دام هؤلاء الشياطين قد تخلوا واشتغلوا بالحرب والصدام لأنى أرى نيرانهم لا تصطلا وقد أحلوا بنا الذل والبلا وإن يدركنا فارسا جبار والذى صحبه الذى يقال له ذو الخمار وإلا ما ننال منهم ما نختار فلما سمع أبا سهل من ميشا هذا الكلام قال وحق الشيم وما فيها من الأحكام ما يقدر جبار ولا ذو الخمار يلقون أحداً من هؤلاء الأشرار وإن قدموا علينا رهولاء عندنا ما يلقوا منهم أحداً ولو أنهم يقاتلونهم على حمار العزيز ثم أنه بعد ذلك مال إلى ناحية الحصن ومعه طائفة من بنى إسرائيل الأنجاب واتبعتهم أيضاً جماعة من منتصرة الأعراب وتسابقوا كلهم يطلبون الباب فتلقوهم أصحاب عمرة وقاتلوهم ساعة إلى أن كثر عليهم وزاد فيهم المدد وابتلوا بشىء ما يطيقون

لاندفاعه ولا لهم سبيل إلى امتناعه وأتى لهم مالم يكن لهم فى حساب فعند ذلك دخلوا الحصن وغلقوا الباب ودفعوا أصواتهم بالصياح من فوق الأسوار وموافرسان اليهود بالصخور والأحجار ولم يزالوا فى حصار وحرب إلى أن دنا وقت الغروب فبعد ذلك وصلت غمرة وولدها غصوب بعد ما تركوا الأرض ملآنة بين أيديهم بالقتلى فلما نظرهم أباسهيل وهم يكتالون الرجال كيلا فعند ذلك صاح فيمن صحبة من الرجال وعاد وهو يطلب الأعلام وهو يتعوذ بالعشر كليات وفتح لغمرة وولدها الباب فدخلت هى ومن معها وكان الليل قد أقبل ثم أنهم هجموا عن ما فى الحصن من اليهود وتركوا فى ساعه الحال منهم جماعة خمود فبذلوا فيهم السيوف لأجل ثاروا على أصحابهم وطلبوا هلاكهم وذهابهم فقتل عصوب وأمه ورجاله منهم جماعة كثيرة وأنزلوا بهم الذل والحيرة فعند ذلك عادوا إلى بيوتهم ودورهم وخمدوا بعد نفورهم وبعد ذلك جلس عصوب وهو حائر أماداهاء وبق ضيق الصدر حيث لم يقدر يخلص أباه ولا أخاه ولا يبلغ من الاعداء مناه هذا وأمه تهديه وتسليه وتبرد قلبه عن ماهو فيه وتقول له ياولدى لولا خوفنا على أنفسنا ماكنا رجعنا إلا بما أردنا لان الخلق الذى كانوا قدامنا بحر زاخر وقد كثروا علينا آخر النهار ولكن عداة غد نقاتل قريبا من الباب ونطلب البراز من هؤلاء الكلاب فان بارزونا وأنصفونا وإلا حملنا عليهم بأجمعنا وبذلنا فى قتالهم المجهود فان عجزنا عنهم ولم ننل منهم مقصود ندبر بعد ذلك تدبيرا يكون حالهم به مفسود وذلك أننا نخرج كل من كان فى الحصن من النساء والاولاد والصغار والكبار ونصفهم فوق الاسوار ونتولى عذابهم بالليل النهار وتأمرهم أن ينادوا أهاليهم ويطلبوا الفدا عن يعز عليهم ونخلص قومنا بذلك للفعل كما تريد وتكون قد تعلمنا بما جرى علينا فملا جديدا فلا نرجع نأمن على أحد من الموالى ولا من العبيد ثم أنهم باتوا على ذلك مثل يتشاورون فى قتال الإعداء يتدبرون قال الراوى فهذا ماكان من هؤلاء وما يردون وأما ما كان من أمر ميشا الملعون فانه هرب ومن معه من اليهود اللئام لما وجعلوا من ذلك المقام الذى كان فيه الحرب والصدام وجلسوا فدار بينهم الكلام وجعلوا يشكون إلى بعضهم ماجرى عليهم من تلك الاقوام ثم أن ميشا عاتب أبا سهيل على رجوعه عن الحصن فى ذلك اليوم وقد أكثر عليه من العتب واللوم فقال ويلك يا ابن العم وما الذى جرى عليك من الهم فى ذلك اليوم حتى نفرت وهربت من هؤلاء القوم ولا قدرت تمنعهم من الوصول إلى الباب وذليت لهؤلاء الكلاب على أن أكثرهم كانوا أثخنوا بالجراح والذى سلموا منهم قد بقوا أشباحا بلا أرواح فلما سمع أبا سهيل ذلك المقال علم أن ميشا من الجهال وقال لا تقل هذا القول ياميشا واستعذ من

لا يخاف ولا يخشى وهنينا حيث عدنا سالمين من هؤلاء الشياطين لانهم كانوا عند عودتهم أشد من الأسود وأقوى من الحجر الجلمود ولو لا اشتغالهم بنا في هذا اليوم المشهود كانوا أفنوا كل من كان ها هنا من النصارى واليهود والرأى عندى أنك تطلق هؤلاء القوم الذين عندك وتخلص بهم عن حصنك وإلا حلقوا لحيتك ولم يخشوا هيبتك وخطفوا أختك وزوجتك وأهلكوا قومك وعشيرتك فلما سمع ميشامن أباسهيل ذلك المقال أخذه الغيظ والانذهال وقال له ما هذا القول يا أباسهيل جعل الله نهارك ليل فوحق الكليم أنه ما فيك عقل ولا حيل وإلا ما كنت تتلفظ بهذا القول الذي لا يقوله إلا الجهال يا ويلك كيف أطلق فارس الحجاز من يدى وأنا أعلم أننى أبلغ به غاية سؤلى ومقصدى فوحق الكليم وما أظهر لا بدلى أن أصفده في الحديد وأرسله إلى الملك قيصر لأنى أعلم أن في قلبه منه نارا لا تطفى ولهيبا لا يخفى وقد سمعته مرة يحلف ويقول وحق المسيح وراهب نجران ودير النزول وكان يؤكد في الاقسام ويقول أنا أعلم أنه لولا فارس عبس الأسود ما كنت أطعت من الملوك أحد ولا كنت حملت إلى الملك كسرى لا أحمر ولا أبيض وأنا أعلم أن أباسهيل أنى إن حملته اليه وأزلت به العجلة بما يعطينى في مقابلته قلعة أو ينعم على ببعض البلاد ويتركنى أحكم على خواصه والاجناد لا سيما إذا أحضرت معه أولاده ومن معهم الفرسان والأبطال والكل مصفدون في السلاسل والاغلال وهذه المرأة التى رأيت الموت من أفعالها والقتال فلما سمع أباسهيل من ميشا ذلك الخطاب وما أبداه له من الجواب فعند ذلك قال له إذا كان هذا الخاطر قد خطر بقلبك ورأيته صواب فجد فيه وافعله ولا تتوانى عنه وتهمله حتى يعلو عنه ذلك الملك الكبير قدرك وقدرنا وينفذنى بلاده أمرنا ولكن قد بقى في الأمر شيء واحد وهو ما منا أحد عنه حايد وأنك تعلم أن غدا يوم السبت ونحن نصبح مسبتين وأن تركنا هؤلاء الشياطين ربما أن يطلبوا منا قتالا وحربا وأنى رأيت من الرأى الصائب أن تنفذ هؤلاء الاسارى إلى بعض الشعاب وتوكل عليهم جابر بن المقدم على متنصرة الأعراب وتأمره بأن يجمع لنا كل من يعرفه من المشاة والركاب وأن توانيت عن هولاء الكلاب حملت هذه المرأة ومن معها من الأصحاب وشتتوا شملنا وأوقعوا بنا العذاب ويخلصوا أسراهم من أيدينا ولو أنهم معتقلون بالسحاب وأن تخلص عنتر مما هو فيه من الاعتقال أبصرت منه طعنا يشيب الأطفال ولا يبقى منا لا على عم ولا خال فلما سمع ميشا من أباسهيل هذا الخطاب قال له لقد رأيت في هذا الأمر غاية الصواب وإن لم تفعل هذا الذى أشرت به وإلا انقطع رجاؤنا وخابت آمالنا ثم أنه في ساعة الحال أستدعى بجابر مقدم متنصرة الإعراب وقال أنت تعلم أن هذا الرجل المسمى بعنتر

هو أكبر أعداء الملك قيصر والصواب أنك تجتهد معى فى حفظه وفى حفظ رفقائه حتى أننا نتساوى أنا وأنت عند ملك النصرانية فى القدر والجاه ونحظى منه بالمال والجاه العظيم وأبقى أشهد لك بالنصيحة عند الملك الرحيم فلما سمع خابر من ميشا ذلك قال له أن هذا لغاية الصواب فهذا الأمر كله مردود إليك ثم أنه ساعة الحال فرق العبيد والرجال وأمرهم أن يأتوه بما قال له ميشا من الأبطال ولا يدعوا فى تلك الديار أحدا حتى يخبروه ولا يخلوا من يحمل رمحا ولا سيفا حتى تحضروه فى الحال فعند ذلك تفرقت الرجال إلى هذه الأشغال فبعد ذلك أمرهم أن يحملوا عنتر ومن معه إلى شعب العرنوس وكان هذا الشعب شاهقا فى الهواء ضيق المخرج والمدخل وله درب فى الجبل أعوج فأخذوا عنتر وأصحابه وساروا بهم إلى ذلك المكان الذى يتحير من رؤيته كل إنسان على أن العجب ما هو فى هذه الأحوال إنما العجب فى عنتر وطاوعته لهم فى حالة الانتقال إلا أنه كان موثوقا فى القيود فهو لا يقدر على شىء من الفعال فانه كان مسلم أحواله إلى مدبر الأمور ويعلم أن العبد لا مفر له من المقدور قال الراوى وكان غصوب وأمه يشاهدان كل الأمور وهما جالسان على أعلى السور فلما نظر غصوب إلى ذلك الحال وأن اليهود قد حملوا أباه ومن معه اقبل على أمه وقال لها ويلك يا أماه أعداؤنا قد حملوا أبى وأخى ومن معهم من الرجال فطلبوا بهم فسيح البر والجبال أفلا يكونوا هؤلاء الملاعين يريدون أن يبعدوهم ويتركوهم فى بعض انقلاع الحصون ونحن هنا قاعدون ما نقدر على خلاصهم ولا نعلم من أمرهم ما يكون فلما سمعت غمرة منه ذلك الكلام قالت والله يا ابنى لا أدرى ما يفعل هؤلاء اللئام فقد أمسيت فى هذه الليلة متحيرة من فعل هؤلاء أشرار ونحن غرباء فى هذه الديار فلا لنا من يعيننا على طوارق الليل والنهار فلما سمع غصوب من أمه ذلك المقال لها إذا كان الأمر على هذا الحال فوالله لا بدلى من اتباع هؤلاء الانذال أخاطر بروحى لعلى أخلص أبى وأخى ومن معهما من الرجال فقالت له أمه كيف تريد أن تفعل هذه الفعال فتخاطر بنفسك بين هؤلاء فقال لها يا أماه أنى أريد ان أكون لكم الفداء وأنزل من من الحصن وأختلط بالعدا فابصر ما الذى دبروه وماذا أملوه فابحث عن هذا الأمر الذى يريدون أن يفعلوه فان كانوا قد أنفقوا أبى وأخى ومن معه من الفوارس إلى بعض الأودية والكنائس فاتبعهم فاخلصهم ولو ساروا بهم إلى ارض الأبالس فلو كان معهم الف فارس وان لم يكن الأمر قد خطر ببالى عدت إليكم واخبرتكم بما دبروه فلما سمعت امه مقاله ورات ما قد جرى عليه من اسراييه من الغيظ الذى تلبس فيه قالت له بالله عليك يا ابنى لا تهدم بيعد صبرى وجلدى فتحرق بفراقك كبدى وتحملنى من فقدك مالا

أطيق وتدعني أتقلى مثل الحبة على نار الحريق فقال لها هذا شيء لا تخافي منه فإن كان ربي قدر على شيء فلا بد عنه فإما أني أخلص أبي وأخي من كتافهما أو يكون ذلك لسبب تلافي وتلافهما فقالت ياولدي إن كنت قد عزمت على هذا المقصود فدعني أنا أمضي في هذا الأمر وأبذل المجهود فقال غصوب لا وحق الملك المعبود الذي انبع الماء من الصخر الجلمود وأهلك قوم عاد وثمود لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كاسات الردا وكيف يجوز أن ابخل بمهجتي واسمح بوالدتي ثم أنه قسم وشدد في الأقسام أن لا بد له من النزول وعن هذا الأمر الذي خطر بباله ما احول فقالت له امه ياولدي أفعل ما تريد بمهجتك فأنا أعلم أنك ما تعمل ذلك حتى أموت بحسرتك وأبقى حزينة وحيدة في هذه الديار البعيدة وأني حصنتك بالفرد الصمد الذي لا شريك له ولا ولد ثم أن غصوبا تزيا بزي العبيد وغير حالاته حتى يتم له ما يريد وأخذ سيفه في يمينه ودرقته في شماله وهانت عليه نفسه على ما يريد من أعماله ثم نزل إلى باب الحصن وفتحه وخرج مثل الأسد الضرغام وسار في ذلك البر تحت غسق الظلام ونفسه تحدثه بأمور عظام تتحير فيها الخواطر والأوهام فكانت العرب المنتصرة قد ساروا كلهم من حول مقدمهم جابر محتطين بعنتر ومن معه إلى الشعب الذي قدمنا ذكره في هذه السيرة هذا واليهود قد طلعوا على تل عالي واستتروا وتركوا خيامهم وعددهم حاضرة عندهم في ناحية حتى إذا فرغوا من سبتهم ينزلون إلى قبالهم فلما استقروا في ذلك المكان نزل القرناص والجوقار والحزان ونزلوا معهم أيضاً جماعة من مشايخ اليهود الكبار فخطوا حول ذلك التل خطا وبينوا لهم الأرض المسبتة من الأرض المباحة ثم أنهم نزلوا حتى يأخذوا لهم راحة فلما نظر غصوب إلى الدنيا خامدة وأصوات النصارى واليهود هامدة فعند ذلك اتبع العرب المنتصرة وهو في زي العبيد وجعل يتجسس من خلفهم لعله يبلغ من خلاص أبيه وأخيه ما يريد وهو يظن أنهم يسيروا بهم إلى مكان بعيد ومازال سائر على أثرهم حتى وصل إلى الشعب وعرف ماهم فيه من أمرهم فرآهم قد تركوا من الأسارى من داخل شعب العروس فنظر إليه فرآه من جميع نواحيه محروس فوكلوا ببابه ثلثمائة عبد مثل غول الجبال منهم مائة وخمسين بالسيوف والدرق الثقال ومائة وخمسون ترمي بالنبال وقد توكلوا بذلك المكان على هذا الحال والموت لا يخطر لهم على بال فلما نظر غصوب إلى ذلك الحال طاب قلبه على تلك الأعمال وأقام ينتظر فرصة أو غفلة حتى انه يتجسس على ما بدا له من العمل عسى أنه ينال له من خلاصهم أمل قال الراوي ففي ذلك الوقت أقبلت صعاليك العربان كل جانب ومكان لأنهم كانوا قد نفروا من الفرسان الذين قدمنا ذكرهم من عبدة الصلبان وما أصبح الصباح وهب النسيم إلا وحول الحصن خلق بعدد التراب ما يدرك لهم عدد

ولاحساب لأنهم قدأتوا فى طلب نهب العددو الإسلاب فوعدهم بعطية الخلع والثياب هذا وغمرة تفكر فيما تم عليهم من هذه المصائب وتندم على فراق ولدها فاحترق عليه قلبها وصارت تحسب ألف حساب فلما زادهمها واشتغل بالفكر قلبها تشاورت فى هذا الأمر مع أصحابها وقالت لهم قد ضاقت بى الحيل فاشيروا على بما أفعل من العمل فقالوا لها ما بقى عندنا من الأمر إلا القتال حتى نقتل لئلا يطمعوا هؤلاء الكلاب ويبلغوا منا الآمل فاخرجينا إليهم حتى نفنيهم فلما سمعت غمرة من قومها هذا الكلام قالت لهم والله أنى أخاف عليكم يا بنى الأعمام من هؤلاء اليهود اللئام ربما يكونوا دبروا علينا مكيدة كى يوقعونا فى مصيبة لأنهم طائفة غدارة وبالخبث والمكر موصوفين نهم بلاشك أخبث الأمم وقد رأيتم فعالهم فيما تقدم وبعد ذلك فانى ما أرى أحدا منهم فى هذا اليوم طلب قتالنا وأنى أخاف أن يكونوا مضـــوا بإسارتنا إلى مكان بعيد وأوسعوا بهم فى القفر والبيد ويطول بنا نحن ههنا المطال وأخاف يوقعونى أن خرجت اليهم طلبت منهم القتال يثبوا أمامنا لضيق المقام وينزلوا بنا الذل والنكال فلما سمعوا قومها هذا المقال فاقبل عند ذلك شيخ منهم صاحب رأى وفعال وقال لها لا تخافى أيتها الأميرة من هذه الاحكام لأنى أعرف أن لهم فى كل شهر أربعة أيام هم دائما على مدى الأيام يبطلون فيها أشغالهم فلا يقدروا يتصرفوا فى أحوالهم إلا أن يغصبون على أمرهم ويأتيهم شيئا يضرهم وأنا أقول أن هذا اليوم من تلك الأيام الذى جرت عليها الاحكام على طول السنين والأعوام فانزلى بنا فى هذه الساعة إلى القتال فدعينا نزيل من رؤوس هؤلاء الأنذال الطمع فلما سمعت غمرة من الشيخ هذا الكلام وكذلك أصحابها الكرام قالت لهم ما تركتم عليكم ملام ثم أنها نهضت فى ساعة الحال واشتدت للحرب والقتال ونزلت من الحصن فيمن معها من الرجال بعد أن تركت فيه من يحفظه لأنه إن ذهب من أيديهم فما يكون لهم مكان يلتجئوا إليه غيره ثم أنهم لما ساروا وخلف الباب طلبتهم متنصرة العربان من كل جانب ومكان ورفعوا الضجاج والصياح وأقبلوا إليهم بالسيوف والرماح وحملت عليهم العبيد والرجال أصحاب الطمع وعلا الضجج من حولهم فلما نظرت غمرة إلى ذلك الفعال الأشنع وضاقت عليها وعلى أصحابها لتسع فهانت عليها نفسها وكان قد خرج معها من الحصن ثلاثين فارس من كل بطل مداعس فقسمتهم ثلاث مواكب وأمرت كل عشره منهم أن تحمل من كل جانب ويطعنوا بالرماح ويجودوا الضرب بالسلاح فلم تكن إلا ساعة حتى ثروا الفرسان عن المواكب وقلوا بين أيديهم المواكب ومزقوا تلك الجموع بشفار المضارب وأرموا أعداهم من النصارى واليهود بالمصايب وتركوا الدما تفيض مثل

فيض السيل الساكب فما كان أحدا يلحق مزراقه إلا والسيف قد نزل على رقبته وعجلت له منيته فعند ذلك زال من رؤسهم الطمع فتفرق جمعهم الذى كان قد اجتمع فنظروا من غمرة ورجالهم هول المطلع قال الراوى كانت غمرة لما حملت على موكب النصرانية قصدت مقدمها جابر بن أسد وقد نزعت الأرواح من الجسد فبذلت فى الحرب نفسها لأجل ما نالها من فقد الولد ومحقت الأبطال ونثرت عددها فاظهرت فى تلك الساعة صبرها وجلدها وكان أصحابها بعد تفريق الجموع قد عادوا على أثرها فتمسكوا فى الرجال الذين خلف ظهرها فما ارتفعت الشمس على الروابى والاكام حتى نعق جيش النصرانية فانهزم هذا كله يجرى واليهود فى صلاة سبتهم فقد خيل لهم أن الأرض ترتج بهم من شدة ركض الخيل الذى صارت وتتدفق مثل السيل هذا فهم قد نظروا إلى المتهزمين فطلبوهم وقصدوا نحوهم يستنجدوا بهم وغمرة وأصحابها وراءهم وقد أمسكوا شيخهم ولهم من خلفهم أصوات مثل الرعود وهم الأسود إذا حلت من القيود إلى أن وصلوا عند اليهود فلما رأوا ذلك أيقن كل واحد منهم أنه مفقود فعند ذلك تركوا الصلاة وضربوا على وجوههم وهم يتعوذون بالمشركلمات وأيقنوا بالقتل والممات قال الناقل لهذا المقالات لما نظر الخزندار والجوقار إلى حالهم صعب عليهم أحوالهم وصاحوا عليهم ياويلكم لا تفعلوا يا بنى إسرائيل فما أعداؤكم اليوم إلا قليل فاركبوا خيولكم وبادروا إليهم وأنا جمل الخزانة من خلفهم والجوقار والقرقاص بعسكم فعند ذلك ركب ميشا ومن معه ورموا ثقل السبت عن كتافهم ونفضوا الثياب واستعدوا إلى الحرب وهموا أن يحملوا على غمرة ويحلوا وبأصحابها الشدائد وإذا بغبار من خلفهم قد ثار وأعمى وسد الاقطار فبقى فى الجو مثل الغيا وزاد حتى ملا الربا والاكام وحير الخواطر والاسرار وأشغل النواظر والافكار وشد المشارق والمغرب وبهتت إليه المواكب الكتائب فلما نظرت غمرة إلى هذه الغبرة التى صار الافاق منها مكدرة وقفت عن القتال وقالت لمن معها من الرجال يابنى عمى ارجعوا من هذا المكان حتى نتقرب من الحصن والجدران ونصبر عن الحرب والطعان حتى نعلم ما تحت هذا الغبار من فرسان اليهود الاشرار ومن كان معهم من عبده الصلبان الفجار وتنكشف لنا جميع الأخبار فان كانوا من أعدائنا دخلنا الحصن وطلبنا الاستتار وحفظنا أنفسنا من الويل والدمار وان كان ولدى مصوب قد خلص أباه مما هو من الاسر فعند ذلك تزيل عنا الكروب ونرجع إلى القتال وننفى جميع الأعداء الأنذال ونتركهم ممددين على الرمال قال الراوى فلم تكن إلا ساعة من النهار حتى انكشف ذلك الغبار ونظره الفريقان بالابصار وإذا قد بان من تحته صليب من

الذهب الأحمر وعلم كبير من الحرير الأصفر وحوله ألف وخمسمائة فارس من البطارقة وهم أبطال عمالقة كلهم متدرعون بالعدد وعلى رءوسهم البيض وعلى أجسادهم الزرد وفي أيديهم السيوف البوارق متمكنين بالجحف والطوارق ولهم خيول أخف من البواشق ماهم إلا كل كافر ومنافق ونحن نسبح رب المغارب والمشارق قال الراوي كانت هذه الخيل المقبلة والعسكر الذي كدر البر الاقفر من عند ملك الروم قيصر ملك ملوك بني الأصفر وكان المقدم عليهم بطريقا جليل القدر يقال له مرتوما وهو كأنه شيطان في صورة إنسان وكان الملك قد أنفذ بهذا العسكر والجنود حتى أنه يأخذ الجزية من اليهود ويجمع الخراج بالعداد من تلك الأرض والبلاد ويعود فلما انكشف الغبار وبانت العساكر للابصار عرفها ميشا مقدم بني اسرائيل وكاد من فرحه عن جواده يميل ثم قال لاصحابه قد أتانا الأمر كما تريد واليوم نفني هؤلاء العرب والعبيد ونخلص منهم أموالنا وأولادنا وبعد ذلك نسلم عنتر الزنيم إلى نائب الملك الرجيم بعد ما نعمل بجماعته كل أمر عظيم ثم أن جماعة من اليهود لم يزالوا سائرين حتى التقوا بالنصارى القادمين فترجل ميشا وأصحابه وخدموا إلى مرتوما وتقدموا إليه وقبلوا الأرض بين يديه قال فعندها أمر أن يعودوا إلى ظهور خيولهم وسألهم عن ماهم فيه وقال لهم مالي أراكم لابسين الزرد ومكثرين من آلة الحرب والعدد فهل طرقكم عدو أو أتى أحد يريد بكم سوء فقال له ميشا أيها السيد قد فعلنا شيئا وندمنا عليه ثم أنه حدثه بجميع ماتم لهم مع عنتر وشرح لهم ماصار من قصته وكيف احتالوا عليه وعلى رفقته وأعلمه أن غصوب ولد عنتر ملك منهم حصن خيبر ومعه أمه عمرة وهي مثل اللبوة الشمطة وقد أفنوا جماعة من النصارى واليهود في ساحة المجال وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها وشرح له باطنها وظاهرها فلما سمع مرتوما من ميشا ذلك الكلام والاقاويل رفع الصليب على وجهه وتعوذ بالانجيل وأقبل على ميشا وقال له أيها الخنزير وعنتر الساعة في قبضتك أسير فقال نعم وهو عندي ذليل ومعه جماعة من أولاده وجماعة من قومه وأجناده فقال له مرتوما إن كان وقعوا في يدك هذه الأبطال الشداد فابشر بالغنا ونيل المراد وذلك أني أخبرك بما جرى فان رسول الملك كسرى وصل إلى ملكنا قيصر في هذه الأيام يطلب منه الخراج كما جرت العادة في كل عام وإلا يجمع عليك عرب الحجاز واليمن وعسكر خراسان وأسير إلى بلاد الشام وأزول عنك ما أنت فيه من الملك والأنعام وأسكن في ديارك الديالم والأعجام وإن ملكنا ياميشا لما سمع هذا الكلام

والخطاب احتار كيف يرد على الملك كسرى الجواب بل أنه أقسم وشدد فى الأقسام وقال وحق الإنجيل ومافيه من المقال أن عسكر العجم والديلم ماتخطر لى على بال ولا خوفى إلا من عرب الحجاز وعنتر بن شداد الذى قاسينا منه ما قاسينا فى الحرب والجلاد ولولا عنتر ماحملت إلى كسرى لا خراج ولا عداد ولا وصل إليه من درهم من هذه البلاد وبعد ذلك فإنك أخبرتنى بهذا الخبر وهو يكشف عن قلب الملك قصير الهم وأنه يبلغ بأسر عنتر الأرب ويتوفر عليه الفضة والذهب لأنه إن وقع عليه هو وأولاده آمن على سائر أقاليمه ويلتق عكسر الفرس وملكها بعسكر النصرانية ويرفع الصليب على بيوت النار الحمية أما أنت فما يكون عندنا أجل من قدرك فطيب قلبك وأشرح صدرك وأنا أضمن لك عنده أن يرفع عنك الخراج وتصير عنده أعز من أهله والأولاد وتبقى رأس أصدقائه وخواصه على سائر البلاد قال فلما سمع ميشا من مرتوما هذا الكلام فرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقال له يا مولاى وبهذا قدهان على ذهاب حصنى ومالى وتركت الأعداء يتحكمون فى أهلى وعيالى لأن بنى عمى كلهم أشاروا على أن أخلص عنتر وأفادى به حصن خيبر وأنا أتمنع عن ذلك ولا أفعله وأقول إن حاجة الملك الرحيم أوجب فقال مرتوما وحق دينى والمسيح أنك ما فعلت إلا فعل مليح وأنه رأى سديد وسوف يعطيك الملك فوق المزيد ولكن أخبرنى كم فى الحصن من هؤلاء العبيد فقال ميشا يا مولاى وحق موسى الكليم مايكونوا كلهم أكثر من خمسين ولكن يخرج منهم كل يوم ثلاثين ويبقوا الباقى للحصن حافظين ولكنهم وحق دينى أبطال وشجعان لا يرهبون الموت ولا يخافون الزمان ولا يفزعون من دنو الآجال ولا يخطر الموت لهم على بال وأيضاً معهم امرأة من الجن وهى محنة من المحن لو تصور لها ملك الموت ماهابته ولو كان الجيش فى عدد المطر فى قته فلما سمع مرتوما كلامه منك ضحك وزاد بتسامه وقال له صدق الذى قال فى حقكم يا معشر اليهود ضربت عليكم الذلة والمسكنة ومن أجل ذلك صرتم تحملوا الخراج كل سنة وفى هذا اليوم أريكم ما تفعل فرسان المسيح بهؤلاء الأنذال وكيف أسقيهم الوبال فلما سمع ميشا كلام مرتوما وما أبدى من المقال قال له يامولاى ما بقى عندنا شك فى هلاك الأعداء إما فى هذا اليوم أو فى غدا ولكننى فزعان من أمر واحد وهو الذى تركنى من قتالهم ساتدلأنى أخاف أنهم إذا رأوا الغلبة والحصار أبدلوا السيف فيمن فى الحصن عندهم من الكبار والصغار ويفجعونا فى أولادنا ويبدلوا اكدر صفو عيشنا فلما سمع مرتوما من ميشا ذلك الكلام قال له إذا كنت أنت تخاف من هؤلاء اللئام خذلنا

مكان فى هذا المكان ضيقه وعرب به الرجال غاية التعريف حتى أنهم فى ساعة الحال ينقبوه ولو أردت الحصن جميعه هدموه وبعد ذلك أنا أطلع اليهم برجالى وترى ما أصنع بهم من أعمالى كيف نمنعهم عما يريدون ونردهم عما يصنعون فقال ميشا لمرتوما أيها الفارس الصنديد إذا كان الأمر على هذا التأكيد فانا أعرف من خلف الحصن باب من الحديد وهو من قديم الزمان على فم مغارة وأهالينا كانوا اسدوها بالحجارة وهو إذا فتح ينتهى إلى سرداب يطلع من وسط الكنيسة وكانوا قد صنعه أجدادنا لمثل هذه الأمور النحيسة وإن هذا السرداب كان فى الزمن الأول لبنى اسرائيل لما كانت الدنيا بحكمهم وباعهم فيها طويل فلما ظهرت دولة النصرانية وقويت عليهم أهل ماء المعمودية عمدوا إلى هذا السرداب وسدوه حتى لايدخل إلى كنيستهم من لا يريدوه وهذا الحديث سمعته من أبى عن جدى وهو إلى الآن مكتوب فى كتاب عندى وأنا أريد إذا اشتغلوا الأعداء عنا بقتالكم افتحه وأدعك تدخل فيه أنت ومن معك فقال مرتوما افعل ما بدالك ثم أنه أمر غلمانه أن يعلموا الخيالة بما قد تجدد ويأمروهم باظها العدد قال الراوى فلم تكن إلا ساعة حتى تجردوا لهذه الاشغال وتقدم مرتوما بمن معه من ذلك العدد وطلب الحصن بذلك المدد وقد أكثروا من الجواشن والزرد والطوارق والخود وقد ضج خلفه ذلك الجمع الذى اجتمع وبرق السلاح وأيديهم ولمع هذا وقد طلبوا كلهم الحصن مثل الابالس قال فلما نظرت غمرة وأصحابها إلى ذلك الفعال أيقنوا بدنو الاجال وعادوا إلى الحصن وغلقوا الباب وقد تحققوا الفنا والعذاب ثم انهم وطنوا أنفسهم إلى نصف النهار وقيل أنه كان مع الروم جماعة يرموا بالنبال فاصابوا بها لبات الرجال حتى أنهم أوصلوا اليهم البؤس والمضرة إلى أصحاب غمرة وقلت من عندهم الأحجار وماتى نسوان عنتر إلا قد أيست من ولدها وعدمت مما حل بها من جلدها وسبرها هذا وأم عصوب قد صار دمعها على فراق ولدها مسكوب وصارت تقاتل بحرقتها عن نفسها وتبكى على ولدها ووحدتها وأنها من شدة ماقد جرى قالت لمن معها يا بنى عمى انى ما بقالنا فى النجاة من سبيل وإن الذى أراه من الصواب الذى ليس عنه مقيل اننا ننزل إلى الحصن ونضرب كل من فيه بالسيف الثقيل حتى اننا نكون أخذنا لأنفسنا بالثار وأشفينا قلوبنا من أهل هذه الديار فقالوا لها أصحابها إذا كان هذا الأمر قد خطر ببالك فاننا مطيعين لأمرك فافعلى ما بدالك قال الراوى ثم عولوا على النزول وكل واحد منهم فى يده سيف مسلول وإذا قد سمعوا حس صيحات قد ارتفعت ورجال من الكنيسة التى فى الحصن قد طلعت فتاملوهم وإذا هم جمع كثير مثل ذكور الزنابير قال الراوى وكان السبب فى ذلك الاهتمام

ان ميشا لما نظر غمرة ومن معها من الأصحاب وهم فيما هم من الارتياب وقد انحسروا فى الحصن وايقنوا بالذل والعذاب فعند ذلك سار إلى الباب الذى تقدم ذكره فوصل اليه وهو بين الروابى والآكم وحفر عليه حتى بان فعندها دخل عليه جماعة من اليهود وجماعة من جملة عبدة الصلبان وقد قال ميشا لبنى اسرائيل ادخلوا إلى اعداكم وابشروا من اخذهم ببلوغ مناكم فعند ذلك دخلوا وهم يتنافروا مثل القرود وتتابعت النصارى واليهود فلما نظرت غمرة إلى ذلك الأمر الذى حل بها حارت هى واصحابها وخاب منهم الرجاء والأمل وضاقت بهم الاسباب والحيل وما بقى احد منهم يدرى ماذا يفعل واتفع ضجيج النسوان فى الحصن من الافراح واكثروا من الندا والصياح وايقنت اليهود والنصارى انهم قد ملكوا غمرة ومن معها ونهبوا منهم الارواح قال الراوى يا أصحاب الوجوه الملاح أن الملك الفتاح الذى يفتح أبواب الرزق بلا مفتاح أراد أن يكشف الشدة عن عباده وحكم باحكامه التى لا تدركها الأوهام ولا تحويها العقول والافهام فسبحانه من ملك لا يرام وقيوم لا ينام خالق الضيا والظلام ومنزل القطر والغمام غائب عن أعين الانام حاضر فى الخواطر والأفهام وكان من جملة احكامه فى سائر الانام ان هؤلاء القوم كان البلا قد اتاهم وصاروا فى قبضة اعدائهم فجعل الله فرجهم ونجاهم فى صيحة اتت من ورائهم وكان الصيحة ترجف القلوب وتكاد الأكباد منها ان تذوب فسبحان علام غيوب وكاشف الكرب ومنجى البلوى من ايوب ورد يوسف على ابيه يعقوب فهو الاله الدايم السميع العالم الذى هو على كل نفس بما كسبت قائم لا إله إلا الله ولا معبود سواه ونشهد ان محمداً رسول الله وانه خاتم رسله وزين انبيائه ﷺ وعلى آله واصحابه الكرام ما غرد القمرى وما ناح الحمام قال الاصمعى فلما سلت تلك الضجة التفتوا الطائفتين ينظروا ما الخبر وإذا بالشعب الذى فيه عنتر ومن معه مستأثر ويضج من كثرة الصياح والرجال قد خرجت منه مثل موج واكثرهم حاملين خشب علاظ ولهم هماهم ودمادم اشد من الرعد إذا هد والعبيد الذين كانوا موكلين بهم حافلين قدامهم مثل الوحش إذا نفر وفى اوائل هذه القوم ابو الفوارس عنتر وخلفه اولاده ميسرة وعصوب كلامهم قد هدن وكذلك عروة وشداد ومازن مثل الأسد الكسور وهو من خلف العبيد يقتفون الاثر قال الراوى لهـــذ الخـــبر فلما راى ميشا ومن معه إلى تلك البلاء الذى عليهم انحدر فايقنوا بحلول القضا والقدر وقبل ميشا على مقدم الروم مرتوما وقال وحق مكليم وما اظهر قد اتانا الموت الأحمر والبلاء المصور الذى

لا يبقى ولا يذر هو وحق الشيم أبا الفوارس عنتر وقد انطلق هو ومن معه بعدما كانه مستاسر وقد انفلتوا مما كانوا فيه من الاغلال والقيود فى هذا اليوم مشهود ويفنوا من يقفه بين أيديهم من النصارى واليهود ويخنقوهم خنق القرود قال الراوى وماتم ميثيا مقاله لمرتوما مقدم النصارى من ذلك الكلام حتى صار عنتر وأولاده تحت القتام وصدموهم بتلك الأشجار العظام وأوردهم موارد الحتوف ولما نظر مرتوما إلى عنتر وأصحابه كأنهم الأسود علم المراد منهم والمقصود فعند ذلك صاح فيمن معه من البطارقة وقال لهم دونكم وهؤلاء العبيد الأسود ولا تتركوا منهم إنسان موجود فعند ذلك طلبوهم بالقنطاريات والطوارق ورفعوا الصلبان والبيارق وهجموا عليهم من المشارق والمغارب ماعلموا أنه بين أيديهم البلاء الطارق والموت الذى لا يقدر على رده أحدا من الخلائق أنهم لما صاروا معهم تحت الغبار وقد رأوا على خلاص أنفسهم مما كانوا فيه من الأحدار وحملوا عليهم وضربوهم على رؤسهم بمن معهم من تلك الأشجار فقصموا قنطارياتهم ورماحهم وحلوا بهم البوار وقد نصفوهم بكل صارم بتار وأسقوهم كأس البلا والادمار وفعلوا بهم اليوم فعال تذكرهم مابقى الشمس والقمر لأنهم هشموا الرجال هشما وحطموا الخيل حطما قال الراوى كان السبب فى خروجهم من شعب العرنوس ونفاذهم مما كانوا فيه من تلك النحوس سبب عجيب وحديث مطرب غريب ذلك أن غصوب بن عنتر قد سار فى البر الأقفر خلف الذين مضوا بابيه وأخيه كما قدمنا فى ذلك الخبر ومازال معهم حتى أدخلوهم إلى ذلك الشعب الذى ذكرناه قعدوا العبيد على باب الشعب لحرصهم واختلط غصوب بهم ومازال بينهم وسره مكتوم حتى أقبل مرتوما فيمن معه من عسكر الروم فلما نظرت العبيد الذى كانوا بهم موكلين إلى كثرة تلك العساكر المقبلين فعند ذلك انصرفوا عنهم وتركوهم ومضوا إلى نحو الخيل يبصرهم وصاروا من جملة الطوائف الذى مالت اليه واشتغلوا الجميع بوصله والسلام عليه فعند ذلك اغتنم غصوب الغفلة وتركوه وفى عاجل الحال دخل إلى الشعب حتى يخلص أبيه وأخوه فلما وصل إليهم عرفوه وفرحوا به لما رأوه وعن حاله سالوه فقال لهم ما هذا وقت سؤال ثم أنه تقدم إلى أبيه وكان قيده ثقيل فعالجه حتى كسره وفعل كذلك باخيه ميسرة وعالج قيده بقوة وكثرة وبعد ذلك دار عليهم والذى كان مكتف خلص يديه والذى كان مقيد فيده من رجليه وداروا على

بعضهم البعض حتى خلصوا كلهم وانتشروا فى جنبات الأرض قال الراوى وأنهم لما
تخلصوا من تلك القيود وثبوا كأنهم الآسود وجعلوا يسلموا على غصوب الذى خلصهم
من تلك الكروب والضيق والشدة وبعد ذلك طلبوا منه عدة فقال لهم والله مالى على هذا
قدرة ولا أتيت بعدد ولا زرد ولكن دونكم وهؤلاء العبيد اذا عادوا اليكم من هذا القفر
والبيد فمن أتى اليكم منهم اقتلوه وخذوا عدته وعلى هذه الرمال أطرحوه فقال لهم عروة
ابن الورد هذا أمر يطول ولا نبلغ من العبيد مأمول لأنى أخاف ان خرجنا هرب منا العبيد
ولاننا من عددهم ما نريد وان هذا رأى مانحصى منه بطائل ولا معنا شىء تمانع به عن
أنفسنا ولا نقاتل ولكن عندى رأى آخر وقد خطر بفؤادى وهو أقصى مرادى وذلك
أننا نأخذ من خشب هذا الوادى وندافع به عن أنفسنا هذه الاعادى واذا وصلنا إلى الحصن
أخذنا منه الخيل والعدد ونحمل عليهم ولا نخلى من النصارى ولا اليهود أحدا قال فلما سمع
عنتر ذلك الخطاب قال والله ان هذا رأى فيه غاية الصواب ثم أنه تقدم فى ساعة الحال إلى
شجرة من الأشجار الطوال ومسكها ونترها فاخرجها من مكانها فلما نظر ولده ميسرة وأخوه
مازن إلى فعاله اتبعوه وعملوا مثل اعماله كذلك فعلوا باقى رجاله ووافقوهم على تلك
الحالة ومنهم من أخذ من الخشب المطروح الذى ذكرنا وخرجوا بتلك الاخشاب كما وصفنا
وضربوا بها فى أقفية اليهود والنصارى كما قدمنا وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر بعد
الصلاة والسلام على سيد البشر قال الراوى باسناده على أن قتالهم بالاخشاب التى قد
صارت لهم عدة أشد من قتالهم بالسيف والصمدة لأن احدهم اذا كان يضرب الفارس بما فى
يده حطمه وحطم فرسه وزرده وبقيت الرجال والخيل بين أيديهم تتنافر مما حل بها من البلاء
والدبر وكانت لهم وقعة فى حصن خيبر تذكر ما بقيت الشمس والقمر لأنهم ما شاهد مثلها أحد
من البشر ولا أبصر ولقد أهلك عنتر وأولاده خلق كثير من تلك الاسم وبعد ذلك طلبوا
إلى الحشن كأنهم سباع وقد تنافرت بين أيديهم تلك الامم قال المؤلف وكانت غمرة لما رأت
إلى الحصن وقد امتلا بالرجال أيقنت بالوبال قال الراوى فبينما هم على ذلك اذا بها قد سمعت
زعقات أبا الفوارس عنتر وهو من الشعب هو وأولاده قد ظهر وهو يهدر كالاسد الغضنفر
وصياحه قد علا فى ذلك البر الاقفر قال فعندها شكت غمرة لما سمعت ذلك الصوت المنكر الذى
من عظمة يصدع الحجر ويكاد القلب منه ان ينفطر ثم أنها طلعت فوق سور الحصن

( تم الجزء الحادى والثلاثون ويليه الجزء الثانى والثلاثون )

# ( الجزء الثانى والثلاثون )

## من سيرة عنترة بن شداد

لتبصر ما الخبر فنظرت إلى الروم واليهود وهى من حول الحصن تتنافر فقد تهاربت وأوسعت فى البر والفلا فعند ذلك انكشف عن قلبها ماقد اعتراها فتيقنت بان الفرج قد أتاها من السماء من عند من يأتى بالضياء بعد الظلماء فعند ذلك صاحت على أصحابها فاعلمتهم بما كان من الخبر وعرفتهم بوصول أبو الفوارس عنتر وان الأعداء قد هربت من قدامه ثم انها صاحت وقالت ابشروا يابنى الأعمام بالنصر فقد أتاكم الفرج من عند علام الغيوب وقد تخلص حاميتكم عنتر على يد ولده غصوب وهاهم قد كشفوا عنا الشدة والاذى وسيوفهم تعمل فى رقاب العدا فدونكم أنتم الساعة وهؤلاء الذين دخلوا الحصن أفنوهم فما هم إلا طعاما لسيوفنا فانزلوا اليهم حتى تبذل فيهم الصوارم والقنا وتنال المنا وننجز أمرهم وتخرج إلى أصحابنا ونعينهم بالخيل والعدد لا يبقى من الاعداء أحد ونشفى قلوبنا من هؤلاء الانذال الذى ملكونا بالحيلة والمحال قال الراوى فعند ذلك انشرحت قلوب الرجا لما سمعوا من غمرة ذلك المقال وانحدروا من الموضع الذى طلعوا منه وصاروا معهم فى اعلا مكان قال الناقل لهذا الخبر فلم تكن إلا ساعة كلمح البصر حتى جرت الدماء من أزقة حصن خيبر وأبصرت الرجال هذا الأمر المنكر فنظروا منهم ضربات لاتبقى ولا تذر فعند ذلك عادوا على أعقابهم راجعين وإلى الكنيسة طالبين والضرب فى أقفيتهم وقد نثروا جماجم وهى تدحرج مثل الاكر فما وصلوا اليهود إلى باب الكنيسة التى طلعوا منها حتى هلك منهم خلق كثير وبليوا بالموت والتدمير والذى سلم وطلعوا من الباب أرموا العدد وطلبوا الذهاب وتفرقوا فى عرضات البر الاقفر لما سمعوا صيحات أبا الفوارس عنتر قال الراوى لهذه الأمور فلما أظلم الدجا حتى رجعت نسوان الحصن إلى الدور وخلا قلب غمرة وأصحابها وأيقنت بلقاء أصحابها وفى تلك الساعة وصلوا أصحابهم وأحبابهم إلى تحت الصور وفى أوائلهم أبا الفوارس عنتر ومن معه مؤيد منصور قال الراوى ولو أنهم كان تحتهم خيل كان اتبعوا أعداهم فى ظلام الليل هذا وغمرة وأصحابها قد خرجت لهم واستقبلتهم

وبالسلامة هنتهم وفرحت بسلامة ولدها غصوب من الهم والكروب وكذلك مهرية أم ميسرة بقت بولدها فرحانة مستبشرة ومسيكة أم سبيع اليمن فرح قلبها بعد ما كان أصابه المحن وتباشروا كلهم بالسلامة والافراح فاخرجت لهم عمرة الخيل والسلاح فعند ذلك دخلوا فى الدروع وعولوا على قتال اليهود وأن يتبعوهم فى الليل لما أنهم رأوا أنفسهم على ظهور الخيل فقال عنتر هذا الأمر ماهو صواب وأن قتالهم فى هذا الليل والظلام ماينال أحدا منا مرام فعند ذلك قالت عمرة إذا كان الأمر على هذا الأحكام فاقطعوا مابيننا من الكلام وادخلوا الحصن وخذوا الراحة المنام حتى يذهب الظلام فلما سمع عنتر من عمرة هذا الكلام والمقال قال لها ويلك كيف تكون هذه الأحوال تريدى تدخلنا خلف الجدران فوالله لاطاوعتك على هذا أبدا ولو سقينا كاسات الردا ولانحن مما يخاف من العدا ولا بدلى فى غداة غدا ما اشفى قلبي من هذه الديار وأترك ديارهم قفر خراب يعوى فيها البوم والغراب لانهم فعلوا معنا فعال يستاهلوا عليها الهلاك وخراب الأطلال ولا بد ما أفجعهم فى أولادهم وأخرب أرضهم وأسبى حريمهم وعيالهم حتى ينظروا باعينهم عاقبة بغيهم وأنزل بهم مثل ما أنزل الله بقوم عاد وثمود حتى لا يرجع أحدا يعامل علينا لا من النصارى ولا من اليهود ثم أنهم أقاموا على باب الحصن فامر عنتر ولده غصوب أن يمضى فى جماعة من الرجال ويدخلوا إلى الحصن جميع الشجعان ويخرجوا كل من فى الحصن من البنات والنسوان الذين يصلحن للسبى من الملاح الحسان ويخرجوا الأموال والرجال والعدد المسومة الغوال وإذا فعلوا هذا الأمر والشأن يطلقوا فى جنباتها النيران قال فلما سمع ميسرة وغصوب ذلك المقال وما دلهم من تلك الأحوال نهضوا فى ساعة الحال فوثب مازن الآخر فى بقية الرجال ودخلوا إلى الحصن فى قضاء هذه الأشغال ثم أنهم تفرقوا فى جنباته وأخرجوا النسوان والبنات وجمعوا جميع أمواله وأساسه وفعلوا بالأخشاب ودهنوها بالزيت والقطران حتى تعلقت فيهم النيران وارتفع لها دخان إلى العنان وتطاير منها الجمر والشرار إلى سائر الجهات والاقطار فعند ذلك علا الصياح لما حل بهم الهلاك وعملت بهم نيران الحريق وسمعوا لها زفير وشهيق قال فلما نظر ميشا وبنى إسرائيل لهيب النار قد ألهب وعلا شرارها والتهب وقد أضاءت فى ظلام الغيهب فعند ذلك علموا اليهود ماتم على أهلهم من البلا ولما زاد شرار النار فى الفلا ومن شدة ما جرى عليهم من الويل ترجلوا عن ظهور الخيل وما منهم الا من رخى مداسه وصار يضرب به رأسه وأول من فعل ذلك

الفعال كان الخزان والجوقار وصاروا يلطمون على وجوههم ورؤسهم حتى وقعت من شدة اللطم أسنانهم وأضراسهم كذلك باقى اليهود فعلت الكبار منهم والصغار ولطموا على رؤسهم حتى عدمت نفوسهم وقد صاروا يدقوا كذلك على صدورهم وحاروا من شـــدة ماجرى عليهم وصار ميشا يقول لابو سهيل وحق الشيم والعشر كلمات لولاك ماجرى علينا هذه النائبات ولا انساقت إلينا هذه البليات فقال أبو سهيل لميشا أسأل الله أن يمحوا اسمك من التوراة ياويلكم ما أنتم الذى أوقعتموهم بالاحتيال وتركتموهم فى القيود والاغلال حتى أنهم فعلوا بنا هذه الفعال وأردت أن تبلغ الأرب فأذاقوا أهلنا الحريق والعذاب فقال ميشا ويلك ياأبو سهيل أناما حسبت هذا الحساب ولاقلت أن تحل بنا منهم هذه الاوصاب ثم أنه جعل يرفع رأسه إلى السما ويقول خرطونا معناه أجرنا من هذا الامر ثم أنه بعد ذلك أقبل على قومه بعد ما أكثر على أبو سهيل عتبه ولومه فقال لهم ياويلكم قولوا للجوقار والقرناص أن يبعثوا الخزانين إلا هؤلاء الشياطين الذين كفروا بالكليم ولالهم دين فقال الخزان الكبير ياميشا نحن أرسلنا لهم عشرين وأظنهم إلينا غير راجعين فقال مرتوما مقدم الروم وحق المسيح والانجيل المختوم لقد فعلوا هؤلاء الشياطين فعل مذموم بعد ذلك ماهم إلا مثل السلاهب لان انفسهم لاتفزع من المصايب ولايخافوا من حلول النوائب ولكن الرأى الصايب انكم تدوروا بهم من كل جانب تمسكوا عليهم رؤس الطرق والمذاهب حتى لاينجوا منهم هارب لانهم مافعلوا هذه الفعال وتجسروا على تلك الاعمال من أحراق هذا الحصن ومافيه من الاموال والحريم والعيال الا وهم قد عولوا على الهرب تحت ظلام الغيهب فامسكوا أنتم أقطار البر والسبسب ولاتتركوا لهم إلى النجاة سبب حتى لايقدر احد منهم يذهب وسوف أقابلهم عند الصباح قال فعند ذلك قبل عليه بعض أصحابه وقال له أشير عليك برأى مسدد فان قبلته منى لاتفرق من حولك أحدلانك رأيت قتالهم وهم بلالبس ولاعدد فكيف هم والساعة قد لبسوا البيض والزرد وتراهم قد ركبوا على صهوات الخيل وأنا أقول أنهم يستريحوا ويهجموا علينا فى ظلام الليل وأن افترقنا دهمونا بالحرب والعويل لان عنتر وأصحابه إذا طلبوا شيئا يريدوا فعله فلم يرجعوا حتى انهم يبلغوا مايؤملوا والصواب أننا نداوم فى هذا المكان قاعدين فاذا كان فى غداة غد قتالهم ونبذل المجهود بتمكين وأنا أضمن لك انهم مابقوا يفارقوا حصن خيبر حتى أنهم مايتركوا فيه من مخبر لان كل فارس منهم يلقا ألف فارس ونحن كنا قدامهم ثلاثة آلاف

نفر وهم فى ثلثمائة فارس غضنفر فقاسينا منهم كل أمر منكر قال فلما سمع مرتوما مقدم النصارى ذلك المقال أخذه الانذال وقال له ويلك هذا الحساب الذى حسبته ماهو حساب عاقل وأما أنت بعد هذا المقال الاجاهل ويلك متى رأيت واحد يلقا ألف راجل وكل من قال هذا المقال كذب وحق الملك المتعال ولكن عند الصباح أريك العجب وأفرجك على ما أفعل بهؤلاء العرب وبفارسهم عنتر الكلب الاجرب قال الراوى فبينما مرتوما مع أصحابه فى الحديث والكلام وهو يتعجب عليه بالملام وإذا بالصيحة قد أخذتهم من وراهم كذلك علا الصياح من بين أيديهم فتبينوا ذلك وإذا هم بفرسان بنى عبس قاصدة إليهم قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن غصوب ومن معه سلموا من المهالك وجرى لهم ما جرى وأقبل عليهم الليل الحالك فاراد غصوب أن يأخذ أخوه ميسرة وسبيع اليمن ويهجم بهم على النصارى واليهود فى ظلام الليل وينزل بهم الذل والوبل قال فمنعه من أبوه وأمه وقد حلفوا عليه وحلوا فلم يطيعهم على ذلك وخالف أمه وأباه ولا فعل الا ما اشتهاه لان عنتر كان أراد أن يمهل بالقتال إلى الصباح فقال غصوب أن هذا الك اهو ماح وأطيب ما يكون الحرب فى ضوء هذا الحريق زمزم والمقام والمشاعر العظام لا تركت الفجر يطلع حتى أمزقهم تمزيق وأجعل كل حرب من الاعداء فى طريق ثم أنه طلب فى طائفة الروم فاتبعه أبوه وأمه خوفا عليه من الهموم قال فلما نظر عنتر إلى ذلك الفعال حمل فى بقية لابطال فالتقت الرجال بالرجال وخابت الظنون والآمال وعملت السيوف الصقال وجرى الدم وسال وجاء الحق وذهب المحال وسكر كل الشجعان على ظهور الخيل الغوال وكل من سكر تقنع ومال وامتد الليل على الجبان وحست الارواح بالانتقال وحمل الشجاع وصال وهرب الجبان وطلب الانفلال هذا والرجال على ظهور الخيل وهى تركض بها فى ظلام الليل ويديها ترقى ومن شدة الحرب الذى وقع لم بقى أحد يبصر ولا يسمع وكان عنتر حسامه قد امتضى وعمل فى فرسان النصارى واليهود عمل القضاء لانه من شدة حنقه عليهم قصدهم وأوقع القتل فيهم وكان معه ولده ميسرة ففناهم خمسة بعد خمسة وعشرة بعد عشرة فقتل فى تلك الليلة أكثرهم ومحق والهر أيسرهم وقد فتك عنتر وولده ميسرة فى جماعة اليهود وقد حلوا بهم البلاء وفعلوا بهم فعل النار بالحطب اليابس إذا اشتد بها ريح الجنوب ومازالت السيوف بوارق والرماح خوارق والخصم بخصمه عالق والدماء من الاوداج دافق ولسان الحمام لقبض أرواحهم ناطق وطيور المنايا على رؤسهم خوافق والشجاع يقاتل بقلب صادق

والجبان أيقن أنه الحياة مفارق وماتت تلك الليلة الخلائق من شدة الظلام الغاسق وشابت من هول ماعاينوا من الحرب المفارق ولم يزالوا على ذلك ماهم فيه من تعليق العلائق وحل العوائق حتى لاح الصباح من المغارب والمشارق باذن العزيز الخالق إلا أن أصحاب النخوة هم الذين تبقوا للقتال واقتحموا الحرب والنزال وما طلع عليهم النهار وارتفعت الشمس حتى فنيت اليهود والنصارى من فرسان بنى عبس وأسرت منهم جماعة والذى سلم منهم طلب لنفسه النجاة وأوسع فى البر والفلاة مخافة من الموت أن يدركه لجاة وكانت ليلة من دون الليالى تذير لما جرى على تلك الطوائف فى أرض حصن خيبر مادامت الأيام والشمس والقمر وكانت وقعة ماسمع بمثلها أحد من البشر لأن مرتوما مقدم الروم أنزل به غضوب الهموم وطعنة فى فؤاده وقتله وأما ميسرة طعن ميشا فى فؤاده نكسه عن جراذه وأما مازن فانه طعن أبو سهيل جعل ثاره أظلم من الليل وأما عنتر ما وقف قدامه إلا من دنا أجله وإلى خاتمة السوء منقلبه قال الراوى وما سلم هذه النوبة إلا طائفة قليلة إلا أنهم أثخنوا بالجراح وتفرقوا فى البر والبطاح لأنهم كانوا قدام بنى عبس صفة الطيور قدام الجوارح فقابلوهم بالذل والقبائح وتركوهم فى البر سطايح وهم مطروحين مثل الذبايح فلما طلع النهار رجعوا عن أعدائهم وقد ملؤا الاقطار من قتلاهم وعند غاية الويل من نزف الدم ووطىء الخيل فقال عنتر لما رآه شيلوا هذا القرنان من بين القتلى لأنه هو السبب فى هذا البلاء وأنا أريد أصلبه من كارسيه فى الجبال حتى لا يبقى أحدا من بعده يفعل معنا مثل هذه الفعال قال فعندما لما سمعوا من عنتر هذا القول شالوه على باب الحصن صلبوه وبعد الصلب بالرماح طعنوه ثم أنهم رجعوا إلى مكان النصارى واستراحوا من الحرب والقتال فلما استقروا فى ذلك المقام وقد خفت عنهم الآلام فعند ذلك استشوروا أن يسيروا إلى مكة والبيت الحرام بعدما هلكوا اليهود والنصارى وأرحلوا بهم الانتقام بعد ذلك أرادوا المسير إلى بلاد غمرة لأجل قضاء حاجتها فى تلك البلدان وخلاص أموالها من السودان فعند ذلك قال عنتر هذا أمر ماتهم به وما نبرح من هذه الديار حتى نكشف أخبار هذا الشيطان الغدار الذى قد ساحبه وصار له من جملة الانصار فارس خيبر المسمى بجبار نبصره افعلوا بأرضنا لأنهم إذا علموا بغيبتنا يطمعوا فى قومنا ما كنت أريد الساعة إلا من يسير إلى ديار بنى عبس فى هذه الطريق يأتينا بأخبارهم على التحقيق فقالت غمرة والله يا أبا الفوارس ما كان فى هذا الأمر ينوبه

ويكشف عنا الكروب إلا أخوك شيبوب وأنى متعجبة منك الذى ما كنت أتيت به فى هذه النوبه معك فقال عنتر والله ياعمرة إنى بغضت رفقته وملّ قلبى من عشرته وقد لحقنى من صحبته المضرة لأنه قد صار يمن بأفعاله مرة بعد مرة ويرادنى فى الكلام فى أكثر الأوقات ويعصينى عند قضاء الحاجات وفى هذه المرة جرى بينى وبينه كلام ونحن جالسين على شرب المدام فحلفت إنى ما بقيت أرافقه فى هذه النوبة إلى هذه البلاد وتركته عند أمه وخرجت من عندهم على حالة الإنفراد لأنى ما بقيت أحب مرافقته ومقالته فتركت صحبته وخليته فى حالته قال الراوى وما قال عنتر لعمرة ومن معها هذا الكلام وما دبره من المرام ويلحقها من ذلك ضرر ولم تعلم أنه تزوج عليهم بزوجة أخرى وهو مسافر ودخل بها وبعد ذلك سيرها إلى ديار بنى عامر قال الراوى إلا أن عنتر ما تم هذا الكلام وما دبره من ذلك المرام حتى أشرف عليه راجل من ناحية البيت الحرام وهو بهم بين الروابى والكثبان كما يهم ذكر النعام قال فلما نظر عنتر شخص نحره وتحير فى أمره وتفكر وتعجب من انفراده فى تلك البر الاقفر وأقبل على عروة بن الورد البطل الهمام وقال يا أبا الأبيض اركب واتينا بهذا الغلام الذى أراه قد أشرف علينا من بين هذه الروابى والاكام على أنى أرى حاله عجيب وأظن أن من هذه البلاد غريب فعند ذلك ركب عروة بن الورد جواده كأنه الريح الهبوب وركض حتى أنه يأتى مطلوب فلما قرب من ذلك الراجل تبينه وإذا به شيبوب فلما رآه عروة تبسم عند معرفته وصافحه وهناه بالسلامة وقال له والله لقد كنا الساعة فى حديثك يا أبا رياح فاخبرنى بما تم لك مع ذات الوشاح وما الذى تم لك مع زوجتك وزوجة أخيك الجديدة هل تخلصت بهما ورعيتهما فى مكيدة قال الراوى وكان عنتر قد أخبر عروة على ما فعل واطلعه خبر زوجة أخيه سعدة فلاجل ذلك قال ياعروة من هذه الأخبار العنيدة ومما جرى فى هذه السفرة التى هى عن الخيرات بعيدة وأنها ما كانت مفلحة ولا رشيدة لأنى أعرف أن أخى لا ينفذنى الا فى كل نوبة شديدة وانى فى هذه النوبة ما نجلت إلا من انياب السباع ولا اجلى مديد ما كنت وصلت إلى هذه البقاع لانه سيرنى مع زوجته بلا رفيق فسرت على البر لم أركب طريق وذلك كله من فزعى عليها وخوفا تصل يدى الاعادى عليها وكنت اعهد ان هناك مناهل شتى لا تبرح ملانة بالماء صيفا وشتاء لقلة العابر عليها وعدم الوصول إليها فرايتهن ناشفات وسرت يومين بلا ماء ولم نر غير الأرض والسماء وبعد أن تخلوا عن أنفسهم فى جنبات

الفلا وبقوا مطروحين على الأرض مثل القتلى ثم أنى أخذت على كتفى السقاو ركبت بين تلك الجبال والرمل غربا وشرقا وكان قد قرب وقت المسا وكان قلبى نار لأجل عطش النساء فسرت أقصد المياه الذى أعرفها فلم أرى فيها قطرة فاستعجبت فى تعسير الحال فى هذه الخطرة فبينما أنا دائر فى الأرض مثل المجنون على المياه والغدران والعيون إذ لاح لى عشرة فوارس من تلك الفلوات وبين أيديهم جماعة من العبيد فطلبتهم حتى أسألهم عن الماء وإذا فى أوائلهم الداهية الدهما والمصيبة العظمى سليك بن سلكة الذى جرى لك معه فى نوبة عمرو بن معد يكرب الزبيدى ماجرى وهرب من أخى عنتر وانهزم فى البر الاقفر فلما رأيت ذلك طلبت الهرب وأوسعت بين أيديهم فزعا منه ومن معهم شياطين العرب فنادى باللعب هذا شيبوب أخو عنتر بن شداد الذى فى قلبى منه نار زائدة الايقاد ثم أنه لج فى طلبى هو ومن معه من الخيل ولم يزالوا فى خاقى فى ذلك البر حتى أقبل الليل وكان العطش قد أضعفنى فما قويت قدامهم على الفرار وعدمت الصبر ولحقنى الانبهار لكننى أتبعت قبل تعبى نزولا من جواده وجد فى طلبى أشرقت على الهلاك وعرفت أنى إذا وقعت فى يده عجل عطبى فعدلت قدامه فى تلك البرارى الخوال وأخفيت نفسى بين كثبان الرمال وخليته يسف خلفى يمين وشمال وهم مثل الأسد إذا أفقد الأشبال فلما علم منى العدم عاد وهو يأكل كفيه ندم وكانت تلك الأرض كثيرة العشب والكلا فنمت فى جانب منها إلى أن عرفت أن البر منه قد خلا وقمت بعد ذلك وملبيت السقا وعدت أطلب بعد ذلك من كان لى من الرفقاء وقد حدثنى قلبى أنى ما بقيت ألحقهم بالماء إلا وهم قد هلكوا عطشا وظما فدرت فى ذلك البر ثلاثة أيام ليل ونهار فما رأيت لهم آثار ولا وقعت لهم على أخبار وما أدرى هل أنا تهت عن المكان الذى تركتهم فيه لأجل ما أوسعت فى الصحراء أو حصل لهم من سقاهم الماء وسار بهم إلى أرض أخرى فلما أيست منهم طلبت البيت الحرام وقلت فى نفسى إذا علمت بأمركم ألحقكم فى بلاد السودان وأرض بنى حام فلما وصلت إلى مكة وتلك الاثار سمعت ماجرى وماتم على أولاد أخى عنتر القدهاء من جبار بن صخر المعهود وأما نحن لما سرنا إلى الارض تحيلوا علينا اليهود وصفدونا فى الاغلال المعهود والقيود ثم أنه أحكى له على ماجرى لهم من الحروب وكيف كان خلاصهم على يد بن أخيه غصوب فقال له شيبوب وأى شىء بقى لكم فى هذه الأرض من الاشغال ولم لا تعولوا على الارتحال فقال عروة إن إقامتنا لأجل ذو الخمار وصاحبه جبار لاننا سمعنا أنهم طلبوا أرض بنى عبس

وتلك الديار وأخاك قد اشتغل قلبه من أجهم بالنار والساعة كان يريد من يكشف له الأخبار ويخبره عنهم حتى إنه يقتفي آثارهم وكذلك جرى حديثك وقصتك وذكر عنتر أنه تركك عند ولدتك وأنه قد غضب عليك وبغض رفقتك لانه استحى أن يحدث عمرة بحديث رواجه عند غضبه على بنت عمه عبلة فاكتم أنت خبر زوجته ولا تحدث به إلا عند خلوته (قال الراوى) فلما أنهم فرغوا مما دار بينهم من الكلام عادوا إلى عنتر وسلم عليه شيبوب وقبل اليه وإليه اعتذر وطلب صدق حديثه مع عمرة ولم يظهر له شيا من ذلك الخبر وقال له كل ماجرى عليك من اليهود بيخيك على يا ابن السودا ولكن أحمد الرب القديم على سلامتكم من الأعداء قال الراوى وكانوا القوم فرحوا بشيبوب لما أقبل وقد شكى اليهم الجوع والملل فاحضروا له طعام فاكل ثم أنه قال لأخيه والساعة أى شيء فى نيتك أن تفعل أترحل من هذه الديار أو تقيم حتى يصل جبار وصاحبه ذو الخار فقال عنتر لا أدرى ما أفعل وأنا متحيرة من هذه القصة والعمل لأنى إن سرت من ههنا مع عمرة إلى بلاد السودان يبقى قلبي على بنى عبس فزعان وإن سرت خلفهم فى الطلب أخاف أن نختلف فى الطريق ونتعب فقال له شيبوب فاقول لك فيمن يفرج عنكم هذه الكروب ويخبركم أن ذو الخار وصاحبه جبار يكونوا غدا عندكم ههنا إذا تضاحا النهار ثم أنه التفت إلى البر ناظرا بالعيون وقد ضحك مثل مايضحك المجنون فقال له عنتر ويلك يا ابن زبيبة هل بقيت مثل السطحية الكاهن تخبر بالشيء قبل أن يكون والاثار بك جنون فقال شيبوب والله مابى شيء مما تقول وتذكروا ما أرى إلا فارس مقبل فى هذا البر الاقفر وأظنه قاصد ناحية حصن خيبر فعند ذلك مدوا أعينهم الكل قال الراوى ولما اختلى عنتر بأخيه شيبوب سأله عن زوجته سروة ومافعل القدر المكتوب وإن كان أوصلها إلى ديار بنى عامر أو جرى عليها أحكام الملك القادر فعندها حدثه شيبوب بما اتفق له من له من عدم التوفيق فعندها غاب عنتر عن الوجود وبقى حاضر فى صفة مفقود وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الأمة اللخنا ولأى شيء ماطوات روحك واقتفيت لها خبر وعلى أثر وذلك أيضا لأجل المولدة التى كانت معها وكانت أكثر تعبنى لأجلها ولكن لاتخاف عليها من عدوات الزمن فإن سائر العرب وسكان الدمن قد علمت بيننا قد ضرب علية ركن ما يسكن فقال له عنتر والله يا ابن السودا لقد قطعت ظهرى وحيرتنى فى أمرى مع ما أنا فيه من النكد الذى قد عدمت منه صبرى وأنهم مازالوا على ما دار بينهم من الكلام حتى

عاد اليهم ميسرة وغصوب وذلك الفارس معهم موثوق فى الحبال فقال له عنتر أخبرنى ياهذا من أين أنت ومن أين أقبلت فقال له بحق ذمة العرب أخبرونى أتم أولا أى طارقة طرقت هذه الديار حتى بقت من أهلها قفار فقال عروة أن أهل هذه الديار المدابر قد أساءوا معنا التدبير فقلعنا آثارهم وخربنا ديارهم لحدثنا أنت بحديثك فكن صادق وإلا نهبنا جسدك بالسيف الخوارق فقال لهم أنا أخبركم بما معى من الأخبار وذلك أن صاحبى جبار بن صخر أنفذنى أنا وذى الخمار لأجل أن نبشر أهل الحصن بوصولهم اليهم وأحدثهم بغنيمة قادمة عليهم لأننا فى هذه الأيام الماضية طرقنا ديار بنى عبس وكان ذلك وقت السحر قبل طلوع الشمس وذلك من أجل حاميتهم عنتر حتى ندمره وننزل به العبر فلقيناه غائب وقد أمن بسفره من النوائب فسقنا أموالهم فتبعنا الخيل من خيامهم والديار فقتل منهم جبار وذى الخمار جمع مايقع عليه عيار وأسروا المقدم عليهم وهو الذى يسمى قيس بن زهير وأحلوا به البلاء والضير وبعد ذلك رجعوا قاصدين إلى هذه الديار ينظروا ما كان لعنتر وأولاده من الأخبار فلما سمع عنتر مقاله قال له وهل ظفرتم بأحد من النساء العبسيات أو من بناتهم الابكار المخدرات فقال له ذلك الرجل نعم ظفرنا بجارية جليلة المقدار يقال لها عبلة زوجة الفارس القهار ولولا عشقها ابن عمى جبار وإلا كان قتلها ذى الخمار لأن بينه وبين عنتر بن شداد بغضة قدمت واحقاد وأمور لاتعاد فلما سمع عنتر من اليهودى ذلك الخبر زادت ناره والفكر وتنهد وتحسر وكاد قلبه أن ينفطر لأن العروسة الجديدة ضاعت فى البر الأقفر والعتيقة أخذتها يهود خيبر فقال فى نفسه لو تم هذا الأمر إلى أحد غيرى من البشر كانت حلت به العبر ثم أنه امر اولاده ميسرة وغصوب انهم يركبون فى ساعة الحال وكذلك الرجال والأبطال ثم انهم ركبوا يقتفون الاثر ركب وفى اوائلهم عنتر وضربت عمرة رقبة اليهودى الذى اتاهم بالخبر وقالت هذا من اليهود الذى احتالوا على ولدى واحرقوا من اجله كبدى وكانوا قد ركبوا على خيول القتلى فساروا يقطعون تلك الأرض والفلا وحن قلب عنتر على عبلة بعد ان كان لها سلا وهام بها ولم بقى يجد عنها صبر ولاقلا لما ان سمع ان جبار بن صخر اسرها من بين الملا لأن محبته لها قديمة ولها عنده قدر وقيمة والهوى القديم يجرى فى الانسان فى مجارى اللبن ويحل محل الروح فى البدن الأصمعى ونقل بعض الرواة بجنون ليلى انشد يقول

رضعت هواك فى لبنى فدبت زوح فى بدنى قصدى واهجرى واجفنى
فما اسلوك يا روحى ولا أنساك يا سكنى وقد أصبحت سـيدتى

بلا خوف ولا حزني وقلبي في هواك كذا وهو في الحب مرتهن
إلى أن أبقى في قبري ويبلى العظم في الكفن

(قال المؤلف) وعاد عنتر بعد ما قلبه قد قسا صار يتلهب بالنيران على ما جرى لبنت عمه من حوادث الزمان وصار يتعجب من اسرها دون بنات الحي والنسوان قال لهذا الديوان صلوا على سيد ولد عدنان وكان السبب في ما جرى من ذلك الأمر والشان أن عبلة لما أمرت عنتر ليلة دعوتها بتقبيل قدميها وكان ذلك بفجورها وخرج من عندها غضبان وقد استحت الأخرى من كان عندها من النسوان وتفرقن عنها وهن بها شامتات وصار يبلغها من كلام اعداها ما يقطع أحشاها فما زاد بها البلا والاضرار قالت لأبوها مالك يا أبت ارحل بنا من هذه الديار فما بقي لي فيها قرار بعد ابن عمي عنتر البطل القهار لأن كلام الحساد أورثني السقام وأحرمني لذيذ المنام وكان أبوها أيضا قد انحط قدره عند أهل الحي وصار على قلبه ما انساه منهم ألف دبلة وصار يبلغوه الذميمة والسبب والشتيمة وما بقي وعند أحد قدر ولا قيمة وأما الملك قيس فإنه أحضره قدامه وأخرق به في حضرته واستطال عليه بكلامه وقال له يا قرنان وابن الف قرنان لا أعلمتنا أن عنتر سار من بيتك غضبان حتى كنا تبعناه وطلبنا رجوعه واسترضيناه لكن ستري من بندم إذا دام عليه الأمر وزال به الفرح وما كان قد بقي في بني عبس إلا من لامه على فعاله فلزم بيته ولا بقي يطلع ولا يحضر مع الشر فعند ذلك طالبته عبلة بالبعد عن بني عبس فاجابها إلى ذلك المقال رحل بها وبأهلها وطلب المسير إلى بني عامر وأن ينزلوا على عامر بن الطفيل بلاده ويقيموا عنده في دياره وقال مالك في نفسه أقيم عنده حتى نبصر ونتحقق ما يكون من أين أخي عنتر فاذا خرج من بلاد السودان كان عامر يصلح بيننا وبينه ما كان من الشأن وإلا أقمنا هناك طول الزمان وكان رحيل عبلة وأباها بالليل تحت ستور الظلام الاعتكار وساروا يتبطنون في البراري والقفار وهاز الواسا ترين حتى تعالى عليهم النهار فعيدها وقع بهم جبار بن ذي الخمار فقتلوا عبيده وأسروه وسبوا عبلة وأمها وأخوها وأحلوا بهم الضر وكان ذلك كله لغيبة عنتر فصارت عبلة تصيح وتتحسر وبقي ذي الخمار ومرافقها مرافق الشامت بالاحوال ويقول لها يا ملعونة اين أسودك الذي جسرتيه على الأهوال وجعلتيه من جملة الابطال هذا وعبلة تبكي وتقول أنا الذي ضيعت أسودي وخربت بيتي بيدي ثم أنها لما أخبرته أنه مضى إلى مكة غضبان وأنه قاصد مع عمره إلى بلاد السودان فلما سمع ذي الخمار هذه الاخبار قال من الرأى الصواب أننا نغير على مراعى بنى عبس ونسوق منها ما تصل أيدينا إليه ونتسبب في ذلك

بكل الأسباب فقال له جبارد بر ماترى من المقصود لأن حصننا عالى على كل معاند حسود وفيه نصارى ويهود يلتقوا قوم عاد وثمود فقال ذو الخمار اعلم لو كان هناك الاسكندر وعسا كره لايدهمه عنتر ويفنى دسا كره وكان يقهر الجميع ويخاص من أيديهم الحصن سريع لأن سعادته مالها حد وعزيمته ماتريد وانى ماجيت فى عداوته إلا حتى ابغ علو منزلته ولكن هذا رجل الرب الكبير له فيه إرادة وتدبير حتى بلغه ماوصل إليه من هذه السعادة وأن عنتر فيه سر ما أكشفه ولا أقدر أصل إليه حتى أعرفه (قال الراوى) ولما أنهم فرغوا مما دار بينهم من الكلام طلبوا مراعى بنى عبس بتلك الاكام وساقوا من الابل والعبيد والخيل ماقدروا عليه وتركوا مالاوصلت أيديهم اليه وصاروا يطلبون حصن خيبر إلا أنهم ماأبعدوا حتى ركبت الخيل خلفهم على الأثر وتلاحقت بهم الفرسان من سائر البقاع وهم يعودون عليهم عودة السباع الجياع ويردوهم بطعن فى الصدور والاضلاع ومازالوا وإياهم على ذلك الحرب العسير حتى هلك من بنى عبس خلق كثير وقال الراوى وكان قد لحقهم الملك قيس بن زهير وعلى رأسه راية العقاب وهو له افه فارس فعندها سير ذو الخمار الغنيمة مع ثلاثين فارس ممن كان معه من الأصحاب وقال لجبار بن صخر هذا قيس ملك القوم قد ادركنا من الديار معه فرسانه الذى يتمد عليهم فى الرزايا والأخطار وإذا أفنينا هؤلاء فما ترى بعدهم أحدا فدونك وإياهم والتقيهم فى البيد الأسل وعطفوا عليهم عطفة من يخاف فروغ الأجل قال الراوى وكانوا هذين الفارسين كل واحد يلتقى الجميع وحده يراه بين يديه يسير وأصحابهم ماهو عندهم كثير إلا أنهم مادار بينهم الحرب واشتعلت نيران الطعن والضرب حتى هلكوا أكثر الجيش الذى تبعهم وأسروا الملك قيس وأخوه الحارث وأخذوهم معهم بعدما أثخنوهم بالجراح وأسروا معهم جماعة من الفرسان الوقاح وعادوا بعد ذلك عائدين على أثر الرجال الذى معهم الغنيمة وبقت رجال بنى عبس فى البر بالهزيمة وذو الخمار من ذلك الملا وحق الكعبة لاجهدن فى قلع بنى عبس أصلا ولأطلبن أسودهم لو طلع إلى السماء العلى أو غاص فى الارض لأن هؤلاء القوم الذين هم بنى عبس وعدنان لهم طرفين الواحين منهم عنتر الذى قهر الفرسان العبيد يرموها بالجنادل فقال جبار يا أمير سيبع بحق الصحبة افعل باسر الله ماتريد وأوهبنى هذه الجارية فقد أحببتها حبا شديد ومن حين رأيتها اشتغلت سرت وملكت قلبى وهام فكرى وعولت أن أجعلها ضجيعتى فى بقية عمرى فقال له الغدار وكيف يجوز عندكم

هذا الاعتياد وكيف يحل لكم من الايراد أن يتزوج الانسان بامرأة ماهى من ملته ولاهى من عشيرته كيف يحللها له الجوقار وتسمح بها اليهود الكبار فقال له جبار هذا يجوز لنا أن نفعله فليس يكون علينا فيه إنكار لكنه على شرط إذا كان لاحدنا جارية قد أحبها قلبه وعلم أنه قد هام بها فكره طلب أن يأخذها اختيار فيعطيها إلى خزان من خزانة بيته الكبار فيبيت هو وإياها فى الكنيسة ثلاث ليالى وتكون وحيدة من النساء والرجال ثم بعد ذلك يضربها بالعويل ويطهرها من الدنس كثير كان أو قليل ويكون قد زال عنها ما نزل بها من الفعل الوبيل وارتفع عنها القال والقيل وتكون حلت له فى ملة بنى إسرائيل فقال له ذو الخمار أنا أسمع كلامك ولا أخالفك فى أفعالك لانى أنا القيوم ضيفك وملتجىء اليك وما بقى معولى من اليوم إلا عليك ثم إنهم أخذوا فى المسير وجدوا فى الجد والتشمير وهم يقطعوا البر والآكام وصار جبار يكرم عبلة غاية الاكرام لانه قد هام بحبها ثم أنها تفكرت عبلة فيما جرى عليها وما توصله يد الاقدار فى هذه الكره اليها فقالت فى نفسها كل ما جرى على ببغي على ابن عمى لانى أردت أن أذله فذلنى رب السما وسلط على يهودى حتى ساقنى سوق الاماء بين يديه قال الراوى ثم أنهم جدوا فى المسير الليل والنهار حتى صاروا قريبا من الديار ونزلوا على غدير يقال له غدير الرباب ومن هناك أرسل جبار ذلك الفارس المبشر عنهم فقد أتى يبشر القوم فى حصن خيبر فوجده عند قدومه أبا الفوارس عنتر فسأله عن حاله فاخبره بما جرى على قومه وعلى قبيلته وبعد ذلك تقدمت غمرة وضربت رقبته وصار عنتر بعد ذلك يقطع البر والبيدا وهو يطلب خلاص الملك قيس هو ومن معه من يد الاعداء وقلبه لعبلة قد صفا وراق بعد ذلك الردا إلا أن النهار ما تعالى واستدار حتى طلع من بين أيديهم غبار متراكم كثير الاعتكار فعلم عنتر أنه غبار ذى الخمار وابن صخر جبار فقد صحت عنده الاخبار وأيضا ظهر غبار عنتر فابصره جبار بن صخر فقال لذو الخمار ها قد لاقاك كل من فى حصن خيبر وقد هان الامر علينا وتيسر وما بقيت تفزع ولا تخاف من عنتر قال فما تم جبار ذلك الكلام حتى انجلا ذلك الغبار والقتام وبان من تحته غصوب وأبيه عنتر فعرفهم ذى الخمار فلحقه الهم والارتياب وقد انعجم لسانه وتلجلج فى الخطاب وقال لجبار اليوم ترى حربا تهول أسود الغاب فاسمع منى ما أقول لك قبل أن تذهب أرواحنا ويحل بنا الارتباك لانهم إن ادركونا هؤلاء الشياطين نهبوا اجسادنا بالسيوف ودمرونا وأسقونا كاسات الحتوف فقم بنا ننجوا بأنفسنا مادمنا قادرين على النجاة وإلا أذاقونا هؤلاء القوم الموت والفجأة وتركونا هاهنا ممددين فى الفلاة وتبقى لحومنا للطير

والوحش رزقنا لاننا كانرى فى هذا الجمع اليسير وهؤلاء فى جمع كبير وأنت تعرف أن القتال فى موضع الغلبة من سوء التدبير قال فلما أن سمع جبار كلام ذو الخمار فانكر عليه غاية الإنكار وقال له ويلك ياذا الخمار وأنت بهذا القلب عاديت عنتر واردت أن يبقى لك بين العرب ذكر يذكر وطلبت أنك بهذا الفعل تنال منازل العلا بينى وبينه فى هذه الفلا لأنى وحق السفر الأكرم مابقى لى عن محبوبتى عبلة جلد ولا مصطبر ولا بد ما أقاتل عنها حتى أنى أعدم السمع والبصر فاما أننى أنال مناى وأبلغ مقصودى أو تفارق روحى جسدى فقال ذو الخمار أنت كانك مجنون ماتدرى من الامر مايكون من عليك قد أقبل واليوم ياجبار ينزل بك الذل والخيل ويترك فى هذا اليوم الخيل تلعب عليك ويأخذ روحك من بين جنبيك يا ويلك هذا عنتر الذى يخاف منه الموت إذا بدروها أنا قد نصحتك ومنه قد حذرتك فان شئت أن تثبت وإن شئت أن تفرق فانا مابقى لى على مقابلة الشيطان ومن معه مصطبر قال الراوى ثم أن ذو الخمار لما بانت له الأخبار قال لمن كان فى صحبتها من أصحاب جبار الآن تثبت عندى أن صاحبكم هذا مجنون ما يدرى من أمره مايكون ولا يعرف من أشرف عليه واليوم يجندله ولو أن السبد هارون ماسك بيده ثم أنه أشار إلى أصحابه الذين قدموا معه من مكة وطلب الهرب وكان قد أسنى وجهه كل من غير مهل إلى الناحية التى فيها عبلة فاعترضه شداد وقد أراد أن يلقى عن ولده الأمور الشداد لانه كان شفوق عليه وهو على كل حال ولده وقطعة من كبده قال فلما راى جبار من ذلك الحال لم يتمالك عقله دون ان طال عليه واستطال وحمل عليه من غير مطال وطعنه فى صدره اطلع تلك الرمح من ظهره فلما راى عنتر بما حل بابيه من ذلك حار عقله ولحقه الاندهال حتى مابقى يعرف اليمين من الشمال ثم انه حمل عليه ومال بكليته اليه ودام بينهما الحرب والقتال والطعن والنزال وقد حار جبار لما راى حملته عليه ولحقه الانبهار وفى تلك الساعة ظهر من بين ايديهم غبار حتى سد الأقطار وبعد ذلك انكشف وبان للنظار وإذاهم من اليهود والنصارى الذين انهزموا من حصن خيبر وكان قد لحقهم الهم والدمار فلما انهم انهزموا فى البرارى والقفار فالتجؤا إلى العرب الذى بقيت من منتصره العربان وساروا يقطعون القيعان وهم يقتفوا من جبار بن صخر الاثار حتى لحقوا به فى هذه الساعة التى بقت القلوب منها مرتاعة وكان جملتهم الف فارس من كل ليث ممارس هذا وقد علا صياح الفرسان الذى كان سبوهم من حصن خيبر لانهم ايقنوا بالنصر والظفر لما

رأوا النصارى واليهود قد أقبلت على الآثر وأما عبله ومن كان معها فى ذلك المكان حضر فانهم فرحوا غاية الفرح بلقائهم بابى الفوارس عنتر وعلموا أنهم قد زال عنهم بوجوده البؤس والضرر وكذلك الملك قيس ومن كان معه من بقية النفر هذا والخيل قد انطبقت على بعضها البعض حتى ارتجت بها جنبات الأرض وفى ساعة الحال جرى الدم وسال وصارت الخيل تجرى بهم خبا وعاد نور الشمس بالغبار محتجبا والبر بصياح الرجال منقلبا هذا وكل خصم قد جد لخصمه فى الطلب وقد اختلطت فى تلك الساعة النصارى والعرب هذا وعبلة صارت تتعجب كل العجب كيف جعل الله فى خلاصها بتلك الديار سبب لأن النهار ماتضاحى وعلا حتى تدحرجت جماجم الأعداء فى أقطار الملا فى ذاك الوقت نزل عوضه بلا وندم غاية الندم كيد ماطاوع ذو الخمار وهرب وقد وقع فى أعضاه الملال والتعب فعند ذلك صاح على عنتر وطلب منه الامان لما رأى بعينه الذل والهوان فقال عنتر ويلك يافرتان يا ابن الف قرنان تقل أبى سيد الفرسان وتطلب الامان ثم أنه تاخر عنه الغدار حلول الرمح حتى تمكن فى طعنته وطعنه فى صـــدره أخرج نصفه الرمح يلمع من ظهره فوقع إلى الأرض يخور فى دمه ويضرب فى عدمه وبعد ذلك دار على اليهود والنصارى اللئام ومن كان معه من العرب الكرام ففرقوهم فى البر والقيعان وأسروا العبيد فى تلك الغفله حلوهم من الشد والاعتقال وأتوهم بالخيل العوال فركبوها فى ساعة الحال فعندها تقدم الملك اليس اليه وحده وأثنى عليه وقبله بين عينيه ثم أنه شكا اليه مافعل ذو الخمار وماقيل منهم من الرجال الاخيار فقال عنتر والله يامولاى ماسيرتكم من مكة إلى الديار إلا خوفا عليكم من ذلك الفاجر الغدار ولما مررت من عند بنت عمى وأنا غضبان قلت فى نفسى أنه مايجسر عليكم فى الاوطان ولا عاد يسكن أرض الحجاز ولا أرض بنى عدنان لو أنه شرب كاس الوبال ثم أن عنتر حدث الملك قيس كيف أخذ أولاده من حول البيت الحرام وكيف سار وخلصهم بالحسام التدبير الذى دبروه اليهود اللئام وحدثه بالحديث جميعه على الكمال والتمام هذا والملك قيس قد تعجب غاية العجب وهذه الأسباب تحير فيها أولى الالباب وقال صدقت يا حامية عبس وفرس من طلعت عليه الشمس ولولا اتفق هذا الاتفاق ماكنا تخلصنا من الوثاق ثم أن الملك اليس شكر عنتر على حسن الوداد وعزاه فى أبيه شداد فعندها انهملت الدموع من عيناه وصار عنتر يرثى أباه وهو ينشد يقول هذه الأبيات

هذا فعالى يوم كل كريهة وأنا الهمام الفاتك المغوار

| | |
|---|---|
| كما بغى جبار لاقا حتفه | من فارس تروى له الأخبار |
| أسقيته كأس المنون بطعنة | وتركته سلوا علاه غبار |
| خلصت قيس الرأى بعد خلاصه | ورأى المنون على الكماة تدار |
| وأنا الذى جندلت كل مدجج | فى موقف تشخص له الأبصار |
| ويل لمن يبغى عناد فى الورى | وأنا الهزبر الضيغم المغوار |
| نجمى على فوق الثريا صاعدا | فى الأفق قد شهدت بذاك فخار |
| وإذا ركبت تضعضعت من هيبتى | قلل الجبال ومالت الأقطار |
| من يلتقى حربى إذا اشتبك القنا | وأنا القضاء النازل المقدار |

(قال الراوى) فلما أنشد عنتر هذه الابيات ترنحت له السادات وما منهم إلا من بكى على فقد شداد وأما عبلة فانها رأت من ابن عمها ذاك الفعال كيف خلصها وخلص الرجال من الشدة والاعتقال أرمت روحها من على الهودج بين يديه ولت إليه وقبلت فى الركاب قدميه نبكت وشكت قصتها عليه وقالت له يا ابن العم ما عرفت بخطأى إلا لما مضيت عن غضبان وذقت بعدك الذل والهوان وبلغنى كلام الأعداء فى حقى وحقك من الرجال والنسوان ثم زاد بكاها وأجرت دموعها من الأجفان فلما نظر عنتر إلى ذلك الشأن كاد أن يغشى عليه من شدة الأحزان ثم إنه ترجل إليها فى ساعة الحال عن ظهر جواده وضمها فى عاجل الحال إلى صدره واستراح كل عضو فى جسده لأنه كاد من الشوق أن ينفطر كبده وقال لها يا بنت العم وحق من عالم ما فى الصدور ما أزال لك على طول الزمان عبد وخادم حتى أننى تنهب الرماح والصوارم وأنا وحق الإله الدايم وكل ما تريد يا بنت العم قائم وإنى وحياة عينك كثير الشوق اليك ثم أنه طيب خاطرها وردها إلى هودجها وقد خف قربها ثم أنه لما فرغ من هذا الوداد عاد فى ساعة الحال إلى ظهر الجواد وطلب إلى ذو الخمار حتى يبصر ما جرى له ولمن كان خلفه من الأجناد إلا أنه أنه ما الوى رأس الجواد حتى أقبل من كبد البر شيبوب وأقبلت من خلفه غمرة وغصوب وهى كأنها اللبوة الطلوب ومعهم ذى الخمار الغدار وقد شدوه كتاف وهو مما قاساه أشرف على التلاف قال الراوى وكان ذلك السبب أن ذو الخمار لما أخذ فى الهرب وجد شيبوب خلفه فى الطلب وأدركه فى البر والسبسب وصار كلما أتى من بين يديه يرميه بالنبال ويضيق عليه وما زال ذو الخمار فى علاج مع شيبوب حتى أدركته فى عاجل غمرة وولدها غصوب وهجموا

عليه مثل أسود الدحال وكان قد هرب معه جماعة من الرجال فنهبوا منهم الارواح بأطراف الرماح العوال وبعد ذلك أثخنوه بالجراح حتى ما بقى يعرف المسا من الصباح فلما أشرف منهم على التلاف وقف إليهم وقد طلب منهم الانصاف فصاح به شيبوب وقال له يا نسل الإرجاس من أنصفت أنت فى طول دهرك وزمانك من الناس ثم أنه طلب صدر جواده بنبلة رماه وسقط إلى الأرض كاد أن يعدمه الحياة فادركه قبل أن يقوم فركب على ظهره قبل أن يقوم ثم إن غمرة وغصوب ساعدوا شيبوب فتعاونوا عليه وعارضوه على ظهر الجواد فساروا به حتى أوقفوه بين يدى عنتر فلما أن صار بين يديه ونظر إليه أخذه الغيظ عليه ونزل بالسوط على كتفيه وصار يضربه على رأسه وعلى صدره وصار يجود الضرب عليه وكلما تذكر قتل أبيه يوصل أذيته إليه ثم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مكان المعمعة والجلاد وقد صاحت العبيد وأقاموا على شداد مأتما وهلبوا على نواصى الخيل



مقتل الأمير شداد ابو عنتر

واعلنوا بالندب والويل وقال الملك قيس هذا والله كان ركن من أركان بنى عبس قد انهدم فلعن الله ذى الختار ثم تقدم بعد ذلك الربيع بن زياد وقد أكثر من المكر والدعاء والبكاء والتعداد وقال من بقى لبنى عبس بعدك يا شداد فلقد كنت والله كثير الخير والنفاد وذهب بعدك

الرأى والرشاد فعندما بكى عنتر وتحسر وحلف وقال وحق الذى علا فاقتدر لا دفنت أبى فى باطن التراب والحجر حتى أذبح كل يهودى من حصن خيبر وأما شيبوب فانه شق ما عليه من لباسه وحث التراب على رأسه وكذلك فعلت الرجال والنسوان وأكثروا من البكاء والتعداد ونسوا ما كانوا فيه الأسر والهوان وعملوا عملا حتى تعجب من أحوالهم عمار هذا المكان هذا . قد أمر عنتر إلى أخيه شيبوب ان يصبر أبوه فى نطع من الاديم الطائفى ويلفه فيه فعند ذلك نهض شيبوب لمامرة عنتر وفعل ذلك من غير اهمال وأدرجوه فى النطع وشالوه على ظهر جمل وعادوا طالبين الاطلال وهم يركضون فى تلك الروابى والقفار ودموعهم تجرى على خدودهم غزار وعنتر سائر امامهم فى المقدمة ودموعه على خديه منسجمه وصار يقول سبحان من تفرد بالعزة والبقاء وهو إله لا يقهر ومن بعض آياته هذا الشمس والقمر هذا يغيب باذنه وهذا يحضر خالق الوحش والطير والبشر والعباد بالموت قهرهم انه ترنم بين تلك السادات والاقيال القادات وقد تزايدت عليه الحسرات فانشد يقول :

يا عين جودى بدمع منك مدرارى ... لفقد فارس عبس الضيغم الضارى
مراد البكاء رنار الحرب مسعرة ... مفنى الأعادى بسيف منه بتارى
من ذا يرد خيول القوم خاسرة ... من بعد شداد ذاك الموقد البارى
الفارس الاشرس المرهوب جانبه ... الماجد القيل حقا كاشف العارى
بكت لمصرعه عبس وسائر من ... فوق البسيطة من عبد وأجرارى
لعظم يومك باشداد قد ظمست ... شمس النهار ولم تطلع بانوارى
كادت نجوم السما تهوى ويتبعها ... كواكب دائما يهوى بها السارى
هذا المصاب تخر الراسيات له ... حزنا لموت الفتى الآخذ بالثارى
لو كنت تفدا من الموت المفرق للورا ... قد كنت أفديك يامولى بصارى
ولو علمت بما لاقاه بعدك من ... سيفى عدواك ذالا الكلب جبارى
لهمت من فرح من بعد قتلته ... الا عدمتك يا آخذ لنا بالثارى
طعنته طعنة من كف أدرع لا ... يخش النزال بيطن الرمح خطارى
فالنوم بعدك قد جرمته أبدا ... كذاك سائر لذات وأوطارى
ما زلت أبكيك ماناحت مطوقة ... فوق الغصون ومذهب الهوى السارى

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تباكت جميع الامراء والسادات ثم تقدم بعد

ذلك شيبوب إلى أخيه عنتر وهم سائرون فى ذلك البر الاقفر قال له يا بن الأم أريد منك أن تسمع مقالى وما قد خطر ببالى تبلغنى منه آمالى فقال له عنتر قول فانى أعدك دائما صاحب رأى معقول فقال شيبوب الرأى عندى أول ما تصل إلى الديار تدفن والدك يقربك القرار فأول ما تبدأ بزنج هذا اليهودى وذو الخمار وتطفىء بقتلته من قلبك لهيب النار لأنه لولاه ما كان قتل أبوك فى هذه النوبة قال فلما سمع ذو الخمار كلام شيبوب قال له لا تستر والله عليك ولا بارك الرب القديم فيك يا ويلك اتركه على رأيه حتى يصل إلى الديار يدفن أباه ويذهب عنه حزنه وبلبله قال فلما سمع عنتر كلام ذو الخمار انطلق فى قلبه لهيب النار وقال ويلك يا سبيع يا غدار يا نسل اللئام الأشرار مرة تصير مجوسى تعبد النار ومرة تصير يهودى تعبد العزير والأسفار مرة تعبد الأصنام والأحجار ثم جعل يضربه بالسوط على قفاه وكتفه حتى غاب رشده وغشى عليه وهو سائر قدامه معارض على الجواد عنتر سائر يبرع معه من الظن وهو لا يفيق لنفسه وهو كأنه الليث فى رمسه وغاب صوابه ولسى حسابه وقل كلامه وجوابه وما زالوا يقطعون القفار حتى انهم وصلوا إلى الديار طلع إلى القائهم الكبار والصغار والعبيد والأحرار فلما علموا أهل الحى بقتل شداد عظم عليهم البكاء وزاد وأرميت مضارب بنى قراد وأما مالك وزخمة الجواد فانهم كانوا أشد أهل القبيلة مشقة وأكادو نادى عنتر وابتاه وصاحا شيبوب وجرير واسيداه صاحت سمية واخليلاه وابعلاه ونادى مازن واوالداه وامصيبتاه ثم شقوا ما كان عليهم من الثياب وأكثروا من البكاء والانتحاب ولطمت الكواعب الأتراب لعظم ما بهم فى ذلك اليوم من المصاب ولم يزالوا فى بكاء ونواح ندب وصياح حتى تقرحت منهم المقل الصحاح قال الرواى ثم أن الملك قيس أمر بحفر قبر مالك أخيه وانهم يدفنون شداد فيه فعند ذلك تقدم شيبوب وجرير فعلوا ما أمرهم وأنزلوه القبر وأهالوا التراب عليه قال الراوى فلاحت من عنتر التفاتة فوقعت كلمة عمارة فى آذانه إلا أن عمارة ما تم كلامه حتى فتح عنتر عيناه وقد زاد على أبيه حزنه وجواه عظم عليه من كلام عمارة القواد بلاه فما كان له فى هذا الوقت شىء يبرد به ما فى قلبه من لهيب النار إلا نشيد الأشعار فانشد وقال

يا عين سحى دمعك المذروفا ... وأبكى لشداد المبيد الوفا
فلقد بقيت لفقده متحيرا ... والطواف أضحى بعده مطروفا

فلا أبكين عليك ياليت السرا ولا أهجرن سرورها المألوفا
والنوم لا أتركه يغشا ناظرى من بعد شداد السخى كفوفا
ولا أكسرن قنانيا مملوءة بالخندريس ولا أزال خليفا
كادت تميل الأرض أو تهوى السماء بنجومها والبدر ظل خسيفا
من ذا يرد الخيل بعدك فى الوغا أو من يكون بفعله معروفا
غالتك أيد الدهر ثم صروفه قد صرت بعدك موجعا ملهوفا
هاقد بقا جبار بعدك فى الفلا فى القاع ملقى دمه مذروفا
وتركته رزق الوحوش تنوشه والطير ظل لأجله معطوفا
يا كعبة الجود الذى ما مثلها طرقتك نائبة وكنت عطوفا
ما كنت أحسب أن فى هذا الورى غيرى وغيرك من يرد الوفا
فسقاك رب العرش غيثا منزعا غدقا ولازال السحاب دروفا
منى السلام عليك كل عشية طول الزمان على الدوام وقوفا

قال الراوى ثم أن أبياته وقد تصاعدت نيران زفراته حتى أقبلت سمية زوجة أبيه شداد وهى كثير البكاء والنعداد وقد أقبلت زبيبة من خلفها مشققة الثياب كثير البكاء والانتحاب وقد دارت بهم الكواعب الأتراب والكل مهليات الشعور متهتكات حتى وصلت إلى قبر شداد وكانت مرارهم تنشق من الحزن ثم وقفت سمية على القبر وحثت التراب على رأسها ووقعت مغشيا عليها ما ضاقت أنفاسها ودارت النساء حولها وقد قطعوا أيامهم منها ولم يزلن يبدين على ذلك الحال حتى تفصلت منهم الأوصال فلما أفاقت سمية جعلت ترثى بعلها بهذه الأبيات

جفانى الكرا واعترانى الأرق وساعدنى الدمع لما اندفق
لفقد همام مضا وانقضا لقد زاد منى عليه القلق
فمن بعد شداد يحمى الحريم إذا طنت الحرب ومال العرق
ومن يردى القرن فى وسط الوغا ومن يطعن الخصم وسط الحدق
ومن يقرى الضيف فى أرضه ومن المنادى إذا مازعق
سآخذ ثارك من قاتلك وأشفى فؤادى بقطع العنق
لقد صرت من بعده فى ضنا وقلبى لأجل الفراق احترق
لقد فرح الخصم من بعده ومن دمع عينى خفت الغرق

قال الراوى ثم أنها بعد ذلك الشعر والنظام تقدمت إلى بين يدى عنتر وهو حليف الهم الفكر وقالت له بحرمة التربية ياولدى سلم لى فرسان اليهود حتى أذبحهم بيدى وأطفى بقتلهم نار كبدى فقال لها عنتر ياستاه دونك وماتريدين بن وافعلين بهم ماتحبين ثم أنه سلم لها سكين أمضا من القضاء والبلاء المبين وأمرها بالتحكم فيهم أجمعين فاخذتها بيدها وشمرت عن ساعديها وصار شيبوب وجماعة من الرجال يقدموا لها واحد بعد واحد من اليهود وهم مشدودون فى الحبال وصاروا يتكوهم لها وهى تذبحهم على قبر بعلها حتى تحيرت العرب فى ذلك اليوم من فعلها ولم تزل حمية على ذلك الحال حتى ذبحت على شوط واحد من اليهود خمسين إنسان حتى انطفت عنها الأحزان وقد تعجبت من فعلها الرجال والنسوان وبعد ذلك تقدمت زبيبة وبكت وإلى بين ولدها أسرعت وقالت ياولدى بحق الحجر الذى فيه ربيتك وبحق الثدى الذى منه أرضعتك إلا ماخليتنى أنا الاخرى أشفى قلبى من هؤلاء اليهود الانذال فعندها شمرت زبيبة عن ساعديها وصار شيبوب يقدم النصارى واليهود وهى تنحرهم حتى نحرت تسعين من الرجال وذبح مازن مائة وثلاثين وذبح شيبوب مائة وخمسين وذبح قصرب مائة وثمانين وذبح الباقى بيسرة وصارت روس الجميع على الارض متنثرة قال الراوى على أن اليهود والنصارى كانوا سبعمائة وسبعين وانزلوا بالجميع العذاب المهين وبقوا فى تلك البقاع على الأرض مطروحين وأما عنتر فانه تذكر أبوه شداد وأكثر عليه من البكاء والتعداد لجعل يرثيه بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

| | |
|---|---|
| ما لعينى جفت لذيذ رقادى | تراها مكحولة بسهادى |
| وفراشى لا أستقر عليه | هل حشى مضجعى بشوك النوادى |
| كيف لا تسكب دموع جفونى | بدم حسرة على شدادى |
| كان درعى وعدتى وحسامى | وسنانى وراحتى واعتمادى |
| ومعينى على نوائب دهرى | لم يزل سهمه يصيب فؤادى |
| وملاذى إذا بليت بخطب | وهو ركن من الردا وانتقادى |
| وشجاعا فى الحرب أى شجاع | وجواد فى السلم أى جواد |
| كان صعبا على العداة ولكن | لأهاليه كان سهل القيادى |
| ياترى من وراك خلفت للاهل | ثم من أوصيت للاولاد |
| اننى لاهدى من الموت شخص | كنت ياسيدى لشخصك فادى |
| أبتى هل إلى رجوعك وعدا | أرتجيه من قبل يوم لمعادى |

كيف تبلا تلك المحاسن فى الترب ... ثم تمحى آثار تلك الاسادى
كيف تمضى ذلك المحيا الذى ... كان يهدى بها فى الدجا كل وادى
كنت كهفا للمستجير وركنا ... للمنادى وكعبة القصادى
يا بنى عبس نبهوا همم العزم ... ثم توروا إلى لقاء الاعادى
يا بنى خيبر ختتم بشداد ... فعليكم كل الأمور شدادى
يا بنى عبس دونكم والعوالى ... فاحملوها وبادروا للجلادى
يا بنى عبس جردوا للمواضى ... واستبيحوا الدما فى كل وادى
فانا عنتر وقد ساد ذكرى ... وفعالى فى الحرب قهر الاعادى
أكرم الضيف ما استطعت وإنى ... لجميل الفعال أول بادى

(قال الراوى) وسمعت بنى عبس من عنتر هذه الابيات تناثرت من أجفانهم العبرات وقالوا له يا أبا الفوارس من خلف مثلك ما مات وبعد ذلك أمر عنتر باحضار سبى حصن خيبر فاحضروا إليه النساء والبنات فامر الرجال أن يدوروا بالسبى حول قبر أبيه سبع مرات وبعدها أعتقهم من القتل والنائبات بعدما أطفأ ناره وأخذ من رجال اليهود ثاره وبعد ذلك قعد العزا وسط الرماد وتسامعت قبائل العرب بقتلة شداد أترا للعزا إلى عنتر من كل شعب وواد وجعلوا يعزوه فى أبيه ولم يزل على ذلك الحال أربعين يوم على التمام وهو لا يلتذ بأكل ولا بمنام وبعد ذلك دخل الملك قيس والربيع بن زياد وقبلوا رأسه ومازالوا به أسقوه المدام وعمل دعوة عظيمة للقرايب وبنى الاعمام وبر الارامل والايتام (قال الراوى) وكان شمل العشيرة قد افترق فعاد اجتمع وذهب عنهم الخوف والفزع هذا وعبله قد صارت تخدم عنتر وترق له فى الكلام أن غاب أحضر ولما كان بعد هذا الكلام بمدة قليلة وقد التم شمل القبيلة أرسل الملك قيس خلف عنتر فعند ذلك ركب جواده ومضى إليه وفى عاجل الحال حضر بين يديه فرحب به الملك قيس ولما استقر بهم القرار أشار عليه بقتل ذو الخمار وقال له اقتله وأرحنا من شره فعلن الله الذى ربته ما أكثر مكره فقال عنتر والله يا ملك مامعنى عن قتله الاجميل دريد بن الصمة لأنه قد رأيت ما فعل معى من تلك الهمة وكيف اغاثنى بنفسه وعشائره حتى اننى بلغت المرام وعلقت قصيدتى على البيت الحرام وهذا ابن عمه وزوج أبنته وصهره وما أقدر أفعل فيه فعل حتى انى أستشيره فى أمره وأيضا وجه آخر وهو اننى أوعدت هانىء بن مسعود لما كنا فى مكة وضمنت له امره وقلت إذا وقع فى يدى حملته اليك لتأخذ منه ثارك بيديك قال الراوى ومن ذلك الوقت

أرسل عنتر إلى دريد بن الصمة رسولاً يخبره بما فعل ذو الخمار من ذلك الأمر المهول وهو يقول له وحق الكعبة لولا جميل سابق منك إلى ما كان إلا مقتولا وانى منتظر منك فيه مقال. ثم أن عنتر بعد ارساله الرسول بالكتاب أقام منتظر الجواب وصارت تطيح أوقاته بالسرور إلى أنه ما يمضى عليه يوم وهو على ما هو عليه من الفرج والمسرة حتى يتذكر أحوال الجارية مروة ويتمنى أن يسمع لها خبراً أو يقع لها على أثر ويقول يا ليت شعرى ماجرى عليها من العبر بعدما بقيت فى ذلك البر الاقفر وإذا زاد عليه الأمر وتكدر خاطره ينشد من الشعر ما كنت عليه ضمائره ويتسلى بالأشعار فى الخلوات ويتذكر طيب ما مضى من الأيام السالفات ومن جملة ما قال هذه الأبيات .

عذلوا العواذل فى هواك مضيع ... هب انهم عذلوا فمن ذا يسمع
عذلوا ماعزروا لارباب الهوى ... ما خالوا ما ليس فيه مطمع
علموا بانك هاجرى فتوهموا ... أنى لذلك بالملامة أروع .
عدوا صفاتك فانتفعت بلومهم ... وللوم فيه ما يضر وينفع .
عذبت بالهجران صبا ماله ... حتى الممات إلى سواك تطمع
عبد يناديه الهوى فيجيبه ... طوعا ويدعوه القوم فيسمع
عار على عينى الكرى لا كنها ... للطيف فى سنة الكرا تتوقع
عين تنام إذا هجرت لعلها ... بمرور طيفك فى المنام تمتع
عطف الخيال بأن ألم واننى ... أرضى بالمال الخيال وأقنع
عجبا له يسخوا ويسطوا ناهيا ... عنى ويمنحنى الوصال ويمنع
عد بالجمال كما عدت فانه ... لم يبق فى قوس التصبر منزع .
عنفا صبرت على جفاك فاننى ... إذا لم ألذ بالصبر ماذا أصنع

قال الراوى وإن عنتر لما انشد هذه الأبيات كانت قد حضرت جماعة من السادات ممن كانوا قد علموا بتلك الإشارات فعلم عند ذلك من حضر انه من أجل ضيعان زوجته على خطر فقال له بعض الحاضرين يا أبا الفوارس تانى على نفسك ولا ترمى روحك فى المخاطر وقل ماعندك من الأحزان مادامت حولك الفرسان حتى تتجسس عنها فان صحت لنا الأخبار تبعنا منها الآثار قال الراوى وكان حديث مروه وماتم عليها فى ذلك البر الاقفر من العبر وما معها من البشر وذلك أن شيبوب لما تركهم فى ذلك المكان والبر الخالى من السكان وهم قد أشرفوا على الموت والعامن شدة العطش والظما ومضى حتى يأتيهم بالماء فبقوا فى انتظاره وهم بين لعل وعسى إلى أن أدركهم المسا وبعد ذلك أيسوا منه وايقنوا بعد حياته وتيقنوا

بهلاكه ومماته وظنوا أنه هلك فى ذلك البر والفلا وساق كاس فناه فلما دخل عليهم الليل وهم فى ذلك البطاح عاشت منهم الأرواح وبدا اصلاحهم ونسمت عليهم الرياح باذن فالق الاصباح ولم يزالوا على مثل ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح فلما طلع النهار طلع الضوء وأستنار تسبيب لهم أسباب لهم فى مكتاب باذن رب الأرباب وذلك لما أصبحوا هم غائبين عن الصواب أشرقت عليهم خمسين فارس انجاب وبين أيديهم أوفى من ثلثمائة ناقة فقالوا نحو هم بلا عاقة وكانت هذه الخيل من ارض اليمن وقد ظهرت تطلب المعاش والمكسب كما جرت عادة العرب مصر وأرض بنى عامر وساقت منها ذلك الخير الوافر قال ساقوا تلك الأنعام وعبروا بها البر والآكام خوفا من الخام وأن تلحقهم فرسان تلك الأرض وتقابلهم فى الصدام ثم انهم جدوا فى المسير تحت ستور الظلام فاصبحوا كما يريد الملك العلام لتمام الأمور والأحكام عند تلك الأعوام وهم قد أشرفوا من العطش على الحمام فلما وصلوا إليهم وتبينوهم أتوهم بالماء وأسقوهم فقد أشربوا وعاشت منهم الأرواح وذهب منهم الفساد وأتى لهم الصلاح فصار أبو سروه يشير إليهم بالدعاء ويشكرهم ويدعو لهم ويمدحهم على جميلهم وإحسانهم فتقدم إليهم مقدم تلك السرية وبشره بالسلامة والنجاة من تلك البرية فسأله عن حاله فقال له الشيخ وقد كتم أمر بنته ولم يحدثه بقصته بل أنه قال يا مولاى نحن من بنى الضحاك من بلاد السروز وأرض الاراك وما وقعنا فى هذا البر الخراب إلا لسبب من الأسباب وهو أن هذا البيت ابنتى كثر شرها وقل خيرها وأننى ما رزقت أحـــدا غيرها يا ليتنى لم أرزقها ولا كان الرب القديم خلقها لانها لما كبرت وانتشت وصارت فى عداد البنات لحقها عارض من الجن الطغاة وصارت يتولع بها فى كل شهر أربع مرات فاتلفت قلبى واحترق من أجلها لبى ولم أترك شيء من الأدوية التى تعرفها الحكماء إلا وأسقيتها فلم يؤثر لها أثر وحكمنى فيها أسباب القضاء والقدر ولما ضعف منها القوى والحيل ولم أحد لها دوا لا فى سهل ولا فى جبل حملتها فى هذا العام وقلت أسير بها إلى البيت الحرام وقلت امل أقع لها على حكيم يدويها وضاع توفيقها وما وصلنا إلى البيت الحرام إلا العرب تفرقت من ذلك المقام ولم أزل أعرضها ولم أبلغ مرام فاقمت فى مكة ثلاثة أيام وشرحت حالها لشيخ من المشايخ الكرام فقال لى شيخ منهم عارف فهما وأن أردت أن تبرى بنتك من هذا المرض فسير بها إلى حكيم بنى هوزان فانه يبريها ويكتب بالسبعة أقلام فلما سمعت من ذاك الشيخ الكلام خرجت من البيت الحرام وسرت بلا رفيق وعسفت فى البر

ولم أركب طريق لأنى فزعت أن يلقانا شيطان أو زنديق ونعدم السعادة والتوفيق وكنت أعرف هذه الأرض كثيرة المناهل والماء فيها من الشعب والكلا ما يحير النظر فرأيتها اليوم قفرا ولا فيها حشيشة خضراء وهى قليلة الماء عما كنت أعهدو ما زقعت فيها على مقصد فبقيت أنا وهى كما ترى وبقينا مثل الموتى فى هذه الصحرى ولو لم تدركونا بالماء وإلا كنا هلكنا فى هذه القفرى قال الراوى فلما سمعوا تلك العربان مقاله رثوا الحاله واكرموه هو وعبيده وأركبوهم وخرجوا من ذلك البر الاقفر الذى قد قاسوا فيه ذلك العطش الاكبر وقد طابت قلوبهم وقرارهم ما فارقوهم حتى قاربوا من ديارهم قال الراوى ولما وصل الشيخ إلى بلاده فرحوا به أهله وأصحابه وسألوه عن أولاده فقال لهم يابنى عمى أنهم تركونى فى مكة وأنا فى حالة الكبر فسبب لهم سيب وهلكوا على يد بعض أبطال العرب فلما علمه بهلاكهم وقد حل بهم ارتباكهم قال الراوى وكانت ابنته سروه قد حملت من عنتر ولما وصلت إلى ديارها والمستقربان عليها الحمل وظهر وكانت جاريتها سعده أيضا حملت من شيبوب باذن علام الغيوب ولما بانت حالتها اشتهرت قصتها شكت كما شكت ستها بان عليها الحمل بعد انقطاع الشمل هذا لما علم الشيخ بما جرى لابنته صعب عليه وتغيرت حالته وأقبل على زوجته وقال لها قد قل ارشادنا خير مالقينا فى هذه السنة بسبب انفرادنا لأننا انفضحنا فى ابنتنا وهلكت أولادنا وعشيرتنا بعد ذلك فالذى نقول لاهنا إذا ولدت بنتنا ولا سيما إذجاء الولد مثل أبيه أسود فيشمت بنا كل أحد وينهتك عرضنا لا يذرنا قال فلما سمعت زوجته منه هذا الكلام زاد بها الهم والاغتمام فقالت زوجته يا ابن العم الأيام لمن وثق بها خوانه مصايب الدهر غير مأمونة أن هذا الأمر كان علينا حتما وقد قضى به رب الأرض والسماء الذى سخر لنا الرياح وأجرى الماء وعلم آدم الاسماء بعد ذلك أننا نخفى حال ابنتنا بجهدنا ولا نقطر ندافع عنها ونظهر خبرها وزواجها بعنتر وهو فارس لأنه بطل الزمان وفارس العصر والأوان وأنه ما تزوجها إلا بنكاح غير سفاح قال الراوى وأنهم لم يزالوا على ذلك الحال حتى أنقضت الايام والليالى وقرب وقت الولادة باذن صاحب المشيئة والارادة فعند ذلك أخذها الطلق كما شاء خالق الخلق فاخفوا أمرها عن الجيران وقالوا أنها زادت إليها الأعراض وأتاها أمرها لا لأحد فيها

اعتراض وأن سعدة جاريتها أخذها الطلق باذن خالق الخلق وكانت ليلتها ليلة ستها بالسول باذن فالق الحب والنوى فعند ذلك تولت العجوز أمر بنتها فى الولاده وساعدتها المشيئة والاراده فوضعت ولد أسود له أعضاء الاسد كبير الرأس واسع الجبهة مبحلق العينين عالى كراسى الخدين تفزع خلقته من يراها وتزعج من يبصرها ويشاهد معناها بكفوف وأعضاء مثل أعضاء الاسد بخلاف كل مولود يولد بزنود ممتلية وعينين مثل السراجين المضية بوجه واسع بصورة مثل صورة وأرشق منظر وأخف خلقة وهو ممشوق خلقه وسراء قال فهذا ما كان من ولاده سروره ومابدأ وأما ما كان من جاريتها سعدة فان ولدها أتا بالضد لانه وضع أسهل والطف صورة وأرشق منظر وأخف خلقه وهو ممشوق الساعدين دقيق الساقين قصير الهامة مضمر الجبين رشيق دقيق عصبة مفتول رقيق قدركب فى ركبه الخيل والقوى وركبتاه تكاد أن تنطوى وكان حمل هذين الولدين سبع شهور من قوتهم لاجل الأمر المقدر ظهر وأقبل أوان الظهور باذن العزيز الغفور العالم بخفيات الامور لان المرأة إذا كانت حامل ومات بعلها أو سافر أو طلقها وهم بطأها ذكر فى حال حملها أتاها ولد كامل القوة مليح الصورة قليل الأرض والضرورة لاسيما إذا كان وضعه لسبع شهور يبقى خبره بين الخلايق مشهور ذكره مخبور قال الراوى فلما وضعت سروره وسعده الولدين قبلتهم أم سروه فلما رأتهم ذكور فرحت بهذه الامور وعملت ابنتها كما تفعل النسوان وخرجت إلى بعلها وأخبرته بما جرى وكان وقالت له لقد فرج الله عنا المضرة والتنفيذ وأتى لنا الامر كما تريد وأسيل علينا ستر اعليه مزيد قال الراوى فلما سمع مقالها قال لها الاحرار والعبيد ما الذى تقول لاهلنا والجيران إذا سألونا عن أمر هؤلاء السودان الذى كل واحد منهم كأنه فرخ من فروخ الجان ولاسيما ابن سروة الذى صورته كأنها صوره عفريت من الجان فقالت العجوز اسمع يا ابن العم هذا الكلام إذا سألنا أحد عن هذين الولدين فنقول جاريتنا سعده قد رزقتهم من عبدنا ميمون فلما سمع الشيخ منها مقالها قال لها افعلى ما بدالك نجح الله أفعالك اجتهدى فى كتم أحوالك هذا ولما انقضت أيام الولادة وقد كتموا ذلك الحال عن النساء والرجال لما سمعوا أهل الحى سألوا الشيخ والعجوز عنه وعن كشف أمرهم فاخبروهم بما قدمنا من الخبر وقصوا عليهم أنهم أولاد سعدة من ميمون وأنهم أتوا فى بطن واحدة أجمعين فلما سمعوا منهم هذا المقال انطلا عليهم ذلك المحال وصدقوهم فى ذلك الحال هذا وسعده تولت رضاع الاثنين وصار كل من رآهم يظن أنهم

اخوين وكانت سروه ترضع ابنها فى الخلوات ونحن عليه كما نحن الامهات وإذاضمته إلى صدرها عند الرضاع تسمع له همهمة كهمهمة السباع وأروى وقت منعته من الرضاع يروم ويغضب فسمته الغضبان قال الأصمعى وبقى الشيخ عميرة أبو مروه بذلك فرحان وسمت سعده ولدها الخدروف لأجل طاقة خلقته وسرعة حركته والخدروف فى لغة العرب هى هى الدوامة الذى تلعب بها الصبيان لأنهم يديروا عليها الخيط ويرموها فى الارض فتدور وتقتل هذا ما كان جرى من وصف الخدروف بن شيبوب والغضبان بن عنتر الموهوب وسبب ولادتهم فى هذا الزمان وماجرى من أمرهم وكان وأما من حديث عنتر وغصوب وغمرة ومن معهم من الفرسان وحديث بنى عبس وعدنان ذلك أن عنتر المغوار بعدماقتل جبار وأسر ذوالخار وجرى ماجرى فى عزا أبيه وصار ماشرحنا من الأخبار وانقطع بعد ذلك فى الديار صار يقضى أكثر الأيام والأوقات مع عبله وغمره وأولاده بشرب المدام والصيد والقنص والافراح فى كل مسا وصباح وكان عنتر قدضرب لولده غصوب وأمه غمره بيت رفيع العماد معها لمن من أبطال بنى قضاعة الاجواد وأنزلهم إلى جانب بنى قراد فى أرض بهجة فسيحة الجنبات كثير الغدران والنبات والامياة السارحات وقد ذكرنا أن عنتر صاحب الهمة قد أرسل خلف دريد بن الصمة ليعلمه بما جرى من الأخبار يشاوره فى قتل ذوالخار فاتاه الجواب يقول له يا أباالفوارس أضرب رقبته لو كان ولدى لأنه ظالم معتدى وقد أفرح بفعاله كبدى وأنى علمت بما فعل فى حقك على أنك لو كنت قتلته بغير على لكان أريح لسرى وأبرد لخاطرى قال الراوى فلما سمع عنتر الكلام افتكر فى عواقبه ضاق صدره عيل صبره وبقى متفكر فى أمره وكان الملك قيس وعروة بن الورد قد سمعوا كلام دريد والجواب الذى رده على عنتر المهاب فاشاروا على عنتر أن يقتل ذو الخار فقال عنتر أنا ما أقتله فى هذه المرة حتى أبصر ان كان دريد يسألنى عنه مرة أخرى لانه أرسل لى يقول ما أردتك أن تعلمنى هذا يدل على أنه ضاق صدره بسببه لكن أنا أرعيه النوق والحال حتى أنه تنكسر نفسه يتوب عن هذه الفعال ثم أنه سلمه إلى أخيه جرير قال له إياك التهاون به ولا تفرط فى أمره فقال له جرير كن أنت فى نفسك وأما عنتر فانه قد بقى بعد هذا الكلام مدة أيام هو مكروب وإذا قد أتى إليه عروة بن الورد فوجدوه عند أخيه شيبوب فلما دخلوا عليه حيوه بالسلام وترحب بهم وأبداهم بالكلام قال لهم يا بنو الاعمام قد رأيت البارحة منام وهو يدل على قرب الحمام أنا أصبحت فيه

متفكر ولعواقبه منتظر فقال عروة بن الورد خيرا رأيت يا أبا الفوارس وخيرا ترى ما الذى رأيت فى أحلامك قص علينا منامك فقال رأيت كأن خرج من احليلى شبل أسود وتصور فى صورة أسد ثم أنه تمرغ التراب فصار بصورة عقاب بناب ومخلاب وطار فى الهوى كأنه شيطان إلى أن غاب عن الأعيان ثم أنه عاد إلى ما بعد ما قارب السماء وانقض على من الهوى وبادر إلى نحوى وهو فى وقد مكن مخاليبه من أكتافى ونزل بقوته قارماتى تحته فوقعت على ظهرى فركب على صدرى وأراد أن ينحرنى ويقضى أمرى وكأنى قد مددت يدى إليه لأفنى عليه ولما أن أحس بى طلبنى بقوة أن يأخذنى ويطير بى فى الهوى فلما أشرفت منه على التلاف علمت أنه قاتلى فهممت أن أدفعه عن صدرى فانتبهت وأنا مرعوب فاذهلتنى تلك الرؤيا وزادتنى كروب وهذا ما رأيت فى المنام وأقول انى ما بقيت أعيش إلى بقية هذا العام فلما سمع شيبوب كلامه عنفه ولامه وقال له دع عنك هذا الكلام فكل هذا أضغاث أحلام من حرارة الطعام لاننا نملأ بطوننا من الأكل باغتنام ونمعن فى شرب خمر المدام حتى لا نبقى نفرق بين القعاد والقيام والدليل على هذا الكلام أنى أنا الآخر رأيت منام فقال له عنتر وما الذى رأيت أحكى لى مثل ما حكيت فقال رأيت كأن وقع من بين أفخاذى ثعلب واتسع فى البر وطلب الهرب فأخذت على أثره فى الطلب وما زالت أطرده حتى لحقته وأردت أن أقبضه فقام إلى فى صورة بنى آدم وصار يضحك ويتبسم وهو يعاتبنى ويبوسنى وأردت أن أسأله عن حاله فانتبهت وأنا مرعوب منه ومن فعاله وقد أبصرت من المنامات ما لا تحصى لها عدد ولا فسرتها على أحد لانى أعلم أن الانسان كلما كبر قل حيله ونشاطه ويزيد وسواسه فقال عروة صدقت يا شيبوب ولكن منام أخوك رؤيته خطرة ويجب عليه أن يحترز منه لأن العقاب اعقاب والطيور الجوارح حروب وجراح الصواب اننا نحترز عليه من هذا الحال ويتولى فى كل ليلة حرسه جماعة من الرجال حتى اننا نبصر على أى شىء ينفصل الحال فقال عنتر والله لا فعلت ذلك أبدا ولا اشمت فى العدا لان الحذر ما يدفع قضاء ولا قدر وقضاء رب السماء نافذ فى جميع البشر فقال عروة يا ابن العم ما أنت إلا صادق فى هذا الكلام ولا يقدر أحد أن يرد ما قضى به من الملك العلام قال الراوى فتسامعت بنى عبس بهذا المنام فاتوا إليه حتى يسألوه عن هذا المرام وبعد ذلك انصرفوا عنه بعد ما أكرمهم غاية الاكرام وصنع لهم الطعام وأكثر لهم من المنام فلما كان بعد ذلك بأيام دخلت عمره عليه وبكت بين يديه لها يا عمرة قلى من بكاكى فلا كان من يشمت فيكى فقالت له يا حامية عبس وعدنان أنا طالب وعدك الجميل والإحسان وأريد منك أن تسير معى إلى بلاد السودان حتى تأخذ بثارى وتكشف عنى عارى وتبرد بذلك ناحى وان كنت يا أبا الفوارس ترى أنك متعلق ببعض الأشغال

وأنت معذور بمثل هذا الحال فاريد أن تأذن لى فى الارتحال ويكون ولدى غصوب فى صحبتى لأنه قد بقى عدتى وبه إن شاء الرب القديم تزول حسرتى وتقدمت إليه وقبلت يديه فلما نظر فعالها ورأى بعد العز إذلالها استحى منها وأراد أن يزيل الضيم عنها وينصرها على أعداها فاشار يقول

| | |
|---|---|
| تأملى فعلتى هل رأيتين مثله | إذا جزعت نفس الجبان من الحرب |
| ضاقت عليه الأرض حتى كأنه | من الخوف مسلوب العزيمة واللب |
| سلى قومى يوم معترك القنا | وطعن رماح الخطى والضرب بالغضب |
| ألم أعطه فى الحرب حتى نصيبه | من السمهرى اللدن والابيض القضب |
| وعرض نقى أبتغى أو أصونه | من الجور والفحشاء والزور والكذب |
| وسوف أبادر نحو أرضك مسرعا | وآخذ لك بالثار من أبحس العرب |
| وأبذل نفسى دونكى يا كريمتى | وأحمى حماكى بالطعان وبالضرب |

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الابيات قال لها ياغمرة وحق من أنبت النبات وأحيى الاموات العالم بما مضى وما هو آت لاسيرن فى أخذ ثارك من السودان وأفنيهم بالصارم اليمانى ثم أنه ساعة الحال زعق على شيبوب وقد ثارت فى رأسه النخوة وقال له ائتينى بعروة قال الراوى فعند ذلك مضى شيبوب وعاد ومعه عروة بن الورد زين الرجال الاجواد فلما دخل عنتر سلم عليه وعلى من حضر وقال له ما حاجتك يافارس البدو والحضر قال له خذ أهبتك للارتحال والسفر ولاتخلى لك شغل يشغل واستعد فيمن معك من البشر والرجال حتى أننا لسير مع الاميرة غمرة إلى ديارها وتلك الاطلال وناخذ لها بالثار من السواد الانذال فلما سمع عروة من عنتر هذا الكلام وفهم هذا الشان قال متى نسير ياحامية عبس وعدنان قال عنتر فى غداه غدان إن شاء الله مكون الاكوان (قال الراوى) وما مضى الليل بسواده حتى ركب عروة ورجاله والملك ومن حوله أعمامه فما أبعدوا عن المضارب إلا وهم معتقلين بالقنا والقواضب وبقوا منتظرين وهم قيام حتى يخرج عنتر من الخيام وكان عنتر ماتعوق تلك المدة إلا لأجل أن يودع بنت عمه عبلة لانه قد دخل عليها وقبلها بين عينيها واستاذنها فى المسير إلى بلاد السودان فبكت لما علمت بذلك لشان وقبلته وأشارت تقول

| | |
|---|---|
| فو الله رب البيت مازلت فى الحشا | ومازلت مخصوص المحبة فى قلبى |
| فثق بى فانى وثقت ولا تكن | على غير ما تخفى عليه من الحب |
| فدعنى فانى قد بقيت وحيدة | فيكفى الذى يجرى على من الكرب |
| وانى قد صافيتك الود فى الهوى | وارعاك ماحييت فى البعد والقرب |
| وأهوى هواى لقياك ياغاية المنى | وانت حبيب القلب والروح واللب |

فلما تمت عبلة شعرها وفرغت من نثرها بكت وأنت واشتكت فجعل عنتر يقبلها بين عينيها ويلثم شفتيها ويمسح دموع عينيها ثم أشار إليها يقول

| | |
|---|---|
| خليلة قلبي لست أملك مهجتي | إذا ما افترقنا غاب عقلي مع الرشد |
| خليلي اني خائف من فراقها | ولا بد لي من عودة نحوها جهدي |
| خليلي أني في هواها متيم | سكن حبها في العظم مني وفي الجلد |
| خليلي عيناها تزدني صبابة | بغنج وصدر أنه النهد والعقد |
| وليس يدوم الورد الناس دائما | لكن بخديها يدوم لنا الوردي |
| فان شئت فالايام تجمع بيننا | وان مت دون القصد قد خانني قصدي |
| عليكي سلامي ياعبلة دائما | سلام محب خائف الهجر والصدى |

فلما فرغ عنتر من أبياته تقدمت عبلة وقبلته بين عينيه فبينما كان على ما هو عليه يقبل عبلة فتقبله ويودعها وتودعه وإذا بشيبوب دخل عليه وصار بين يديه وقال له ويلك يا ابن الأم ما هذه الفعال التي ما فعلها أحد لأن الملك قيس واقفا في انتظارك وأنت وقف تقضي مع حبايبك أوطارك فعند ذلك ودع عبلة وركب جواده فسار بعدما وصى جريرا بذي الخمار وأوصى على عبلة أخاها وأباها فأوصاهم بخدمتها فلا يتوانوا عنها ثم سار حتى وصل إلى الملك قيس قال الراوي هذا وعمارة قد ذاب جسده فعند ذلك شكر عنتر الملك قيس حسن اهتمامه بعد ما ترجل إليه وقبل الأرض تحت أقدامه وقال أيها الملك لاعدمت إحسانك وتفضلك وامتنانك فقال له الملك قيس أيها الفارس التحرير دع عنك هذا الكلام الكثير فعدينا إلى المسير لناخذ للاميرة عمرة بالثار من السودان الأشرار فقال عنتر يا مولاي ما بقي شيء يوجب تعبك وتعب من معك من الفرسان بل تقيموا أنتم لحفظ الأموال والنسوان فقال قيس يا أبا الفوارس إذا كنت تاخرت عن المسير فصحبتك فانا أسير وأعمامي واخوتي الآن في خدمتك فاقسم عنتر عليه وتعالى في الأقسام والإيمان بان لا يسير معه أحد من بني عبس وعدنان غير عروة ورجاله الذين بهم ينكشف الهم والكرب وأخي مازن وأولاي ميسرة وغصوب وسبيع اليمن بن مقرى الوحش الفارس المهذب وغمرة ومن معها من الفرسان وسوف يصل إليكم الخبر يا ملك الزمان بما يتم على ملوك السودان من سبي والسنار (قال الاصمعي) ثم أن عنتر ذلك الوقت تفكر كلام الربيع بن زياد وأخيه عمارة الطنجير الكثير الكياد لما غشي عليه عند قبر أبيه شداد فاشار عند ذلك عنتر إلى الملك قيس وسادات بني عبس الأجواد وهو يعنفهم بما فعلوا في حقه من الكياد فانشد يقول صلوا على طه الرسول

إلا أن انتظارى الأنجم والسعد ... ومالى مقيم لاأعبد ولا أبدى

لقد مل منى مضجعى بإقامتى ... ومل حسامى من مجاورة الغمد

ولج نجيب والحنين تشوقا ... إلى الركب والإيساع والسعى والجد

وأقبل بالتصهال مهر يقول لى ... أدوم كذا لافى طراد ولا فى كد

لقد طال إغماض الجفون على الكرى ... وطول بمر الدهر يجرى ولا يجد

قليل الكرى ماضى على القوم مقدى ... على الليل والبيداء والحر والبرد

عدمت فؤاد إلا أبيت وهمه ... كرام المساعى وارتفاع على المجد

لعمرى فما عبلة إلا همتى وأن دنت ... ولالى بهند من غرام ولا وجد

لكن مجدى بالعلى وصبابتى ... مفارقه تبدى ومكرمه تفد

إلا كم تقاسينى العدا ماوعدتها ... وغيرى رضى بانجازك الوعد بالوعد

فكم أدنب الموت وأسترشح الصفا ... وأنهض اللذات وأعز بالرصد

سأمضى على الأيام عزما بقوتى ... لافر لا يعان الرجال ولا أفد

فان لم أدرك الذى أنا طالبه ... فيا خيبة الداى ويا ضيعة الوعد

وأنى من قوم تبين فضلهم ... من الجد عنوان السيادة فى المهد

فان لم يكن لى ناصراً من بنى أمى ... فعزمى ورمحى يغنيان عن الجد

وأن يدرك العليا همام بقوله ... فاحسبنى يوما لادراكهم وحد

وما أحرقت ناراً من الزند قادحا ... ولو كان يدرى ماأثرها من الزند

وأن أيادى القوم بسطت لهم يد ... وأن عاندنى القوم أنهم جهموا زند

أنا عنتر المعروف فى الحرب واللقا ... أموت وتبقى لى أحاديث من بعد

وأسأل ربى ذو الجلال وذ العلى ... يمكننى يوم الكريهة من ضد

وأقتله بالسيف فأقطع رأسه ... وأتركه يوم الوغا فى الاقامرد

ولابد لى من يوم معاه ، قومه ... عليهم شؤم بالصارم الهند

ومن بعد قتله لا أبالى بموتى ... وأشكر ربا خالق الخلق ذا المجد

أنا عنتر العبسى فى الحرب واللقا ... وربى عطانى العز والنصر والسعد

فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات وذكر مافيها من الاشارات وذم الربيع وعمارة فى معنى الكلام فلا مهم باقبح ملام فخاف قيس من عنتر أن يقتل الربيع وعمارة فتقدم الملك قيس إليه وقبله بين عينيه وقال له ياأبا الفوارس أنت الفارس المنصور والأسد الجسور وعدوك لم يزل مذموم ومقهور ولا تحمل هما على قلبك وأشرح صدرك ولبك لأنك لم تزل منصوراً

وصدك مقبورا وأن الملك قيس مازال يمدح عنتر ويذم من يبغضه حتى ذهب غيظه وعاد إلى المحبة ثم أنه بعد ذلك الكلام سار يقطع البرارى والقفار وخليله عروة إلى جانبه وكذلك أولاده وأقاربه فلم يزالوا سائرين ذلك اليوم حتى أقبل الظلام فنزلوا حتى يأخذوا لهم راحة ثم أنهم باتوا تلك الليلة فى ذلك المقام وعند الصباح عولوا على المسير فعند ذلك تقدم شيبوب إلى أخيه عنتر وقال له يا ابن الام إننا فى سفر تناهذه على غاية الخطر من قلة رجالنا وابعاد نا فى البر الاقفر فلو أنك استنجدت بشيخ العرب دريد بن الصمة ومن عنده من الرجال أصحاب العزيمة والهمة مثل وثار بن روق وخفاف بن ندبة وفرسان هوازن الشداد فاذا فعلت ذلك أنجح لقوزنا الان بلاد السودان أكثر كل الفرسان عددا وأقواها جلدا فى طريقنا مفازة يقال لها أرض المخافة وهى من هنا بعيدة المسافة وأنا أعلم ان سيد تلك الارض يقال له عوار بن دبنا والله يا أخى إنه آفة من الافات وبلية من البليات فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك المقال أخذه الغيظ والانذهال فزعق فى شيبوب وقال له أسكت يا ابن الام من هذا الهذيان فانت تريد أن تخوفنى من جمعة العربان والسودان وأنا وحق الملك الديان لا يشغله شان عن شان لاوربنك يا ابن السوداحربا وطعان تتعوذ منه الانسان والجان فسر أنت قدامنا فى هذه القيعان فلا تكن ذليلا مهان فلما سمعت غمرة كلام شيبوب قالت له ويلك ومن أين لك معرفة بهذه الديار وبملكها عورحتى أنك تصفه بهذه العلامات فقال لها والله يا أميرة ما أحد يعرف تلك البلاد مثلى لان أهلها أهلى فانا وأخى جرير وأمى منها لانى لما كان لى من العمر سبع سنين سبانا رجل من أعدائنا يقال له مشير بن منير فسبانا وأخذ من وقع فى يده من الاولاد والنساء وكان معه جماعة من قطاع الطرقات فسار بنا طالبا بلاد الحجاز وطلب أن يبيعنا وينحز ما ية النجاز فبينما هو سائر بنا فى الطريق إذا قبلت عليه فرسان من بنى جديلة وأبطالها الجليلة وكان معهم اموال جزيلة فطلبت أخذها وقتالهم فقاتلوه وظفروا به وقتلوه وهزموا من كان معه من السودان وفرقوهم فى القيعان وأخذوا السبايا الذى معه من النسوان وأنا وأخى وأمى فى الجملة وساروا بنا إلى أرضهم والحلة فتركونا برسم رعية الاموال فالنوق والحال فاقمنا على ذلك الحال مدة ثلاثة أعوام حتى شن الغارة عليهم الامير شداد فى غيبة فرسانهم والاجناد فساق نوقهم وحالهم فساقنا فى جملة الغنيمة لجرى ما جرى من الامور القديمة وزق شداد من أمى أخى عنتر وظهر الامر واشتهر فكانت أمى لم تزل تحدثنى أن اهلى من ارض المخافة وهم اهلنا وسكان تلك البلاد قومنا فلما سمعت غمرة كلام شيبوب تعجبت من تلك الامور الذى قدرها العزيز الغفور فعند ذلك اقبل عنتر على شيبوب وقال له ويلك يا اخى إذا وصلنا

إلى ديار عرة بلا تكليف وسرنا فى أرض بنى شريف فقطعنا أرض بنى قضاعة وتلك البلدان كم تكون المسافة بيننا وبين بلاد السودان فقال له شيبوب عشرون نهارا فى المقدار إلى أول بلاد غوار بن دينار وهم عشرون مرحلة للفارس المجد بالارتحال وأما على مسيرة الجمال فثلاثون يوما كوامل برواحل وزوامل لاجل قطع الفلوات المقفرة والبراوى المخطرة فقالت غمرة وحق الملك النعمان لقد صدق شيبوب فى هذا المقال هذا وهم سائرون وعنتر قدامهم فتذكر عبلة فانشد وجعل يقول

هيج قلبى جنح بارق الظلم    لما نظرت بعينى برقة العلم
وحنت إلى تلك الرباء جوانحى    همت اشتياق للمعالى والحشم
سقى ربع عبلة وابل هطل    مقذف غيم هاثل السجم
متى يسيح وابل برسمها    ويسقى للابطال منها والل

فلما فرغ من شعره والنظام طربت له الفرسان ومالت غمرة وقالت لله در ك يا أبا الفوارس وكان شيبوب قد أشار عليهم أن يكثروا من النجيب والمهاره لقطع ما بين أيديهم من المفاوز والبراوى فامتثلوا أمره وأجابوه إلى قوله وأصحبوا نجيبا كثيرة ومهارة غزيرة وأخذوا ما قدروا عليه من الزاد وشىء من القرب على ظهور الخيل وسار بهم شيبوب على طريق يعرفها معرفة خبير فكانت أقرب الطرقات عليهم فى المسير هذا وغمرة متعجبة من معرفة شيبوب بتلك الفلاوات فقالت يا شيبوب وحق صاحب القدرة لقد شاب رأسى من هذه الارض وكيف أنت سلكت البقاع مع أنى هذه الساعة لا أعلم أين أنا وكيف سلكت هذه الطريق بنا فقال شيبوب سيروا خلفى وانظروا العجب بلا عناد وأبشروا ببلوغ المراد لاننا زال عنا الهم والانقباض ومن هاهنا ننزل على أرض الرياض والماء الفياض والعيون والغدران وبعدها أقطع بكم برية السبروت التى ما فيها منهل ولا قوت فقال عروة وحق الملك الفتاح قد قطعت ظهرى يا أبا رياح لانى خائف من هذه الارض والبطاح فلا زلت بشير الافراح فى المساء والصباح ثم صار بهم شيبوب يومين وفى اليوم الثالث أشرف بهم على أرض الرياض والماء الفياض فوجدوا تلك الارض تحير فيها الاعين وتعجز عن وصفها الالسن وذلك من كثرة رياضها وحسن غدرانها وكثرة زهرها وبهتر انها هذا الربيع قد ضرب حدائقه ومد على الارض سرادقه وكسى الشجر من أوراق حدائقه والماء يجرى غدرانه وشىء كثير من الطيور من جوارح وسقور فتعجب عنتر من حسن تلك الارض وسبح خالق الخلق ثم أنه نظر فى ذلك المكان ونزل فيه بالمكان وعروة يدعو لشيبوب بكل شفة ولسان وأقاموا الراحة ثلاثة أيام ولما

كان اليوم الرابع ركبوا على ظهور المهارة وأراحوا الخيل بعدما تزودوا بالماء الزلال أخذوا في السير وقطع التلال ومازالوا يقطعون القفار والبطاح إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلى على زين الملاح كانوا قد تركوا خلفهم المفاوز والبطاح ثم جدوا السير فى تلك الساحة حتى قاربوا أرض بنى قضاعة ثم أنهم تشاوروا فيما يفعلون فقال لهم شيبوب الصواب انكم تنزلون فى بعض الاماكن تكمنون حتى أسير أنا إلى ديار الأعدا وابصر من أين ينزل عليهم الأذى قال له عنتر افعل ما بدا لك نجح الله أفعالك فعند ذلك سار شيبوب وهو مثل ريح الهبوب حتى أشرف على ديار بنى شريف آخر النهار عند الغروب فمر على المراعى مثل الثعبان واختلط بالرعيان ودنى منهم وسلم عليهم فردوا عليه تحيته وسلامه وقد تعجبوا من فصاحته وعذوبة كلامه قال الراوى وكانت هذه العبيد والأموال الذى سدت الأرض والبيد للملك سويد بن عويد الذى تملك ديار شريف وتلك ديار عمرة بالصيف وكان فارس شديد وبطل صنديد وجبار عنيد سفاك للدماء كثير الشر قليل الحياء وكان حوله عشرة آلاف بيت من السودان وقد تفرقوا على الأمياه والغدران قال الراوى وكان إذا ركب يركب لركوبه ثلاثين الف عنان وكان استنجد على عمرة بفارس مجهول أسد مهول يقال له وجه الغول وهو سيف دولة الملك عوار بن دينار فارس للسودان وتلك الاقطار هذا ولما أن نظروا العبيد إلى شيبوب تعجبوا من زيه وأقدامه ونظروا اليه بعدرد سلامه قالوا أيها الرجل الذى أتى لحينا ما اسمك أخبرنا بحالك فقال شيبوب اسمى مخادع ابن المحتال فقالوا له يامخادع سوق معنا الأموال والنوق والجمال فقال حبا وكرامة قال الراوى ولم يزل شيبوب على ذلك الحال حتى نامت النساء والرجال وقام على إلى أن وصل إلى أخيه عنتر فارس الزمان فلما رآه عنتر فرح به واستبشر وهناه بالسلامة من الخطر وقال له هات ياأبا رياح ما معك من الخبر فقال شيبوب اعلم يابن الأم أن القوم آمنين من نوايب الزمان طوارق الحدثان غير أن القوم فى جمع كثير عسكر كبير فقال له عنتر ويلك يابن الملعونة سير بين أيدينا حتى أنى أوريك ما أصنع بهم فوحق من له البقاء والدوام لا مكن فى بنى حام ولاحرمتهم لذيذ المنام فقال له شيبوب يابن الام ان كان فى نفسك أن تغار على القوم فاجعل سيرنا عند المساء ونسير طول الليل ونجد فى المسير على ظهور الخيل فنكون أول النهار قد أشرفنا على المال نسوق ما نقدر عليه من النوق والجمال مع أول النهار إذا أتبعتكم الخيل أفعل ذلك الوقت ما تحب وتختار قال فلما سمع عنتر

من شيبوب كلامه أبدى ضحكه وابتسامه قال وحق علام الغيوب لقد أسرت فى هذا الرأى ياشيبوب ثم أنهم صبروا إلى أن أقبل الليل عليهم الظلام ركبوا خيولهم وطلبوا البر والاكام حتى أشرفوا على ديار القوم عندما ولى الظلام صبروا إلى أن أشرفت الشمس على الاطلال و تعالت على رؤوس الجبال وخرج سرح القوم من النوق والجمال فهجم عنتر عليهم فى خمسة رجال وزعق على العبيد وبلكم ياأندال سوقوا بين أيدينا هذا النوق وإلا فعلت بكم مثل هذا الفعال ثم أنه ضرب الأول على رأسه بالسيف شقه إلى حد لباسه طعن الثانى فى صدره بدد أمعاه وأخرج شحم كلاه فعندما صاحت العبيد والرعيان الأمان الأمان يافارس الزمان هذا وقد خرست من صورته الألسن ثم بعد ذلك أخذ عنتر المال وفاز بالنوق والجمال وسار بأمان إلى أن قارب من له من الاخوان إذا قد ثار وسد الأودية والقفار وأقبلت أبطال السودان كانهم مردة الجان قال الراوى وكان السبب فى قدوم هؤلاء الفرسان والأبطال والشجعان من العبيد والرعيان الذين انهزموا من قدام عنتر الريبال فانهم لما وصلوا إلى الديار فتبادرت اليهم الأبطال والفرسان قالوا لهم ماحالكم ما الذى جرى لكم فقالوا أخذت الأموال والساقت النوق والجمال وظهرت علينا الفرسان من نحو مراتع الظبا ومنية الغزال فلما سمعوا الفرسان كلام الرعيان زادت الضجات وانقلب الحى من سائر الجنبات ووصل الخبر إلى الملك سويد بن عويد فأمر باحضار الرعيان والعبيد فلما أن حضروا وقبلوا الأرض بين يديه قال لهم ياويلكم اخبرونى من دهاكم من بشر وما كم فاخبروه بحلية الحال على التمام والكمال فقامت عليه القيامة أكل كفيه من شدة الغيظ والندامة قال لهم ياويلكم ياأندال فى كم كانوا هؤلاء من الرجال التى فعلوا بكم هذا الفعال فقالوا له حياتك أيها الملك الريبال ماراينا أكثر من خمس رجال كانهم أسود الدخان فى أوائلهم فارس أسود بطل أمجد وهو يهدر كانه الأسد له ضربات تهد الجبال وصرخات تزلزل التلال وطعنات تقصر الأعمار الطوال قال الراوى فلما سمع الملك سويد منهم ذلك المقال أخذته الحيرة والانذهال فصاح فيمن حوله من السودان وأبطال النوبة والحبشان قال لهم الخيل ياأرباب الخيل يابنى عمى قد دهمنا الحرب والويل فلم تكن أكثر من ساعة حتى صار حوله خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس لما صاروا قدام الملك قالوا له ما بالك أيها الملك فقال لهم ياسادات بنى حام الرعيان أخبرونى أن المال والنوق والجمال ساقته خمسة رجال صناديد أبطال ولم يقبل عقلى هذا المقال على أن خمسة

رجال تهجم على ملك مثلى فى دياره والاطلال أريدكم أن تركبوا خيولكم من وقتكم وساعتكم وتأتونى بهم أسارى أذلاء حيارى حتى أكشف خبرهم وأعرف أمرهم وأنظرهم من أى الديار وأعود إلى قومهم ما أدع منهم ديار ولا نافخ نار فقالت له الأمراء والمقدمين سمعا وألف طاعة فها نحن سائرين فى هذه الساعة فمن تأمره منا أن يسير إليهم يأتيك بهم فقال أريد أن أقدم عليكم ابن عمى ميمون بن رحمون وكان هذا ميمون فارس خطير وبطل نحرير ماله فى الشجاعة نظير وكان فارس عظيم حامى ذلك الاقليم فادعى به الملك سويد فلم تمكن إلا صار حتى صار بين يديه وضم اليه تلك الخمسة آلاف خيال وأمره برد السائقة والمال ولا يعود إلا بقضاء الأشغال والأسارى قدامه تنقاد فى الحبال فامتثل أمره بالسمع والطاعة وركب وسار فى تلك الساعة وتجارت من خلفه أبطال السودان وفراعنة الحبشان وخيلهم كأنها أشعل النار وهم يقتفون من بنى عبس وعنتر الآثار حتى أدركوهم كما ذكرنا وأشرفوا عليهم كما نعتنا وأبصر عنتر غبارهم فوقف والوى عنان جواده الأبجر وصار يحدق إلى ذلك الغبار حتى انكشف وظهر للابصار وضربته تلك الرياح فانجلا وتمزق وبطبقات الجو تعلق وبان من تحته أبطال السودان وهم ينادون عن فرد لسان وصياحهم أقلب القيعان ياماخوذين أين تنجون وبمن تحتمون وقد حل بكم ريب المنون هاقد أدرككم الأمير ميمون بن رحمون الملقب فى الحرب المجنون فعندها أقبل عنتر على عروه بن الورد وأولاده ميسرة وغصوب وعمرة أن يقفوا وراء ظهره ولا ينقلوا من أماكنهم قال الراوى أما الأمير ميمون فلما وقعت عينه على الأمير عنتر ومعه أربع رجال فقال لمن معه من الأبطال يابنى عمى وأذلنا وامصيبتاه فوحق فترة السودان وبيت النيران لقدر كبنا العار وبلينا بالذل والشنار بين ملوك الاقطار بمسيرنا بهذا العسكر الجراره وخمسة آلاف خيال إلى قتال خمسة رجال وبعد أن حملنا عليهم ركبنا العار والذل والشنار فقال له وجوه قومه دع عنك هذا المقال وكثرة القيل والقال فدونكم وأياهم أخذوهم أسارى ثم أنهم صاحوا عليهم وطمعوا فيهم لقلتهم وصاحوا فى حملتهم وطلبوهم مثل الجبال الرواسى وحاربوهم ونظر عنتر إلى حملة السودان وبنى حام فوكل فارسين بالمال وحمل على تلك السودان بولده ميسرة وعصوب حملت الثلاثة عليهم حملة منكرة فى دون ساعة ثارت الغبرة وبقت الأرض ضيقة منحصرة وأكثر عنتر وأولاده من الهمهمة والزمجرة وعادت الاقطار

من كثرة الغبار مكدرة والسودان على الحياة محسرة فلله در غصوب وأخيه ميسرة فانهم تركوا الجماجم منتشرة وقلبوا الميمنة على الميسرة وأما عنتر فانه الفتى القصور وليثها الغضنفر نشر الرؤس كانها الاكر وابرا الكفوف كاوراق الشجر فرق مواكب السودان وأبلاهم بالذله والهوان وبلبل سائر العقول وهو كانه الأكول وهو يقاتل ولسانه بالشعر قائل

| | |
|---|---|
| ما يطفى اليوم نيران ولا حرقى | الا اختلاف القنا والطعن فى الحدق |
| ولا يزيل همومى غــــير معركة | يسيل فيها الدما كالهاطل الدفق |
| أن لم أخل الدما بالقوم سائلة | على الاراضى فلا أرى الندا رمق |
| ويرمى الفوارس بالعضب المتين كما | ترمى الفوارس وهنا يابس الورق |
| وأترك الخيل فى الاقطار شاردة | تدوس فى جيف القتلى على العنق |
| تغدو خفافا خلت منها فوارسها | عبسا متغيرة ألوان بالعرق |
| فبادروا وانظروا طعنا تشيب له | سود المفارق من خوف ومن قلق |

قال الأصمعى ولما فرغ عنتر من الابيات جمل حملة الأسد الوثوب وأدار راحات الحروب وأنزل بالسودان البلاد والكروب كذلك أولاد ميسرة وغصوب فانهم تركوا الدماء كالسيل المسكوب ولازال القوم على مثل ذلك القتال والحرب والنزال والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسيف يعمل إلى أن وقفت الشمس فى قبة الفلك وأشرفت السودان على الهلاك وفى تلك الساعة التقا غصوب بالامير ميمون بن رحمون وهو يصيح فى رجاله وينخى أبطاله فجال غصوب عليه وسال وأخذ معاناه الحرب والقتال ولازال غصوب يقاتله حتى أتعبه وأكربه ومد له باعه وقبض على أحداقه تناوله من جلباب درعه وزيافه نادى يا عبس يا عدنان أنا غصوب فارس الزمان ثم أنه خطفه من سرجه خطفة الأسد القسور والقرم الجسور فصار فى يده مثل العصفور فرماه فادركه شيبوب وشده كتاف وقوى منه السواعدو الاطراف هذا وعنتر هجم على الاعلام ميلها والرايات فنثرها والرجاله بحسامه هبرها ونظرت السودان إلى عين البلاء والدمار وقد لعب فيهم السيف البتار فقاتلوا إلى اخر النهار ولما أقبل الظلام بالاعتكار ولوا رؤس خيلهم وطلبوا الفرار وتفرقوا فى البرارى والقفار ولم يزالوا فى هزيمتهم وهم يقطعون الفدافد والجلاميد حتى دخلوا على الملك سويد بن عويد وجعلوا يبكون ويحكون له ما لقيوا من الأهوال والشدايد وعدوا له من قتل من الشجعان والامراء والاعيان حتى قامت على الملك سويد القيامة أكل كفيه ندامة فقال المقدمون ياملك لاتلومنا على ما أصابنا واسأل بقية أصحابنا فاننا لقينا فوارس من مردة الجان

قال الأصمعي أن سويد افتقد أصحابه فرآهم قد فقد منهم ألف وخمسمائة فارس والجرحى مثل ذلك فصاح من شدة الغيظ والحرد ياويلكم كم كان عدد الجيش الذى التقاكم وفعل بكم هذه الفعال فقالوا له ياملك الزمان مالقينا أكثر من خمسة رجال هى التى أبادت الفرسان فقال سويد ويلكم ياأندال العرب خمسة رجال تلق جيشا فيه خمسة آلاف خيال كلها شجعان وأبطال من جبابرة بنى حام السودان ويقتلون ألف وخمسمائة إنسان فقالوا له ياملك الزمان وحياتك مالقينا أكثر من ثلاثة من تلك الأبطال والاثنين تحلفوا إلى سياقة المال والحمد لله رب البشر الذى ماحمل علينا الاثنان الآخران ولو أنهما حملا وقاتلا ما أبقوا منا أحد ولا وصل إليك أحمر ولا أسود فقال لهم ياويلكم والأمير ميمون بن رحمون مافعل فى الحرب والطعان قالوا له ياملك الزمان ميمون أسره فارس لا كالفرسان شجاع ثابت فى الجنان ماله نظير فى هذا الزمان قال فلما سمع الملك ذلك الكلام صارت عينه كالجمر إذا توقد وزاد به الغيظ والحرد وأمر عبيده أن تنادى فى الأحياء والعشائر باجتماع الأبطال والعساكر فلم تكن إلا ساعة حتى أقبلت الفرسان وأسرعت الأقران وهم ينادون لبيك ياملك الزمان فنظر سويد بن عويد لاجابة الفرسان ففرح واستدعى بابن عم يقال له صاعقة بن علقم بن مران الأصم وكان فارسا عظيما وشجاعا جسيما فلما صار فى حضرة الملك قبل الأرض وقال نعم ياملك الزمان وبطل العصر والأوان فقال له يا ابن العم أريدك أن تركب بهذا الجيش والحق هؤلاء الأندال الذين فعلوا بأصحابنا هذه الفعال واخرقوا حشمتى ولا احتشوا من سطوتى وهجموا على بلادى ولا تعود إلا بهم فى الحبال أسارى فى ايشم الأحوال لأنى أقسمت بشجرة ذات الأنوار بأنى أعذبهم أشد العذاب فعند ذلك قال صاعقة سمعا وطاعة ياابن العم هاأنا سائر إليهم فى هذه الساعة ثم أنه ركب وصاح بالجماعة وقال الخيل يا أرباب الخيل اتبعونى ياأرباب القوة والحيل وكان صاعقة بن علقم جبار لايصطلى له بنار كبير الرأس هائل الجثة طويل القامة واسع الصدر هائل الأكتاف عريض الأطراف وكان من من الخطاطة من أهل القوة والنشاطة لاتحمله إلا الخيل الحربية وكان إذا ركب الجواد العالى مس الأرض بقدميه وحرثها بإبهاميه وكان وحش الخلقة مزعج الصورة جوهرى الصوت واسع المنخر وكان من شدة حيله إذا وضع كفه على صنم الجمل المتعافى وأمر العبيد أن تلزعه بالأسنة لايقدر الجمل أن يثور من تحت يده وإذا جذب زنبه قلعه من صلبه قال وكان سيف الملك سويد بن عويد وعمدته فى شدته فلما كان ذلك اليوم ركب فى ذاك العسكر وأراد أن يسير إلى قتال عنتر فاقبل على الملك

سويد فى الكلام وقال له أيها الملك الهمام فى كم فارس تريد أركب وأسير إلى قتال أعداك وأجرعهم كاس الهلاك فقال سويد يا ملك الزمان أريدك أن تسيرإليهم فى عشرة آلاف عنان وتأتينى بهم فى حبال الذل والهوان من غير مهلة ولا توان حتى أقتلهم بيدى وأشفى منهم غليل كبدى فقال صاعة يا ملك الزمان ما مقدار هؤلاء الشجعان الذين فعلوا هذه الفعال وقتلوا جيشك والأبطال فقال سويد أيها الفارس الرئبال أخبرنى بعض بنى عمى الأبطال أنهم لم يكونوا أكثر من خمسة رجال فلما سمع صاعقة من سويد هذا الكلام انقلب الضياء فى عينيه ظلام وقال أيها الملك الكريم الجد ما الذى حط قدرى عندك إلى هذا الحد حتى أنك فى عشرة آلاف خيال ترسلنى إلى خمسة رجال وتجعلنى معيرة فى بنى حام الكبار منهم والصغار فوحق فتوة الحبشان أنى لا أسير إليهم فى أكثر من خمس فرسان فقال له سويد ويلك يا ابن العم دع عنك هذا المقال فإن هؤلاء جبابرة وأبطال وأخاف أن تقتل أنت وتهلك الرجال وأنا أقول أن الأعداء هربوا ولا بد لك أن تتبع آثارهم وتقتفى أخبارهم ولا تعود إلا بنسوانهم وأولادهم وتخلص ابن عمك ميمون بن رضوان وتكسب المال أنت ومن معك من الأبطال (قال الراوى) فامتثل أمر الملك بالسمع والطاعة ورحل بالعساكر من تلك الساعة وكان جملتهم عشرة آلاف عنان من أبطال السودان وفراعنة الحبشان هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر الفرسان غمرة وبنى قطاعة الأقران فإنهم نزلوا فى ذلك المكان بعد ما كسروا الحبشة والسودان وأكلوا ما راج الطعام وعند ما راق الظلام أخذوا فى الحادثة والكلام فقال عنتر لشيبوب وغمرة وغصوب قد رأيت من الرأى الصواب أننا نتبع هؤلاء المنهزمين إلى ديارهم ونضع فيهم السيف والسنان ونهلك منهم الكبار والصغار ونرد لغمرة بلادها فقال شيبوب وحق رافع السبع الشداد أن هذا بئس الرأى يا ابن شداد فقال له عنتر فكيف ذلك يا ابن الأوغاد أتريد أن تقعدنا عن قتال الأعداء وتبعدنا فقال شيبوب لا يا ابن الأم أنا وصلت إلى ديار الأعداء ودرت فيها وحررت جنباتها ونواحيها فرأيت فى الأحياء عالما عظيما وهم مثل الليل البهيم ونحن كلنا ثلثمائة فارس فيثوروا إلينا مثل فراخ الجان ويقصدونا من كل جانب ومكان ويكثر علينا العدد ويأتينا منهم كل أبيض وأسود ولا نبلغ آمالنا ولا نشفى أمراضنا فقال عنتر هات ما عندك وقل لنا كيف التدبير وسر علينا مشورة العارف الخبير فقال شيبوب اعلم يا أخى أن الذين انهزموا من بين أيديكم لا بد أن يصلوا إلى ديارهم والاطلال وينفروا عليكم السودان ويدخلوا على الملك سويد ويعلموه بما لقوا من الاهوال والشدائد ويعددوا له من قتل من

الرجال والابطال وأنا أعلم أنه يغضب إذا علم بحقيقة الحال ويرسل إلينا العساكر والفوارس وأقل مايرسل لنا خمسة عشر ألف فارس من كل مدرع ولابس فلاقوهم أنتم بعشرة فوارس من أبطال بنى عبس وبنى قضاعة القناعس وأكثروا فيهم من القتل وسفك الدماء والقوا هيبتكم فى قلوب الاعداء وشتتوهم فى البر والقفر فيعودوا للملك سويد ابن عويد ويخبروه بماتم عليه من ذلك الحال فيجهز جيشا ثانيا من الابطال أقل مايرسل إليكم عشرين ألفا من الابطال والشجعان الصناديد فاطرحوهم أنتم على الصعيد وفرقوهم فى فلوات القفر والبيد فيصل الخبر للملك ومن هلك من قومه وأبطاله فيحرد ويغضب ثم يركب فى سوداته وسائر من كان عنده من عساكره وأعوانه ويكون القوم ذاقوا حربكم وطعنكم وضربكم فاذا وصلوا إليكم وقدموا عليكم فلاقوهم كلكم أنتم وأصحابكم واذكروا أحسابكم وأنسابكم وضعوا فيهم السيف القاطع والرمح اللامع ولا تبقوا منهم لاناطق ولاسامع وإن وقعت أنت بالملك سويد وهو فى قلب عسكره فلابد لك تقتله أوتأسره فاذا قتلته تيسر الامر وهان عليكم البلاء والشر لان رجاله ودولته وأبطاله إذا رأوه مقتولا على وجه الارض ممدودا ينكسرون ويولون الادبار ويركنوا إلى الهرب والفرار فى تلك الساعة تتبعون المنهزمين إلى منازلهم والحلل وتملكوا الارض سهلا وجبل وتقتلون وتأسرون لمن تبقى من السودان فيكون قد تيسر الامر وهان لقد أشرت ياابن الام وماقصرت ثم أنهم بنوا أمرهم فى ذلك المقال وأقاموا ذلك اليوم وتلك الليلة وثانى يوم إلى أن تضاحى النهار وطلع عليهم من صدر البر غبار وعلا حتى ملأ الاقطار وفى دون ساعة زالت الغبرة وانكشفت القترة وبان من تحتها بريق الزرد ولمع كأنهم أفراخ الجان وهم ينادون بلسان بالاموة السودان إلى أين تنجو ياأذلوابن ياماخوذين ومن تحتمون أظننتم أنكم تنهبون أموالنا وتقتلون رجالنا وتخلصون من أرضنا وأطلالنا ثم أنهم أطلقوا على عنتر وبنى عبس الاعنة وقوموا إليه الاسنة وقد علت منهم الضجة والرنة قال فلما نظر عنتر إلى قدوم السودان وكثرة أبطالهم والشجعان خرج إلى لقائهم كما قال شيبوب بعشرة فرسان وقدامهم ميسرة وغمرة وغصوب فلما نظر صاعقة قال لهم ويحكم يابنى الاعمام كما قال الملك وسويد أنهم خمسة رجال وهؤلاء أراهم عشرة ابطال فربما أن يكونوا ماهم أعداؤنا وربما أعداؤنا وطلبوا لانفسهم النجاة خوفا من موت الفجاءة فقال لهم رجل منهم ممن شاهد قتال

وعنتر وهرب لما انكسرت العسكر وكان يقال سارق بن لاحق أيها الأمير وحق القديم الخالق إن هؤلاء الأبطال هم الذين ساقوا المال وهلكوا الرجال لأننى عرفتهم حق المعرفة وشاهدتهم فى الحرب والصفة فلا تهملوا أمرهم قبل أن يصل إليكم شرهم فلما سمعت السودان منه ذلك الكلام مامنهم إلا من صدقه فى هذا الكلام فقال صاعقة إذا كان الأمر كذلك وهؤلاء هم الأعداء فدونكم وإياهم عجلوا على هلاكهم وهناهم وانطبقوا عليهم بالقوة والحيل وخذوهم غوارس من صعاليك العرب وتلبس العار العظم بهذا الفعل الذميم فقال صاعقة احملوا عليهم فى ألف فارس كأنهم الجن الأبالس وهجموا على بنى عبس وعدنان فنظر عنتر إلى حالتهم فأمر أولاده ميسرة وغصوبا وأخاه مازناً أن يلتقوهم فى الميدان فتلقوهم الثلاثة وحملوا عليهم حملة منكرة بقلوب مثل قطع الصخر صابرة وطلعت على الجميع الغبرة وعادت الأرض وأقطارها ضيقة منحسرة ولم يطل القتال بينهم أكثر من ساعتين من النهار حتى انكشف الغبار وقد قتل من السودان مائتان بطل وجرح مثلهم وعادوا على أعقابهم هاربين وللنجاة طالبين فنظر صاعقة إلى حالهم وما تم على رجالهم فقال من غيظه ياويلكم ياأندال هذا جرى لكم من عشرة رجال الصعابة تلتقى كل من معنا من الرجال ثم أنه صاح فيمن كان معه من السودان دونكم والميدان والحرب والطعان فعندها حملت العشرة آلاف فرد عنان وانطبقت على بنى عبس الأقران وطلبتهم من كل جانب ومكان والتقت الفرسان بالفرسان وبان الشجعان من الجبن والناعس من اليقظان لكن أين الثريا من الثرى وأين المدن من القرى قال الراوى فلما نظر صاعقة إلى قتال عنتر وأبصر مافتك فى فى رجاله وقتل جماعة من أبطاله خاف على جيشه من الانفلال وعلى عزمة من الانحلال فرد أصحابه إلى وراء وعزم على قتال عنتر ولقاه ثم أنه صاح فى قومه ويلكم ياأندال حتى أخرج أنا إلى هؤلاء الأندال وأريكم حقيقة الحرب والقتال ثم أنه طلب المجال وحمل على حملة شجاع مدل بنفسه متكبر على أبناء جنسه وجال بجواده وصال ولعب فى أربعة أركان المجال وطلب الحرب والقتال فلم يتم كلامه حتى صار عنتر قدامه وحمل عليه حملة منكرة وطلعت على الاثنين الغبرة وكانت لهم وقعة أذهلت من الشجاع بصرة لكن عنتر جبار ثقيل العيار من الفرسان الكبار لا يصطلاله بنار فطال على خصمه واستطال وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه وضربه بالبتار ضربة رجل جبار لاقا النوائب والأخطار أطاح روحه من يديه كتفيه فوقع من على الجواد مثل

البرج المشيد بما عليه من الحديد والزرد فوقع قتيل وفى دمه جديل فلما نظرت السودان إلى أميرهم قتيلا صرخت ولاعبت خيلها وأرسلت وحملت على عنتر وبنى عبس الأخيار وهى تنادى الثأر الثأر بالكشف العار فتلقاهم عنتر بصدر جواده الأبجر وألوى عليهم وفاجأهم وكسر شدتهم وتبعته الفرسان من بنى عبس وعدنان والتق بعضهم بعض وحام عقاب المنايا وانقض وصار الدم ينقض فامتلأ بقتلاهم وجه الأرض وكل فارس منهم لكفه عض وتضاربوا بالسيوف الضرب الوجيع وكان يوم على السودان يوم شنيع وصبرت السودان قدام عنتر وبنى عبس على الضر والأسى فما أمسى المسا إلا وهم يتعللون بعل وعسى وعند إقبال وإدبار النهار ردوا رؤس خيلهم وتفرقوا فى سائر النواحى والأقطار وقد بلوا بقصر الأعمار قال الراوى فلا زالوا يقاسوا الويل والشدائد حتى وصلوا إلى الملك سويد بن عويد فلما دخلوا بين يديه دعوا بالويل والثبور فقال لهم الملك سويد أخبرونى ماالذى جرى عليكم وأى شىء الذى ترك هذا الحال حالكم فقالوا أيها الملك الريبال حالنا يغنى عن السؤال كسرونا الأعداء وشتتونا فى جنبات البيداء فقال سويد وقد كاد قلبه أن ينفطر ياويلكم ماعرفتم القوم والفرسان من أى قبيلة كانوا من قبائل العربان فقالوا بلى ياملك الزمان سمعناهم ينادوا ياقضاعة الشجعان ياعبس ياعدنان وفى أوائلهم فارس من الفرسان كأنه عون من أعوان الجان وهو ينادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد فهو الذى كسرنا فى الحرب والجلاد وأباد الأبطال والأجلاد قال الأصمعى فلما سمع الملك سويد كلامهم قال صدقتم فيما نطقتم وأنا أظن أن غمرة ابنة الشيطان لما ملكنا ديارها والأوطان هربت بمن معها من الفرسان التجأت إلى بنى عبس وعدنان فاتتنا منهم بالأبطال والشجعان تريد خلاص دارها وأخذ ثأرها لكن ابن عمك صاعقة أى شىء كان منه وما الذى فعل فقالوا له وحياتك ياملك الزمان أن ابن عمك صاعقة نزلت عليه صاعقة ماحقة فصارت روحه من جسده مفارقة فضربه عنتر ضربة صادقة بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فلما سمع سويد ذلك الخبر احمرت عينيه حتى بقت كالشرر وصبر حتى وصل آخر العسكر فافتقد المنهزمين فوجد الذى فقد منهم ألفا ومائتين فزاد به الغيظ والنكد وكاد أن يقع من شدة الحر فقال ياويلكم هذا ماهو شغل عشرة ولا عشرين ولا ألف ولا ألفين فقالوا له وحياتك أيها المداعس ماقاتلنا أكثر من عشرة فوارس لكن أبطال قناعس قلوبها كأنها قطع صوان فقال سويد

ياويلكم قد أخبرونا رجال ميمون أنهم خمسة فوارس وأنتم تقولون أنهم عشرة أبالس وأن لم أتجرد أنا لقتال هؤلاء الانذال وإلا أخذوا منا هذه الأرض والديار وربما وصل الخبر إلى الملك عوار بن دينار فتنحط مرتبتنا عند أهل هذه الديار (قال الراوى) ثم أنه أمر عبيده أن ينادوا ويطرحوا الصوت فى العشائر فيامروهم باجتماع العساكر ففعلت العبيد مثل ما أمروا ألقت النفير فى أحياء السودان فما صار الوقت آخر النهار حتى أقبلت العساكر كانها البحر الزاخار وهم على الخيل الضوامر بالدروع والمغافر وكان عدتهم ماينوف عن مائة الف فارس مابين مدورع ولابس هذا وقد خرج الملك سويد من باب السرادق فأبصر تلك الخلائق الذى ملات المغارب والمشارق فصاح على عبيده يا ويلكم أئتونى بجوادى طارق وكان أسود مثل الظلام الغاسق فركبه باجتهاد ودارت من حوله أبطاله والاجناد وأخذت السودان فى أهبة الحرب والقتال والطعن والنزال وعول الملك سويد على الركوب والسفر لقتال أبا الفوارس عنتر وإذا بغبار قد نما وعلا وثار حتى ملا الروابى والأقطار ساعة وانكشف عن أبطال مثل الاسود الكواسر فتأهبت لقدومه جميع العسكر وعلت الضجة وزادت الرهجه فسال الملك عله الخبر أى شىء هذا الجيش والعسكر فقالوا له أيها الملك الشجاع هذا ابن عمك منيع بن مناع ليث الحرب والقراع الذى لا يفزع من الموت ولا يرتاع قال الراوى فلما سمع الملك سويد بقدوم الامير فرح واستبشر وخرج إلى لقاه بوجوه العسكر فلم يكن إلا القليل حتى وقعت العين على العين فترحل الأمير منيع من جواده وسعى لنحو الملك سويد وقبل فى الركاب قدميه وقبل سويد رأس منيع وضمة إلى صدره وزادفى حده وشكره وأمره بالعودة إلى ظهر جواده وقربه من دون عساكره وأجناده وأقبل عليه بالكلام وقال له أيها الفارس الهمام لعل يكون بلغك مانحن فيه من الهم والاهتمام ومقاساة البلا الذى لايرام فقال له الأمير منيع ماهذه الجموع والعسكر والانزعاج فقال سويد اعلم يا ابن العم أنه قد ظهرت خيل من ناحية ثنية الغزال وهذه البلاد ومعهم فارس الحجاز عنتر بن شداد وساقوا أموالى وقتلوا رجالى فارسلت لهم عسكر مع ابن عمك الامير ميمون كسروه وابن عمك أسروه فجهزت عسكر ثانى مع الأمير صاعقة فقتله عنتر ودمر من كان معه من العسكر وغمرة بنت الشيطان هى التى جابت عنتر إلى هذه الأوطان وها أنا جهزت هذه العسكر والأجناد وكنت سائر إلى قتال هؤلاء الاوغاد فلما سمع الأمير منيع

ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له ماهذا الكلام ياملك الزمان مثلك متى يسير إلى هؤلاء الانذال دعنى أنا ألقاهم أبيد أقصاهم وأدناهم ثم أنه انتخب من تلك العساكر عشرة آلاف فارس أقران كانهما أرهاط الجان فسار فى المقدمة وقد تظاهر فى القوة والشجاعة وعزم على مقابلة عنتر وصار الملك سويد يجهز بقية العساكر والأبطال فهذا ما كان من هؤلاء الشجعان وأما ما كان من أمر الامير عنتر فارس عبس وعدنان ومن كان معه من الرجال الشجعان فانهم بعد قتل صاعقة جمعوا الغنائم والأموال ونزلوا فى ذلك المكان فاخذوا الراحة مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك أقبل عنتر على غمرة بالكلام وقال لها يا غمرة أنت صاحبة هذه الأرض والأمصار والملك سويد بن عويد لما أن وصل إلى أرضكم وهذه الاطلال ملك هذه الديار وكم كانت عساكره والأبطال فقالت غمرة كان يركب فى خمسة عشر الف خيال من فراعنة السودان والأبطال وأما إذا جمع عساكره يركب فى ثلاثين الف فارس من كل مدرع ولابس من غير التبع والرجال فقال عنتر ويلك يابنت العم تهربى من ثلاثين الف بقومك وتتركى لهذا الشيطان بلادك فقالت غمرة ياأبا الفوارس إن أبى لما مات وشرب كاس الممات وجرد ولدى غصوب ومضى طالب البيت الحرام فمن شدة غيظى وغضبى مرضت مرض واعترانى السقام فسرت لا أقدر على القعود ولا القيام وكان فارس جبار وكان بينه وبين أبى عداوة عظيمة وصار يكثر على الغزوات ويجمع فرسان الحبشة من سائر الفلوات وكنت قبل ذلك أغزو بلاده وأقتل عساكره وأجناده فكان فى قلبه منى أمر عظيم فما صدق حتى سمع بموت والدى ومرضى حتى ركب على وكان قد استنجد علينا بملك جبار من ملوك الحبشة الاشرار يقال له غوار بن دينار فانجده بعسكر عدتها خمسين الف عنان من جبابرة السودان وقدم عليهم حامية أرضه والمقدم على عساكره وأجناده وهو فارس بهلول يقال له وجه الغول بن أبو القرون وكان اسمه الاول كردم بن طمطم كنيته وجه الغول لكن لكثرة ماعمر لقبوه بابو القرون لان كل مائة عام قرن وأن سويد بن عويد لما أتت إليه نجدة الملك غوار بن دينار فكبس أرضى وبلادى فاخذ نوقى وجمالى فما كان لى إلا أن جيت على وجهى فى البرارى والاكام حتى رمتنى القدرة إلى بيت الله الحرام فابصرتكم فى تلك الحروب وتعليق القصايد وأسرت أنت ولدى غصوب فتعجبت من تلك الاحكام فقلت فى بالى الحمد لله الذى زال ضعفى واجتمع شملى ببعلى وولدى قال الراوى فبينما عنتر وغمرة فى الكلام وإذا بميمون

ابن رحمون زعق زعقة دوت لها الأرض وكان يقول بصرخته وبالمقوات السودان وبيت عصاتين الفيران فعندها بدر اليه شيبوب فأخذ يسأله عن حاله وأى شيء الذى جرى عليه قال ميمون أريد أن أسألك بحق ذمة العرب عن هذه الأميرة حتى أعرفها وأعرف ماجرى لها فقال له شيبوب ويلك ياميمون هذه الأميرة غمرة بنت الملك فايز صاحبة هذه الأرض والمفاوز فقال ميمون وما تكون غمرة من عنتر ياشيبوب فقال له زوجته أم ولده غصوب فقال ميمون ياشيبوب وحق من رفع بقدرته السماء وبسط الأرض على بساط الماء أنى ما كنت أعرف أن هذه الملكة هى غمرة بنت فايز القضاعية إلا فى هذه الساعة أعلم ياشيبوب أن أبوها عمل معى جميل ما يفعله خل مع خليله عمرى ياابن الخالة ماأنساه ولى أقدر على مكافأته فقال شيبوب كيف ذلك ياميمون وأنت من جملة أعدائها وبالقبح كافيت أباها ورأيتك تطلب قتلها فقال ميمون تأن على ياقتى حتى أنى أحكى لك حكايتى اعلم يا وجه العرب أن الملك سويد كان تعدى على وأراد قتلى وذلك أن الأعداء والحساد تكلموا فى حقى بالزور وانه ساد فقد بلغ ذلك السبب فلم يكن لى من قدامهم إلا الهرب خوفا من القتل والعطب فجعلت أقصد الملوك وأرمى روحى على امارة العرب فلم يقدر أحد يجيرنى منهم فقصدت ديار شريف وأنا ذليل عاجز فوقفت قدام الملك فايز فدخلت تحت اذياله وذكرت له قصتى فضمن لى إصلاح نوبتى وأ ط فى الزمام وأكرمنى غاية الإكرام فأنزلنى فى أعلى مقام وأمنت على روحى فى مقامى وقر قرارى فى دياره وضرب لى خيمة إلى جانبه وجعلنى من أعز قومه وأحبابه فأرسل إلى الملك سويد يستوهبنى منه وذكر له ماذكروه الاعداء عنى فلما وصل إلى الملك سويد ذلك المقال بحث على صحة القول فى الحال وأكد على السؤال فطلع كلام الأعدا كله زور ومحال وندم على ما كان فعل فى حقى فأرسل لى وزيره وارباب دولته وخاتم ملكه ومنديل أمانه مع جماعة من اعوانه فلما وصلوا قدام الملك فايز أعلموه بذلك ففرح واستبشر فركب معى فى طائفة من قومه ولما قاربنا ديار الملك سويد وعلم بمجيئنا فخرج لقائنا وأصلح الملك فايز بينى وبينه فلما بلغنى موت الموت فايز حزنت عليه فلما ركب الملك سويد على ديار غمرة وكبس بنى قضاعة ما كنت أنا مع الجماعة وكنت غائب فى ديار الملك غوار بن دينار فلما رجعت إلى المنازل م الأمصار وسمعت ماتم على غمرة وماصار ورب البيت ياشيبوب ماهان على وكبر الدى وصرت أسأل عن غمرة فاسمعت لها خبر ولا جليه أثر وإلى الآن فى قلبى حسرة على الاميرة غمرة من شأن جميل أبيها

وأتقرب به أقدر عليه إليها فرادى ياشيبوب تجعلنى فى هذه النوبة صنيعتك وتأخذلى من أخيك عنتر الزمام وأنا أحلف لك بالذى لا يغفل ولا ينام وحق من يقول للشىء كن فيكون انى أكون لكم خادما طول الزمان فلما سمع شيبوب منه هذه الاقسام أعطاه الزمام وأخذه إلى أخاه عنتر فتقدم شيبوب إلى عنتر وأعلمه بالقصة والخبر قال له يا أخى أنى أعطيته الزمام بعد ما حلف بالاقسام أن يكون لك غلام فلما سمع عنتر كلا شيبوب فرح واستبشر وتقدم ميمون إلى عنتر وقبل يديه وإليه اعتذر فقبل عنتر رأسه مع صدده وخلع عليه فعند ذلك قال ميمون يا أبا الفوارس أنا تحت طاعتى الف فارس من بنى عمى فقد رأيت من الصواب أن اسير من وقتى وأطلب الديار فاجتهد ان أجعل الالف فارس لك أعوانا وأنصارا فاذا وصل خبرى إلى الملك سويد وأحضرنى عندة وسألى عن خلاصى فاظهر له انى كسرت القيود والاغلال وهربت وانتم نيام فاذا انطلى عليه هذا الكلام وأراد الملك سويد ان يركب اليكم فاظهر له انى ضعيف فاذا ركب ووقعت الوقعة فاكون أنا وأصحابى فى جانب العلم وتنزل أنت بالملك سديد النقم (قال الاصمعى) فلما سمع عنتر من عمى من بنى الاعمام فننادى بلسان واحد يا لعدنان وقد انقضى الشغل وهان لانى فى حلتى أقتل صاحب العلم وتنزل أنت بالملك سديد النقم (قال الاصمعى) فلما سمع عنتر من ميمون ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب افعل ما بدالك بلغك الله آمالك فقال ميمون يا ابا الفوارس قبل مسيرى مرادى اجتمع على عمرة وأقبل يديها واعتذر لها مما صار إليها فعند ذلك أرسل عنتر خلف عمرة فلما حضرت سلمت على من حضر فاعلمها عنتر بحديث ميمون (قال الراوى) فلما نظرها ميمون برك على ركبته وجعل يقبل يديها ورجليها واعتذر إليها فبعد ذلك ميمون بن رحمون وقد أحسن عنتر فيه الظنون فبينما هو سائر فى تلك البقاع فاذا التقى بالامير منيع بن مناع فلما وقعت عين منيع على ميمون تعجب من حاله فسأله عن ما جرى له وكيف كان خلاصه من اعتقاله فذكر له ميمون أنه كسر قيده وهرب ونجى من الموت (قال الاصمعى) فلما سمع منيع بن مناع مقاله انطلى عليه حاله فطيب قلبه وقدم له من جنائبه وخلع عليه فبعد ذلك سار ميمون يطلب سويد بن عويد فلما اشرف على العسكر وقع لقدومه الصوت وعلت الضجة وزادت الهرجة فسأل الملك سويد عن الخبر فاعلموه بخلاص الامير ميمون بن رحمة من اسر عنتر فقال يا ويلكم ائتونى به فلم تكن إلا ساعة حتى دخل ميمون عليه وصار بين يديه وسلم عليه فقام له الملك على الاقدام ورد عليه السلام وسأله كيف كان خلاصه من يد قناصه فحدثه بما قدمنا انه كسر القيد ونجا فهناه بالسلامة وامره بالمسير إلى مضاربه وخيامه حتى

يطيب قلوب أهله وأقاربه فيصير أولاده وجبا ئبه ويأخذ الراحلة ويتبع العسكر لقتال عنتر فاجابه بالسمع والطاعة وعاد إلى أبياته من تلك الساعة فلما وصل اليهم اجتمعت عليه أهله فبنو عمه وهنوه بالسلامة وسألوه عن حاله فجعل يقص عليهم ماوقع وبعد ذلك عرفهم أنه صار من أصحاب عنتر ورجاله وحلفت له انى لاأخونه لافى فعل ولا فى كلام وقد رضيت لكم مارضيته لنفسى لانكم قومى وأبناء جنسى فبادروا الامر قبل الفوات فان هذا الاسد القسور المسمى بعنتر لا يقدر فارس أن يثبت بين يديه ولا يقبل عليه فلا بد له أن يملك هذه الارض فتطيعه سائر العساكر ويأخذ سويد برقبته فيعدمه روحه ومهجته ويبقى الامر إلا نعمل مع عنتر مكرمه ونكون فى ركابه ومن جملة عساكره وأصحابه ( قال الراوى ) فلما سمعوا قوله أجابوه كلهم على مايريد فلم يخالفه انسان فأخذ عليهم العهد والايمان أن يكونوا لعنتر أنصارا فاعوانا وكان عدة القوم الف فارس من كل بطل مداعس ففرح ميمون باجابتهم فشكرهم على حسن طاعتهم وقال لهم يابنى الاعمام مافى الامر إلا نركب ونلحق سويد والعسكر فاذا وقع بينهم القتال فالحرب فالنزال نحمل نحن على الرايات والاعلام فنضرب فيهم بالحسام فنزعق بالعبس يالعدنان ونكون قد نلنا القصد بصاحبة عنتر وبنى عبس الكرام قال الراوى ثم انهم بنو أمرهم على ذلك الكلام فركبوا خيلهم ولحقوابهم بين تلك الفدافد حتى اختلطوا بعسكر سويد وكان الملك سويد ارتحل يقطع الارض والبقاع على أثر الامير منيع بن مناع فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر منيع بن مناع فانه سار بمن معه من الابطال والفرسان طالب قتال عنتر وبنى عبس وعدنان فقد خطر فى نفسه انه بتلك الفرقة يقضى الاشغال ويقود عنتر ومن معه أسارى فى الحال فمازال سائرا قدام العسكر حتى أشرف على خيام عنتر ( قال الراوى ) فلما أبصر عنتر غبار السودان قد علا وطبق الارض والعلا ركب إلى لقائهم بمائة فارس من بنى قضاعة الاشاوس فنظر إليهم منيع بن مناع وهم فى مائة فارس كانهم قطع الجبال قال لاصحابه ويلكم يا بنى عمى ما قال سويد انهم عشرون فارس فانا أراهم فوق المائة لكن وحق فتوة السودان ماادع منهم لا راجلا ولا فارسا لانى بسيفى أفنى الجميع قبل أن يصل الملك سويد فافرقهم بسيفى فى الفدافد ولا أحد منكم يكن لى معاون ولا مساعد بل أريد أن تحموا ظهرى وأنا أفرجكم على كرى وفرى وإن رأيتمونى والقوم ما انصفونى احملوا فى ذلك الوقت لمعاونتى قال الراوى وكانوا قد صلوا عند اقبال الظلام فنزلوا فى المضارب والخيام فاكلوا ماراح من الطعام وأخذوا الراحة للاجسام حتى أصبح الله بالصبح ثارت الفريقان تطلب الحرب والكفاح بعدما اعتقلوا بالرماح وتقلدوا

بالصفاح فاصطفت الصفوف وكانت أبطال بنى عبس ركبت عند طلوع الشمس فترتبوا للقتال فبينماهم ينظرون من يفتح باب الحرب فإذا بالامير منيع انحدف إلى حومة الميدان على جواد داح كالبرق اللامع معود بخوض الوقائع والامير منيع على ظهره كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل فصال وجال ونادى بأعلى صوته يافرسان الحجاز أنتم تعلمون البراز فارس لفارس هذا هو الانصاف فانا الامير منيع بن مناع البطل الشجاع حامية هذه الارض والبقاع أناسيف الملك سويد بن عويد أنا المندوب للاهوال فالشدائد فقد أنذرت على نفسى أنى ما أترك أحد منكم يرجع إلى بلاده أولاده فلا يبرز إلا منكم إلا فارسكم الموصوف وبطلكم المعروف فى الحرب والجلاد الامير عنتر بن شداد حتى أتلاطم أنا وإياه بالسيوف الحداد والرماح المدام ثم أنشد هذه الابيات

| | |
|---|---|
| فارس فى حياض منغمس | إذا مانال منه على مكروهة سبقا |
| غشيته فى دجا ديجور مظلمة | أصبت منه سويد الرأس فانفلقا |
| بضربة لم تكن مبينٌ مخالسة | ولا تعجلتها خوفا ولا قلقا |

إلا أن منيعا ماتم شعره حتى صار عنتر قدامه وهو كانه الاسد الكاسر وقال له أسكت يا ابن العواهر وتربية الفواجر ثم أجابه على شعره قائلا

| | |
|---|---|
| لا يحمل الرمح غيرى فهو لى خلما | والسيف لولا جنانى ما جرى علقا |
| ان كنت ليثا وقرنا أو فتكت به | فكم لحد حسامى فى القتام لقا |
| وكم قحمت غبارا كان مرتفعا | وصارم الموت فى حديه قد برقا |
| صدمته بجنان لو صدمت به | بحر المنية يوما اختشى الزلقا |
| قعد عنه وخيل الموت جائلة | تبكى بحزن على الابطال والرفقا |
| دعست بمهرى أجساد سادتها | طورا يخب وطورا يحذر الزلقا |

(قال الروای) إلا أن عنتر ماتم تلك الابيات حتى انطبق عليه منيع بن مناع وانحط عليه عنتر انحطاط القضاء فجاوله مجاولة الاسد القصور فلا زال يقاتله ويحاربه حتى أتعبه وأكربه وتمطا بذراعيه وطعنه طعنة جبار لاقا النوائب فالاخطار فجاء السيف بين وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه وبعدها مال على الفرسان فجندل الافران فتبعه أولاده غصوب وميسرة فبنو قطاعة والاميرة غمرة فلاقوهم أصحاب الامير منيع بن مناع فبان البطل الشجاع فثارت على الطائفتين الغبرة فكانت لهم ساعة عسرة فتناول عنتر بطلا من تلك السودان فلوحه فى يده مثل المقلاع فضرب به آخر فقتل الاثنين فشربا شراب الحين وهجم

بسيفه على الرايات والاعلام فصرخ صوتا زلزل الروابي والاكام فلما أبصر السودان حرب عنتر كأنه نار يقدح منه شرار فسيفه لا يبقي ولا يذر ولوا الادبار فركنوا إلى الهرب فطلبوا عرض البر والسبسب فعادت بنو عبس وبنو قضاعة على الخيل الشاردة فالعدد المبددة فالغنائم والاسلاب فاخذوا المال فعادوا وعنتر قدامهم كانه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان فنزلوا فى تلك الأرض وغمرة تقول للامير عنتر بعد هذا البطل الشجاع منيع بن منيع لا يقوم إلى الملك سويد قائمة فاركب إلا هو بنفسه وقومه وأبناء جنسه فقال عنتر يا ملكة طيبي نفسا وقري عينا فانا لا بد لي من هلاك أعداك فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الملك سويد فانه كان قلبه مطمئن بالأمير منيع فكان يعرف انه بطل شجاع لا يخاف الموت فبينما هو سائر على مثل ذلك الحال فاذا بالغبار قدامه ثار فاقبل المنهزمين غالبهم مجروحين وهم يدعون بالويل والثبور فعظائم الآمو فلما أبصرهم سويد اصفر لونه ورجف قلبه فقال ما بالكم يا أوغاد غير أمجاد قد هزمكم عنتر بن شداد فقالوا وعزيز رأسك أيها الملك كسرنا أوشم كسرة فانزل بنا الذل والحسرة ففرقنا فى البقاع والصحرة فقال سويد يا ويلكم فاين ابن عمي منيع البطل الشجاع فما الذى فعله فى الحرب والقراع فقالوا قتله عنتر فطعنه برمحه فى صدره أطلعه يلمع من ظهره وغار علينا كانه الغول أو السبع الكاسر الاكول فتناول واحد من سرجه فضرب به الاخر فقتلا الاثنان فهجم على الرايات فالاعلام نثرها وكان وراءه أكثر من ماية خيال كانهم ثنايا الجبال فعند ذلك حملوا علينا فشتتونا فى القيعان فلو وقفنا ما أبقوا منا إنسان فلما سمع سويد كلامهم عنفهم ولامهم قال لهم يا ويلكم يا انذال أنتم تارة تقولوا أنهم خمسة رجال وتارة تقولوا أنهم عشرة ابطال وتارة تقولوا عشرين اقيال وتقولوا ماية فارس أسود عوابس لكن انا اعرف انه ما تم عليكم هذا الهم الا من بعدي عنكم ثم انه طرح الصوت فسار من تلك الساعة بعشرة آلاف فارس من ابطال السودان ففراعنة الحبشان الذين كانهم اراهاط الجان وامر الأمير ميمون فى بقية العساكر والجنود فزاد به الغيظ والحقود (قال الروى) فكان هذا الملك سويد أشجع من ركب الحصان وافرس من جميع مفرسان فيقدم فى ذلك اليوم وكان يحق له التقديم على من تحت يده من العساكر بنى لنده وبنى تميم فسار وهو منخرق القلب مما تقدم مقروح الفؤاد على ما جرى لصاعقة بن علقم من عنتر بن شداد فعند ذلك صار أمام الجيش يقطع الفلوات وهو مع ذلك ينشد ويقول

الايا سباع البر سيري بجانبي لكي ماترى مني فنون العجايب

لانى اذا ما سرت أطلب عسكرا ... أبدد جماعات العدا بمضارب
أتانى ابن صداد بخيل وعصبة ... يريد قتالى كى ينيل مطالب
ألا مخبرا عنى ابن شداد اننى ... حدا اليه قاطعا للسباسب
بقوم يرون الموت أشهى اليهم ... من الوصل للنسوان ذات الكواعب
ألا ياسباع البر سوف أضيفكم ... بلحومهم والقوم فوق الترائب
وآخذ من أبطالهم كل سيد ... وأسرى إلى أبطالهم بالكتائب
وأسبي نساءهم ثم أنهب مالهم ... وأشتتهم فى المشارق والمغارب
وأقتل ذاك النذل عنترة الذى ... تعدى علينا واستخف بجانب
ثم الصلاة على النبي محمد ... الهاشمى المختار نسل الأطايب

قال الراوى وهو الاصمعى رحمه الله هذا وسويد سائر ينشد هذه الابيات ويذكر شجاعته والشبكات ولا يعلم بما خبا له فى الغيب من النائبات وقدرها عليه عالم الخفيات فلما سار أكثر من يوم بذلك الجيش حتى التقى بعنتر ومن معه لان عنتر لما فرغ من الحرب وكان استراح عند ثنية الغزال لأنه طلب الراحة للخيل والرجال سار فى البرارى مجدا فى أثر المنهزمين ليقطع آثارهم ويبعدهم عن منازلهم ويقتل فرسانهم ورجالهم وكان خبيرا بمواقع الحرب عارفا بامور الضرب إلى أن تقابلوا الطائفتين فوقعت العين على العين ونظر بعضها بعض فكان قرب المساء فامر عنتر إلى غمرة وأصحابها بالوقوف على ظهور الخيل وما زالوا الفريقين كذلك حتى انتشرت أجنحة الليل بالسواد الحالك وأقبلت قبائل السودان وهم على ظهور الخيل مسربلين بالحديد والزرد النضيد فنزلوا الجميع وضربوا الخيام إلى الأمير سويد فانه قد امتنع من النزول بل أشهر فى يده الحسام فصار يهمهم كالأسد الضرغام من شدة ما لحقه من الوجد والهيام وقد أدركه الظلام فما بلغ من الأعداء مرام فهذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من عنتر ومن معه الرجال الكرام فانهم لما أظلم الظلام بات عنتر يسأل غمرة على ذلك الشيطان فقالت له والله يا أبا الفوارس ما هو الا فارس جبار ما يقع أحد لفروسيته على عيار وكان أبى يخاف منه عن جميع الناس وكان كل مدة قليلة يغار على بلادنا وينهب أموالنا وكنت أنا الآخر أغار عليه فلما مات أبى جد فى طلبى واستنجد على بملك السودان الاشرار يقال له عوار بن دينار فسطا على وقتل رجالى وانا خائفة من هذا الشيطان لئلا يجمع علينا كل من فى بلاد السودان وربما اعلم الملك عوار بن دينار لأننا

قد دخلنا هذه الديار قال الراوى فلما سمع عنتر مقالها علم انها خائفة مما جرى عليها فقال وحق من لا يدركه النظر ولا له مكان مستقر لو كان معه أمة ربيعة ومضر لا نزلت بهم الذل والعبر وأفنيهم بهذا الحسام الذكر قال الراوى فلما كان عند الصباح لبست الرجال السلاح واعتدوا للكفاح فركب الطائفتين وتقابلوا الفريقين فعند ذلك أشار عنتر لاصحابه بالجملة على اعدائه من غير مهلة فحملوا جميعهم عن آخرهم وتلقوا من الاعداء بوادرهم وطعنوا فى جوانبهم وخواصرهم فكانوا أرادوا بذلك الفعال يزيلوا الطمع من رؤسهم فيفنوا من كان قدامهم من الرجال فالتقاهم سويد بمن كان معه من الرجال فالقوا أرواحهم على الحرب والقتال وكانت غمرة بمن معها من الشجعان قد جعلوا قصدهم إلى ناحية السودان وكانت غمرة قد لبست درع منيع أعجوبة للنبس فاشتد اليأس وزاد الامر عن حد القياس فكثر القلق وزاد النعاس قال الراوى هذا وعنتر قد حمل بمن كان معه من السادات الذين لهم بمثل هذه الامور عادات لان حملاتهم كانت موصوفات وأظهر عنتر هجمات مختلفات وكذلك أولاده السباع الضاربات فانهم خضبوا الاعداء بالدماء وانزلوا باعدائهم البؤس والعمى هذا والقتام يدفع والاسنة تلمع فانتشر الحرب بينهم وصارت الجماجم تنثر من على أغصان الابدان وحمل ذلك اليوم الشجاع وذل الجبان وحجب الغبار نور الشمس والشعاع وكثرة الآلام والاوجاع ففاضت أعين الناس بالدمع والقلب انجرع والفؤاد أنقطع والخيل تقوم وتقع هذا والقلوب انجزعت والرقاب انقطعت والاسنة شرعت والدماء همعت فياله من يوم ما أعظم قتاله وما أقوى حربه ونزاله قال الراوى فبينما عنتر فى القتال الشديد الذى تتصدع منه الصخور فعند ذلك التقى عنتر بسويد ابن عويد وهو ددأباد الفرسان وأهلك الشجعان وجندل الاقران فبينما عنتر ينظر اليه ومراده أن يهجم عليه فاذا به قد سمع صياح من عسكر السودان وهم ينادرن بالعبس يالعدنان يالقضاعة الشجعان وكان النداء من الامير ميمون بن رحمون والالف فارس الذى معه مجتمعون وهم هاجين على عسكر سويد بن عويد الذى هو ملك تلك الفرسان فهم هاجم قدام السودان ومازال فى حملته وعظم صولته إلى أن هجم على صاحب العلم وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائمه قال الراوى ياسادة يا كرام صلوا على بدر التمام ورسول الله الملك العلام بن زمزم والمقام فعند ذلك عرف عنتر المعنى وصدق الامير ميمون فى كلامه وصدق وداده فانتبه إلى الملك سويد وإذا به بين يديه بالسرية لانه كان رأى تلك الفعلة التى

هى غير مرضيه فمال عليه عنتر بالكلية والتقاه سويد الآخر بهمة قوية وكانوا هؤلاء الاثنين من فرسان الجاهلية فعملت فى رؤسهم النخوة والحمية ولم يزالا فى قتال وجدال ونزال وصدام وضرب حسام حتى قال عنتر فى نفسه وحق زمزم والحطيم ما هذا الا فارس عظيم ولا شك أنه حامية هذا الاقليم على انى ما سمعت غمرة تصف إلا سويد بن عويد سيد بنى تميم وأن كان هو هذا ما هو إلا جبارا عظيما وما هو والله فى الفروسية إلا فى طبقة عالية ثم أن عنتر جعل يقاتله ويحاوره وينازله وأما سويد فانه عرف عنتر بسواده وكبر جثته وحسن خبرته وما زالا فى كر وفر حتى حمى عليهما الحر وتصقل الحديد على الاجساد وتعبا الاثنان من الجلاد ومل سويد من الطراد وتمنى الراحه ولكن رأى ذلك منه ممنوع فصبر على الجلاد وقد رأى من عنتر الأهوال قال الراوى فلما رآه عنتر قد كل وضعف قواه واضمحل وما بقى يقدر على حال من الأحوال فعند ذلك أقلب سنان الرمح إلى وراءه وضربه بعقبة القناة فى تلك الفلاة وعن مركبة كركبه وأرماه فلما وقع أفاق على نفسه وهم أن يثور ويركب الجواد فادركه شيبوب وكتفه كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وعمل السيف فى عسكره وأجناده إلى أن ولى النهار حتى ولوا الادبار فركنوا إلى الفرار وقد قتل منهم الف فارس ومائتين فارس كرار ثم تبعوهم إلى أن ابعدوهم عن الديار وبعد ذلك عادوا عنهم وقد نهبوا المال والرجال وسبوا العيال قال ونزلت غمرة فى ديارها وقر قرارها وتسامعوا بها بنى قضاعة وبلغهم ما جرى السودان فى تلك الساعة فتسارعوا إليها وقد اجتمت الأحباب بالأحباب والخلان بالخلان حتى صار عندها أوفى من أربعة آلاف فارس أبطال قناعس من كل ليث عارس قال الراوى فلما استقر بهم القرار أمر عنتر إلى شيبوب أن يحضر سويد بن عويد إليه فلم تكن إلا ساعة حتى صار بين يديه فقال له عنتر أخبرنى ويلك قبل أن يحل بك العبر من الذى أمرك أن تسير إلى غمرة وتملك ديارها وتنهبه أموالها فلما سمع سويد من عنتر هذا المقال تغيرت منه الأحوال وقال حملنى على ذلك قوة جنانى وثباتى ميدانى لأنى قهرت الابطال وأصيد بكفى السباع من الغاب ويعز على والله يا ولد الزنا وتربية الأمه الخنا كيف صار مثلك كلب من الكلاب يخاطبنى هذا الخطاب ولكن هيهات أن تعود أنت وهذه العاهرة نسل الأشرار وتخرجوا من هذه الديار والاطلال العسكر قد أقبلت من كل جانب وتسد فى وجهك جميع المذاهب ويهجموا عليك السودان أولاد حام أنت ومن معك من بنى عبس اللئام وسوف تندم ولا ينفعك الندم والسلام قال الراوى

فلما سمع منه هذا الكلام أبدا الضحك والابتسام ولكن بعد ما صار الضيا فى وجهه ظلام وقال يا ويلك يا ازنان من هم السودان وملوك العربان لأن معى مائة وخمسين فارس ألقى بهم أهل الثقلين ثم أن عنتر أمر شيبوب أن ينقله إلى بعض الخيام فاذا بغصوب جرد الحسام وضربه على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه وقال ويلك يا مدلول السبال لمثل والدى يقال هذا الكلام فلما نظر عنتر إلى هذه الفعال صعب عليه ذلك الحال وقال لولده قد أخطأت فى هذا العمل قال له والله يا ولدى أنا ما أثر كلامه عندى ولا جملته لى على بال ثم أنهم أقاموا حتى ذهب الظلام وطلعت الشمس على الروابى وسلمت على من ظلت عليه الغمام فركبوا خيولهم واعتقلوا بصوارمهم وفى عاجل الحال التقت الطائفتين ببعضها البعض فوقع القتال وضاق على السودان فسيح الارض فرأوا من بنى عبس وبنى قضاعة أهوال أنستهم السنن الفرض وقتل من قتل وانهزم من انهزم ولما دخل الليل رجع عنتر وأصحابه إلى الخيام وغمرة بجانبه وهى تشكره على ما صنع بالاعداء فقالت له يا أبا الفوارس لو كنا تقريبا بالفرسان كنا ملكنا هذه الأوطان وقتلنا من فيها من الفرسان فقال عنتر وحق من أرسى شوامخ الجبال أن كل من كان فى هذه الديار ما يخطر لى على بال ولكن من الرأس الصواب أننا نركب فى غداة غد بمن معنا من الفرسان وندور على هذه الحلل ونقتل كل من فيها وننصف الارض من قبل أن يأتوا الينا ويسدوا بعسكرهم الطول والعرض ويطبقوا علينا لأننا ان خلنا فى هذه الديار ما بقينا نخرج منها ونخلى من الاعداء فيها ديار بل نقتل كل من كان فيها من العبيد والأحرار وإلا ما يقر لنا قرار وتنظرى من توليه بعدك فى هذه الديار فقال شيبوب صدقت يا أخى فى هذا المقال والرأى ان تفعل ما عزمت عليه من الفعال وما نخلص هذه الديار من هؤلاء القوم الأشرار إلى من بعد حرب شديد يشيب منه الطفل الوليد فقال عنتر من هم هؤلاء السودان الذى تقول عنهم هذا المقال ثم ان غمرة اقبلت على عنتر وقالت له يا أبا الفوارس اعلم ان ما بقى قدامنا إلا رجل شديد البأس يقال له الملك لون الظلام فانك ان ظفرت به ملكنا هذه الديار ثم انهم بعد ذلك اقاموا إلى الصباح ونادت غمرة فى قومها بالرحيل فساروا جميعا وتبطبوا ارض اليمن وكانت غمرة قد سارت فى اربعة آلاف من بنى قضاعة وسار شيبوب فى مقدمتهم وهو مثل النمر الحردان لا يهدم له ركب وكلما عسف البر والقفار ازداد قوى ونشاط وعنتر فى اوائل الفرسان وهم سائرين من خلفه كانهم السيل إذا سال وهو ينشد ويقول

هذه الابيات :

تأمت دراز عبلة عن أمامى ... وأمسى حبها خلف الذمام
وقفت مسائلا ياخل عنها ... تسير معرجا نحو أرض الشام
فقلت تراك ياعبلة خيولا ... تسير عجاجها تحت القتام
تسير بها فوارس من تميم ... وورائنا تبتغى ضرب الحسام
عليها كل جبار عتيد ... إلى شرب الدما تراه دامى
فقلت ألا اقصروا يا قوم عنى ... أنا شرب الدما أقصى مرامى
ومهرى كوكبا يسرى سريعا ... إلى حرب شديد الازدحام
ورمحى فى العجاج تخال فيه ... ومنه ماء تابع مثل الغمام
ويحمله فتى من آل عبس ... أبيه وأمه من نسل حامى
وخيل تحمل الأبطال شعثا ... عباها الروع أشباه القتام
عناجيج تخب على رباها ... تسير النقع بالموت الزؤام
فوارسنا تنادى يالعبس ... رجال الحرب فى وهج القتام
يابهم مهندة وسمر ... كان بريقا شعل الظلام
وسكت كل صوت غير صوتى ... وصوت مهندى عند الزحام
وكم بطل تركته بها طريحا ... بأكناف الجبال مع الاكام
وخلت الطيور عليه تهوى ... كما تهوى البازات على الحمام
أنا عنتر بنى المسمى ... رجال الحرب تعرف لى مقامى
فيا رباه أن يظهر محمد ... رسول الله مصباح الظلام
وينشر ذكره فى الأرض جمعا ... وأحمى لاجله البيت الحرام
وأنصره بسيف ليس يبقى ... من الاعداء غير أطناب الخيام

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام والادب طربت غمرة ومن معها من الفرسان غاية الطرب وزاد العجب ومنهم من فرح بذكر محمد النبى المنتخب وشكرت عنتر على ذلك فرسان العرب ومازالوا فى رحيل ومقام حتى وصلوا إلى جبل الحرام ووادى الغيام فنظروا هناك إلى خيام وأعلام فرجال قد ركبت خيولها وطلع لها قتام وارتفع حتى صار مثل الظلام ثم انكشف وبان من تحت خيول أعوجية ورماح سمهرية وسيوف هندية فى أيدى رجال تصادم المنية وعليهم الدروع الداودية على رؤوسهم البيض العادية وهم قد أكثروا الصياح فالزعاق فالرعاد فالايراق فهم سود الوجوه حمر الأحداق كأنهم الجواميس الطوال لا يبالون بطال ولا يفزعون من الاقيال وفى أوائلهم الفارس الذى

ذكرته غمرة لعنتر وأعلمته أن اسمه لون الظلام وخلفه جماعة فرسان من أولاد حام ياسادة وهو راكب على ظهر الحصان كأنه شيطان فى صورة إنسان وذلك أن خلقته تشبه خلقة الجان وهو طويل القامه كبير الهامة عريض الاكتاف لا يرهب الموت ولا يخشى التلاف قال الراوى وكان لهذه الأوصاف السبب فى جمع هؤلاء الانذال وأخذهم الأهبة للحرب والقتال كان ذلك من المنهزمين الذين أنهزموا من بنى تميم لما قتل ملكهم سديد وبقى على الأرض رميم وهربوا وقطعوا تلك الفلوات حتى وصلوا إلى تلك الديار وأعلموا من كان فيها بجميع الأخبار وسمع الملك لون الظلام فاحضرهم وأعاد منهم الكلام فاخبروه بقتل صاعقة وسويد الذى تقدم ذكره وأعلموه بمن قتل من الأبطال فقال لهم ويلكم من فعل بكم هذا الفعال فقالوا له هذا غمرة ابنة الاوغاد والفارس الحجازى الذى يسمونه عنتر بن شداد




قال فلما سمع لون الظلام ما أبدوه له من الكلام صرخ صرخة أرعب بها من حوله من الأبطال وقال يالها من مصيبة نزلت علينا من هؤلاء الانذال ثم أنه التفت إلى من وصل إليه من الاجناد وقال لهم على الحقيقة أنتم رأيتم عنتر بن شداد وقد دخل إلى هذه الأرض والبلاد. فقالوا له وحق من بسط المهاد وجعل الجبال أوتاداً هو الذى قتل صاعقة وأنزل بسويد البلا والعدم فلما سمع لون الظلام هذا الكلام قال وحق الملك العلام لا بد لى من النهوض إلى هؤلاء

الشام وأسعى فى هلاك غمرة بنت الشام وكذلك أفعل بعنتر بن شداد لأن فى قلبى منه من النوبة الأولى لما دخل إلى هذه البلاد لأنهم وصفوا إلى شجاعته وقوته وبراعته وقالوا أن فروسيته ما يقع عليها غبار وما يوجد مثله فى هذه الأقطار وأنا كنت من أجل هذا الكلام وكان فى نيتى أطلع فى هذا العام إلى بلاد الحجاز وأقتل من كان فيه أهل البراز بعد ما أهلك فى أولهم هذا الشيطان وما قد تيسر الآن برهان وقد بلغت الأمر الأرب واسترحت من التعب بدخوله فيمن معه الفرسان إلى بلاد السودان قال الراوى ثم أنه بعد ذلك الامر والشان نادى بأخذ الأهبة فى قومه واجناده وبعث الرسل فى عاجل الحال إلى خيشه وأهل بلاده فما مضى من ذلك الامر غير ثلاثة أيام حتى اتت عليه جميع أولادحام وصار فى أربعين الف عام كلهم سود الالوان وعليهم ثياب مصبغات حمر وخضر وصفر على سائر الصفات وعلى رؤسهم طراطـــير من الاجناس وهى ملانة من أذناب الثعالب والودع والاجراس وكانت هذه عادتهم إذا ساروا القتال ويفتخروا عند الحرب والنزال قال الروای لهذا المقال فلما هموا بالمسير بعد الاستعداد وساروا يقطعون البر والمهاد مدة ثلاثة أيام وإذا قد أشرفت عليهم غمرة وعنتر بن شداد فى أربع الايام ولما تحققت الحقائق ولمعت السيوف والبوارق ونظرت الخوف والفزع وأما عنتر فانه كلما رأى جيش الاعداء تقرب منه يبتسم وينسر قلبه لملتقا هذا الجمع الذى عليه قد اجتمعت ولما تقاربت الجمعان وأشرفت الفريقان على بعضهما البعض فى هذه البرارى والقيعان وحل النزول بالعيان صاحت الطائفتان والتقى الجمعان ووقع الحرب والطعان وحمل فارس عبس وعدنان فعند ذلك طمع بجيش الاعداء وحمل وحملت خلفه رجاله النار المسعرة وحمل عروة بن الورد وأبطاله الشداد وخاضوا الغبرة وكان للقوم ساعة عسرة أذهلت من الشجاع بصره وحملت عساكر الملك لون الظلام وانتشرت فى البر والاكام وفر الجبان وارتاع وحمز ذلك اليوم الشجاع وانقسمت الجثة ثلاث وأرباع وبقى بينهم وبين الموت باع وذراع وضاق عليهم ذلك البر بعد الاتساع وازدحم عليهم من كل فج ولا بقى للجبان حجة بها يحتج وما ترى فى هذا اليوم الادماء فاير وراس طاير وجواد بصاحبه غاير وقمت المرائر ودارت على السودان الدوائر وعاد الجبان حائر صاير وقد جرت عليهم أحكام القادر القاهر وهذا مغلوب وهذا غالب وهذا مضروب وهذا ضارب وهذا مسلوب وهذا سالب وقد عادت الجثة مثل الذبائح وهذا كاتم وهذا بائح وظهرت الامور

القبائح وصار الجبان نائح والشجعان صائح وقد غلقت ابواب النجاح وتمنى الجبان لوكان له جناح لطار من كرب المعمعة وراح وقد حل بالفارس الجحجاح وجرى الدماء وساح وخرست الالسن الفصاح وسمحت الفرسان بالأرواح بعدما كانوا بها شحاح وقد عدموا ابواب النجاح جاء الجد وذهب المزاح وتبدلت الأفراح بالاتراح وبقت الوجوه الملاح قد تغلقت فى وجوههم ابواب السماح وضاع المفتاح وتجرحت الأجسام الصحاح فكم من راس قد طاح وجوادغائر بالبطاو تغيرت الوجوه السماح الأصباح وعادت قباح ولا بقيت الفرسان تعرف المسا والصباح فكم من جريح على نفسه نائح وضاقت على الهارب الاماكن الفساح وصاح عليهم الغراب وناح قال الراوى لهذا الأقوال الصحاح الملاح بقول جهينه اليمنى بن الوضاح ما سمعت ولا رايت ولا تحدثت ولا حكيت يا عجب بما جرى لهم مع عنتر لأنه كان عليهم يوم اغبر ومن كثرة شجاعته فعل فى ذلك اليوم من العمل المنكر وكان جواده قد كل ومل وضعف رسم قواه واضمحل فترجل عنه وسلمه إلى واحد إلى بنى قضاعة وعمل العجائب فى تلك الساعه حتى صبغ الارض بالدما وانزل بالسودان الويل والعار وما زال يضرب بالحسام فى الهامات والكلام حتى جرى الدم فى تلك الفلا وجمد على سواعده وقل صبره ومساعده فعند ذلك اخذ سيفه وهجم على السودا فى المجال وهاج فى الحرب كما تهيج فحول الجمال فتطايقت علية السودان لما رأه فعل ذلك الفعال فعند ذلك هجم على بعض العبيد وقبض على ساقيه بقوة زنده وقبض على عرقوبه وسايفتله فى يده مثل المقلاع ولازال يخطف واحد بعد واحد من السودان ويرميهم فى القيعان حتى قتل عشر رجال انجاب وهو يضرب بهم على الوجوه والرقاب ويحذفهم على التراب وانزل بهم الذل والكرب حتى لم يبقى فى يده منه غير العرقوب فعند ذلك ضرب صدر واحد عبد إلى غيره وسار كل من قبضه من عنقه خنقه قال الراوى لقد بلغنى عنه انه صار فى ذلك اليوم يقاتل ببنى آدم احسن ما كان يقاتل بالصارم المخذم والرمح اللهذم لأنه كان يمسك الواحد به يضرب الآخر فيموت الاثنين ويحل بهم العبر هذا وشيبوب اخو لاتنسى اليوم فضله صار يرمى عليهم النبال وقتل منهم ابطال وكان يدور من حول اخيه ويضرب بالنبال فيصيب بها اعين الرجال واللبات والصدور ويرميها فى المقاتل والنحور قال الراوى ولما نظرت السودان إلى فعا عنتر وقتاله بالشجعان فترجلوا عن ظهور خيولهم فى الميدان وقصده من كل جانب ومكان وكان فى الوقت غائب لا يعقل على إنسان لأنه فى اليوم سكر من كثرة الجنود طرميه فى الحرب حتى غاب عن الوجود قال الراوى فلما راى شيبوب إلى اخيه قد احاطت به الرجال وقد ابلوه بذلك الفعال فصاح فيهم إلى اين يا انذال ثم صاح ببنى عبس وعروة بمن معها من

الأبطال وقال لهم ويلكم أدركوا أخى عنتر فقد قصدته رجال مثل المطر فادركوه قبل أن تعمل فيه النصول ويصير على الثرى مقتول فانه عدد السودان عرضا وطول قال الراوى وكان شيبوب ينخى ويصارد بنى عبس يحثهم على الحرب وقد أتت غمرة وعروة وغصوب أتوا مثل البلاء المصبوب وميسرة وسبيع اليمن قد أنزلوا بالسودان المحن وجعلوا يجودوا القتال يخوضوا الأهوال لم يزالوا على تلك الأحوال حتى أمسى عليهم المساء افترقوا وما منهم من يعرف أحسن الدهر اليه أم أساء عليه فعند ذلك رجع عنتر وهو مثل شقيقه الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وكان أصيب بجراحة كثيرة لأنه فى هذا اليوم كان قد عميت بصيرته مما دهمه من الفرسان وقتل منهم ذلك اليوم ألف ومائتين انسان إلا أنه ما كان يقصد إلا الذى عليه المعتمد وكان كلما اجتمعوا عليه فى ذلك المدة يحمل على جمعهم ويفرقهم فى البيدا قال الراوى وعلى الحقيقة رجعت السودان فى حالة العدم مما جرى عليهم فى ذلك اليوم من الفناء لأن عنتر وبنى عبس أصحاب الهمم فعلوا فيهم كما تفعل الذئاب بالغنم ثم أنهم نزلوا فى الخيام وجعلوا يداووا جراحهم وتناولوا الطعام أما عنتر فانه نزل وهو سكران مما قاسا فى ذلك اليوم من الضرب والطعان ورجعت السودان أقبلوا على ملكهم لون الظلام وهو مهموم ضيق الصدر كثير الآلام كيف ما بلغ من أعداه مرام ولا تمكن من ضرب الحسام فقالوا له أصحابه أيها الملك الهمام لا تضيق صدرك لأجل هؤلاء اللئام لأنهم باتوا وما فيهم من يقدر على رد الجواب وعند الصبح ما فيهم من يقدر يطعن رمح ولا يضرب بحسام وما فيهم إلا من صدق أن يروى الليل بالسواد لاسيما هذا الذى يسمى عنتر بن شداد لأنه قاس اليوم فى الحرب والقتال ما قاساه أحد من الرجال وقد تعبت منه الأوصال مما كان يضرب الأبطال بالأبطال الصواب عند الصبح نصف فرساننا فى الميدان تقدم قدامنا الشجعان ونبارز الاقران ولا نزال فى الحرب والطعان حتى تأخذ هذا الشيطان قال الراوى هذا ما كان من الملك لون الظلام ومن عنده من السودان أما ما كان من بنى عبس وعدنان فانهم لما افترقوا من الحرب والصدام ورجعوا إلى المضارب والخيام وكان قد امسى المسا وأظلم الظلام ونزلوا لأجل الراحة وأكل الطعام حتى تأخذ العين راحة من المنام فرتبوا لهم حرس يدور فى ذلك البر والآكام خوفا من الأعداء لا تمكنهم تحت غسق الظلام قال الراوى وكان قد تولى على الحرس غصوب وغمرة وعروة بن الورد وسبيع اليمن وميسرة لأنهم خافوا على أنفسهم من السودان نظروا إلى

أبيهم عنتر قد بات وهو تعبان فتولوا الحرس بانفسهم ولم يتكلموا على أحد غيرهم من الفرسان فبينما بنى عبس عند أواخر الليل وقد أخذهم النوم والكسل من شدة التعب مما قاسوا فى اليوم الماضى وإذا بالقوم قد ركبوا على ظهور الخيل هجموا عليهم هجوم السيل فلما رواهم نيام وضعوا فيهم الحسام فعندذلك ارتفع الصياح وثارت الرجال الحرب والكفاح وركبت بنى قضاعه والتقوا بالسودان فى تلك الساعة فوقعوا فى بحر عجاج وانزعجوا انزعاج وانحطت عليهم السودان أفواجا أفواجا فولوا على الحرب والهجاج هذا كله يجرى وعنتر نائم فى الخيام مثل السكران وهو مما جرى عليه فى ذلك اليوم تعبان وكان شيبوب جالس عنده وتاره يكبس رجليه وتاره يدوم حواليه فلما سمع حس الاعدا وقد كبستهم فى الخيام فخرج من عند أخيه إلى بنى عبس الكرام وأيقظهم وحرصهم على القتال والصدام فلم تكن إلا ساعة حتى استوت بنى عبس على الخيول الجياد واعتلوا بالرماح المداد وجردوا فى أيديهم البيض الحداد وكان اشتد الليل السواد واشتكت الارض من كثرة القراع ووقع الحديد نصمت الاسماع فى ذلك الوقت ركبت بنى قضاعة تطلب الحرب والاتساع فناداهم شيبوب ياويلكم ما الذى دهاكم حل بكم من الوبال حتى رجعتم إلى وراكم على هذا الحال ومازال ينخيهم بالكلام حتى ردهم إلى الحرب والقتال قال الراوى فعند ذلك دار الحرب والعمل بعد ما كان قد بطل ووقع الضرب واتصل السيف على الرأس فانفصل والشجاع قد انذهل وانقطعت الأسباب والحيل وانتثرت الجماجم مثل القلل وعملت عمرة وولدها غصوب فى تلك الليلة وفعلو فعال وعظم الفزع ووقعت أسنة الرماح فى الأحداق والمقل وانهمل العذاب عليهم ونزل وضرب بالقوم فى ذلك الوقت المثل وصارت الحرب تغلى كغليان المرجل وأحاطوا بهم أطراف الرماح الذبل قد خاضوا الغبار والقسطل وطعنوا الصدور بالأسنة والاسل وقاتل غصوب وغمرة وعروة وميسرة وسبيع اليمن قتال الجبابرة الاول وصهلت جياد الخيل ودارت بهم مواكب الاعداء مثل السيل وثار القتام وزاد سواد الليل وظلامه جرت الدماء على السواعد سرابيل واشتد الويل والعويل وزاد الحراب فى الليل الطويل كنت ما تسمع من الخيل إلا الصهيل قال الراوى لهذا القول الفضيل ولما زاد على الناس الصدام انتبه عنتر ذلك الوقت على الحس من المنام وهو مما قاسى تعبان من شدة الالام وعيناه فى وجهه كأنها العندم فعندذلك بكى شيبوب عليه وعانقه وقبل عارضيه فانتبه عنتر قال له الذى يبكيك لاعاش

من يشنيك ولا عاشت أعاديك له كيف لا أبكى وزوجتك عمرة وولدك غصوب وميسرة وعروة بن الورد وسبيع اليمن قد حلت بهم الكرب وهم فى القتال الشديد والحرب ثم أنه حدثه بما تم وجرى كيف كبستهم السودان وهم غارقين فى بحر القرى فلما سمع عنتر مقاله ورأى بكاءه واذلاله فقال له ويلك لم لا أعلمتنى من أول الليل حتى انى كنت أنزلت بالاعداء الويل ثم أنه أمره أن يقدم له الأبجر فركبه وتقلد بالصارم الابتر قال الراوى وكان شيبوب قد ملا جعبته من النبال وسار قدام أخيه حتى وصلوا إلى مكان المعمعة والقتال فسار شيبوب يسب ويلعن بالمقال ويلكم اطلبوا لأنفسكم النجاة ودعوا القتال والإحل بكم الويل والنكال وارملت نساؤكم وأيتمن أطفالكم لأنه قد أتاكم عنتر بن شداد قال الراوى فى ذلك الوقت وصل عنتر إلى أولاده وزوجته عمرة فوجدهم فى أشد ما يكون من السكرة وقد بليوا من تلك العساكر بما ليس لهم به قدرة فعند ذلك حمل على الأبطال وضرب فيهم بسيفه الفصال قال الراوى لهذا المقال وكان غصوب وميسرة وعروة وسبيع اليمن قد عطبت خيلهم من القراع وطلب بعضهم من بعض فى ذلك الوقت الوداع ولا بقى بينهم وبين الموت الا باع فعند ذلك ادركهم عنتر وفرق عنهم الاعدا بالصارم الذكر ونثر رؤس أعداهم نثر الاكر وضرب فيهم ضربا لا يبقى ولا يذر وصاح فيهم ويلكم يا أوغاش غير أنجاد أما تعلموا أنى عنتر بن شداد ثم أنه هجم إلى وسط الصفوف وضرب فى عرض الالوف وأوردهم كاسات الحتوف وشتت شمل الأحباب عن أحبابهم ومزق بالضرب جنوبهم وقد اشتد الحرب والجلاد وقال شيبوب الجواد هو قد انذل وقال فى نفسه والله جاء العمل ورجع بن الملعونه إلى المنهاج الأول ثم صاح به ويلك يا بن السودا لا تفعل وتأنى على نفسك لا تعجل قال الراوى لهذا الاقوال الصحاح ان عنتر كان إذا زاد عليه الحرب والكفاح يسكر من ضرب السيف وطعن الرماح ما لا يسكر من شارب الخمر من تناول الاقداح من كاسات الراح ومن أجل ذلك رمى روحه من على ظهر الجراد وفعل الفراعنة الشداد لأنه قد رأى بنى عبس قد على منهم الصياح وهى تنادى لا براح لا براح وقد أصبحوا أشباح بلا أرواح وأيقنوا بالهلاك والعدم وكان العدو عليهم قد هجم فعند ذلك غابت عن عنتر الدنيا وبذل نفسه لاطراف القنا ولم يزل على ذلك حتى أجرى الدما وبذل وجعل القوم عدما وقد ازدادت نيران الحرب تضرما وحجب الغبار بين الارض والسما وصارت النعم نقما وملا الاقطار عنتر جماجما واخلى

السروج من ضرباته وكان لما حما تكحلت الاجفان بمراود العما وصار يضرب فى السودان وهى مع ذلك تتنافر قدامه لما عرفوا ذاقوا فى اليوم الماضى قتاله وصدامه أنه لم يزل فى جملته حتى وصل إلى ولده غصوب وزفقته قال لهم ابشروا بالسلامة فقد أزال الله عنكم الحسرة والندامة وتأنوا على أنفسكم ولايخاف أحدمنكم من عطبه من قدر منكم على جواد خالى فى المعمعة فيركبه لانه ما كان فيهم أحدا تحته ركوب إلا عمرة وولدها غصوب والباقى ملكت خيلهم فى ساحة المجال مما رشقتهم السهام من أيدى السودان إلا أنهم لما رأوا اصورة عنتر عاشت أرواحهم تقدم إليه عروة قبله فى صدره وقال له لله درك يافارس الزمان وقاهر الشجعان فوالله لقد أتيتنا فى ضيق الأوقات واحييتنا بعد الممات فعند ذلك ترك الجميع خلف ظهره واستقبل العدا بصدره وقاتل عن أصحابه حتى أخذوا لهم راحة ورجع اليهم قواهم وأتاهم شيبوب بخيل من المعمعة واركبهم اياها هذا والاعاقد تفرقت قدام عنتر بعدما كان مجتمعة عادات راجعة إلى وراءها واجتمعت بنى عبس وبنى قضاعة بقدوم عنتر عليهم فى تلك الساعة لما نظروا الرجال والفرسان قد اجتمعوا وحملوا حملة السودان قاتلوا قتال من ذاق الذل والهوان أما غصوب لما رأى أبوه دعبس فى السودان والعرب من ورائه فرح بسلك فرحا شديدا وأظهر فى الحرب كل فعل عجيب بما طعن وضرب فاض الدمع وانسكت وعروزة وميسرة وغمرة قد جدوا فى الطلب وسبيع اليمن قد ترك الفرسان تتكبكب مازال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل من قلب الليل الأول إلى أن طلع النهار وأضاء الصباح فلما أضاء الضوء ونظرت الرجال إلى بعضهم قوى الحرب والكفاح سال الدم وارتجب من تحتهم الأرض والبطاح حام الغراب فى ذلك الوقت على القتلة وناح وحجب وطلب له أن يكون له جناح حتى يطلب الهرم والرواح تخضبت بالدما الوجوه الملاح وزالت الأفراح نزلت على السودان الاتراك تكردست أحسادهم فى البطائح عدموا أيام السماح وهب عليهم اسائم الرياح وهطلت سحائب الموت بالغد والرواح وشربت بنى حسان كاس المنية غبوقا واصطباح وزجرت مضارب السيوف على تلك الارواح وتساوى عند الجميع والمسا والصباح باعو الارواح بعد كانوا بها شحاح قال الرواى لهذه الأخبار أنهم ما زالو على ذلك القتال إلى آخر النهار فلما أقبل الظلام وأسبل عليهم الليل أجنحة القتام فعندذلك انفصلت الطائفتين من الصدام ونزلت كل طائفة

فى مقام ما قاسوا فى ذلك الحرب سكارى من غير مدام وباتت بنى عبس يشكروا عنتر ويثنوا عليه بما فعل ذلك اليوم فى الحرب ماوصل إليه أما السودان فانهم باتوا يدعوا بالويل والثبور وعظائم الأمور فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح نحن وأنتم نصلى على سيدنا محمد زين الملاح عند ذلك ركبت الطائفتين وتقابل العسكرين أرادت السودان أن تحمل من كل مكان وشرعت الرماح والقواضب فنعهم من ذلك لون الظلام وردهم عن ما كانوا عليه عازمين من المرام قال قد عولت أن أبرز أنا إلى الميدان وأطلب عنتر واكشف عنى العار ثم أنه خرج إلى حومة الميدان وهو راكب على حصان كأنه السرحان كان على صدره زردية كثيرة العدد كانها عيون الجرد لايعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح الكعوب المسدد من فوقها درع يمانى ظريف الوصف والمعانى على رأسه بيضة عادية ململة مجلية قديمة بهلولية لاتعمل فيها السيف الهندية ولا الرماح الخطية فى يده قنا أفرنجية فلما صار فى الميدان صال وجال حتى هدى مرج الحصان تقلب على ظهره كانه ثعبان بعد ذلك وقف وقد رمقته أعين الفرسان أشار بيده إلى ناحية بنى عبس وعدنان وكان بالعربى فصيح اللسان وأنشد يقول

| | |
|---|---|
| أنا اثبت فى الحرب يوم كفاحى | أروى القنا دم بغير صفاح |
| وسنان رمحى فى العجاجة لامع | فكانه المشكات فى المصباح |
| ياالعبس أبرزوا ولا تجزعوا | منى فانى قابض الارواح |

قال الراوى ثم أنه لما فرغ من شعره صاح يا بنى عبس من يعرفنى فقد اكتفى من لا يعرفنى فانا خفا أنا الموت الزؤام أنا المسمى بلون الظلام بن المقدم لملك السودان فقد خرجت إليكم أطلب البراز فلا يخرج إلا فارس الحجاز الفارس الجواد عنتر بن شداد فلم تم لون الظلام ما أبداه من الكلام حتى برز إليه عنتر البطل الهمام وكانه جبل من غام راكب على جواده الابجر متقلد بسيفه الظامى الابتر معتقل برمحه الكعوب وهو راكب فى سرجه كانه الأسد فلما صار فى الميدان أجاب لون الظلام على عروض شعره بهذه الأبيات

| | |
|---|---|
| أستلموا فبقى العذاب عليكموا | والا فدونكموا وضرب صفاح |
| فانا الذى لا أنثنى من فارس | بطل ولا عن سيد جحجاح |
| فانا همام لا أمل من اللقا | أوريكموا فى الحرب يوم كفاح |
| فاستيقظوا إن المنية قد أتت | بمبدل الافراح بالاتراح |

أجعلكموا يوم الحروب هزائما | وجموعكم منغلة بجراح
يا آل حام أبرزوا وتيقنوا | أنى مبيدكموا بضرب صفاح

قال الراوى فما أن عنتر فرغ من شعره ونظامه وما أبداه من كلامه حتى أنه انطبق على خصمه لون الظلام مثل انطباق الغمام حمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وأخذوا فى الكر والفر والهزل والجد والقرب والبعد والاقبال والادبار حتى حارت منهما الأفكار وغابا عن الأبصار فعند ذلك حلت السودان وغدرت وأقبلت فرد عنان وطلبت عنتر بالسيف والسنان فعندها صاح غصوب فى بنى عبس الأجواد فحملوا من كل شعب وإذا بالقنطاريات والرماح المداد والسيوف الحداد واشتد بينهم القتال وعظم النزال وبطل القيل والقال صدمت بعضها بعض الابطال وبانت الاهوال وجرى الدم وسال وقصرت الاعمار وبان الصدق من المحال واختلف بينهم ارياح المنايا باختلاف الصبا والشمال وطال المطال وقل الاحتيال وكثرت الاهوال من قيل وقال وكثر الضجر والملال وتقدم الشجاع وجال وتأخر الجبان شكى الضجر والملال وأيقنوا السودان بالذل والوبال وأهوال وجرى الدم من أجسادهم وصال وتفرسوا عليهم بنى عبس فى القتال وعملت بينهم الصوارم فى المناكب والاوصال وافتخر الشجاع وصال عادت المقاربة والانفصال وزادت نيران الحرب والاشتعال كان وقيدها عوامل الرماح الطوال وشرارها بوارق السيوف الصقال ودخانها انفاس الرجال غبار الحرب قد انعقد لأجل ضيق المجال وكان القوم فى ذلك اليوم حرب يضرب به الأمثال من وقوع الأسنة التى هى أقرب لسبق الاجال قال الراوى لهذا المقال أن أحمالتك الليلة لرجال ما الحرب والقتال إلا فارس عبس وعدنان عنتر بن شداد لأنه حاميها موقد نارها مصطلها لأنه أفنى الرجال وأباد الابطال وأجرى دماؤهم كالبحر الدافق ثم أنا بعد ذلك الأمر والشأن عاد إلى الملك لون الظلام وهو يجول على الفرسان ويضرب فى بنى قضاعة عرضا وطولا له وجه مثل وجه الغول فعند ذلك صاح فيه عنتر بصوت مهول حمل عليه حملة الأسد المهول أقلب سنان الرمح إلى وراه طعنه فى صدره بعقبه أرماه على الأرض والملا صار على وجه الأرض مقلوب ما انقض شيبوب وأوثقه كتاف ذليل حقير فعند ذلك انطبقت السودان على عنتر من كل جانب وازدحمت عليه المواكب وهزوا فى وجهه القنا والقواضب فتلقاهم غصوب وعروة ومازن وميسرة كذلك سبيع اليمن وغمرة وطعنوا فى وجوههم طعن مثل النار المسعرة فزاد بالسودان الطعن رغما

وهدمت رقابها بمضارب السيوف هدما وكانا بين أيديهم مثل الصخرة الصماء هذا وشيبوب قد صار ينادى ويقول يا ويلكم عمن تقاتلوا وملككم قد صار فى حبال الذل مرهون وقد قتلنا أبطالكم وأسرنا فرسانكم ولم يزالوا على هذا الحال والمقال وترادف الاهوال حتى عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال فعند ذلك عولت الطائفتين الانفصال وافترقوا على الحرب والقتال وقد رجعت كل طائفة إلى مقامها ورجعت السودان وقد تبدلت بعد العز بارغامها وأما بنى عبس وبنى قضاعة فانهم عادوا وهم يتعجبوا من فعل الامير عنتر فى تلك الساعة فلما أنهم نزلوا واستقروا من داخل الخيام دخلت غمرة على عنتر وأبدته بالسلام عليه وعلى من معه من الرجال الكرام وهو يحدثهم بما جرى له مع الملك لون الظلام وهم يتعجبون من فعاله ومن أعماله وهم يقولون والله يا أبا الفوارس مالم تدركنا وإلا كنا آيسنا من أنفسنا وكان عجل علينا هذا القرنان لأنه فى قتاله شيطان وهو آفة من هؤلاء الافات وبلية من البليات (قال الراوى) ولما أن دخلت غمرة على عنتر ورأته جالس كأنه قسور قبلته فى رأسه وبين عينيه وهنته بالسلامة وقالت له يا أبا الفوارس وحق البيت الحرام والركن والمقام لقد خشيت عليك من هذا الفارس الهمام الملك لون الظلام لكنك يا أبا الفوارس رجل مسعود من سائر القبائل محسود وقد عرفت الناس أن كل من عاندك أصبح مكمود فلا أعدمنا رب السماء خيالك ولا كان يوما يعدموك فيه أصحابك ورجالك فلما سمع عنتر مقالها تبسم وشكرها على مقالها ثم أنه بعد مادار بينهما من الخطاب أقبل على من له من الاصحاب وقال لهم شيروا على فى أمر هذا الشيطان الذى أباد اليوم الفرسان وأهلك الشجعان فقال بعضهم يا أبا الفوارس أقتله وأرمى رأسه إلى أهله وناسه لأنهم إذا رأوا ما حل به من البوار وربما يولوا الادبار ويركنوا إلى الفرار فنتبعهم ونضرب فيهم بالبتار إلى أن قال الراوى ثم أنهم تفرقوا للنام بعد ماأقاموا لهم الحرس حول الخيام فلما كان نصف الليل وعنتر جالس والناس تقدم بين يديه وإذا بغمرة قد دخلت عليه فلما نظر إلى عودتها فى الامر الذى جئتى فيه ياأميرة لازلتى فى سعد وخير فقالت له اعلم أنى لما خرجت من عندك ودخلت مضربى وخلوت بنفسى ساعة وأردت أن استريح من التعب الذى حل بى فسمعته وجه الظلام وهو يبـــكى وينتحب فلـــا ذهبت إليه . وسأله عن بكائه وما قد حل به من مصائبه . ولمته على ذلك وقلت له أنت عملت ما عملت حتى القيت نفسك بالمهالك فقال لا والله إنما بكائى لسبب عجيب وأمر غريب وذلك أنى أريد

من إحسانك وفضلك أنك تكونى سبب فى خلاصى من بدقناصى حتى أنى وحق مكول لا أكون لكم طول حياتى من جملة الأعوان فقلت له أنا أفعل ذلك ولكن أخبرنى ما أبكاك ومن الذى دهمك واعتراك فقال لى أعلمى يا أميرة أن ما عندى اليوم أعز من ولدى صفوان الملقب ببدر التمام وهو يعشق جارية اسمها أعجوبة الأيام وهى بنت الملك همام صاحب أرض داب الأعلام حتى أن ولدى صار من ذلك طول ليله ماينام وأنى لما نظرت إلى نحو وبكاه وسألته عن حاله وما الذى اعتراه فاخبرنى بما فيه من عشقه وبلاه وقال لى يا بنى قلبك بها مستهام حتى أنك من أجلها حرمت لذيذ المنام أنى قد تولعت بأعجوبة الأنام بنت الملك همام فوالله يا أميرة لما سمعت منه ذلك الكلام وما اعتراه من الهيام حرقنى قلبى عليه وأردت أن أوصل العافية إليه وهديت روعه وشرحت صدره وقد كنت عولت أنى أخطبها له فجرى لى معكم ما جرى من هذا الحرب الذى ما شاهد مثله أحد فى الورى وأنا أعلم أن ولدى يموت بحسرتها ولا يناله غرض من صحبتها وأنى أشتهى من إحسانك وفضلك وكمال معرفتك وعقلك أن تأخذى لى أبو ولدك الزمام حتى أنى أصير لكى من جملة الخدام وأكون له بمنزلة الغلام من تحت حكمى من السودان أن تكونون له عبيد وأريد يساعدنى لى الملك همام من أحل بنته أعجوبة الانام لأنه وحق الملك العلام ماجرت هذه الأمور إلا بسعادة عنتر البطل الهمام ومن معه من الفرسان الكرام وأنك أنت عارفة بهذه البلدان وما فيها من السودان ومن العساكر والفرسان وكانك بالملك غوار بن دينار وقد أنفذ لى عساكر تملا البرارى والقيعان وعلمت أنه فى قوله غير كذاب قال الراوى فلما سمع الأمير عنتر من عمر هذا الكلام والمقال قال لها أحضريه حتى أنى أجد معه السؤال فقالت له السمع والطاعة ثم عادت إلى لون الظلام وأبدت إليه السلام فنهض لها قائما على الأقدام ففى عاجل الحال فكت كتافه والقيود من رجليه وأتت به إلى بين يدين عنتر فسلم وبكى شدة الألم وقال له يافارس الزمان أريد منك الذمام حتى أجد الأمان وأكون من جملة الخدام والأعوان فقال له عنتر ليس لك لأنك رجل منافق وفى كلامك غير صادق وما أنت ممن يتخلى عن الملك غوار وأنا أعلم أننى إذا خرجت من هذه الديار ورجعتم إلى بلاد غمرة وغار تتموه على أذيتها وتكروا عليها غاية الانكار ولولا أننى أعرف أن يجرى منكم هذا الكلام كنت أطلقك وأعطيك الذمام

( تم الجزء الثانى والثلاثون ويليه الثالث والثلاثون )

الجزء الثالث والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) فقال له لون الظلام وحق من كل شيء غير وجهه هالك وهو مالك الممالك يامولاى الأمر بخلاف ذلك وأنا وحق مكون الاكوان وكل يوم هو فى شأن ماأكون لغمرة إلا من جملة الأعوان وأحميها من جميع السودان فقال عنتر وكانى أنا بعد أن دخلت إلى هذه البلاد ماأخرج منها وأترك فيها أحد من السودان بل أقتل كل من فيها من الفرسان ولا أدع يحكم فيها من اليوم إلا البيضان فقال له الملك لون الظلام وحق البيت الحرام قد فعلت هذه الأمور وندمت على ذلك إلا أنه كان مقدور كل هذا الأجل ولدى وحشاشة كبدى صفوان الملقب ببدر التمام لأنه تولع بحب أعجوبة الانام بنت الملك همام وكنت ياأبا الفوارس أرسلت أخطبها لولدى فقتل رسولى لأنه جبار عنيد وشيطان مريد وكنت قد عولت أن أسير إليه بنى عمى وكل من فى ديارى وأخذها منه غصبا وأنهب دياره نهبا فجرى لى معك ماجرى بما قدره رب الورى وأنا ماطلبت منك الذمام إلى أن أصير لك خادم وغلام قال الراوى فلما سمع الأمير عنتر من الملك لون الظلام هذا الكلام قبل سؤاله فقال إذا كان الأمر على ما ذكرت فطيب قلبك وأشرح خاطرك وصدرك فإنى آخذ لك بالثار وآخذ لولدك الجارية بعد ماأترك ديار أبيها خالية فعند ذلك نهض الملك لون الظلام وقبل من عنتر الاقدام وقال لاعدمتك أيها الفارس الهمام والبطل الدعام فضمه عنتر إلى صدره وأجلسه إلى جانبه وهو يحادثه بما تم وما كان قال الراوى هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من صفوان الملقب ببدر التمام فإنه لما أسر أبوه جرت عليه هذه الأحكام وقد افترقوا عن القتام والصدام ونزلوا فى الخيام واستقر بهم المقام جمع أرباب دولته وقال لهم كيف تروا إلى هذه القصة فقد هلكت رجالنا وانى قد صرت فى حالة العدم ولا أدرى على ماذا أقدم وان أبى كما تعلموا قد أسروه وربما يكونوا قد قتلوه وأنا لا أدرى كيف تكون هذه الأمور فقام منهم فارس يسمى علوان بن معدان وقال له ما فى الأمر إلا أننا نحمل عليهم عند الصباح فلعلنا نأسر هذا الشيطان وقد تخلصنا من الذل والهوان فلما سمع صفوان هذا الكلام فقال هذا تدبير يسوق

إليها وبال وتدمير وإذا لم نتلافى قصتنا مع هؤلاء الانذال والاطال بنا المطال وأبلونا من حربهم بالذل والنكال لأنى أعرف شياطين الحجاز ومابقى فى الأمر إلا أنى أسير إليهم فى زى رسول وأطلب منهم الذمام وأخلص أبى ومن معه من الاسارى وبعد ذلك أطرح روحى على هذا الذى يقال له عنتر لانه والله بالخير يذكر فلعله يساعدنى فى بلائى ويرحم ذلى وشقائى فلما سمعوا قومه مقاله أطاعوه وأجابوا سؤاله وقالوا له افعل ماتريد فكلنا لك ولأبيك عبيد فلما كان عند الصباح ركب الفرسان على الجرد القداح وقد ركب الملك لون الظلام واستاذن من عنتر أن يسير إلى رجاله وأبطاله يعلمهم بما جرى من أحواله وإذا قد أقبل إليه أو باب دولته وإذا ولده صفوان قد نظر أباه مع عنتر واقف مع جملة القيام فعند ذلك تقدم إليه وساله عن حاله فأخبره بجميع ماجرى له وكذلك الآخر أعاد على أبوه مادبره من مقاله فلما سمع لون الظلام ذلك قال له ياولدى طيب قلبك فقد وعدنى أبا الفوارس عنتر أن يأخذ لك محبوبتك ولو انها فى حجر ملك الروم قيصر أو خلف سد أسكندر وأنه والله ياولدى قادر على ذلك وأكثر فلما سمع صفوان ذلك الكلام زال عنه الهم وزاد به الفرح والسر قلبه والشرح وقبل الأرض بين يدى الأمير عنتر وقبل أقدامه فى الركاب وبكى وأشار يمدح عنتر بهذه الأبيات

| | |
|---|---|
| ياخير من سمح الدهر المصون به | نفسا وأعظم من تعلو به الرتب |
| لازلت أكرم من لاذ الانام به | وخير ناس نشا فى العجم والعرب |
| لولاك ماكان لامجد ولا كرم | ولا مقام ولا فضل ولا حسب |
| أجر لصفوان من جور الغرام لقد | ضاق الزمان به واشتدت الكرب |
| لازلت فى العز والاقبال مرتفعا | ماناح قمرى على الاغصان منتحب |

قال الراوى لهذا الكلام فلما سمع عنتر من صفوان ذلك الشعر تعجب من فصاحة كلامه وأوعده أن يجمع شمله بمن يشتهيه ثم أن عنتر سأل الملك لون الظلام من ذلك الغلام فقال له هذا مملوكك ولدى وحشاشة كبدى هذا الذى ذكرت لك هواه وعشقه وها هو كما تراه نحله الغرام وزاد به الهيام قال الراوى فلما علم عنتر أنه ذلك الغلام هو صفوان ففرح به إليه وفى عاجل الحال أتواله بخلعة فخلعها عليه وخلع على من معه من الرجال الكرام وبعد ذلك رجعوا طالبين الخيام وفى أولهم الملك لون الظلام وولده بدر التمام وعنتر الفارس الهام وغصوب وميسرة وشيبوب وبنى عبس فرسان المنايا والموت الزؤام (قال

قال الراوى ) وكانت قد سبقتهم الفرسان وأعلموا جماعة السودان بما جرى ففرحوا لاجل إصلاح الامر والشان وفرحوا كلهم بذلك الخبر واستقبلوا ملكهم وصحبته أبا الفوارس عنتر وترجلوا الجميع على وجه الارض فسلموا على عنتر وبسلامة ملكهم هنوه وهنوا أيضا بعضهم البعض فلم تكن إلا ساعة حتى ضربت لهم الخيام فنزلوا فيها للمقام وزال عنهم الافراح وزادت بهم المسرة والافراح ولم يزالوا على مثل ذلك الحال يومين وثلاث ليال فلما كان بعد ذلك انتقلوا من ذلك المكان إلى روضة يسمى روضة الجنان حوت من كل فاكهة زوجان وفيها الرياحين من جميع الازهار والمياه متدافقة وقد تبسم زهرها وضحك بعتراتها وتمايلت أغصانها وتحرك نسيمها والسماء قد غشيها غاش من الغمام الصامت فبقيت كأنها اجنحة الفواخت وبقى باطن الجو بابن من ظاهره والمحبوب إلى محبوبه قد قد باحت سرائره والخمرة قد عملت فى القوم ولا بقى عليهم عتب ولا لوم هذا وصفوان قد بقى من المدام سكران فتذكر محبوبته إعجوبة الانام بنت الملك همام صاحب أرض ذات الاعلام فبكى من شدة الوجد والغرام والشد يقول هذا الشعر والنظام

| | |
|---|---|
| ياصاحب الخمرة الصهبا امزجها | بالماء لتأخذ من أوزانها ذهبا |
| بحضرة الراح فاحذر أن تم بها | ستعمل الراح مالا يعمل القضبا |
| فاستوحشت وبكت فى الكاس قائلة | ياأم ويلك أخشى النار واللهبا |
| فقلت لاترهبيه عندنا أبدا | قالت بدا انكرت فقلت الضيق قد ذهبا |
| قالت فمن خاطبى ياذا فقلت أنا | قالت فبعل قلت أستغفل الرقبا |
| وصف اقداح راح معاهدها | لمجتنيها وقد هيجتنى طربا |
| قالت فلا تدع العربيد يشربنى | ولا المحبوس لكن اسقنى العربا |
| ولا اليهود لان الغدر دأبهمو | أسقنى اليوم من لايختشى النصبا |
| مابين ورد ونسرين يعادله | يتفسح وبهار لونه عجبا |
| وسوسن وشقيق ثم يصحبه | قل وناغية من أعظم الرتبا |
| واقحوان عليه الطل منهملا | والنرجس الغض فى الغدر أن قد لغبا |
| السحب ناعبة والجو باكية | والطير ناشدة والغصن قد طربا |
| فاسعى وامزجها ياصاح واسكبها | واشرب وفسقى رجال سادة نجبا |
| عن آل عبس كرام عز جانبهم | حازوا الفخار وحازوا المجد والنسبا |
| قوم إذا مادعوا فى كل نائبة | تراهموا فى الوغى كالنار فى الحطبا |
| صفوان أتاك ليشكو جور من تركت | دموعه فوق صحن الخد منسكبا |

أوفى بوعدك يامولاى عنترة ... فانت أكرم من أعطى ومن هبا
مادمت فى نعم تبقى مجددة ... مادامت السحب بالامطار تنسكبا




(قال الراوى) فلما سمع عنتر شعر صفوان الملقب ببدر التمام كيف مدحه بذلك النظام فرح لذلك وهام وقال له ربح سرك يا غلام فوحق الرب القديم اله موسى وإبراهيم الذى هو بو ساوس الصدور عليم أن الجارية لك ولو كان المتعرض لها كسرى أو قيصر ولم يزالوا على ماهم عليه من السرور والافراح وفى من بعض الايام وإذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وأظلمت منه الروابى والبطاح ولم تكن غير ساعة حتى بان بريق وبانت الصفاح وأسنة الرماح قال الراوى فعندذلك وثب عنتر كانه الاسد القسوز وركب على ظهر جواده الابجر وركب لون الظلام ومن معه من الانام وخرجت الفرسان من الخيام وقد ناداهم البسوا السلاح كان عدتهم عشرين ألف فارس من كل مدرع ولابس وقد اجتمع على عمارة من بنى قضاعة ثلاثة آلاف فارس والمائة وخمسين الذين من بنى عبس الاشاوس وكان عدد هذا العسكر تسعين ألف فارس ما بين رامح وتارس وهم أبطال وشجعان من فرسان السودان كأنهم من مردة الجان أو من بقايا جن سليمان عليه السلام قال

الراوى وكان السبب فى هؤلاء العساكر المستكثرة ومجيئهم إلى هذا المكان فارس منهم يسمى قسورة بن جوهرة فهو إنه لما قتل الأمير عنتر ماتقة بن علقم وانهزمت أصحابه كان هذا الشيطان فى أوائل المنهزمين فسار يقول لهم ما قدركم يا بنى اللئام فى الحرب والصدام إلا أنكم عصيتم أمر الملك الهمام فلما سمعوا منه ذلك الكلام جردوا عليه الحسام وأرادوا أن يقتلوه فقال لهم يا ويلكم إن قتلى ما هو فخار ساروا إلى الملك غوار بن دينار الحاكم على هذه الديار ثم إن قسورة لم يزل سائراً بالليل والنهار إلى أن وصل إلى أرض الخفافة وهى ديار غوار بن الملك دينا فى الحال هجم عليه فتقدم بين يديه فأخبره بما جرى على ضاعنة فلما سمع غوار ذلك الكلام صعب عليه وقال يا ويلك فمن فعل به تلك الفعال فقال له التى فعلت هذه الفعال غمرة بنت الأوغاد ومعها فارس من أرض الحجاز يقال له عنتر بن شداد فلما سمع الخبر شخر ونخر وبربر وكفر وطار من عينيه الشرر وتغيرت منه الأحوال وقال لقسورة فى كم يكونوا هؤلاء الأنذال فقال لا وحق رأسك وعساكر بعدد الرمال (قال الراوى) فلما سمع ذلك حار فى أمره فضاق بما حل صدره فبينما هو كذلك قد حل معه الغضب فاذ قد وصل إليه كتاب سويد يستنجد به من الملك غوار فيقول له العجل العجل قبل فوات الأمل وحلول الأجل فقد جرى ما هو كذلك فكذا فعند ذلك زاد به الوسواس فتغيرت منه الحواص فقد مال إلى الأرض برأسه فتصاعدت أنفاسه ونظر إلى من حواليه من أرباب دولته فقال لهم أشيروا على كيف يكون العمل فقال وزيره الذى هو مدبر الخطأ يا ملك كان منك فى الاول فقد أبقيت على تلك العاهرة غمرة فلحقتك منها غفلة حتى أنها ذهبت إلى ديار بنى عبس فاستنجدت بهذه القبائل التى كأنهم جن سليمان والآن فهذا شىء قد فاته فدعه وخذ فيما عولت فما بقى إلا أنك تجمع العساكر من قريب ومن بعيد فتتقدم لهم وإلا ما تبلغ ما تريد فتسمع بنى قضاعة أنها عادت فترجع إليها (قال الراوى) فلما سمع غوار هذا الكلام قال له إذا كان حسابك هذا الحساب فأنا أسير بروحى فلا أعود حتى أترك ديارها خراب فلما سمع هذا الكلام قال له ما صواب وإلا فرهؤلاء حتى تسير إليهم بنفسك وتخرق ناموسك وما هذا الأمر إلا أنك ترسل لهم فارس دولتك وجه الغول بن أبى القرون قال فإن هذا الفارس هو الذى كسر عساكر غمرة لما إن مات أبوها فنهب أموالها وقتل رجالها فأبلاها بالشتات فانهزمت إلى أرض الحجاز وتلك البلاد وشكت حالها إلى أبا الفوارس عنتر فلما سمع الملك غوار بن دينار من وزيره ما به أشار استدعى بهذا الشيطان الذى هو وجه الغول بن أبى القرون وحكى له عن جميع ما جرى عليه فأطلعه على ما فعلت غمرة ومن

معها من الرجال ثم قال له فما استدعيتك إلا لهذه الأحوال فلما سمع وجه الغول ذلك قال وحق القمر إذا أنار والليل إذا أتى بالظلام إن أنت أرسلتنى إلى هؤلاء القوم أتيتك بهم مربطين بالحبال فى جملتهم عنتر وإنك لا تخرق ناموسك ثم أنه فى ساعة الحال جمع جيوشه وأنفذ خلف الفرسان وأخذ أهبة الرحيل فساروا فى تلك المهاد وهو فى أربعين ألف فارس فلما تمادى بهم المسير فقز وجه الغول أمام الجيش وأنشد يقول .

| | |
|---|---|
| أنا أسد الهيجاء للحرب عاشق | أهشم رؤس العدى من غير أوفاق |
| وكم رام حربى فارســـا متترما | فخار صريعا صار دمه دافق |
| وأبى وجه الغول خير عشيرتى | أقطـــع هامات وأبرى علائق |
| وإن عايرونى بالسواد فهمتى | أنارت على البدر المنير المشارق |
| وإن سوادى لا يعاب وإنمـــا | أمر العيب إلا من عند بدل منافق |
| إلا يابنى عبس أتاكم غضنفر | فهل فيكم قرنا كريمـــا موافق |
| واتركه ملقى على الأرض ساوياً | تقلبه الغربان وهى مواعق |

فلما فرغ وجه الغول من شعره صار يجد المسير حتى كادت الأرض تميد بهم حتى أشرفوا على بنى عبس وهم فى أكلهم وشربهم فلما نظروا إلى تلك العساكر كما قدمنا تركوا ما كانوا فيه من المدام وركبت الفرسان واستعدوا للحرب والطعان فخرجوا لاستقبال ذلك المعسكر وفى أوائلهم أبا الفوارس عنتر وهو نشوان من خمر الدخان فخلع عنه ثياب الورد ولبس ثوب حرير أسود فلما نظر شيبوب إليه وقد فعل تلك الفعال خاف عليه من العربان وقال له ياأخى ماهذه الفعال التى مايفعلها إلا الجهل الذين لا يخطر الموت لهم على بال ويلك أما ترى إلى هذه العساكر التى كأنها البحار الزواخر فعند ذلك صاح عليه بصوت يفلق الحجر فوقع على ظهره فقال له دعنى ياولد الزنا تقول لمثل هذا المقال وأنا تخشانى صناديد الرجال وتخافنى الأسد فى الدخال ثم إنه صاح فى عروة ورجاله وأمر بنى عبس أن يفعلوا مثل فعاله وقال لهم إذا لقيتم الأعداء أرموا من أيديكم عوامل الرماح واستعملوا الضرب بالصفاح لأن الرماح ما تنفع إذا اقترب الكفاح وتفرقوا فى جنبات البيداء فلا تصطفوا فتكونوا هدفا لسهام العدا على أن السهام ما تخطى وتصيب إلا بأمر القريب المجيب الذى يعلم الأجل بعيد كان أو قريب وبادروا أعداكم بالحلة العظمى وامتزجوا بهم امتزاج فعندما يقبلوا عليكم أنثروهم أفراد وأزواج ثم إنه جعل يحرض الرجال على الثبات فى القتال ويرميهم يمينا وشمال ولم يزل مثل هذه الآثار حتى أقبلت العساكر مثل أمواج البحار وتتابعت مثل الغمام السيار فصاحت وحملت

من سائر الأقطار عندما تلتقى بنى عبس السادة الاخيار ومعهم عساكر لون الظلام وحلت غمرة فى بنى قضاعة الكرام عند ذلك زاد الكرب على الفرسان وصبرت الشجعان وكلت الأبدان وتبادرت الافران وطلعت الغبار إلى العنان وانعقد مثل الدخان وقد حارت النواظر والاذهان واصطدما الجيشان ودام بينهم الضرب والطعان وقدصارت الأرض من دم القتلا كحلة أرجوان وكان لهم يوم من أيام الزمان قد أتباعت فيه النفوس بيع الهوان وضجت عمار تلك الأرض والسباسب من شدة ركض الخيل وزعقات الفرسان وودعت الأرواح الأبدان وعلا الغبار حتى أظلمت منه الافاق وكثر الصياح والزعاق ونزل على الجميع القضاء والقدر من الواحد الخلاق وقامت منه الحروب على قدم وساق وكثر فى السودان المحاق فلله در عنتر فكم قطع فى ذلك اليوم من الأعناق وقاتل قتالا تعجز عنها ألسن الحذاق لأنه ماحمل على موكب إلا وتكبكب وسطا على السودان والعرب وخطف الأرواح ونهب وفرق المواكب فى كل قفر وسبسب هذا وقد نظر وجه الغول إلى فعاله فهالته أعماله وخاف منه على رجاله فحمل من تحت الاعلام يطلب الحرب والصدام فكثر قدامه الصياح والحصام واشتدت الاهوال وخرجت الرجال وجاء الحق وذهب المحال ونظرت السودان إلى هذه الأحوال التى ماكانت لهم على بال ولم يزالوا على ذلك المرام وهم فى صدام ولزام إلى أن أظلم الظلام وافترقوا وهم سكارى بغير مدام وعادوا إلى المضارب والخيام وقد ربحت بنى عبس الاخيار الذى ابنى حام ولما اشتغلوا بنى عبس وبنى قضاعة بالحرب والصدام رجعوا فرحا بالنصر والظفر ومافيهم إلا من بنى على أبى الفوارس عنتر وأما وجه الغول فإنه رجع إلى خيامه وهو مايعرف ماذا يقول ومن كان وراءه وما قدامه واجتمع بالوزير الذى الملك غوار فقال الوزير أيها البطل الغوار أننى أخاف على العساكر من الانكسار وهم على بعد من الديار ويتشتتوا فى البرارى والقفار ويحل بهم الهلاك والدمار قال الراوى فلما سمع وجه الغول من الوزير ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له أيها الوزير ماهذا القول الحقير فى غداه أريك العجب لأنى أريد أتولى الحرب بنفسى ما يتجدد ورتبوا لهم حرس فى ذلك الليل الأسود فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام قال الراوى وأما ما كان من عساكر بنى عبس والملك لون الظلام فإنهم لما استقروا فى الخيام فأراد عنتر أن يرتب رجاله لحرص السودان فلم يعمل صفوان بل قال ياصاحب

الهيبة والحرمة أنا أنوب عنك فى هذة الخدمة وأدور أنا ورجالى من حول الخيام لانك أنت المولى وأنا الغلام فشكره عنتر واثنى عليه ثم أن صفوان أخذ من قومه ثلثمائة فارس وبات العساكر حوافظ وبقى يطلع إلى دار أعجوبة الانام وكلما طال عليه الليل أقلق وهام ولم يزل على ذلك الرواح إلى أن أصبح الصباح فعند ركبت الابطال يطلبون الحرب والقتال إلا أن السودان ايقنوا ببلوغ الآمال وطمعوا فى ذلك الوعد الذى وعدهم به وجه الغول وقد تسابقوا على الخيول لاجل القتال فتلقاهم ميسرة ومصوب كأنهم البلاء المصبوب فما كانت إلا ساعة حتى نظرنا إلى حرب يقطع الحدق وطعن يأخذ الإنسان منه القلق فزالت الاطماع من قلوبهم وقد تكسرت نفوسهم وكان قتالهم فى ذلك قتال مختصر وحاربوا محاربة من طلب الربح فخسر لان مصوب وميسرة ومن معهم من الرجال طرحوا السودان فى جنبات القيعان ولم يزلوا على هذا الامر المهول وبعد ساعة ردهم عن الحرب وجه الغول لانه أعجبه قتال بنى عبس عند الملتقى فاشتاق إلى المجال معهم فى الميدان لانه كان شجاع مدخر للحرب والقراع عند ذلك تقدم إليه فارس من فرسان الحرب




والهواش يقال له الدهاش بن الرعاش وقبل الارض بين يديه وقال له أيها السيد تمهل بحق اللات

والعزى فلا تعجل حتى أبرز أنا إلى الميدان فلما سمع وجه الغول مقاله أجابه إلى سؤاله وقال له عجل إلى ما تريده وتؤمله فإذا ظفرت بعنتر لا تقتله بل أئتنى به أسيراً حتى أسير به إلى الملك الأكبر فقال له السمع والطاعة ثم أنه خرج على جواد أصفر مضمر يسبق الريح إذا زمر ومعه مرهف ماضى كأنه الموت الأحمر على النفوس قاضى فسار إلى الميدان ولين عريكة الحصان وأشار بقول صلوا على طه الرسول

| | |
|---|---|
| أبرزوا نحوى فقد طال حرابى | وأقلوا لومكم ثم العتابى |
| واتركونى وبنى عبس كذا | لترى اليوم طعنى وحرابى |
| يا بنى عبس أفيقوا واسمعوا | قول ذى رأى مشير الصواب |
| لا تركنا اليوم منكم فارساً | سوف أتركـكم طعاماً للذئاب |

إلا أنه ما تم كلامه وما نطق به من نظامه حتى حمل عليه غصوب وسار قدامه وراكب على جواد إلى جرى لا يلحق له مدد وعلى صدره زردية من أضيق العدد مضاعفة العدد لا يقطع فيها الصارم المهند لا يخرقها سنان الرمح المسدد وعلى رأسه بيضة كسروية من البولاد القوية وفى يده رمح خارق كأنه البلاء الطارق ثم انطبق وزعق فيه زعقة الحرد فطعنه فى فؤاده نكسه عن جواده فانقلب على الأرض يخور فى دمه ونادى بأفصح كلام ياويلك تهددنا بالموت يا ابن اللئام ونحن أبطال بنى عبس الذين تسمينا بين الأنام فرسان المنايا والموت الزؤام قال الراوى فلما رأوا من غصوب ذلك الفعل هابته الأبطال فلم يبرز إليه أحد لا أبيض ولا أسود عندها حمل على الفرسان وجود فيهم الضرب والطعان فالتقته الشجعان وتكردست عليه الأقران له فطاب الضرب فى الصدور والأبدان وظهر منه ما حير الفريقان فكان له يوم من الأيام لأنه ما عبر عليه نصف النهار حتى قتل مائة فارس كرار عند ذلك أبعدوا عنه الفرسان وهابته الشجعان فرجع إلى قومه وغير حصانه ورجع بعد ذلك طالب الميدان ثم أنه صال وجال فى أربع جنبات الميدان وأنشد يقول

| | |
|---|---|
| أنا ناهب الأرواح فى يوم الوغا | وأن كريم القوم يعطى ويوهب |
| فلانك فى حب الحياة مسالما | أرى الموت فى يوم الكريهة أعذب |
| كانك لم تدرك من الدهر ساعة | إذا لم تكن تدرك لما أنت طالب |

(قال الراوى) ثم بعد ذلك نادى يا بنى الزوانى أبرزوا إلى هذا الفارس العدنانى واطلبوا الفرار من قبل ذهاب النهار كله ووجه الغول واقف يسمع ويرى نحو من ذلك الحال

قدزاد بلباله وتغيرت أحواله فصارت عيناه مثل الجمر عند شدة اشتعاله فلما زاد به الهوان خرج من تحت الأعلام وهو يهدر كأنه سبع الآجام فطلب غصوب مثل الباشق إذا طلب الحمام فلما أن صار فى الميدان صال وجال وقد أقلق الحصان وأنشد يقول :

| | |
|---|---|
| طال الطعان ونار الحرب تلتهب | فابرزوا يابنى الأنذال وانتخب |
| لفارس ماله فى عصره مثــــل | مساويا لا ولا فى العرب والعجم |
| اليوم أخذ ثارى منكمـــوا وأنا | ألقيكموا فى الثرى صرعا على الركب |
| وأترك الخصم ملقى ليس يعرفه | سوى وحوش الفلا للحم تنتهب |
| وأفنى بنى عبس بالصمصام فى رهج | ولا أدع منهموا رأس ولا ذنب |
| لأنهم قد أساءوا الخلق بفعلهموا | وهم على العرب كالنيران تلتهب |
| فدونكم يابنى عبس إلى رجل | إذا ما التقيتم سيفه لا ينفع الهرب |
| لابد لى من لقاهم ثم أجعلهم | مثل قوم رموا بالسبعة الشهبا |

فلما فرغ من شعره سل فى يده صارم هندوانى يسبق البرق اليمانى أو كأنه آمن من الآفات يقاتل بسائر السلاح فلا تقف قدامه رجال إذا صاح وكان عليه يومئذ كازغند مدفون بزرد صغار العيون على رأسه بيضة من البولاد لا تعمل فيه سيوف الحداد فلما نظرت عمرة إليه وإلى شجاعته خافت على ولدها منه فأرادت أن تخرج إليه وترده عنه فتقدمت إلى عنتر وأعلمته بجلية الخبر وقالت له أنا خائفة من هذا الفارس على ولدى فأريد أن أخرج إليه وأرد ولدى وأحمل عليه فلما سمع عنتر مقالها ردها وقال لها فى مكانك لأن هذا الشيطان مصادم وماله أحد غيرى مقاوم ثم أنه ساق حتى وصل إلى ولده فقال له إرجع ياولدى عن هذا الشيطان فقد كفاك ما لقيت اليوم من الفرسان فلما سمع غصوب ذلك من أبيه علم أنه من شفقته عليه فعند ذلك رجع إلى أمه فضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه وشكرته وأثنت عليه إلا أن وجه الغول لما رأى ذلك كبر عليه كيف رد خصمه بين يديه ثم أقبل على عنتر بقوته واقتداره وقال له ويلك يانسل الأوغاد من تكون أنت حتى رددت خصمى وأعقتنى عن أخذ الثأر فقال له عنتر يانسل القرود وأخس فرسان هذه الجنود أنا عنتر بن شداد أعظم العرب همة وأشدها عزما مالى مبذول وعدوى مخذول ومقاتلى مقتول ودمه مطلول أضرب بالصفاح الحداد وأطعن بالرماح المداد أقدح العرب زناد وأطيبها ميلادا وأثبتها جلادا ومع هذا فانى ما دخلت إلى هذه البلاد إلا لآخذ لغمرة بالثار وأقلع منكم الآثار وأخرب هذه الآثار (قال الراوى)

فلما سمع وجه الغول من عنتر هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام فقال وا فرحتاه اليوم أعرفك من هو فارس الصدام ومن يقدم بهذا الكلام ثم أنه حمل على عنتر وهو كان الأسد القسور فتلقاه عنتر بنية فاترة فطلعت على رخص الاثنين الغبرة وكان لهما ساعة عسرة فنزلت عليهم الأقدام المقدرة فسبحان من شبب للنفوس أسباب الفناء وتفرد بدوام البقاء هذا والفرسان قد أظهروا عجبا حتى شكت الخيل من تحتهما تعبا فشت بعد الجرى خببا وصارت النفوس علقا وحارا من بعضهما واندهشا وذل وجه الغول قدام عنتر وطلب من المجاوفر جا فلما عرف عنتر منه ذلك الحال حاذاه حتى ساواه وطعنه برمحه المسال فى جانبه للشمال فإذا به عن سرجه مال كأنه قطعة جبل ثم زعق يا لعبس يا لعدنان أنا عنتر أبو الفرسان إلا أن السودان لما سمعوا زعقته ورأوا وجه الغول بعددا من طعنته حملوا عليه مثل الليل البهيم ونادا نداء عظيم بالك من فارس شديد وبطل صنديد قصف الله عمرك وكفى الناس شرك فلقد قتلت فارس البيد الذى ما يوجد مثله فى هذه الديار أبدا فلما نظر عنتر إلى السودان وقد حملت الأعنة خيلها أرسلت عند ذلك أشار بكفه وزعق على بنى عبس فحملت من خلفه وأجابت نداءه والصوت وحلا لهم الموت الحرب بينهم على قدم وساق وماج بحر المنايا والتطم وانفجر الموت أضرم وانقطع حبل الرجال والصرم فقلمت من رفعها القمم فقطرت أسنة الرماح بالدم مثل المطر إذا انسجم فاسود الأفق واظلم على الغبار وخيم فالتطمت المواكب والأمم فطارت الجماجم عن الأبدان ولم يبق منها إلا الرمم وشابت الذوائب واندهشت الأمم وحكم السيف فى ذلك اليوم أوفى حكم وحار فى حكمه وظلم وضاق المكان على الجميع وازدحم وتادوا إلى بعضهم البعض فلم يسمع النداء من كثرة اظمم وأمطرت عليهم مطرات من الدم وبربر عليهم سبع الأجم وغاد وجودهم إلى العدم والشجاع همهم والجبان دمدم والبطل تقدم والنذل انهزم واللسان الفصيح انعجم فصارت الرجال تهدر مثل سباع الأكم وتتكلم كلام لا يفهم والسودان قد هلك الذى كان عليهم مقدم وقد أشرفوا على الهلاك والعدم وفعل ذلك اليوم لون الظلام وابنة فعالا حارت منها جميع الفرسان وما منهم إلا بين شدته وعزمه وكذلك سودانه وبنى عمه وأما عمره وولدها غصوب وأخيه ميسرة فإنهما كان مثل النيران المستعرة إذا عملت فى يابس الحطب وأظهروا فى ذلك اليوم العجب وحارت من قتالهم الأوهام والفكر ونثروا بالأبطال بالصارم الذكر فطيروا الجماجم مثل الاكر وأفسدوا الأجساد والصور فلم تكن إلا ساعة على ذلك

الخبر حتى فرق عنتر طوائف السودان فزالت عن عساكره الهموم إلا أنه ما حمل على موكب إلا وقد طلب الحرب وما ولى النهار حتى ولت عساكر السودان وعادت بنو قضاعة وعساكر لون الظلام وهم يثنون على عنتر ويدعون له بطول العمر لأجل ما قاسى فى ذلك اليوم لأنه عاد من الحرب مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهم قدام الرجال وترنح فى سرجه ومال لما رأى نفسه على العدا أطال فأنشد وقال

| | |
|---|---|
| سل البان عن فعلى واستخبر الرندى | إذا ما وصل العلم السعد |
| وقل لهما هل لا رأيتم عبيلة | فنها استعارت حمرة الوجة والخد |
| فيا برق القى من سحابك عدوة | على ساحة الاطلال فى العلم السعد |
| وخل الندا ينهل كل عشية | على زهره كيما يكى بين الوقد |
| ستذكرنى يا برق فى كل ساعة | وتعلم أنى لست أنسى لها عهد |
| وأن سألت يا برق عنى فقل لها | بأنى تركته يقاتل بالهند |
| وان حسامى يا عبيلة قاطع | يقد الطلا والهام والعظم والجلد |
| ولو حاربتنى المنايا لقيتها | بقلب شديد الناس كالحجر الصلد |
| أيا عبلة لو أن المنية تلقنى | لخرت لسيفى لو تسجد على الخد |
| وتزعق لى يا عنتر بن زبيبة | أجرنى من الظامى فلست له أشتد |
| أنا عنتر المعروف فى الحرب واللقا | أموت وتبق لى أحاديث من بعد |

فلما فرغ عنتر من شعره قال له الملك لون الظلام نور الله سرك وشرح صدرك فلقد أشفيت الغليل بكسرك لهذا العسكر الثقيل الذى ليس هو بقليل ولم يزالوا على ذلك الكلام حتى وصلوا إلى الخيام ونزلوا فيها وهم فرحى بنيل المرام هذا وعسكر السودان يقولون وحق الملك العلام لما قصر لون الظلام بمصاحبة هذا الفارس الذى ماله فى ذلك الزمان مثال ثم انهم باتوا وهم غاية الآمال إلى أن أصبح الله الصباح استشاروا فى المسير والمقام فى تلك الروابى والبطاح فطلب عنتر أن يسير بمن معه كافة ويتبع السودان إلى أرض الخافة فقال لون الظلام لابد لنا من الراحة عنا ثلاثة أيام فقال عنتر أخاف أنهم يجتمعوا فيعودوا إلينا فى المكان ويجمع علينا الملك غوار كل من كان فى هذه الديار (قال الراوى) فلما سمع لون الظلام من عنتر هذا الكلام قال له أفعل ما بدا لك من الأحكام فعندها رحلوا فى اثنى عنتر فارس من كل مدرع ولابس وعنتر فى المقدمة ومن حوله فرسانه فحبابيه وعروة وغصوب وميسرة وصفوان إلى جانبه وكذلك فرسان بنى قرادوهم يقطعون تلك البرارى والمها وكلما مروا على حلة نهبوها وأموال

خذوها ولم زالوا على ذلك الشأن إلى أن اشرفوا على أرض كثيرة المياه والغدران يقال لها سحرات الحياة خضرة المروج والغدران والوحش فى جنباتها تمرح بربوات مزهرة وأماكن مفرحة كثيرة النبات والربيع وهى تزهو بمنظرها البديع فما نظروا إلى تلك الأرض وهى أعجب من كل أعجب نزلوا فيها وكان قد أضربهم التعب فأقبلت عليه غمرة قالت له يا أبا الفوارس أنزل بنا فى هذا المرج الأخضر حتى نريح الدواب من التعب وأفرجك على ما فيه من سائر الأجناس حتى أنها من كبرها ما يحصى لها أحد قياس فى هذه الشجرة يا أبا الفوارس سر لا يعلمه أحد ولا يعرف معناه لا يعلم السر الذى فيها إلا الله قال الراوى فلما سمع عنتر كلامها فى وصف الشجرة قال لها ما هو السر الذى ركبه الله فيها فقالت لما علم يا أبا الفوارس أن التجار إذا أتوا إلى هذه الأرض ووصلوا إلى هذه الشجرة يحط كل واحد بجارته على حد من الأرض حتى لا يختلط بعضهم ببعض ويعود إلى منازلهم ويتركوا تحت الشجرة تجارتهم فاذا أصبح الصباح قصدوا إلى تلك الشجرة من سائر النواح فيجد كل واحد منهم تجارتهم إلى جانبه تجارته لما يصلح لأهاليه وأهل بلدته فان رضى بذلك العوض أخذه وترك بضاعته التى حطها إذا لم يرض يأخذ تجارته ويعود إلى بلدته فلما سمع عنتر من غمرة ذلك المقال لحقته الحيرة والإندهال وقال لها البضاعة التى يحطوها تحت الشجرة ماذا يجرى فيها فقالت له يا أبا الفوارس ما أحد يعلم ماذا يصيبها ولا من الذى يأخذها ولا من يجيبها فتعجب عنتر وكل من حضر ثم أنه أقبل على غمرة قال لها أريد أن أنظر إلى هذه الشجرة أبصر كيف يكون هذا الحال فعند ذلك نهضت غمرة وعنتر وجماعة ممن حضر فوجدوا شجرة عظيمة من الأشجار لم يكن رأوا مثلها فى سائر الأقطار وهى تظل خمسمائة رجل من الناس فتعجبوا من ذلك ووضعوا ذلك القماش الذى معهم تحتها قال الراوى ثم أنهم باتوا إلى أن أصبح الصباح فعند ذلك رحلوا وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا فلما وصلوا إلى تلك الشجرة زاد تعجبهم واندهاشهم لأنهم نظروا إلى أمتعة بجانب قماشهم فتعجبوا بذلك عليه العجب لم يعلموا لذلك السبب قال الراوى ثم أنهم أخذوا القماش الذى وجدوه وتركوا القماش الذى خلوه وعادوا راجعين هم فى ذلك الأمر متفركين ولم يزالوا سائرين يومهم إلى أن وصلوا إلى أرض قومهم نزلوا خيامهم وقد جعلوا فى ذلك مقامهم فهذا ما كان من هؤلاء وما تم لهم من الأخبار قال الراوى أما ما كان من الملك غوار بن دينار فإنه كان قاعداً فى انتظار وجه الغول

حتى يأتيه بغمرة عنتر بالاغلال ولم يحسب حساب الرجال وما يخطر على قلبه تقلبات وقد صار يرتقب هو وأبطاله الاخبار حتى وصلت اليهم المنهزمين وهم فى البر منطمين من عشرة لعشرين وأخبروه بقتل وجه الغول ما جرى عليهم من أجل ذلك الامر ثم بكوا من عظم ما جرى عليهم من الذل والهوان وقالوا له لقد قتل منا أرسان تبقى نساؤهم وأولادهم لابسين السواد عليهم بطول الدهر والزمان ثم أنهم أخبروه بجليلة الخبر مالاقوا من الذل والهوان من هذا الفارس الذى يقال له عنتر وكم أسر وقتل قال الراوى فلما سمع الملك غوار ذلك المقال حل به التحير والأندهال رجفت أعضاؤه وعظم بلاؤه وأيقن بزوال ملكه ثم أقبل على من حوله من العسكر وقال والله يا بنى عمى ما قلت انكم تلقوا من هؤلاء هذا الملتقى ولا يحل بكم هذا الذل والشقاء وأنا الذى فرطت فى أمرى بقعودى عن المسير ولو كنت أنا معكم لكان هان العسير كنت أرحتكم من هذا الأمر الحقير وما فى الامر إلا أسير أنا إليه بنفسى ومعى كل من فى الأحياء إلا شمتوا بنا الاعداء وربما طمعوا فينا وأرادوا أن يسقونا كؤس الردا الآن القوم قد وصفوا بهذه الصفة فلم يغلبوا إلا بالمكاثرة وقلة الأنصاف فعند ذلك قال له قسورة بن جوهر وحق من له العزة والمقدرة أن الداهية الدهما المصيبة العظمى إلا من هذا الذى يقال له عنتر لأن سيفه فى الحرب لا يبقى ولا يذر وهو الذى يعينهم ويقويهم على كل أمر منكر وهو الذى قتل الأبطال وجندل الأقيال قال الراوى فلما سمع غوار من قسورة ذلك الكلام فقال له ووجه الغول من قتله قال قتله من لا يخاف الاسود هو أبو الفوارس عنتر الذى ذلت له ملوك البلاد وقد صحبه لون الظلام وولده بدر التمام وجميع من له العساكر من أولاد دحام ومعهم عرب الحجاز وبنى قضاعة فرسان كثيرة ليس لهم فى الحرب نظير ولما قتل عنتر وجه الغول تركه مجندلا فى الملا عدنا ونحن لا نصدق بالنجاة وعنتر خلفنا على الأثر وهو يضرب فينا بسيفه الذى لا يبقى ولا يذر وهو يصيح علينا يقول عودوا إلى ملككم غوار واعلموه بهذه الأخبار انى لابد ما آتى إليه وأبيد رجاله وأزيله من ملكه وأطلاله وأسبى حريمه وعياله لأنه لا يعرف جميل ولا يرعى حق خليل قال الراوى فلما سمع الملك غوار من قسورة هذه الأخبار قامت قيامته وتغيرت حالاته قال ما بقى لى صبر عن عنتر وحماقته ولابد لى ما أقطع رأسه وأجعله عبرة لغيره واقل غمرة وكل من معها وأعرفها أنها ميشومة على من يتبعها ثم أنه فى ساعة الحال أمر أن تحضر المقدمين والأبطال فلم تكن إلا ساعة حتى حضروا على قدر طبقاتهم من الأكابر

ومن تجرى بجراهم من العساكر وفى أوائلهم عكاش بن رياس وواقد بن الرعاش سادات بنى حام وأبطال العرب من أولاد سام فلما انهم اجتمعوا فى ذلك المكان قال الملك غوار أعلموا ياسادات العرب وأكابر السودان أن الأمر صعب يوما الآن هذا الفارس الذى هو عنتر قد طغى وتجبر وقد أطاعوه عساكر لون الظلام وبنى قضاعة مع غمرة بنت الشام وصاروا يد واحده بهذا المعنى يكسروا كل عسكر تكون وردت عليهم وأن سمع الملك الهمام بما جرى علينا من الذل والهوان وإنى قد عجزت عن الهجين ومن معه من العربان فما يصير لنا عنده حرمة تنقص قيمتنا عنده بعدما كانت معظمة فلما سمعوا أمراء السودان من الملك غوار هذا الكلام كثرت الاقاويل واختلفت الناس فى القال والقيل عند ذلك وثب من بينهم رجل يقال له قرة عين بن عقيق الوالدين وكان هو الذى الوزير المدبر والمشير وقال أيها الملك يحق لك أن ترسل إليه رسول يكون ذوا عقل وفصاحة إذا تكلم يدرى مايقول فيرده عن هذه الأمور ويحذر قبل أن يقع فى المحذور إذا عاد الرسول من عنده بالجواب دبرنا على قدر مانسمع من الخطاب فقال له الملك غوار إن كان الأمر على ذلك الشأن فكن أنت الرسول اجتهد فيما نقول وحذره من اجتمع عندنا من الأبطال لعل أن تطفى نيران هذه الدار التى قد زادت اشتعال فلما سمع الوزير ذلك أجاب بالسمع ولما أن فرغ من كتابه قرأه على الملك غوار إذا فيه باسمك اللهم هذا ما كتب لعنتر الذى طغى بغى وتجبر أما بعد أيها الباغى فقد أكثرت فعالك أنت ومن معك من رفقائك قد أغضبت الملك بشقاقك فإن دمت على ذلك سوف أعجل لك عقابك لا تحسب الملك غوار مثل الملوك ولا الناس كلها سواء فما يكون لك عندى غير القتل دواء لأن عندى رجال فى الحرب كاسد الدحال بعد ذلك قد عرفت أننا ما تعرضنا لغمرة بحال من الأحوال إلا بعدما غزت أرضنا فى حال حياة أبيها قد رأيت من الرأى أن ترجع أنت إلى بلادك فيمن معك فى رجالك نحن نرد إلى غمرة ما أخذنا لها من الأموال لكن على شرط أنها تحمل إلينا الخراج والغذاء وتدارى عما تملك من البلاد وتطأ بساطى وتكون من جملة الخدم لعل يزول ما بقينا عليها من الغيظ الألم لانه قد جمع ملوك العرب والسودان وقد أراد الملك أن يسير إليك بمن عنده من الفرسان فاقبل منى هذا الرأى السديد وإلا هلاكك ما هو عنه ببعيد والسلام من الليام المظلمة على من أطاع ووافق ولعنتها على من عصى وشاقق سمع الملك غوار من وزيره ذلك التدبير فرح فرحا كثيرا وجهز

المسير وأخرجه خرج الملك الكبير وقد مشت قدامه السادات ونشرت على رأسه الأعلام والرايات وبين يديه الطبول والكاسات والزمور والوقت سار الوزير في يومه فيمن معه من قومه فهذا ما كان أولاً من الأحكام أما ما كان من عنتر والملك لوز الظلام فإنهم كانوا وصلوا إلى أرض المقدم ذكرها التي قد فاح عطرها وكان قد حصل معهم أموال ما تاكلها النيران مما كانوا نهبوه من أموال السودان فلما استقربهم النزول في تلك الأرض والطول انفذ عنتر إلى تلك القرى اشترى له ثلثمائة حمل شراب وجعل له دبابة على رؤس الروابي والشعاب وقعد يأكل ويشرب هو وملوك السودان والأعراب ولم يزلوا على ذلك الحال حتى وصل الرسول هو ومن معه من الرجال فاربوا تلك الديار والاطلال ونظرت الدبابة إلى غبارهم قد ظهر فأتوا إلى عنتر أعلموه بالخبر فقال لهم عودوا إلى ما كنتم عليه من النظر إذا أقرب منكم عرفتم ما تحته عودوا وأعلموني عن ذلك فعادوا الدبابة من وقتهم إلى رؤس الجبال جعلوا يتأملوا يمين وشمال حتى ينظروا من يقبل عليهم من تلك التلال فلم تكن إلا ساعة حتى انكشف الغبار وبان ما تحته للنظار فنظروا الى خيل قلائل ما لها محصول فعلموا أن المقبل عليهم رسول فصبروا عليه حتى وصل إليهم وسلم هو وأصحابه عليهم فسألوه عن حاله ما هو وسائر إليه هو ورجاله فأخبرهم أنه إلى أبي الفوارس عنتر من الملك غوار فقالوا قد وصلت وها هو نازل في هذا المرج الأخضر لكن قف حتى نشاور عليك وتدخل إذا دخلت تعرف ما بين يديك ثم أن الدبابة تركوه وعادوا إلى عنتر أعلموه أن ذلك الرسول من عند الملك غوار وهذا وزيره الذي يدبر في جميع أموره فلما سمع عنتر منهم ذلك المقال أمرهم باحضاره ومن معه من الرجال فلما سمعت عروة من عنتر من ما قال قالت له يا أبا الفوارس الرأي أن تركت إليه وتستقبله وتسأله من حاله فقال لها والله ما منا أحد يركب حتى يقع به وبمن معه الرعب والذل والنصب والنكد والتعب فعادت الدبابة إلى الوزير أمروه بالدخول على عنتر فعند ذلك دخل الوزير وسلم فنهض له عنتر أخذه بجانبه وأجلسه هو وأقاربه فعلم الوزير أنه هذا عنتر فسلمه الكتاب فأخذه فسلمه إلى عروة بن الورد فقرأه عليه فلما سمع عنتر ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ضحك حتى أنه استلقى على قفاه ثم قال واجباه يحق لك أيها الوزير تقولوا هذا المقال لأنكم ما شهدتم فعالي بالأبطال في حومة الحرب والجدال فوحق من خلق الإنسان من صلصال واستقى المنازل بالغيث الهطال لآخربن منازلكم أنا وحق المتعال الحنان المنان الذي لا يشغله شأن عن شأن ما هم عندي إلا مثل البهائم الرتع إذا صرخ فيها الأسد الادرع ثم أنه قام من مجلسه على ركبته وأخذ الكتاب من عروه

قطعة ولحقحه فى وجهة فلما سمع كلامه ونظر الكتاب فانجزع وداخلة الخوف والفزع وقال ياأبا الفوارس نحن نرد على غمرة ما أخذناه منها فقال له عنتر إرجع أنت أيها الوزير إليه وأكد القصه عليه وقال له يحمل إلى غمرة الخراج والمدد ويرد لها ماأخذ منها من البلاد وإلا فهو المسمى بغواز وأناعنتر بن شداد وهاأنافى أثرك إليه راحل وإلى بلادكم واصل فقال له الوزير ياأباالفرسان وياشجيع العصر والأوان وياخير من أحسن وأساء أناعلمت بأن هذه النوبة ماتنفصل إلا بقتل الرجال وترميل النساء وماأردت أن آتى




فى هذه الرسالة إليك لكن الملك أغضبنى فى السفر والدخول عليك وقال لى ماالهذا الأمر غيرك والآن مابقى يمكننى المقام بعد سماع هذا الكلام ثم نهض الوزير يطلب صهوة جواده ثم أنه سار إليه فيمن معه من جال حتى وصل إلى دياره والأطلال وكان لدخوله يوم مشهود وكان ظنهم أنه بلغ المقصود ولما دخل الوزير وسار مسلما ولم يبق منهم جالس إلا وثب قائما فلما استقر به القرار قال له الملك غوار أيها الوزير أعلمنا بما جئت به من الأخبار فقال له ياملك إعطنى الأمان فقال له الملك قل كلامك على أى وجه كان فقال الوزير وما عسى أن أقول والله مارأيت أقوى منه جنان ولا أشجع منه فى الميدان لأنه رجل لا كالرجال وبطل لا كالأبطال فى طول قصبه وعرض مصطبه وعيناه وقدفه

رأسه مثل شعل النار وهو جالس بين أصحابه مثل الأسد الهدار وما قصده إلا أن يخرب ملكك وديارك قال الراوى فلما سمع الملك الغوار ذلك الكلام صعب عليه وعلى من حوله من أولاد حام فتكلم من بينهم عكاش فقال له من هو هذا العبد ابن اللئام حتى يقول فى حقك هذا الكلام والله إن هذه فضيحة علينا وعار أن تدعه يأتى إلى هذا المكان فارسلنى أيها الملك إليه وكلفنى إلى لقائه وقد كفاك الله شره فقال له الملك الرأى أن نسير إليه فى خمسين ألف فارس من كل بطل مداعس فنصرم عمره وتكفينا شره لانه على هذا الوجه والوصف ماله إلا أنت من الرجال ولا يقاومه أحد غيرك من الأبطال فقال له عكاش وحياة أبيك ما أردها على قلبى والفؤاد إلا لانه لما دخل إلى هذه البلاد معه دريد قتل لى أخا وابن عم فلما سمع الملك غوار كلامه أمر بتجهيزه فى ساعة الحال فى خمسين ألف فارس همام منهم إلا كل ليث درغام معتدين بالسيوف الحداد ورماح المداد فوق رؤسهم الاعلام وهو فى كثرة من العسكر والجنود وعكاش بن رياش فى أوائلهم غائص فى الحديد وعليه أسود لا يعمل فيه الصارم المهند متقلد بسيف صقيل وقد أخرج يده من جلباب درعه المعقود وهو سائر قدام العساكر والرايات على رأسه مشتبكة والفرسان خلفه محتبكة وهو يهدر كأنه تلك الساعة فى المعركة وهو ينشد ويقول :

| | |
|---|---|
| أهل عنتر لهجـــين عبس | فمالى فى الملمات الثقال |
| بأنى فارس الهيجاء قرم | أبيد القرن فى يوم المجال |
| وجربت الحروب وجربتنى | كأنى كنت فى الامم الخوالى |
| أنا عكاش ولد رياش حقا | أجيد الطعن بالسمر العوالى |
| أبرى البيض بالعقب اليمانى | على خيل تكدس للرجال |
| بنى حام لنا شرف ومجد | وأفعال تزيد عن المقال |
| لئن عطف الزمان على يوما | آخذ هجين عبس فى الجبال |

قال الراوى فلما فرغ من شعره والنظام صاروا على ذلك الترتيب وكان عنتر أمر أخاه شيبوب أن يسير فى أثر الملك غوالى وينظر ما يخرج عندهم من الاخبار فاجاب كلامه وسار مقتفى مع القوم فى ذلك البر الاقفر فلم تكن إلا أيام قلائل حتى عاد شيبوب وعلى وجهه الغبار فرحب به عنتر وقال له أعلمنى يا ابن السوداء بما جئت به من الخبر فقال له خذوا لانفسكم الحذر فان الملك الغوار قد دفع فارس من أصحابه يقال له عكاش بن رياش بخمسين ألف فارس من كل مدرع ولابس وسمعت أن سيفه القاطع ودرعه المانع وهو والله

يا ابن الأم رجل جبار وبطل مغوار ومعه عسكر جرار فانظر لنفسك لأنه قد ضمن للملك قتلك فقال عنتر ساء فاله وخابت آماله وسوف ترى يا ابن السوداء من أخيك عنتر ما يحير به الناظر ثم أنه بعد ما سمع من أخيه ذلك الكلام دعا صفوان وأبيه لو الظلام قال لهم اعلموا أني مادخلت هذه البلاد والديار وعولت أنني لا أترك فيها ديار ولا نافخ نار كلما أتى إلى عسكر قتلت حماته وأسرت كماته فإذا ما بقى فالعساكر شرت إلى هذا الذى تقولوا له غوار ابن دينار وأفلع منه الآثار وأن فى هذا اليوم قد وصل إلى الخبر بأنه قد أرسل إلينا عسكر مع فارس يسمى عكاش بن رباش فى خمسين ألف فارس وأكثر فأشيروا على بما فيه الصواب أخبرونى بما تعرفونه من الجواب فقالوا الرأى أننا نسير اليه ونختطف روحه من بين جنبيه ونلتى كل من كان معه من العسكر ولو يكونوا بعدد الرمل وقطر المطر فقال والله ما أدعكم تفعلوا هـــذه الفعال ولا تتبعوا من منكم من الرجال ولا تفارقوا دياركم والأطلال فوحق الملك الجليل ما أسير إليه إلا فى نفر قليل وأترك الناس يتحدثوا بما جرى له معنا جيلا بعد جيل فقالت غمرة والله يا أبا الفوارس ما نسير إلا معك أين ما توجهت نتبعك لأن هذا عكاش ما سار إليك إلا هو معجب بنفسه متكبر على أبناء جنسه وتعلم أنى ما أفارق ولدى وحشاشة كبدى وإن كان كما ذكرت فلابد من المسير فى نفر قليل فلابد أن نسير معك ونتوكل على اللطيف الخبير فعند ذلك تجرد فى ثلاثة آلاف فارس من كل مدرع ولابس غائصين فى الحديد والزرد النضيد ولا بان منهم غير الحدق أو تداميع الامق وفى أوائلهم أبو الفوارس عنتر وهو راكب على ظهر جواده الأبجر متقلدا بسيفه الظامى الأبتر ولما تمادى فى البرارى والقفار أنشد يقول :

| | |
|---|---|
| يسباع البر سيرى وكلى لحما طريا | من لحوم الخلق واشربى دما جريا |
| واصحبينى كى تريدى القاقر ناجريا | وتريني اليوم فعلى ينى فى الداء الدويا |
| قد علا نجم سعدى فوق أفلاك الثريا | عنتر اسمى وربى أقرن السعد إلى |
| يا بنى عبس الموالى لا تخافون على | أنا منى الموت حقا يختشى للعنتريا |
| أعطينا الاذن لنخرب أرض المتيا | ويرون اليوم حربا لا يرى من آدميا |
| عبلة يا بنت الموالى اعطنى اليوم عليا | لا تقول إنى عبد فسوادى هو المضيا |
| خلقنا للمنايا نشرب الكاس هنيا | وحسامى فى يمينى يهزم الليل الدجيا |
| وإذا طالت حياتى لقدوم خير البريا | أحمد الهادى الممجد صفوة الله العليا |

لاقاتل بين يديه كل جبار عتيا فعله من صلاة مع سلام سرمديا

قال الراوى فلما فرغ الأمير عنتر من ذلك الشعر والنظام طربت الأبطال هذا وعنتر فى المقدمة كأنه الأسد الغضبان فهذا ما كان من عنتر وماجرى له من الأحكام قال الراوى أما ما كان عكاش بن رياش وماجرى له من الكلام فانه سار هو ورجاله وأبطاله وهو يقول لهم أنتم تعلمون إن كان حضرة الملك عوارجع السودان وأمرهم وسادا نهافه اوجدوا من يصلح لهذا الامر غيرنا القوة بأسنا وشدة عزائمنا فلا تنكسوا اعمائمكم ولا ترددوا وقت اللقا صوارمكم وإن ظفرتم بعنتر كان هو الحظ الاوفر لانكم بعدما تأخذوه ما بقيم بعده من العرب أحد وتبقوا تذكروا بهذا إلى الابد فما قام قائم وقعد وجعل يقوى قلوبهم بمثل هذا المقال ويحثهم على الحرب والنزال ولم يزل سائرا على ذلك الحال إذا بغبار قد ثار من بين أيديهم حتى سد الاقطار وقد لمعت من تحته الاسنة وعكاش ظاأوائل عسكره يجر الرمح من خلف ظهره وقد فرح قلبه بعمل عنتر وما سمع منه الخبر وتمنى لو وقع به يسقيه الموت الاحمر وهو يزعق ويقول يا مذلولين يا مخذولين أتظنون أنكم بقيتم تعودون من بلادنا سالمين أين تنجون من العذاب الوبل والبلاء والتنكيل فلما نظر عنتر إلى الخيل وقد تبادرت الابطال من خلفه فعند ذلك شهر عنتر سيفه والتفت إلى عروة وإلى جماعة من بنى عبس ممن يعلم أنهم طابت منهم النفس قال لهم كونوا اليوم خلف ظهرى أنظروا مع هؤلاء الأنذال كرى وفرى ثم أنه زعق فى الخيل المقبلة إليهم فأوقفها وخيل الفرسان قد أذهلها وقال لهم ياأوغاد غير أنجاد أما تعلموا أنى أنا عنتر بن شداد وحية بطن الوادى معلم الأبطال الطراد ثم أنه انطبق عليهم فتلقته السودان وأيقنوا بالذل والهوان قالوا ما هذا إنسان وما هو إلا شيطان أو من ملوك الجان وكثر الضرب والطعان من كل جانب ومكان ولمعت أسنة الرماح وبرقت شفار الصفاح وعظمت المصائب وقد عزت المطالب تكردست الارض والسباسب وتذكر الغريب والقرائب وجردت الخيل ركضا وخببا وفاضت الدماء متسكبا وفرت سباع البر غضبا وقطعت الرقاب بمضارب الظبا وكانت إلى قبض النفوس سببا وتعالى على رؤوس الطائفتين الغبار حتى صار النهار مثل الليل الليل عند الاعتكار وحكم البتار حتى كثر الانبهار وعنتر قد أظهر شجاعته وسطا عليهم كثر الصواب والخطأ وانكشف الستر والغطا وقبض ملك الموت الارواح وما أخطأ قال الراوى ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل وبنى عبس على السودان تحمل حتى تنصف النهار واعتدل وحمى الحر والهوجل وزاد بالناس العطش وافترقت الخلق الجميع ومما حل بها من الدهش وقد انبهر

عكاش مما رأى من عنتر وعلم أنه مقدم على العسكر وما صدق بالحي أن يبرد وينكسر حتى خرج إليه من شدة ما حتى من همه وأراد ان يأخذ بثأر أخيه وابن عمه فنادى بأعلا صوته والعسكر مصطفة والابطال بالابطال محدقة يامعاشر العرب من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فاني خفا أنا عكاش بن رياش الفارس الجواد فقد ندبني الملك غوار إلى قتال عنتر ابن شداد وأنا أحب الشجاعة وأهلها فاعفو عن الفرسان من أجلها فلو أردت قتاله بالمكاثرة لانطبقت عليه بهذه العساكر ومن الرأى أن يسلم روحه إلى قبل أن يشرب كاس الحمام حتى أني أخذ له من الملك غوار الذمام فلا يحسب أن الرجال كلها سوى فما يكون له عندي غير القتل فلا يظن أن النذيل مثل العليا ولا يلعب بك العجب فتغرق في بحر زاخر قال الراوى إلا أنه لم يتم كلامه حتى قفز عنتر فسار قدامه وكان قد أغاظه كلامه فقال له أخرس يا أنذل السودان فأنا ممن يلين بالهذيان ولا بشقشقة اللسان فان أعجبك عسكرك المجتمعة فما هى عندى إلا مثل البهائم إن همت بجمعها فقد فرقتها وإن أردت قبض أرواحها قبضتها فلما سمع عكاش هذا الكلام غضب وجرد مافيه من الشجاعة وحمل على عنتر حملة منكرة فتلقاه عنتر بهمة واثقة وعزيمة قوية فى يد كل واحد منهم سيف كانه صاعقه وأعين الخلق إليهم رامقة وهم فى كر وفر وأخذ ورد حتى كل منهما المصطبر فصار وافى خصام وتجريع الموت الزؤام ثم إن عنتر لاصقه وسد عليه طرائقه فصرخ فى وجهه فارجفه فمد يده إلى أزياقه وقبض على قحف رأسه مع عنقه بيده وقبض بيده الأخرى اكتافه واتكا عليه طلع بركبته بين كتفيه فما جشته إلى الأرض وقد ترشرش دمه طولا وعرض ونظرت السودان من أولاد حام إلى شيء ما نظروا مثله قط من أحد من الأنام فاندهلوا من فعل عنتر فى ملك الساعة فحملت أيضا عسكر صفوان بن لون الظلام وعملوا عمل الشجعان الكرام فلم يروا عسكر عكاش لقتالهم بنى عبس لاقدرة ولاطاقة فاعتمدوا على الهرب قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من الملك غوار وباقى العساكر فانهم كانوا كلما سمعوا بذكر عنتر ابن شداد يندموا لعدم ما ساروا إليه وبلغوا منه المراد ليكون الذكر لهم من دون العباد لانهم جاهلين بأعماله ولا رأوا حربه ولا نواله ولا يعلموا أنه آفة الله فى أرضه حتى مهد الأرض قدام سيدنا محمد ﷺ القائم بسنن الله وفرائضه ولايخشى من الموت أن يقربه ولا من المنية أن تطلبه قال الراوى بينما الملك غوار كان فى بعض الأيام جالس وإذا قد توصلت إليه المنهزمين عليهم غبار المهالك وهم حفاة عراة مشتتين فى ... ثر مجروحين ولام لايصدقون بالنجاة فنظروا الناس إليهم فوجدوهم

عبرة لمن يرام فسألوهم عما جرى لهم فأخبروهم بما نالهم وأقبلوا على الملك غوار وهو جالس على سريره وحوله أصحابه وأكابر دولته وهم يلعنون بالويل والثبور وعظائم الأمور وقد صار كل منهم يحكى قصته فكادت أن تنفطر مرارته مما حل به من الغيظ والحرد ثم أنهم أحضروا المنهزمين فاستخبروهم عن مقدمهم عكاش فاحكوا له على ما جرى عليه وكيف كانت منيته وكيف ملخ عنتر رقبته من على جثته وأنزل بهم الويل وأحل بهم البلاء والتنكيل فقال لهم الملك غوار ولو والظلام لما رأوا ذلك الأمر ماأعمه وما كان يرد عنتر عن قتل ابن عمه فقال له أيها الملك إذ لو لا الظلام ماسار إلينا ولا أمكنه من المجيء إلينا وما التقانا إلا عنتر بدون الثلاثة آلاف فارس فقد قتل مقدمنا فما كان لنا إلا الهزيمة وكانت سلامة النفس أوفى غنيمة لأن سلامة النفس من الهلاك ما لها قيمة فهذا جملة الحال قال الراوى فلما سمع الملك غوار ذلك المقال لطم على رأسه ونتف سباله وقال ياويلكم من هو عنتر فقالوا له ياملك الذى نخبرك به المصدق وما هو الأسد من الأسود فلا يلتقيه أحد فى هذه البلاد إلا أن يكون واقد بن الرعاش الفتى الجواد قال الراوى وكان فى حضرة الملك غوار فى ذلك اليوم بطل لا يقاس بالأبطال وكان يدخل المهمات الثقال يقاتل بسائر السلاح فهو خبير بضرب السيف وطعن الرماح يقال له واقد بن الرعاش فلما رأى ما حل بالملك غوار ذلك النهار وهو جالس كثير الافتكار فقال له ياملك لا تضيق صدرك وخفف عن نفسك ما أنت عليه من قهر فاذا كان عدوك من هذا الوصف فأنا أسير إليه وأخطف روحه من بين جانبيه والعز أباه وجده فلما سمع غوار ذلك الكلام قال له لا كان ذلك أبدا ومن هذا هو ابن الأوغاد حتى أنك تسير إليه وتتعب نفسك بالقدوم عليه ولكن ما أرسل له فى هذه النوبة إلا عندم بن سهام فهو الذى يصل لنا هذه النوبة قال الراوى وكان هذا عندم بن بسام طوله سبعة أذراع بالهاشمى على التمام وكان عظيم المنظر هائل الخلقة قد خاض الأهوال ولاقى الرجال الاقبال فكان يفترس الأسد من حال ويطعن الفيل وهو يركض على وجه الأرض فيقتله ويقبض على قوائم الفرس الجارى على الأرض يقطعه ويهز الرمح بيده يقصفه وإذا مسك ذنب الجمل الهائج يوقفه وهو سيف الملك عمدته ثم إنه دعا به فلما صار بين يديه قال له ياعندم أنت تعلم أنك حاجبى ومربى عندى وصاحب سيف نقمتى وتعرف أن الملك لا بد له من فرسان يعتمد عليهم فى الحرب والطعان وأنت من الأبطال وقصدى أرفع طمع الأعداء الانذال ربما تطمع فى ملكنا بنو

حام ولا سيما الملك همام صاحب أرض ذات الاعلام فاننا نخاف أن يبلغه ما جرى لنا فيزيد طمعه فينا ولا سيما هذه العامرة غمرة هي التى أحالت بنا الفكر وهذا الرجل الآخر المسمى بعنتر ويذكروا عنه أنه أسد قسور فأريد منك أن تسير إليهم ويكون معك ستين ألف فارس واجتهد أو يكون الذكر لك حتى تأخذ الطبقة على سائر بنى حام فلما سمع عندم بن بسام كلام الملك عوار نفخ فى رأسه الشيطان وقال يا ملك أنت أعلم الخلق بى وبشدة بأسى وما كنت أقول إن هذا من رجالى ولكن طاعتك على فرض أنا ومن معى وإن هذا أهون الأشياء على فسوف آتيك ببنى عبس منقادين فى الحبال وأقتل بنى قضاعة الأنذال ومن لهم من النساء فلما سمع عوار كلامه فرح به وأفرغ عليه من أنعامه وفى عاجل الحال جهز ستين ألف فارس وسيره بين الملوك بخلاف ما سير عكاش ومن معه من الابطال لحن إليه الجنائب والسرادقات فعند ذلك دقت الطبول وزعقت البوقات فارتفعت الرايات وقدم بين يديه الجنائب العربية وسلم إليه خزائن السلاح وجرد بين يديه العساكر على متن الضوامر وهم جرائد على الفرسان والنجب وما منهم إلا من هو ابن عم وقريب وسار معهم الملك عوار قدر فرسخين عن البلد فصار يوصيه دون كل أحد وهو يقول له احذر أن تعود وأنت خائب خاسر لأنك سيف نقمتى وعدة مملكتى فقال له أيها الملك طب نفسا وقر عينا ثم صار فى أوائل الخيل وسلك تلك البر الاقفر وهو يحث الجيش على المسير والجد والتشمير وهو يقول هذه الأبيات .

| | |
|---|---|
| الخيل تعلم أنى من فوارسها | ما كنت عند اختلاف الطعن منحرفا |
| وسوف يعلم نذل القوم أى فتى | يلقاه فى الحرب لا ناس ولا كفا |
| معودى الوغى والسهوى غاكعة | خلف النفوس من الأجساد منتكفا |
| والعجم والعرب فى الهيجاء ذا شرفا | تحت بريق السيف متدفقا |

قال الراوى فهذا ما كان من أمر هذا الفارس ومسيره إلى قتال بنى عبس وأما كان من عنتر وأصحابه فإنه بعدما قتل عكاش بن رياش وكسر عساكره فى الحرب والهواش كان قد ترك له دبادبة على رؤس الجبال فقعد يأكل ويشرب هو ومن معه على الرجال ولا على باله من حرب ولا قتال قال الراوى فبينما هو على ذلك الحال وإذاهم قد نظروا إلى غبار ثار حتى سد الاقطار فعند ذلك رجع من الدبادبة جماعة إلى عنتر وأخبروه فقالوا له يا أبا الفوارس رأينا غبار سد علينا الاقطار فظننا الملك عوار قد سار الينا فى عسكر جرار فان كان الامر كذلك فما تعدنا إلا من الهوالك فصاح عليهم وهم بين يديه قيام وقال ويلكم ما هذا الكلام وحق من

أرسى الجبال وأجرى الانهار لارحلت من هذه الديار وتركت أحد فيها من بنى حام فلولا أعلم من نفسى أنى كفؤ لكل من فى هذه الديار ما كنت تجاسرت على هذه الآثار ثم أنه من ساعته أحضرت الملك لون الظلام وولده صفوان الملقب ببدر التمام ومن معهما من بنى حام الكرام وأخبرهم بمسير العساكر إليهم فقال الملك لون الظلام أيها البطل الهمام نحن ننوب عنك فى هذه المرة فقال عنتر لا وحق من غير الدول ولا يغير لا سار إليهم إلا أنا فى الخمسة آلاف الذين سارت معى فى الاول ثم أنه فى عاجل الحال أمر أولاده وعروة بن الورد ومن له من الرجال أن يتأهبوا إلى الحرب فاجابوا بالسمع والطاعة فلم يخالفوا المقال فساروا وهو فى أوائلهم بعدما ودع الملك لون الظلام وتقدم شيبوب بين يديه وهو ينفر فى هذه البرارى والآكام وهو يقول لاخيه يا أبا الفوارس ما حملك أن ترمى نفسك فى هذا العسكر الجرار وهؤلاء السودان الذى لا يصطلى لهم بنار وأنا وحق ذمة العرب الأخيار أننى من ههنا اهتديت إلى هذه الديار وعرفت أنها من ديارنا التى كنا فيها ونحن صغار وأمى كانت تحدثنى عنها فبالله يا أخى لا تعود تقتل أحد من أولاد حام بل خذهم أسارى وأعطيهم الذمام حتى ننظر ما يجرى لنا من الخصام ونبصر منهم أهل هذه الديار لأنى وحق العزيز الجبار الذى أذهب الليل وأتى بالنهار قلبى قد حن عليهم ومال والثانى أننى أراك كبرت ومضت عليك الأيام وإنى أخاف عليك فى حومة المجال فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك المقال تغيرت منه الأحوال وقال له ويلك ما هذا الفضول الذى ماله تزيد ولا محصول سر أمامى وانظر ما أفعل ودعهم يكونوا أخوالى وأعمامى ثم جاش الشعر فى خاطره فانشد يقول :

كبرت ورببتنى الحروب وأظهرت ... شيبا على فوق المفارق ما كفا
وإنى لذى عزمين عزم لعبلة ... أديم لها ودى وعزم مخالفا
أما العار فى شيبى إذا خضت قسطلا ... والتخلف للموت حولى ملاحفا
قسمت حياتى بين كاسى وصارمى ... فامسى سكرانا وأصبح زاحفا
وتنظرنى عند العطا متكرما ... وتنظرنى عند اللقا متناصفا
خليلى ما الإنسان إلا ابن يومه ... وبالفضل يعلو أكل من كان عارفا
فانى لاعطى السمر فى الحرب حقها ... إذا ظل من يخشى المنية راجفا
وأقحم مهرى فى غبار عجاجها ... فتنظره مثل البروق الخواطفا
وإن كانت أمى بالسود تعيبنى ... قلبى فى غداة المكرمات مقاصفا
أنا عنتر العبسى غير مقصر ... عند المجد والعلياء والعز سالفا

فلما فرغ الأمير عنتر من شعره قال له صفوان لارد الله فاك ولا كان من يشناك ولا قصر الله لك لسان ولا أهوى لك جنان يا فارس عدنان فشكره عنتر على ذلك المقال ثم تموا سائرين على ذلك المنوال حتى أمسى عليهم المساء وحنق عنتر من كلام أخيه شيبوب ولما أنهم نزلوا للراحة والمبيت كانوا أنزلوا على غدير يقال له ماء الخرتيت عندها قال عنتر لأخيه شيبوب يا ابن الام إن نحن فى هذه الساحة تركنا نستريح وسرانت ولا تركنا إلى راحة حتى إلى هذه العساكر القادمة وتبصر من أين يكون إشرافهم علينا حتى ندبر على كسرهم من غير مطال فاجابهم شيبوب بالسمع والطاعة ثم أنه سار من أول الليل وقد انطلق مثل هبوب الرياح وباتت العساكر فى هذا الأرض إلى أن أصبح الصباح ورحل عنتر بهم فى أثر شيبوب وقلبه طاير عليه خوف أن تصل الاذيه إليه ولم يزل سايراً حتى سار وقت الغروب وقد ساء ظنه فى أخيه شيبوب وتزايدت عليه الكروب وإذا به قد طلع من كبد البر مثل ريح الهبوب ففرح عنتر بقدومه حتى وقف بين يديه ووصل اليه فقال له هات لا غندك من أخبار القوم فقال الذى أعلمك به أنهم عساكر كثيرة وهم عنا بمسيرة يوم فخذ حذرك ودبر أمرك ( قال الراوى ) فلما سمع عنتر من أخيه ما أبداه له من ذلك الأقوال التفت إلى عروة بن الورد وقال له يا أخا الرجال الكرام أن لا يطول الأمر إلا وقد قضينا الأشغال وأنزلنا بهم الذل الوبال ونحن كا تعلم فى خمسة الاف فارس والعساكر المقبلة إلينا فى خمسين ألف بطل مداعس وأنى قد رأيت من الرأى العظيم الذى ما يدبره الا كل رجل كريم وهو أن تأخذ الساعة الف فارس من كل بطل مداعس عصوب ومعه الف فارس من بنى قضاعة وأمره أن يكون على أثر القوم فى تلك الساعة وبعد ذلك أنفذ أخى مازن وابن أخى مقرى الوحش وسبيع اليمن فى الفين فارس فيكونوا من وراء القوم والتق أنا العساكر فى الف فارس وأكون فى ذلك اليوم وأقسم صفوان بن لوى الظلام علينا فانهم إذا رأونا على هذا الترتيب يظنون طليعه لقومنا وأتركهم يروحى ونعود على عساكرهم فنبذل السيف فيهم ونسقيهم كاس حتفهم فتملك خيامهم ونضرب بالسيف أعناقهم فتخرج أنت الاخر من خلفهم وتخرج الكمناء عن إيمانهم وعن شمالهم وتكونوا على هذه المشابهة قد أبعدوا عن منازلهم فيخيل لهم أن الأرض كلها عساكر تقيهم فهنالا أظهرت الوقت وأطلب مقدم القوم وأقطع رأسه بحد الحسام عن جسده فعند ذلك تطلب رجاله الحرب والقتال وقد استنجز الأمر وانقضت الأشغال قال الراوى

فلما سمع عروه من عنتر ذلك الاحتيال قال والله ما لك في هذا الزمان مثال وقد تعجب من حسن خبرته بالحرب وتجاسره على كل أمر صعب ففعل ما أمره في ساعة الحال وانتخب الف فارس من رجاله الأبطال وساروا وتقدم شيبوب بين أيديهم وقد عول عن الطريق وأخذ في عرض البر من غير راحة ولا تعويق ثم دعا بولده غصوب وضم إليه الف فارس ما منهم الا كل بطل ممارس وهم في الحديد غواطس وأمرهم بالمسير وسرعة الجد والتشمير وأن يكونوا عن يسار العسكر حتى تنعقد عليهم بقية الكمنا وتفعل من الأمر ما قد دبرنا فسار غصوب بين أيديهم وكان راكب على جواد عتيق ومدرع بدرع منيع متقلد بسيف رقيق ( قال الراوى ) ثم أن عنتر ادعا باخيه مازن وسبيع اليمن وضم اليهم الفين فارس من كل ليث ممارس وأمرهم بالمسير وأن يكونوا من وراء العسكر القادمة وإذا وقع الحرب وخرجت الكمناء يكونوا كلهم عصبة متلازمة وسار الالف فارس الذين بقيت معه والملك صفوان بن لون الظلام سار يتبعهم حتى مضى الليل وأقبل النهار وعلم أن الكمنا قد غابت عن الأبصار هنالك نزلوا للراحة قليل حتى استقر بالناس القرار وبعدها رحل بالقوم وسار إلى أن تعالت الشمس وتضاحى السودان والقرون الذين يزعقوا فيها الحبشان وقد ارتجت الأرض من تحت النجوم هذا وقد أقبلت العساكر من تحت ذلك الغبار والقتام وفى مقدمتها ذلك الجبار الذى قد قدمنا ذكره وهو عندم بن بسام وقد قدام القوم مثل الأسد الضرغام قال الراوى فلما رأى العساكر ومر في الف فارس أو أكثر فالتفت إلى قومه وقال ياويلكم يابنى الظلام إذا أظلم والليل إذا اغتنم لو علمت أنهم هذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة ما كنت أتيت إليهم ولا تعبت هذا التعب ولا خرقت ناموسى بين العرب لأن هذه محنة عظيمة الذى جعلنا لهذه الشرذمة القليلة فان هذا عار عظيم وانتشار مقيم وما رأيت في هؤلاء القوم من بنى عمه يقال له الرعاش بن المرعاش وكان فارسا شديد بطلا صنديد فى الحرب فقال له ويلك يا ابن العم أطلب هؤلاء القوم الذى أتوا إلى محاربتى أن كان عنتر بينهم خوفه من سطورتى وأرجعه من نقمتى وقول له ويلك ياعنتر ما الذى لغك من ذلناحتى عبرت وغرتك نفسك وجئت إلى أرضنا فدع عنك اللجاج فالك به نتائج ولو أنك جاهل ما هل ما دخلت إلى هذه الأوطان وأردت تلاقينا فى مجمع العربان فلا تحسبنا مثل غيرنا من البيضان مثل الحمامات والرقاد مع المخدرات الحسان وها قد أقبل إليك هذا الفارس ومعه هذا العسكر الجرار فاستدرك قبل البوار وادخل على مقدمنا عندم بن بسام البطل الهمام فانه

لاهو نذل ولا جبان حتى أنه يعطيك الذمام وتعود معه بالامان قبل أن تندم ولا ينفعك الندم ( قال الراوى ) فانطلق الدماس وقوم سنانه بين أذن جواده ولوى عنانه حتى صار مع عسكر عنتر وبقى أمامه ونادى بنى عبس أبكى عنتر الراعى حتى يسمع ما أقول ويكون وكلامى واعى لأنى جئت إليه أحذره من سيف لا يغمد وجواد لا يبرد وهو حامية هذه الديار وسيف الملك غوار بن دينار إلا أنه ماتم كلامه حتى اعترضه عنتر الراعى حتى سمع منه خبر ولا تركه يتم كلامه حتى طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظر عندم إلى ابن عمه قتيل وعلى الأرض جديل غاب صوابه وكاد أن يمزق أثوابه ونادى إلى قومه أتونى بهذه العصبة اليسيرة القليلة الحقيرة حتى أننى أبرد قلبى بضرب رقابهم واحترسوا على أنفسكم وأتونى بأكابرهم أسرى حتى أطيل عذابهم فاتم كلامه حتى قفز من عسكره عشرة وحملوا على بنى عبس جملة واحدة ولم يخالفوه ثم أنهم زعقوا مذلولين لقد جلبتم لأنفسكم نارا تطلع لعنان السماء دخانها ويحل بكم لأجل مافعلتم هو أنها (قال الراوى) فلما نظر عنتر إليهم وقد حملوا أمر أصحابه بالحملة ففعلوا كافعلوا وانطبقوا على بعضهم البعض وتقاتلوا حتى جرت الدما على وجه الأرض وتعددت القتلى طولا وعرض هذا وعنتر فى أطراف العسكر لم يتكلم بل يفتر الجاحم والقمم ويبذل النفوس من الوجود إلى العدم ويعطى الطعن حقه والضرب صدقه ويقابل كل واحد بما يستحقه ويطعم الوحش من لحم القتلى فما كانت إلا ساعة منكرة وقد طاعت على الجميع الغبرة حتى وقعت فى العشرة آلاف الدهشة وصرخت بنو عبس فى أعقابهم زعقة ونظر عندم بن نسام إلى طايفته وقد انكسرت وعصابة بنى عبس عليهم انتصرت وعنتر لا تسمع له حس ولا خبر فحل به محل عظيم منكر فنادى فى العساكر فحملت كلها حملة واحدة وقد أيقنوا أن الدنيا من بنى عبس تكون خامدة وحمل هو أيضا فى أوايلهم والأعلام على رأسه متشبكة وبين يديه الفرسان محتبكة وقد بقت الخيام من وراه سايبة لهم من الأحكام قال الراوى وأما ما كان من أمر الملك غوار ومن عنده من أمر السودان الكرام فان قلوبهم كانت متعلقة بالمسير لعلهم يحفظوا بمجيبه عنتر بن شداد إما قتيل وإما أسير يكون وعن قريب تنظروا من صاحبكم ماتقر به العيون ثم أن قسورة أننى كلامه وقال لمن كان فى تلك الحضر قداسة ماتستحوا أن تقولوا هذا الكلام فوحق ذمة العرب الكرام لا بد للعنتر أن يبدل عزهم ذل ويقتل عندم بن بسام ويأخذ جميع ما معه من الأنعام وينتظر عساكره

الأموال العظام فقال غوار ويلك يا ميشوم الرزء دائماً تقول علينا بهذه المقالات الردية وتبشرنا بهذه البشارات فوحق الليل وظلامه والصبح وابتسامه لا يرجع عندم إلا بعنتر هو وأولاده وأصحابه قدامه ولابد ما أقتله شرقتله وأفعل بك أنت الاخر كذلك وأنزل بك الذل والمهالك ويلك أتحسب عندم مثل غيره من البيضان اللئام ولا يكون لى معك كلام حتى يعود وأوريك ما أفعل بين الانام قال الراوى فقال له الوزير قرة العين أيها الملك لا يدخل على قلبك من هذا الكلام لاضرر ولا شين لأنه بقى رجلا كبير ما يدرى ما يقول وما هو إلا قد أنذهل ودار بينهم من الكلام وإذا بضجة قد علت وارتفعت فى الأولاد حام وقد وصل إليهم أول المنهزمين والكل حفاة عراة مجروحين وهم متقطعين ما بين عشرة وعشرين وما منهم إلا وقد أهلك نفسه ومنهم من نزل يمشى وجعل يسوق قدامه فرسه وهو يكدر وجهه حتى أنقطع نفسه فتبادرت إليهم الرجال وسألوهم عن ذلك الحال وما نزل بهم من الذل والنكال فقالوا اعنتر أهلكنا وأفنانا وأبادقصانا وأدنانا وأنزل بنا الضر والبؤس وقد أحل بنا بملاقاته الهم والبؤس فاحضروا منهم جماعة قدام الملك فجعل يسألهم عن حالهم وما تم عليهم وما حل بهم من الانتقام فاننا كنا ذكرنا لكم أنهم حملوا على عنتر ومن معه من الرجال الكرام فلم يزل يطاولهم ويتأخر إلى وراه ويستخبرهم حتى ساروا فى قومه جازوا الكمنا وقد صاروا من خلفهم بالف فارس الذين كانوا معه شيبوب بين يديه والفوارس تتبعه وكذلك طلع غصوب بالف فارس الذين كانوا معه وهو كأنه الاسد الهدار وطلع من بعده مازن وسبيع اليمن وعساكرهم من اليسار وأنطبقوا عليهم وقد دار بهم كما يدور المعصم الصوار فعند ذلك انذهلت عقولهم وظهر عنتر فى ذلك الوقت واشتهر وعمل فيهم الصارم الذكر وصار يضرب فيهم ضربا منكر وتزلت الاقدام والتقى ذلك الوقت عنتر بعندم بن بسام فى وسط المجال فشقه إلى حد الاقدام قال الراوى هذا وغصوب بر ميسرة وعمره ومازن وسبيع اليمن قد أظهروا العجائب وفرقوا الكتايب وعروة بن الورد ومن معه قد انطبقوا من خلفهم على المواكب ونظر إلى عندم بن بسام وهو قتيل وهو على وجه الارض جديل فعندها عزموا السودان على الرحيل لما رأوا ما حل بهم من القتل والتنكيل فعند ذلك ولوا الادبار إلى الفرار وقد عمل السيف فى ظهور الصقيل ولم تزالوا فى هزيمتهم فى البر الخوال حتى وصلوا إلى الملك غوار كما ذكرنا وسالهم عن حالهم كما قد سنا فقال لهم وما حل بعندم بن بسام فقالوا واقه

قتله عنتر بن شداد شداد وأسقاه كاس الحمام فعند ذلك ارتج الحي لذلك الحال وقالوا الذى فعل هذه الفعال لا نامن منه أن يدهمنا برجاله والأبطال ونحن على غفلة من ديارنا ويقطع أوصالنا ويمحو آثارنا فقال الوزير قرة العين لما حل بهم من الهم والشين أيها الملك وحق الظلام إذا أظلم إن قسوره ما يلام فيما به يتكلم فما كان قوله إلا حق وكلامه إلا صدق قال الراوى فلما رأى الملك غوار ما حل بعسكره من الفناء قال لهؤلاء غيرى أنا حق نادى فى العساكر بأخذ الاهبة إلى ثلاثة أيام وأن يجمع ما عنده من أولاد حام حتى أنه يسير إلى عنتر بن شداد فيبلغ منه المرام ويشفى غليل الفؤاد فهذا ما كان من هؤلاء قال الراوى وأما ما كان من الأمير عنتر بن شداد فإنه بعد قتل عندم وعسكره وتشتتهم فى ذلك البر جمعوا الأسلاب والغنائم حتى يفرقها على الرجال فبينماهم على ذلك الحال وإذن بالملك لون الظلام قد أقبل فيمن معه من الرجال واجتمعوا على بعضهم البعض وقد فرحوا ببلوغ الآمال واستبشروا بذلك الحال فقاموا يدبروا ما يجرى لهم من الأحوال فنصبوا الخيام وأقاموا هناك ثلاثة أيام فبينما عنتر وأولاده جالس وبجانبه الملك لون الظلام وحوله خواص أجناده فإذا بابنه صفوان قد بكا وزاد فى الأنين والاشتكا وأقبل على عنتر وقال له أيها الفارس الجواد دعنا من المسير إلى غوار بن دينار وخذلى من هواه قد أضناه لئلا يتولد من هذا الأمر إضراره فقال له الأمير عنتر أعلمنى بما تريد من الأخبار فقال له صفوان لا تلمنى أيها البطل الهمام فبن الحب كما تعلم يزيل الاحتشام وهو كما مثل فيه من الشعر هذه الأبيات صلوا على المعجزات :

العشق كالموت يأتى لامراد له ... ما فيه للعاشق المسكين تدبير

كم ذل فيه عزيز كان مقتدرا ... وكم تهتك وجها كان مستور

فلما فرغ صفوان من شعره قال إنك تسير من ماهنا إلى أرض ذات الاعلام لعلك أن تظفر لى بمحبوبتى قد هلكت من الوجد إلا أنه لما سمع عنتر ذلك الكلام وعده بنيل المرام قال فوثبت غمرة إلى الأمير عنتر وقالت له أنك ما تقدر على ما قتلته من الخبر فقال لها ولم ذلك هل تخفى على المهالك فقالت له اعلم أن هناك مانع يمنعك من المسير إلى تلك الديار فقال لها عنتر وقد أغاظه ذلك الكلام يا أميرة وما الذى يمنعنى من نيل المرام وأنا قادر على طعن الرمح وضرب الحسام فقالت غمرة يا أبا الفوارس وحق ذمة العرب الكرام ما قلت لك يمنعك كثرة العساكر والرجال وإنما أنا وغيرى أعرف أن بلاد هذا الملك حام ما لأحد عليها سبيل من سائر الأنام فقال لها عنتر البطل الهمم ومن يمنع الناس من الدخول إليها

أخبرينى بهذه الأحكام ومعانيها فقالت اعلم يا أبا الفوارس أن بلاد الملك غوار ابن دينار بينها وبين قلعته شجرة عظيمة يقال لها ذات الأنوار وأنها قديمة أزلية تظل الفارس والمية أغصانها باسقة وفى الهواء شاهقة كأنها بعنان السماء لاحقة ولها كل سنة موسم يزورونها ويقيموا فى الزيارة ثلاثة أيام فى شهر إذار إذا اعتدل الليل والنهار ويكونوا قد أتوا إليها أهل تلك الديار الكبار منهم والصغار ويقربوا لها قربان على نية المزار فيذبحوا لها النياق والفصلان العبيد منهم والأحرار ويحسنوا الى الضعفاء والأرامل والأيتام ويلبسوهم ما يليق بحالهم فى الكسوة ويطعموهم الطعام وبذلك يبخروهم بالعود والند والعنبر ويرشوها بماء الورد والكافور والمسك الأذفر وقد وضعوا الشجرة حوض من الرخام فلا يبقى أحد من تلك الأرض إلا ويقصد ذلك المقام ولا يتقدم صغير ولا غنى ولا فقير ولا أمير ولا سلطان ولا وزير إلا وبصحبته الطيب الكثير وماء الورد والمسك الأذفر والكافور والعنبر كل واحد على قدر حاله ويكون ذلك من خالص ماله هذا كله فى ذلك الرخام ويقيموا حول تلك الشجرة مدة ثلاثة أيام ليلا ونهار وهذه عادتهم المستمرة على طول الدهر قال الراوى فلما سمع الأمير عنتر من غمرة ذلك الكلام قال لها ويلك وهذه الشجرة تطعن بالرمح وتضرب بالحسام فقالت لا إلا أن العدو ما يقدر يدخل تلك الديار إلا ويحل به الهلاك لأن العدو إذا أراد أن يقصد إليهم ويحاربهم أو يدخل إليهم بعض الملوك فعند ذلك يقربون القربان إلى شجرة ذات الأنوار فينزل السيل على النور وعلى العدو وتظلم فى أعينهم الأرض والسموات ويأخذهم الخوف ويحل بهم الآفات وتخفق الرعود ويدور عليهم ذلك العذاب مدة ثلاثة أيام فما يبقى منهم شيخ ولا اللام إلا ويموت الجميع الخاص ومنهم والعام وتخرقهم الصواعق هم ودوابهم فما يبقى منهم غير العظام فيأتى صاحب الأرض ومن معه من الأجناد وجميع من فى تلك الأرض من القوم والسودان إلى تلك الشجرة فيسجدوا لها من دون خالق العباد فتئن تلك الشجرة أنينا عظيم بصوت مزعج مثل الرعد الهدار فيطلع منها عامود نار من الأرض إلى عنان السما نوره يأخذ بالأبصار فلأجل هذا سميت ذات الأنوار فإذا رأوا قد ارتفع ذلك العامود النور فيأخذهم الفرح والسرور ويقولوا ها قد قبلت قرباننا فرضيت عن أعمالنا وزال عنها سخطها وأمنا مكرها وغضبها ويأخذوا عظام الأعداء الذين قد احترقت بالنار ويبخروا بها الكبار منهم والصغار ويعتقدون أن ذلك من بركة شجرة الأنوار ويتهادون بها ويحملونها إلى سائر الأمصار قال الراوى فلما سمع الأمير من عنتر عمرة ذلك تحير من سماع ذلك الخبر فقال لها وهذه الأرض ما يعبرها ققل

تجار ولا يعبرها أحد من الأقوام الذى تعود بالأسفار فقالت غمرة يا أبا الفوارس ما يقدر يجوزها إلا من هو معتاد علينا من التجار وإذا قربوا من شجرة ذات الأنوار ما يبقى لأحد منهم إلا ويلبس أزرق ويكحل عينه اليسار فإذا أرادوا أن يجوزوا الشجرة يصوموا الثلاثة أيام افتخار وبعد ذلك يرحلوا ويجوزوا الشجرة بالنهار فيدخلوا إلى تلك الديار فيبيعوا ما معهم من التجارة فإذا فرغ ما معهم وأرادوا المسير إلى أهلهم يلبسوا الثياب الزرق فأعينهم يكحلون فإذا فرغت الثلاثة ايام المعتادة يصومون فبعد ذلك يستأذنوا منها ويخرجوا إلى أسفل الوادى بعيدا عنها فيخلعون عنهم الثياب الزرق ويسير كل منهم إلى بلاده وكان السبب لما سميت هذه الشجرة بذات الأنوار فلقد بحثت عنها حتى علمت ذلك الأخبار ونقل إلى ذلك عن الثقاة الأخيار ولا بد عن شرحه فذلك أن تلك الشجرة من عهد حام بن سيدنا نوح عليه السلام وهو الذى جمع السودان من نسله فرزق حام ولدا سماه ذات الأنوار وكاتم الاسرار ويلقب بمشبع الأطيار لأنه كان قد رسم له راوتب حنطة وشعير لكل طير ويذبح من النوق كل يوم خمسة فيفرقها على رؤس الجبال وذلك للطير الذى له مخالب وأظفار لاجل هذا لقب بمشبع الأطيار وكان قد خلف ابنة عظيمة الخلقة كأنها الباشقة فسماها ذات الأنوار فلما مات والدها احتوت على جميع الملك وتلك البلاد فأطاعتها العساكر والأجناد وحكمت على سائر العباد وكانت فارسة الخيل خواضة الليل ولقبت نفسها بالملكة ذات الأنوار وكانت تعبد النار دون الملك الجبار إلا أنها قالت الخواص دولتها يوم من الا أريد أن تصنعوا لى شيئا أذكر به على مدى الايام فاشار عليها الوزير وكان شيخ المجوس وخادم بيت النار فقال أيتها الملكة إنى أرى من الرأى الصائب أن تغرسين شجرة عند مفرق الطيور فتسميها باسمك ذات الأنوار وتجعلين لها عيدا وموسم كل سنة ثلاثة أيام ويكون ذلك فى شهر آذار تساوى الليل النهار ويبقوا يقصدها العالم من ساير الأقطار وتصير كل سنة عادة يعادوا إليها الزوار فى هذه الديار قال الراوى فاستصوبت الملكة ذلك فرتبت جميع ما أشار به ثم قالت الوزير مرادى تأكيد هذه الأخبار فإنى قد خطر فى خاطرى أن أبنى مركز وحصن عظيم القدر أذكرها به وأجعله آثار فقال الوزير يا ملكة الرأى إنك تعمرى السن الثابت الذى وسط الجلنار قال الراوى وكان هذا مرج الجلنار على ساحل البحر قد نبت فى وسطه حجر وهو جبل طالع من الأرض إلى عنان السماء فى ذلك الاتساع مقدار ألف ذراع وهو حجر أملس من شدة الملس عليه وهو مشرف على البحر وتلك البقاع فلمت الملكة أن قول الوزير صحيح فشرعت فى عمارة حصن على جبل العاب وسمته بحصن العقاب وكان الساكن فيه يشرف على تلك البرارى والهضاب

هو بعد هذا مضت الساعات والأيام وتداولت الشهور فالأعوام واندرست الملوك فالحكام وكبرت شجرة ذات الأنوار وكانوا أهل تلك الديار معكفين على عبادة النار من دون الملك الجبار إلى ظهور سيدنا سليمان عليه السلام فلما قضى سليمان نحبه ولحق بربه نفرت الجن من أقطار الأرض والقفار فسكن فى تلك الشجرة المقدم ذكرها عفريت عظيم المقدار فصار يطلع منها شرار فقد انعكفت أهل تلك الديار على عبادة منار فعثروا بكتب قديمة فى دين المجوس فانعكفوا على عبادة اللهب والشرار وكان ذلك الشيطان يظهر عند تلك الشجرة النار والدخان فكان يفعل تلك الفعال فيقصد الشجرة وذلك المكان فصار لتلك الشجرة أعياد تجمع فيها أهل تلك البلاد فقال عنتر لغمرة وحق خالق العباد لقد أشغلت سرى بهذا الحديث فأنا أقسمت بمن خلق العباد لا بدلى بما أملك قلعة ذات الأعلام فأقتل صاحبها وأملك بنته أعجوبة الانام فقال لون الظلام يا أبا الفوارس وحق البيت الحرام جميع ماذكرته غمرة صحيح فقال عنتر مايكون إلا مايريده الملك العلام وتفرق مجلس القوم فاتفقوا على الرحيل غدا عند إقبال النهار إلى ديار الملك عوار فقام صفوان ودخل إلى سرادقه وكاد الغيظ أن يخنقه من كثرة ماهاج به فباتوا إلى الصباح ورحلوا من تلك الديار وسار فى أوائلهم عنتر فلما تمادى بهم المسير وأوسعوا فى الجد والتشمير وعنتر بين أيديهم وقد جاش الشعر فى خاطره فأنشد يقول :

| | |
|---|---|
| أحب اعتدال السمهرى المقوم | وأهوى اختضاب البيض والسمر بالدم |
| وأصبو إلى نيل الامانى بهمتى | إذا انقض مالى بين واش ومكرم |
| ولا أهتدى حتى أروى من العدا | سنانى وأخضب من الدم مجرم |
| وكل كعوب سمهرى مثقف | سيشفى عليل الصدر رمحى المقوم |
| واسألوا الهيجاء عنى يخبروا | بحربى وطعنى العدا وتهجمى |

( قال الراوى ) فلما فرغ من نشيد الأشعار ساروا يقطعون البرارى فالقفار إلى أن انتصف النهار فاشرفوا على اوائل ديار الملك عوار فابصروا ديار عامرة وخيرات وافرة وعيون نابعة وجموع جامعة وخيام فمضارب وخيول وجنائب وقنا فقواضب فقباب ديباج فسرادقات أطلس وعلى رأسها هلالات من الذهب الوهاج فكانوا كما ذكرنا قد أخذوا الاهبة للقتال فالحروب فالنزال وكان الملك قد عزم على المسير بنفسه بمن يعز عليه من أبناء جنسه فلما تحقق الملك أن العسكر طالبة إليه صرخ فى عسكره من عظم سطوته فتبادروا إلى خدمته وصاروا على ظهور الخيل والملك عوار فى أوايلهم كأنه الاسد الهدار وهو ينادى الثار الثار من هؤلاء القوم الاشرار وهو ينشد ويقول

دنا الثار منكم يابنى العم فاسرعوا ... إليهم بعزم صادق غير كاذب
وجدوا لأخذ الثار بالبيض والقنا ... على كل صهال من الخيل ساكب
فانتم سرات الناس شرقا ومغربا ... أماجيد أسودا طاعنين عوالب
فسيروا لأخذ الثار منهم بجمعكم ... وجدوا إليهم بالعتاق السلاهب
خذوا منهم بالثار من كل سيد ... بحد ضراب السيف وسط المقالب
فنيت أسود الحرب فى كل معرك ... فهل تستوى أسد الثرى بالثعالب
ستعلم بنى عبس أننى غير ناكل ... ولا فشل عند ازدحام الكتائب
وكم فارس جندلته بمهنـــد ... نخر رهين الترب بادى العجائب

(قال الراوى) فلما فرغ الملك عوار من شعره والنظام حتى قاربتهم عساكر الملك لون الظلام يقدمهم أبا الفوارس عنتر بن شداد وظهرت الرايات والأعلام وأقبلت المراكب وهم على ظهور الخيل مثل السلاهب هذا والملك عوار واقف تحت الأعلام ودقت من خلفه الكاسات ونعرت البوقات عند ذلك أمر عنتر رجاله بالجملة على عساكر الملك عوار فحملوا حملة واحدة فتقاتلت الفرسان ونظرت رجال الملك عوار إلى ذلك الحال فخلت ولأعنة خيلها أرسلت والتقت العسكر ان فولت اللئام وعلا عليهم القتال والغبار وقد غابا عن الأبصار وتجلدوا بالحسام وجارت الأحكام ونشرت ملك الموت على رؤسهم أعلام ولم يزالوا فى حرب وطعن وضرب وصدام إلى أن أقبل الظلام وولى النهار بالابتسام وافترقوا تلك الطائفتين عن ضرب الحسام وعادوا إلى مواضعهم ونزل الملك عوار عقله قد حار لما رأى ذلك اليوم العظيم المقدار لأن عنتر أعطى فى ذلك اليوم الرمح حقه والسيف صدقه ونكل بالفرسان وما عاد من الحرب إلا وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان ولما نزلوا فى الخيام وأخذا الراحة وتناولوا الطعام وعولوا على المنام بعد ما أقاموا لهم حراسا وكانوا مائتين فارس من الفرسان الكرام قال الراوى فهذا ما جرى لهؤلاء الأقوام وأما ما كان من الملك عوار بن دينار وأصحابه الكرام فانه لما عاد الآخر من الصدام ونزل فى الخيام فما أكل ليلته طعام ولا انطبقت أجفانه بمنام بل كثر خوفه والوجل وصار على فراشه يتقلقل فلما أن بان ضوء النهار وطلعت الشمس وملأت القفار ركبت الفرسان واستعدوا للحرب والطعان وحمل على بعضهما بعض الطائفتان ولم يأخذهم من بعضهم مصطبر وطال الحرب بينهما عمل أوفى عمل

وطار من حوافر الخيل الشرر وبان الشجاع واشتهر وقطعت غصون الرقاب وسال الدم من نحور السادات وفاضت أمواج بحار العسكر ولعبت الخيل برؤس الفرسان كما تلعب الرجال بالأكر وطعنوا فرسان بني عبس في الصدور وكان ذلك اليوم يوم النشور وكأن إسرافيل قد نفخ في الصور وبعث من في القبور واسودت الأقطار فطلب الجبان الفرار فخاف الشجاع من الفضيحة والعار وباحت القلوب بما فيها من الأسرار وقل منهم الاصطبار وهانت المنية على الأحرار وهج النذل من خوف البوار وعميت في ذلك اليوم الأبصار وتكدرت الأمصار وجالت خيول المنايا في ميدان الحرب وداست على الأجساد والصور ولاعبهم ملك الموت لعب الأكر قال الراوى وكان ذلك اليوم وتلك الوقعة أشبه الأيام باليوم الذى قال الله في حقه « القارعة ما القارعة » صارت الرؤس مقطعة والقلوب مرعبة والأجساد مضعضعة والأرواح منتزعة والرجال حائرة والدماء فائرة والسيوف مشتهرة والخيول غائرة والغبائر طائرة والعجاجة ثائرة ولقد كان كما قيل فيهم

| | | | |
|---|---|---|---|
| غبار يفور | ودم يفور | وذبح النحور | برأس السنان |
| قطع الكفوف | جزع الأنوف | هجم الصفوف | وقطع اليدان |
| وبرى المعاصم | وجز الغلاصم | ونثر الجماجم | وفر الجبان |
| ودام الصدام | وقل الكلام | ودام الحسام | وزاد الشدان |
| ولمسح الزرد | وكثر الصدد | وقل الجلد | من الفرقتان |
| ضرب رقاب | وطعن الدقاق | وعصر الخناق | خوف اعتران |
| زعق الخشوت | وضرب التوت | دام السكوت | نبار الهوان |
| طعن الدبول | وجرى الخيول | ضرب النصول | عدمن الامان |
| وأخذ الحراب | وحل المصاب | وزاد العذاب | بحد اليمان |
| وهتك الستو | وسبى البكور | طعن الصدور | وقطع البنان |
| شاب الغلام | بورد الحمام | وزاد الظلام | وهج الجبان |
| وقطع النحور | ونقع يسور | ودم يفور | من الارض فان |
| وطعن الرماح | ضرب الصفاح | وجرى البطاح | فى أقوى جنان |

(قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشتعل إلى أن مضى النهار وأقبل الليل باعتكار عند ذلك افترقت الطائفتان وعادوا إلى الخيام وما في ذلك اليوم من جندل لا بطال

وأفنى الاقبال وقتل فى الرجال وأجرى الدما على مثل الغيث الهطال إلا فارس عبس وبطلها الأمجد أبو الفوارس عنتر المسدد فلله دره من أسد أسود وضارب بالحسام المهند لانه كان فى هذه الوقعة سيفها القاطع ودرعها المانع فأمطرها دماء ونثرها جاجاوكان لبنى عبس من أعداها حما وما رجع ذلك اليوم من الميدان إلا وهو مثل شقيقة أرجوان مما قد سال عليه أدمية الفرسان ولما أن استقر بهـــم المقام أقبل عليه الملك لون الظلام وقد هناه بالسلامة وقد بشره بالنصر على أعداه وبلوغ مناه ثم أنه أجلسه إلى جانبه بين أولاده وأقاربه وأمر باحضار الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم أنهم عولوا على الراحة والمنام بعد ما قدموا حرس فى جنح الظلام قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء الاقوام وأما ما كان من أمر الملك غوار بن دينار فانه قاسى هو وعساكره فى ذلك اليوم أمرا يشيب الأطفال الصغار لأن ما رجع منهم أحد يعن على أحد وما فيهم من يقدر يرفع يده من عدم الصبر والجلد ومن شدة ماقاسوا من التعب وما اعتراهم من النصب لأنه قد قتل منهم فى ذلك اليوم عالم والجراحا يقعوا على الأرض كالهشيم الرميم وافتقد الملك أصحابه المقتولين فكانوا خمسة وعشرين ألفا بالحساب اليقين وبقى مائة ألف وخمسة وعشرين ألف سالمين فقال الملك غوار لما عاين ذلك الحال وما جرى على أصحابه وفرسانه فعند ذلك نادى يا معشر الأبطال هل رأيتم ما وقع بيننا وبين الاعداء فى هذا اليوم وإن كان هذا القتال يدوم يفنونا هؤلاء اللئام (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاى وما دام بينهم من الكلام وأما ما كان من عنتر والملك لون الظلام ركبوا الجرد القداح تواثبوا إلى الحرب والكفاح فافتقد الملك لون الظلام ولده صفوان الملقب ببدر التمام فلم يجدوا له خبر فحلت لاجل فقده العبر فسأل عنه فلم يعط له أحد عليه خبر فلما أعياه الامر تقدم إلى عنتر وسال عن الآخر فقال بالامس عشية النها رأيته فى الحرب وهو مثل الاسد المدار قال الراوى واشتغل قلب عنتر لما سمع من أبوه ذلك الكلام وصار الضياء فى عينيه ظلام وضاق لذيذ صدره وغشى على أبوه لما رأى ولده فقد وفى الساعة دعا باخيه شيبوب أبو الافراح فلما حضر قال يا أبا رياح إننا نقصد إلا فى المهمات الثقال فقال والله مالى به علم وحق الرب القديم المتعال أنى بالامس رأيته فى ساحة المجال وهو يهد مثل الأسد الرئبال فقال له أبوه صدقت والليلة عندى نام ولكن طول ليله ما نام وهو فى بكاء وأحزان لم تدر بعد ما كان ولما انتبهت من المنام ما وجدته ولا علمت له خبر ولا وقعت له على أثر ولا ظننت إلا أنه عندك وقد ركب إلى خدمتك فقال عنتر لا والله ما أبصرته بالامس

وعهدى به عند غروب الشمس التقى به وأهله قد سار إلى بعض المواضع وكأنه عاد وراجع وأنى والله قد اشتغل خاطرى لفقده ولا أبقى لى قلب أقاتل اليوم بعده حتى أكشف خبر وعسى أن نقع على أثره فى قال الراوى لهذا الكلام ثم أنه دعا بعروة بن الورد قال له يا ابن العم ويا مزيل كل هم وعم تول أنت اليوم وأولادى القتال لعلكم تقضون الأشغال ثم أنه أطلعه على ذلك الأمر والحال وكيف فقدوا الغلام صفوان ابن الملك لون الظلام فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقد وجعه قلبه على الغلام قال الراوى ثم أنه رجع هو وأصحابه ووقف تحت الأعلام هو والملك لون الظلام واصطفت العسكرين وتقابلت الطائفتين فعندها حمل غصوب وميسرة وسبيع اليمن وحمل مازن مثل النار المسعرة وأيضا تبعتهم العساكر متقاطرة وحمل الملك عوار بن دينار بعساكره وقد أوقدوا الحرب نارا وما كانت إلا ساعة حتى طلع النهار مثل الليل الداج وقدحت حوافر الخيل بالشرر حتى بقى مثل السراج واقتحم الشجاع الحرب وهاج والجبان طلب الحرب والهجاج وقد قطع الحسام الرقاب والاوداج وعدمت الناس المهج واختلط العرق بالدم وامتزج وأخذ الجبان فى التعلل والحجج وطلب الحرب فلم يجد إلى ذلك مخرج وانطفى ضوء النهار من الغبار واندرج وامتلأت الأرض من الدم وقد زال الارج ولمع السلاح فى أقطار وارهج واستحال الوقت بالسواد بعد ما كان بالبياض قد تبلج قال الراوى فلما نظر عنتر إلى أصحابه وقد قصرت وما خفى عليه من أمرها لما رأى نار الحرب قد فترت عند ذلك حمل عليه ليمين أصحابه طعنه شيبوب فى ركابه جعل يشق المواكب والصفوف ويجذع الابطال والصفوف ويطلب عروة ومن معه من الملا فمن وصل إليه حتى ملأ الأرض من القتلى (قال الراوى) ولما وصل إلى القوم وجدهم فى جزء الملاصم ويرى الاكف فعندها صاح على أصحابه ومن معه من الأبطال وقال من لا يصلح فى هذا الحرب والقتال وإلا ما ولد حلال واحملوا على هؤلاء اللئام وأبشر بالنصر من رب زمزم والمقام وها أنا قد أتيت إلى معاونتكم أبذل مهجتى دونكم قال الراوى فلما سمع غصوب مقاله قويت روحه زادت أهواله وجود فى قتاله ثم أن عنتر حمل وغاص تحت الغبار وشقه عنه وما خلاه إلا على غاية الاستظهار ثم أنه عاد بعد ذلك إلى الملك لون الظلام فوجده حمل على المواكب التى اجتمعت حوله حملة رجل كان الملك لون الظلام فارسا مذكورا وبطلا على مواقع الحرب صبورا يحمى جانبه إلى أن عادت تحت الاعلام وقاتل أيضا غصوب وعروة وميسرة وعمرة وأصحابهم إلى ان هجم الظلام وانكشف الطوائف عن ضرب الحسام عادوا

إلى خلفهم نزلوا فى الخيام وما فيهم إلا من يصف عنتر وقتاله وضرباته وفعاله فى الطوائف من يصف غمرة وحسن خبرتها بالطعام ويذكر حملتها عند ازدحام الفرسان قال الراوى هذا ما كان لهؤلاء من الأخبار أما ما كان من عساكر الملك غوار بن دينار فانهم عادوا وهم يتواصفون مالقيوا ذلك اليوم من الأضرار يقولوا ما جلب لنا الأذى غير هذه العاهرة بنت الشام لأنها هى الذى جابت لنا هؤلاء الأقوام أنهم ما يغلبوا إلا بالمكاثرة والعدد وحسن الصبر والجلد ولو لا أن يكون هذه الفعال فعالهم وهذا القتال قتالهم ما كانوا يقدروا يأتوا إلى هذه البلاد فى هذا النفر قليل من العباد قال الراوى وأن بنى عبس لما نزلوا فى الخيام دار بينهم الكلام فى حديث صفوان بن الملك لون الظلام صار أبوه يبكى عليه وينثر الدموع من عينيه قال لا شك أنه قتل أو استأسر ما كنت أريد إلا أعلم ما يجرى له من الخبر قال فعندها وثب شيبوب مثل وثبه اللبوة الطلوب قال يا مولاى دع البكا والنواح فانا آتيك بخبره قبل الصباح ثم أنه نهض بعد ما أوصى أخاه عنتر بالاحتراز وأن يكون على يقظه هو ومن معه من فرسان الحجاز قال لهم أنظرونى إلى الصباح وأن أبطأت عليكم عولوا على الحرب والكفاح ثم أنه يا سادات الوجود يا أخيار سار يطلب أبيات الملك غوار بن دينار قال وكان السبب فى غيبة صفوان أمر عجيب وسبب غريب يحير عقل العاقل اللبيب نسوقه على الترتيب بعد ألف صلاة ترضى سيدنا محمد الحبيب ذلك أن الملك غوار بن دينار كان قتل شيبوب جواده وملك هو وصفوان قياده ثم خلصوه منهما أصحابه وعاد كل منهم سالما إلى مضاربه ولما انفصل قال لهم قد ظهر من هؤلاء القوم الأهوال لأنهم فى ذلك اليوم قد قتلوا منا رجالا بعدد الحصى والرمال وما سلمت أنا الآخر إلا وقد حل اليوم بى الوبال وكان قد اعترضنى صفوان ومعه رجل أخف من الغزال فبطح جوادى وملك هو وإياه قيادى ولو لا أصحابى قد انجدونى لكانوا أنزلوا بى الذل والعنا وكان حاضر تلك الساعة قسورة فقال يا ملك أنا آتيك به وأبلغك منه ما تريد من الضرب والعذاب الشديد فقال له غوار كيف تقدر عليه وفرسانه حواليه فقال له بحيلة أعملها عليه لأنى أعلم أنه عاشق لأعجوبة الايام بنت الملك همام وهو بها مستهام وأنا أقدر أسوقه بذلك اليك فقال رجل إن كنت قادر على ذلك الحال حتى أبذل اليك المال والنوال فقال حبا وكرامة ثم أنه خرج من عند الملك غوار بن دينار يطلب خيام بنى عبس فما كانت إلا ساعة حتى صار فيها ولم يزل يتوصل إلى أن أقبل على خيمة صفوان وقدم عليه كان قسورة قد

عزم على قلبه أنه لم يصل إليه أكمن بالبعد من المضارب فسمع صفوان يتحسر ويتنهد ويذكر أعجوبة الانام فى شعره والنظام قال الراوى فلما سمع صفوان بذكر محبوبته خفق فؤاده وما صدق أن يسمع ذلك يسمع الكلام حتى تبع قسورة وكان هذا قسورة آفة من الآفات وبلية من البليات عنده طرف عظيم من الاحتيال وصار يقول له أعلم محبوبتك قد أرسلت معى كلام أقول أنه يقربه عينيك فقال يامولاى فقال أعلم أن الجارية مات أبوها من مدة عشرين يوم كثرة ماحل على قلبه من دخول بنى عبس إلى هذه الديار كيف أهلكوا أهلها وبيع أنك تعاأبيك قد صرتم من خواص أصحاب عنتر بن شداد ولما مات أبوها استدعتنى إليها قالت لى أعلم أن أبى قد مات وقد طمعوا قومى أنا فى قلبى حب صفوان من أيام كنا صغار وأنا قسمت أنى ما أمكن من نفسى أحد أغيره من الرجال أريدك أن تسير إليه تعلمه بالحال وأنا قد أتيت اليك بلغتك عنها هذا المقال وأن كان فى قلبك شىء من الهوى والمحبة فخذ السفر الاهبة وسر معى من ذلك الوقت وما تعلم أحدا عن نحن فيه من ذلك الحال قال الراوى فلما سمع صفوان هذا المقال مع ما يجده من حب الجارية أجاب بالسمع والطاعة وسار مع قسورة من تلك الساعة وهو يقول وحق ذمة العرب أنى أكثر رغبة فيها من جميع الانام ثم أنه ركب جواده وسار قسورة خلفه على أقدامه وتبطن القفار حتى أشرفوا على منازل غوار بن دينار فقال له قسورة أكمن قليل هاهنا حتى أدخل إلى هذه العسكر وأطلب منهم جوادا أركبه أنا الآخر ثم تركه مكمن سار حتى أقبل على الملك غوار وقال أننى قد أتيتك بصفوان بالاحتيال فارسل معى رجال ليقبضوا عليه فانى خليه على جانب الغدير مكمن هناك ثم أخبره بجميع ما فعل وما صنع من الحيل فما صدق قال وكان صفوان بعدما مضى قسورة من عنده ترجل عن جواده ونزل على شاطىء الغدير وهو متفكر طائر العقل والبصر فما يشعر إلا والخيل وقد أحاطت به من كل جانب وقبضوه واحضروه إلى بين يدى الملك غوار وهو غارق فى بحر الافتكار لا يعرف الليل من النهار فلما نظر إليه قال له أتعرفنى يا بن اللئام يا ولد الحرام ثم طرحه وضربه حتى أهرق دمه ثم أشاروا عليه قومه بهلاكه وعدمه فقال ما أقتله حتى أقبض على هذا الشيطان عنتر أقتلهما فى يوم واحد وأنزل بهم الشدايد ثم سلمه إلى عبيدة وكانوا عشرة شداد ثم أخلع على قسورة وأفرغ عليه من الأموال وكان هذا سبب الأسر صفوان ومجيئه إلى هذه الأوطان قال الراوى أما ما كان من عنتر بن شداد فانه عند الصباح ركب يطلب الحرب والكفاح وبين يديه عروة وميسرة

ومن صحبهم من الرجال الأوقاح وقد أخذوا معهم الملك لون الظلام ليقووا عزمه يسلوه على فقد ولده وهم لا يعلمون ما كان منه وما أتاهم أحد بخبره وكانت السودان ركبت فى أوائلهم الملك عوار وقد ذكرنا لكم أن شيبوب أبو الأفراح سار ينظر ما كان من خبره وصارت النار تشعل فى قلب أخيه عنتر فبينما هو كذلك قد أراد أن يخرج إلى الحرب والكفاح وإذا قد خرج من عسكره فارس لا كالفرسان وقرن كالأقران وساق جواده حتى توسط الميدان ولعب على ظهره حتى حير الفريقان وكان هذا الجواد أدهم أغر محجل إذا صهل وهمهم كاد أن يتكلم على صدر الفارس زردية كثيرة العدد كأنها عيون الجرد فى يده سيف مهند معتقل برمح أسمر فجال وصال وتمكن قال من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفا أنا عصوب ابن أبى الفوارس عنتر صاحب الفعل الذى لا ينكر ثم نادى يا بنى حام اسمعوا ما أقول لكم من الكلام ذلك أنكم قد تعديتم علينا وأوصلتم الأذية إلينا نهبتم أموالنا وملكتم ديارنا لما ظلمتم بغيابنا والآن قد عدنا أخذنا حقنا وعاد الحق إلى أصحابه والسيف إلى قرابه وأصحابه ولا بد أن كنتم تريدون الإنصاف فعودوا إلى دياركم من غير خلاف فان أبيتم من ذلك المقال فدونكم والقتال والحرب والنزال فارس لفارس لا يبرز إلا من يكون من فرسانكم القناعس أن شئتم عشرة أو عشرين فانى أقاتلكم وأفنى فرسانكم وأن أردتم مائة أو مائتين وإن أردتم ألفا وألفين فانى أقاتلكم وأطرح أبطالكم إلا فاحملوا على كلكم فانى لست بعاجز عنكم ثم أنشد يقول :

| | |
|---|---|
| أنا الهمام إذ ما البيض بارقة | يوم الكفاح على الأرواح والقمم |
| أبيدكم بحسام ماله مثل | يبرى الجماجم من عرب ومن عجم |
| أنا الشجاع الذى شاعت مناقبه | وفاق كل الورد بالجود والكرم |
| هذا وكم شحى قوم قد لحقت بهم | عدت عنهم وقد رحلت بهم تقم |
| وكم همام هزبر ضيغم شرس | جندلته وأما تجرى على وضم |
| أنا عصوب الذى شاعت مناقبه | ومجده قد علا بالجود والكرم |
| لاتركن دماكم وهى جارية | مثل السحاب إذا ما سح منسجم |
| يأتى الوحش أسرابا ويقدمهم | غيلان قد ظهرت فى البر ذو كظم |
| وأترك الوحش والاطيار حائمة | عليكم ثم يأتى بعدها الرخم |

قال الراوى الا أنه ما تم شعره والنظام حتى خرجت اليه الفرسان من أعيان القبايل ثم قصدته بأسنة الرماح الدوابل كان أسبقهم اليه فارس جبار افطس راكب على جواد سابق

وبيده رمح خارق متقلد بسيف بارق وكان اسمه فاجر بن المضاجر إلا أنه ما جال قدام غضوب ساعة فى القتال حتى طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فتعجبت الفرسان من سرعة كره وفره ثم خرج إليه فارس آخر فصاح فيه وقاربه وجال معه وقاربه فرآه غضوب محترزا من الطعن والضرب وله خبره بمعاناة الحرب فاوهمه أن يطعنه فى فؤاده حتى ينكسه عن جواده فحذف الرمح من يده إلى ورائه فعندما لاصق خصمه ومد يده إليه ولكمه على صدغه فاخرج مقل عينيه ونثر أضراسه من فاه فتعجبت السودان قالت إن هذا الفارس أعجوبة فى هذا الزمان لأنه مايحتاج إلى عدة فى يده يقاتل بها الفرسان قال الراوى إلا أنه ما انصفته الفرسان وهم أبطال السودان إلا بقدر ما أخذ منهم عشرين فارس مكين حتى تكاثروا عليه من عشرة لعشرين فحمل عليهم كأنه الأسد العرين وسار يقبض أرواحهم ويرمى على الأرض أشباحهم فلما رأى منه ذلك أبوه عنتر فرح واستبشر وسار يدعوا له بالنصر والظفر كما ذكرنا لكم فى الكلام ماقى غضوب من الفروسية والأقدام وماجرى لأبيه فى البيت الحرام إلا أن غمرة لما رأت قلة أنصاف الأعداء خافت على ولدها وحشاشة كبدها من التلاف والردى وحملت تعينه على أعدائه وحمل عنتر فى أبطاله عروة ورجاله حمل الملك لون الظلام فى رجاله بنى حام وحملت خلفهم سائر الأبطال من بنى عبس وبنى قضاعه الأقيال وعملت بينهم الرماح وصاح بالعوم من سائح فلم يسمع لصيحة الناصح وحامت على القتال الطيور الجوارح وصال الدما من أنابيب الجرائح وقطعت العروق ودارت المذابح وعاد سوق المصايب لايح وقد داموا على طعن الرماح وضرب الصفاح وتراشقوا بالنبال وبالسهام حتى تقضى النهار وأظلم الظلام وما افترقوا على بعضهما البعض حتى بقت قتلاهما على الأرض أكوام وعادت بنى عبس إلى الخيام ومعهم ألف أسير من السودان أولاد حام وكانوا على قليهم قد عادوا راجعين على هؤلاء الأقوام الذين ما كانهم إلى فى عدد النمام لما عادوا إلى خيامهم شدوا الأسارى بالحبال ووكلوا بهم جماعة من الرجال هذا وقد عاد عنتر إلى الخيام وفى قلبه على أخيه شيبوب أشد الآلام من وقت ماسار صفوان بن لون الظلام وصار يحسب ألف حساب لكنه مابقى يعرف الخطا من الصواب قال الراوى ذلك أن شيبوب لما سار من عندهم فى ظلام الاعتكار وطلب عساكر الملك فوار بن دينار لم يزل سائر حتى اختلط بهم وكان علق يده فى حلقة كأنها مكسورة فوقع على الأرض فنفخ رأسه إلى أن ورمت وبقى له قورة وكان ذلك من جملة احتياله وعيارته حتى

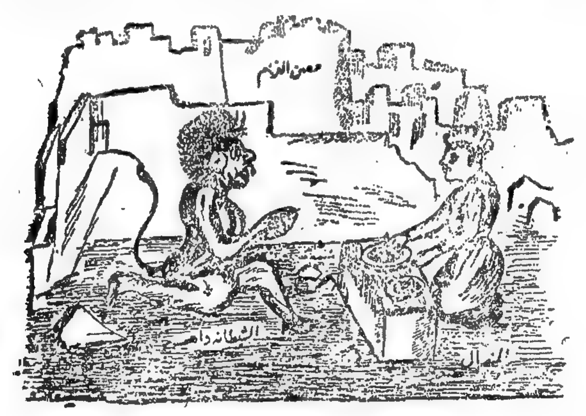
لا يعرفه أحد عند رؤيته وصار كل من نظره حن عليه وسأل عن حاله ومن فعل به هذه الفعاله فيقول فعلوا بى بنى عبس الأندال لأنى أنا من أصحاب سويد بن عويد البطل الريبال فلما قتلوه ونهبوا ما كان عنده من الأموال لقانى رجل منهم فى يده عكاز فضربنى كسر يدى وهشم وجهى ولولا فرقت بينى وبينه عند ازدحام العسكر والا كان قد عطبنى فقال له أما عرفت هذا الرجل الذى فعل بك هذه الفعال فقال لا وحق ذمة العرب الاقيال بل ذكروا لى أنه اسمه شيبوب أخو عنتر وأكثر ما جرى على من الأحكام كان كله من هذا الغدار ولون الظلام وابنه صفوان الملقب ببدر التمام فقالوا له أبشر بما يسر قلبك من أمر صفوان بن الأندال فقد جرى عليه الذل والهوان والضرب حتى بقى مثل الخلال فقال شيبوب يا ترى كيف كان أسره ومن أسره من الرجال فقالوا أسر بحيلة عملها عليه قسورة بن جوهرة ثم أنه أخبره بما جرى على صفوان فعلى منهم فكان بين البيوت والخيم فرسخ فلما وصل إلى أطراف البيوت أكمن فى مغارة هناك ولم يزل إلى الليل وكان جائع فخرج إلى البر واصطاد غزالة وذبحها وعرها من جلدها أضرم النار وشواها وأكل إلى أن أتى على آخرها وبالاتفاق المقدر أقبل فى ذلك الوقت الملك غوار إلى البيوت فابصر النار على المغار فوقف وكان شيبوب قد نظر إليه وهو بالبعد عنه فعند ذلك أطفأ النار بالرمل وحفر له فى الرمل حفيرة بعيدة عن باب المغارة وقد فيها وغطى نفسه بالرمل فلم يدع بيان منه غير فمه وعينيه فلم تكن إلا ساعة حتى أقبلت الخيل وفى أوائلهم الملك غوار ولم يزل سائرا حتى وقف مكان النار وقال هاهنا كانت النار وأنا خائف لا يكون قد أتانا سلال أو أحد باضرار فقالوا من أين يكون فى هذا المكان نار فاننا لم نرلها أثر فقال لهم وذمة العرب الأخيار هاهنا كانت النار قال الراوى فلما سمع كلام أصحابه سار وقال لهم اتبعونى وأبصروا كيف أظهر لكم الذى أوقد النار وأنما قصدى بذلك إذا قلت شيئا فلا تكابرونى عليه هذا وشيبوب سمع كلامهم من جمتهم وهو لا بد بالبعد عنهم فى الرمال فما هم إلا أن ابعدوا عنه حتى ثار من تحت الرمل كأنه الاسد الريبال وغدا إلى نحو المضارب ودخل اليهم مع جملة من دخل ولم ينكر عليه احد فلم يزل يتوسل ويدير عينيه حتى نظر إلى صفوان مقيد على باب غوار بن دينار وحوله جماعة من العبيد وهم نيام فحبى على رجليه حتى وصل وكان المضرب الذى فيه عال كثير العماد والاطناب فلبد فى جنبه ساعة وإذا بعبد قد أقبل ودخل إلى المضرب وإذا بقائل يقول من داخل المضرب ويلك يا ليمون وأين مولاك غوار فقال لها أنه رأى نار على المغارة التى خارجا عن الخيام وقد أخذ عشرة من الرجال وقصد إلى النار ليبين منها الاثار فقال شيبوب فى سره

يا ترى أى شىء الذى يتكلم فتأمله فاذا هى جارية لم ير لها عديل ولا مثال فى الحسن والجمال والبهاء وتأمل إلى العبد فاذا به أسود مثل الجاموس كبير الشفايف عريض الفم له مناخير كبار وعيناه حمر يتطاير منها الشرار فلاعبها وضاحكها وكانت الملعونة تعشق هذا الملعون لأنها أكثرت معه المزاح فقام إليها وواقعها فى الحال وشيبوب يعاين فعلهما وهو لا بد بين الأدغال وقد أخبر شيبوب عن نفسه وقال لقد أردت أن أقتل الاثنين لكن خفت أن ينكشف الحال فيضيع ما عملته من الاحتيال ويفوتنى خلاص صفوان من الاعتقال وربما أنهم كانوا يقتلوه وأسلم أنا وأنجو فى هذه التلال بسرعة ركض على الأقدام ثم بعد ذلك قال لها العبد أى شىء عندك من المأكول فقالت ما عندى إلا المقبين هذين اللبن وكنت خليتهما لمولاك فأكل الواحد وخلا الآخر ثم أنها قدمت له قعب لبن وقطعة طرموس فأكل إلى أن اكتفى ورفع يده وانصرف فهممت أن اقتل الجارية لما بدا منها ذلك الفعل المنكر فبينما أنا معول على ذلك إذا بالملك غوار قد حضر وإلى باب الخباء نزل فجلس وقال للجارية أى شىء عندك أتعشى فأتته بالقعب اللبن وبعض من الطرموس وقدمته إلى بين يديه فأكل منه شىء يسير وقال مازفر هذا اللبن ما كأنه الا قد لعبت فيه أيدى العبيد فقالت يا ابن العم أى شىء فى هذا اللبن من الزفر وأنت مازلت تتقول بهذه الأقوال حتى تقتلنى أخوتى وقد أحترانى من كلامك على عمى أما تستحى أن تقول على هذا المقال لا يكون الآن قد كرهتنى وكأنك قبل هذا اليوم ما عرفتنى فقال لا وذمة القرب أنا ما كرهتك ولكن ما تخفى على أفعالك قال الراوى ثم أنه اتكأ على فراشه فنام فلما علا غطيطه قال شيبوب فتأملت فلم أحد هناك لا شيخ ولا غلام فقمت وخرجت من بين الاعدال وأتيت إلى صفوان وقد قطعت كتافه وحليت أطرافه وخلصته بعد ما كان أيقن بتلافه فقلت له وهو باهت فهل تعرفنى يا غلام فقال لا وحق الملك العلام فقلت له أنا شيبوب أخو عنتر فقم أتبعنى حتى أخرج بك من الخيام إلى البر الأنفر فتبعه صفوان حتى أخرجه من ذلك المكان فلما إلا أن خرجوا من البيوت وقد ستر عليهم الحى الذى لا يموت فاذا بفارس قد اعترضهما فى طريقهما وهو يكد فرسه وقد انعقدت على رأسه الغبرة فتأمله صفوان فاذا به قسورة الذى كان أحتال عليه بتلك الاحتيال وفعل فى حقه هذه الفعال وأرماه عند أعدائه فى القيود والأغلال الا أن صفوان لما رآه فرح وقال لشيبوب أثبت مكانك فهذا غريمى الذى احتال على وأوقعنى فى الانكاد وأنا مرادى أشفى غليلى منه

لكنت حملته إليه فقال شيبوب أصبر مكانك فانى أقضى حاجتك وأصح برهانك ثم أنه استقبله وهو يقول من أين إلى أين يا وجه العرب أخبرنى ان كان أحد خلفك يجد فى طلبك ولم يزل معه بهذا الكلام حتى تقرب منه وقد أزال الله الستر عنه وضربه بالخنجر فى فؤاد تكسه عن جواده وأخذ جواده وسلبه وإلى صفوان أركبه وقد طلب الاثنان إلى ناحية بنى عبس وقد اطمأنت منهما النفس قال الراوى وكان السبب لمجىء هذا الشيطان فى ذلك الوقت أمر عجيب وذلك أن عنتر لما رأى من ذلك العسكر من الشجاعة ما يذهل البصر عندها دعا بالأميرة غمره والملك لون الظلام وكذلك أولاده غصوب وميسرة وعروة بن الورد فاجتمعوا ودار بينهم الكلام فقال لهم قد طال بنا فى هذا المكان المطال وأخى شيبوب قد اشتغل قلبى عليه حد الاشتغال وأخاف عليه لا يكون اتعرف واتمسك وإن كان هذا الحذر صحيح وقد هلك وأنا قد خطر لى الليلة خاطر وهو أننا نكبس هذه العسكر فى جنح الليل العاكر ونفنيهم بالحسام الباتر فاستصوبوا رأيه ثم أنهم بعدما اكتفوا من الطعام اعتدوا إلى الحرب فكبسوا الأعداء فى جنح الظلام وقد أنزلوا بهم الانتقام ولما رأى شيبوب ذلك الأمر قصد هو وصفوان إلى ناحية أخيه عنتر فصار يشق الصفوف وينادى أنا شيبوب المعروف فوقع كلامه فى اذن أخيه عنتر فعلم أنه قد عاد سالم وقد خلص صفوان من المآتم عندها اطمأن خاطره وسطا بشجاعته على العدا ففرقهم فرقا شتى ولم يجد الجبان فى هذه الليلة فرجا وقدحت حوافر الخيل شرار ساطعا وطلبت الأنفس من المعمعة فرجا وارتمت الشجعان إلى منازل العلا درجا وأقام ملك الموت إلى قبض الأرواح حججا وكان كل من طلع من تحت الغبار يرى الأعلام قد مالت والأدمياء على تلك الرمال قد سالت وسمع شيبوب وهو يقول اطلبوا الفرار والهرب فلا تسألوا عن سبب قال الراوى وكان القوم ليلة تمد من الليالى التى تؤرخ وتكتب لما جرى بين الطائفتين من العجب إلا أن الليل ما رحل حتى ولت عساكر السودان تطلب الهرب وهلك خلق كثير بهذا السبب لا تعد ولا تحسب واجتمعت طائفة الحجاز بصفوان وتلقوه بالترحيب وكذلك شيبوب أخو عنتر وما منهم إلا من يتمنى أنه يفديه بالسمع والبصر وسالوه عن خلاص صفوان وكيف كان التسبب فاخبرهم بجميع ما جرى وبقى كل منهم يتعجب واعتنق لون الظلام بولده وفرح بسلامته ثم أن صفوان قال لأبيه والله يا أبتاه ما سلمنا فى هذه النوبة إلا من العدم لأننا فى رجوعنا مشينا من تحت قلعة داهية الأنعام والخاطف ابن الخاطفة الذى يقاتل على الظرافة فقال شيبوب لأخيه

عنتر يا ابن الأم أعلم أن هذه القلعة داهية الانام لان فيها ملك جبار يقاتل على الطرافة وصفتها لها قرنين مثل قرون الغزال ولها رقبة طويلة ورجلاها ويداها كاظلاف البقر وبطنها كبطن الغزال وذنبها كذنب الجمل وظهرها كظهر الفرس ويداها طويلتان ورجلاها قصيرتان فهى شكل عجيب وفرس غريب وصاحبها يقال له الخاطف بن الخاطفة وتحت يده عشرة آلاف فارس من الفرسان أبطال وشجعان (قال الراوى) وكان هذا حصن الغمام الذى نحن فى ذكره كان خراب من عهد نوح عليه السلام وعلى أفضل الصلاة والسلام ورضى الله أصحابه الكرام فما بقى يقبل عمار ولا سكان وقد سكن فيه شيطان من بنات الجان قال الراوى وكان ملك تلك الأرض يقال له معدان بن صفوان فكان حامى أرضه يقال له المنهال أبن كادان قال قد غزى المنهال على الملك جناية وأكاده لأنه إراد قتله فاخذ بلاده فعلم الملك منه ذلك فطلبه ليلكه فهرب منه خوفا من كاس الحمام ومن شدة ما دخل عليه من الخوف والفزع قصد إلى حصن الغمام فلما قاربه وأمل أن يهلك على يد الجان ولا يقع فى يد الملك معدان بن صفوان فيذيقه العذاب ألوان فلم يزل سائر إلى أن وصل إلى حصن الغمام وهو خراب قال الراوى فلما قاربه ودنا منه ظهرت عليه النيران فصار فى وسط الحصن الدخان فندم على ما صنع وكيف دخل إلى هذا المكان ورمى روحه فى هذا البلاء فحانت منه التفاتة إلى صدر الحصن الخراب فاذا قد ظهرت تلك الشيطانة ورجليها مثل رجلين الدواب ولها من خارج فمها أنياب وعيناها مثل عين البقر فنظرها المنهال بن كادان فى ذلك المكان فخاف من صورتها الهائلة وارتعب منها قلبه فاقبلت إليه وقالت من أنت من الفرسان وإلى من تنسب من العربان فقال لها المنهال وقد تحير وقد ظن أنها شيطان ما أتيت إلى هذا المكان إلا من خوفى من الملك معدان وقد قصدت إليك وأنا مستجير بك عليه من عظم سطوته وقوم أبطاله فقد سعيت إلى حماكى فخذى بيدى وأجبرى كسرى فقالت الشيطانة وكان اسمها داهية كما قدمنا فقالت له قد أعطيتك الذمام ووجب لك علينا الاكرام لأجل التماسك بنا يا غلام فلا بد ما نقتل عدوك فلما سمع منها المنهال هذا المقال قبل الأرض قدامها وأخذه الابتسام ثم أنها استدعت ببعض عبيدها وكلمته بكلام ما فغاب عنها وعاد أسرع من البرق ورد الجواب فقالت للمنهال بعد أن سمعت المقال قم يافتى واتبعنى ولا تخاف وابشر ببلوغ الآمال ففرح لما سمع مقالها وقامت على أقدمها وأتبعها المنهال ولم يكذب مقال وما زالت تسير عن أمهال حتى وصلت إلى الحصن الخراب ودقت الأرض فانفتح لها باب وقالت انزل ولا ترتاب فنزل

انتهى تحت الأرض إلى سرداب ينزل إليه بعشرين درجة فنظر إلى دار مليحة حسنة واوسعه البنا وجميع مايحتاج إليه موجود فيه إيوان واسع كبير وفى وسطه سده من المرعر وقيل أن السدة كانت للملك الاسكندر وماملك مثلها كسرى ولاقيصر فجلست عليها وأمرت المنهال بالجلوس بين يديها فلما استقر بهم المقام حتى حضر الطعام قالت له دونك والزاد ياغلام فاكل حتى وكان مشتهى الزاد وأحضرت آنية المدام وأمرته يشرب الراح فشرب المنهال وقال فى نفسه أنا أعلم أن هده الشيطانه تهلكنى فى هذه الليلة فاريد أملا من هذا الخمر بطنى حتى أغيب عن وجدى وفى أست أم الدنيا بعدى ولم يزل يتناول المدام حتى جن الظلام وغاب عن الحضار وما استيقظ عن نفسه حتى طلعت الشمس فجلس وهو مذعور من شدة الخوفما استقر به القرار حتى أقبلت الشيطانه




داهية الانام فقام لها وزاد لها فى الخدمة والاعظام بعد ماباداها بالسلام قال وكان المنهال مليح الصورة فجلست وأمرته بالجلوس بين يديها فلما جلس حضر الطعام فقالت له دونك والطعام وصارت داهيه تحدثه وتلاطفه فى الكلام وقالت له يافتى أنت صار لك عندنا مكان فطيب قلبك وأبشر بالامان فقام وخدم وقال أنا عبدك الاصغر فقالت ياوجه العرب أنا ما أناذكر أنا أنثى أنا الحاكمة على هذا المحل وحاكمه على طوائف كثر من الجان وأريد منك أن تحسن معى الصحبه وتكون لى بعلا وأكون لك أهلا فاشرح

لى ماقى خطرك فانا مالى به منك فقال المنهال عند سماع هذا الكلام أنا من بعض عبيدك فأخذت فى يده الموافقة فاحضرت فى تلك الساعة شخصين من الجان فزوجوها بالمنهال وعملت الدعوات فجلست على سريرها فقد دار بها كل عفريت وشيطان وخرجت فى صورة تحير العقول وعليها من الحلى والحلل ألوان وأحضرت المنهال إلى بين يديها وخلعت وقبلت ملوك الجن الأرض بين يديها وحلوها عليه وبات تلك الليلة يعانق ويبوس وهو فرحان فى إقبال السعد والأمان وقال فى نفسه قد صرت حاكم على ملوك الجان وأقتل الملك معدال وأحكم على سائر عساكره والفرسان وقد طالت بينهما الصحبة وأحبوا بعضهما غاية المحبة وكشفت له عن مطلب كان فى الحصن من عهد جام بن نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وطاب للمنهال عندها المقام وبنى الحصن بناء جديدا أحسن ما كان وصار من ملوك الزمان ورزق من داهية ببنت سموها زاهية الأنام وهى التى ذكرها شيبوب وماتت الداهيه وتوفى بعدها المنهال وملكت زاهية الأنام وحكمت على سائر عساكر أبوها وتزوجت ببعض ملوك السودان ورزقت منه بنت اسمتها الخاطفة وتداولت الأيام وأقام الأب بعدها أيام قلايل ومات واستولت الخاطفة على المكان وهويته ملكا من ملوك الحبشان وتزوجت به فى ذلك الزمان ورزق منها ولد فسماه الخاطف وشاع ذكره فى هذا المكان واستطال على الأبطال والفرسان ومات أبوه وأمه فى تلك الديار وكان بينه وبين الملك غوار ثار فكان الخاطف لا يقاتل إلا على الزرافة لأنه قد حوى زوجين ذكرا وأنثى وتوالدوا عنده فصار يركب من أولادهم ويلتقى الفرسان فلا يستطيع أن ينظر إلى الزرافة حصان إلا ويجفل ويهرب من الميدان وقد طغى على الشجعان وبغى على الأقران ونرجع إلى سياقة الحديث وبالله المستعان وصار شيبوب يحدث لعنتر كما وصفنا فأخذ عنتر الطرب وقال وحق شهر رجب أن هذا الحديث لابد أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب فقال الملك لون الظلام يا أبا الفوارس أما الحصن الذى ذكره شيبوب أخوك فهو صادق وأنه باق إلى الآن وصاحبه يقال له الخاطف بن الخاطفة وقد أخبروا عنه أن أمه كانت جنية وأبوه من بعض السودان فقال عنتر إذا كانت هذه الصفة صفته فما نقدر نسير ونترك صاحب هذا الحصن خلفنا لأننا ما نأمن شره ودهاه وربما يركب علينا فيمن معه من الأبطال فقال شيبوب وحق خالق السموات إن قبلتم منى ما أشير به عليكم أخذته لكم على أى حال فقال عنتر ويلك من أين لك على أخذ هذا الحصن عشور علينا بما تفعل فقال شيبوب يا ابن الأم ينفرد من هذا الجيش ثلاثة آلاف عنان تنقسم

ثلاثة فرق وتكمن كل فرقة فى مكان وتكون أنت وعروة فى ألف فارس وأسير أنا وغصوب وميسرة وتكمن خلف بمن معنا من الفرسان وتكون غمره ومازن قريب فى المكان قال الراوى فاذا أصبح الصباح سرحت الأموال فتطلع أنت على الرعيان وتسوق كلما كان هنالك من الأمور فتركب الخيل وتطلب الصباح فعندذلك تحمل على الأبطال وتواصلهم فى الحرب والجدال حتى أنهم يقاربوا الكمين تلقاهم أنت ومن معك من الرجال ويطلع الكمين الثانى من خلفهم من غير اهمال ويقطع عليهم الطريق والمكان ولا يتركوا يدخل الحصن من المنهزمين انسان وأخرج أنا بالخيل الذى معى وأقصد الحصن ملك الباب وتضرب من البوابين الرقاب وأخذ الحصن بلاقتال وتملكوا الحريم والعيال والأموال فقال لون الظلام وحق الملك العلام أن هذا الرأى صايب إنما نخاف يحل بنا الخسران فقال شيبوب لاتشغل قلبك بهذا الكلام لأن عسكر غوار ماتصل إلى هذه الأرض إلا بعد ثلاثة أيام وإن شاء الله تعالى ما يتعالى النهار إلا وقد ملكنا الحصن وانقضت الأشغال فقال عنتر أفعل ماتريد ثم أنه أمر ولده غصوب وميسرة وشيبوب أن يسيروا فى ألف فارس يكمنوا خلف الحصن كذلك غمره ومازن فى ألف فارس قال لهم إذا وقع النفير أخرجوا من وراثهم وضعوا السيف فيهم فعندذلك ركب عنتر وسار فى ألف فارس وغار على الأموال عند انصرام الظلام وأوصى لون الظلام بالاحتراز وأن يقف إلى ديار غوار يطليه لنا الأخبار عن ذلك العسكر الجرار ولم يزالوا سائرين حتى صاروا من خلف الحصن فى الصحراء وفى تلك الساعة ظهر عليهم عنتر وساق الأموال وضرب فى أقفية العبيد وكان الليل قد تنصف وأكنوا إلى أن أصبح الله بالصباح فسرحت الأموال وأبعدت وأعلنوا بالبكا ووصل الخبر إلى الحصن بان قد قتلت العبيد وأخذت الأموال والجمال فثارت الرجال وركبت الأبطال وركب الخالف على الزرافه وسار فى مقدمه الرجال وما بقى فى الحصن من يقدر على حمل السلاح إلا أخرج وأتبع الملك فى البطاح وقدظنوا ان الخيل التى غارت عليهم ساقت الأموال من رجال الملك غوار لأن رجاله كانت غارت على هذا الحصن مرارا وما كان لقصدهم الا فى دون العشرة آلاف فارس فيظهر الخاطف عليهم ويقبضهم فيقتل أكثرهم ويرد الأموال منهم ويعود فى هذه الكرة ظن أن الخيل لغوار بن دينار فلاجل ذلك ما ترك فى الحصن أحد إلا وركب معهم هم عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وركبوا خلف الخاطف مثل الابالس إلى أن تنصف النهار فلحق عنتر فيمن معه من الفرسان وهم ينادون يا مذلولين أين تأخذون أموالنا أتظنون أنكم تنجون خلوا ياويلكم عن

المال وانجوا بأنفسكم هذا وعنتر ومن معه الأصحاب ما أجابوهم بجواب ولا بخطاب إلى أن قاربوا منهم فكان عنتر قد سلم الغنائم إلى مائة فارس أمرهم أن يتقدموا بين أيديهم وحمل على الأعداء بتسعمائة فارس واستقبل الفرسان التي حملت عليهم وطعن فارس أرداه وثاني بجدل فناه وثالث حسره على الحياه ورابع ساواه برفقاه والخامس ألقاه على قفاه فحملت عليه الفرسان بحملتها ولم يتخلف منهم أحد فلله در عنتر من فارس أمجد لقد أعطا السيف حقه والطعن مستحقه والتقى الأبطال فى ساحة المجال وقال لمن خلفه من الرجال أحموا اليوم ظهرى وتفرجوا على كرى وفرى ثم أنه تلقى ذلك الجيش بقوة جنانه وبحد سيفه وسنانه فلما نظروا إلى فعاله وحربه ونزاله وقد مزق تلك المئات والالوف وقد رمى فى قلوب الشجعان الخوف الرواجف فلقاه الخاطف فى وسط المعمعة وهو يجول على الفرسان فصدمه عنتر فى مقام الجولان وجرى بينهما حرب قد حارت فيه الطائفتان واذهل الجيشان وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وكلت الخيل من تحتها ووقفتا ولم يزلوا على هذا الحرب والقتال حتى سارت الشمس فى قبة الفلك لأن الخاطف كان أكثر ملل فعلم عنتر ما قد ناله فأخفى عليه حاله فجال عليه جولة الأسد إذا هام على أشباله وضربه بالسيف على هامته نزل يهوى نصف قامته فخر على الأرض صريع يجعلها ونجيع وأبصر أصحابه ماقد جرى عليه فما منهم إلا من أسودت الدنيا فى عينيه ومابقى يبصر مابين يديه فبكت رؤسها فقرابيض سروجها وحملت على عنتر فتلقاهم بهمة غير مقصرة وعزائم على الأبطال مقتدرة وهو يجول على الرجال يردها إلى وراء وإذا قد ظهرت عليه من ناحية الكسنا غبره وطلع من تحتها فرسان مثل النار المسعرة وكلهم ينادوا بفرد لسان يالعبس يالعدنان وانطبقوا على أصحاب الخاطف وقصدوا الأهل والديار وعنتر وبنو عبس خلفهم بالطعن قال الراوى فنظروا باب الحصن مغلوق وأصحاب شيبوب على أسواره يزعقون يالعبس يالعدنان فعلموا أن حصنهم قد ملكوه الأعدا فهجموا على وجوههم فى القفار وعمل فى أقفيتهم الصارم البتار قال الراوى وكان السبب فى أخذ الحصن مع شيبوب سبب عجيب نذكره على الترتيب وذلك أنه لما أصبح الصباح وهو فى الكمين كما ذكرو غار عنتر على الأموال كما وصفنا وفتح باب الحصن وطلع الخاطف فى أوائل الخيل مثل ما أخبرنا وسارت الخيل خلفه تتجارى ولم يزل شيبوب مكمن إلى أن قطع المدد وعلم أنه ما بقى فى حصن الخاطف أحد إلا البنات والنسوان فامر ميســـرة وغصوب أن يطلبوا الباب

فى عشرة فرسان وهم مضيقين اللثام وقد أخفوا أنفسهم ولبثوا مثلهم ودخلوا إلى الحصن وقد فعلوا كما أمرهم شيبوب من المرام وركضوا فى عشرة فرسان وقالوا لباقى أصحابهم إذا سمعتم ندائنا يالعبس يالعدنان فاتبعوا الآثار فتجدونا قد ملكنا الحصن فلما رأوهم البوابين إليهم قاصدين فظنوا أنهم من أصحابهم وأنهم فى شغل عائدين فلم ينكروا عليهم ولم يزالوا العشرة سائرين إلى باب الحصن فتلقوهم البوابين وسألوهم عن رجوعهم قالوا لماذا أنتم عن صحبة الملك راجعين فلم يجاوبوهم بجواب حتى صاروا من داخل الباب وجذبوا سيوفهم ضربوا منهم الرقاب وصاحوا بأعلى أصواتهم يالعبس وعدنان فتسابقت نحوهم الفرسان وشيبوب يعدو بينهم كأنه شيطان فعند ذلك تواتروا أهل الحصن لما سمعوا ذلك المقال النساء منهم والرجال وكل من تخلف عن صحبة الملك فتركوا وجوههم معفره وأدركوهم بقية الفرسان وفتكوا من فى الحصن بالسيف اليمان وخافت النسوان وكثرت الاحزان ونادوا أهل الحصن بالامان فرفع السيف منهم والقنا وأقاموا ينظروا أخبار عنتر الخاطف ومن معهما من العسكر عند آخر النهار طلع عليهم غبار وعظم حتى أظلمت منه الاقطار ارتفع إلى الجو وتمزق وظهر من تحته فرسان هاربة وإلى النجاة طالبة وفى أثرها فرسان مثل العقبان فنادى شيبوب من أعلا الحصن يالعبس يالعدنان فعلموا الهاربين أن حصنهم قد ملك والخاطف قد هلك فتفرقوا فى القيعان وقد أفنوهم بالصارم البتار طلع وراهم عنتر وعروة وفرسانه وسمعوا نداء شيبوب وأصحابه فرحوا بفعل شيبوب واطمأنت منهم القلوب ونزل شيبوب مثل العقاب وفتح خزائن الحصن الذى للخاطف فوجد فيها أموال ماتاكلها النيران و ذخائر ونعم تذهل عقل كل إنسان فاندهل عنتر مما شاهد وختم على الجميع بخاتمه وترك فى الحصن ألف فارس من أصحاب لون الظلام وقدم عليهم من بنى عبس بطل يقال له غانم بن بسال وساروا يطلبون الملك لون الظلام فى تلك النهار من خوفهم لايكون قد طلعت عليهم عساكر غوارة الراوى فهذا ماجرى لهؤلاء أما الملك لون الظلام فانه أخذه الهم بسبب غيبة عنتر ولم يعلم ماجرى له مع الخاطف وبقى يتقلى على معرفته الاخبار ذلك اليومين وفى اليوم الثالث قد طلع غبار عنتر من ناحية الحصن وملأ سائر الاقطار

فتطاولت إلى معرفته الابصار إذا بشيبوب قد أقبل مثل الطير إذا طار وهو ينادى أبشر يا ملك النجاح وكان قد ركب ينظر إلى ذلك الغبار فتقدم شيبوب إليه وسلم عليه وقبل فى الركاب قدميه وشرح له ماجرى على أخيه مع الخاطف وقص عليه جميع بالخبر كيف ملكوا الحصن والأموال فطاب قلبه بذلك الحال وخلع كل ثيابه عليه فلما سمع شيبوب هذا المقال فعند ذلك ركب وصار يطلب ملتقى عنتر الريبال فيمن معه ولما التقى هو وإياه اعتنقه وبالسلامة هناه عنتر وحياه وساله عن عساكر عوار فقال له ياأبا الفوارس ماوصل إلينا منه أخبار وقد أرسلنا إلى ديارهم من يأتينا باخبارهم وإلى الآن ماطلع منهم أحد ففرح بذلك عنتر ونزلوا فى الخيام أكلوا شيئا من الطعام ودارت عليهم أقداح المدام وقطعوا باقى النهار بالمنادمة إلى أن جن الظلام أقاموا لهم حرس إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء بنوره ولاح ثم أن الامير عنتر أمر العساكر بالرحيل من وقته وساعته بعد ماجمعوا الأسلاب والأموال حملوها على ظهور الجمال وقد ساروا إلى ناحية الملك عوار يطلبون دياره الامصار فهذا ماجرى لهؤلاء وما تم لهم من أحوالهم أما ما كان من عساكر السوادن المكسورة وماجرى لهم فانهم لم يزالوا فى هزيمتهم والانكسار حتى وصلوا إلى الملك عوار أعلموه بما فعل فيهم عنتر كيف كبسهم فى الليل بمن معه من العساكر حتى شتتهم فى البر الاقفر وأنزل بهم العبر فلما سمع ذلك الخبر اندهش وتحير وبكى واستفزع خاف على ملكه وبلاده بعد كسر عسكره وكان هذا الملك همام رجل شديد الباس صعب المراس يغزو القبائل ويسبى الحلائل ويقاتل فارس راجل ويطعن بالرمح الدوابل وكان له مدينة مبنيه بالحجر الابيض مثلها لم يوجد فى تلك الأرض يقال عنها أن الجن لسيدنا سليمان بن داود عليه السلام وكان بل القرب من تلك المدينه تل مثل الهرم وكان مزروع كله شجر منهم لايعلم فى وسط ذلك التل سيف قائم وهو لايبرح عليه الطير الحائر وكان لم يقدر أحد يمر على ذلك السيف إلا ما كانت أثوابه بيض إذا عبر عليها أحد كانت أثوابه مصبغة عصفة عليها الرياح من سائر الأقطار ويأتى عليه سيل حتى تكاد القرى التى حوله تنهدم من شدة الامطار وكان الملك همام صاحب أرض ذات الاعلام قد ترك فى ذلك المكان من يحفظه بجامكية ودوان كان فى لحف بين إذا مات أحد من القوم يدخلوه إلى ذلك البيت فاخذون الميت ويخرجون عظامه ويجردون ما عليها من اللحم ويكبسونها وينشرون مافيها من المخ ويطعون العظام فى أكياس على قدر حال الميت

فأما المحتشمين فتكون أكياسهم الديباج الرومي والفقراء في أكياس من القطن والخام ويكتبون عليها أسماء أصحابها ويلقونها في ذلك البيت وأما اللحم فانهم يخرجوه إلى ظاهر المدينة إلى الغربان السود فتأكله ولا يدعوا غيره يأكل شيأ إلا ويطردوه بالنبال والمقاليع وكل من في تلك المدينة صناعتهم الدرع والجواشن والبيض والسيوف والرماح وكل ما كان من آلة الحرب وسائر السلاح وكانوا لا يطيعون الملك همام لاخراج ولاعداد ولا يقدر أحد من الملوك يأخذ منهم شيأ في تلك البلاد وذلك إن الملك غوار لما نظر ما جرى عليه من عنتر البطل الكرار أنفذ إلى هذه الطائفة ليستنجد بهم على عنتر ويحثهم على المسير ويقول لهم قد ملكت البلاد وهلكت العباد وسائر الأجناد وقتل صاعقة بن علقم وأحل به النقم وكذلك سويد بن عويد وقد شد معهم الملك لون الظلام وولده صفوان وأنك يا ملك ان غفلت عنا هلكنا كلنا وربما ساروا إليك ويفنوا كل من حواليك وبعد إنفاذ الرسول أخذوا في أهبة الحرب واعتدوا للطعن والضرب حتى وصلت اليهم بنى عبس الذئاب الطيالس وكانوا قد ساروا في عشرين الف فارس من كل مدرع ولابس ومعهم أصحاب الملك لون الظلام السودان وأصحاب عنتر وغمرة والعربان إلا أن عساكر السودان لما رأوا ما نزل بهم من الأهوال وعاينوا ما حل بهم من قتالهم والطعان فقالوا ما هؤلاء إلا النقم والظاهر أنهم ما بقوا يطلعون من هذه الأرض حتى أنهم يفنوا كل من فيها من الامم والصواب أننا نتوصل إلى الملك لون الظلام ونتوسل إليه ونستنجد به من هؤلاء الأقوام وندعه يأخذ لنا من هذه العصابة الذمام الذى سموها العرب فرسان المنايا والموت الزؤام (قال الراوى) إلا ان عنتر وعسكره لما أشرفوا على عساكر الملك غوار والتقوا بهم في تلك البراري والقفار نادى في عساكره وقال لهم احملوا عليهم وأوصلوا الأذية اليهم فحملوا عليهم فتلقتهم بنى حام وعمل الضرب بينهم بالحسام وزاد الكلام وجرى الدما من الأجسام وعلا القتام وسكرت الأبطال من غير شراب وعبست الوجوه الابتسام تحاربت الطائفتين بلغات تحير منها الخواطر والاوهام واشتد بينهم الصدام وانقطعت الايادى الصمصام ودام القتال والزحام وخيل لهم كأنهم في منام وقد نشر الموت على رؤسهم اعلام وزادت الاحكا وتقدمت الشجعان وولت اللئام وقامت على الأقدام عروس الحرب للصدام وانتشرت على الأرض جماجم الكرار وغنت المشرفيات في العظام وبريت الرؤس الاقلام (قال الراوى) إلا أن الألسن قد عجزت أن تصف ما جرى في تلك الساعة من أهوال الطعان بالرماح الخطيات

والضرب بالسيف المشرفيات وتصادم الخيل الاعربيات وعلى الحقيقة رأت بنى عبس خلاف مارأت فى الوقائع الماضيات لأن السودان الذين هم عساكر الملك خوار قاتلوا قتال الكرام لكونهم قدقربوا من الديار وكانوا قد غلظت أكبادهم وزادت أحقادهم ولو أبو الفوارس عنتر ردهم وأبادهم والا كانوا بنى عبس انكسروا وطيبوا بلادها لأنه وقف وقفة الأسد فى رأس المضيق والتقى القوم بقلب ماالفزع عليه من طريق وكانت حملاته أمر من نار الحريق وضرباته مثل حجارة المنجنيق وصارت السودان خلفه وبين يديه وأبصرت حربة فلم تقدر عليه وكان الملك خوار وأصحابه وقوف تحت الأعلام فحمل لما أبصرت عودة أصحابه وعشيرته من قدام عنتر وجماعته القوم يوما من أيام الاخرة فاندهل من الشجاع بصره وتحير من البطل فكره وعنده المساء التقا عنتر بالملك خوار وارتفع بينهم ضرب دائم وصيحات وهماهم تتعوز منها الصناديد الاكارم وماأمسى المسا حتى جرت سواقى الدما مثل الغمام وعادت الرجال إلى الخيام إلا وهم لايدرون القعود من القيام ولا فى الخيل فرس يقدر يلوك اللجام من شدة مالقيوا فى ذلك الصدام وخرج صفوان وفيه جراحات بالغة ولكن ماعنده منها خبر لأنه عاشق وغارق فى بحار ولا يجد له عامر فيه من ذاك الأمر دوى وقلب محبوبته عليه قد قسا وهو يعلل نفسه بلعل وعسى فلما نظر عنتر إلى حاله وما حل به من كربه شجعه وقوى قلبه وقال له يامولاى وحياة رأسك ماعندى من هذه الجروحات خبر وما أو ميت روحى اليوم فى الحرب وفعلت هذه الفعال الاقلت عسى تتكسر هؤلاء الأنذال وبعدها أكافىء الملك همام بالقتل والأعدام لأجل ماردنى خائب عن ابنته أعجبه الأنام وافرق بينى وبينها واحرمنى لذيذ المنام فقال عنتر أنا مالقيت نفسى اليوم الأمع الملك خوار وأعجل عليه وأكسر هذه الأبطال الذى حواليه ولكن ماوقعت به أو آخر النهار ولى معه حرب وأخبار ورأيته والله شيطان لايلتقيا ولا يبالى بحرب ولا شقا ولكن غداة غد أخرج إليه وأطلبه إلى القتال وتكون واقعة الانفصال ولا أعود الا ببلوغ الامال ثم أن عنتر قال ياصفوان أعلم اننى متعجب منك ومن عشقك لهذه الجارية على بعد المسافة الذى أخذتك بالصحيح وأخبرك بما كان فيه من التلويح ان كان بينه وبين الملك همام صداقة قديمة من مدة أعوام وكان أبى كثير يزوره ويهاوده بالهدية والتحف ويقيم عنده الشهور والاثنين وفى كل أموره يستشيره وكنت أنا من صغرى كلما راح لهم أمضى معه واذا أخذنى آخذلى أيضا أنا الآخر جماعة من خواص دولتنا واتبعه وكنت يامولاى أرى الجارية

التى هى أعجوبة الانام فهى تحاكى القمر ليلة التمام وكنت أرى ما فيها من العقل فكنت العب أنا وهى مدة مقامنا عند أبيها فاحتكمت المحبة بينى وبينها ومن محبتى لها همت بها فلما زاد بى الأمر أطلعت أبى على حالى فانفذ إلى أبيها وخطبها منه فرد رسوله خائب وقال الرسول قل له وحق ما يطلع فى السماء من الكواكب لولا المحبة التى بيننا لكنت أرسلت إليه من يقلع شفتاه ويبيد عبارته ويقتل ولده من الذى جسره على هذه الأمور ولكن هو فى هذا الخطاب معذور فوالله يا مولاى ما هو إلا أن سمع أبى هذا الكلام حتى غاب عن الوجود فانقطع عن زيارته وتغير عن ذلك عادته فلما علمت هذا الحال ما لمغ أبى من المقال زاد لذلك حزنى وعظم من ذلك المحبة شجنى وكرهت من الحياة وأيقنت إذا طال بى الفرقة فقد عزمت أن أكاتب السودان وأجمع فرسان البلاد حتى أننا نسير إليه ونقتله وأملك ابنته وأتولى ملك مملكته يجرى لنا معكم ما جرى فهذا يا أبا الفوارس جملة ما تم وجرى وأنى الآن على الجارية أتقلا ولم يحصل لى شىء به أتسلا (قال الراوى) فقال له الأمير عنتر طب نفسا وقر عينا فأنا آخذ لك الجارية ولو كان بينك وبينها جبال راسية وحق من أمر الماء يجرى وجعله راحة للورى فهذا ما جرى لهؤلاء من الأحكام قال الراوى فاما ما كان من عسكر الملك غوار وبنى حام فانهم نزلوا فى الخيام وما لهم حديث إلا فى عنتر وما فتك فيهم فى هذا اليوم الاغبر فقال لهم الملك غوار لما سمعهم يتواصفوه ويتعايدوا عنه تلك الأخبار فقال يا بنى عمى ما إلا فارس جبار وبطل مغوار جيد فى الحرب خبير بمواقع الطعن ولكن فروسية ما تبان إلا إذا خرج إليه فارس وانفرد به فى حومة الميدان فاننى لما وقعت به فى آخر النهار وتصادمت معه فى تلك الساعة وانعقد علينا الغبار لولا المسا أدركنا كنت عجلت ارغامه وضربت رقبته وأسقيته كاس حمامه وعند الصباح أخرج إلى الميدان وأدعوه إلى البراز والطعان فاذا خرج إلى قربكم عليه فأوريكم كيف آخذ روحه من بين جنبيه لاننى أويد ما يأتى الملك هام إلى هذه الديار إلا ونكون قد قضينا الاشغال (قال الراوى) فلم يزالوا الطائفتين على ذلك الارواح إلى أن أصبح الله بالصبح تبادرت الرجال على ظهور الجرد القداح وظهرت تريد الحرب والكفاح إلا أنهم طلبوا صفوا وعنتر ليخرجوا يجدوا لهم اثر وقد فقدوهم من دون العسكر فسألوا عليهم شيبوب فقال وحق الرب القديم ما معى منهم خبر فخافت بنى عبس على عنتر من الهلاك وخشيت غمرة على العسكر بعد فقده من الارتباك وعلم عروة وغصوب وميسرة بفقد أبيهم عنتر فكادت مراثرهم ان تنفطر وقال الملك لون للظلام ما هو إلا أمر صعب ايفقد حاميتنا ونحن عليه من الكرب فقال غصوب اكتموا هذا

الأمر عنا فإذا علمت الأعداء بفقد حاميتنا فيطمعوا فينا وأنا أكثر ظني أن أبي لما رأى شكوى صقوان بما قد اعتراه من الهيان أخذه فسار به إلى ديار أعجوبة الأنام ليأخذ لها له من أبيها الملك همام إلا أن غصوب لما قال ذلك الكلام قال شيبوب والله يا غصوب لقد خاب ظنك فوحق الرب القديم الذي هو بكل شيء عليم ما فقد أخي وصفوان إلا لشغل قد وصل إليهم وحيلة تمت عليهم وإلا كيف أن أخي كان يخاطر بروحه وحده ويخرج من بين عسكره فلو كان قد عزم على ماذكرت كان أخذني معه ويكون إذا أراد أمر أرده عليه ولا أسمعه لكن احترزوا على أرواحكم فاجتهدوا في كفاحكم حتى أنني أسير في أثرهم فاكشف أخبارهم وكانت الصفوف قد تقابلت فزادت الاحقاد فاشهروا السيوف الحداد فارادوا أن يشرعوا في الحرب فعولوا على الطعن والضرب وإذا بالملك غوار قد إلى الميدان فطلب الحرب والطعان ولعب بين الفريقين على ظهر الحصان حتى حير الشجعان وأظهر في الحرب أبواب حسان وصال وجال فانشد وقال

| | |
|---|---|
| لقد علمت عبس بأني أبيدها | إذا ما بدا رمحي لها ومهند |
| وكم فارس جندلته في حومة الوغا | وخليته في القاع يبحث باليد |
| ولم أخش عديدا إذا الخيل أقبلت | ولا فاشد مثل الجبان المبلد |
| وبرق سيفي كلما سل أحرقت | صواعقه إلى الأبطال في الحرب من يد |
| على أنه أن بات في الغمد ليلة | يصيح جهارا ليس هذا بمقصد |
| أنا فارس الفرسان دونكما القا | لكي ما أرمي من دماكم مهند |
| والقي جثتكم للسباع أكيلة | تمزقها في كل قفر وفدفد |
| وأبي اغوار بن دينار دائما | مدى الدهر ماغنى الحمام المغرد |

قال الراوي فلما فرغ الملك غوار من كلامه وما أبداه من شعره ونظامه نادى أبرزوا يا أوغاد غير أنجاد فاطلبوا الحرب والجلاد ولا يبرز إلا فارسكم عنتر بن شداد لانه أعجبني بالامس قتاله لما رأيت حربه ونزاله (قال الراوي) سمعت فرسان بني عبس كلامه علموا أن ما عنده خبر من عنتر ولا من اعدامه فاهو إلا سالم فقد مضى إلى تلك الاطلال والمعالم أراد أن يخرج غصوب إليه فسبقه فارس من أصحاب لون الظلام فحمل عليه فكان ذلك الفارس كأنه فهد ركب جواد أصيل الجد وهو من فرقة الهمة جيد العزمة فانطبق على الملك غوار من كلام ولا انشد أشعار فاراد أن يطعنه لما فاجاه وكفه بالحسام على هامه أطاح رأسه قدامه فوقع على الأرض يختبط في دمه ويضطرب في عنده ثم انه جال وصال وطلب البراز وسال الانجاز ونادى يا فرسان الحجاز فاهذا منكم انصافه

أتدعون غيركم إلى البراز وتركون غيركم القتال وتمتنعوا عن الطعن والنزال فإن أسود كم المحتال لا يبرز لي إلا هو حتى أعرفه كيف يكون القتال لأننا قوم نحب الانصاف فلما سمع غصوب منه هذا المقال قال لأخيه ميسرة وأصحابه اعلموا أننا على عجل من أمرنا وقد طال بنا المطال أننا نريد فى أمورنا الانجاز ونبطل فى مدة غيبة أبينا البراز حتى نقضى هذا الأمر الذى بين أيدينا وبعد ذلك نكشف خبره ونقتفى أثره ثم أنه أراد أن يأمر العساكر بالحملة فيحمل هو وأخوه وأمه وبقية الفرسان فسبقهم أن عم الملك لون الظلام وكان فارس همام وبطل ضرغام يقال له بكار فخرج وأراد الحملة على الملك غوار وكان راكب على الجواد صلب القوائم فصال عليه وجال فطلب الحرب والقتال فعرفه الملك غوار فقال له ويلك أراك خرجت إلى قتالى يا بكار فأنكرت القرابة غاية الانكار أما تستحى على نفسك أما كان لى عليك حق وعلى ابن عمك لون الظلام حتى أنكم التجأتم إلى هؤلاء الأقوام فان ظفرت بك اليوم جازيتك أحسن الجزا وأتقرب بدمك إلى اللات والعزى لأنى ندرت على نفسى أن أعلق رأس لون الظلام على ركن البيت الحرام مدة الأعوام حتى لا يرجع أحد يقابل الاحسان بالانتقام فلما سمع بكار كلامه قال له والله يا ابن اللئام هذا الذى حدثتك نفسك به أن هو الا أضغاث أحلام ثم أنه حمل عليه وقوم سنانه إليه فتلقاه الملك غوار وقد أنكر قرابته معه ما به الانكار فزاد به الحنق وزعق فيه وعليه انطبق وأخذ معه فى الطعان والقتال بأطراف الرماح الطوال فكذلك قد زاد بينهما الأمر عن حد القياس فتعجب منهما جميع الناس ومضى النهار وهم فى صيحات وزعقات وزعقات فضجات مختلفات وطعنات نافذات فما كانت إلا ساعة من الساعات حتى طعن غوار لبكار فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فصعب ذلك على أولاد عمه بنى حام وأيضا على ابن عمه لون الظلام فصارت السودان تخرج إليه من كل جانب ومكان ويحملون عليه فى الميدان إلى أن قتل عشرين وأسر ثلاثين فنظرت غمرة إلى هذا الحال صعب عليها هذا الفعال فعندها خرجت على جواد من الخيل الجياد تخرج من تحتها كالبرق الخاطف أو السحاب الواكف فسبقها بنى عبس الاقيال فوقع الانصال ولمعت تحت الغبار بوارق النصال فاصطدمت الابطال بالابطال فدوا إلى بعضهم الرماح الطوال فاشهروا السيوف الصقال فحمل عروه ورجاله الاقيال فحمل ميسرة وغصوب الفارس الرئبال فحمل الملك لون الظلام فاكثر الأهوال فتيقنت النفوس بحضور الآجال فكان للقوم يوم تشيب فيه الأطفال فلو دام عليهم القتال إلى المسا كان حل فى بنى عبس الوبال ولكن ما أشغلهم عن الحرب والنزال إلا شىء ما كان لهم على بال قال الراوى فبينما هم على ذلك الحال وإذا قد ثار من خلف عساكر

الملك غوار غبار حتى سد الأقطار فوقفت العسكرين ينظروا ما يكون من تلك الغبار و بعد ساعة من النهار أنكشف لاعين النظار فبان من تحته فرسان لون الظلام وهم كلهم سودان من أولاد حام وهم ينادوا قائل أيها الملك غوار إلى هؤلاء اللئام فنحن أصحاب الملك همام صاحب أرض ذات الأعلام وكان هؤلاء القادمون عليهم خمسين ألف فارس الدروع لوابس فلم يزالوا سائرين إلى عساكر الملك غوار قاصدين فعند ذلك تجارت نحو الملك غوار الفرسان وأسرعت إليه الشجعان قد أعلنوا بالأفراح وانقلبت الأرض بالصياح فى الروابى والبطاح فتقدم المبشر إليه وقبل الأرض بين يديه وأعلمه أن الملك همام قد أرسل إليكم نجدة خمسين ألف فارس والمقدم عليهم صفوان فانهم لما وصلوا وحملوا الجميع على بنى عبس كذلك حمل الملك غوار فكان السبب فى وصول هذه النجدة إلى الملك غوار ذلك أنه لما وصلت عساكره مكسورة من قدام عنتر صعب عليه وحلت به العبر فارسل إلى الملك همام يعلمه بما جرى عليه من الأحكام وهو يقول له أعلم أيها الملك الهمام أن الرجال قد ملكت والفرسان قد هلكت وذكر له جميع ما وصفنا وليس فى الإعادة افادة فلما وصلت إليه الرسالة وأعاد عليه الرسول ما حمل إليه من المقالة هدر وزمجر فشخر ونخر فكفر فتجبر فقال وحق الليل إذا أعتكر والقمر إذا أدبر لابد لى أن أخرج إلى أرض الحجاز وأقطع ما بينى وبينهما من المفاوز فالتقط فرسانهم فى البراز وأقتل كل من فيه من الأبطال فانهب مالهم فالعيال ثم أنه جهز ذلك العسكر الجرار فارسله إلى الملك غوار بعد ما كتب الكتب إلى بلاده فاعلم بذلك عساكره وأجناده وأعلمهم بالمسير فالجد والتشمير إلى نصرة الملك غوار وإلى من أتى إليه من القوم الأشرار قال الراوى فعندنا إلى سياقة الكلام والخبر بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد زين البشر فخر ربيعة ومضر إلا أن العساكر لما أتوا تلك الأرض وحملوا على بنى عبس فعند ذلك حملوا فيمن معهم والتقوهم وفى أوائلهم غصوب وميسرة فازن فسبيع اليمن الفارس القسور فنادى الملك لون الظلام فى أصحابه دونكم يابنى الأعمام أحملوا على أعدائكم فلا تتركوا الذكر يكون لسواكم ثم حمل فى أوائلهم وجد فى القتال وضيق على بنى عبس المجال وساءت بهم الأحوال فرى غصوب رمحه وقاتل فرد الخيل بحملته وتراجفت الفرسان من زعقته فولت قدامه من هيبته فاما غمرة والداه فانها همهمت فدمدمت فبذلت نفسها دون بنى عبس فاستقبلت وتزلزلت الأرض فرجفت وانصبت عليهم المصايب ونزلت وشققت البطون فقجرت ودانت الأجساد وهزلت وكثرت على بنى عبس وتكردست فطاشت العقول وأنذهلت وتصادمت الكواكب فاختلطت وانسكبت الدما وانهرقت القلوب

قد رجمت فالعيون قد دمعت وثبتت بنى عبس وعلى الهلاك عولت فالسيوف بأيدى الرجال لمعت فالاعلام نشرت فالصدور انخسفت فالقلوب انقطعت فطار النهار على الجميع وتضاربوا الضرب الوجيع فاجوا شرقا وغربا وحملوا اهاوكر بالفريزالوا على ذلك إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال وهم على ماهم عليه من الحرب والقتال فقد زادت بينهم الاهوال فشابت الاطفال فكانت لهم ليلة عظيمة مظلمة جسيمة جرى فيها كل نائبة عظيمة وفنيت رجال قدر وقيمة هذا وما بقى فيهم أحد يعرف عدوه من صديقه فانسد فى وجه الجبان مسلكه وطريقه فلم يزالوا على ذلك الرواح حتى قرب الصباح وبانت الوجوه الملاح من القباح وعلى الحقيقة عظم الأمر على بنى عبس ولا بقوا يعرفوا عدا من الأمس فكانوا كلهم جياع ولم بقى بينهم وبين الموت إلا باع أو ذراع فزاد الغبار علوا فارتفاع ولم يبق اندفاع فصارت حيل المنايا نقلا ففر الجبان من الشجاع فتفرقت الأرواح حتى ما بقى لهم احتيال قدلم الحرب والنزاع حتى تزلزلت الأرض والبقاع وضاق المجال بعد الاتساع ودهشت من حولهم السباع فكان نظرهم أوفى من السماع لأن الأجساد تقسمت منهم ثلاثة أقسام وعاد الانصاف أسراف والوعد خلاف فلله در غصوب بين الشجعان فلقد حمى بنى عبس بسيفه والسنان فكذلك ميسرة فانه كردس الفرسان خمسة خمسة وعشرة عشرة فكان لهم يومين وليلة حارت فى وصفهم الواصفون وما زال القتال يعمل والدم ينزل الرجال تقتل فنار الحرب تشعل إلى أن ذهب آخر النهار فرجعوا وقد بنى عليهم سرادق من الغبار على ذلك الحال الذى قد أتاهم كانت بنى عبس فى ذلك اليوم الثانى أظهر من أعدائهم لأنهم كانوا قد أيقنوا بفناهم فصبروا صبر الكرام على ما به الله أبلاهم وكان بالاتفاق العجيب كان قد أتاهم من أصحاب غمرة وتلك الديار نجدة سبعة آلاف فارس كرار تجمعت وأتتهم لما سمعت تلك الاخبار فانها لما أتت أشفت القلوب فتركت المعانى مكروب فبعدها أفترقت الطائفتين وما فيهما من يعرف يضع قدمه فى أين ونزلوا على وجه الأرض فقعدت بنى عبس للمشورة فالتدبير مع بعضهم بعض ثم أنهم أكلوا شيئا من الطعام ثم أن غمرة ركبت هى وولدها غصوب فيسرة فالملك لون الظلام فى صحبتهم ما يتين فارس همام يزالوا يحرسوا قومهم حتى أصبح الله بالصباح فعند ذلك ركبت الرجال وزحفوا إلى الحرب والقتال فزادت الاهوال وقاتلوا بنى عبس فى ذلك اليوم من أطراف الخيام واشتدت عليهم المصايب ولم يعقل الإنسان على خطاب المخاطب بل فاضت على بنى عبس أمواج المواكب واصطومت الكتائب وأحاطت بهم عساكر الملك غوار والملك همام من

كل جانب وشابت من هول ذلك الوقت الذوائب ولا بقى ينفع الصاحب فتدافعت السودان على بنى عبس فابهروهم بالصياح وأثخنوهم بالجراح فلولا غمرة وميسرة وغصوب هم الذين فرجوا فى ذلك اليوم الكروب وإما كان بنى عبس رجعوا إلى الخيام فلم يبق منهم شيخ ولا غلام وأنما الفارس الجيد اذا كان فى طائفة قليلة أحاهم وجسرهم على الثبات إلا أن الليل ما أظلم حتى قتل من أصحاب لون الظلام الف فارس همام وأسر خمسمائة نباتوا حيارى بين قعود وقيام وأما الملك لون الظلام فانه قال لأصحابه يا بنى عمى لو كنت علمت أن الأمر ينتهى إلى هذا الحال ما كنا تركنا أحد من بنى عمنا فى الديار وكنا بالكل منا ليساعدونا على الحرب والقتال فوحق الاله العزيز الجبار إن رقمنا فى بد الملك غوارما يبقى علينا وأنا أعلم أن ما هدفومنا الاغيبة عنتر ولكن لنا أسوة بمن بقى من هذه العسكر الذى أكلنا زادهم فو الله لا تخليت عنهم حتى تلعب حوافر الخيل برؤسنا ويتهدم منا أساسنا وكذلك غمرة قالت لبنى عبس ولدها غصوب إن تصفونا غدا فى المبارزة بارزناهم وشفينا القلوب منهم وطاولناهم إلى أن يأتى الله بالفرج القريب أو يأتينا أبو الافراح شيبوب ( قال الراوى ) ثم أنهم باتوا إلى الصباح فركبوا الخيل وغاصوا فى السلاح فقد عزموا على الشرط الذى حصل بينهم من الكلام وركبت أيضا طوائف السودان الذين للملك لون الظلام ( قال الراوى ) فلما تقدمت الكتائب ووقفت الصفوف والمواكب خرج من بنى عبس فارس فى الحديد غاطس وهو راكب على جواده من الخيل الجياد وطلب البراز وسال الانجاز ثم صال وجال فانشد وقال

| | |
|---|---|
| عيونى من التبريح أمست سواهر | ودمعى على الخدين منى شاهد |
| فيا أم مالى للتباعد طاقة | وما جلدى من بعدك اليوم فاقد |
| وعندى هوى يا أم زاد وقيده | يذوب له صم الصخور الجلامد |
| فيا برق خبرها تحية صادق | وقول لها أن التشوق قايد |
| وقد غاب عنا حامى الجيش كله | وخلفنا من بعده فى الاوابد |
| وحاطت بنا السودان من كل جانب | وقد طمعت فينا وقل المساعد |
| أيا عم لو عاينت اليوم جيشنا | بكيت علينا يامذل المعاند |
| على أننى فى الحرب أهزم جيوشهم | بضرب بحد السيف من صدق ساعد |
| مسيكة لا تبكى على فهاندى | فإن سيفى يرمى فى الصدام كل معاند |
| ويبكى سيفى اذا بيت بغمده | ويضحك إذا ماسل يوم الاوابد |

قال الراوى لهذا الكلام ياسادة يا كرام صلوا على النبي بدر التمام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ماغرد القمرى وناح الحمام قال الراوى وكان هذا سبيع اليمن بن مقرى الوحش وقد برز من عظم مروءته بنفسه من بنى عبس ليلتقى عنهم المحن إلا أنه ما تم شعره حتى برز اليه فارس لكنه فى صفة الأسد وقد صار معه فى الميدان مثل لمح البصر لاجل أخذ الثأر وكشف العار لما قاربه هدر وزمجر وأطبق على سبيع اليمن بقلب قد من حجر وقد لقاه الآخر بقلب من صخر وجنان أجري من تيار البحر هذا وقد طال الأمر بينهم ساعة من النهار وصارت ترمقهم الرجال بالابصار وقد اعتكر عليهم الغبار عروة وغمرة يحدقوا اليه من حلة النظار وخافوا على اليمن ومن مقام الاخطار إلى أن تضاحى النهار وعلا وزاد الغبار وانجلا إذا بسبيع اليمن قد جال على خصمه حتى أتعبه وأكربه وقاربه حتى حك الركاب بالركاب ومد يده اليه وقبضه من جلبابه ونادى يالعبس يالعدنان أنا سبيع فارس الزمان وجذبه اقتلعه من بحر سرجه أخذه أسير قادة ذليل حقير فتبادرت إليه الفرسان وأخذوه منه ضيقوا عليه وشدوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف بعد ذلك غدرت السودان وحملوا على سبيع اليمن من كل مكان فعندها تلقاهم فى حومة الميدان ومد اليهم السنان من ولما نظرت غمرة وعروة ماحل بسبيع اليمن من المصائب حملوا على السودان من كل جانب بعزم أمضى من السيوف القواضب وهم ينادون طاب الموت يا كلاب وكان لهم ساعة يا لها من ساعة تعلم الشجاع منها الشجاعة والقوة والبراعة فانهم لما رأوا السودان قد هجمت على سبيع اليمن حملت عليه وقد تلقتهم بنى عبس معونة إليه وكان فى أوائلهم [illegible] وهو ينادى يا بنى اللئام أعجزتم من الحرب وفعلتم فعل أولاد الحرام ثم أنه طعن فيهم باطراف القنا كذلك أخوه وأمه أنزلوا بهم الذل والفنا ولما حملت بنى عبس اقتحمت القتام زاد الظلام ظلام وحل الملك لون الظلام فيمن معه من أولاد حام وظهر الفارس واستقتل وخاب الرجا والأمل وأيقنت النفوس بحلول الأجل والموت المعجل وقاتلت بنى عبس قتال الجبابرة الأول وطعنوا باطراف الاسل وطير بالسيوف الجماجم والقلل واهتز السهل من ركض خيولهم بان الخطا والزلل وانحطمت أطراف الرماح الذبل ووقعت الأسنة فى الاحداق والمقل نادت الرجال بانسابها وافتخرت باحسابها وطاب طعنهم وضرابهم قال الراوى وعلى الحقيقة انقلب السير تزعزت جوانبه وضاق على الهارب سائر جوانبه ومذاهبه فشاب رأس الغلام وابيضت ذوائبه وخرس

اللسان عن الجواب لمن يخاطبه وركض الحصان على رأس راكبه وكان الغبار ذلك اليوم مثل البحر وفاضت الدما حتى بلغ من الجواد سرجه ومازالت بنى عبس على ذلك المنهاج حتى ردوا أعداءهم بالطعن إلى البر والعجاج وقتلوا منهم أفراد وأزواج وقطعوا النحور والاوداج قال الراوى وكان الملك غوار فى ذلك اليوم العظيم المقدار قاسى فى الحرب البوار ودام الحرب حتى قدم الليل بسود الاعتكار وافترقت الرجال عن الحرب والقتال وجعوا وسبيع اليمن بينهم كأنه الأسد الرئبال وهم يهنوه بالنصر وبلوغ الآمال وكان قد جرح جراحات بالغة وسالت منه دماء وكان غصوب قاربه تلك الساعة ومن الأعداء أحماه وبانت عمرة وهى فى أرد الأحوال لأنها تعلم أن الذى جرى كان بسببها فصعب عليها قتل الرجال فعولت أن تفدى الرجال بنفسها إلى الصباح قال الراوى فهذا ما كان منهم وماجرى لهم فى الحرب والكفاح وأما ما كان من الملك غوار فإنه عاد مع قومه وقد أهمه ماجرى له فى يومه إلا أنه فرحان بفقد عنترة الفرسان وقويت شوكته على بنى عبس وعدنان فبات يحرس قومه إلى الصباح وعزم فى عد إلى الحرب والكفاح ويطلب من أعداء البراز ويسأل الانجاز وبانت الطائفتين على مثل ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح ركب الملك عوار وأتى إلى الميدان وطلب من بنى عبس الحرب والطعان وكان الملك عوار قد أنطلق فى قلبه لهيب النار عما فعل ونادى وقال لايبرز لى إلا خصمى بالامس الذى فعل بفرسان هذه الفعال والآن رآه عروة ابن الورد فقال أنا أعلم أن هؤلاء السودان ما أتوا إلينا وطمعوا فينا إلا بغيبة حاميتنا عنا إلا أنه أتى يخبرنا بالخبر الصحيح ثم أنهم باتوا وهم فى أعظم حال ويحسبوا ما يلاقو فى عد من الحرب والكفاح إلى أن أصبح الله بالصباح وطلت الشمس وانفرشت على الروابى والبطاح وركبت الفرسان الجرد القداح وترتبت الصفوف وماجت المائتين والألوف وتصايحت الفرسان والتقى الجمعان ونظر إلى بعضهما البعض الطائفتين وإذا بالملك عوار برز إلى حومة الميدان وطلب براز الشجعان فبينما هو يصول ويجول ويأخذ الميدان عرضا وطول وقال وأبرزوا يافرسان الحجاز إلى محل الجولان وكان هذا الملك جبار مغوار عندها برز إليه عروة بن الورد فى عاجل الحال كأنه الأسد الرئبال وأطلق عنانه وقوم سنانه وحمل عليه من غير شعور ولا نظام فتلقاه الملك عوار ووقع بينهم الحرب والصدام إلا أن عروة ما ثبت قدام الملك عوار إلا مقدار ساعتين من النهار حتى هجم عليه هجا الأسد ومسكه من أطواقه وجذبه ورحلة من على جواده وأرماه إلى قومه فشدوه كتاف حملت عليه رجاله

تريد خلاصه من يد قناصة فتلقوهم السودان كأنهم أفراخ الجان ووقع الحرب والطعان عندها حملت غمرة بنى قضاعة الشجعان وحمل الملك لوز الظلام فى فرسانه بنى حام وحمل غصوب وبنى عبس الأشاوس وارتفع الصياح من كل جانب واسودت المشارق والمغارب وتخضبت بالدما اللحا والشوارب وطارت الجماجم من ضربات القواضب وغاصت الأسنة فى الصدور والجوانب هذا وغمرة فى طلب الملك غوار وصدمته بقوتها تحت الغبار فتأخر منها إلى وراءه وأرادأن يستجرها إلى الوادى ولما علمت غمرة منه ذلك هجمت عليه هجمة الأسد الرئبال وطعنته قوية كسرت له ضلعين من الجانب الشمال فوقع على جواده فى الحال فأرادت تهجم عليه وتشده كتاف وإذا بالسودان قد هجموا عليها وحالوا بينه من غير خلاف وفى ذلك النهار قتل من أصحابه ثلاثة آلاف إلا أنهم مازالوا حتى أدركوا صاحبهم فى الميدان وقد أركبوه جواده وعاد على الفرسان وقاتل يمينا وشمالا وفى ذلك اليوم الكثير الأهوال قد أسر فيه ميسرة بن عنتر وكان الأسر الذى أسره الملك غوار سبب ذلك أنه لما ركب جواده واعتد بعدة جلاده وقاتل مع أصحابه وأجناده حتى ذهب آخر النهار وأقبل الليل بسواده الإعتكار التقى الملك غوار بميسرة وهو يقتل فى أصحابه خمسة وعشرة وله همهمة وزمجر فصاح به وفاجأه وطعنه بعقب الرمح أرماه وكانت تخلت عنه أصحابه ورفقاه فاخذه أسير وقاده ذليل حقير وعادت بنى عبس فى أواخر النهار وكان قد قل نشاطهم وذلك لأجل غيبة حاجتهم وكان غصوب قد خرج ذلك النهار ولولا مازن وسبيع اليمن وغمرة كانت بنى عبس هلكت وحل بهم الدمار ولما عادت غمرة ونزلت فى خيامها وقربها القرار أرسلت جماعة من قومها تجمع لها ما كان تبقى من بنى قضاعة فى الديار ( قال الراوى ) فهذا ما كان منهم وما جرى لهم وأما ما كان من الملك عوار وعساكره وما جرى لهم فى ذلك النهار فانهم لما عادوا إلى الديار وقربهم القرار اجتمعوا خواص قومه عليه وقالوا له إننا ما بقينا نريد من هؤلاء الأقوام مبارزة ولا نزال وما فى الأمر إلا أننا نحمل عليهم بجمعنا وننجز الأشغال وإلا طال بنا المطال وإلا ربما أن يكون حاميتهم عنتر قد يعنى بجمع لهم عسكر ويأتى إلى قتالنا لأنه لو كان حاضر لكان لقومه ناصر ولا كنا حظينا منهم بطائل لأننا ما أبصرنا فرس منه فى سائر القبائل ثم أنهم باتوا معولين على ما ذكرناه من الكلام لما ذهب الظلام ولاح النور بالضياء والابتسام وكبت فرسان الطائفتين وطلبوا مع بعضهما لبعض الحرب والكفاح وجرى الدم منهم وساح وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح وقد تمدت جثة القتلى فى البطاح وطلت الأرواح من الأشباح وندم الجبان على الثبات وطلب الهرب والرواح وتمكنا الشجاع وصاح وثبته

*الفارس الجحجاح وقاتل بنو عبس وحموا أنفسهم حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت وهى على نهاية من الضر والعيش المر وما زالو على ذلك فى ثلاثة أيام واربع ليال وفى اليوم الرابع وصلت إليهم نجدة من بنى قضاعة من إحلافها القناعيس وكانوا سبعة آلاف فارس ووصلت أيضاً سودان الملك لون الظلام فى تسعة آلاف من بنى حام الكرام فعند ذلك فرحوا بنى عبس بمن أتاهم من العرب الكرام وصعب ذلك الأمر على الملك غوار وعلى عساكره الاخيار ولما رأو أن بنى عبس قد أتتهم معونة وأنصار فقالوا له يا ملك من هذا الأمر قد فزعنا لاشك أن عنتر ما غاب حتى جمع هذه عساكر حتى يبلغ المنا أن وإن كان هذا الأمر صحيح وقد عاد عنتر فما يترك هنا إلا كل طريح وجريح فقال لهم الملك غوار ومن هم الذين أتوا إليكم حتى تخافوا منهم فقد أخرج إليهم وأفنيهم عن آخرهم ولو كانوا بعددنا أضعاف فارفعوا عنكم هذا الرعب والمخاف ( قال الراوى ) وكانت غمرة فرحت بأصحابها الذين قدموا عليها فتلقتهم أحسن ملتقا وجعلت تشكوا إليهم ما لاقت هى وبنى عبس من الشقا وكيف فقد حاميتهم عنتر وعلمتهم بمن قتل منهم ومن استأسر وأقاموا ينتظرون الصباح من شوقهم إلى الحرب والكفاح وباتوا الفريقين وصياحهم منعقد تتوقد حتى انجلى الليل بظلامه وأقبل الصبح بابتسامه وركبت الفرسان الخيول وكانهم الفحول يريدوا القتال بالنصول والطعن بالذبول وتقدم الفارس البهلول وتاخر الجبان المهول وقد تاهت الفرسان تاهت المهات وتصايحت الاقران من سائر الجهات وتزاعقت الشجعان بالأصوات وركب الملك غوار فى خواص الاعيان من مقدمين السوادن إلا أنهم لما توسطوا فى الميدان ووقع الحرب والطعان قال لهم الملك غوار ما أحد منكم يعود من الميدان إلا بأسير أو بعلامة قتل عفير ( قال الراوى ) فلما سمعت السودان هذا الكلام انتخت نخوة الكرام وحلفت أنها ما تعود حتى بنى قضاعة ومن معهم من بنى حام هذا والبوقات والدنيا قد انقلبت وصاحت الرجال وولت إلى نحو القتال تبادرت هذا وبنى عبس قد هزوا رماحهم ووطنوا على الموت أرواحهم وكانت غمرة فى أوائلهم وولدها غصوب ومازن أخو عنتر وبجيد بن مالك والملك لون الظلام يقدم قومه إلى الحرب والقتال والصدام وعلت خيالهم الأرض وكان أول من حمل غصوب لأن نفسه قد هانت عليه بعد فقد أبيه الأسد الرئبال وحملت غمرة فى بنى قضاعة الابطال وحمل لون الظلام فى بنى حام الكرام وكذلك حمل الملك غوار بن دينار فى مائة ألف فارس من الشجعان الاقيال وحمى بينهم القتال واهتزت الجبال وعظمت المصائب والأهوال وفارقت الارواح الابدان وأيقنت

النفوس بالمحاق وكان يود الو نظر ته الاطفال لشابت وهى فى رضاع اللبن ورأت الفرسان
فى هذا اليوم الذل والهوان قال الراوى لقد رأيت السماء قد عميت والجوانب أظلمت
والغبائر خيمت والصوارم تثلمت والرماح تحطمت والرجال تقتلت والدماء تسكبت
والأرواح من الأشباح انتزعت وأرباب الشجاعة افتخرت والانذال قدزلت والحياة
قد عزت والاعناق قد أنجزت والقتلى قد صارت أكداس فزاد الأمر عن حد القياس
وشكت الرجال من شدة الكرب واختلف الضرب فزاد الكرب فلله در غمرة وغصوب
لقد شقوا فى ذلك اليوم للكرب ففرجوا عن رجالهم الخطوب وما مضى النهار وأقبلت
أجنحة الغيهب وقد بقى فى أحد الطائفين نفس فانحاز سق الشجاع اندرس وقد نظر ملك
الموت فى وجوه الجميع وعبس فنادى القوم بالانفصال وافترقت الطائفين عن المجال
وعادت كل طائفة إلى مكانها وهى تشكو مالاقت ذلك اليوم من الأهوال فرجع غصوب وهو
مثل شقيقة الأرجوان مما قد سال عليه من أدمية الفرسان وعاد الملك غوار وهو تايه من شدة
الغيظ والاحزان فامل أن تخرج من يده هذه الديار مما قاسا اليوم عن الذل والهوان
فعند رجوعه وصل إليه رجل من عند الملك همام ولما صار بين يديه قبل الارض وسلم
وقال له يا مولاى أبشر بالنصر والظفر فان الملك همام أرسلنى يبشرك بصفوان بن لون الظلام
وعنتر بن شداد البطل الهمام وقد عزم أن يصلبهم عنده فى البلاد قال الراوى فلما سمع الملك
غوار بذلك الأمر المهول فرح وانشرح صدره فأمر فى الحال بدق الطبول بعد ما خلع على
الرسول وقال وحق الرب القديم لقد فرج الله عنى هذا الكرب العظيم بأسر مولاك لهذا
الشيطان الرجيم فابقاه الله ولا أعدمنا طلعته ثم قال له ويلك وكيف وقع صفوان وعنتر فى
قبضة الملك همام وما الذى أوصلهم إليه وأقدمهم عليه فى هذه الايام فاخبره الرسول بالحيلة
التى فعلتها ابنته أعجوبة الانام حتى أوقعتهم بها فى الأسر والاندام فقال الملك غوار لله درها
والله إنها فعلت فعال تعجز عنها صناديد الرجال الأخيار فاريدك أن تحدثنى بحديثها فى هذه
فقال له الرسول السمع والطاعة اعلم أيها الملك أنك أنفذت إلى الملك همام تشكوا إليه
ماقاسيت من هذا الشيطان الذى تملك بلاد السودان وأنزل بهم الذل والهوان فصعب ذلك
عليه وخاف لا يملك منه البلاد ويقتل العسكر والاجنادوة. بقى متفكرا فى ذلك الامر وقد حلت
به الانكاد فقالت له ابنته وقد علمت ماهو عليه من النكد فعند ذلك قالت لو الدها ما عليك
من هذا الأمر فلا تحمل على قلبك هم ولا غم فانا أقود إليك أسودهم وهو فى حبال الذل
والارغام فى أعجل مايكون من الايام إن أنت أذنت لى فى ذلك الم لم فلما سمع أبوها منها ذلك

الكلام قال لها افعلى ما بدالك وعجلى فيما تفعلى فعندها وثبت من بين يديه ولبست لبس الرجال وعزمت على ما تريد أن تفعل وأخذت معها جماعة من الرجال الاقيال وسارت مع العسكر والفرسان الذين أرسلهم أبوها لحراستها فعندما سارت فى البر الاقفر حتى وصلت إلى العساكر فرجعت الفرسان وطلبت هى الخيام الذى للملك لون الظلام والامر قدره الله تعالى لاجل إنفاذ أمره فبينما هى تدور بين الخيام إذا سمعت حس صفوان الملقب ببدر التمام وهو يبكى وينشد هذه الابيات :

| | |
|---|---|
| محب شكا بعض الذى كان يكتم | وبات يقاسى الهم والناس نيم |
| تراه سقيم الجسم من غير علة | وكيف يصح الجسم والقلب مسقم |
| توحش من بعد الحبيب نهاره | وتونسه الاحزان والليل مظلم |
| إذا قيل فيما كان سقمك يافتى | يقول طبيب السقم بالسقم أعلم |
| يكاد دمع العين والقلب خائف | ويبدى التعدى والمدامع سجم |
| إذا حبست من بين جفنيه دمعة | فكان الهوى من نفسه يتكلم |
| فلا دمعه يرقى ولا الكرب زائل | ولاقلبه يسلو ولاالهم يسأل |
| أضر به البلوى ولكن فؤاده | على الضر والبلوى يصح ويسقم |
| فلا تهجرينى واحفظى العهد بيننا | فلا يسقم بالعهد إلا متيم |
| أعجوبة بين الانام لى ارحمى | فان الذى يرحم فلا شك يرحم |
| أشارت بطرف العين خيفة أهلها | إشارة محزون ولم تتكلم |
| فايقنت أن الطرف قد قال مرحبا | وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم |
| فباللات والعزى على تعفى | على قلب المهموم فالقلب مغرم |

قال الروى إلا أن بدر التمام ما أتم ذلك الشعر حتى هجمت عليه إلى داخل الخيام وسلمت عليه فرد عليها السلام وقال لها من أنت أيها الغلام فتبسمت وقالت له أما تعرفنى يابدر التمام فقال لها وحق الملك العلام فلما سمعت منه هذا الكلام رفعت عن وجهها اللثام قالت ما أسرع مانسيت أعجوبة الانام فاهو إلا أن تحققها حتى أقام على الاقدام وقبل يديها وقال لها قد رأيت العجب ياقرة العين كيف زرتينى فقالت له ماهذا وقت الشكوى وحق هواك لقد قاسيت من بعد فقدك مالا يجده أحد ولم أجد لك سلوى لانه قد أنحل جسمى حبك وزادنى الاسر والارتباك وحملنى عشقك حتى أرميعر وحى على الهلاك

( تم الجزء الثالث والثلاثون ويليه الرابع والثلاثون )

# الجزء الرابع والثلاثون

## من سيرة عنترة بن شداد

فركبت وقدمت عليك حتى أسلم ملك أبى اليك وأعمل له على الهلاك وأعيش فى ملكه أنا وإياك لأن أبى ركب إلى الصيد وخلانى فى المكان فجديت بالمسير إليك فقم معى فى عاجل الحال حتى اجتهد فيما قلت لك عليه فما هو إلا أن سمع هذا الكلام حتى صار كانه فى منام ما هو فيه من العشق والغرام فقال لها اصبرى على حتى نأخذ عنتر معنا لأنه أقوى على هذا الأمر منا فإذا كان معنا ودخلنا بلدكم نملكها فقالت له أسرع فاحذر أن تعلم فربما يتولد لنا نكبة فقال لهـــا حبا وكرامة وأنا أحمد الله الذى كان آخر الأمر إلى سلامة ثم أنه تركها فى المضرب وأتى إلى عنتر فاعلمه بذلك الخبر ثم أنه وثب ولبس عدة سلاحه وسار حتى وصل إلى أعجوبة الأنام فلما نظرته تقدمت إليه وسلمت عليه وبالنعم هنته فبقيت باهتة فيه من عظم جثته وكان عنتر نظر إلى صورتها فقال سبحان الخلاق العليم فإن الغلام معذور فى عشق هذا الجمال العظيم ثم أنها أعلمتهما بما دبرت من الهذيان وأخبرته على ما عملت من الزور والبهتان ونعوذ بالله من كيد النسوان فعند ذلك قالت يا عجلوا قبل أن يعود أبى من الصيد ثم أنها سارت أمامهم فخرجوا من خيامهما وقصدوا نحو الآكام فلحقهم العشرين فارسا الذين ذكرناهم وكان عنتر من عجلته على الأمر المرهون لم يتمهل حتى يأخذ شيبوب وأنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى أرض ذات الأعلام وهى تقول لعنتر يا مولاى أسرع قبل الصباح حتى تدخل على البلد فى وقت الغيهب ونأمن على أنفسنا من الافتضاح وما زالوا سائرين فى تلك البرارى حتى قربوا من البلد وإذ قد خرجوا إلى لقائهم كل أحد من الأكابر وهم من خواص الملك همام وسلموا على عجوبة الأنام فسألتهم عن أبيها فقالوا لها ما له غير عشرة أيام وما هو ميعاد عودته لأنك خبر بذلك وكان هذا من تدبيرها التى عملته قبل مسيرها وكان عنتر سائرا وقلبه راجف قال الراوى فلما سمع قول الرجال آمن قلبه بعد ما كان خائف وصدق كلام أعجوبة الأنام فسار معها وهو طيب القلب ولم يزالوا كذلك حتى دخلوا القلعة وكل ذلك خداع ومحال فتبادروا البوابين إليها وسألوها عن الذى فى صحبتها فقالت هؤلاء من عند الملك غوار أرسلهم إلى أبى

فلم يتكلموا افاز الواسا ثرين حتى توسطوا الباب نفذت فيهم مشيئة رب العباد فطلب عليهم الرجال بالسيوف الثقال فما أفاق عنتر على نفسه حتى داروا به خمسمائة بالسيوف فلم يلحق يجرد سيفه وفى عاجل الامر صار مكبا على وجهه فعلم فى ذلك الوقت أنها مكيدة عملتها الجارية عليهما لاجل عشق صفوان ثم أحضروهما بين يدى الملك همام فنظر إلى عنتر وهو مثل الاسد الهجام




فقال له ويلك يا ابن اللئام ما الذى جسرك على مافى يدى من البلاد فقال عنتر جسرنى على ذلك ما فى يدى من الحسام الفصال فصوطى على الابطال ولو لا أنك أخذتنى بالحيلة والمحال لكان طال عليك المطال وكنت أفنيت رجالك والابطال وكانت تقصر يديك أن تنظرنى على هذا الحال قال الراوى فلما سمع الملك همام ما قال عنتر من الكلام أراد أن يضرب رقبته فاعترضته ابنته وقالت له لا تعجله أيها الملك وتمهل على نفسك فى هذه الايام فان العجلة من الشيطان حتى تنظر ما يجرى للملك غوار من أصحاب هذا الكشحان وأيضا حتى تاخذ الملك لون الظلام فاجابها وأمر بسجنه فى حجرة عنده فى القصر فى ذلك الوقت أنفذ الرسول إلى الملك غوار يعلمه بتلك الأخبار ففرح ونزل على قلبه الفرح والاستبشار وقال للرسول أرجع إلى الملك همام وقل له يتمهل على هؤلاء القوم الاشرار وإن كان عنده جيش يرسله لنا حتى ننجز أمر

هؤلاء من تلك الديار فقال السمع والطاعة وعاد من تلك الساعة (قال الراوى) فهذا الذى كان سبب أسر عنتر وصفوان وقد شرحناه فى هذا الديوان وأما بنى عبس وقضاعة وصلهم الخبر كادت أو تزهق نفوسهم من القهر وسمعت غمرة صوت البوقات والضجات فقالت ما حال هؤلاء الملاعين وما نالهم فى هذا الحين أما خبر قدم عليهم أو نجدة أتت إليهم ثم أنها فى ساعة الحال أمرت ولدها غصوب ينادى فى الناس بالركوب فركبت وركب الملك لون الظلام وركبت أيضا بنو عبس وأصحاب غمرة وقد أنطلقت فى قلوبهم جمره وأى جمرة لما رأوا ذلك الحال والشأن وظنوا أن السودان تريد الحرب والطعان ومازالوا على ذلك الحال حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح اعتدلت الجيشان وتقدمت الفرسان وحملت السودان وغمرة وأصحابها وساعدت الاحباب أحبابها وطال على الطائفتين عذابها ونادى لون الظلام فى أصحابها منهم قد أعتد لطعانه ومضاربه وهم ينادون الثار بالثار وتتابعت العساكر مثل موجات البحار فالتقت السودان بذلك العدد الذى لا يقع عليه عيار وكان للقوم وقعة ما سمع بمثلها فى سائر الأقطار وفى دون ساعة ضرب عليهم الغبار وقد سالت الدماء حتى ملات الافاق ووقعت الاسنة فى الأحداق وتقطعت العلائق والكبود ونفرت نواعم الخدود ونكست الأعلام والبنود وعادت الوجوه بعد البياض سود وشمت بهم العدو والحسود وصاروا بين شق ومسعود وفاقد ومفقود وطارد ومطرود وصار الغبار مثل الرواق الممدود وكان ذلك اليوم غصوب ترك الدم مسكوب وشفا بحملاته القلوب وترك المعافا معتوب قال الراوى هذا ماجرى للقوم أشد قتالا من هذا اليوم لأن الشجاع أظهر ماعنده من الشجاعة وعلى الجبال بما لا يطيق دفاعه وفى تلك الساعة قد سمعت عمره فى وسط العجاج مناديا ينادى يالعبس الأجواد أنا غصوب بن عنتر بن شداد أبرز يا كلاب السودان فعند ذلك طلبته العساكر من كل جانب ومكان فعند ذلك حملت غمرة وهى مثل النار المسعرة وسارت تشق الصفوف وتضرب فى السودان ضربان من غير خوف حتى أنها وصلت إليه فوجدته قد أسر الملك غوار بن دينار وهو فى يده يلعب به كما تلعب الرجال الكبار بالأطفال الصغار فزاد فرحها ونادته أحسنت ياسيد الفرسان يا ابن حامية بنى عبس وعدنان أحفظ أسيرك وأنا أحميك النقاة غصوب وهو يفتك فى بنى عبس ويهدر مثل الأسد الهدار فحمل عليه وناداه إلى كم هذا اللجاج يا ابن الأشرار وأخذ معه فى الصدر والرد والهزل والبعد والطرد ولم

يزل به حتى أعياه وأضجره وحاذاه ومد يده إلى زياقه وقبض على عنقه مع أطواقه وجذبه اقتلعه من سرجه وصار ينادى بالعبس الأجواد أنا غصوب بن عنتر بن شداد فسمعته أمه وهو ينادى بذلك النداء فقصدت إليه على بعد الملا فوجدته معه ماسور معلق فى يده مثل العصفور فى يد الباشق الجسور فحامت عنه حتى سلمه إلى بنى عبس وطابت منهم النفس وعاشت منهم الأرواح بعد ما كانوا أيقنوا بالموت والاتراح فلما رأوا السودان إلى ملكهم وقد أسر فرمت أرواحها على بنى عبس وبنى قضاعة وطاب لهم الموت فى تلك الساعة قال الراوى وفى ذلك الوقت رأيت السيوف بارقة والرماح خارقة والأرض بالدماء غارقة والرؤس عن الابدان مفارقة والنبال فى الصدور مارقة وضجيجهم قد أزعج الجبال الشاهقة وتجادلوا بالحسام فى تلك المقام وثبتت الكرام وفرت اللئام وجرى من الخيل العرق وكثر القلق وأظلم الشفق وخيم الغبار على الطائفتين وتسردق وتمنى الجبان أنه لم يخلق وما زال القتال يعمل والدم يبذل حتى ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بجيوش الظلام فعادت الطوائف من الميدان فافترق الجيشان فالله در غصوب وما فعل ذلك اليوم بالفرسان وما نكل بالشجعان وعاد مثل شقيقة الأرجوان ورجعت عساكر الملك غوار وخسرت غاية الخسران وحسبوا من قتل منهم فلقوهم ثلاثين ألف عنان من الأعيان وعادت بنى عبس وبنى قضاعة والملك لون الظلام وكلهم يثنون على غصوب وما فعل من فعل الكرام فلما نزلوا واستقر بهم المقام أمر باحضار الملك غوار بين يديه وأراد أن يقتله ويعجل عليه فقال له لا تعجل تخسر وأنه قتلتنى يقتلوا بدالى حاميتكم عنتر فلما سمع غصوب بذكر أبيه رجع عما كان قد عزم عليه وقال له ويلك وأين أبى عنتر فقال وحق الملك العلام ما هو عبدى بل عند الملك همام صاحب أرض ذات الأعلام ومعه صفوان بن لون الظلام فقال له ومن أخذهم فأخبره بالحيلة التى فعلتها أعجوبة الأنام عليه وجميع ما سمعه من رسول الملك همام قال الراوى فلما سمع غصوب هذا الكلام أنفذ خف الملك لون الظلام وبشره بسلامة ولده بدر التمام وقال له أنه هو وأبى عند الملك همام ثم أنه قد عدل عن قتل غوار لما سمع عن أبيه هذه الأخبار وفى ساعة الحال شده كتاف ووكل به جماعة من الرجال من بنى عبس الأبطال وقال لهم أن أردتم أن تخلصوا حاميتكم من الاعتقال ومن معهم من الرجال احفظوا هذا الشيطان ولا يأخذكم عنه توانى لعل أن نفادى به جماعتنا ونجتهد فى خلاص حاميتنا فقالوا له السمع والطاعة وفعلوا ما أمرهم به تلك الساعة وقالت عمرة أريد منكم إذا أصبح الصباح وخرجتم إلى الحرب والكفاح اعتمدوا على أخذ الأسارى من الرجال الذين هم المعتمد وتحمل بعد ذلك

على الباقين وقد أفنيناهم إلى الابد ثم أنهم باتوا حتى أصبح الصباح فركبت الطائفتين للحرب والكفاح وكانت عساكر غوار ركبت لأجل ماحل فى ملكهم من الاخطار فتقابلت الصفوف واعتدلت المائة والألوف وارتجت الفلوات مع وضع الحديد واستوت الموالى والعبيد وانقلبت فلوات البر والبيد وبانت أعلام ملك الموت من قريب وبعيد وعولوا على الجملة والقتال وأكثروا من القيل والقال وإذا بغصوب قد نزل بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب بين الصفوف ونادى يا بنى حام إن كنتم تعرفون الانصاف فابرزوا إلى القتال فإن أسرتمونى أفديت روحى فلا يبرز إلى الافرسانكم الأخيار ثم أنه صال وجال فخرج إليه فارس جبار للفروسية عليه آثار فطلبه على كمية من الخيل وقال له ويلك يا بن اللئام اليوم أريك كيف يكون الصدام فلما سمع غصوب ذلك الكلام طعنه فى فؤاده نكسه عن جواده ونزل اليه ثانى فقتله وثالث لجندله ورابع عجل عطبه ولم يقتل إلى نصف النهار فقتل وأسر خمسين فارس كرار وأحس فرسه بالتقصير فعاد وغيره وكانت أمه التقته وهنته بالسلامه وأرادت تخرج إلى الحرب فما طاوعها على ذلك بل رجع إلى الميدان وصال وجال قدام صفوان ملك السودان وطلب البراز وصال وجال وأشار يقول :

| | |
|---|---|
| طاب القتال بحد نصل الصيقلى | والطعن فى يوم الوغا بالذبل |
| كم قد هلكت من الفوارس ضيغما | يكبوا الثرى كبوا بغير تعلل |
| وإذا حملت عليهموا فتراهموا | صرعى بسيف كالقضاء المنزل |
| وترى لرعى ناهلا من دمهم | وبيان الناظر مثل المشعل |
| وترى السباع تزورهم فى عصبة | من أربع أو خمسة فى الأول |
| وتروح خصان البطون كأنها | تحكى أعاشير النياق البندل |
| وتظل تشكر من غصوب فعله | أنى أنا الليث الهمام الفيصل |

قال الراوى ثم أنه نادى هل من مبارز هل من مناجز من يطلب منازل الفخار هذا وقبايل اليمن تسمع كلامه وتهول مقامه فخرج إليه عند بن جوال ولما أن قارب قال له يا فارس الخيل ما أنت إلا كملت الشجاعة والفصاحة والأدب ولكن معلول النسب فلما سمع غصوب هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وزعق عليه زعقة مهولة رفعت لها الخيل رؤسها وكادت أن تفارق نفوسها وحملت عليه حملة جبار لا يخاف العواقب ولا يخش النوائب وطعنه فى قفاه طلع السنان يلمع من قفاه فلما نظرت السودان إلى فعل غصوب حملت عليه بجملتها فلما غمرة إلى السودان حملوا على غصوب حملت فى بنى عبس وقضاعة وحمل الملك لون

الظلام وكثر بينهما الصدام وزاد القتام وحارت الأوهام ونكست البنود والأعلام وتفجرت البطون وزاد الحرب فنون فكم من رأس مطحون وزند مقسوم وزاد بهم الهموم والغموم حتى أظلم الظلام ونزلوا فى الخيام وقد أسر غصوب فى ذلك اليوم أربعين وقتل ستين وعاد وهو مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وبنو عبس من حوله كأنهم السباع الجياع وقد نزلت السودان وقلوبهم تغلى على غصوب مما قاسوا من الكروب وقالوا إلى مقدم عسكرهم أى شىء تشير علينا أن نعمل فى هذه الخلق وأنت تعلم أن ما امسى المسا علينا إلا ونحن خاسرين وقد رأينا هذا الشيطان ومافعل وكم أسروكم قتل ولو أن معه عنتر كان أهلكنا وكسرنا فقال لهم الحاجب وكان اسمه حادثه غدا أبرز إلى غصوب وأتركه مطروح فى الملا وأعود إلى رفقاه وأكثرهم فى تلك الفلا وأقطع منهم الأثر ولا أترك منهم ذكرا يذكر وعند الصباح ثارت الفرسان للحرب والكفاح وركب غصوب فى بنى عبس وغمرة فى بنى قضاعة ولون الظلام فى بنى حام وكنت عولت على الحرب والصدام فبينماهى وإذا بغبرة قد أقبلت وعجاجه قد ارتفعت ومازالت تغموا حتى قربت وانكشفت عن عشر فرسان وفى أوائلهم فارس عليه ثوب ديباج وعلى رأسه عمامه مطرزه الأطراف بالذهب الوهاج وخلفه غلام عليه الحلى والحلل وهو مثل البدر إذا اكتمل ثم دخل بين الصفوف والألوف حتى وصل إلى الحاجب الذى على عسكر الملك همام وسلم عليه وبعد سلامه تقدم وميل عليه وكلمه فى إذنه فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ من حوله مقدار مائتين فارس من خيار العسكر وأقام مكانه غيره وسار مع الرسول من المكان الذى أتى منه فتعجبت بنى عبس وغمره وغصوب من ذلك الأمر ولم يعلموا بالحال ولا فى أى شىء أتى وخافت غمرة على عنتر من بنى حام ورجعت عن القتال وأحضرت غوار بن دينار وسألته عن ذلك الحال فقال لها ياعمرة وحق الرب العظيم المتعال عندى خبر من ذلك المقال عندها قال الراوى فلما سمعت عمرة كلامه ردته إلى مكانه ورجعت إلى مكان الحرب فرأت ولدها حمل فى بنى عبس وبنى قضاعة على السودان ورأت بنى عبس القواضب ولاتبقوا على ماشى ولا راكب وخذوا بثاركم قبل أن تملك الأعداء دياركم وتنهب أموالكم وكانت السودان كلما سمعت قوله اندفعت من كل جانب ورمت بأرواحها إلى المهالك والمعاطب لأنهم بلوا بعالم عظيم فى عدد الكواكب وصرخت عمره وحملت تحت ظل الغبار وفرقت الأعداء ولم يزالوا فى الحرب والطعن والضرب حتى أقبل الظلام

وفرق بين الامم ونزلوا فى الخيام وغمرة تقول لولدها غصوب ماأخوفنى على أبيك من القتل وانى اشتغل قلبى بهذا الرسول وعودته بحاجب الملك فى خواصه باستعجاله فقال لها غصوب فما تكون الحيلة فإن كانت منيته فى هذه الأقطار فما ينفعنا عنه أحد من الاخيار ولا من الاشرار وهذه بيد صاحب القدرة ولولا خوفى عليكم من كثرة هذه الابطال لسرت فى مائة فارس إلى قلعة ذات الأعلام وقتلت كل من فيها وخلصت أبى بالحسام ولكن عددنا قليل وعدد الاعداء كثير وما هدّ قوتى وزاد بليتى إلا غيبة عمى شيبوب لانه من حين سار يقتفى الاثر ماظهر له خبر ومازالوا على ذلك حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره وركبوا يطلبون الحرب والكفاح وكانت غمرة عولت أن تبارز القوم وتطاولهم فخرجت إلى بين الصفين وإذا بغبار قد طلع وأقبل وأسرع فوقفت غمرة عن البراز وجعلت تنظر إليه حتى انقطع وانجلى وبان من تحته الرسول الذى أتى أول يوم وتم يخترق الصفوف والالوف حتى أتى إلى القدم الذى أقامه أول يوم وكلمة فى أذنه فأجاب بالسمع والطاعة قال ثم إن الحاجب أخذ من العساكر مائتين فارس من وجوه عشيرته وخرج مع هذا الرسول بعدما قام واحد مكانه قال الراوى ولما نظرت الاميرة غمرة إلى ذلك رجعت إلى ولدها غصوب قالت له ياولدى ماحال هؤلاء الكلاب فقال وحق الرب العظيم رب موسى وإبراهيم أنا قد حرت فى أمرى وضاق من أجل ذلك صدرى وأنا مع هذا كله أظن أنه عمى شيبوب فقالت الاميرة غمرة يابنى أى هذا الجنون وأى شىء أوصل عمك شيبوب إلى هذا المكان ماهذا الرسول إلا من بعض حجاب الملك همام صاحب أرض ذات الاعلام ماأقول فى ظنى إلا انهم قد جرى لهم أمر من الامور ماتغيرت أحوالهم إما فرحة قد أتتهم أو مصيبة قد طرقتهم ثم أنها رجعت طلبت البراز ونادت ويلكم يالئام غير كرام أنا الذى جلبت لكم هذا الحرب قال فما تمت كلامها حتى خرج إليها فارس فى تقاطيع الاسود ثم أنه حمل عليها وحملت عليه الغبار ساعة من النهار فرأته جبار لايصطلى له بنار فأظهرت له التقصير حتى بان لها منه مقتل فأمهلته حتى طمع فيها أراد أن يضربها بالحسام فكفحته بالحسام أعجل من البرق فى الغمام أطاحت رأسه من بدنه بعدما قطعت الزرد والدثار ونظرت طوائف السودان إلى مصيبة لم يعرفوا لها أول من آخر فحملوا بسائر جموعهم وأكثروا صياحهم وتغيرت الاحوال والشيم وذل الجبان الغشمشم وتساوى الفقير والمحتشم وعاد الوجود عدم وصارت الموالى كالعدم وتتعتع ركن الجبار

توانهدم وجرى على القوم ما كان فى اللوح بالقلم وجرى فى علم الله من القدم وما أمسى المساء إلا وقد فنى من الطائفتين خلق وأمم رجعوا إلى الخيام سكارى حيارى وهما يتشاورون فى أمر الحرب ينظروا لما يتم لهم من الطعن والضرب وباتوا بنى عبس ضيقين الصدور لاجل أمر ميسرة وعروة بن الورد أما السودان فإنها تولت لها بحديث إلا بذكر غصوب اشتغلت قلوبهم لاجل الفرسان الذى سارت من عندهم مع الرسول (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب باتوا على هذا الايضاح إلى أن أصبح الله بالصباح تحدرت الرجال إلى الحرب والكفاح وإذا بالرسول أقبل هاجم حتى أتى إلى الحاجب أخذه وأخذ جماعة وسارت الفرسان تنظر إليه وما أحد قدر يكلمه وكانت أرض ذات الاعلام قريب منهم ولم يزل على ذلك الحال كل يوم يأخذ جماعة حتى أخذ الثلثين والثلث الآخر أمضى عليه السيف ضعف عساكر غواز قدام بنى عبس الاخيار لما نظر ابن عم الملك غوار إلى ذلك الحال قال لبنى عمه اعلموا أنى خائف على الملك همام من عنتر بن شداد وشؤمه إلا فاهذاه علائم خير كلما يأتى الرسول يأخذ قوم بعد قوم حتى يأخذ جميع العساكر الذى أنجدنا بها الملك همام وقد عولت إذا عاد الرسول أقبض عليه وأوصل الاذية إليه حتى يعرفنا جميع ما جرى بعد ذلك ندبر أرواحنا بما يكون لنا فيه المصلحة فقالوا السودان وحق جد نا خام لقد رأيت نعم الرأى والكلام قال وكان غصوب قد قال لامه ويلك يا أماه أنا قد حرت من هذا الرسول فى أمرى وتاه فكرى ما هذا الامر الذى جرى وكان فقالت أنه أقول يا ولدى إن الملك همام قد مات وخلاص أبوك ملك البلاد هى أرض ذات الاعلام أهل البلد قد أرسلوا يأخذوا عسكرهم من هنا حتى يقاتلوا معهم فقال لها إذا كان هذا الامر صحيح فما كان الاخ يعقل على أخيه فقالت يا ولدى أنا قلبى خائف على بلادنا فقال غصوب حيث أن الامر كذلك فقومى بكبس على هؤلاء اللئام تخلص ميسرة وعروة ومن معهم وإن كان حسابك إياه نكون على أهبة القتال فقالت خمرة لما سمعت كلامه قالت هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم أنهم داروا على بنى عبس وبنى قضاعة وفرسان لون الظلام ما كانت إلا ساعة حتى ركبت بنو عبس وبنو قضاعة ولون الظلام يقول لغصوب لو صبرت حتى ينكشف لنا الحال فقال غصوب أيها الملك طيب قلبك فوحق الملك المتعال ما يجىء الصبح حتى أفنى لك جميع رجالهم والابطال قال الراوى فلما سمع لون الظلام ذلك الكلام احتاج أن يوافقه على ما خطر له من المراد ثم أنهم ساروا بلا حس ولا كلام

حتى بقوا فى وسط السودان وكان حرس السودان ألف فارس فما كان غير ساعه حتى قتلوا منهم ستمائه فأبصروا بقية السودان إلى البلاء الذى أتاهم فايقنوا بفناهم وصدمتهم أمراج بنى عبس مثل البحر الزخار وكانت السودان فى الخيام فلم يفيقوا إلا والسيف يعمل فيهم عمل النيران وهم سكارى من المنام فتعلقوا ببعض الخيول وبعضهم قصد عرض البر والآكام وصار غصوب يشق المواكب ويطلب المضار والخيام وقويت قلوبهم بحملاته وهماته وأمه لاتفارقه من خوفها عليه بل تعينه وتحمل على الشجعان هذا وقد عجزت الالسن أن تصف ماجرى لهم تحت الظلام من طعن الرماح الخطيات وضرب السيوف المشرفيات وتصادم الخيل الاعوجيات وكان على القوم ليلة تعد من أيام الآخرة وعند السحر التقى غصوب بمقدم السودان فضربه فطيرهامنه فنظرت السودان إلى مقدمها قد قتل فطلب كل منهم هواه وما طلعت الشمس حتى لم يبقى حول بنى عبس منهم بشر فنهبوا الخيام وملكوا الأموال وخلصوا عروة وميسرة وهم يثنون على غصوب وقال لهم إن عنتر ماسورعندهم وكيف تمايلت عليه أعجوبة الأنام فسالوا غصوب عن غوار فقال لهم عندنا فى الخيام ثم أنهم فى المضارب وأرسلت غمرة من قومها أربعة آلاف إلى ديارهم حتى يعلموا أخبارها وأما غصوب فانه قال لأمه ماهذا وقت قعودنا قومى بنا حتى نتبع المنهزمين قبل أن يصلوا إلى الملك همام يعلموه بما جرى عليهم فيقتل والدى عنتر وصفوان فقالت هذا هو الصواب وكذلك قام ميسرة وسبيع اليمن وما تجهزوا حتى وصل الذين أرسلتهم غمرة وقالوا ما رأينا أحدا ثم أنهم ركبوا فى ستين ألف فارس من بنى قضاعة وبنى عبس وفرسان السودان لأن أكثرهم عساكر غوار استجاروا بلون الظلام وطلبوا منه الذمام لأجل ديارهم والنسوان فاستقاموا على الجلاد وغصوب قدامهم ينشد هذه الأبيات :

| | |
|---|---|
| سباع البر سيرى فى أمام | لأسقيك دما كل الأنام |
| وأطعمك لحومهم أين ساروا | بجنح الليل فى غسق الظلام |
| لأنى ألتقى بالخيل صبحا | بطعن يسبق الموت الزؤام |
| وإنى قــد تركت حد سيفى | لغوار عفــير الخـد دام |
| وقد صدمت رجاله بالعزم صدما | وحلات تحــير كل الأنام |
| تميل رقابهم من غير سكر | لأنهم سكارى من حسام |

(قال الراوى) فلما فرغ غصوب من سمرة حتى أقبلت غبرة قليلة القتام تسير كسير الغمام فظنوا أنها من عساكر الملك همام فلما رآها غصوب أقبلت ركض على ظهر جوادة وأطلق عنانه وطلبها

حتى باتيهم بالأجناد منها فغاب قليل وعاد إلى جانبه فارس يحادثه ويضاحكه وخلفه العشرة فوارس المذكورة وفي أيديهم الدرق المكية والسيوف الهندية وغمرة قد تعجب من ذلك وهي تراعيهم حتى وصلوا إليها فقال غصوب يا أماه كنت أقول لك هذا الرسول عمى شيبوب وأنت تقولى لا تظنوا أيها القوم إذا به شيبوب فارتاحت القلوب وسلموا عليه وازدادت أفراحهم ونادى عروة بن الورد ماوراك ياشيبوب فقال الخير اعلموا أن أخي اليوم أعز ما عند الملك همام وهو الحاكم على أرض ذات الاعلام فتعجبوا من ذلك الكلام وقالوا له بين لنا هذه الأخبار فقال لهم اعلموا أني لما سرت من عندكم في طلب أخي قصدت إلى عسكر غوار فلم أسمع لها خبر ولا جلية أثر فبقيت عنده ستة أيام وأنا أدور بين المضارب والخيام فبينما أنا عولت على الخروج من بين العساكر وإذا برسول الملك همام يبشرهم بأسر صفوان وعنتر فطار قلبي لما سمعت هذا الخبر وطلعت من وقتي أطلب أرض ذات الاعلام حتى وصلت إليها وإذا بالرسول الذي أنفذه همام إلى غوار يبشره وقد عاد إلى داخل القصر ومفتوح والناس يدخلون فنظرت إلى الملك همام فرأيته جالس وإلى جانبه أخي عنتر والجانب الآخر صفوان فلما رأيته فرحت وقلت والله يا أخي ما قلت أنك سالم فحدثني بما جرى عليك فقال اعلم ياشيبوب أننا لما وصلنا إلى هذا المكان وسرنا قدامه قال لى وقعت يانسل الحرام ثم أوثقني كتاف وصار يعاقبني كل يوم وفي بعض الايام وجدت في كتافي رخاوة فتمطيت فقلعته وصبرت حتى أتى همام فدخل علينا يعاقبنا كما جرت عادته فما هو إلا أن وصل إلى عندنا حتى أني وثبت إليه ومسكته وخرجت أنا وصفوان ملكنا القصر بما فيه بعد ما شددناه كتاف فلما علمنا أن ما في القصر من تخشاه فعند ذلك رجعنا على نية قتله فلما عاين ذلك قال الصنيعة أنا أطلب منك الاعتذار فإن عفوت ووهبت لى خطيئتي حلفت لك بالرب القديم أني أكون لك من جملة الغلمان فلما سمعت ذلك الكلام ثقلته بالاغلال وقلت له يا همام أريد منك في عاجل الحال أن تحلف لى أهل بلدك وأنت إلى جانبي وإن لم تفعل عجلت حمامك فقال السمع والطاعة فعند ذلك صار الملك همام يحلف أهل البلد وكل من حلفناه حبسناه وهذه قصتي وأنت أى شيء عندك من الاخبار عن ولدى غصوب وزوجتي غمرة فقلت والله إن الخلق عليهم كثيرة ولولا النجدة التي أرسلها همام لكنا مستظهرين على الاعداء فلما سمع أخي ذلك الكلام قال للملك همام أريد منك أن تنفذ إلى عسكرك وترحلهم وإلا قتلتك أشر قتلة فقال همام السمع والطاعة فما تركه حتى فعل ما قلته وبعد ذلك قال عنتر

لأخيه شيبوب أى شىء تريد تفعل فى تلك الخلائق والأبطال الذين أرسلهم الملك هام تجده إلى الملك غوار بن دينار فقال الرأى أن تأمر هذا الملك أن ينفذ معى جماعة من خدمة وأسير فى زى رسول وأجيب لك كل يوم طائفة منهم فاقبض عليهم وتكون قد ارتحت من الصدام ولا تطلقهم حتى يدخلون تحت طاعتك وإن أبو اضرب رقابهم فقال لى أفعل ما بدالك فجئت فى زى الرسول حتى قبضنا على الجميع لى أخى أدخل وهات أعجوبة الأنام بنت الملك هام فدخلت إلى مقصورة النسوان وأردت أن آخذها وإذا بأمها قامت إلى ونظرت فى وجهى وقالت لى أنت شيبوب فقلت لها نعم فقالت لى اجلس فجلست وأنا حاير منها وقلت لها كنت تريدى الذمام أبشرى أنا أفعل ذلك قالت ما أنا طالبة لهذا الأمر أما أنت ابن الملكة شامة أما أنا سعيدة بنت الملك غلوان أما جرى لنا كذا وكذا فعرفتها وقبلت رأسها فقالت ياشيبوب ما اسم أمك فقلت زبيبة فقالت يكون الذى سرقها غير اسمها أما فى أمك علامة كذا وكذا أما هى كحلا العيون وعلى خدها الأيسر خال فقلت والله أنا أعرف أهل هذه الديار وماغاب عنى شىء منها وأعرف جميع أقطارها إلا ما خف معرفة أحد فقالت والله ياشيبوب لقد جرى لنا عليكم أعظم ما يكون من المصايب وأرسلنا وراءكم الخيل وأخوتى فرجعوا خايبين إلى الآن فى قلبنا عليكم حسرات فواعجباه كيف دخلتم إلى تلك الديار فقلت وهذا الفتى أخوك فقلت لها نعم فقالت الحمد لله الذى ما أفرط فى الملك هام أليس هو ابن عمك وابن خالتك الذى كنت تلعب أنت وإياه على جنب الغدير وجرى لكم ما جرى وضربته بالحداقة على شأن الغزالة ولولا أدركته وإلا كنت فى الغدير غرقته فلما سمعت ذلك يا أبا الأبيض عرفتها ورجعت إلى أخى وأنا أصيح بالبكاء وعرفته بهذا الحال ودخلت على هام وقبلت رأسه وقلت له أنت ماتعرفنى أما أنت شهاب فلما سمع كلامى رفع رأسه إلى وقال أنت شيبوب فقلت نعم فقام وضمنى إلى صدره وعرفته أن عنتر ابن خالته فلما عرف ذلك فك القيود من رجليه وقبل رأسه وبين عينيه وشاع الخبر فى أرض ذات الأعلام وأنت فرسانها وأهلها للسلام وقالوا إن الملك ابن خالته وهذا جملة ما جرى وقال لهم أحضروا عوارفاحضروه وفكوا القيود من رجليه وقال له شيبوب ماتعرفنى فأطال النظر إليه وقال له على الصحة فلا ولكن كان الأمر أولاد الأصغر أشبه الناس بك واسمه شيبوب فقال وأمهم شامة فما علمنا أن كانت العرب أخذتهما أو أحد سرقهما أو قتلهما لأن شيبوب كان

شيطان وطلع حرامى سلال وهتك أولاد الملوك فقال شيبوب أنا شيبوب فصاح غوار واعتنقه ثم قال وحق علام الغيوب لقد عرفتك من حين دخلتم ديارنا يا وجه الـ ذلك اطلقت بنو عبس جميع الاسارى وردهم الملك غوار إلى الخيام وطيب قلوبهم وأعلمهم بما تم وجرى وسارهو وبنو عبس تحت الظلام والملك غوار يسال شيبوب عن أمه جزيرو هو يحدثه ويصف له ماقاسوا حتى أتوا إلى بنى عبس هذا وهم قد ركبوا وساروا إلى أرض ذات الآعلام حتى قربوا إليها فطعوا إليهم ودقت الطبول وزعقت البوقات وعلمت الضجات والفرحات والتقوا بعضهما بعض وترجلوا على وجه الأرض واعتنقوا اعتناق الأحباب كذلك غصوب وميسره ومازن وسبيع اليمن هـــذا وغوار يقول لعنتر أهلا وسهلا بفارس العرب ومفرج الكرب وصاحب الحسب والنسب ياابن الخالة قد أتيت إليك أطلب الاعتذار فبكى عنتر واعتنقه وقبل صدره قال والله يعز على ماجرى عليكم لكن أنا معذور من قلة المعرفة بكم هذا أمر قضاه مكون الاكوان وملون الالوان ولولا هذه الاسباب ما كنا عرفنا الاحباب ثم تقدمت بنى عبس وأولاد عنتر وسلموا على الملك همام وعذوه بمعرفة بنى الاعمام فدعالهم ركبوا ورجعو طالبين البلد ونزلوا واستقر بهم المقام مقدار ساعة حتى اتاهم الطعام بعد ذلك قدموا المدام دارت الخمره على الكرام فقال عنتر ياهمام اعلم ياابن العم إن هذا الغلام صفوان بن لون الظلام هو الذى كان للمعرفة من قديم الزمان وأنا أريد منك أن تنعم له بزواج ابنتك وتشاركه فى نعمتك فقال الملك همام سمعا وطاعة لانه هو وأبوه لون الظلام ينسب الينا فى الاحساب والانساب وأيضا هؤلاء الشباب من أولاد خالك الانجاب وكان عن يمينه عشر شباب كأنهم سباع الغاب فزاد فرح عنتر بذلك شكر همام على الاجابة وأقاموا الافراح ومرت عليهم أيام ملاح زفوا أعجوبة الانام وجلوها على صفوان بن لون الظلام ودخل بها تلك الايام وانتظمت أموره وزاد سروره بعدها جرت الولائم والدعوات طابت لهم الاوقات واغتنموا اللذات ودامت لهم المسرات قال الراوى وإذا بحاجب قد دخل عليهم سلم إلى الملك همام من دونهم تقدم وقد أسر فى أذنه بكلام فتغير لذلك لونه وأضطرب كونه ثم أحضر أرباب الدولة وأكابر الديوان أهل الاقلام والحساب أمر بفتح الخزاين ففتحت فى الحال فاخرج منها أكياس من الذهب والفضة واقمشه غوال من الثياب والديباج المزكرشة والابراد اليمانية والعبيد تحزمه والغلمان وأحضروا الجمال والنياق

والخيل المـ... العتاق وكان يورده فى كل عام من الخراج والعدد ولم أجد يقدر يكام الملك ... من هذا الكلام إلا أبا الفوارس عنتر بن شداد فقال له يا ملك أراك قد أحضرت مالا كثيرا غير قليل فما الذى عولت أن تصنع بهذا المال والخيل العربية والجمال وهذه الاقمشة الغوال وهذه النياق والبغال فقال له اعلم يا أبا الفوارس أن هذا حمل خراج البلاد وتحمله فى كل عام إلى الملك الدمهار صاحب قلعه الدينار وهو الحاكم على جميع الاقطار قال الراوى فلما سمع عنتر هذه الاخبار انقلبت عيناه فى أم رأسه قال ارجع هذه الاقوال ورد المواشى إلى أماكنها وأنا أقسم بحق من أرسى الجبال وعلم كم وزنها من حبه ومثقال وسير الغمام وتكفل بارزاق الانام لاخرجت من هذه الديار تركت فيها ملك سواك ولا يحكم عليها إلا اياك أنا أكون عنتر بن شداد أنت تحمل الخراج والعداد إلى الاوباش الاوغاد لاكان ذلك أبدا وحق خالق الارض والسماء لا بد ما أجعل نهارهم مظلما فعند ذلك أمر العبيد أن ترفع الاكياس وجميع الثياب إلى المخازن فكان الرسول الذلك يشاهد ويعاين فصاح به عنتر كأنه الرعد القاصف وقال لى عد إلى مولاك وأنت مخذول الاتركتك مقتول وقل له يقول لك عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد أحسب المال الذى كان ينفذه اليك الملك همام بطول السنين والاعوام من عهد آبائه وأجداده الكرام ويوسله اليه من غير خلاف ولا إهمال والا يسير اليك ويخرب ديارك ويقلع آثارك ويرمى حجارة قلعتك فى البحر لايكون عنده انكار فقال له الرسول والله يا أبا الفوارس ما أقدر أعود إلى صاحبى إلا بالمال والايثار إلا أن الرسول ماتم كلامه حتى ضربه عنتر بالحسام عن رأسه قال فلما رأى الملك همام مافعل عنتر بالرسول علم أومابقى لهم إلا لى الصلح وصول فقال له يا أبا الفوارس ماهذا الذى فعلته معنا وماصنعته فى حقنا وحق ذمة العرب ما بيننا وبين الدمار إلا بقدر مايسمع الملك الدمهار بهذه الاخبار يأتينا بعساكره وجنده وجميع ملوك السودان الذى تحت يده ويأتى الينا فى عسكر عظيم كأنه الليل البهيم لانه ولا والله جبار لئيم يحكم على سائر البلاد والاقاليم ولم يكن فى هذه الارض ملك يعلو عليه من ملوك السودان إلا الملك النجاشى ملك الحبشان فقال عنتر وقد تبسم من مقالة ياملك وحق الملك العلام لاسرت إلى ديارى ويقر قرارى إلا بعدما أقمع هذا الجبار الملك الدمهار قال ثم أمر بشد الرسول على جواده عرضا وقال لاصحابه قولوا لصاحبكم الدمهار أننى له فى الانتظار فساروا أصحاب الدمهار مافيهم إلا من عقله طار مما عاينوا من عنتر البطل المغوار ولم يزالوا حتى أشرفوا

على قلعة الدمهار دخلوا على ملكهم وأعلموه بقتل الرسول وبما جرى عليهم من الأمر المهول ولما عاين الدمهار رسوله وهو على جواده مقتول فلم يبق يدرك معقول ماج كما تهيج الفحول وصرخ صرخة أذهلت العقول وزعزعت الفرسان عرضا طولا وفى الحال أمر بدق الطبول وأحضر فرسانه فامرهم بالركوب فاجابوا بالسمع والطاعة من تلك الساعة قال الراوى وكان هذا الملك الدمهار سفاك الدما لايتجنب محرما ولا عنده لابناء جنسه مكر ويفتخر بالمعاصى على رب السماء وكان له ولد يسمى قاسم الأعمار وكان ينكر على أبيه غاية الانكار هذا وقد ركب الدمهار فى عسكره الجرار كانه البحر الزخار سار فى تسعين الف فارس كرار قاصدا ديار الملك همام وهو فى تلك العزيمة والاهتمام وسار يقطع البرار والاكام حتى قارب أرض ذات الاعلام فبينما هو كذلك إذ ظهر بين يديه غبار قد غشى ضوء النهار وكان هذا الغبار غبار الملك همام يقدمهم عنتر بن شداد البطل الكرار ومن حوله فرسانه الاخيار وملوك السودان يقدمهم صفوان بن معدان والملك غوار ولون الظلام وابنه صفوان الملقب ببدر التمام والملك همام قال الراوى وكان السبب فى مجىء هذه العساكر والرجال الامير عنتر الفارس الرئبال لأنه بعد ماقتل الرسول سمع من الملك همام مايقول صاح الخيل يا أربابها فركضت الفرسان على ظهورها سار بهم يقطع القفار وهو فى ذلك العسكر الجرار إلى أن أشرفوا على عسكر الدمهار ذلك النهار وقد تقاربت الطائفتين ونظرت كل عين إلى عين فاول ما با كرا عداء كان عنتر بن شداد الهمام تبعه فى الحملة الملك لون الظلام وابنه صفوان والملك همام وصفوان بن معدان ملوك السودان واختلطت الرجال بالرجال والاقيال بالاقيال وركضوا على بعضهم كانهم السيل السيال وفى ساعة من النهار انعقد عليهم الغبار وعلا القتام وخفقت الاعلام وقل الكلام وكانت عساكر الدمهار كانها الغيث الهطال وضربت كؤساتها حتى زلزلت الجبال وأظلم الجو وتكدرت الاقطار وانكسفت الطائفتان ودار بينهما الحرب والطعان حتى حارت النظار وقل منهم الاصطبار وحملت جيوش الدمهار كأنها فحول الآكام والتقاها عنتر بن شداد فارس الصدام وفرسانه الالزام وكثرت الأوهام وظنوا أنهم فى منام وعمل بينهم الحسام وقل منهم الكلام وترشقوا بالحسام ودام القتال والصدام حتى ولى النهار وأقبل الظلام ورجعت الطائفتين طالبين المضارب والخيام ونزلوا الراحة وطلبوا المنام وأقاموا لهم حرس حتى انجلى الغلس وأشرف الصباح وتنفس وركبت العسكرين

أسرع من تردد النفس وتضاربوا بالسيوف الصقال واشتد النزال وعظمت الأهوال إلى وقت الزوال ثم ناد الفريقين بالإنفصال وباتوا العسكرين تحت مشيئة الرحمن حتى انجلا غيهب الدجا وزاد الظلام وبأن الصباح بضوء الابتسام وتواثبوا الطائفتين إلى الحرب والصدام وضرب الحسام وطعن الهدام ثم ارتفع الصباح ولمع السلاح وتواثبت الطائفتين إلى الحرب والكفاح ونادى الشجاع لابراح ونهلوا من كاسات المنية أقداح ولم يزالوا على ذلك الفعال والحرب بينهم قدام وإذا بعنتر التقى بالملك الدمار فى وسط الكفاح وهو يجندل الرجال ويهلك الأبطال فى المجال فحمل عليه وقد علت عليهما الغبرة وكانت لهم ساعة منكرة حتى زاغ من الدمار بصرة وبقيت الدنيا عليه ضيقة منحصرة وسطا عليه عنتر سطوه جبار وانطبق عليه كأنه الأسد الهدار ورأى منه الأهوال والأقدار وأذاق طعم الموت والنكال وحك الركاب بالركاب فتملق عنتر بأطواقه وجذبه من بحر سرجه أخذه أسيرورجله على الأرض حقير وحذفه إلى شيبوب فشده كتاف وقوى منه السواعد والأعراف وظهر من بعده ولده غصوب وهو يقود فارس دروب وكان هذا الفارس هو قاسم الأعمار ابن الملك الدمهار ومافى بنى عبس إلا من عاد ومعه أسير من الفرسان المشاهير ونادى عنتر على الأسارى وأحضرهم تلك الساعة وقال اضربوا رقابهم وأجمعوا فيهم أصحابهم وريحوا نفوسكم من صداعهم وعذابهم فعند ذلك أحضرهم شيبوب وفى أوائلهم الدمار وولده قاسم الأعمار وقدموهم بين يدى عنتر الأسد الهدار ورأى الملك الدمار إلى ولده قاسم الأعمار وهو فى غاية الذل والاضرار فصعب عليه ذلك الحال وبكى على ما حل به وبولده من الأهوال (قال الراوى) ثم أن عنتر قال لولده غصوب أضرب ياولدى رقبة الدمهار الخاين الغدار وكذلك رقبة ولده قاسم الاعمار وكل من معهم من الرجال الاسرار عندها وثب غصوب كأنه الاسد الوثوب وجذب سيفه من غمده وتخطا إلى الملك الدمهار وسار عنده وأراد أن يطيح رأسه من جسده فنظر الدمهار فرأى فى حمائل سيف غصوب حرزا من الحديد الصينى مكفت بالذهب الاحمر عليه صورة أسد قسور فقال لغصوب يافتى بحق ذمة العرب وبحق الإله القديم الذى عن أعين الخلق احتجب تقول من الذى أوصل إليك هذا الحرز لعله يكون إلى سلام مهجتى من القتل سبب فقال غصوب أما هذا الحرز وصل إلى من أمى عمرة القضاعية هذا وعنتر يسمع مايقول من المقال فقال الدمهار يافتى وأمك عمرة هاهنا حاضرة فى هذا الجيش قال غصوب نعم أنها لم تفارقنى فى الصباح ولا فى الظلم فقال له ناديني بها يافتى وكانت عمرة تسمع كلامه فاستأذنت عنتر بالدخول إليه فاذن

لها فسارت إليه وقالت ما الذى تريد يا ملك قل ولا تخف فقال الدمهار أنتى غمرة القضاعية فقالت له نعم قل ما تريد فقال وهذا غصوب ولدك أم مولودك أم تربيتك فقالت لا بل هو ولدى وقطعة من كبدى قد رزقته من أبى الفوارس عنتر الفارس القسور والبطل الغضنفر فقال الدمهار وأنتى الذى أوصلتى إليه هذا الحرز الذى فى حمائل سيفه قالت نعم قال الدمهار ومن أين وصل إليك هذا الحرز أبت قالت وصل إلى من والدتى قال وما اسم والدتك قالت اسمها حذور وقالت لى إنه يعرفك بأحوالك وأنتى لما علقته على وجدت فيه البركة والمنفعة ولما رزقت ولدى خفت عليه من العدا أعطيته إياه وهذا مبتدأ الحديث ومنتهاه قال الراوى عندها صرخ الدمهار بصوت مذعور وهو بالفرج مستبشر وقال اعلمى يا غمرة أن هذا الحرز الذى مع ولدك قد عرفته معرفة جيدة وقد صحت الدلائل والبراهين وأنى صادق فى قولى وهذا أخوه فى كتفى وكل واحد منهما فيه اسمى واسم أختى وكان أنفذهما إلى أبى ملك الحبشان فى جملة هدية سبية وأبى يقال له الملك سيار صاحب قلعة الدينار وكان محبا لنا هذا الملك وأراد بذلك مصاهرتنا وأنه يتزوج أختى حذور وكان أبى أعطى الحرز الواحد لى والآخر لاختى واعلمى يا غمرة أن هذا الحرز جوف ومتداخل فى بعضه البعض وهو أنثى فى ذكر وكان ملك الحبشان الذى قد أرسلهما لنا منيته قصيرة فمات ولم يدخل باختى ومات أبى بعده بمدة يسيرة وتملكت أنا الملك بعده وطاعت لى عساكره وجنده وطلبت أختى الحج إلى بيت الله الحرام وأخذت معها هدية لأهل الحرم وتزور الآلهة والأصنام فوصل إلينا الخبر بعد أيام أنها لما أبطنت فى البرارى والقفار أخذوها عرب الحجاز وإلى الآن ما بان عنها خبر ولا بان سرها لنا ولا ظهر (قال الراوى) فلما سمعت غمرة كلامه قالت صدقت يا ملك وقد صح عندى أنك خالى ثم قالت غمرة لعنتر يا أبا الفوارس هذا الحديث صحيح وقد سمعته من أمى المرار العديدة وأنها كانت طالبة الحجاز فأخذتها العرب ونهبت ما كان معها من الأموال وقتلت الرجال وأن أبى اشتراها منهم بالنوق والجمال عندها قال عنتر وقد تعجب من هذه الأسباب وصاح بولده غصوب وقال له ياولدى ناولنى هذا الحرز الذى معك فناوله إياه وكذلك الدمهار ناوله الحرز الذى معاه فأخذهما عنتر وناولهما للملك همام وأمره بقراءتهما ويفهم ما فيهما حتى ينكشف له الحال ويتضح البرهان فأخذهما همام وفكهما واستخرج الأوراق من بعضها وكان الملك همام يعرف بخط الحبشان فقرأهما على مسامع الرجال ذلك النهار فوجد واحد باسم حذور والآخر باسم الدمهار وكل حرز فيه اسم الاثنين فعندها صحت الأخبار

والبراهين وظهر أن الملك الدمهار خال عمرة أم غصوب ففرحت رجال الدمهار وانكشفت عنهم الكروب وتقدم غصوب وحل كتاف الدمهار وكتاف ولده قاصم الأعمار وكل من كان مأسورا عندهم من الأمارة وبعدها عاد الدمهار إلى قومه وأطلعهم على أخباره وأعلمهم أن عمرة طلعت بنت أخته حذوروأن ولدها بغصوب من عنتر بن شامة أخت الملك صفوان ابن معدان فضجوا بالأفراح عند سماع هذا الكلام وأخذهم العجب من هذا الاتفاق الذى يسطر فى الأوراق وتعجبوا من أحكام الملك الخلاق (قال الراوى) فلما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركب الملك الدمهار فى حراش عسكره وأجناده وساروا لأجل السلام على ملوك السودان والأمير عنتر بن شداد حامية بنى عبس وعدنان ولما أن جلسوا واستقر بهم المقام أحضروا لهم الخدم الطعام ولما أن اكتفوا قدموا لهم آنية المدام وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال الملك الدمنهار يا أبا الفوارس أريد من أنعامك وسوابغ فضلك وإكرامك أن تشرفنى بنقل أقوامك وتسير مع عبدك إلى بلاده لأجل أتشرف بخدمتكم وابل شوقى من بنت أختى عمرة وولدها غصوب وتسمع بها أهل البلاد وأجدد بكم المواثيق والعهود وأكون فى شرف خدمتكم مسعود قال فعند ذلك أجابه الأمير عنتر إلى ذلك وفى ذلك النهار ركب وسار وسارت معه ملوك السودان والملك الدمهار أفرح الناس بعمرة وولدها غصوب الذى بمعرفتهم زالت عنهم الكروب ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قلعة الدينار فضربت لهم السرادقات ونزلت ملوك السودان الأنجاب والسادات وأتتهم من البلد الإقامات والعلوفات ونحرت النوق والأغنام وقد غمرها الدمهار بالطعام والمدام ودامت لهم المسرات والأنعام عشرة أيام تمام وفى الحادى عشر طلب عنتر العودة إلى دياره لأجل ما يقر قراره فأجابه الملك الدمهار بالسمع والطاعة (قال الراوى) ولما عزم على الرحيل وسرعة التحويل أحضر ملوك السودان المقدم ذكرهم فى هذا الديوان وصادقهم الملك الدمهار وأخذ عليهم العهود والمواثيق أنهم يكونون يدا واحدة عند الشدة والضيق فأجابوه إلى ذلك الكلام وحلفوا لبعضهم البعض بالأقسام وقال الملك الدمهار لعنتر يا فارس الأقطار وإذا لم تكن كما ذكرت وإلا وقع بنا الخسران وذهبت بلادنا والأوطان وسبيت بناتنا والنسوان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك الدمهار ذلك الكلام قال له ومن يفعل بكم هذه الفعال أيها الملك المفضال فقال الملك اسمع يا فارس الأقطار أننى أنا حاكم على هذه الديار من تحت يد ملك الحبشان فقال له الأمير عنتر سيد الفرسان وما يكون هذا ملك الحبشان له يا فارس عدنان ملك عظيم الشأن يحكم على جميع بلاد

السودان وهو ملك عظيم صاحب عساكر كثيرة وأعوان وجيوش عزيزة وبلدان وفى كل سنة أحمل إليه الامور التى آخذها من تلك البلاد واستخلصها من الرعايا والاجناد مع الذى كان يحمله الملك همام وأنى من قبل أن تأسرنى قد أنفذت اليه واعلمته بدخولك إلى تلك الديار ووصولك الاماكن والامصار وانك قد منعت الملك همام من حمل الخراج والأموال وأنك تريد قتال وحربى ونزالى وما فعلت مع الرسول من الامر المهول وما فعلت بعد ذلك فى رجالى وعساكرى وأبطالى فبما قد عاينت من قتالك وحربك ونزالك وطلبت منه نجدة بعد ذلك وأنا اعلم يا أبا الفوارس أن عساكره واصله وابطاله متواصله وربما سار هو إلينا بنفسه لأن همته قوية وان سار فى جملة عساكره وإن آتى معه البطل الشديد العبد زنجير فما يبقى منا لا صغير ولا كبير الا إذا كنا متعاهدين ظفرنا به وهذا العهد لقل أن ننطق النار المتوقدة الا أن الملك الدمهار ما تم الكلام الذى به يتكلم حتى صارت عينين عنتر مثل قطع الدم وقال أيها الملك وحق البيت الحرام وما عليه من الاصنام وحق الرب القديم صاحب زمزم والحطيم لا أرحلن أنا من هذه الديار حتى القى جيش النجاشى ومن معه من الانفار وأقاتل الملك الاكبر واشقت جيشه فى المعمعة تحت الغبار واترك لى وله وقعة تذكر مادامت السموات والأرض تنشر ويبقى حديثه على طول الزمان يذكر (قال الراوى) وكان هذا الملك النجاشى الذى ذكرناه ملك عظيم والسلطان شديد جسيم قوى القلب والشان وهو صاحب الاقاليم وما حولها من البلدان والخراج يحمل اليه من سائر ملوك السودان ومن الملك الدمهار والملك خوار بن دينار والملك صفوان بن معدان والملك لون الظلام (قال الراوى) وكان الملك النجاشى وهؤلاء الملوك كلهم أولاد عم وكانت أم عنتر زبيبة بنت النجاشى ملك الحبشان وكان ملك الحبشان قد زوج أمها بالملك بسام وهو أبو الملك همام وان الملك النجاشى هو جد زبيبة من لابوين ونسبهم إلى حام بن نوح عليه السلام وقد عدر بزبيبة الزمان وأحكم عليه القادر ان تقع فى يد العربان وارسلها إلى بنى عبس وعدنان وأخذها شداد وأتت منه بعنتر وجرت هذه القصة فى أمر مكون الاكوان الذى هو كل يوم فى شأن (قال الراوى) وهذا الملك النجاشى الذى نحن فى حديثه يسمى سكلا ولما هلك أبوه وتولى الملك من بعده سمى النجاشى ومشكلا هو الذى آمن بمحمد ﷺ وبعث إليه الهدية ومن حملها الرايه العقاب التى ما لها قيمة فى قبائل الاعراب وكل من ملك الحبشان تسمى النجاشى وكل من ملك الفرس يسمى كسرى وكل من ملك الروم يسمى قيصر وكل من ملك مصر يسمى العزيز وكل من ملك اليمن يسمى التبع وقد شرحنا

صفاء الملوك للبلدان حتى لا يشك المستمع وتخالطه الظنون الباطنية ويقول إن النجاشي ملك الحبشان لم يكن فى زمن النبي ﷺ وقد رجعنا إلى سياقة الحديث وهو أن عنتر لما أن أقسم بتلك الأقسام اطمأن قلب الملك الدمهار وأخذه الاستبشار قال ومن تلك الساعة أنفذ الملك الدمهار إلى أرض الملك النجاشي من يأتيه بالأخبار ثم داموا على ماهم عليه من تناول أقداح المدام ولما أن أصبح الله بالصباح وأشرقت الشمس على الروابي رجع إليهم القاصد وأخبر الدمهار بوصول الملك النجاشي وأخبرهم بما كانوا عليه من كثرة العدد قال الراوي وكان السبب فى ركوب الملك النجاشي إلى حربهم الرسول الذى أرسله الملك الدمهار وأخبره بما فعل عنتر بن شداد فى تلك المنازل والديار والبلاد وكم أهلك من الأجناد وأنه قد منع الخراج والعداد من عند الملك همام وأنه طالب خروج هذه البلاد فلما أن سمع النجاشي ذلك عظم بلباله وصرخ فى فرسانه ونبه أبطاله ثم تجرد وسار فى تسعين ألف فارس من أبطال السودان معتقلين بالرماح المدادة متقلدين بالسيوف الحديد وهم فى الحراب الحبشية والخيول العربية وقد أفرغوا على أجسادهم الدروع الدوادية والبيض العادية فلما أن نظرهم الجاسوس رجع على الآثار إلى أن وصل إلى الملك الدمهار وأخبره بتلك الأخبار وقال له إن القوم إليكم قاصدون وإلى نحوكم واردون لأن الملك النجاشي قد وصلت أخباركم إليه بالمخامرة والاتفاق الذى جرى بينكم وبين عنتر بن شداد فزاد به الغيظ وأقسم أنه لا يبقى منكم أحد ثم سار بالعساكر يقطع البر والفدافد وقد اكتمل جيشه تسعين ألف عنان من كل فارس عارس وأسد مداعس من فرسان السودان وأبطال الحبشان وقد سار فى مقدمتهم البطل النحرير والفارس الخطير المسمى العبد زهير وأنه قد أقسم بالرب القديم أنه لا يبقى منكم لا صغير ولا كبير ولا بد أن يفنى بلدانكم ويهلك شجعانكم وقد سار فى جملة الأبطال والأجناد وقلبه يغلي بالأحقاد على عنتر بن شداد لأنه يا مولاي قد سمع بطرف من حديثه وشجاعته وقوته وبراعته وقد أتى طالبا قتاله وحربه ونزاله قال الراوي فلما سمع عنتر من القاصد ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال والله كذب بمقاله وخزى شيطانه وحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذى إذا طلب غلب لأنه لابد أقابله عن مقاله وأقطع بهذا السيف أوصاله (قال الراوى) وقد أخبرني من أثق إليه وأعتمد فى كلام الصدق عليه أنه لم يكن فى بلاد السودان فى ذلك العصر والأوان ولا فى بلاد الزنج والتكرور ولا من الحبشان ولا فى قبائل العربان أفرس من هذا الشيطان ولا أعظم من خلقه ولا أهول من صورته ولا أجهر من صوته لأنه كان إذا صرخ يخيل لمن يسمعه أن الرعد قد دمدم وإذا

سمعته الحامل تضع ولدها وينفتت كبدها لأن هذا الشيطان كان من نسل العمالقة وقد ذكر مؤلفوا هذه السيرة أنه لم يكن فى ذلك الزمان أكبر من جثة عنتر وكانت جثة هذا الكلب العبد زنجير قدر جثة عنتر مرتين وكان له أمر عجيب وسبب طاعته للنجاشى حديث غريب وذلك أبو هذا العبد زنجير كان يقال له العبد راف وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان من العمالقة لأنه كان طول النخلة السحوق وقيل فى ذلك الزمان لم يوجد على طوله مخلوق وكان قد انفرد فى جزيرة من جزائر البحر وجعلها له محلا للمنام من كثرة ما كان عليه من الدما العرب لأنه كان يقطع الطريق ويخون الرفيق ويأوى إلى تلك الجزائر وأقام على ذلك حتى شاع ذكره وقصده كل من كان يطلب الحرام ويرتكب الآثام وهو يكبس المنازل ويأخذ الأموال والقوافل فظهر اسمه وشاع ذكره وكثر فيه الكلام فخافت منه أهل القرى والبلدان وأتت الناس من سائر النواحى إلى الملك النجاشى الذى كان فى ذلك الزمان وهو أبو منكلا وجعلوا يشكون إليه من ذلك الشيطان فسير إليه الملك عساكره فكسره وثانى جيش قهره فقويت بعد ذلك شوكته وعظمت هيبته فما كان للملك إلا أنه أرسل إليه بالأمان وأهدى له الأموال وطلب منه القدم إلى حضرته حتى يجعل له جامكية عليه فقدداس البساط فقربه الملك وأدناه وأكرم محياه وجعل له أقطاع وبلاد وتزوج منهم ورزق ذلك الولد الذى نحن فى حديثه إلا أنه مع ذلك كله لم يعطى من نفسه أمان ولا ينام إلا فى تلك الجزيرة المقدم ذكرها ولم يزل إلى أن مات وتولى من بعده ولده منكلا فسار مع العبد راف حدثته نفسه أن يقتل الملك فى الصيد ويتولى مكانه على أرضه وبلاده وعساكره وأجناده فقدر الله فى ملكه ما يريد ويختار فسبحان العزيز الجبار الواحد القهار فعكس الله عليه رأيه وأوقعه فى بغيه وطغيانه وذلك أنه فى هذه الأيام التى هو فيها كان فى مراده أن يقتل الملك النجاشى فمضى إلى تلك الجزيرة التى ينام فيها على جرى عادته وكانت هذه الجزيرة فى وسط البحر وهى بعيدة عن العالم وذلك من خوفه على نفسه من عساكر النجاشى أن تكبسه فلما كان فى تلك الليلة أتى إلى الموضع الذى ينام فيه ورقد فلم يزل راقدا إلى نصف الليل فطلعت إليه دابة من دواب البحر ابتلعته وأنفذ الله حكمه فيه ولما أن أصبح الله بالصباح انتظروه فلم يظهر له خبر ولا رجع من الجزيرة فعند ذلك ركب ولده زنجير وهو هذا الذى مضى إلى قتال عنتر بن شداد وكان له من العمر عشرون عاما إلا أنه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فسار فى بعض المراكب ليكشف خبره ولم يزل إلى أن وصل إلى مكان منامه ونظر إلى فراشه ولم يراه فقلب الجزيرة بالتفتيش فما رآه

ولا وقع له على خبر فتحققوا أن بعض دواب البحر قد أكله فعند ذلك رجعوا وقد أيسوا منه وقام ولده مقامه وصارت ملوك السودان تخاف منه ومن شره وتتقيه وصارت هيبته أقوى من هيبة أبيه وقد مالت إليه أكثر السودان وصارت جميع ملوكها تهاديه وكذلك النجاشي خاف من صولته فلم يزل على ذلك الشأن برهة من الزمان إلى أن سمع للنجاشي ابنة يقال لها منار الغناء وهي أحسن من القمر إذا أنار وتخجل الشمس في الأنوار ووصفت لديه مرار فتعلق قلبه بها فأرسل وخطبها من أبيها فلما سمع النجاشي هذا الخطاب ارتبك في أمره وما بقي يدري ما يرد من الجواب فاحضر أرباب دولته ثم قص عليهم قصته فأشاروا عليه أن يزوجه ابنته وأن يجعله سيف نقمته فلما سمع النجاشي ذلك الكلام علم أنه صواب ثم أنه أنعم له بذلك وأجاب الرسول إلى ما أتاه وفي تلك الأيام زفت العروس عليه واختلى بها فأعجبه حسنها وصار هذا العبد حامية بلاد السودان وكانت تخاف منه سائر ملوك البلدان وهذا العبد زنجير أبو العبد صيار الذي يقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما أمر النبي ﷺ بالقتال واشتهار دين الإسلام وكأن الأمر من العلي الأعلى الملك العلام قال وقد ورد في الأخبار عن العبد صيار أنه كان في قدر أبيه مرتين وكان يلقى عشرة آلاف بصدره ويقهرها بجلده وما شرحنا هذا كله حتى لا يغيب عن ذهن السامع شيء منه ونرجع إلى سياقة الحديث بإذن المولى المغيث وهو أن عنتر لما قال من مقاله أمر الملك الدمهار العساكر بالرحيل وأخذ والأهبة وأمر الملوك أن يكثروا من السلاح وآلة الحرب والكفاح ودخلوا في خمسين ألف عنان ثم سار الأمير عنتر في المقدمة وإلى جانبه ولده غصوب كأنه البلاء المصبوب وأخيه ميسرة كأنه النار المسعرة وسبيع اليمن وعروة بن الورد وإلى جانبه الملك الدمهار وعلى رأسه البيارق والأعلام وعنتر يقدم العساكر وهم يجدون المسير إلى أن أشرقت الشمس على الغروب فلما أمسى المسا نزلوا على بعض الأمياه أراد عنتر أن يكون حارساً لهم فمنعه الملك الدمهار من ذلك وزعق على ولده قاصم وأمره أن يحرسهم فلما طلع الفجر ركبوا الجرد وهموا بالرحيل وسرعة التحويل وإذ قد بان لهم غبار وعلا وسد الأقطار فقال عنتر انظروا ما تحت الغبار واكشفوا لنا الأخبار وأنا أقول وحق ذمة العرب الأخيار ما يكون هذا الجيش إلا جيش النجاشي ملك الحبشان وقد أتى إلينا يريد الحرب والطعان ربما يكون أتى معه العبد زنجير نسل الأشرار وهو مقدم جيشه الانفجار واليوم بيان الشجاع من الجبان إذا التقت الفريقان ثم أنه بعد ذلك الكلام ألوى جواده ووقف فوقفت خلفه الفرسان وإذا بالغبار

قد تقطع وسار وظهر بعد ساعة من تحته من الأخبار وإذا به جيش النجاشي وقد أقبل على رأسه الأعلام وقد لمع الزرد والطوارق وحققت الفرسان واتضح البرهان وفزع الجبان. لما تقاربت عساكر الحبشان حملت عليهم واستقبلتهم لما رأعينهم احتقرتهم وحملوا عليهم من غير ترتيب وتصايحت الأبطال قريبا وبأن الشجاع الجليد من الجبان البليد هنالك ظهر الباطل من الحق وتناثرت الجماجم نثر الورق وسال الدما وانهرق كأنه البحر إذا اندفق وبطل صبر الصبور من القلق وقطعت السيوف الدرك وعادلون الظلام مثل الغسق. وبطل قول القائل وبأن للموت علائم ودلائل فلله در عنتر بن شداد فيما فعل ذلك اليوم من النقض والإبرام لما حملت الفرسان على بعضهم البعض وقد مد يده إلى بلوغ الآمال فما طال وخسف القمر من الزبرقان وفرعت الزهرة من وجوده الأبطال وبيع المشترى بابخس الأثمان لانقضاء مدة الآجال وانتقل عطارد وسل سيفه على مريخ الفلك فاهلك الرجال ونزلت منازل السنبلة على سرطان الفلك لتقصر الآجال وكانوا بعد اجتماعهم تفرقوا بين أحاقيف الجبال ولم يبق لهم بعد ذلك إحتمال وجرى الدما كالغيث الهطال وامتد باع الأسد بعد غمض النصال ولم يدرك الإنسان ذلك اليوم انفصال ومال كوكب العقرب ولسع بزبان الرزايا على الفارس فال والجبان وانهزم وترك القتال وذلت أكابر السودان إذلال الذليل المهان ولاح علم النصر مقابل الزهرى فاجرت الدما كالغيث الهطال. ولازالوا فى ضرب الحسام حتى ذهبت أجنحة الظلام ودرات الطوائف وأمن قلب كل خائف رجع عنتر يذكر ماجرى له فى ذلك اليوم الذى يشيب فيه الغلام وأنشد يقول هذا الشعر والنظام :

| | |
|---|---|
| قد ملت النفس من طول المقام | وقد صاح صائح طير الحمام |
| وغنت طيور أفنان الآجال | على شجر الأعمار بالانتقام |
| فشخص طريح وآخر جريح | منهم ذبيح بحــد السهام |
| وهذا حزين لفقــد البنين | وهذا ينين وشاب الغــلام |
| وهذا جديل وهــذا قتيل | هذا موسوم بضرب السهام |
| وعلا الصياح وعظم الجراح | بروس الرماح وحد الحسام |
| وخوض العجاج وعظم اللجاج | وطول الفجاج كأنه الغمام |
| وطعن الوشيج وصوت الرجيج | وضرب الشحيح وكر الهمام |
| وقفز الحصان وأخذ السنان | وفر الجبان وكر الهمام |

حلا النزال بضرب النصال ويوم القتال يشيب الغلام

قال الراوى فلما فرغ الأمير عنتر من هذه الأبيات ترنحوا لها السادات ثم أنهم نزلوا فى الخيام وباتت الأرض تصبح مما عليها من الآثام ولما آخذوا الراحة للمنام أقاموا لهم الحرس إلى الصباح ولما طلع الفجر ولاح ركبوا الفرسان على الجرد القداح بعدما غاصوا فى العدد والسلاح وكان أول من حمل على الأعداء فى ذلك اليوم عنتر بن شداد وهو مقدم من عساكره والأجناد وتبعه ملوك السودان ورجالها الشجعان مثل الملك غوار بن دينار والملك همام والملك لون الظلام والملك الدمهار والملك صفوان بن معدان وساير ملوك السودان وجميع الشجعان وقد حملوا الجميع من كل جانب ومكان على عساكر الملك النجاشى ملك الحبشان ومن معه من الفرسان الأعيان قال الراوى لهذا الديوان صلوا على النبى العدنان وقد انفرشت ذلك اليوم حتى ملات السهـــل والجبل وزعق الملك النجاشى فيمن معه من الأبطال وأمرهم بالحرب والقتال فعند ذلك أهل السهل والجبل وبان الجبان وانذهل وهل وانهل العذاب على الطايفتين ونزل وحقق الحقايق وحسفت الطوارق وخرس اللسان الناطق وتكردست على بعضها تلك الخلايق وأعاقب من طلب الحرب العواتق وزادت بينهم الأهوال وعظم الخيام ووقعت من سروجها الأقيال ولما نظر عنتر إلى تلك الفعال وعلم بحقيقة الحال صدم الأبطال مثل صدمات الجبال وبطل القيل والقال وحست الأرواح بالانتقال وذكر الراوى لهذا المقال أنه اشتد فى ذلك اليوم القتال فى المجال وأجرى الدمام كالغيث الهطال الأفارس عبس وجامنها وموقد نار الحرب ومصطليها عنتر بن شداد قال الراوى والدم يجرى الرما مثل السيول ويزعق فى جيش الحبشان فترمى أرواحها على البلاء هذا والصياح من الناحيتين قد علا إلى أن ملات جنبات الفلا وصار النواظر السماح حول وتفككت من شدة الفزع الأضراس وطار النعاس وعميت الأعين الناظرات وعجزت الألسن الواصفات عن وصف ما جرى فى تلك الوقعة الأمور الهايلات وعظمت المصايب والآفات وأيقنت النفوس بالممات فيالها من ساعة لا تشبه الساعات وما زال الحرب بينهم قايم وهو فى أشد ما يكون من الكرب إلى أن مالت الشمس إلى الغروب وأقبل الليل بأمر علام الغيوب وقد امتلات بالقتلى جنبات الأرض وقد تعبوا من ضرب الحسام ونزلت العساكر فى الخيال وقد امتلات بالقتلى حدة الحبشان وسار عسكر السودان يتحدثون بعنتر وما لقوا من حربه وصدامه فقال العبد

زنجير وقد أغاظه وصفهم لعنتر قدام الملك النجاشى وزاد به الغضب من هذا القول الذى




قالوا فى مثل هذا المقام ثم إنه التفت إلى الملك النجاشى وقال له أيها الملك وحق نعمتك
وإلا حرمت على ابنتك وأنا قد خضت الصفوف صفا صفا ولقيتها بصدرى الفا الفا
وكل ذلك فى طلب عنتر فما وقعت عينى عليه وأنا فى غداة غد أول من يفتح باب الحرب
وسائر الطعن والضرب وأدعوه إلى البراز فان هو برز إلى فقد انفصل الحال وبلغنا كل
الامال لأنى اليوم كنت قد عولت على قتاله ولما أن برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين
لكن أحاطت بينه المواكب لما حملت عن كل جانب وضاع بين الحبشة والسودان
وما عرفت له مكان فصدقه النجاشى لما يعرف من قوته وما شاهد من أعماله قال الراوى
فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى بينهم من الكلام وتذكر ما لاقوا فى ذلك اليوم العظيم
المرام من القتال والصدام وما عاينوا من العبد زنجير من الأهوال العظام فقال عنتر وحق
الإله الأعلى الذى لا تسعه أرض ولا سما لقد اجتهدت اليوم فى الحرب والنزال وخضت
بمهجتى الأهوال فى طلبه فما وقعت عليه لكن وحق ذمة العرب وشهر رجب والرب
الذى إذا طلب غلب لا يفتح غدا باب الحرب إلا أنا وأدعوه إلى البراز والنزال إلى
حربى وقتالى حتى يبان فعاله ولا تركته مطروح على الزمان تبكى عليه الرجال والنساء

والتقى بعده هذه العساكر والجموع بضرب يفك الحديد ويذيب الجلاميد وفرقهم بين الروابى والآكام وأحل بعد ذلك على الملك النجاشى وأخذه من تحت الأعلام ففرحت بكلامه ملوك السودان ولما سمعوا منه ذلك الكلام كان أشدهم فرحا الملك الدمهار لأنه كان يخاف من الملك النجاشى وكذلك من العبد زنجير البطل النحرير إلا أنهم لما فرغوا من ذلك الكلام باتوا ينتظرون ذهاب الظلام بعد أن أقاموا لهم حرسا من السودان الكرام ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الصباح وتواثبوا على لبس السلاح وركبوا على ظهور الجرد القداح بعدما تقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح ثم ساروا إلى الميدان وطلبوا الحرب والكفاح وركضت خيلهم حتى زلزلوا الروابى وركب النجاشى وقد نشرت أعلامه على رأسه وهو منزعج بما غابن بالأمس وقد أمر النقباء بترتيب العساكر ميمنة وميسرة فترتبت فلما رأى عنتر إلى هذه الأمور علم المقصود وعلم أنهم يريدون البراز ويطلبون الانجاز فعندها فرح واتسع صدره وأتاه الأمر كما أراد فتقدم بنفسه يطلب الحرب والطراد فلما أن ترتبت الجيوش من السودان حتى هاج جيش النجاشى وظهر منه فارس ما رأت العيون أعظم من خلقته ما كأنه إلا النخلة السحوق أو الجذع المحروق مثل الجبل المشيد المسربل بالحديد وسائر ما عليه من الأسلحة مغمرسة بالذهب الأحمر على جسده زرديه تامة فى صدره درعه من البولاد بجوهرة يأخذ شعاعها بالبصر على رأسه بيضة قديمة بهلولية ململمة بجلية فى كمه صفيحة هندية تقطع الزرد السندية ولا تمنعها البيض العادية تحته حصان ابيض كأنه البرق الخاطف والسحاب الواكف قال الراوى فلما توسط الميدان ورأته الفرسان وحققته بالعيان علموا قدره عند المشاهدة بالنظر وعلموا أنه بطل غضنفر فلما علم العبد زنجير أن الرجال نظرته أراد أن يبين لهم شدته لأجل ما يقع فى قلوبهم هيبته ليفرج الملك النجاشى طرفا من شجاعته فدفع الجواد إلى الميدان وخرج كأنه الريح العاصف والسحاب الواكف فبينما الجواد فى شدة جريانه وإذا بالعبد زنجير قد صم فخذه عليه بعدما صرخ صرخة أذهلت الفريقين فقطع الجواد نصفين ووقع على الأرض وقد اختلط فى بعضه فلما أن رأت الفرسان إلى هذه الفعال انقطعت ظهورها وحارت فى أمورها إلا أن العبد زنجير زعق فى عبيده وأمرهم أن يأتوه بجمل عظيم ويبركوه فى وسط الميدان ففعلوا ذلك وأبركوا الجمل كما قال فوضع كفه عليه بعد ما أمر عبيده أن يدعوه بأسنة الرماح فلدغوه والجمل يرعى

ويصيح وقد أقلب الدنيا بالصياح وعاد يطلب النهوض فما يستطيع من شدة قوة العبد زنجير ولما رأى ان الفرسان ما بوه أمر بشد رجلى البعير ويديه وصرخ صرخة عظيمة ومسك رقبة البعير بيديه ورفسه فى صدره خلصها من كتفيه ثم أنه سعى على قدميه يطلب عنتر حتى وصل إليه وتقرب من طائفة بنى عبس وحذف رقبة البعير من يده فخرجت كأنها الصاعقة إذا انقضت على شيطان الأرض فوقعت فى فارسين فأرقدتهم رقدة لم يثوروا منها إلى يوم العرض ولما رأت الفرسان ما فعل هذا الشيطان ارتعدت منه الأبدان وخافته جميع الشجعان وقال شيبوب لأخيه يا ابن الأم ما أقول أن هذا الشيطان من البشر وما هو إلا من عفاريت وادى سقر وإنى خائف عليك من سطوته وحق الركن والحجر فقال عنتر وقد تبسم من هذا القول فعند ذلك قال يا شيبوب فلا بد لى ما أطير رأسه بهذا الحسام وأنا أقول إنه ما فعل هذه المنكرة إلا خوفا وفزعا من أخيك عنتر ولابد ما أطير رأسه بهذا الحسام وأجعل هذا اليوم أيشم الأيام فبينما عنتر يتكلم والعبد زنجير ينادى فى عبيده ويلكم ائتونى بجوادى النبيل وكان هذا الجواد كأنه الفيل يقلب البر بالصهيل وهو من خيل البحر أصفر مثل الدينار فلما صار الجواد بين يديه نهض إلى ظهره ثم تناول رمحا أسمر من عمل سمهر وعلى رأسه سنان أزهر مثل البرق أصفر يدب فيه المنية أسرع من حلول الرزية ثم جال بين الصفين واشتهر الفريقين وتقلب على الجواد حتى حير كل عين وصال وجال وأنشد وقال

| | |
|---|---|
| أنا الموصوف فى كل الأنام | يطعن الرمح مع ضرب الحسام |
| أنادى الفوارس بالعــوالى | إذا اشتبك القنا تحت القتام |
| وكم لى وقعة فى يوم حرب | يشيب لهولها رأس الغــلام |
| شربت دما الرجال وكان صرفا | يغذونى به قبل الفطام |
| وفى ذا اليوم أصدق فى مقالى | إذا جرت الدماء على حسام |
| وأترك عنترا فى التراب مجندلا | طريحا لايعى الكلام |
| ويصبح جسمه فى الأرض ورقا | لطير البر والوحش الزؤام |
| وتصبح داره قفرا خرابا | وعنتر وجهه على التراب دام |

قال فلما فرغ زنجير من شعره ضرب كفل جواده فخرج من تحته كالبرق ثم أخذ فى الميدان ولعب أندايا حتى حير العقول فلم يزل كذلك حتى هدى شمث الحصان ثم نادى بصوت كالرعد وأشار إلى جهة عنتر وقال يا معشر الأبطال ابرزوا إلى من كل فارس رئبال

وأسد مفضال هذا وقت الافتخار ومقارعة الكرام الأخيار فابرزوا إن شئتم فارسا لفارس أو عشرة لفارس أو مائة أو ألفا لفارس هذا مقام الحرب وطلب العز والشأن وإن كانت فزعت من فرسانكم الأخيار فاليبرز إلى فارسكم المسمى بعنتر المغوار فبينما العبد زنجير يجول ويصول ويأخذ الميدن عرضا وطولا إذا بفارس من اعيان السودان انقض عليه كأنه البلاء هذا الفارس شجاع وقرن مناع ثم حمل على العبد زنجير وصوب إليه السنان فصبر عليه زنجير حتى تقرب منه وضرب رمحه بالحسام أرماه وطير أعلاه وأخرج رجله من الركاب ورفسه وعن ظهر جواده كركبه وكسر له أربع أضلاع ثم إن العبد زنجير تبسم تبسم المستهزىء بالابطال ثم جال وصال وطلب الحرب والنزال فهم عنتر يخرج إليه فسبقه فارس من الفرسان وكان يقال له سالم بن بكار وهو بطل مغوار وكان من الابطال الكبار والفرسان الأخيار أكل بقائم سيفه غفار تلك الديار ثم أنه لكن جواده بالمهماز فطلب العبد زنجير كأنه الباز وطلب الحرب والانجاز وحمل عليه حملة الغضب وظن أنه ينال منه الأرب ولما هجم على خصمه كفحه بالحسام على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه فانقلب عن الأرض يبحث بيديه وعندمة فبرز إليه الثالث فقتله والرابع جندله ومازال على ذلك العيار إلى أن قتل خمسين فارسا كرار فاندهلت منه جميع الحضار فأراد عنتر أن يحرك جواده عليه ويجادله تحت الغبرة فسبقه غصوب وولده ميسرة وأقبلا عليه من الميمنة والميسرة وكان ميسرة أسبق من أخيه فصاح بالعبد زنجير وحمل عليه وكفحه بالحسام بضربة صادقة فالتقاها بقبة الدرقة وعطف عليه مثل نزول الصاعقة ومد إليه زندا أغلظ من زند البعير ومسكه من أطواقه أخذه أسيرو نقله من اليمين إلى الشمال وانقض على غصوب كأنه ريح الشمال عندها طعنه غصوب بالرمح كان يده فلم يحترس من طعنته وما ترك السنان يصل إلى عنده بل قبض على الرمح بيده أرماه وطير أعلاه وهجم على غصوب حاذاه وصاح به فارجف أعضاه وخدعه من سرجه أخذه أسير مثل ما أخذ أخاه وحطهما تحت فخذه وقاتل بقية يومه وهامه إلى نقضى باقي النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعاد العبد زنجير من الميدان وهو مثل شقيقة الارجوان وعنتر قد صار ندمان وخايف على أولاده الاثنان وقد اشتد به الغضب واستولى عليه ولا بقي يبصر ما بين يديه ولما رأت السودات ما فعل العبد زنجير وكيف أخذ ميسرة وغصوب أسارى زاد بهم التحير والتفكر وظنوا أنهم في يأخذ أيام عنتر وباتوا تلك الليلة وهم في أشد الضجر وأما عنتر فإنه أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وقال للملوك السودان الذين هم صحبته وقد رآهم في شدة الخوف والحذر وقال والله إني كنت من أمر هذا الملعون

من لقاء هؤلاء الفرسان وكانوا يصدقوه فى كلامه ملوك الحبشان وأبقى بذلك معيرة ما بقى الزمان فنالت ملوك السودان باكلمد الأعداء بالمثل السائر يقال إن قنص الفهد فيابدانه ماصاد اليوم صاد غدا عندها صبر عنتر على مضض وقلبه من أسر أولاده قد مرض ومغص وكونه لم يبلغ ذلك النهار غرض وكان النهار قد عول على الارتحال وأقبل الليل بالأنسداله وركب العبد زنجير طلوع النهار وهو يقول أين فارسكم عنتر البطل المغوار دعوه يبرز إلى الميدان إن كان يعد نفسه من الشجعان فليخرج إلى ذلك النهار حتى يبان منا من له الافتخار وأنا أقسم بالرب المتعال خالق الإنسان من صلصال إذ لم يخرج إلى ذلك النهار ويظهر أفعاله وإلا هجمت عليه بين هؤلاء المئات حتى ألتقى به وأعجل له شراب الحتوف وكيف يمنع خراج الملوك والعداد ويقول أنا عنتر بن شداد واليوم يخفى نفسه عن الطراد فإن لم يبرز إلى وإلا قتلت أولاده وأحرق بهم فؤاده فلما سمع عنتر كلامه فقر بالأبجر وصار قدامه وحمل عليه من شدة اهتمامه وصاح بالعبد زنجير صيحة منكرة وقال له دونك يا قرنان واعلم أنى ما تركت قتالك إلا احتقارا بك وبأمثالك لأنك أنت ومثلك لم يخطر لى على بال ولولا أنك قتلت رجالى وأسرت أولادى فما كنت على نفسى أن أبرز إليك بعد هذه الفعال ولو حملت عليك لاحتجبب على وكنت تقول أنا تعبان من القتال وهذا النهار ظهر وأضاء وأمس قد ولى وانقضى فدونك والجلاد فى هذا الفضاء فلا بد من قتالك ولم أكن عنك معرضا ولا بد ما أثخنك بالجراح وترى حربا أشد لهيبا من نيران اللظا وأجعلك لمن يكون بعدك موعظة ولا بد ما أسقيك كأس حمامك وأجعل هذا اليوم آخر أيامك فقال له العبد زنجير والله يا أخس العبيد ويا أنجس من سكن القفر والبيد فلا بد لى من طرادك وأسرك كما أسرت أولادك وأقتلهم بين يديك وأحرق بهم فؤادك وبعدهما أعذبك العذاب الشديد الذى ما عليه من مزيد ثم أنه حمل على عنتر وهايج وخاض معه فى قسطل العجاج وضاق عليهما الفجاج وزاد منهما الارتهاج فلما رأت الحبشان والسودان إلى هذان الفارسان وقد حملا على بعضهما حملوا على عسكر النجاشى وضاق لهم فسيح الأرض وكثر الانزعاج والركض وسدوا بكثرتهم الفجاج طولا وعرضا وكان أول من حمل ذلك النهار الملك الدمهار وابنه قاصم الأعمار الملك لون الظلام وولده صفوان والملك غوار بن دينار وبقية أولاد حام الكرام ودام القتال حتى أقبل الظلام بوجهه الحالك السمح وكانت السودان الذى مع عنتر فرسان أوقاح تعودوا على القتال والكفاح وقد سمحوا بالأرواح بعدما كانوا بها شحاح وعمل بينهما المرهفات

وتحسرت النفوس على مافات فلله در عنتر وما فعل ذلك اليوم فى الطراد لأنه تقاتل مع العبد زنجير إلى نصف النهار وافترقوا من المجال فقابل كل واحد مع أصحابه إلى آخر النهار فلله در عنتر الأسد المغوار فكم من همام أردى وكم من بطل قتل فما زال يقاتل حتى رد عسكر الحبشان منهزمين فمد بصره فرأى فارس وقد سطى بحملته على فرسانه والرجال تنفر الى بين يديه فلما رآه عنتر انحط عليه انحطاط القضاء فأوسع منه فى المجال وابتعدت عنهم الفرسان فاخلت لهم مكان فوقفوا يتفرجوا على ما يجرى بينهما من الطعان فجرى بينهما حرب شديد وقتال عنيد يذيب لهوله الجلاميد فما زال فى حرب وكفاح فضرب صفاح حتى أظلم الظلام فافترقا عن ضرب الحسام فساروا إلى الخيام فأكلوا الطعام وأخذوا فى الراحة للانسجام فبعد ما جرى بينهم الحديث والكلام من جهة الحرب والصدام فقال عروة لعنتر على أى شىء رأيت خصمك يا فارس البدو والحضر فقال عنتر لعن الله الكذاب ومن يكون فى قوله مرتاب فأنا أقول وحق زمزم والحطيم والإله القديم خالق موسى وإبراهيم أنى ما عاينت مثله فى سائر الأقاليم فما هو إلا شيطان فى صورة إنسان وإنى عدت من قتاله تعبان فهذا ما كان من عنتر وما جرى له من الكلام مع أصحابه وأقياله أما ما كان العبد فملوك الحبشان فإنهم عادوا إلى الخيام وقربهم المقام قال الملك النجاشى للعبد زنجير كيف رأيت خصمك يا أمير المؤمنين فقال له والله إنه ليس له فى الدنيا نظير فلقد تعبت من قتاله وخذلت أكتافى من نزاله لكن فى غد يبان الفارس القرمان من النذل الجبان ثم تحارست الفريقان حتى طلع الصباح فتواثبت الفرسان للبس السلاح وركبوا الجرد القداح فطلبوا الحرب والكفاح ( قال الراوى ) فلقد بلغ ممن أثق واعتمد كلام الصدق عليه أن ما فتح باب الحرب والجلاد فى ذلك اليوم الكثير كان وطلب براز الفرسان والأجناد إلا فارس عبس عنتر بن شداد لأجل ما بات تلك الليلة فى فؤاده من الهم والإنكار من أجل أسر أولاده خرج فى ذلك اليوم على ظهر جواده متقلد بحسامه معتقل برمحه المداد فلما توسط الميدان على الجولان تذكر دياره وأهله فأنشد يقول هذه الأبيات .

أحن إلى ضرب السيوف القواضب ... وأصبو إلى ضرب الرماح الكواكب

واشتاق كاسات المنون إذا التقت ... ودارت على رؤس السراة الصلائب

ويطربنى والخيل تعثر بالقنا ... حدود المنايا وارتهاج المواكب

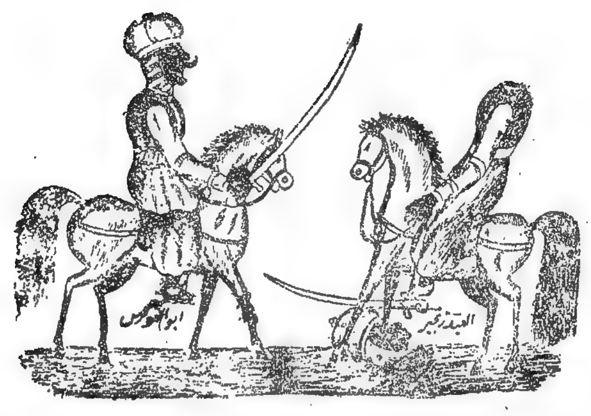
بطعن وضرب تحت ظل غزمة ... كجنح الدجا لما يشير السلاهب

تغال رؤوس السمر وسط كلاهما ... وتنقض عنها كالنجوم الثواقب

وتلمع فيها البيض والنقع ثاير ... كلمح بروق تحت ظل الغياهب
لعمرى أن الفخر والمجد والعلا ... ونيل الامانى وارتفاع المواكب
لمن يلتقى الحرب منه بمهجة ... لها فى أعالى المجد أعلى المراتب
ويقدم فى أبطالها وسراتها ... بقلب صبور عند وقع المضارب
بجرد قضبا باترآ ومثقفا ... بعزم جرى لا يخاف النوائب
ويبنى بحد السيف مجدآ مشيدا ... على قلة العلياء بين الكواكب
ومن لايروى رمحه من دم العدا ... إذا اشتبكت سم القنا والقواضب
ويعطى القنا الخطى فى الحرب ... ويفرى بضرب السيف صم المناكب
يعيش كما عاش الذليل بذله ... وإن مات لاتندب عليه النوادب
ولا تندب البيض العذارى تاسفا ... سوى لفوارس الدرغام بين الرواكب
أنا البطل المعروف فى قسطل الوغا ... وفارسها المندوب بين المواكب
أنا الأسد الهجام والبطل الذى ... يكشر عن أنيابه والمخالب
يبيد الأسود الضاريات إذا سطت ... ويفترس الأشبال وسط السباسب
أنا عنتر العبسى وابن زبيبة ... أنا الأسد الموصوف ضاهى المخالب
ستعلم ما تلقى وإن كنت كارها ... ويصدق ظنى فيك يانسل كاذب
سأقسم بالمبعوث من آل هاشم ... وفارسها المندوب من آل غالب
إمام حباه الله بالصدق والوفا ... وأيده بالمصطفى من نسل طالب
وإن كنت لم أدرك زمان ظهورهم ... فانى لهم حيا وميتا مناسب
وحبى لهم فى خاطرى وضمايرى ... وقد فاز من أنا هو بالرغايب
فدونك يا زنجير قرما صميدعا ... له شرف فى شرقها والمغارب
محب لآل المصطفى معدن الوفا ... مقـــيم على الوفا غير كاذب

فلما فرغ عنتر من إنشاده وتوسله برسول الله ﷺ حمل على العبد زنجير حمله الغضب فصاح صيحة تفلق الحجر فتلقاه العبد زنجير كانه الأسد الشرير فدار بينهما الحرب والقتال إلى أن أذن الله بالإرتحال فقال له العبد زنجير اعلم أن الليل دهمنا وأريد الانفصال وكل منا يعود إلى ماله من الرجال فاذا كان عند الصباح نعود إلى الحرب فقال عنتر لاوحق منشىء الرياح مايكون بيننا عن بعضنا براح إلا أن يكون بالانفصال فبلوغ الآمال فلا تؤامن نفسك بالمحال وإن كان لابد من الراحة إنزل عن جوادك وأنا أنزل جوادى فى هذه الساحة ويأتى كل واحد منا رجل من أصحابه بما يأكل ويشرب فاذا كان عند الصباح نعود إلى الحرب

والكفاح حتى أكون فى الحرب منصف وفى العطار والبذل عفاف فقال له العبد زنجير لقد أنصفت وما تعديت ثم نزلا عن وجواديهما وأركزا رماحهما وبرك كل واحـــد على ركناه وعنده من الغيظ ما كفاه قال الراوى فلما خرجت رجالهما خرج من كل طائفة رجل إلى صاحبه بما يكفيه من الزاد وكذلك مما يأكل الجواد وما زالوا كذلك إلى الصبا ولمـــا لاح الفجر بالأنوار ركبا جواديهما وحملا على بعضهما بعض وقد صرخا صرختين وقد تطاعنا بالرمحين إلى أن كلت منهما اليدين وقد أخذا فى الكر والفر والهزل والجد وهما على ذلك المرام إلى أن أقبل الظلام وباتا إلى الصباح ولم يزالا على على ذلك الرواح وهما فى حرب وكفاح كذلك سبعة أيام ولما إن كان فى اليوم الثامن أخذ العبد زنجير على عنتر الحنق وقد بذل فى قتاله المجهود وكان قد تضاربا بالصفاح التى أعجل لقبض الأرواح وقد علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وظهر منهما الكيان وخرس اللسان وظهر منهما الحنق وسال من أبدانهما العرق قال الراوى وكان فى عنتر سر خفى لا يعلمه أحد من العباد وهو أنه إذا انفصل عن خصمه ولو قدر باع رد الله إليه نشاطه وضاعف قوته حتى كانه لم يكن فى قتال ولا جلاد ولما إن كان عند كان عند الزوال صاح عنتر بخصمه وهاجمه وحمل عليه وطاعنه وصادمه وكانا تلك الساعة قد آيسا من الحياة وأيقن كل منهما أنه مفارق دنياه وكان الغبار على رؤسهما قد خيم ولم يعلما من أنفسهما إن كانوا فى أرض أم فى سما هذا والفارسا فى وسط الميدان كأنهما نمران أو أسدان وقد جرى بينهما حرب شديد يشيب من هوله الطفل الوليد والناس لا تعلم الغالب من المغلوب ولا السالم من المعطوب إلا أن دنت الشمس من الغروب وعند ما زاد بعنتر النشاط والجلد وأخذه الغيظ والحرد فضايق خصمه مضايقة الأسد وكان تلك الساعة قد جذب فى يد الحسام وقال لخصمه خذها من يد غلام يعرف قدر البيت الحرام ثم قام فى ركابه وهجم على خصمه وزعق عليه وصاح فى عقته يا آل محمد وضربه بالحسام طير رأسه من على جسده فوقع الرأس على الأرض كانه المصراع ومن عظم الضربة وقعت بعيدة أو فى من عشرين ذراع وبقيت الجثة على ظهر الحصان قدر ساعة من النها وصار العبد يلوح بالحسام يمينا ويسار هذا وعنتر قد تحير ولحقه الانبهار وقال إن ضربتى ما عملت فى ذلك الجبال فسار ينادى بالنظر إلى أن وقع من على ظهر الجواد كانه النخلة السحوق أو الجزع المحروق وكان عنتر قد غشى علية ساعة من التعب والحنق وكانو الطوائف كلما سمعوا أصوات الفارسين يطيلوا إليهما بالنظر وماز لو فى ذلك الانتظار إن انكشف لهم الغبار وصحت الأخبار




بمقتل العبد زنجير الجبار ولما صح ذلك بادرت إلى عنتر الفرسان من كل جانب ومكان وهنوه بالسلامه وعاد الجميع إلى الخيام وهو بينهم كأنه الأسد الدرغام قال الراوى هذا وجيوش الحبشان همت تريد الحملة فمنعها النجاشى من القتال وقال لايكون قتالكم إلا فى غد من أول النهار لأن الظلام قد أقبل بسواد الاعتكار ثم إنهم نزلوا فى الخيام وأكلوه الطعام وما منهم إلا من يصف عنتر وقتاله كيف قدر على ذلك الفارس الهمام ولقد حكى عنتر عن نفسه وشدد فى الأقسام وقال وحق الملك العلام إنى ماشدت فى العرب الكرام مثل قتال العبد زنجير ولما ضربته هذه الضربة ورأيت جثته قد بقيت على متن الجواد فما يقنت بالهلاك والنفاد لأن ما كان عندى أعظم من هذه الضربة خصوصا بهذا الحسام فوالله ما كان له مماثل ولا يقاومه بطل همام ولولا سعدى الكامل وإقبالى لما بلغت آمالى ولما نزل عنتر فى سرادقة فأتت إليه ملوك السودان وهنوه بالسلامة من قتال هذا الشيطان ٥ هذا وعنتر بات مشغول القلب على أولاده وخائف عليهم من الندامة والوبال وهو يقال فى غداة غد يكون وقعة الانفصال ولا بدلى فى غد أحمل على عساكر الحبشان اللئام وآخذ ملكهم أسير من تحت الاعلام ولو أن حوله ألف ألف ضارب بالحسام حتى يكون فدا أولادى لأن أسرهم قد أحرق فؤادى قال الراوى وأما عبلة فانها باتت مقروحة بالفؤاد من أجل ولدها غصوب وهى تنتظره إلى الصباح حتى تخرج إلى مقام

الحرب والكفاح وتشفى قلبها بضرب الصفاح فتلافى عنتر أمرها وطيب قلبها وصار يوعدها بخلاص ولدها وأن تريح كربها وقد أقسم بمن خلق الخلق والبشر أنه يخلص لها ولدها ولو أنه فى سد اسكندر فهذا ما جرى لها هنا من الكلام والخبر (قال الراوى) وأما ما كان من ملك الحبشان فانه لما أن عاد بأصحابه وهو منكسر قال لهم أئتونى بأولاد عنتر حتى أضرب رقابهم وأطيل عذابهم وآخذ بثار العبد زنجير من هذا العبد الشرير فقالوا له ما هذا صواب والرأى أن تبقيهم حتى ينكشف لنا الحال وترى ما يجرى لنا مع أبيهم فى القتال لأنه فارس لا يقابل ولا له مماثل (قال الراوى) فاستصوب رأيهم وبات إلى الصباح ولما طلع الفجر ولاح ركبت الفرسان الجرد القداح ومالت رجال الطائفتين تروم الحرب والكفاح فتقدم عنتر وطلب براز الحبشان فارضيت بذلك الحال بل أنها صاحت عليه وحملت عليه وعلى القتال عولت ولاعنة خيلها أرسلت وكانوا الجميع سودان وحبشان ولما حملوا على بعضهم بعض ارتجت خلتهم القيعان هذا وقد ضربت البوقات وهجت الوحوش من الغابات ولعبت الرجال بالخيول العربيات فشوقت إلى الحرب قلوب السودان الذى لهم بذلك عادات وهان عليهم شرب كاس الممات إلا أن طائفة عنتر ارجح بثباتها وكانوا فى فرسان أوقاح وأما عنتر فما زال يخترق الصفوف ويفرق المائة والألوف حتى قارب الاعلام وفرق ما حولها من الحبشان اللئام وانطبق على صاحب العلم وضربه بالحسام طير رأسه عشرة أذرع إلى قدام وصاح بعد ذلك على الملك النجاشى وانقض عليه انقضاض الأسد ونزل عليه نزول البرد وأخذه من سرجه أسير وسلمه إلى أخيه شيبوب فلما علمت الحبشان بأسر ملكهم عادوا طالبين الديار فتبعهم عنتر وأصحابه إلى نصف النهار ورجع عنهم وهو فرحان جيدان بأسر ملك الحبشان وقد لبس من الدماء سروال كأنه حلة أرجوان وملوك السودان من حوله يثبون عليه وما زالوا سائرين بين يديه إلى أن نزلوا فى الخيام وأخذوا الراحة للأجسام وأكلوا الطعام وبعدها نادى عنتر بأخيه شيبوب وقال أئتنا بملك الحبشان لكى أنظر ما فعل فى أولادى وأطلب منه الفدا والاضطرابات رقبته وأسير إلى بلاده وأسبى حريمه وأولاده وأخلص أولادى ويسكن من الخفقان فؤادى (قال الراوى) فلما سمع شيبوب من أخيه ذلك الكلام سار إلى ملك الحبشان وقال له قم يا ملك الزمان كلم فارس عبس وعدنان فقال الملك وماذا يريد منى قال يريد أن يفادى بك أولاده وتخلص من كتائبه وشداده فقال النجاشى سمعا وطاعة ثم نهض من

تلك الساعة ولما سار مع شيبوب إلى عند عنتر قال له وحق ذمة العرب ما تكون أنت من عنتر ابن شداد فقال أنا أخوه من أمه وليس من أبيه واعلم أن أمي يقال لها زبيبة وأصلها من هذه البلاد وأبي كان من هؤلاء السودان الاجلاد وأما عنتر فان أباه من أرض الحجاز يقال له شداد بن قراد فقال له النجاشي أعلمني ما السبب الذي أتاكم إلى هذه البلاد وأنتم من أرض الحجاز فعندها أخبره شيبوب بقصة غمرة بنت القضاعي وكيف تزوج بها أخوه عنتر ورزق منها بولده غصوب وأن قصده يأخذ بثاره من ملوك السودان ويزيل عنها الكروب وقد تعارف بالملك همام وغوار وطلعت غمرة بنت أخت الملك الدمهار ثم أنه كشف له باطن القصة أول وآخر فقال النجاشي وأنت يافتى أمك بنت سعدة أم الملك همام فقال شيبوب نعم وحق الملك العلام فتعجب الحبشان من ذلك الشان كيف أنهم نزلوا في بني عبس وعدنان وأنسابهم متصلة بملوك السودان والحبشان ثم قال لشيبوب يافتى وسعده أم الملك همام عمتي والملك غوار نسبته من نسبتي فهذه أمور جرت باذن رب الارباب قال الراوي فلما سمع شيبوب من النجاشي هذا الكلام قام إليه فقبله بين عينيه ثم سار إلى عنتر أخيه وحدثه بما جرى فقال نعم وحق الكعبة الحرام لقد صدق الملك في هذا الكلام فتفكر عنتر في تقلبات الايام إلا أنه تحركت جوارحه إلى ملك الحبشان فنهض إليه ساعيا على الاقدام فاعتنقا بعضهما حتى كادت أرواحهم تخرج من حلاوة اللقا والأرض تضج من سائر الاقطار وفي الحال أطلقوا ميسرة وغصوب من الأسر والأضرار إلا أن النجاشي قال لعنتر يافارس عدنان بحق مكون الأكوان وخالق الإنس والجان أنك تسير معي إلى الأوطان حتى أحظى بك بفرصة من الزمان فاجابه عنتر إلى ما طلب فلما أصبح الصباح ركب الملك النجاشي وعنتر فساروا وتتابعت خلفهم العساكر من سائر الاقطار هذا والملك النجاشي أفرح الخلق بعنتر بن شداد كذلك فرسانه الأجواد ولم زالوا في عز واكرام ورفع مقام على أكل طعام وشرب مدام تمام العشرين يوما على التمام وفي الحادي والعشرون عزم عنتر على الرحيل فاجابه النجاشي إلى ذلك بعد أن أهدى إليه هدية عظيمة لها قدر وقيمة ثم ودعهم وسار النجاشي لوداعه يومين كاملين وقد أحضرهم عنتر وأخذ عليهم العهود والمواثيق وأعجب ما روى من أحاديث السودان أن القوم ذلك اليوم في الوداع إذ أقبل عليهم فارس من أرض النجاشي يركض حتى وصل اليهم وقبل الأرض بين أيديهم وقال للنجاشي يهنيك ياملك قد أتاك غلام فقال النجاشي ويلك

ومن يكون هذا الغلام قال بنتك سيار ولدت غلام وسمته مارو وهو العبد الذى يقتله الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه ولم يكن ذلك العبد بن من عنتر بن شداد بل أنه ولد ملك فى الأيام ثم سار عنتر يطلب الديار فقال له صفوان يا أبا الفوارس أريد أن أسير معك إلى بلادك ويكون ركابى فى ركابك وأكون من أصدقائك وأحبابك فلما سمع عنتر هذا الخطاب تبسم وقال يا ابن العم ما هذا صواب ولكن إن أردت زيارتى يكون فى غير هذا الزمان فلما سمع شيبوب من أخيه هذا الكلام قال وحق الكعبة لابد من مسير صفوان معنا إلى أوطاننا حتى تعلم بنى عبس وعدنان أننا من أكابر ملوك السودان فلما سمع عنتر هذا الكلام علم أنه صواب فسار ولم يرد جواب فقصدوا الديار والأوطان وقد اشتاق إلى الأصحاب والخلان عندها تذكر محبوبته عبلة فأشار يقول

| | |
|---|---|
| جفانى الكرى منذ ودعتنى الخرايد | وزاد غرامى واشتفى قلب حاسد |
| وعبلة كالشمس المنيرة بينهن | وأدمعها قد غرقت القلائد |
| تشـــير لى بالبنان وحسنها | يزيد سقاما فى الفؤاد معاند |
| مهفهفة تحيى القلوب إذا أتت | وإن أدبرت زادت جوى وشدايد |
| فكيف أطيق الصبر عنها تجلدا | ونار غرامى فى الجوانح واقد |
| فلو أبصرت عيناك يا عبلة ما جرى | وما فعلت أيدى بالرجال الاماجد |
| وصاعقة عممت بالسيف رأسه | وخليته ملقى ولم يبق عايد |
| وطاعنت جيش القوم حتى تفرقت | وجندلت فى البيدا سويد بن عايد |
| وسقت على آثارهم فى فوارس | يرون المنايا من أجل الفوايد |
| وصلت عليهم يوم مشتجر القنا | يجالد فى الميدان كل مضادد |
| ويقدمهم ليث كمى غضنفر | صبور جسور فى الحروب معاند |
| لقيت به سيفى وصلت على العدا | معينى على كل الامور الشدائد |
| وميسرة ليث شجاع يسرنى | إذا ما التقى الجمان يوم الطرائد |
| ومازن عضدى يوم مشتجر القنا | وأرمى فى الهيجاء كل معاند |
| وعروة بن الورد مازال مسعفى | على كل خطب فهو يدى وساعد |
| وسبع الفلا الليث الهدور يسرنى | وتسعفنى فى المعظات الشدائد |
| مجيد بن مالك سيد الناس كلهم | له شرف يعلو به فى المحامد |
| وغمرة فى يوم النزال شديدة | معودة خوض الغبار الفدافد |
| ضمنت لها قولا وفعلا متابعا | وأسقيت أعداها سموم الاساود |

أنا عنتر الكرار فى حومة الوغى ... أبيد رجال الحرب ليث مجالد
كررت على جيش العدى بمهند ... يرى الموت فى حديد ماض وعائد
وعدت ومهرى فى الدماء مخضب ... فى قبضتى لون الظلام ماجد
وأما ابن مناع تركته مجندلا ... يعض أديم الأرض عضة فاقد
ومارست وجه الغول فى قسطل الوغا ... وأضحى سريعا فى الفلا عدد
وقابلت الاعكاش والنقع ثائر ... وخلفته فى الأرض يبحث باليد
وفرقت فرسان ابن دينار فى الفلا ... وسعدى على ذاك الفعال مساعد
واستأسرتنى بنت همام خداعه ... ومكرا وأن المكر طبع الخرايد
تماطيت فى قيدى قطعت شداده ... وقمت وربى فى الظلام مساعد
وجدت له بالعفو منى تكرما ... وهذى فعالى دائما وعوايدى
وأسرت للدمهار فى الحرب عنوة ... وعـــدد ونجمى السهاد عادد
ولما أتى جيش النجاشى لقيته ... بصدر قوى لايخاف الشدائد
وصلت على أبطالهم بمهند ... صقيل ورمح من رماحى مسدد
وبارزت العبد زنجير الهمام بقوة ... فابصرنى ليثا قوى المعاند
هماما صبورا قسوريا صيدعا ... قوى على الأهوال يوم التجالد
وحق إله العرش والركن والصفا ... وما بينهم من كل بر وفدفد
بانى مالاقيت فى الحرب مثله ... ولا شكله والله ربى مساعد
فقارعته يومين من بعد ستة ... وعاجلته بالسيف أفرى الورائد
فخر صريعا يكضم الأرض ثاويا ... على وجهه ملقى بغير وسايد
وعدت ومهرى بالدما مخضب ... على نحرى والصدر يحكى القلائد
وخضت بمهرى فى جموع جيوشهم ... وقدت النجاشى قوة فى الصفائد
أسرت ملوك الزنج يا عبلة كلهم ... وجندلت باقيهم بضرب الجنايد
وصالحت جمع القوم لما عرفتهم ... وحزت العلالا بلغت مقاصد
رجعت وقد ظهر الجليم أقاربى ... وقد خر لى من هيبتى كل ماجد
وهذى فعالى بالعداة سفاهة ... وإن عصوا قابلتهم بعوائد
وبذلت حد السيف فيهم مع القنا ... وخليتهم رزقا لوحش الفـــلا

فلما سمعت ملوك السودان هذه الأبيات من عنتر قالوا لله درك من فارس أمجد وحسام مهند ثم أنهم جدوا بالمسير إلى أن وصلوا إلى بلاد الملك الدمهار فاقاموا فيها ثلاثة أيام وهم على أكل وطعام

وشرب مدام وبعد ذلك قدم الدمهار لعنتر خمسين رأسا من الجنائب لا تقدر أن ترفع رأسها عليها من الآلات والمواكب وخمسين رأسا من النوق والجمال وخمسين رأسا من البغال عليها صناديق الأموال فالاقمشة الغوال ويتبعها ما تتاعبد لاجل الشيل والحط وسار الملك فيمن معه من الابطال للوداع يومين كوامل وعادوا راجعين إلى بلادهم وسار عنتر الأسد الغضنفر هو ومن معه إلى أن وصلوا إلى أرض ذات الاعلام فوقعت بقدومهم البشائر وعملوا الولائم والدعوات واغتنموا الاوقات سبعة أيام متواليات وبعد ذلك أمر عنتر أصحابه بالارتحال فاعطاه الملك همام شيئا كثيرا من الانعام ودقت كؤس الارتحال وحملوا النوق والجمال فساروا طالبين ديار الملك غوار ولما أن وصلوا اليها نزلوا فيها نزلوا على نية المقام أيام ولما أن كان اليوم الرابع دقت كؤس السفر بالارتحال فساروا طالبين ديار الملك لون الظلام فوقع الفرح والاستبشار ثم انهم أقاموا ثلاثة أيام فى أكل طعام وشرب مدام فبعدها طالب عنتر فساروا إلى أن أشرفوا على بلاد شريف وهى منازل بنى قضاعة فنزلوا فيها وضربوا الخيام ومدوا الخيل الطواف واغتنموا الأوقات باللذات وأقاموا على أكل طعام وشرب مدام عشرة أيام وميمون بن رحمون يبذل لهم الاكرام ويقدم لهم الاموال وكانوا على السفر فى اليوم الحادى عشر حلف عليهم وأعاقهم عدة شهر كامل فبعدها طال شوقهم إلى ديارهم والاطلال وكانت مدة أقامتهم فى هذه الديار والأميره خمرة مريضة الا أنهم لما نووا على الرحيل ماتت أيامها وفاتت فدفنوها فى بلادها فبكى عليها مصوب ولدها وأقاموا الاحزان سبعة أيام وفى اليوم الثامن رحلوا وشدوا على الخيل والبغال وحملوا الاحمال وساقوا النوق والجمال بعدما سلموا البلاد إلى ميمون بن رحمون وحكموه على كل من قبها من العربان والسودان وكتبوا له بذلك تشريفا أنه ملك الديار فساروا بعدها يطلبون الديار والاوطان وعنتر بجانب صفوان فانشد يقول :

| | |
|---|---|
| يابنت مالك مالك لاتبعثى | طيف الخيال ليطفىء الحسرات |
| فوحق وجهك ياعبيـــلة أنه | به تصـــاد الروح بعد ممات |
| إنى دخلت دار غوار لكى أننى | أسقيه كاسات من الآفات |
| فرأيت شبانا لهـــم وبنا تهم | ياعبـــله تشبه اخوتى وبناتى |
| والليث همـــام نعم رجاله | أولاد خالى والنسا خالاتى |
| ياعبلة ها أنا قادم فى جحفل | منهم كليل لاح فى الظلمات |

وهمو على دهم جياد كانهم صخور من جبال راسيـــات
سودان أجسام لهم وقلوبهم بيض كتاج فى آفاتـــه آتى
ياعبلة انى كلـــا هب الصبا ادعو دعاء مستغرق الاوقات
نار الغرام وبحر الشوق أقلقنى فالبحر أدمعى والنار من زفراتى

فلما فرغ عنتر من إنشادة سكر من ذلك الشعر صفوان ومن معه ولم يزالوا فى المسير إلى أن قاربوا أرض الشربة والعلم السعدى فقال عنتر ياشيبوب اسبق إلى ديارنا وبشر قومنا بقدومنا حتى يطلعوا إلى لقائنا فيفرح أصدقائنا وتنفطر مرائر أعدائنا من هذه الاموال التى معنا فانطلق شيبوب مثل ريح الهبوب فما كان غير ساعة من النهار حتى أشرف على الديار فتحيرت من ذلك الاجناد فوقع بهم الفرح والاستبشار فسأل الملك قيس عن الخبر فقالوا له يا ملك عنتر وصل ففرح واستبشر و شيبوب قد وصل اليه وقبل يده وقص عليه وما أتى مع أخيه من الأموال والخيل فذابت من بنى زياد الأجسام وتفتتت الاكباد إلا أنهم أخفوا الكمد وأظهروا الصبر والجلد وركبوا موافقة للملك قيس ونشروا على رؤسهم الرايات والأعلام إلا أنهم ما أبعدوا عن الابيات والعبيد بينهم تلعب بالسيوف والاماء تضرب بالمزاهير والدفوف حتى أقبل عنتر ومن معه من السودان وهم كانهم زهر البستان بالثياب الملونات والعمائم المعلمات وخلفهم الجنائب والمواكب المرصعات والبر يرهج من العدد المذهبات فاخذتهم الحيره والانبهات فلما وقعت العين على العين علت الأصوات فترجلت السادات وترجل عنتر لما وقعت عينه على الملك قيس سعى إليه فرمى الملك قيس نفسه عليه وضمه إلى صدره فقبله بين عينيه كذلك فعل مع أصحابه وأولاده وأخوانه السودان وسلموا على الملك صفوان ابن معدان وعلى من معه من الرجال والفرسان هذا وبنى زياد تتفتت منهم الاكباد فتقدم الربيع بن زياد إلى عنتر بن شداد وقال له يا ابن العم لا كان يوم لا أراك فيه ولا زمان مع غيرك تقضيه فلازلت فى سعد مزيد ولازال النقص فى أعدائك قريبا وبعيد فشكره عنتر على مقاله فسلم عليه وعلى رجاله وهو ذلك الحال وإذا بالبغال قد أقبلت وعليها صناديق الأموال واقبل بعدها النوق والجمال فانزلوا ما عليها من الاحمال والثياب الديباج فالجواهر الغوال فقال الربيع بن زياد مما وقع فى بنى عبس الاندهال مما رأوا من كثرة الاموال فقالوا للملك قيس والله يا ملك ما نظن أن عنتر ترك فى بلاد السودان لاخيل ولا جمال إلا ساقها معه إلى هذه

[illegible]

ذلك فرق على أعمام الملك قيس وإخوته وفرسانه وفرق على بنى زياد الأوغاد فما منهم إلا من انفقعت مرارته فقال عمارة الربيع والله يهون على أن أموت ولا يصير لعنتر هذه الأموال لا سيما وقد ظهر له قريب وأخوال هذا وعنتر فتح صناديق الأموال فأخرج الثياب الملونات وخلع على بنى عبس السادات ففرق على العبيد والأموات فأعطى الأرامل والأيتام فزادهم فى الاكرام إلى المضارب فالخيام وأنزل عنتر لصفوان ومن معه فى محل فسيح الجنبات وأمر لاخواته أن ينقلوا لهم ما يحتاجون من الأوانى المذهبات وضربت لهم القباب فالبازات فالسرادقات العاليات فأنزلهم قدور الطعام وآنية المدام فأمر العبيد والغلمان أن يذبحوا النوق فالفصلان فصار بعد ذلك إلى عبلة فلما أن رأته قامت تلفتت ووقفت فى صدره وقبلته وبمعرفة أخواله هنته فاعتنقها عنتر وقبل خدودها فبين عينيها فأمر العبيد فساقت الأموال إلى بين يديها ونزلوا فى الأبيات وقد طابت لهم الأوقات ولعبت المولدات فانسوا فى اللذات فأكرم عنتر لصفوان ومن معه من رجال السودان غاية الاكرام فأفاض عليهم من الإنعام وعمل لهم الدعوات فأسقاهم المدام على المروج والغدران إلى أن كان يوم من الأيام وهم على غدير ذات الارصاد يشربون المدام إذا أقبل إليهم نجاب فلما رآهم ميل إليهم فسلم عليهم فتبينه صفوان فاذا هو من نجابين السودان فلما أقبل عليهم ترجل وسلم فقال لصفوان يا مولاى إن الملك هام يسلم عليك فهو يأمرك بالمسير إليه عسى أن تلحقه لأنه مريض مرض الموت ويخاف أن يموت فيخرج الملك من يديه قال الراوى فلما سمع صفوان هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه فأمر رجاله أن يأخذوا الأهبة للسفر بعد أن استأذن عنتر فى الرحيل فعند ذلك خلع عليه وقاد الجنائب بين يديه وأنفذ معه الهدايا إلى ملوك السودان فساروا بعد ذلك إلى السودان يطلبون ديارهم فالأوطان وقد تسامعت العرب بقدوم عنتر إلى البلاد فأتوا إليه يهنوه وكان فى جملتهم ابن أخته الهطال وعمرو بن معد يكرب ومعه هدية سنية فخيول عربية فأكرمه عنتر غاية الاكرام وقال له يا أبا ثور فيماذا أتيت ولأى شىء تعنيت فقال يا أبا الفوارس لأجل السلام عليك ولأهنيك بالقدوم فشكره عنتر على صنيعته وقضى معه ليالى وأيام كأنها أضغاث أحلام وهم على أكل طعام وشرب مدام ثم أن عنتر أعطاه أضعاف ما أتى به من الهدايا ولما ودعه عمرو رحل من عنده طالب أهله وبلاده فلما تبطن البر قال لأصحابه الذين معه يا بنى عمى كيف نعود إلى قومنا من هذه السفرة بلا مال وأنتم تعلمون ما علينا من الكلف اطلبوا بنا كنانة لعلنا نظفر بفرقة منهم فنسوق أموالها لان أرضهم قليلة المرعى فقالوا له سر بنا أينما شئت وكانوا الذين معه خمسون فارسا قومه وقد جربهم

فى النائبات الثقال فخلص بهم الاموال فأرسل منهم عشرة إلى الديار بالاموال التى أعطاه عنتر وسار بالباقى فى القفار إلى أن وصل إلى أحياء بنى كنانة فكان فرقة متفرقة منهم بأرض واسعة ومناهل نابعة فكانت هذه الفرقة صالحة الحال نوق وجمال عندها قال عمرو يا بنى عمى قد ظفرنا بما نريد اطلبوا اينا مراعى القوم فسوقوا ما فيها من الاموال فعند ذلك تفرقوا حول الخيام فرأوها خامدة فذلك يدل على رجالهم غيابة فقال عمرو هذا النام من جملة السعادة ثم أنه تامن فرأى عبدين قد أقبلا من المرعى يطلبان الحى فركض حتى قاربها فقال لهما يا مولدين العرب أين فرسان الخيام فقالوا اله يافتى اعلم أن بعضهم قد سار إلى زيادة أهله وبعض فى الصيد وما فى المضارب إلا نفر قليل فما الذى تريد ومن أى العرب أنت تظنك غريب فقال عمرو قد أتينا نسوق أموالكم من هذه المواسع ونقتل من يتطلب إلينا فان أردت السلامة سير مع أصحابى فدلهم على مراعى الخيل والجمال حتى نفضلكما على سائر العبيد فتكونوا عندى مكرمين فلما سمعت العبيد من عمرو هذا المقال هرولوا إلى رابية عالية فوقف واحد منهم على أعلاها وقال يا ابن معدى لقد خاب فى هذه السفرة طريقك فقل توفيقك فدونك ودون أموالنا نار وراء أموالنا نار لا تطفى فسيف لا يثلم فاسمع نصيحة النصاح لانى لك من الناصحين وإلا بقيت فى هذه الديار رزق للنسور فالعبقان فلما سمع عمرو هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له ويلك يا ولدى الزنا فبأى شىء تخبرنى قل لى فلك الانعام ذلك أن دمك على حرام لانك عبد ابن أمة فلا فى قتلك مكرمة فقال له العبد نعم يا عمرو إنى عبد ابن أمة لكن ما أشير عليك إلا الصواب فالرأى عندى أنك تقطع من هذا الأرض المطامع فتعود عنها راجع قبل ان يصل إلى مولاى الخبر فيلقكم يقتلع منكم الاثر فترون فارس حاز سائر الفضائل بطل ما مثله فى سائر القبائل فان حل فرق المحافل على ان عبيدنا قد ابصروكم فاقول إنهم مضوا ليعلموه باحوالكم فان صح ذلك فقد دنت آجالكم والصواب ان تطلبوا النجاة قبل ان يشرف عليكم من من الربات ثم انشد هذه الابيات

عد سليا من فارس لايبالى | بحضور الآجال يوم المجال
فدع عنك الاطماع ياعمرو فينا | فاسمع منى نصيحتى ومقالى
يا ابن معد إن للحى فارس | لايبالى بطارقات الليالى
بطل طعنته اشد من الرعد | إذا اشتد فى اعالى الجبال
فارتحل واترك الخصام فانى | لك ناصح فى جميع الخصام

(قال الراوى) فلما فرغ العبد من هذه الايات زاد بعمرو النيران فصاح به ويلك يا عبد السوء المثلى يقال هذا المقال ومثلك يهددنى بالرجال وانا صاحب المقامات

المشكورة والغزوات المشهورة ثم أنه أجاب العبد على عروض شعره يقول .

يابن الفاجرات والأندال ... أتهدد مثلي بوصف الرجال
فأنا صاحب الوقائع والحرب ... وأنا الفارس القليـــل المثال
أين هو الفارس الذي وصفت صفاته ... وفضلته على جميع الرجال
وحق البيت الحرام ومن فيه ... من الساكين ذي الاجلال
لا أبرح حتى أسوق معي المال ... والنيـــاق جمعا سمر العوال
وأخلي الرجال في حرمة الحرب ... وأتركهمو صرعى على بنساط الرمال

فلما فرغ عمرو من شعره قال له العبد ويلك لا تفعل فوحق الليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر إن الذي وصفت لك هو طارقة الليالي فإن أنت أقمت بعد هذا المقال فما أنت إلا نفسك مخاطر فاني سمعت عنك أنك فارس معدود في الفرسان وبطل يوم الطعان إذ أنك ما نظرت من شجاعة هذ الذي وصفت لك ولا عاينته بعينك ثم أن العبد أشار إلى الأمير عمر ويقول هذه الأبيات

أبا عمرو أنت بالرجال خبير ... وعلى الفوارس بالصواب تشير
دع ما ذكرت عن الشجاع الذي ... قد قلته ياعمرو كله زور
ما أنت كفؤ بني كنانة يا فتى ... ولون أن خلفك جحفلا مذكور
وترى شجاعا في مضارب سيفه ... أجسل على على مرج الرجال يدور
فوحق منى وزمزم والذي ... نوى إليه في العلا ونشير
إذا لم تكن ياعمرو حيارا جما ... ويفيــــدك التخوف والتحذير
أمسيت في وسط العجاج مجندلا ... تهوى إليك بواشق وصقور

فلما فرغ العبد من هذه الأبيات اشتد بعمرو الغضب من كلامه فنزل عو أنه يسقيه كاس حمامه ثم أنه عاد إلى عقله وأمسك عنه وقال له طرد الله قومك ما أكثر لؤمك اذهب من وجهي وإلا وحق ذمة العرب أسقيك كأس العطب فعندها ولى يطلب الوادي فقال . عمرو للرجال يابني عمي دونكم وهذا المال فبلوغ الآمال ثم أنفذ ثلاثين فارسا إلى المرعى تسوق الأموال فتقتل الرجال ودخل هو بالعشرة بين المضارب فالخيام فرأى مضربا بمعزل عنها وحوله جماعة من العبيد فقال عمرو أظن هذه الخيمة مقدم القوم الذي خوفنا العبد منه وفيها لاشك أخته فزوجته فلابد ما أسبي الجميع وأترك افجع مضيع حتى أرى هذا الفارس ما يصنع إذا تركت ديار قومه بلقع فيعلم ذلك العبد أن كلامه معي ما نفع ثم أن عمروا تقدم بالجواد إلى باب المضرب ورفع سجافه بطرف الرمح ونظر داخله فرأى جارية كأنها سراج تتوقد في ليل داج ولها عيون أحسن من عيون المها وإلى جانبها عجوز قد عبر أكثر

عمرها وخالط البياض شعرها ولها وجه كالترس الواسع ولها أكتاف غراض مثل أكتاف الرجال والجارية تبكي من شدة الخوف فالعجوز تنهاها وتقول لها يا بنتي لا تفزعي من العدا بطول ما يعيش حامينا فانفذنا إليه في الصحراء عن قريب يأتي ثم أن العجوز التفتت إلى عمرو فرأته قد شال سجاف الخيمة بالرمح فقد التوى كأنه الباشق فقالت من أنت ومن هم قومك الذين يفعلون هذه الفعال فيستحسنون سبي النساء في غيبة الرجال فقال لها قومي يا لخنا اخرجي أنت وابنتك ومن عندك من الجوار وإلا وحق ذمة العرب وضعت هذا السنان في صدرك أنا عمرو بن معد يكرب فقد سمعت عن فارسكم قال هو الذي أحوجني أن أفعل هذه الفعال فلا أزال في أرضكم حتى يأتي هذا الفارس فأبارزه حتى يبان من هو الغالب وبعد ذلك أطلقه فقالت العجوز والله يا عمرو إن أنت بارزته ما عدت رأيت أهلك ثم أن العجوز قامت معه غصبا وهي تلطم خديها فكذلك الجارية بلت بالدموع عقودها وكان على أكتافها ضفيرتان شعر أطول من أذناب الخيل أسود من الليل وهي تتمايل كأنها الغصن من شدة ثقل أردافها فلما عاد عمرو من المضرب رأى رجاله قد نقلوا بما فيه ونهبوا الأموال والنوق فالجمال فأمرهم برفع النساء والبنات فوق الأحمال فتركوا الحالة بلقعا قفارا فساروا يطلبون الديار وعمرو سائر بجانب الجارية وصار يرق لحالها في الكلام فكانت الجارية قد زاد صيا حها فعول عمرو أن يتركها من بعض جواره وهو يتمتع بحسنها فأنشد يقول :

| | |
|---|---|
| أنا عمرو وفارس الخيل في الغزوات | واقنص الأسود من بعض الغابات |
| ولكم خضت بمهري نحور قوم | ولم أخف الموت عند النائبات |
| وقد غزونا حي عامر وبني كنانة | وشتت شملهـــا بالصافنات |
| سبينا كل عـــذراء من بنات | وانثنت منهن عذراء يا عين كالمهات |
| وانثنت خوفاً وقامت بحياء والتفات | وأمها تنساق قهراً كسوق بعض الأمهات |
| وأسرعت خوفاً قالت كن رؤوفاً بالبنات | وأحسن الصحبة معنا أخونا اليوم يأت |
| وترى لنا هزبرا قد حوى كل الصفات | أمرد ما فوق خديه سوى أثر النبات |
| أخبر الناس جميعـا المصـــلات | مطعما في الحرب حقا بجفان مترعات |
| بجفان كالجوابي وقدور راسيات | بلت هذا قد سبقنا أهلنا من قبل يأتي |
| وإذا نحن التقينا بالسيوف المرهفات | فأن من يبقى طريحا للوحوش الرائعات |

قال الراوي هذا وعمرو يجد بالمسير فسار يقطع البر والهجير وقلبه بالجارية قد التهب وهو في كل لحظة يزداد من أمرها عجب وأما الجارية فقد زاد بكاها وعظم نحيبها وشكواها ثم

وتطول غيبتنا فقالت أمها بنيتي أصبرى على جمر الظاولا تعترضى على حكم القضافان الله إذاشاء دفع عنك هذا البلاء ثم التفتت إلى وراءها فاذا هى ترى فارسا قدأقبل وهو بالحديد مسربل كأنه القضاء المنزل وهو يخب بالجواد ويقول أين تنجو من غبار المنايايا أرغاد فقالت تلك العجوز قد لحقنا من قومنا فارس وأظنه أخاك ولكن ما حققته لضعف بصر عندما تبينته البنت وقالت هذا السابق بن معمرى فلما رأى عمرو ذلك الفارس وهو يخب بالجواد وقف فاذا هو رجل قد أحناه الكبر وتحته جواد أشقر فقال لقومه سوقوا أنتم الاموال وأنا أقتل لكم هذا الفارس فقالوا له بعض بنى عمه خذنا معك لئلا يكون هذا هو الفارس المقدم ذكره فخذ حذرك منه ومن شجاعته فقال لهم لا أخشى منه فلو أنه كان شجاعا لكان أتى الينا من بن أيدينا واما عمرو فقد استقبل الفارس وأراد أن يسأل عن حاله وإذا به ينادى يا ويلكم من أى العرب أنتم يا أنذال ومن الذى أتى بكم إلى هذه الاطلال لقد ساء ظنكم وضاع تعبكم فى البطال وأن القضا ساقكم رجلكم إلى آجلكم فلما سمع عمر ومن الفارس هذا الكلام قال له ما أجملك من دون العربان لمثلى أنا يقال هذا المقال وأنا عمرو بن معدى سيد الابطال فقال له أبن معمرى لقد ذكرت لنا أحسن مذكور والصواب أنك تردما أخذت من الاموال وتعود من أرضنا سالم والا صرت نادم وتأكل لحمك النسور القشاعم لأن بنى كنانه لا ينهب [illegible] ا أموال ولا يسبي لها عيال فنحن الذى نخشنه الأسد الدحال فقال عمرو أما المال فهو مع بنى عمى وقد ساروا به ولا يقدر أحد يرد منه عقال وأنا أجئ اجازيك على هذ المقال وأجعلك ملقا بين الرجال وانشار يقول

دع عنك أسباب المحال والخدع  فما أنا مما يداخــــله الفزع
فالمال قد سار وفى البر اندفع  ولا بقى فيه لمخلوق طمع

قال الراوى فلما سمع الكناني مقاله أشار يقول هذه الابيات

ياعمرو وافاك المحال والخدع  فذاك الطير وإن لج وقع
اليوم أسقيك من الموت جزع  بصارم لو صادم الصخر انصدع

قال الراوى ثم أنهما بعد ذلك جالا وصالا وقد دام بينهما الطعن فطعن عمرو الكناني فى صدره طلع السنان يلمع من ظهوره فنزل عن جواده وقطع بالسيف رأسه وأخذ لباسه وآلة حربه وعاد إلى أجناده هذا والجارية أيست من الخلاص وقالت لامها هذا ماله أخى لأنه ما للحدين إلا الحدين ثم أن الجارية حولت عينيها إلى البر فرأت فارسا مقبلا كأنه شعلة نار

وهو يخب بالجواد وهو ينادى وآحر قلباه على الحريم والاولاد فعندما قالت الجارية لأمها هذا فارس ثانى لعله يكون أخى فقالت أمها لو كان أخاك لكان آتى بين يدى الأعداء ويلقى الخيل كعادته من صدورها ويطعن الرجال فى نحورها فلما نظر عمرو الفارس سلم أصحابه سلب المقتول وعاد إلى الآخر فسمعه وهو يقول من هذا الفارس الذى ساق أموال الناوسى حريمنا فقال عمرو هو الفارس الذى لا يخاف كثرة عددكم فدع عنك الفضول وعد بالخيبة وإلا تكون مثل صاحبك مقتول فقال ويحك ياعمر ورد الطعن إلى الديار وإلا والله فقدت اليوم شبابك وحزنت عليك أصحابك لأن خلفى رجال تهد برماحها الجبل لاسيما فارسنا الذى قد نشأ فى هذا الزمان وكأنك به وقد ظهر من بين يديك ويطعنك فى صدرك ويطلع سنان الرمح من ظهرك قال الراوى فلما سمع عمرو كلامه أخذه الغيظ والحنق وقال والله ياندل بنى كنانه لاقطعن آثاركم من هذه الديار ولا تركنكم حديثا لمن قال وسار لانى ماأخذت الأموال إلا شوقا إلى فارسكم الذى وصفتموه لأن بعض عبيدكم وصفه لى فى الاول عند قدومى عليكم فن أجل ذلك فعلت هذه الفعال وسبيت الحريم والعيال وأخذت الأموال وأنا اسأل من بيدة الأرزاق والاجال لا ينتهى حتى يجمعنى أنا وإياه فى الميدان ثم أنه حمل على الكنانى وأنشد يقول :

| | |
|---|---|
| وصفتموا للفارس الكنانى | قد زادنى حزنا على أحزان |
| وأن جمتنا ساحة الميدان | تعاينوا شانه من شانى |

( قال الراوى ) ثم اصطدما والتحما وعلى هلاك النفوس عولا وبشفاء السيف التطما فدار بينهما الضرب وكان الفارس الكنانى شديد القوى فصار يطاعن حتى تثلمت بايديهما السيوف وأشرفا الجوادين على الهلاك والفنا فترجلا فى ساحة الميدان وأخذا فى معانى الصراع حتى خاف كل واحد من صحبه ففزع عمرو من المطاولة أن تلحقه الابطال فدخل فى خصمه واحتمله من الأرض ورفعة إلى فوق وجلد به الأرض وعاد إلى جواده فاذا بفارس طلع من خلفهم وتحته جواد يبلغ صاحبه المراد إلا أنه ما وصل إلى مصرع أخيه فوجده مجندل فوقف عليه وجرى الدمع من عينيه فصار يقول هذه الابيات :

| | |
|---|---|
| سقوك المنايا يا أخى فليتنى | شربت من الكاس الذى أنت شاربه |
| وفارقتنى رغما كنت عدتى | على زمن قد أعجزتنى نوائبه |
| سأسقى الذى سقاك منية | بسيف صقيل لاتمل مضاربه |

ولا قطعن الرمح فى قسطل الوغا | إذا ما غبار الحرب مالت جوانبه
وإن خانى صرف الزمان فما أنا | أكن بالذى عزت عليــه مطالبه

قال الراوى ثم أن الفارس الكنانى مال إلى عمرو فسأله عن حاله فسكت ولم يجبه مقاله لأنه نظر إلى الغبار خلفه وقد طلع فتتابعت الخيل من السيل إذا هم بحمل عليه حملة جبار وطعنه طعنة من قاسى الشدائد فخرق درعه وفؤاده وتلق بعد صدور الخيل فنزل نزول السيل وما زال يطعن فى صدورهم وأجنابهم حتى ردهم عمرو على أعقابهم فعادت تطلب النجاة من عذابهم فعند ذلك عزم عمرو أن يلحق بأصحابه الذين كانوا مع الغنيمة فرآهم عادوا إليه وهم سائحون فسألهم عمرو عن حالهم وقال لهم ما الذى دهاكم فقالوا له انجدنا ودع السؤال فقد ملكت منا الأموال وأخذ منا الظعن والعيال لأننا كنا بين يديك سائرين وإلى نحوك ملتفتين وإذا قد اعترضنا خمس فوارس مثل الصقور على خيول كأنهم الطيور بين أيديهم ذلك العبد الذى جرى معه ما جرى لعمرو من الكلام وهو يركض فى عرض البر ويقول ويلك يا ابن معدى دع ما أنت فيه من الجور والتعدى فها أنا قد أتيتك بالفارس الذى أوعدتك به فاليوم يصرم عمرك ثم مال إلى الظعن منهم أربع فوارس وأماهو فصار يصيح يا بنى الزوانى كيف تسبو حريم الفارس الكنانى أبشروا بشؤم أسفاركم وقطع أنابيكم ثم انقض عليهم انقضاض فأطلقوا نحوه الأعنة فرآه شيطان بصورة إنسان فهو مضيق اللثام فعند ذلك حمل عليهم فوقع الحرب بينهم حتى قتل منهم عشرين فارس شجعان فصاح عليهم العبيد من كل مكان وأحاطوا بالسبى والأبطال وقد ملؤا السهل والجبال فلما رأوا إلى هذه الفعال ألووا الأعنة حتى قاربوا عمرو بن معديكرب الأسد الرئبال فشكوا له عن ما رأوه وبتخليص السبى أخبروه قال الراوى فلما سمع عمرو هذا الكلام عض على كفيه وقال والله لقد شمت هذا العبد بنا والآن قد انخرق ناموسا وما بقينا نخلص من هذه النوبة فعودوا معى حتى أرد لكم الأموال فقالوا له يا عمرو هذا فارس جبار فإن صرعته التقينا نحن عن كل من فى هذه الديار فقال عمرو وأنا كفيكم شره وأضرب رقبته على أننى لو كنت قتلت هذا العبد من الأول ما كنا إلا سلمنا فلا حصل لنا هذا العنا لأنه هو الذى ساق الخيل وباردنا بالويل وكان العبد لما رأى عمرا قد ميل إلى الخيام وقد أراد سبى النساء والعيال فركض فى البر وطلب مولاه فاعلمه بما جرى له مع عمرو من المقال فقال له ويلك يا ولد الزنا خذبنا فى عرض البر واطلب بنا مقدمة القوم

فأنا أعلم أن النساء تسبى وتنهب الأموال وما تلحقهم حتى تتعب التعب الشديد لأن المدى بيننا بعيد فقال العبد والله يا مولاى لقد صدقت ثم أنه غدا فى البر لأنه كان عبدا نجيب تقطع بهم البر حتى أشرفدا على الطعن فأمر الفرسان الذين معه أن ترد البنات والتقى هو وفرسان بنى زبيد فأنزل بهم الويل الشديد ورجعت بقية الفرسان يخبروا عمرو بما جرى فزحمع عمرو بمعهم على أنه يكفيهم مؤنة هذا الفارس فما سار غير بعيد حتى أشرف على المال والفارس الذى قدمنا ذكره قدام الهوادج وكان اسم هذا الفارس ربيعة فصار يقول لأخته ما قصرت من اتباع الخيل إلا من تقصير الجواد وأنت تعلمين أنى لا بد ما أخلص أموالنا فسوف تدين كيف أنهب أرواحهم من الأجساد وأريك هذا اليوم ما يسر قلبك فيهم وتقر به عيناك ثم أنشد هذه الأبيات :

| | |
|---|---|
| أقلى يا أخت من بـــكاك | ولا يحزنك ما فعلوا عداك |
| فقد جازيتهم وقلتت منهم | رجالا ظالمين ما هتكوا سواك |
| وقد أعددت للباقين سيفاً | أجرعهم به غصص الهـــلاك |
| وأن لاقيت ليثهم المسمى | أبا ثور شفيت به جواك |
| وخليت النساء عليه تبكى | إذا جنى الظلام مع البواكى |
| ألا يا عمرو من أغراك حتى | تريد الصيد من أرض الأراك |
| ألا يا عمرو وافتك المنايا | إلى من لا يرى لديه شاك |

قال الراوى فعند آخر هذه الأبيات أقبلت فرسان بنى زبيد وهى تركض فى جنبات البيد وعمرو يقدمهم كأنه العربيد فابصرتهم أم الغلام فقالت لولدها ربيعة ها قد أتاك أبا ثور فخذ حذرك منهم مع أنى والله أشفقت على عمرو فقلبى مال إليه لأنه يشبه أبيك فى خلقته وعرض أكتافه فقال ربيعة نعم قال الراوى وكان هذا الفارس من الأبطال شجاعا تخر لهيبته صناديد الرجال ماذكر اسمه فى الآفاق ونحن لا بد أن نذكره حتى تحصل الفائدة وكيف منشأهم وما جرى لهم وكيف كانت أحوالهم قال الراوى ذلك أن زيد بن المكدم سيد بنى كنانة وهو من أصحاب الوفاء والأمانة وكان قد مضى عليه مدة الزمان وهو لم يرزق ولدا ذكر فشكى ما به إلى كاهن من الكهان من أجل ذلك الشأن فقال له بعض الكهان اعلم أنه ليس لك دواء ولا لعلتك شفاء إلا أن تحمل إلى مكة هدايا وإنعام وتتوسل إلى الأرباب والأصنام وتطلب من الرب الدائم على الدوام أن يرزقك ولدا ذكرا يحيى ذكرك

وبين الأنام ويخلفك فى قومك وأصحابك بعد عدمك ومصابك لأن هذه لاتدخل تحت قدرة المخلوق ولا حكيا من الحكما. قال الراوى فلما سمع المكدم ما أشار به الكاهن وتكلم علم أنه خبير عارف بالأحكام فعول أن يفعل ماقاله من الكلام وصبر إلى أن أتى أوان الموسم ونهض إلى ما عليه عزم واقتطع قطعة من النعم والأنعام وسار بها إلى البيت الحرام ثم نحرها وفرقها على الأرامل والأيتام وسكان زمزم والمقام ثم أنه بعد ذلك رفع طرفه إلى السما. ونادى يا عظيم العظماء ويا باسط الأرض ورافع السماء يا من سخر الرياح وأنزل الماء أسألك بإبراهيم الخليل والذبيح إسماعيل أن ترزقنى ولدا ذكرا تقر به عينى ويشتد به ركنى ولا يزال المكدم يدعو ويتوسل ويبتهل إلى الله عز وجل حتى ولى النهار وأقبلت الظلمة وبات تلك الليلة فى الحرم فرأى فى منامه هاتفا يقول اذهب يا وجه العرب من يومك إلى قومك وادخل بأهلك فقد سمع الله نداك واستجاب دعاك قال فعند ذلك انتبه المقدم من رقدته وقد استبشر ببلوغ أمنيته وعلم أنه قد قضيت حاجته وبلغ المنا ونال كل ما يتمناه فلما انقضى الحج وتفرقت الخلائق وقد نالوا المقصود وذهبت عنهم العوائق فعند ذلك ركب المكدم ناقته وتوجه نحو قومه وعشيرته وهو ينشد يقول :

| | | |
|---|---|---|
| سألت رب البيت ذا الجلال | يرزقنى شبلا من الأشبال | جاءنى الهاتف فى الليالى |
| وقال لى اذهب إلى الأطلال | وابدر الحب فى الخلال | يأتيك ليث صادق المقال |

قال الراوى ولم يزل المكدم يقطع القفار يجد السير ليلا ونهارا حتى وصل إلى الديار ففرح به أهله وعشيرته وهنوه بحجته وزيارته ثم بات تلك الليلة وواقعها وقد زال همه حملت تلك الليلة منه ولم تزل الأيام تمضى والليالى تنقضى حتى انقضت مدتها وقربت أيام ولادتها فلما كان فى بعض الليالى ولدت غلام ذكر كأنه القمر فى ليلة أربعة عشر وفى حديثنا سير وأحاديث وفكر وعجائب وعبر والمسلم لا يبخل بالصلاة على سيد البشر وفخر ربيعة ومضر محمد الذى كان إذا مشى على الرمل ما يبان له أثر رضى الله تعالى وعن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى حيدر قال الراوى فلما وضعت زوجة المكدم هذا المولود فرح به المكدم ونحر النحائر وصنع الولائم ووقعت الأفراح والبشائر ودقوا بالدفوف والمزاهر وسماه أبوه ربيعة وبقى فرحان بطلعته البديعة وأرضعته المراضع وهو كالقمر الطالع وحملته الستات والعبيد وترعرع حتى كبر وصار له من العمر ثلاث سنين وأبوه أفرح الخلق به من دون رب العالمين فلما أتى أوان الحج قال المكدم لزوجته يا ابنة العم أنى أريد أزور البيت الحرام وأسعى بين زمزم والمقام وأقضى حق الأوثان والأصنام فقالت له افعل

يا ابن العم ما بدا لك اجتهد فى إصلاح حالك قال فعندذلك أخذوا أهبتهم الرحيل من غير تطويل وشد لابنة عمه هودج على جمل ولا مرصع بالذهب الوهاج ثم رفعها هى وابنها إلى هودجها وأخذ معه من قومه عشر فوارس ما يخافوا الحمام وسار حتى قدم البيت الحرام وفعل ما تفعله العرب الكرام من الالزام فلما انقضت أيام الحج وأوطارها عادت كل قبيلة تطلب ديارها وعاد المكدم سار طالب الأهل والديار إلا أنه ما سار شيئاً قليلا حتى طلع عليهم خمسون فارس مثل السيل الذى يسيل وهم غاطسون فى الحديد متسربلين بالزرد النضيد مكثرين من الزرد والسيوف والدرق هم من عرب يقال لهم بنى المصطلق لهم مقدم فارس فتاك يقال له وائل ابن الضحاك وكان آفة من الآفات كثير الغارات يبغى على السادات قال فلما نظر المكدم إلى ذلك ما معه غير عشر فوارس فاطبقوا عليه تلك الخمسين فارس نادوا به ويلك خل عن الظعن و لغنائم قال فلما سمع المكدم مقاله التفت إلى رجالهم قال لهم يا بنى عمى فى مثل هذا اليوم يبطل العتب واللوم ثم حمل كأنه الأسد الغضبان وحملت خلفه الفرسان فعند ذلك حمل على الخمسون فارس من بنى المصطلق فعملت بينهم السيوف الحداد حتى قتل من كنانة عشر فوارس بعد أن قتلوا من أعدائهم عشرين فارس وطعن وائل المكدم فجاءت الطعنة فى فخذه فوقع عن جواده فعند ذلك انهزمت الثلاث فوارس كل واحد أيس من روحه بالممات فاحتوت الأعداء على الهوادج والرجال نهبوا ما معهم من الأموال وطلبوا الديار والاطلال وساروا يقطعون البر والآكام وقد أيقنوا بأن المكدم شرب كاس الحمام إلا أنهم ما أبعدوا عن المعمعة حتى عادت الثلاثة التى هربت من بنى كنانة راجعة افتقدوا القتلى وهم مطروحين فى جنبات الفلا فوجدوا المكدم مطروح يئن من ألم الجراح قال الراوى فلما نزلوا اليه أركبوه وساروا بعد ذلك يقطعون القفار حتى وصلوا إلى الديار ( قال الراوى ) فلما نزلوا ساروا فى الاطلال قامت الأحزان على من قتل من الرجال هذا والمكدم قد نزل فى أبياته وكثرت أحزانه وقلت مسراته وتصاعب على ابنه وزوجته زادت حسراته كان له بنت صغيرة يحبها فتسلى بها عمن مضى بعد ذلك أرسل العبيد يطوفون الحلل وسالوا عن القصبة الدنية وجميع قبائل العرب اليمانيه يسألوا عن ربيعة وأمه وزيد المكدم قد طال حزنه زاد همه وكان الخمسون فارس الذين كانت مع وائل بن الضحاك صاروا وهم فى فرح عظيم فلما وصلوا إلى ديارهم فرق وائل الغنيمة فوقع ربيعة وأمه فى قسم وائل وكانت أبياته

على غير تلك المناهل فلما أخذ قسمة سار من يومه طالب حلته وقومه قال الراوى فلما نظر معن إلى أم ربيعه فرآها فاقت بالحسن والجمال فاقبل على وائل قال له ويلك خلى عن الظعن وانجح بنفسك سالم قبل أن تصبح فى رمسك راغم فلما سمع وايل كلامه أبدى ضحكه وقال له يانذل يابن الأنذال عمرك رأيت أحد يسلم ظعنه بلا حرب ولا قتال فلما سمع كلامه قال له وحق اللات والعزى ياابن الكرام لقد أنصفت ماعليك ملام فدونك وماتريد حتى أتركك ملقى على الصعيد ثم أنه قفز إلى وائل بالحصان قوم نحوه السنان قال له خذ لنفسك الحذر ياغلام والا حل بك الانتقام قال فعند ذلك التقاه وايل بقلب أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر فالتقا والتحما وعلى هلاك أرواحهما ودام بينهما الحرب واشتد الطعن هذا ومعن قد أكرب وايل وأضجره وألهبه وحيره وضربه على عاتقه أخرج السيف يلمع من علائقه واحتوى على جواده سلبه وأخذ ربيعه ووالدته وسار يطلب دياره وعشيرته هذا أم ربيعه لاتنشف لها دمعة ولا تبرد لها لوعة فلما وصل إلى عشيرته أخلى بيتا من الادم فطلب منها ماتطلب الرجال من النساء فقالت له أخسأ ياندل الرجال فانا أبعد من أمك فى هذه الفعال فضربها وهددها بالضرب وهى لاتزداد إلا بكاء ونحيب فقالت له نساء قومه أهينها وكلفها خدمتك لعلها إذا رأت الهوان أطاعتك فعند ذلك البسها جبة من الصوف وسلم إليها قطعة من الابل والخرفان أمرها أن ترعاها فى الصحراء وكلفها من تكلف الاماء وقد ترجى أن تلين له من بعد الجفا تصير له من اهل الوداد والنعمان لأن فى الناس من لا ياتى بالكرامة لايجىء الا على الاحراق والاهانه هذا أم ربيعه قد استيئست بالوحده والانفراد وصارت تتسلى بالبكا والاحزان وربيعه يشتد على ممر الليالى والأيام والشجاعة لائحة على أعطافه وترى أمه من فعاله عند اقتناصه بالوحش مايحير الافكار قال من أعجب ماروى عن هذا الغلام على صغر سنه أنه كان مع أمه قد عاد من المرعى فالتقى بهم عبد يرعى يقال له هجام وكان آفة من الآفات وبلية من البليات يقتنص الأسود فى الغابات وكان سيده يقال له المقدم مايلتقى مثله فى الصدام وكان مالك بنى النظر والمقدم عليهم إلا أن الهجام لما التقى بربيعه وأمه نظر إلى حسن قامتها ونور وجهها وملاحتها فقال لها يامولدة العرب من هو سيدك من العرب ولمن هو هذا الغلام ولمن هذا السرح والاغنام فقالت له أم ربيعة لاتسال من مالا يعينهم اذهب إلى حال سبيلك قبل أن تسمع مالا يرضيك فقال العبد ويلك ياالخنا بلغ من قدرك أن تكلميتى

بهذا الكلام وأنا الهجام على الأسود فى الغابات والآجام ثم أنه رفع يده وضربها على وجهها فسال دمها وأشرفت على هلاكها وعدمها ووقعت على وجهها تقول شلت أناملك وقطعت مفاصلك يانسل الحرام وتربية اللئام قال فلما رأى ربيعه ماتم على أمه من تلك الأحكام حمل على الهجام مسكه بعقوبة وقد حقره الهجام لما حمل عليه شاله بيده ورفعه حتى بان بياض أبطه وجلدبه الأرض فادخل طوله فى العرض عجل انتقامه وأسقاه كاس حمامه فبلغ الخبر إلى سيده المقدم أخبره بهلاك عبده الهجام وكان عنده فى مكان عظيم وخطب جسيم لأنه كان يعده للنايبات ويدخره للملمات فقال للذى أخبره بهذا الخبر والحال ويلك من قتله من جبابره الرجال ومن فعل به هذه الفعال فقال لله والله يامولاى ماقتله إلا غلام مابلغ من العمر غير عشرة أعوام وقد رأيناه لما رفعه على يديه كأنه فرخ حمام فى يد البطل الدرغام قال الراوى فلما سمع المقدم هذا الكلام وثب على ظهر الجواد وقد ملا قلبه الاحقاد سار حتى وصل إلى مصرع عبده الهجام نظر إلى ربيعه وما قد سار عليه من الرجال يتفرجون على ماقدصنع من الأفعال واختلاف الأقوال فقائل يقول هذا محال وهذا الغلام مايقدر على هذه الفعال وآخر يقول يابن العم ماهذا الكلام قال الراوى ثم أنهم لما رأوا المقدم انفصلوا عن الزحام ونظر المقدم إلى ربيعه أبصر حسن صورته البديعة فقال لمن كان حاضرا ياقوم أحق هذا الغلام قتل عبدى الهجام فقالوا اله أى وحق مسير الغمام وخالق الانام والمخالف بين الضيا والظلام فقال ياالعرب أن هذا غاية العجب وحق مكون الاكوان وخالق جميع الأيام لايكونن لهذا الغلام شان وأى شان ولابد مايعلو قدره على ساير العربان قال الراوى فقال المقدم لمن كان معـــه من عبيده والفرسان اذهبوا بهذه المرأة إلى أبياتى وإذا سالكم معن عنها فقولوا له المقدام أخذها عوضا عن عبده الهجام فعند ذلك أخذوها العبيد ومضوا بها إلى أبيات مولام المقدام وقد أيقنوا أنه يسقيها هى وولدها كاس الحمام ولما وصل المقدام إلى أبياته أدعا بزوجته ومولداته قال لهم اكرموا هذه المرأة الغريبه الحجازية وولدها فن هى إلا من أطيب واكرم محتدا وأعلوا قدر هذا الصغير يكون أمره نافذ على الكبير والصغير لانى أرى الشجاعة من طرفة لائحة والنجابة من بين عينيه واضحة وفى الحال ضرب لام ربيعه بيتنا من الأديم وعاد كل إلى الوجوه بعد العدم ثم استدعى المقدم بربيعه بن المكدم إلى بين يديه وقبله بين عينيه وقال لمن حوله من العبيد اذهبوا بهذا الغلام إلى الخيل والمهارى ولا تمنعوه

من ركوبها لا ليل ولا نهار لانه فارس مغوار قال الراوى فصار يركب ربيعة فى باكر النهار ويأخذ العصابه ويطعن بها أوراق الاشجار ويتقلب على ظهور الخيل فى البرارى والقفار حتى صار كأنه نار محرقة أو صاعقة مبرقة فلما رآه المقدام يفعل هـــذه الفعال زادت محبته وعلت عنده مرتبته واحتوى على عقله ولبه ونزل منزلة عالية فى قلبه قال الراوى واتفق أنه فى هذه الايام قد حج المقدام إلى البيت الحرام وأخذ معه أهله والعيال والنعم والاموال وكان معه الربيعة وأمه ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى مكة وأقام بها أيام الحج وهو يكثر من الوهبات ويدفع إلى الضعفاء بالصدقات وبعدها عاد يطلب دياره ولم يزل سائر حتى وصل إلى الماء فعندها نزل ليأخذ الراحة فى ذلك المقام فرأت ربيعة فى الماء الذى نزل عليها بعلها وعرفت الاثار فزادت فى قلبها شعل النار وجرت دموعها كالامطار وتذكرت الاهل والديار وجعلت تنوح كما ينوح الحمام فى الاوكار وصار سرها فى ذلك الوقت أجهار فلما رأتها مولاتها تبكى على ذلك الحال نال قلبها أعظم ما نال وقالت لها أيام ربيعه مالى أراك لما وصلت إلى هذا المكان أكثرتى البكاء والاحزان أطلعينى على قصتك واتخذ بنى من أهل نصيحتك قال الراوى فلما سمعت أم ربيعة كلامها بكت واشتكت وقالت لها ياستاه أشرح لك حالى وماصنعت فى الايام والليالى ثم أنها حدثتها بقصتها من أولها إلى آخرها فما استتمت أم ربيعة كلامهـا حتى طلع عليهم غبار وسد الاقطار وبعدها انكشفت الغبار وللابصار وكان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس سمر الالوان تهتز على أكتافهم الرماح مثل العقبان وهم ينادون يا آل كنانه فلما نظروا الهودج نادوا وافرحاه أبعدوه عن المال والنسوان من قبل أن تطير جماجمكم عن الابدان (قال الراوى) فلما سمع المقدام هذا الكلام وثب وركب الحصن وكذلك فعلوا الذين كانوا معه من الفرسان والتقت الشجعان بالشجعان وجرت الدماء كالغدران وحملت بنو كنانه على بنى قحطان ونثروا منهم الرجال ثم أنه تقدم إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى ياآل كنانه مافى قتل الرجال الرفاق إجلال وإنما خلصوا من يدى الاموال والعيال فى عرصة المجال فأنا المقدام بن الضحاك الفارس الفتاك سيد بنى النظر وفارس البدو والحضر فابرزوا إلى فارسكم الاوحد قال الراوى وكان المقدام على بنى كنانة زيد المكدام وقد ذكرنا ماوقع له من الحديث إلى آخره وماجرى له مع أم ربيعه وكيف سار بها إلى البيت الحرام وكيف نزل بها فى رضى

النعام وكيف سبوها الأعداء اللئام وكيف قتل ولدها الهجام وأخذها المقدام وما أولاها هى وولدها من الأنعام وأخذهما معه إلى بيت الله الحرام إلى أن انزلوا فى هذا المكان والتقام والمكدم ومن معه من الفرسان (قال الراوى) ولما نظرت الربيعة إلى قومها وبعلها بصحبتهم عرفته وانسرت برؤياهم وأعلمت ولدها بقصتهم ففرح ربيعة برد السيف إلى قرابه ورجعنا إلى سياقة الحديث والكلام وما جرى للمقدام بن الضحاك وكيف طلب براز زيد المكدم فعند ذلك قفز إلى الميدان ودار بينهم الحرب والصدام واللزام ولم يزلوا على ذلك الحال إلى أن اختلفا بينهما طعنتان فكان السابق بالطعنة زيد المكدام فطعن المقدام بالرمح فى صدره أرماه عن مركبه وقد أشرف على هلاكه وعطبه فاخذه أسير ولما رأت بنو عمه إلى ذلك طلبوا الديار والاطلال وهم لا يصدقون بالسلامة والانفلال ورجع عنهم زيد المكدم هذا وزوجته قد أخذت ولدها وهرولت تطلب بعلها إلى أن وصلت إليه وأرمت روحها عليه وعلى قدميه تقبلهما وكذلك ولدها قال الراوى ولما نظر المكدم إلى زوجته عرفها وكاد أن يغشى عليه وأرمى نفسه وعليها اعتنقها وقد غاب عن الدنيا وانهل دمعه وقد جرى هذا وبنى كنانه قد زادت الأفراح بهما وقد تعجبوا من فعالهما وفرحوا لفرحتهما وصارت أم ربيعة تشرح لبعلها ما فعل المقوام فى حقهما من الجميل وما أولى اليها وإلى ولدها من التفصيل وحدثها هو أيضاً بما تم عليه من فراقهما وكيف عادوا إليه بالخيبة وضيعان الهيبه .

هجم السرور على حتى أنه ... من عظم ما قد سرنى ابكانى
يا عين قد سار البكا لك عادة ... تبكين فى فرح وفى أحزان
ونذرت إن جمع المهيمن شملنا ... لا عدت اذكر فرقة بلسان

قال الراوى فلما رأى فعاله أعطاه عشرين ناقه من ماله زيادة وخمسين جنائب وحلف عليه أن يرجع معه إلى دياره فابى وقال له ما أقدر يا أمير أن المنهزمين قد مضوا إلى الديار لانهم يقيموا على المآتم وأنا لو عرفت من الأول هذه الأحوال لما كان جرى هذا كله فعذره الملك فى ذلك وودعه وسار وكل واحد يطلب أهله فلما وصل المكدم إلى بنى كنانه التقوه قومه وهنوه بالسلامة وبخلاص زوجته وولده وانقلب الحى بقدومه فرحا وسرورا وانشى والجد إلى أن تعلم أبواب الحرب ومواقع الطعن والضرب (قال الراوى) ولقد سألت عن أصل المكدم لما سمى مكدم قال لانه كان يهجم على الأسد فى الغابات إلى أن كان فى بعض الأيام

وهجم على أسد فى بعض الاجام فوجده قدر الثور الكبير فعرضه وطلبه وأراد أن يسوقه بين يديه كجرى عادته فوثب الأسد عليه ومكن مخالبه من كتفيه وجذبه إليه أرماه وركب عليه فلما نظر ربيعة وبنى عمه إليه وأره قدأشرف على فناه فسلو السيوف وتقدموا إلى الأسد وكانه أول من هجم عليه وضربه ربيعة على جبهته وخلص أباه من بليته بعد ما أكدمه الأسد فى أماكن كثيرة وأخذ من فخذه قطعة جيدة وحلوه إلى الحى وكان اسمه زيد فن أجل ذلك سمى المكدم إلا أنه ما أقام بعد ذلك الازمان قليل حتى شرب كاس الحام وانتشى ولده ربيعة مثله وصار يشن الغارة ولم يزل على مثل ذلك إلى أن جرى له مع عمرو ماذكرنا وماجرى له ماقدمنا وعدنا إلى سياقة الحديث بإذن من يحيى ويميت وصار ربيعة يجول فى الميدان عرضا وطول وقد أشار إلى عمرو يقول هذه الأبيات :

نحن قوم الزمان عندنا الموت إن لاح من صدور الرماح
ولباس الحديد عار علينا وزل فى يوم حربنا والكفاح
وإذا شاب مفرق الليث منا بطرحه الزمان أى انطراح
الشجاع الذى يموت كريما تحت ظل القنا وطعن الرماح
يا أبا ثور خل ماكنت فيه واستمع من نصيحة النصاح
وارتحل من ديارنا قبل ما تبقى لابس العار مثخنا بالجراح

قال الراوى وعمرو ينظر إليه فعلم أنه فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق فالتفت إلى رجاله وقال لهم والله مارأيت أعجب من هذا الغلام على صباه وإنه أعجوبة لمن يراه وأظن أنه قد اقترب فناه فاحموا أنتم ظهرى حتى ألقاه بصدرى وأطفى ما بقلبى من الحرارة وأقتله وآخذ سلبه على أنى أعلم أن فرسان بنى كنانة من خلفه متتابعة مثل المطر مقبلون وراءه مثل السيل إذا انحدر ثم إن عمرو عاد إلى قتال ربيعة بقلب أصلب من الحجر وتلاقى البطلان وقد تقابلا كانهم جبلين وحان بينهما الحين وقد جرى بينهما من القتال مالايجر على قلب بشعر وآخذا فى الهزل والجد والقرب والبعد والاقبال والادبار وجالا يميناً وشمال فما كانت غير ساعة حتى اختبر كل واحد صاحبه إلا أن عمرو قد عرف أن ربيعة تقيل العيار أثقل من خصمه الدرهم قنطار فأخذته الدهشة والحذر واختلف بينهما طعنتان سابقتان واصلتان إلى الجسمان وكان السابق بالطعنة ربيعة فكاد أن يقضى عليه وأخرج الدم من منخريه وغشى عليه ولما أفاق قال ربيعة قم يا عمرو واعلم أن مالى فى تلافك من مغنم لأنك أسد الثرى وأشبه البرايا بأبى زيد المكدم لاسيما وأنت فارس

كنانة وعادسالم فقم الآن وعد إلى أهلك ولا تغير على بنى كنانة فتهلك فقال عمرو والله




يا ربيعة إن الموت الزؤام أهون على من هذا الكلام فانحمق ربيعه وغامت عيناه فى أم رأسه ومد يده إلى جانب ساقة الأيمن وأخرج منه سنانا يزهنج بلمعان وركبه على رأس رمحه وضربه بعقبه الأرض واوقفه وقال له وحق ذمة العرب يا عمرو إذا لم تلحق أهلك وأصحابك وإلا أورثتك كاس حمامك فقال عمرو فى نفسه إذ أنا بارزته فى هذه النوبة لا بد أن يضربنى بهذا السنان ويجعلنى ملقى على الصحصحان ومالى إلا أننى أسلم إليـــه مامعى وأوريه أنى قد اصرفت عنه وأكمن له فى بعض الوديان حتى يسير بالمال وأخرج إليه فى البر إذا بعد عن أهله وجنده حتى يسير منفردا وحده عن الفرسان لأنى أظن أن أمه تعلم شيأ من السحر والكهانة تبطل على ولدها الذل والاهانه (قال الراوى) فلما حسب عمرو فى نفسه هذا الحساب ترك الاموال والغنائم وطلب الحرب فلما أبعد عن بنى كنانة رجع ربيعه وأصحابه إلى الخيام ويقول هذه الابيات .

| | |
|---|---|
| إنى لأعجب منك حين لقيتنى | خليت رحلك واحتسبت ذهابها |
| وأخذتها من نسوة قد فضحتها | ولم تلك من أبطالها وشبابها |
| إذهب يأنت الليث لا تدعى به | وذع الحرب تزينها أربابها |
| إنى ربيعة فى الحروب صميدع | عند الهياج مذال اصحابها |

أردى الفوارس يوم مشتجر القنا . وأجز فى يوم الآغا أرقابها
كم قد أرديت من الفوارس فى الوغا وأخذت من بعض الملوك أسلابها

قال الراوى فلما فرغ ربيعة من هذا الشعر والنظام سار فبينما هو سائر وإذا بعمرو قد خرج عليه فقال ربيعة خنت يا عمرو لكن لابد من أخذ سلبك ثم عاد بجواده على الخيل عودة الأسد الحردان فتلقاه عمرو ولما رأى منه من ذلك الشأن أراد أن يخدعه بالكلام الهذيان وقال له ما الذى تريد منى يا علام فقال أريد سلبك ودرعك حتى تعلم ذلك قال عمرو لا تفعل قال ربيعة لابد من ذلك فعلم عمرو أنه إن لم يقلع سلبه ويسلمه إليه يكن فى تلك الساعة هالك فقلع ملابسه وعدته وسلمهم إليه فاخذهم منه فوضعهم قدامه على سرجه وانصرف عنه يقول هذه الأبيات .

إنى ربيعة مذل الكماة إذا جالت فوارسها بالسمر والقضب
ولم تجد يا ابن معدى من مقارعتى حتى تذوق حياض الموت والعطب
ابن المكدم أسد الحرب تعرفنى يوم الهياج ويوم الروع والكرب

( قال الراوى ) فلما سمع عمرو شعر ربيعة ترجل عن جواده وعن وجه الأرض نزل وتقدم بين يديه وقال يا ربيعة لا تفعل بحق الرب القديم فانى حملتك على كتفى وأنت طفل صغير فلما كبرت صرت تفعل بى هذه الفعال وتجعلنى أحدوثة بين الرجال فلما سمع ربيعة هذا الكلام ترجل بحضرة الرجال ثم إنهما تحالفا أن لا يخونا بعضهما بعض فرد ربيعة على عمرو درعه ولبسه وعمرو قد زادت نيرانه حيث عجز عن ربيعة وقد رجع كل منهما طالب حيته هذا وعمرو لا يصدق بالنجاة وقد خدع ربيعة بالمحال لكن الضرورة تدعوه إلى ما يخفيه ثم مضى وهو يتحدث مع أصحابه ويقول ما هذا إلا فريد عصره وأوانه وشيطان ميدانه وجعل عمرو يذكر شجاعة ربيعة وما رأى من حسن صنعته وأشار يقول هذه الأبيات .

خليلى إن المرء يكرم بالفتى فالمرء مسؤل به حين يسئل
وقد يطمع الإنسان فى الخير عامدا ويسعى إلى ما يلتقيه ويفعل
فـــا ثارنا نرجوه فى كل ساعة فما قليل فهو لا شك يرحل
وإن كنت معتاد الحرب وخوضها فلا بد ما يأتيك منها مرحل
فكم شيد فى قومه متواضعا وكم من فتى فى قومه متفضل
وجود الفتى الدهر يوما يزينه وخبرته بالدهر إن كان يفعل

وكنت به غرا فاورانى الردى أكرم به بطلا معه الشجاعة تبطل
جئت وقومى مزعوتين على الثرى على كل مجول من الخيل يصهل
وسرنا فصبحنا كنانة بكرة وبتنا بأن نترك الكل قيل
سبينا النوانى والبنات تعمدا على وجه ما كنا عليه نعول
وفيهم فتاة لم تر العين مثلها لها لحظات للقلوب تقاتل
وعدنا فراحا سائرين إلى الملا وللدهر أفعال كذا الصيف يفصل
إذا فارس يطوى الفلا مبادرا ينادى إلينا أيها المتجهل
قفوا واتركوا ما قد أخذتم فاننى أبيدكمو إذا لم تخلوا وترحلوا
فعاجلته منى بطعنة فيصل لخر على وجه التراب بجندل
وسرنا فادركنا أخاه وصحبه لجندلناهموا بالطعن والصدق أجمل
ومن بعدهم جاءنا غلام مهذب له عزمات فى الحروب تفضل
وقال انتدب يا عمرو فالحرب بيننا وليس على جهل الجهول معول
فقمت ووجهى فى التراب معفر ودمعى على الخدين صار يهمل
وعدت على ظهر الجواد مبادرا أسعى ورمحى أرتجى منه مقتل
فاوزرت العينان فى وسط رأسه وقال ستدرى إن رأيك أمثل
فصح لقلبى أنه كان صادقاً وأيقنت منه إذا رأى الشر يفعل
وداخلنى خوف الشدة بأسه غلام له فى الحرب ضرب وفيصل
وقال انتزع يا عمرو للدرع مسرعا قتالك لا يصحب ولا يتعلل
فناولته درعى بخوف وذلة مخافة موت من يديه معجل
فلما تعارفنا اعاد تكرما اسلبى وواحاتى وما قلت يفعل
فلم تر عينى فارسا كربيعة كريم شجاع ماجد متفضل
فذاك غلام إن يعيش لمدة ستبقى يداه فى البلاد تطاول

قال الراوى فلما فرغ عمرو من ذلك الشعر والنظام سار هو وقومه يقطعون البر والاكام وهم متعجبون مما وقع لهم من تلك الأمور وقد عاد ربيعة وفؤاده مسرور فقد بانت شجاعته وقد أصبح أفرس الخلق قاطبة قد أخلته نخوة الصبا فصار يفتخر بقوة نفسه فلما أن استقر فى حلته أتت إليه أكابر عشيرته هنوه بالسلامة فهذا ما كان منه قال وأما ما كان من عمرو وعوته فانه مضى وصار يقول لأصحابه يا ترى إن كان هذا الغلام يعيش و تطول مدته فسوف تعظم نوبته لكن ما تضره علينا إلا الرب بسبب بغينا وهذا هو الذنب

العظيم لأنه ما منهن إلا من كشفت رأسها وسألت ربها أن يوصل الأذية لنا وكان هذا الحساب الذى حسبه عمرو صحيح فكان فيهم امرأة كبيرة من بيت كبير إلا أنها افتقرت وجار عليها الزمان (قال الراوى) وكانت تلك العجوز دينة متعبدة وبجتنبه فعل المحرمات والآثار وكانت تسافر فى كل عام إلى بيت الله الحرام وتطلب من الأكابر ما تقتات به البنات فى سائر الأوقات وكانت تسمع من المشايخ الذين فى البيت الحرام صفات سيدنا محمد ﷺ بدر التمام وأنه يظهر فى هذه الأيام بالصدق والوفا ويكون ظهوره بين زمزم والصفا إلا أنها لما سمعت بذكر نبينا محمد المختار بقى فى قلبها من محبته آثار لأنه تكرر فى مسامعها المرار ولما أخذت تلك البنات ذلك النهار وأبصرتهن يمشين بين الرجال يمينا وشمال وهن خافيات باكيات فرفعت رأسها إلى رب الأرض والسموات وسكت وشكت قصتها إلى عالم السر والخبات وقالت ربى باه بحرمة النبى الهاشمى المكى الزمزمى القرشى الذى وصفه كهان العرب وذكروه أن ظهوره قد اقترب أسالك أن تسلط على عمرو غلبات الرجال ولا تبلغه منا آمال وكان دعاؤها بقلب مكسور موجوع وذل وخشوع وجريان دموع فاستجاب الله دعاءها سريع وكافأ عمرا مكافأة البصير السميع وبعدها سار عمرو ومع أصحابه وهو بتلك الذل والاهانة حتى غابوا عن أرض بنى كنانة فوقف وقال لاصحابه إنى لست بقيت منكم ولا بقى لى قلب يطاوعنى على المسير معكم وأن لم تساعدونى على ما بى وإلا رحلت وهمت على وجهى الفقر والبيداء فقال له أصحابه ما الذى تريد فقال لهم إنى قد عولت أن أكمن بكم بين هذه الروابى والبطاح ولا نبرح حتى يصبح الصباح لانكم تعلموا أن كاس الشماتة مر ولا يصبر عليه عبد ولا حر ونحن على ذلك الحال يمضى أمرنا إلى الذل والخبال فانى قد خطر فى قلبى خاطر فاصبروا على حتى تسرح جمال القوم والنياق ونخرج عليهم ونسوقهم نقلب واشتياق وتبعد على هذه الديار الذى ما لنا فيها سعادة ولا اتفاق وأن نلاحق بنار بيعة بسرف أقاتله وأجتهد فى بلوغ آمالى منه إذا هو أبعد عن هذه الديار وخلوت به فى تلك القفار ولا بد لى ما أنصر عليه واكشف عنى العار فقال له رجل من قومه يقال له مشير والله يا عمرو أنك قد عولت على أن لا يبقى منا لا كبير ولا صغير فوالله أنك فى هذا الامر ما أنت مشير وما أنت إلا كثير التعدى والتكدير وأنك لا تزال بهذا اللجاج حتى تترك لحومنا رزقا الطيور والجوارح ولقد سافرت معك كم من مرة فارأيت أوشم من هذه السفرة ولولا ما رأتك أم ربيعة شئيا بعلياء المكدم لصرنا جميعا فى القبور والعدم فقال عمرو يا بنى عمى وأقاربى أن أقتل أهون على ما أكون تحت كلمة هذا الغلام ولا

ألق منه مرام ولابدما أخاطر معه بروحي ولوسكنت فى هذه المرة ضريحى وأريد منكم إن قتلت أو أسرت فى هذه البلاد وسلم منكم أحد فيمضى إلى حامية عبس عنتر بن شداد ويخبره بما جرى على من الشر والعناد فعندها أطاعه رجاله وقد وافقوه على ما أراده وأكمنوا فى البر إلى الصباح إلى ان خرجت الابل إلى السراح فعندها ركض عمرو هو وأصحابه وساقوا منها قطعة جيدة من النوق والجمال وساقوا الإماء والعبيد وسلكوا بهم القفر والبيد إلا أنهم ما تعالى عليهم النهار حتى ثار من خلفهم الغبار فاحدقوا إليه بالأبصار وإذا هو بربيعة وقد اقتفى منهم الآثار وهو مقبل وحده وهو معه سوى عبده مفتاح وقد قلب البر بالصياح وهو ينادى أين تمضون بأموالك يا خائنى العهود ويا أولاد الزنا فقال عمرو لأصحابه يا بنى عمى احموا أنتم ظهرى وأنا أفرجكم على كرى وفرى ولا بد لى من قتله وقتل هذا العبد الفاجر الذى كان سبب إعاقتنا أول وآخر ولكن بعدما أبعدر بهية من دياره وكان ربيعة فى هذا اليوم لم يعد إلى الاطلال ولم يلبس شيئاً من السلاح إلى القتال ولحق عمرو كما ذكرنا فى تلك البطاح وحمل عليه حملة الأسد الجحجاح ولم يمهله أن يجول معه فى الكفاح بل طعنه بعقب الرمح فى فؤاده نكسه عن جواده فانقض عليه العبد مفتاح كأنه أسد البطاح وشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وحمل على أصحابه وألهبهم بطعانه وضرابه وأسر منهم جماعة وانهزم من بين يديه الباقين وعاد ربيعة إلى عمرو وقال له ويلك غدوت يا قليل المعروف والأدب هكذا اللئيم يغدر بالضيوف إلا قضى من حقهم ما وجب ثم أنه شده شداً وثيقاً وأزال عن قلبه خيانة الصاحب والرفيق وغاصه على جواده وقوى كتافه وشداده وعطف على أصحابه وأجناده وأوثقهم كتاف وعادبهم إلى حلته فخرجت إليه الرجال وبالسلامة هنته وأنزلوا عمرو وأصحابه وربطوهم ووكلوا بهم العبيد هذا وربيعة قد غلا قدره وارتفع ذكره وداخله العجب حتى إذا كان مشى فى جوانب الحى يحكى فى مشيته جبابرة العجم فحسده بعض قومه على ما هو فيه من الشجاعة والقوة والبراعة والمكرم (قال الراوى) وكان فيه الحلة رجل يقال له الصالت بن وهب فعاين يوما ربيعة وعليه ثوب من قباطى مصر وعلى رأسه عمامة حمراء بطرازات من الذهب وقد نظم أطرافها باللؤلؤ الرطب وكذلك ذوائبه بأصناف المعادن فقالت العرب ما أحسن ربيعة وما اليق شمائله ومشيته فإنه قد زان أهله وعشيرته فقال الرجل الذى يحسده والله لقد تعدى طوره وتجاوز عن حده فقال له رجل منهم يا صالت الذى أسر عمرو بن معديكرب ما يحق له أن يمشى هذه المشية فبينما هم

فى الكلام وإذا بربيعة قد أقبل اليهم وكانوا يرمون بالنبال فرمى معهم فاصاب من دونهم فراد فرحه فقال له الرجل الذى يحسده أقلل من تباهيك يا ربيعه وعجبك فلو أنك مع هذا العجب الذى أنت فيه ملكت بنت قيس بن مسعود الملقب بذى الجدين ما كنت تعديت طورك ولا مشيت هكذا فقال له ربيعة أسكت يا صالت وأن لى قلبك حسد وبه تموت كمد ثم أن ربيعة عاد وسأل شيخا من مشايخ جلته وكان له فى الحلة منزلة عظيمة وكان خبيرا بالامور فقال له ربيعه يا عم أريد أن تخبرنى بخبر هذه الجارية التى ذكرها الصالت بن وهب وقد حصل لى من ذكرها أشد الكرب فقال له الشيخ يعنى هند بنت قيس بن مسعود الكريم الآباء والجدود وسيد بنى شيبان وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال فصيحة اللسان ثابتة الجنان قد قهرت كثير من الفرسان الاعيان وقد خطبوها سادات القبائل وبلغنى أن كل من طلبها لم ترضاه لنفسها وكان من جملة من خطبها شيخ العرب دريد بن الصمه الذى تسميه العرب راسات الحروب وخطبها بعده العباس بن مرادس سيد بنى سليم وأيضا خطبها ملاعب الاسنة غشلا بن مالك فلم ترض باحد منهم ولم تعبابهم وهى قد انفردت بنفسها فى البر واتخذت لها مضارب وخيام وأموالا وانعاما قال فلما سمع ربيعه كلام الشيخ قال له والله يا عم لا بد لى منها ولا عدت رجعت عنها ثم انذر على نفسه أنه ما عاد يشرب الخمر ولا عاد يفصل فى أمر حتى يملك هند بنت قيس فندم ذلك الشيخ كيف وصفها له وقال له يا ربيعه مالك اليها من وصول فقال ربيعة والله لآخذنها بالحسام ومضى ربيعة من عند ذلك الشيخ ودخل على أمه وقال لها يا أماه أخبرينى عن حسبى ونسبى هل فيه زبيعه أم لا فقالت له يا ولدى ما أنت إلا من أكرم نسب وأشرف حسب فان كنت خاطبا فاطلق لسانك وقوجنانك ولكن يا ولدى إياك والتعرض إلى هند بنت الملك قيس بن مسعود فلا تخطبها ولا تقربها تفضحك كما فضحت غيرك من سادات العرب فقال ربيعة والله ما أردت غيرها ولا أخطب سواها ولا بد لى ما أملكها وأفتخر بها ولو أهلك دونها ولكن أريد منك درع أبى وتعاونينى بالمساعدة والدعاء فاخرجت له أمه درع أبيه وكان ذخيرة من الذخائر العظام فلبسه ربيعه ثم وضع البيضه على رأسه وتمنطق مكوكبة فصار كانه قضيب بان أو عود خيزران ولما أراد المسير إلى بنى شيبان أصطحب برجل من مشايخ قبيلته وأخذه ثم سار وسلك البرارى والقفار إلى أن أشرف على أرض ديقار ولاحت لهم منازل بنى شيبان وتلك الديار وتصدر بيعه إلى الحى وهو غير محتفل بالرجال ولما وصل إلى بيوت أكابر القوم تكلم بعد ما سلم عليهم وأفصح فى مقاله [illegible] اللثام كأنما عيون

الارقم ثم أنه قال بعد السلام عليهم معاشر العرب المقود هل فيكم الملك قيس بن مسعود فكان الملك قيس له من دونهم مجاوب وقال له هل لك من حاجة يا ابن الامر مين الاطايب قال نعم يا مولاى إنى أتيتك خاطبا وفى كريمتك راغبا قال فلما سمع الملك قيس كلامه قال له يافتى لم لم كنت كتمت سرلا وأخفيت عن هذا المحفل أمرك لأن ياولدى خطبه البنات لا تكون إلا بالمساواة وبذلك جرت عادات السادات قال فلما سمع ربيعة مقاله ورآه مسموع الكلمة بين رجاله قال له يا مولاى أنا ماقلت لك هذا المقال إلا وقد علمت أنك جليل القدر بين الرجال وأنا مابى نقص حتى أسارك ولا يمكن أن أحدا من العرب من أجلى يعايرك وأنا أعلم أنى ماخدعتك وأن صاهرتك لم أخدعك فلما سمع الملك قيس كلامه قال اكسف لنا يافتى عن وجهك فكشف ربيعة عن وجه كأنه القمر فلما نظر الملك قيس إلى حسن جماله وسمع ما تلفظ به من مقاله قام إليه وترحب به وكان ربيعة قد نزل عن ظهر جواده وأيقن أنه بلغ مراده فقال له قيس من أين أنت ياغلام وما يكون نسبك من العرب الكرام فقال أنا ربيعة ابن المكدم سد بنى كنانة أصحاب العهود والامانة فقال قيس حياك والله وحيا عربك الأخيار أنزل عندنا على الرحب والسعادة والكرامه والرعا وكان أبيك صديقا لنا وقد وصل إلينا الخبر بطرف من شجاعتك وبلغنى عن وصف اكرامك وحسن خصالك وقد شرفت أرضنا بوطء أقدامك ولكن ياولدى لعلك سمعت بخبر مر أتيت لها طالب وفى خطبتها راغب وما أسكن الرب القديم فيها من السريره وماهى من حسن البصيرة لأنى قد علمتها الخط بارقلام والضرب بالحسام فى معترك الصدام وقلت إنى ازوجها لابن أخى هانىء بن مسعود فحلف أنه لا يتزوج إلا على ملة النبى ﷺ والآن قد أقبلت أنت الينا ولا بد لى ياولدى مر معاونتك عليها ثم أنه من وقته وساعته استدعى بجارية بين جوارى ابنته وقال لها امضى إلى مولاتك وقولى لها ياسيدتى ها قد انقضت حاجتك وقد اتى إليك رجل خاطب وفيك راغب وأن أباك لم يقض أمرا دون رضاك فمضت الجاريه ثم عادت تقول إن ابنتك تقول لك أن المرء مخبا تحت طى لسانه ومن أهاب الناس أهابوه ومن أحتقر بالناس أحتقروه ولم يرهبوه والرأى أن تأذن له فى الدخول حتى اسمع مايقول فقال الملك قم ياربيعه أدخل على هند وبالغ فى السلام لتسمع خطابك وترد عليك جوابك فقام ربيعة ودخل على هند وأعلن بالسلام فردت عليه هند باحلى كلام بالتحيه والاكرام ثم أمرته بالجلوس وكانت هند من همتها إذا جاءها خاطب وكان لها مراغب تبسط مضربها جميعه مراتب شيء أعلى من شيء وتجعل مرتبتها أعلى الجميع على ذلك تستدل على شرف الانسان فان جلس على

مرتبة عالية رفعت قدره وإن جلس على مرتبة دنيئة استدلت على خساسة أصله إلا أن ربيعه لما أمرته هند بالجلوس فيز المراتب فلم ير أوفع من مرتبتها فتخطى المراتب كلها وسار حتى وصل إليها وجلس بين يديها وقال لها أنعمى صباحا ولقيتى نجاحا فقالت له وأنت ياغلام صبحت بالخير والانعام أخبرنى ما الذى تروم من الكلام فقال لها إنى أريد أن تكونى لى أهلا وأكون لك بعلا فتبسمت وقالت له إنى لأشم رائحة اللبن فى فمك ولا عقل فيك فقال لها يازينة الشباب ما بعقلى عيب يعاب قالت هذا أول قلة عقلك كونك جلست على مرتبتى وهى تصلح لك فقال تنكرى جلوسى على هذا الموضع والذى جئت أطلبه أعلا من ذلك وأرفع فقالت هند وقد اغتاظت ومن أين لك هذا الكلام وأنت قريب العهد من لبن الفطام فقال لها يامولاتى قد تعلمته منك لما أن جلست على مرتبتك وأما قولك على أنى صبى فذلك من فضائل أبى وأتى وإن كنت صغيرا بين الأقران وانا تخشانى جميع الشجعان وأعاتق فى الليل سيفى وأكرم فى الجدب ضيفى فقالت له يافتى بين لنا عن حسبك ونسبك لعل أن نعرف قومك وعربك فقال لها إنا الأفضلون إذا انتسبوا والأكرمون إذا وهبوا فقالت هند هذه صفات قومى الأمجاد وعربى الأجواد فقال لها ربيعة والله لولا أنك فى بنى شيبان مثل الروح فى الأبدان ماحسبتهم من الناس ولا رفعت لهم رأس فقالت هند لعلك من بنى ذاهل فقال ربيعة ويلك هم أذل العرب وأكثرها عيوب وكرب فقالت له هند فمن تكون عربك وأرك قرب الله محلك وأدنى مزارك فقال أنا من الكارمون الضيوف والضاربون بالسيوف فقالت له لعلك من بنى ذبيان فقال لها أتحسنى بماذكرتى أنهم قوم لايزالون عراة الأبدان يقاسون الذل والهوان وإذا نزل بهم نازله فما يعود منهو بطائل ولاينال منهم بنائل فقالت هند ياغلام إنك أطلت فى وصف عربك فبين الناعن حسبك ونسبك فقال لها ربيعة أنا من قوم هم ليوث الحرب وأبطال الطعن والضرب فقالت له هند هذه صفات بنى عبس الذئاب الطلس فقال لها ربيعة إنك ذكرتى قوم محبو بين عند جميع الأعراب مسبوبين عند أصحاب الاحساب والأنساب وكما تعلمى أنهم أسود الغاب فحول وشجعان وأبطال ولكنهم جعلوا حاميتهم عبد راعى جماله وزوجوه من بناتهم ذات الجمال ليحتمون بسيفه عند الحرب والقتال فقالت له هند صدقت فى ذلك المقال فبين لنا من أى العرب تكون أخبرنى ودع ذلك الفنون لها أنا من أشرف العرب وأفرس من ضرب فى البيداء ومد طنب فقالت هند لعلك من بنى عامر التى تقول العرب عنهم أنهم أصحاب الثناء والمفاخر فقال لها ربيعة لقد ذكرتى قوما قليلى

المال ورببى الحال ليس لهم مقال ولا فعال فقالت له هند إذا كان هذا المقال مقالك فما يكون اسمك بين لى قومك مع فرسانك وأبطالك فقال لها ربيعه أن اسمى فى الحرب الليث المصادم وعند دولة بديع الجمال أنا ربيعة بن المكدم صاحب الحسام المخدم والرمح المهدم فقالت له تعنى فارس قبيلتك فوحياة عينيك ياغلام إنك إلى لقاء النسوان أقرب فقال لها ربيعة وحق الرب القديم ما أنا إلا فارس كريم وفى الحرب حول وإنى شجاع لم أكن ليلا وذلكن هذا كلام من هى عمياء لا تبصر الضيا من الظلام قال فبهتت لما سمعت هذا الكلام ثم أرادت أن ترفع عنها الملام فهتكت ستر الحجاب بينهما وكشفت الستر الذى هو من دونه ونظر إلى وجه كأنه القمر ليلة أربعة عشر ونظر إلى شعرها السايل على صدرها وأكتافها مثل أذناب الخيل وسواده مثل سواد الليل وهى كما قال فيها القائل هذه الأبيات .

ولو أنها للمشركين تعرضت ... لاتخذوها من دون أصنامهم ربا
ولو أنها تفلت فى البحر والبحر مالح ... لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا
ولو أنها فى الغرب تبدو لراهب ... لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا

(قال الراوى) وكان لها شعر إذا أسبلته كأنه سلاسل وإذا ظفرته كأنه جنح الليل بجبين أزهر كأنه قمر بحاجبين كأنهما نونين وعينين مكحولتين موردين وخدين وثغر كأنه الدر المكنون صنعه من يقول للشيء كن فيكون إذا نظر إليها العاقل يصير مجنون فاندهش ربيعة لما رأى حسنها فلم يملك نفسه وبان له موته ورسمه ورأى ما أعطاها الله تعالى من حسنها فقالت له بلين الكلام أنظر ياربيعة أنا عمياء أم بصيرة فقال إن الله تعالى صورك فى أحسن صورة فوجهك صبيح وخلقك مليح وعقلك رجيح قال فعند ذاك وضعت الحجاب وقالت ياهذا عول على الذهاب واطلب من بنات قومك الزواج من يكون مثلك من غير لجاج فما أنت لى كفؤ كريم ولا أنت ذو حسب عظيم فعليك ببنات عمك ففيهم من يزول عنك همك وغمك فهم فيك أرغب وأنت لهم أوجب فما لك فى خطبتى مطمع فلا تتبعنى واسمع ما أقول من كلامى واقنع قال فلما سمع ربيعة منها ذاك الكلام غضب وقام على الأقدام وقال لها والله ياهند لقد جعلت الظلم شعارك والقول القبيح دثارك والاما كنتى أفضحتى الفرسان من سادات العرب ورديتهم خائبين بغير سبب فوحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء لا ملكنكى إلا بالسيف قهرا وأرغم الانفاس وأشمت بكى أهلكى والناس قال الراوى فلما سمعت هند ذاك ضحكت من مقاله وقالت ياربيعة خطبتك وحدك مافيها فائدة وليس فيها برهان وما أتيت ومعك من هو أعظم منك فى القدر والشان من فرسان قومك وسادات عشيرتك الشجعان

قال قهرنى منهم إنسان كنت له بامان يحكم فيما يكون وما كان فقال لها ربيعة مافى قومى أعلى منى مقام ولا أقدر ولا اشان ولا أثبت منى جنان عند الحرب والطعان ولا أعلى منى حسبه ولا أكرم منى أب وأم فقالت له هند يا غلام أنت معجب بنفسك وممتد فى طورك على أبنائ لانى أراك أحق فى الكلام وما أظنك تثبت قدامى فى الحرب والصدام وإنما جهل الصبا حملك على هذا المقال فقال وإن كنت صغير السن فقد ظهر بين العرب فعلى وتحدثت العربه لو قائعى وفضلى فقالت له يا غلام إنى قهرت كثيرا من الشجعان فى حومة الميدان وكلهم أبطاله وكان كلهم قصدهم يملكونى ويقهرونى فى الميدان بل إنى قهرتهم وجزيت نواصيهم واحتويت على ذوائبهم بعدما أشرفوا منى على شرب المهالك ومابقى منهم شجاع إلا ويكون من فعلى وحربى هالك فقال لها ربيعة أن على تلك الرجال التى قهرتهم ربات الحجال ولو أننى بارزتك مقدار هذا المقال فاسمعى منى واطلبى ماشئتى من المال ودعى المبارزة والقتال لأنى أكره ذلك خوفا أن تعايرنى العرب السادات إذا قيل عنى أننى بارزت بعض البنات فقالت له هند انصرف ياغلام ودع عنك اللجاج فما لنا فيك من احتياج إذا لم يكن مثلك مبارزة ربات الخدود صادمه ذات السور فقال ربيعة لابد لكى من المبارزة فى الميدان قالت له نعم وأنا أقهرك بين الشجعان وأريك جمالنا والفصلان وإن أنت قهرتنى فافعل بى ما شئت بين قبائل العربا فقال ربيعة افعلى ما شئت ودبرى ماهويتى وما عليه عولتى قال الراوى ثم أنه وثب وخرج من عندها غضبان فصاحت عليه الجوار فلم يلفت إليهم بل سار من وقته طالب الديار وتوقدت فى قلبه النار وتزايدت عليه الأحزان وأتلفه الوجد والغرام فصعل ينشد ويقول :

| | |
|---|---|
| لحا الله من يرضى بذلة نفسه | ومن يك يوما عن أعاديه يضعف |
| إذا لم يكن يوما الكريهة ماحدا | إذا مادعاه القرن لايتخوف |
| يجيد طعانا بالرماح وتارة | بحد شفار السيف الرأس يخطف |
| سريعا إذا خوض الغبار مبادرا | وعند صدام الخيل لايتكفكف |
| ومن يرعى الأغنام أو من يسوقها | إلى بقعة فوق المهاد تشرف |
| وأصطلين الحرب فى هيجتها | وأضرب هامات الرؤس وأخطف |
| إذا لم يكن يوما عزيزا فلا تكن | ذليلا هباب الذل منه اليخوف |

قال الراوى وسار بيعة بن المسكدم فى ذلك البر والاكم إلى أن أشرف على ديار قومه ودخل على أمه وأخبرها بما تم له فى سفرته وأعلمها أن النار قد أضرمت فى مهجته فقالت

أمه يا بنى أنا ما نصحتك وقلت لك لا تمضى إليها لأنك لا تقدر عليها فقال لها يا أماه كيف أصنع فأنا ما بقى لى عنها مرجع ومن عادلى لا أسمع فقالت له أمه يا بنى إذا كان الأمر كذلك وأردت أن تصاهر القوم فاجعل الصبر شعارك والعز دثارك وتحرص من عمل المكيدة واذكر مفاخر جدك وأبائك تنال قصدك ومناك وإياك يا بنى والبغى فإنه مصرع الرجال وامض إليهم فى فرسانك الأبطال وإن حاربتهم فاجعل الحرب القوم أنصاف واحذر أن تخرج لهم من خلاف وقد تمت الأمور فإن كان باغ مقهور وقد أخبرتك بفعل أهل الفضل وقلت لك على ما يفعله أهل الفهم والعقل فعند ذلك قبل ربيعة رأس أمه وانتخب من قومه أربعين فارسا من جبابرة قومه وهم أبطال مغاوير أقيال وركب على ظهر جواده وسار وتبطن فى البرارى والقفار وقد صحبه جماعة من العبيد والجميع كأنهم سد من حديد وكلهم بالزرد النضيد ما منهم إلا كل فارس شديد وما زالوا يقطعون البرارى والقيعان حتى أشرفوا على ديار بنى شيبان وجدوا القوم ظالمين من دار إلى دار فانتظروهم لما نزلوا وقربهم القرار وكانوا نزلوا فى دار كثيرة المرعى واسعة عزيزة العشب والكلأ فعندما طنبوا الخيام وركزوا الأعلام وأشرف عليهم ربيعة ومن معه من الأصحاب وساروا حتى قاربوا الخيام والمضارب فلما رأوا عبيد الحى ربيعة من معه أنكروه غاية الانكار فصاح عليهم صيحة الأسد المغوار وقال لهم اسمعوا أوا علموا سيدكم بقدومنا وقولوا له أن ربيعة بن المكدم قدم علينا فعند ذلك تجارت العبيد إلى نحو سيدهم وأعلموه بالخبر أشرف عليهم وإلى الحى قد حضر فقال لهم يا ويلكم وكيف رأيتم حالته فقالوا إنه غائص فى عدته غريق فى لامته فأسرع الملك قيس إلى لقاه وما زال سائرا حتى أنه التقى ربيعة فترجل الملك قيس وقال له أهلا وسهلا بك يا ربيعة هل أنت زائر أم غائر فقال ربيعة لا وأبيك أيها الملك ما جئت إلا خاطب وفى كريمتك راغب فإن أردت الصلاح كان أقرب للنجاح وإن أردت حربا وكفاح فلا بد ما يعاين ليث البطاح فقال الملك قيس اصبر أنت وقومك ساعة حتى أننى أقص عليها قصتك وأعلمها بجيئك وخطبتك لها ( قال الراوى ) فأسرع الملك قيس إلى المضارب والعبيد مجتمعين عليه من كل جانب فالتفت إلى عبد بن عبيدة وقال له اذهب واعلم هند بقدوم ربيعة البطل الصنديد وما أتى فيه من ذلك الأمر الشديد فذهب العبد وما غاب إلا شيء يسير وبعد ذلك أخبر بالجواب البكير وقال إنها تقول لا تفزع من التهديد ولا تفزع من الوعد والوعيد وبعد ذلك أمرت بإحضاره إلى عندها وقدومه عليها .

( تم الجزء الرابع والثلاثون ويليه الخامس والثلاثون )

